

زاد المسير في علم التفسير

المجلد الأول

حقوق الطبع محفوظة للمكتب الإسلامي
إصداره
زهير الشاوش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرفنا على الأُمم بالقرآن المجيد ، ودعانا بتوفيقه على الحكم إلى الأمر الرشيد ، وقوّم به نفوسنا بين الوعد والوعيد ، وحفظه من تغيير الجهول ، وتحريف الغنيد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

أحمده على التوفيق للتحميد ، وأشكره على التحقيق في التوحيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يبقى ذخرها على التأيد ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى القريب والبعيد ، بشيراً للخلائق ونذيراً ، وسراجاً في الأكوان منيراً ، ووهب له من فضله خيراً كثيراً ، وجعله مقدماً على الكل كبيراً ، ولم يجعل له من أرباب جنسه نظيراً ، ونهى أن يدعى باسمه تعظيماً له وتوقيراً ، وأنزل عليه كلاماً قرر صدق قوله بالتحدي بمثله تقريراً ، فقال : (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الاسراء: ٨٨) فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وأشياعه ، وسلم تسليماً كثيراً .

لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم ، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، وإني نظرت في جملة من كتب التفسير ، فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه ، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه ^(١) ، والمتوسط منها قليل الفوائد ، عديم الترتيب ، وربما أهمل فيه المشكل ، وشرح غير الغريب ، فأنتيتك هذا المختصر اليسير ، منظوياً على العلم العزيز ، ووسمته ^(٢) بـ :

(١) في الأصل : عنه . (٢) في الأصل : ووسمه ، والتصويب من نسخة (ب)

زاد المسير في علم التفسير

وقد بالغت في اختصار لفظه ، فاجتهد ووفقك الله في حفظه ، والله المعين على تحقيقه ،
فما زال جائداً بتوفيقه .

❦ فصل في فضيلة علم التفسير ❦

روى أبو عبد الرحمن السلمي ، عن ابن مسعود قال : كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر ، فلا نجاوزها إلى العشر الآخر حتى نعلم [ما] ^(١) فيها من العلم والعمل ^(٢) .
وروى قتادة عن الحسن أنه قال : ما أنزل الله آية إلا أحب أن أعلم فيم أنزلت ، وماذا عني بها .

وقال إياس بن معاوية : مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم ، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلاً ، وليس عندهم مصباح ، فتدخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه ، فاذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه .

❦ فصل ❦

اختلف العلماء : هل التفسير والتأويل بمعنى ، أم مختلفان ؟ فذهب قوم إلى أنهما بمعنى ، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين . وذهب قوم إلى أنهما مختلفان ، فقالوا : التفسير : إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي . والتأويل : نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل [لولاه] ^(٣) ما ترك ظاهر اللفظ ، فهو مأخوذ من قولك : آل الشيء إلى كذا ، أي : صار إليه ^(٤) .

(١) الزيادة من نسخة (ب) (٢) رواه الطبري ، واستاده صحيح .

(٣) الزيادة من « تاج المروس » للزبيدي . وفي نسخة (ب) « إلى دليل لولاه ترك ظاهر اللفظ » .

(٤) في الأصل : الأهل . والتصويب من نسخة (ب)

﴿ فصل في مدة نزول القرآن ﴾

روى عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت [العزة ، ثم] ^(١) أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ^(٢) .
وقال الشعبي : فرق الله تنزيل القرآن ، فكان بين أوله وآخره عشرون سنة .
وقال الحسن : ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثمانين سنة ، أنزل عليه بمكة ثمانين سنين .

﴿ فصل ﴾

واختلفوا في أول ما نزل من القرآن ، فأثبت المتقول : أن أول ما نزل : (اقرأ باسم ربك) العلق : ١ . رواه عروة عن عائشة ^(٣) وبه قال قتادة وأبو صالح .
وروي عن جابر بن عبد الله : أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) المدثر : ١ ^(٤) والصحيح أنه لما نزل عليه (اقرأ باسم ربك) رجع فتدثر فنزل : (يا أيها المدثر) يدل عليه ما أخرج [في] ^(٥) « الصحيحين » من حديث جابر قال : سمعت النبي ﷺ وهو يتحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه : « فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجثت منه رعباً ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني ، فدثروني ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر) ومعنى جثت : فرقت . يقال : رجل مجوث [ومجوث] ^(٦) وقد صحفه بعض الرواة فقال : جثت من الجبن ، والصحيح الأول . وروي عن الحسن وعكرمة : أن أول ما نزل : (بسم الله الرحمن الرحيم) .

(١) الزيادة من نسخة (ب) (٢) رواه الحاكم ج ٢ / ٢٢٢ وقال : هذا حديث صحيح
الاستناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . (٣) رواه مسلم .
(٤) الزيادة من نسخة (ب) . (٥) الزيادة من « لسان العرب » .

فصل

واختلفوا في آخر ما نزل، فروى البخاري في أفراد من حديث ابن عباس، قال: آخر آية أنزلت على النبي ﷺ، آية الربا، وفي أفراد مسلم عنه: آخر سورة نزلت جميعاً (إذا جاء نصر الله والفتح) النصر: ١. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: آخر آية أنزلت (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) ^(١) البقرة: ٢٨١ وهذا مذهب سعيد بن جبير وأبي صالح. وروى أبو إسحاق عن البراء قال: آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في السكالة) النساء: ١٧٦ وآخر سورة نزلت (براءة) ^(٢). وروي عن أبي بن كعب: أن آخر آية نزلت: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) التوبة: ١٣٨. إلى آخر السورة ^(٣).

فصل

لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، فرب تفسير أدخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ، أو يبعثه، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكي من المدني، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة.

وقد أدرجت ^(٤) في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره مما

(١) رواه الطبري واسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وقال: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة (براءة).

(٣) رواه أحمد والحاكم.

(٤) وفي نسخة (ج): خرجت. وجواب لما «وقد أدرجت» وكان حقه أن يقال: «وقد أدرجت».

لا يستغني التفسير عنه ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه .
وقد حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة ، ولم أغادر
من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ ، فاذا رأيت في
فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره ، فهو لا يخلو من أمرين ؛ إما أن يكون قد سبق ، وإما
أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير .
وقد اتقى كتابنا هذا أتقى التفاسير ، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون ،
فنظمه في عبارة الاختصار . وهذا حين شرونا فيما ابتدأنا ^(١) له ، والله الموفق .

❦ فصل في الاستعاذة ❦

قد أمر الله عز وجل بالاستعاذة عند القراءة بقوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ ومعناه : إذا أردت القراءة . ومعنى أعوذ :
أجأ وألوذ .

فصل في

❦ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❦

قال ابن عمر : نزلت في كل سورة . وقد اختلف العلماء : هل هي آية كاملة ، أم لا ؟
وفيه [عن] أحمد روايتان . واختلفوا : هل هي من الفاتحة ، أم لا ؟ فيه عن أحمد روايتان
أيضاً . فأما من قال : إنها من الفاتحة ، فانه يوجب قراءتها في الصلاة إذا قال بوجوب الفاتحة ،
وأما من لم يرها من الفاتحة ، فانه يقول : قراءتها في الصلاة سنة . ما عدا مالك فإنه
لا يستحب قراءتها في الصلاة .

واختلفوا في الجهر بها في الصلاة فيما يجهر به ، فنقل جماعة عن أحمد : أنه لا يسن
الجهر بها ، وهو قول أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وعمار بن ياسر ،

وابن مغفل، وابن الزبير، وابن عباس، وقال به من كبار التابعين ومن بعدهم: الحسن،
والشعبي، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وسفيان
الثوري، ومالك، وأبو حنيفة، وأبو عبيد في آخرين.
وذهب الشافعي إلى أن الجهر مسنون، وهو مروى عن معاوية بن أبي سفيان،
وعطاء، وطاووس، ومجاهد.

فأما تفسيرها:

فقوله: «بِسْمِ اللَّهِ» اختصار، كأنه قال: أبدأ باسم الله. أو: بدأت باسم الله. وفي الاسم
خمس لغات: اسم بكسر الالف، وأسم بضم الالف إذا ابتدأت بها، وسم بكسر السين،
وسم بضمها، وسما. قال الشاعر:

والله أسماك سما مباركاً أترك الله به إشاركا

وأنشدوا:

باسم الذي في كل سورةِ اسمه

قال الفراء: بعض قيس [يقولون:] ^(١) اسمه، يريدون: اسمه، وبعض قضاة
يقولون: مُسمه. أنشدني بعضهم:

وعامنا أعجبنا مقدّمه يدعى أبا السمح وقرضاب مُسمه

والقرضاب: القطاع، يقال: سيف قرضاب ^(٢).

واختلف العلماء في اسم الله الذي هو «الله»:

فقال قوم: إنه مشتق، وقال آخرون: إنه علم ليس بمشتق. وفيه عن الخليل

(١) الزيادة من نسخة (ب)

(٢) جاء في القرطبي بعد انشاده البيت: وقرضب الرجل: إذا أكل شيئاً يابساً فهو قرضاب. وفي
«الصحاح» و«اللسان» و«القاموس» و«شرح» : قرضب الرجل: أكل شيئاً يابساً، حكوا
فلك عن ثعلب، وهو الأصح.

روايتان . إحداهما : أنه ليس بمشتق ، ولا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز من الرحمن . والثانية : رواها عنه سيدييه : أنه مشتق . وذكر أبو سليمان الخطابي عن بعض العلماء أن أصله في الكلام مشتق من : أله الرجل يأله : إذا فزع إليه من أمر نزل به . فأله ، أي : أجاره وأمنه ، فسمي إلهاً كما يسمّى الرجل إماماً . وقال غيره : أصله ولاه . فأبدلت الواو همزة فقليل : إله كما قالوا : وسادة وإسادة ، ووشاح وإشاح .

واشتق من الوله ، لأن قلوب العباد توله نحوه . كقوله تعالى : (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) النحل : ٥٣ . وكان القياس أن يقال : مألوه ، كما قيل : معبود ، إلا أنهم خالفوا به البناء ليكون علماً ، كما قالوا للمكتوب : كتاب ، وللمحسوب : حساب . وقال بعضهم : أصله من : أله الرجل يأله إذا تحير ، لأن القلوب تتحير عند التفكير في عظمته . وحكي عن بعض اللغويين : أله الرجل يأله لإلهة ، بمعنى : عبد يعبد عبادة .

وروي عن ابن عباس أنه قال : (ويذكر وه الهتك) الأعراف ١٢٧ أي : عبادتك . قال : والتأله : التعبد . قال رؤية :

لله در الغايات المدّة سبّحن واسترجعن من تألهي
فمضى الإله : المعبود .
فأما « الرحمن » :

فذهب الجمهور إلى أنه مشتق من الرحمة ، مبني على المبالغة ، ومعناه : ذو الرحمة التي لا نظير له فيها . وبناء فعلان في كلامهم للمبالغة ، فأنهم يقولون للشديد الامتلاء : ملآن ، وللشديد الشبع : شبعان .

قال الخطابي : فـ « الرحمن » : ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر .

و « الرحيم » : خاص للمؤمنين . قال عز وجل : (وكان بالمؤمنين رحيماً) الأحزاب : ٤٣ . والرحيم : بمعنى الراحم .

سورة الفاتحة

روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال وقرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن فقال: « والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلاً، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته »^(١).

فمن أسماؤها: الفاتحة، لأنه يستفتح الكتاب بها تلاوة وكتابة. ومن أسماؤها: أم القرآن، وأم الكتاب، لأنها أمت الكتاب بالنقدم. ومن أسماؤها: السبع المثاني، وإنما سميت بذلك لما سنشرحه في (الحجر) إن شاء الله.

واختلف العلماء في نزولها على قولين.

أحدهما: أنها مكية، وهو مروى عن علي بن أبي طالب، والحسن، وأبي العالية، وقتادة، وأبي ميسرة.

والثاني: أنها مدنية، وهو مروى عن أبي هريرة، ومجاهد، وعبيد بن عمير، وعطاء الخراساني. وعن ابن عباس كالقولين.

فصل

فأما تفسيرها:

﴿الْحَمْدُ﴾ رفع بالابتداء، و﴿لِلَّهِ﴾ الخبر. والمعنى: الحمد ثابت لله، ومستقر له، والجمهور على كسر لام «لله» وضمها ابن عجلة، قال الفراء: هي لغة بعض

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

بي ربيعة ، وقرأ ابن السَّمِيعِ (١) : « الحمد » بنصب الدال « لله » بكسر اللام . وقرأ أبو نَهِيك . بكسر الدال واللام جميعاً .

واعلم أن الحمد : ثناء على المحمود ، ويشاركه الشكر ، إلا أن بينهما فرقاً ، وهو : أن الحمد قد يقع ابتداء للثناء ، والشكر لا يكون إلا في مقابلة النعمة ، وقيل : لفظه لفظ الخبر ، ومعناه الأمر ، فتقديره : قولوا : الحمد لله .

وقال ابن قتيبة : الحمد : الثناء على الرجل بما فيه من كرم أو حسب أو شجاعة ، وأشبه ذلك . والشكر : الثناء عليه بمعروف أو لأكفه ، وقد يوضع الحمد موضع الشكر . فيقال : حمدته على معرفته عندي ، كما يقال : شكرت له على شجاعته .

فأما « الرب » فهو المالك ، ولا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالاضافة ، فيقال : هذا رب الدار ، ورب العبد . وقيل : هو مأخوذ من الترية .

قال شيخنا أبو منصور اللغوي : يقال : رب فلان صنيعته يربها رباً : إذا أتمها وأصلحها ، فهو رب وراب .

قال الشاعر :

ربّ الذي يأتي من الخير إنه إذا سئل المعروف زاد وتعمّماً

قال : والرب يقال على ثلاثة أوجه . أحدها : المالك . يقال : رب الدار . والثاني :

المصلح ، يقال : رب الشيء . والثالث : السيد المطاع . قال تعالى : (فيسقي ربّه خيراً)

يوسف : ٤١ . والجمهور على خفض باء « رب » . وقرأ أبو العالية ، وابن السَّمِيعِ ، وعيسى ابن عمر بنصبها . وقرأ أبو رزين العقيلي ، والريبع بن خثيم (٢) ، وأبو عمران الجوني برفعها .

(١) كذا في الأصل . وفي « اللسان » ، و « شرح القاموس » ، السميع بالقاف .

(٢) جاء في « التقريب » ، الريبع بن خثيم بضم السين ، وفتح التاء ، وفي « الخلاصة » ، بفتح المعجمة والثالثة بينهما تخانيه . أي : خثيم ، كما في الأصول التي بين أيدينا .

فأما ﴿الْعَالَمِينَ﴾ فجمع عالم ، وهو عند أهل العربية : اسم للخلق من مبدئهم إلى منتهم ، وقد سُموا أهل الزمان الحاضر عالماً .
فقال الخطيئة :

[تنحي فاجلسي مني بعيداً] أراح الله منك العالمينا

فأما أهل النظر ، فالعالم عندهم : اسم يقع على الكون الكلي المحدث من فلك ، وسما ، وأرض ، وما بين ذلك .

وفي اشتقاق العالم قولان . أحدهما : أنه من العلم ، وهو يقوي قول أهل اللغة .
والثاني : أنه من العلامة ، وهو يقوي قول أهل النظر ، فكأنه إنما سمي عندهم بذلك ، لأنه دالٌّ على خالقه .

وللمفسرين في المراد بـ «العالمين» ها هنا خمسة أقوال :
أحدها : الخلق كله ، السموات والارضون وما فيهن وما بينهن . رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثاني : كل ذي روح دب على وجه الأرض . رواه أبو صالح عن ابن عباس .
والثالث : أنهم الجن والإنس . روي أيضاً عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، ومقاتل .
والرابع : أنهم الجن والإنس والملائكة ، نقل عن ابن عباس أيضاً ، واختاره ابن قتيبة .

والخامس : أنهم الملائكة ، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً .

قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

قرأ أبو العالية ، وابن السميع ، وعيسى بن عمر بالنصب فيها ، وقرأ أبو رزين العقيلي ، والريبع بن خيثم ، وأبو عمران الجوني بالرفع فيها .

قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾

قرأ عاصم والكسائي، وخلف، ويعقوب: «مالك» بألف. وقرأ ابن السميع، وابن أبي عبلة كذلك، إلا أنها نصباً الكاف. وقرأ أبو هريرة، وعاصم الجحدري: «ملك» بإسكان اللام من غير الألف مع كسر الكاف، وقرأ أبو عثمان النهدي، والشعمي «ملك» بكسر اللام ونصب الكاف من غير ألف. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، ومورق المجلي: «ملك» مثل ذلك إلا أنهم رفعوا الكاف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء الطاردي «ملك» ياء بمد اللام مكسورة الكاف من غير ألف. وقرأ عمرو بن العاص كذلك، إلا أنه ضم الكاف. وقرأ أبو حنيفة^(١)، وأبو حيوة «ملك» على الفعل الماضي، «ويوم» بالنصب.

وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: إسكان اللام، والمشهور عن أبي عمرو وجهور القراءة «ملك» بفتح الميم مع كسر اللام، وهو أظهر في المدح، لأن كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً.

وفي «الدين» هاهنا قولان.

أحدهما: أنه الحساب. قاله ابن مسعود.

والثاني: الجزاء. قاله ابن عباس، ولما أقر الله عز وجل في قوله (رب العالمين) أنه مالك الدنيا. دل بقوله (مالك يوم الدين) على أنه مالك الأخرى. وقيل: إنما خص يوم الدين، لأنه ينفرد يومئذ بالحكم في خلقه.

(١) قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزازي وضع كتاباً في الحروف نسبة إلى أبي حنيفة، فأخذت خط الدارقطني وجماعة؛ أن الكتاب موضوع لا أصل له. قال ابن الجزري: وقد رأيت الكتاب المذكور، ومنه (أما يخشى الله من عباده العلماء) برفع الهمزة ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين، ونسبها إليه، وتكلف توجيهها، وإن أبا حنيفة ليرى منها. انظر النشر في القراءات الشريفة، لابن الجزري ج/١/١٦

قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

وقرأ الحسن ، وأبو المتوكل ، وأبو مجاز : « يُعْبَدُ » بضم الياء وفتح الباء . قال ابن الأنباري : المعنى : قل يا محمد : إياك يعبد ، والعرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، كقوله تعالى : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) يونس : ٢٢ . وقوله : (وسقاهم بهم شراباً طهوراً . إن هذا كان لكم جزاءً) الدهر : ٢١ ، ٢٢ .

وقال لييد :

باتت تشكى إلى النفس مجهشة وقد حماتك سبعاً بعد سبعينا
وفي المراد بهذه العبادة ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها بمعنى التوحيد . روي عن علي ، وابن عباس في آخرين .

والثاني : أنها بمعنى الطاعة ، كقوله : (لاتعبدوا الشيطان) يس : ٦٠ .

والثالث : أنها بمعنى الدعاء ، كقوله : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) غافر : ٦٠ .

قوله تعالى : ﴿إِهْدِنَا﴾ فيه أربعة أقوال :

أحدها : ثبتنا . قاله علي ، وأبي . والثاني : أرشدنا . والثالث : وفقنا . والرابع :

أهملنا . رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس .

و ﴿الصَّراطِ﴾ الطريق

ويقال : إن أصله بالسين ، لأنه من الاستراط وهو : الابتلاع ، فالسراط كأنه

يستطرط المارين عليه ، فمن قرأ بالسين ، كجهاد ، وابن محيصن ، ومقبوب ، فعلى أصل

الكلمة ، ومن قرأ بالصاد ، كأبي عمرو ، والجمهور ، فلأنها أخف على اللسان ، ومن قرأ

بالزاي ، كرواية الأصمعي عن أبي عمرو ، واحتج بقول العرب : سقر وزقر^(١) . وروي

(١) قال في د لسان العرب ، الزقر : لغة في الصقر .

عن حمزة : إشماع السين زايًا ، وروي عنه أنه تلفظ بالصراط بين الصاد والزاي .

قال الفراء : اللغة الجيدة بالصاد ، وهي لغة قريش الأولى ، وعامة العرب يجعلونها سينًا ، وبعض قيس يشمئون الصاد ، فيقول : الصراط بين الصاد والسين ، وكان حمزة يقرأ « الزراط » بالزاي ، وهي لغة لعنرة وكتب وبني القين . يقولون في [أصدق] ^(١) أزدد . وفي المراد بالصراط هاهنا أربعة أقوال .

أحدها : أنه كتاب الله ، رواه علي عن النبي ﷺ .

والثاني : أنه دين الاسلام . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن ، وأبو العالية في آخرين .

والثالث : أنه الطريق الهادي إلى دين الله ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد .

والرابع : أنه طريق الجنة ، نقل عن ابن عباس أيضاً . فان قيل : ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون ؟ ففيه ^(٢) ثلاثة أجوبة ^(٣) :

أحدها : أن المعنى : إهدنا لزوم الصراط ، فحذف اللزوم . قاله ابن الأنباري .

والثاني : أن المعنى : ثبتنا على الهدى ، تقول العرب للقائم : قم حتى آتيك ، أي : اثبت على حالك .

والثالث : أن المعنى : زدنا هدى ^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

قال ابن عباس : هم النبيون ، والصديقون ، والشهداء ، والصالحون . وقرأ

(١) الزيادة من القرطبي .

(٢) في الاصلين : فنه ، ولعل الصواب ما أثبتناه . (٣) في نسخة (آ) أوجه . وكذلك

كان كتبها فاسخ (ب) ثم أصلحها كما أثبتنا . (٤) في نسخة (ب) هداية .

الأكثر « عليهم » بكسر الهاء ، وكذلك « لديهم » و « إليهم » وقرأهن حمزة بضمها .
 وكان ابن كثير يصل [ضم] ^(١) الميم بواو . وقال ابن الأنباري : حكى اللغويون في
 « عليهم » عشر لغات ، قرىء بعامتها « عليهم » بضم الهاء وإسكان الميم « عليهم » بكسر الهاء
 وإسكان الميم ، و « عليهم » بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة ، و « عليهم »
 بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة ، و « عليهم » بضم الهاء والميم وإدخال واو
 بعد الميم و « عليهم » بضم الهاء والميم من غير زيادة واو ، وهذه الأوجه الستة مأثورة
 عن القراء ، وأوجه أربعة منقولة عن العرب « عليهم » بضم الهاء وكسر الميم وإدخال
 ياء ، و « عليهم » بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء ، و « عليهم » بكسر الهاء وضم
 الميم من غير إلحاق واو ، و « عليهم » بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم .

فأما « المنضوب عليهم » فهم اليهود ؛ « والضالون » : النصارى

رواه عدي بن حاتم عن النبي ﷺ ^(٢) .

قال ابن قتيبة : والضال : الحيرة والمدول عن الحق .

فصل

ومن السنة في حق قارىء الفاتحة أن يعقبها بـ « آمين » . قال شيخنا أبو الحسن علي
 ابن عبيد الله : وسواء كان خارج الصلاة أو فيها ، لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه
 قال : « إذا قال الإمام (غير المنضوب عليهم ولا الضالين) فقال من خلفه : آمين ،
 فوافق ذلك قول أهل السماء ، غفر له ما تقدم من ذنبه » ^(٣) .

(١) كلمة ضم من نسخة (ب) . (٢) رواه أحمد والترمذي وحسنه .

(٣) رواه البخاري ومسلم بلفظ « إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر
 له ما تقدم من ذنبه » .

وفي معنى آمين : ثلاثة أقوال .

أحدها : أن معنى آمين : كذلك يكون . حكاها ابن الأنباري عن ابن عباس ، والحسن .

والثاني : أنها بمعنى : اللهم استجب . قاله الحسن والزجاج .

والثالث : أنه اسم من أسماء الله تعالى . قاله مجاهد ، وهلال بن يساف ، وجعفر

ابن محمد .

وقال ابن قتيبة : معناها : يا آمين أجب دعاءنا ، فسقطت يا ، كما سقطت في قوله :

(يوسف أعرض عن هذا) يوسف : ٢٩ تأويله : يا يوسف . ومن طول الألف فقال :

آمين ، أدخل ألف النداء على ألف آمين ، كما يقال : آزيد أقبل . ومعناه : يا زيد . قال ابن

الأنباري : وهذا القول خطأ عند جميع النحويين ، لأنه إذا أدخل « يا » على « آمين » كان

منادى مفرداً ، فحكم آخره الرفع ، فلما أجمعت العرب على فتح نونه ، دل على أنه غير

منادى ، وإنما فتحت نون « آمين » لسكونها وسكون الباء التي قبلها ، كما تقول العرب : ليت ،

ولعل . قال : وفي « آمين » لفتان : « آمين » بالقصر ، و « آمين » بالمد ، والنون فيها مفتوحة .

أنشدنا أبو العباس عن ابن الاعرابي :

سقى الله حياً بين صارة والحمى (حمى) فيد صوب المد جنات المواطر

أمين وأدى الله ركباً إليهم بخير ووقاهم حمام المقادر^(٢)

وأنشدنا أبو العباس أيضاً :

تباعد مني فطحل وابن أمه آمين فزاد الله ما يئتنا بعدا^(٣)

(١) الزيادة من نسخة (ب) (٢) البيتان في « اللسان » في مادة « أمن » ورواية الثاني

فيه : ورد الله . (٣) البيت سقط من نسخة (ب) .

وأنشدنا أبو العباس أيضاً :

يا رب لا تسلبني حبها أبداً
ويرحم الله عبداً قال آميناً
وأنشدني أبي :

أمين ومن أعطاك مني هواة
رمى الله في أطرافه فاقفلت^(١)
وأنشدني أبي :

فقلت له قد هجت لي بارح الهوى أصاب حمام الموت أهوتنا وجدا
أمين وأصنناه الهوى فوق ما به [أمين]^(٢) ولاقى من تباريحه جهداً

﴿ فصل ﴾

نقل الآكثرون عن أحمد أن الفاتحة شرط في صحة الصلاة، فمن تركها مع القدرة عليها لم تصح صلاته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تمنع، وهي رواية عن أحمد، ويبدل على الرواية الأولى ما روي في «الصحيحين» من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) الاقفلال : تشنج الأصابع والكف من برد أو داء.

(٢) الزيادة من نسخة (ب).

سورة البقرة

﴿ فصل في فضيلتها ﴾^(١)

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تجملوا بيوتكم مقابر ، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان »^(٢) .

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال : « اقرؤوا الزهراوين : البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف ، اقرؤوا البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة »^(٣) .
والمراد بالزهراوين : المنيرتين . يقال لكل منير^(٤) : زاهر . والغياية : كل شيء أغل الإنسان فوق رأسه ، مثل السحابة والغبرة . يقال : غايا القوم فوق رأس فلان بالسيف ، كأنهم أظلوه به .

قال ليبد :

فتدلّيت عليه قافلاً وعلى الأرض غيايات الطفل

ومعنى فرقان : قطعتان . والفرق : القطعة من الشيء . قال عز وجل : (فكان كل فرق كالطود العظيم) الشعراء : ٦٣ . والصّواف : المصطفة المتضامة لتظلّ قارئها . والبطلة : السحرة .

﴿ فصل في نزولها ﴾

قال ابن عباس : هي أول ما نزل بالمدينة ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ،

(١) هذا العنوان ثابت في نسخة (ب) . (٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي .

(٣) رواه مسلم . (٤) في نسخة (آ) مستنير .

(زادالمسير - اول - ٢٢)

وجابر بن زيد ، وقادة ، ومقاتل . وذكر قوم أنها مدنية سوى آية ، وهي قوله عز وجل :
(واتقوا يوماً ما ترجعون فيه إلى الله) البقرة : ٢٨١ . فأنها أنزلت يوم النحر بمنى في
حجة الوداع .

❦ فصل ❦

وأما التفسير . فقوله : « الم » اختلف العلماء فيها وفي سائر الحروف المقطعة في
أوائل السور على ستة أقوال .

أحدها : أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :
لله عز وجل في كل كتاب سر ، وسر الله في القرآن أوائل السور ، وإلى هذا المعنى ذهب
الشعبي ، وأبو صالح ، وابن زيد .

والثاني : أنها حروف من أسماء ، فإذا ألفت ضرباً من التأليف كانت أسماء من
أسماء الله عز وجل . قال علي بن أبي طالب : هي أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا
اسم الله الذي إذا دعي به أجاب .

وسئل ابن عباس عن « آلر » و « حم » و « نون » فقال : اسم الرحمن على الهجاء ،
وإلى نحو هذا ذهب أبو العالية ، والريعي بن أنس .

والثالث : أنها حروف أقسم الله بها ، قاله ابن عباس ، وعكرمة . قال ابن قتيبة :
ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها ، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل :
تعلت « أ ب ت ث » وهو يريد سائر الحروف ، وكما يقول : قرأت الحمد ، يريد فاتحة
الكتاب ، فيسميها بأول حرف منها ، وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ولائها مباني كتبه
المنزلة ، وبها يذكر ويوحّد . قال ابن الأنباري : وجواب القسم محذوف ، تقديره :
وحروف المعجم لقد بين الله اسم السبيل ، وأنهجت لكم الدلالات بالكتاب المنزل ، وإنها

حذف لعلم مخاطبين به ، ولأن في قوله : (ذلك الكتاب لا ريب فيه) دليلاً على الجواب .
والرابع : انه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها ، والمعنى أنه لما كانت
الحروف أصولاً للكلام المؤلف ، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف ،
قاله الفراء ، وقطرب .

فان قيل : فقد علموا أنه حروف ، فما الفائدة في إعلامهم بهذا ؟
فالجواب أنه نبه بذلك على إعجازه ، فكأنه قال : هو من هذه الحروف التي
تؤلفون منها كلامكم ، فما بالكم تعجزون عن معارضته ؟! فاذا عجزتم فاعلموا أنه ليس
من قول محمد عليه السلام .

والخامس : أنها أسماء للسور . روي عن زيد بن أسلم ، وابنه ، وأبي فاختة سعيد
ابن علاقة مولى أم هانئ .

والسادس : أنها من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها . يقول الرجل للرجل :
هل تأ ؟ فيقول له : بلى ، يريد هل تأتي ؟ فيكتفي بحرف من حروفه . وأنشدوا :
قلنا لها قفي [لنا] فقالت قاف
[لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف]^(١)
أراد قالت : أقف . ومثله :

نادوهم ألا الجموا ألا نا قالوا جميعاً كلمم ألا فا
يريد : ألا تركبون ؟ قالوا : بلى فاركبوا . ومثله :

بالخير خيرات وإن شراً فا ولا أريد الشر إلا أن نا
معناه : وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء . وإلى هذا القول ذهب الأخفش ،
والزجاج ، وابن الأنباري .

وقال أبو روق عطية بن الحارث الهمداني : كان النبي ﷺ يجهر بالقراءة في الصلوات

(١) الرجز ، للوليد بن عتبة .

كلها ، وكان المشركون يصفقون ويصفرون ، فنزلت هذه الحروف المقطعة ، فسمعوها فبقوا متحيرين . وقال غيره : إنما خاطبهم بما لا يفهمون ليقبلوا على سماعه ، لأن النفوس تنطاع إلى ما غاب عنها معناه ، فإذا أقبلوا إليه خاطبهم بما يفهمون ، فصار ذلك كالوسيلة إلى الإِبلاغ ، إلا أنه لا بد له من معنى يعلمه غيرهم ، أو يكون معلوماً عند المخاطبين ، فهذا الكلام يعم جميع الحروف .

وقد خص المفسرون قوله « آلم » بخمسة أقوال :

أحدها : أنه من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله عز وجل ، وقد سبق بيانه .
والثاني : أن معناه : أنا الله أعلم . رواه أبو الضحى عن ابن عباس ، وبه قال ابن

مسعود ، وسعيد بن جبير .

والثالث : أنه قسم . رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وخالد الحذاء عن عكرمة .
والرابع : أنها حروف من أسماء . ثم فيها قولان . أحدهما : أن الألف من « الله »

واللام من « جبريل » والميم من « محمد » قاله ابن عباس .

فإن قيل : إذا كان قد تنوّل من كل اسم حرفه الأول اكتفاءً به ، فلم أخذت

اللام من جبريل وهي آخر الاسم ؟!

فالجواب : أن مبتدأ القرآن من الله تعالى ، فدلّ على ذلك بابتداء أول حرف من

اسمه ، وجبريل انختم به التنزيل والإقراء ، فتناول من اسمه نهاية حروفه ، و« محمد » مبتدأ في

الإقراء ، فتناول أول حرف فيه . والقول الثاني : أن الألف من « الله » تعالى ، واللام من

« لطيف » والميم من « مجيد » قاله أبو العالية .

والخامس : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله مجاهد ، والشعبي ، وقتادة ،

وابن جريج .

قوله تعالى : ﴿ ذلك ﴾ فيه قولان .

أحدهما : أنه بمعنى هذا ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والكسائي ، وأبي عبيدة ، والأخفش . واحتج بعضهم بقول خفاف بن ندبة .

أقول له والرمح بأطر منته تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

أي : أنا هذا . وقال ابن الأنباري . إنما أراد : أنا ذلك الذي تعرفه .

والثاني : أنه إشارة إلى غائب .

ثم فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه أراد به ما تقدم إنزاله عليه من القرآن .

والثاني : أنه أراد به ما وعده أن يوحيه إليه في قوله : (سنلقي عليك قولاً ثقیلاً)

المزمل : ٥ .

والثالث : أنه أراد بذلك ما وعد به أهل الكتب السالفة ، لأنهم وعدوا بنبي وكتاب .

و ﴿ الكتاب ﴾ القرآن . وسمي كتاباً ، لأنه جمع بعضه إلى بعض . ومنه الكتيبة ، سميت بذلك لاجتماع بعضها إلى بعض . ومنه : كتبت البغلة ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ لا ريب فيه ﴾ الرب : الشك . والهدى : الإرشاد . والمتقون :

المحترزون مما اتقوه .

وفرق شيخنا علي بن عبيد الله بين التقوى والورع ، فقال : التقوى : أخذ ^(٢)

عدة ، والورع : دفع شبهة ، فالتقوى : متحقق السبب ، والورع : مظنون السبب .

واختلف العلماء في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال .

أحدها : أن ظاهرها النفي ، ومعناها النهي ، وتقديرها : لا ينبغي لأحد أن يرتاب

به لإتقانه وإحكامه . ومثله : (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) يوسف : ٣٨ . أي : ما ينبغي

لنا . ومثله : (فلا رفت ولا فسوق) البقرة : ١٩٦ . وهذا مذهب الخليل ، وابن الأنباري .

(١) قال في «اللسان» : وكتبت البغلة : إذا جمعت بين شغري حياتها بحلقة أو سير ، فلا يفترق عليها ،

(٢) في نسخة (ب) « أشد »

والثاني : أن معناها : لا ريب فيه أنه هدى للمتقين . قاله المبرد .

والثالث : أن معناها : لا ريب فيه أنه من عند الله ، قاله مقاتل في آخرين .
فان قيل : فقد ارتاب به قوم .

فالجواب : أنه حق في نفسه ، فمن حقق النظر فيه علم . قال الشاعر :

ليس في الحق يا أمانة ريب [إنما الريب ما يقول الكذوب] ^(١)

فان قيل : فالتقي مهتد ، فما فائدة اختصاص الهداية به ؟

فالجواب من وجهين . أحدهما : أنه أراد المتقين ، والكافرين ، فاكفى بذكر
أحد الفريقين ، كقوله تعالى : (سرايل تقيمكم الحر) النحل : ٨١ . أراد : والبرد .

والثاني : أنه خص المتقين لا تنفعهم به ، كقوله : (إنما أنت منذر لمن يخشاها)
النازعات : ٤٥ . وكان مندرًا لمن يخشى ولمن لا يخشى .

قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ الإيمان في اللغة : التصديق ، والشرع أقره
على ذلك ، وزاد فيه القول والعمل . وأصل الغيب : المكان المطمئن الذي يستتر فيه
لنزوله عما حوله ، فسمي كل مستتر : غيباً .

وفي المراد بالغيب هاهنا ستة أقوال .

أحدها : أنه الوحي ، قاله ابن عباس ، وابن جريج .

والثاني : القرآن ، قاله أبو رزين العقيلي ، وزر بن حبيش .

والثالث : الله عز وجل ، قاله عطاء ، وسعيد بن جبیر .

والرابع : ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار ، ونحو ذلك مما ذكر في

القرآن . رواه السدي عن أشياخه ، وإليه ذهب أبو العالية ، وقتادة .

والخامس : أنه قدر الله عز وجل ، قاله الزهري .

والسادس : أنه الايمان بالرسول في حق من لم يره . قال عمرو بن مرة : قال أصحاب عبد الله له : طوبى لك ، جاهدت مع رسول الله ﷺ ، وجالسته . فقال : إن شأن رسول الله ﷺ كان مبيّناً لمن رآه ، ولكن أعجب من ذلك : قوم يجدون كتاباً مكتوباً يؤمنون به ولم يروه ، ثم قرأ : (الذين يؤمنون بالغيب) .

قوله تعالى : ﴿ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ الصلاة في اللغة : الدعاء . وفي الشريعة : أفعال وأقوال على صفات مخصوصة . وفي تسميتها بالصلاة ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها سميت بذلك لرفع الصلّا ، وهو مغرز الذنب من الفرس .

والثاني : أنها من صليت العود إذا ليفته ، فالمصلي يلين ويخشع .

والثالث : أنها مبذية على السؤال والدعاء ، والصلاة في اللغة : الدعاء ، وهي في

هذا المكان اسم جنس .

قال مقاتل : أراد بها هاهنا : الصلوات الخمس .

وفي معنى إقامتها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه تمام فعلها على الوجه المأمور به ، روي عن ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني . أنه المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها ، قاله قتادة ،

ومقاتل .

والثالث . إدامتها ، والعرب تقول في الشيء الراتب : قائم ، وفلان يقيم أرزاق

الجند ، قاله ابن كيسان .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ أي : أعطيناهم ﴿ يَنْفَقُونَ ﴾ أي يخرجون . وأصل الإنفاق

الإخراج . يقال : نفقت الدابة : إذا أخرجت روحها ،

وفي المراد بهذه النفقة أربعة أقوال .

أحدها : أنها النفقة على الأهل والعيال ، قاله ابن مسعود ، وحذيفة .

والثاني : أنها الزكاة المفروضة ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : أنها الصدقات النوافل ، قاله مجاهد والضحاك .

والرابع : أنها النفقة التي كانت واجبة قبل وجوب الزكاة ، ذكره بعض المفسرين ،

وقالوا : إنه كان فرض على الرجل أن يمسك مما في يده مقدار كفايته يومه وليلته ،

ويفرق باقيه على الفقراء . فلي قول هؤلاء ، الآية منسوخة بآية الزكاة ، وغير هذا القول

أثبت . واعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب ، وبين الصلاة

وهي فعل البدن ، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال - أنه ليس في التكليف قسم

رابع ، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما ، كاللحج والصوم ونحوهما .

قوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قواين .

أحدهما : أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه ، رواه الضحاك عن ابن عباس ،

واختاره مقاتل .

والثاني : أنها نزلت في العرب الذين آمنوا بالنبي وبما أنزل من قبله . رواه أبو

صالح عن ابن عباس ، قال المفسرون : [الذي أنزل إليه ، القرآن . وقال شيخنا علي بن

عبيد الله : القرآن] ^(١) وغيره مما أوحى إليه .

قوله تعالى : ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ يعني الكتب المتقدمة والوحي ، فأما « الآخرة »

فهي اسم لما بعد الدنيا ، وسميت آخرة ، لأن الدنيا قد تقدمتها : وقيل . سميت آخرة

لأنها نهاية الأمر .

قوله تعالى : ﴿ يوقنون ﴾ اليقين : ما حصلت به الثقة ، وتلج به الصدر ، وهو أبلغ علم مكتسب .

قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى ﴾ أي : على رشاد . وقال ابن عباس : على نور واستقامة . قال ابن قتيبة : المفلحون : الفائزون ببقاء الأبد . وأصل الفلاح : البقاء . ويشهد لهذا قول لبيد :

نحل بلاداً كلُّها حُلٌّ قبلنا ونرجو الفلاح بعد عادٍ وحمر

يريد : البقاء . وقال الزجاج : المفلح : الفائز بما فيه غاية صلاح حاله . قال ابن الأنباري : ومنه : حيَّ على الفلاح ، معناه : هلموا إلى سبيل الفوز ودخول الجنة .

قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا ﴾ في نزولها أربعة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في قادة الأحزاب ، قاله أبو العالية .

والثاني : أنها نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته ، قاله الضحاك .

والثالث : أنها نزلت في طائفة من اليهود ، ومنهم حيي بن أخطب ، قاله ابن السائب .

والرابع : أنها نزلت في مشركي العرب ، كأبي جهل وأبي طالب ، وأبي لهب

وغيرهم ممن لم يسلم .

قال مقاتل : فأما تفسيرها ، فالكفر في اللغة : التغطية . تقول : كفرت الشيء إذا غطيته ، فسمي الكافر كافراً ، لأنه يغطي الحق .

قوله تعالى : ﴿ سواء عليهم ﴾ أي : متعادل عندهم الإنذار وتركه ، والإنذار :

إعلام مع تخويف ، وتناذر بنو فلان هذا الأمر : إذا خوفه بعضهم بعضاً .

قال شيخنا علي بن عبيد الله : هذه الآية وردت بلفظ العموم ، والمراد بها الخصوص ،

لأنها آذنت بأن الكافر حين إنذاره لا يؤمن ، وقد آمن كثير من الكفار عند

إنذارهم ، ولو كانت على ظاهرها في العموم ، لكان خبر الله لهم خلاف خبره ، ولذلك وجب نقلها إلى الخصوص .

قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ الختم : الطبع ، والقلب : قطعة من دم جامدة سوداء ، وهو مستكن في الفؤاد ، وهو بيت النفس ، ومسكن العقل ، وسمي قلباً لتقلبه ، وقيل : لأنه خالص البدن ، وإنما خصّه بالختم لأنه محل الفهم .

قوله تعالى : ﴿ وعلى سمعهم ﴾ يريد : على أسماعهم ، فذكره بلفظ التوحيد ، ومعناه : الجمع ، فاكنتي بالواحد عن الجميع ، ونظيره قوله تعالى : (ثم يخرجكم طفلاً) . الحج : هـ وأنشدوا من ذلك :

كلوا في نصف بطونكم تمشوا فان زمانكم زمن خميص
أي : في أنصاف بطونكم . ذكر هذا القول أبو عبيدة ، والزجاج . وفيه وجه آخر ، وهو أن العرب تذهب بالسمع مذهب المصدر ، والمصدر يوحد ، تقول : يعجبني حديثكم ، ويعجبني ضربكم . فأما البصر والقلب فهما اسمان لا يجريان مجرى المصادر في مثل هذا المعنى . ذكره الزجاج ، وابن القاسم . وقد قرأ عمرو بن العاص ، وابن أبي عبة : (وعلى أسماعهم) . قوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ الغشاوة : الغطاء .

قال الفراء : أما قریش وعامة العرب ، فيكسرون الغين من «غشاوة» ، وعكسل يضمون الغين ، وبعض العرب يفتحها ، وأظنها لريعة . وروى المفضل عن عاصم «غشاوة» بالنصب على تقدير : جعل على أبصارهم غشاوة . فأما العذاب ، فهو الألم المستمر ، وماء عذب : إذا استمر في الحلق سائناً .

قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمناً بالله ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين

أحدهما : أنها في المنافقين ، ذكره السدي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وبه قال أبو العالية ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : أنها في منافقي أهل الكتاب . رواه أبو صالح عن ابن عباس . وقال ابن سيرين : كانوا يتخوفون من هذه الآية . وقال قتادة : هذه الآية نعت المنافق ، يعرف بلسانه ، وينكر بقلبه ، [و] يصدق بلسانه ، ويخالف بعمله ، ويصبح على حالٍ ويمسي على غيرها ، ويتكفأ تكفأ السفينة ، كلما هبت ريح هب معها .

قوله تعالى : ﴿ يَخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ .

قال ابن عباس : كان عبد الله بن أبيّ ، ومعتب بن قشير ، والجد بن القيس ؛ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، ونشهد أن صاحبكم صادق ، فاذا خلوا لم يكونوا كذلك ، فنزلت هذه الآية .

فأما التفسير ، فالخدعة : الحيلة والمكر ، وسميت خديعة ، لأنها تكون في خفاء . والمخدع : بيت داخل البيت تحتني فيه المرأة ، ورجل خادع : إذا فعل الخديعة ، سواء حصل مقصوده أو لم يحصل ، فاذا حصل مقصوده ، قيل : قد خدع . والمخدع الرجل : استجاب للخادع ، سواء نعد الاستجابة أو لم يقصدها ، والعرب تسمي الدهر خداعاً ، لتلونه بما يخفيه من خير وشر .

وفي معنى خداعهم الله خمسة أقوال .

أحدها : أنهم كانوا يخادعون المؤمنين ، فسكأنهم خادعوا الله . روي عن ابن عباس ؛ واختاره ابن قتيبة .

والثاني : أنهم كانوا يخادعون نبي الله ، فأقام الله نبيه مقامه ، كما قال : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) الفتح : ١٠ . قاله الزجاج .

والثالث : أن الخداع عند العرب : الفاسد . وأنشدوا :

[أبيض اللون لذيد طعمه] طيب الريق إذا الريق خدع ^(١)

أي : فسد . زواه محمد بن القاسم عن ثعلب عن ابن الأعرابي . قال ابن القاسم :

فتأويل : يخادعون الله : يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر .

والرابع : أنهم كانوا يفعلون في دين الله ما لو فعلوه بينهم كان خداعاً .

والخامس : أنهم كانوا يخفون كفرهم ، ويظهرون الإيمان به .

قوله تعالى : ﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم ﴾ قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو :

(وما يخادعون) وقرأ الكوفيون ، وابن عامر : (يخدعون) ، والمعنى : أن وبال ذلك

الخداع حائد عليهم .

ومتى يعود وبال خداعهم عليهم ؟ فيه قولان .

أحدهما : في دار الدنيا ، وذلك بطريقتين . أحدهما : بالاستدراج والإمهال الذي

يزيدهم عذاباً . والثاني : باطلاع النبي والمؤمنين على أحوالهم التي أسروها .

والقول الثاني : أن عود الخداع عليهم في الآخرة . وفي ذلك قولان .

أحدهما : أنه يعود عليهم عند ضرب الحجاب بينهم وبين المؤمنين ، وذلك قوله :

(قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب) الحديد : ١٣ .

والثاني . أنه يعود عليهم عند اطلاع أهل الجنة عليهم ، فإذا رأوهم طمعوا في نيل

راحة من قبلهم ، فقالوا : (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) الأعراف : ٥٠ .

فيجيئونهم : (إن الله حرمهما على الكافرين) الأعراف : ٥١ .

(١) البيت نسب في «اللسان» لسويد بن أبي كاهل الشكري، وهو من قصيدة جيدة، تجدها في «المفضليات».

قوله تعالى : ﴿ وما يشعرون ﴾ أي : وما يعلمون . وفي الذي لم يشعروا به قولان .
أحدهما : أنه إطلاع الله نبيه على كذبهم ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه إسرارهم بأنفسهم بكفرهم ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ المرض هاهنا : الشك ، قاله عكرمة وقتادة .
﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ هذا الإخبار من الله تعالى أنه فعل بهم ذلك ، و«الأيلم» بمعنى المؤلم ،
والجمهور يقرؤون (يكذبون) بالتشديد ، وقرأ الكوفيون سوى أبان ، عن عاصم بالتخفيف
مع فتح الياء .

قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على
قولين .

أحدهما : أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، وهو قول
الجمهور ، منهم ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أن المراد بها قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها ، قاله سلمان الفارسي . وكان
الكسائي يقرأ بضم القاف من « قيل » والحاء من « حيل » والعين من « غيض » ، والجيم من
« جي » ، والسين من « سي » و« سيئت » . وكان ابن عامر يضم من ذلك ثلاثة « حيل »
و« سيق » و« سي » و« سيئت » . وكان نافع يضم « سي » و« سيئت » ، ويكسر
البواقي ، والآخرون يكسرون جميع ذلك .

وقال الفراء : أهل الحجاز من قريش ومن جاورهم من بني كنانة يكسرون القاف
في « قيل » و« جي » و« غيض » ، وكثير من عقيل ومن جاورهم وعامة أسد ، يشمون^(١)
إلى الضم من « قيل » و« جي » .

(١) في الاصول التي بين أيدينا « بشيرون » ، وما أثبتناه هو الصواب ، كما هو في كتب القرآن .

وفي المراد بالفساد هاهنا خمسة أقوال .

أحدها : أنه الكفر ، قاله ابن عباس .

والثاني : العمل بالمعاصي ، قاله أبو العالية ، ومقاتل .

والثالث : أنه الكفر والمعاصي ، قاله السدي عن أشياخه .

والرابع : أنه ترك امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، قاله مجاهد .

والخامس : أنه النفاق الذي صادفوا به الكفار ، وأطلعوا على أسرار المؤمنين ،

ذكره شيخنا علي بن عبيد الله .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ فيه خمسة أقوال .

أحدها : أن معناه إنكار ما عرفوا به ، وتقديره : ما فعلنا شيئاً يوجب الفساد .

والثاني : أن معناه : إِنَّا نَقْصِدُ الإِصْلَاحَ بين المسلمين والكافرين ، والقولان عن

ابن عباس .

والثالث : أنهم أرادوا مضافة الكفار صلاح ، لافساد ، قاله مجاهد ، وقادة .

والرابع : أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح ، وتصديق محمد هو الفساد ،

قاله السدي .

والخامس : أنهم ظنوا أن مضافة الكفار صلاح في الدنيا لا في الدين ، لأنهم اعتقدوا

أن الدولة إن كانت للنبي ﷺ فقد أمنوه بمبايعة^(١) وإن كانت للكفار فقد أمنوم

بمصافاتهم ، ذكره شيخنا .

قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ قال الزجاج . ألا : كلمة يبتدأ بها ، ينبه بها

المخاطب ، تدل على صحة ما بعدها . و«هم» : تأكيد للكلام .

(١) في نسخة (أ) «بمبايعة» .

وفي قوله تعالى: ﴿ولكن لا يشعرون﴾ قولان .

أحدهما : لا يشعرون أن الله يطلع نبيه على فسادهم .

والثاني : لا يشعرون أن ما فعلوه فساد ، لا صلاح .

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا﴾ في المقول لهم قولان .

أحدهما : أنهم اليهود ، قاله ابن عباس ، ومقاتل .

والثاني : المنافقون ، قاله مجاهد ، وابن زيد . وفي القائلين لهم قولان .

أحدهما : أنهم أصحاب النبي ﷺ ، قاله ابن عباس ، ولم يعين أحداً من الصحابة .

والثاني : أنهم مغننون ، وهم سعد بن معاذ ، وأبو لبابة ، وأسيد ، ذكره مقاتل .

وفي الإيمان الذي دعوا إليه قولان .

أحدهما : أنه التصديق بالنبي ، وهو قول من قال : هم اليهود . والثاني : أنه العمل

بمقتضى ما أظهره ، وهو قول من قال : هم المنافقون .

وفي المراد بالناس هاهنا ثلاثة أقوال . أحدها : جميع الصحابة ، قاله ابن عباس .

والثاني : عبد الله بن سلام ، ومن أسلم معه من اليهود ، قاله مقاتل . والثالث : معاذ بن

جبل ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وجماعة من وجوه الأنصار ، عدهم الكلبي . وفيمن

عنوا بالسفهاء ثلاثة أقوال . أحدها : جميع الصحابة ، قاله ابن عباس . والثاني : النساء

والصبيان ، قاله الحسن . والثالث : ابن سلام وأصحابه ، قاله مقاتل . وفيما عنوه بالغيب

من إيمان الذين زعموا أنهم السفهاء ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم أرادوا دين الإسلام ، قاله

ابن عباس ، والسدي . والثاني : أنهم أرادوا البعث والجزاء ، قاله مجاهد . والثالث : أنهم

عنوا مكاشفة الفريقين بالعداوة من غير نظر في عاقبة ، وهذا الوجه والذي قبله يخرج على

أنهم المنافقون ، والأول يخرج على أنهم اليهود . قال ابن قتيبة : والسفهاء : الجبهة ،

يقال : سفه فلان رأيه إذا جهله، ومنه قيل للبذاء : سفه ، لأنه جهل . قال الزجاج : وأصل السَّفه في اللغة: خفة الحلم ، ويقال : ثوب سفيه : إذا كان رقيقاً بالياً، وتسفت الريح الشجر : إذا مالت به . قال الشاعر :

مشين كما اهتزت رماح تسفت
أعاليهما مرُّ الرياح النواسم^(١)

قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

قال مقاتل : لا يعلمون أنهم هم السفهاء .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾

اختلفوا فيمن نزلت على قولين . أحدهما : أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه . قاله ابن عباس . والثاني : أنها نزلت في المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب الذين كانوا يظهرون للنبي ﷺ من الإيمان ما يلقون رؤساءهم بضده ، قاله الحسن .

فأما التفسير : فد «إلى» : بمعنى «مع» كقوله تعالى : (من أنصاري إلى الله) أي : مع الله . والشياطين : جمع شيطان ، قال الخليل : كل متمرّد عند العرب شيطان . وفي هذا الاسم قولان . أحدهما : أنه من شطن ، أي : بعد عن الخير ، فعلى هذا تكون النون أصلية . قال أمية بن أبي الصلت في صفة سليمان عليه السلام :

أيما شاطنٍ عصاه عكاه
ثم يُلقي في السّجن والأغلل
عكاه : أوثقه . وقال النابغة :

(١) البيت الذي الرمة يصف النداء . يقول :

إذا مشين اهتززن في مشين، وتشين فكأنهن رماح نصبت، فمرت عليها الرياح فاهتزت وتشتت. والنواسم: الرياح الضعيفة المهبوب .

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بهار هين
والثاني : أنه من شاط يشيط : إذا التهب واحترق ، فتكون النون زائدة . وأنشدوا :
وقد يشيط على أرماحنا البطل ^(١)
أي : يهلك .

وفي المراد ، بشياطينهم ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم رؤوسهم في الكفر ، قاله ابن مسمود ، وابن عباس ، والحسن ، والسدي . والثاني : إخوانهم من المشركين ، قاله أبو العالية ، ومجاهد . والثالث : كهنتهم ، قاله الضحّاك ، والكلبي .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾
فيه قولان . أحدهما : أنهم أرادوا : إنا معكم على دينكم . والثاني : إنا معكم على النصر والماضدة . والهزة : السخرية .

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾
اختلف العلماء في المراد باستهزاء الله بهم على تسعة أقوال .
أحدها : أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار ، فيسرعون إليه فينلق ، ثم يفتح لهم باب آخر ، فيسرعون فينلق ، فيضحك منهم المؤمنون . روي عن ابن عباس .
والثاني : أنه إذا كان يوم القيامة جمعت النار لهم كما تجمد الإهالة في القدر ، فيمشون فتتخسف بهم . روي عن الحسن البصري .

والثالث : أن الاستهزاء بهم : إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب ، فيبقون في الظلمة ، فيقال لهم : (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً) الحديد : ١٣ . قاله مقاتل .

(١) هو عجز بيت للأعشى ، وصدره :

(قد نخضب العير من مكثون فائله) والفائل : عرق في الفخذ يكون في خربة الورك ينحدر في الرجلين . ومكثون فائله : دمه الذي كن فيه ، أراد : إنا حذاق بالطن .

زاد السير - أول (م ٣)

والرابع : أن المراد به : يجازيهم على استهزائهم ، فقبول اللفظ بمثله لفظاً وإن خالفه معنى ، فهو كقوله تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) الشورى : ٤٠ وقوله : (فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) البقرة : ١٩٤ وقال عمرو بن كلثوم :
 ألا لا يجهلن أحدٌ علينا
 فنجهل فوق جهل الجاهلينا
 أراد : فنعاقبه بأغلظ من عقوبته .

والخامس : أن الاستهزاء من الله التخطئة لهم ، والتجهيل ، فنعاه : الله يخطئهم ، ويجهلهم في الإقامة على كفرهم .

والسادس : أن استهزأه : استدراجه إياهم .

والسابع : أنه إيقاع استهزائهم بهم ، وردّ خداعهم ومكرهم عليهم . ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم الأنباري .

والثامن : أن الاستهزاء بهم أن يقال لأحدهم في النار وهو في غاية الذل : (ذق إنك أنت العزيز الكريم) الدخان : ٤٩ ذكره شيخنا في كتابه .

والتاسع : أنه لما أظهروا من أحكام إسلامهم في الدنيا خلاف ما أبطن لهم في الآخرة ، كان كالاستهزاء بهم .

قوله تعالى : ﴿ وَيَمْدْهُمْ فِي ظُفْيَانِهِمْ يَمْعَهُونَ ﴾

فيه أربعة أقوال . أحدها : يمكّن لهم ، قاله ابن مسعود . والثاني : يملئ لهم ، قاله ابن عباس . والثالث : يزيدهم ، قاله مجاهد . والرابع : يمهأهم ، قاله الزجاج .

والظفان : الزيادة على القدر ، والمجروح عن حيز الاعتدال في الكثرة ، يقال : ظفى البحر : إذا هاجت أمواجه ، وطفى السيل : إذا جاء بماء كثير . وفي المراد بظفانهم قولان . أحدهما : أنه كفرهم ، قاله الجمهور . والثاني : أنه عتوهم وتكبرهم ، قاله ابن قتيبة . و« يمعهون » بمعنى : يتحيرون ، يقال : رجل عمه وعامه ، أي : متحير .

قال الراجز :

وَنَخْفَقُ مِنْ لُهِلْهِ وَلُهِلْهِ مِنْ مَهْمٍ يَجْتَنِّهِ فِي مَهْمٍ
أَعْمَى الْهَدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةُ ^(١)

وقال ابن قتيبة : يعمهون : يركبون رؤوسهم ، فلا يبصرون .

قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ .

في نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أنها نزلت في جميع الكفار ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس . والثاني : أنها في أهل الكتاب ، قاله قتادة والسدي ومقاتل . والثالث : أنها في المنافقين ، قاله مجاهد . واشتروا : بمعنى استبدلوا ، والعرب تجعل من أثر شيئاً على شيء مشترياً له ، وبائناً للآخر . والضلالة والضلال بمعنى واحد .

وفيها للمفسرين ثلاثة أقوال .

أحدها : أن المراد هاهنا الكفر ، والمراد بالهدى : الإيمان ، روي عن الحسن وقتادة والسدي .

والثاني : أنها الشك ، والهدى : اليقين .

والثالث : أنها الجهل ، والهدى : العلم .

وفي كيفية استبدالهم الضلالة بالهدى ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم آمنوا ثم كفروا ، قاله مجاهد . والثاني : أن اليهود آمنوا بالنبى قبل مبعثه ، فلما بعث كفروا به ،

(١) الشعر لرؤبة بن المعجاج يصف مضلة من الماهمة . والمخفق : الأرض الواسعة المستوية التي يضطرب فيها الراب . وللهل : أرض واسعة ، والجمع لهلالة . والمهمه : الفلاة المقفرة التي ليس بها أنيس ولا ماء . وجاب المفازة واجتأبها : قطعها سيراً . وقوله : في مهمه : أي : يقطعنه ويدخلن في مهمه آخر موغلين في الصحراء .

قاله مقاتل . والثالث : أن الكفار لما بلغهم ما جاء به النبي من الهدى فردوه واختاروا الضلال ، كانوا كمن أبدل شيئاً بشي ، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا رَبَّحْتُمْ بِتِجَارَتِهِمْ ﴾ .

من مجاز الكلام ، لأن التجارة لا تربح ، وإنما يربح فيها ، ومثله قوله تعالى : (بل مكر الليل والنهار) سبأ : ٣٣ يريد : بل مكرم في الليل والنهار . ومثله (فاذا غزم الأمر) محمد : ٢١ أي : غزم عليه . وأنشدوا :

حارثٌ قد فرَّجَتْ عني همي قنّام ليلي وتجلّى غمّي ^(١)

والليل لا ينام ، بل ينام فيه ، وإنما يستعمل مثل هذا فيما يزول فيه الإشكال ، ويعلم مقصود قائله ، فأما إذا أضيف إلى ما يصلح أن بوصف به ، وأريد به ما سواه ، لم يحز ، مثل أن تقول : ربح عبدك ، وتريد : ربحت في عبدك . وإلى هذا المعنى ذهب الفراء وابن قتيبة والزجاج .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

فيه خمسة أقوال . أحدها : وما كانوا في العلم بالله مهتدين . والثاني : وما كانوا مهتدين من الضلالة . والثالث : وما كانوا مهتدين إلى تجارة المؤمنين . والرابع : وما كانوا مهتدين في اشتراء الضلالة . والخامس : أنه قد لا يربح التاجر ، ويكون على هدى من تجارته ، غير مستحق للذم فيما اعتمده ، فنفى الله عز وجل عنهم الأمرين ، مبالغة في ذمهم . قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ .

هذه الآية نزلت في المنافقين . والمثل بتحريك اللام : ما يضرب ويوضع لبيان النظائر في الأحوال . وفي قوله تعالى « استوقد » قولان .

(١) الشعر لرؤبة بن العجاج يمدح الحارث بن سليم من آل عمرو بن سعد بن زيد مناة .

أحدهما : أن السين زائدة ، وأنشدوا :

وداعٍ دعا يامن يجيبُ إلى الندى فلم يستجبه عند ذلك مجيب^(١)

أراد : فلم يجبه ، وهذا قول الجمهور ، منهم الأخفش وابن قتيبة .

والثاني : أن السين داخلة للطلب ، أراد : كمن طلب من غيره ناراً .

قوله تعالى : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ .

وفي « أضاءت » قولان : أحدهما : أنه من الفعل المتعدي ، قال الشاعر :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه^(٢)

وقال آخر : أضاءت لنا النار وجهاً أغرَّ ملتبساً بالفؤاد التباساً^(٣)

والثاني : أنه من الفعل اللازم . قال أبو عبيد : يقال : أضاءت النار ، وأضاءها غيرها .

وقال الزجاج : يقال : ضوء القمر ، وأضاء .

وفي « ما » قولان . أحدهما : أنها زائدة ، تقديره : أضاءت حوله . والثاني : أنها

بمعنى الذي . وحول الشيء : ما دار من جوانبه . والهاء : عائدة على المستوقد . فأن قيل :

كيف وحده ، فقال : « كمثل الذي استوقد » ، ثم جمع فقال : « ذهب الله بنورهم » ، فالجواب :

أن ثعلباً حكى عن الفراء أنه قال : إنما ضرب المثل للفعل ، لا لأعيان الرجال ، وهو مثل

للفنّاق . وإنما قال : « ذهب الله بنورهم » لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين ، فجمع لذلك . قال

ثعلب : وقال غير الفراء : معنى الذي : الجمع ، وحده أولاً للفظه ، وجمع بعد لمعناه ،

كما قال الشاعر :

(١) البيت لكعب بن سعد الفنوي من قصيدة يرثي بها أخاه أبا النوار ، وهي في « الأصمعيات » .

(٢) الجزع : ضرب من الخرز . وقيل : هو الخرز الباني ، وهو الذي فيه بياض وسواد ، تشبه به الأعين ،

(٣) البيت للجدي كما في « اللسان » .

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كلُّ القوم يأثم خالد^(١)
فجعل «الذي» جمعا .

﴿ فصل ﴾

اختلف العلماء في الذي ضرب الله تعالى له هذا المثل من أحوال المناققين على قولين . أحدهما : أنه ضرب بكلمة الإسلام التي يلفظون بها ، ونورها صيانة النفوس وحقن الدماء ، فإذا ماتوا سلمهم الله ذلك العزَّ ، كما سلب صاحب النار ضوؤه . وهذا المعنى مروى عن ابن عباس . والثاني : أنه ضرب لإقبالهم على المؤمنين وسماعهم ما جاء به الرسول ، فذهب نورهم : إقبالهم على الكافرين والضلال ، وهذا قول مجاهد . وفي المراد بـ «الظلمات» هاهنا أربعة أقوال . أحدها : العذاب ، قاله ابن عباس ، والثاني : ظلمة الكفر ، قاله مجاهد . والثالث : ظلمة يلقيها الله عليهم بعد الموت ؛ قاله قتادة . والرابع : أنها نفاقهم ، قاله السدي .

﴿ فصل ﴾

وفي ضرب المثل لهم بالنار ثلاث حكم .
إحداها : أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره ، لا من قبل نفسه ، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة ، فكأنهم لما أقروا بألسنتهم من غير اعتقاد قلوبهم ؛ كان نور إيمانهم كالمستعار .
والثانية : أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة الحطب ، فهو له كغذاء الحيوان ، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم .

(١) البيت للأشهب بن رميلة . وפלج: واد بين البصرة وحمى ضريئة ، كانت فيه هذه الرقعة التي ذكرها .

والثالثة : أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الإنسان من ظلمة لم يجد معها ضياءً ، فشبه حالهم بذلك .

قوله تعالى : ﴿ صَمُّ بَكْمٌ عَمِي ﴾ .

الصمم : انسداد منافذ السمع ، وهو أشد من الطرش . وفي البكم ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الخرس ، قاله مقاتل ، وأبو عبيد ، وابن فارس . والثاني : أنه عيب في اللسان لا يتمكن معه من النطق ، وقيل : إن الخرس يحدث عنه . والثالث : أنه عيب في الفؤاد يمنعه أن يمي شيئاً يفهمه ، فيجمع بين الفساد في محل الفهم ومحل النطق ، ذكر هذين القولين شيخنا .

قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

فيه ثلاثة أقوال . أحدها : لا يرجعون عن ضلالتهم ، قاله قتادة ومقاتل . والثاني : لا يرجعون إلى الإسلام ، قاله السدي . والثالث : لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمى ، وإنما أضاف الرجوع إليهم ، لأنهم انصرفوا باختيارهم ، لغلبة أهوائهم عن تصفح الهدى بآلات التصفح ، ولم يكن بهم صمم ولا بكم حقيقة ، ولكنهم لما التفؤوا عن سماع الحق والنطق به ، كانوا كالصمم البكم . والعرب تسمي المعرض عن الشيء : أعمى ، والملفت عن سماعه : أصم ، قال مسكين الدارمي :

ما ضرَّ جاراً لي أجاوره	ألا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما جارتي خرجت	حتى يوارى جارتي الحدر
ونصمُّ عما ينهم أذني	حتى يكون كأنه وفر

قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . أو ، حرف مردود على قوله : (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) البقرة : ١٧ واختلف العلماء فيه على ستة أقوال .

أحدها : أنه داخل هاهنا للتخير ، تقول العرب : جالس الفقهاء أو النحويين ، ومعناه : أنت مخير في مجالسة أي الفريقين شئت ، فكأنه خيرنا بين أن نضرب لهم المثل الأول أو الثاني .

والثاني : أنه داخل للإيهام فيما قد علم الله تحصيله ، فأبهم عليهم ما لا يطلبون تفصيله ، فكأنه قال : مثلهم كأحد هذين . ومثله قوله تعالى : (فهي كالْحِجَارَةِ أو أَشَدُّ قسوةً) البقرة : ٧٤ والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله . قال لبيد :

تَمْنَى ابْتِغَايَ أَنْ يَعْيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِيْعَةٍ أَوْ مُضَرٍ
أَيُّ هَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَقَدْ فَنِيَا ، فَسَيِّلِي أَنْ أَفْنِيَ كَمَا فَنِيَا .
والثالث : أنه بمعنى : بل . وأنشد الفراء :

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصُورَتَهَا أَوْ أَنْتَ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
والرابع : أنه للتفصيل ، ومعناه : بعضهم يشبه بالذي استوقد ناراً ، وبعضهم بأصحاب الصَّيْبِ . ومثله قوله تعالى : (كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى) البقرة : ١٣٥ معناه : قال بعضهم ، وهم اليهود : كُونُوا هُوداً ، وقال النصارى : كُونُوا نَصَارَى . وكذا قوله : (فَجَاءَهَا بِأَسْنَانِيَانَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) الأعراف : ٤ معناه : جاء بعضهم بِأَسْنَانِيَانَا ، وجاء بعضهم بِأَسْنَانِ وَقْتِ الْقَائِلَةِ .
والخامس : أنه بمعنى الواو . ومثله قوله تعالى : (أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يَدَيْكُمْ أَوْ يَبُوتَ آبَاؤُكُمْ) النور : ٦١ قال جرير :

نَالِ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

والسادس : أنه للشك في حق المخاطبين ، إذ الشك مرتفع عن الحق عز وجل ، ومثله قوله تعالى : (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) الروم : ٢٧ يريد : فالإعادة أهون من الابتداء فيما تظنون .

فأما التفسير لمعنى الكلام : أو كأصحاب صيب ، فأضمر الأصحاب ، لأن في قوله (يجعلون أصابعهم في آذانهم) ، دليلاً عليه . والصيب : المطر . قال ابن قتيبة : هو فيعمل^(١) من صاب يصوب : إذا نزل من السماء ، وقال الزجاج : كل نازل من علو إلى استفال ، فقد صاب يصوب ، قال الشاعر :

كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن ديب
وفي الرد ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه صوت ملك يزجر السحاب ، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ^(٢) ، وبه قال ابن عباس ومجاهد . وفي رواية عن مجاهد : أنه صوت ملك يسبح . وقال عكرمة : هو ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الابل .

والثاني : أنه ربح تحتق بين السماء والأرض . وقد روي عن أبي الجلد أنه قال : الرد : الريح . واسم أبي الجلد : جيلان بن أبي فروة البصري ، وقد روى عنه قتادة . والثالث : أنه اصطكاك أجرام السحاب ، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله . وفي البرق ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه مخاريق يسوق بها الملك السحاب ، روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، وهو قول علي بن أبي طالب . وفي رواية عن علي قال : هو ضربة بمخراق من حديد . وعن ابن عباس : أنه ضربة بسوط من نور . قال ابن الأنباري : المخاريق : ثياب تلف ، ويضرب بها الصبيان بعضهم بعضاً ، فشبه السوط الذي يضرب به السحاب بذلك المخراق .

(١) ولما اجتمعت اليا والواو ، وسبقت إحداها بالسكون ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت فصارت « صيب » ، ونظيره : ميت وسيد وهين ولين .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » والنسائي ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب . وهو حديث طويل أجاب فيه الرسول ﷺ عن أسئلة يهود ، انظر « مسند أحمد » (٢٤٨٣) .

قال عمرو بن كلثوم :

كَأَن سَيُوفِنَا فِينَا وَفِيهِمْ
مَخَارِقُ بِأَيْدِي لَاعِينِنَا

وقال مجاهد : البرق : مصع ملك ، والمصع : الضرب والتحريك . .

والثاني : أن البرق : الماء ، قاله أبو الجلد . وحكى ابن فارس أن البرق : تَلَأْلُؤُ الماء .

والثالث : أنه نار تنقدح من اصطكاك أجرام السحاب لسيره ، وضرب بعضه لبعض ،

حكاه شيخنا .

والصواعق : جمع صاعقة ، وهي صوت شديد من صوت الرعد يقع معه قطعة

من نار تحرق ما تصيبه . وروي عن شهر بن حوشب : أن الملك الذي يسوق السحاب ،

إذا اشتد غضبه ، طار من فيه النار ، فهي الصواعق . وقال غيره : هي نار تنقدح من اصطكاك

أجرام السحاب . قال ابن قتيبة : وإنما سميت صاعقة ، لأنها إذا أصابت قتلت ، يقال : صعقتهم

أي : قتلتهم .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مُّحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ .

فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه لا يفوته أحد منهم ، فهو جامعهم يوم القيامة . ومثله قوله تعالى :

(أحاط بكل شيء علماً) الطلاق : ١٢ قاله مجاهد .

والثاني أن الإحاطة : الإهلاك ، مثل قوله تعالى (وأحيط بشمره) الكهف : ٤٢ .

والثالث : أنه لا يخفى عليه ما يفعلون .

قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرَقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ . يكاد بمعنى : يقارب ، وهي

كلمة إذا أثبت انتفى الفعل ، وإذا نفيت ثبت الفعل . وسئل بعض المتأخرين فقيل له .

أنحوي هذا المصراع ما هي كلمة جرت بلساني جرم ونمود

إذا نفيت والله يشهد أثبتت وإن أثبتت قامت مقام جحود

ويشهد للإثبات عند النفي قوله تعالى : (لا يكادون يفقهون حديثاً) النساء : ٧٨ وقوله (اذا أخرج يده لم يكديراها) النور : ٤٠ ومثله (ولا يكاد يبين) الزخرف : ٥٢ ويشهد للنفي عند الإثبات قوله تعالى (يكاد البرق) البقرة : ٢٠ و (يكاد سنابرقه) النور : ٤٣ و (يكاد زيتها يضيء) النور : ٣٥ . وقال ابن قتيبة : كاد : بمعنى هم ولم يفعل . وقد جاءت بمعنى [الإثبات] قال ذو الرمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت
لعينه مي سافراً كاد يبرق
أي : لو تعرضت له لبرق ، أي : دهش وتحير .

قلت : وقد قال ذو الرمة في المنفية ما يدل على أنها تستعمل للإثبات ، وهو قوله :
إذا غيّر النأي المحبين لم يكد
رئيس الهوى من حب مئة يبرح
أراد : لم يبرح .

قوله تعالى : ﴿ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ .

قرأ الجمهور بفتح الياء ، وسكون الخاء وفتح الطاء . وقرأ أبان بن تغلب ، وأبان ابن يزيد كلاهما عن عاصم ، بفتح الياء وسكون الخاء ، وكسر الطاء مخففاً . ورواه الجعفي عن أبي بكر عن عاصم ، بفتح الياء وكسر الخاء ، وتشديد الطاء ، وهي قراءة الحسن كذلك ، إلا أنه كسر الياء . وعنه : فتح الياء والخاء مع كسر الطاء المشددة .

ومعنى « يخطف » : يستلب ، وأصل الاختطاف : الاستلاب ، ويقال لما يخرج به الدلو : خطاف ، لأنه يخطف ما علق به . قال النابغة :

خطاطيف حجن في جبال متينة
تُمدُّ بها أيدٍ إليك نوازع
والحجن المتعققة ^(١) وجهل خيطف : سريع المر ، وتلك السرعة الخطفى .

(١) في الأصل : التوقفة ، وهو خطأ . وقال ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » . رأيت علماءنا يستجيدون معناه ، ولست أرى ألفاظه جياداً ، ولا مينة لمعناه ، لأنه أراد : أنت في قدرتك عليّ ، كخطاطيف عقف يد بها ، وأنا كدلو تمد بتلك الخطاطيف .

قوله تعالى : ﴿ كَلِمَاتٌ أَضَاءَ لَهُمْ ﴾ .

قال الزجاج : يقال : ضاء الشيء يضيء ، وأضاء يضيء ، وهذه اللفظة الثانية هي المختارة .

❦ فصل ❦

واختلف العلماء ما الذي يشبه الرعد مما يتعلق بأحوال المنافقين على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه التخويف الذي في القرآن ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه ما يخافون أن يصيبهم من المصائب إذا علم النبي والمؤمنون بنفاقهم ،

قاله مجاهد والسدي .

والثالث : أنه ما يخافونه من الدعاء إلى الجهاد ، وقتال من يظنون مودته ،

ذكره شيخنا .

واختلفوا : ما الذي يشبه البرق من أحوالهم على ثلاثة أقوال . أحدها : أنه ما يتبين

لهم من مواعظ القرآن وحكمه .

والثاني : أنه ما يضيء لهم من نور إسلامهم الذي يظهرونه . والثالث : أنه مثل

لما ينالونه باظهار الإسلام من حقن دمايهم ، فانه بالإضافة إلى ما ذكر لهم في الأجل كالبرق .

واختلفوا في معنى قوله : (يحملون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) على قولين .

أحدهما : أنهم كانوا يفرون من سماع القرآن لثلا يأمرهم بالجهاد مخافة الموت ، قاله الحسن

والسدي . والثاني : أنه مثل لإعراضهم عن القرآن كراهية له ، قاله مقاتل .

واختلفوا في معنى ﴿ كَلِمَاتٌ أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافِهِ ﴾ على أربعة أقوال .

أحدها : أن معناه : كلما أنام القرآن بما يحبون تابعوه ، قاله ابن عباس والسدي .

والثاني : أن إضاءة البرق حصول ما يرجونه من سلامة نفوسهم وأموالهم، فيسرعون إلى متابعتها ، قاله قتادة .

والثالث : أنه تكلمهم بالاسلام ، ومشيههم فيه ، اهتداؤهم به ، فاذا تركوا ذلك وقفوا في ضلالة ، قاله مقاتل .

والرابع : أن إضاءته لهم : تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان ، ومشيههم فيه : إقامتهم على المسألة باظهار ما يظهرونه . ذكره شيخنا .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ ﴾ فمن قال : إضاءته : إتيانه إياهم بما يحبون ، قال : إظلامه : إتيانه إياهم بما يكرهون . وعلى هذا سائر الأقوال التي ذكرناها بالعكس . ومعنى (قاموا) : وقفوا .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ قال مقاتل : معناه : لو شاء لأذهب أسماعهم وأبصارهم عقوبة لهم . قال مجاهد : من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في نعت المنافقين . قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

اختلف العلماء فيمن عني بهذا الخطاب على أربعة أقوال . أحدها : أنه عام في جميع الناس ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه خطاب لليهود دون غيرهم ، قاله الحسن ومجاهد . والثالث : أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم ، قاله السدي . والرابع : أنه خطاب للمنافقين واليهود ، قاله مقاتل . و«الناس» اسم للحيوان الآدمي . وسموا بذلك لتحركهم في مراداتهم . والنوس : الحركة . وقيل : سموا أناساً لما يعتريهم من النسيان .

وفي المراد بالعبادة هاهنا قولان . أحدهما : التوحيد ، والثاني : الطاعة ، روي عن ابن عباس . والخلق : الإيجاد . وإنما ذكر من قبلهم ، لأنه أبلغ في التذكير ، وأقطع للجحد ، وأحوط في الحجة . وقيل : إنما ذكر من قبلهم ، لينبهم على الاعتبار بأحوالهم من إثابة مطيع ، ومعاينة عاص .

وفي «لعل» قولان .

أحدهما : أنها بمعنى كي ، وأنشدوا في ذلك :

وقلّم لنا كفّوا الحروب لعلنا نكفّ ووثقّم لنا كل مَوثِق
فلما كفّفنا الحرب كانت عهدكم كلع سراب في الملا متألّق^(١)
يريد : لكي نكف ، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل وقطرب وابن كيسان .

والثاني : أنها بمعنى الترجي ، ومعناها : اعبدوا الله راجين للنقوى ، ولأن تقوا أنفسكم بالعبادة - عذاب ربكم . وهذا قول سيبويه . قال ابن عباس : لعلكم تتقون الشرك ، وقال الضحاك : لعلكم تتقون النار . وقال مجاهد : لعلكم تظيّمون .
قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا﴾ .

إنما سميت الأرض أرضاً لسمعتها ، من قولهم : أرضت القرحة : إذا اتسعت .
وقيل : لانحطاطها عن السماء ، وكل ما سفل : أرض ، وقيل : لأن الناس يرضونها بأقدامهم ، وسميت السماء سماء لعلوها . قال الزجاج : وكل ما علا على الأرض فاسمه بناء ، وقال ابن عباس : البناء هاهنا بمعنى السقف .
قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني : من السحاب .
﴿مَاءً﴾ يعني : المطر .

(١) لا يعرف قائلها . والملا : الصحراء ، والمتسع من الأرض .

﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ يعني: شركاء، أمثالاً . يقال : هذا ند هذا ، ونديده . وفيما أريد بالأنداد هاهنا قولان . أحدهما : الأصنام ، قاله ابن زيد ، والثاني : رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله ، قاله السدي .

قوله تعالى : ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ .

فيه ستة أقوال .

أحدها : وأنتم تعلمون أنه خلق السماء ، وأنزل الماء ، وفعل ما شرحه في هذه الآيات ، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وقنادة ومقاتل .

الثاني : وأنتم تعلمون أنه ليس ذلك في كتابكم التوراة والانجيل ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وهو يخرج على قول من قال : الخطاب لأهل الكتاب .

والثالث : وأنتم تعلمون أنه لا ند له ، قاله مجاهد .

والرابع : أن العلم هاهنا بمعنى العقل ، قاله ابن قتيبة .

والخامس : وأنتم تعلمون أنه لا يقدر على فعل ما ذكره أحد سواه . ذكره شيخنا

علي بن عبيد الله .

والسادس : وأنتم تعلمون أنها حجارة ، سمعته من الشيخ أبي محمد بن الخشاب .

قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب ﴾ .

سبب نزولها أن اليهود قالوا : هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي ، وإنا لفي شك

منه ، فنزلت هذه الآية . وهذا مروي عن ابن عباس ومقاتل . و«إن» هاهنا لغير شك ،

لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون ، ولكن هذا عادة العرب ، يقول الرجل لابنه : إن كنت

ابني فأطعني . وقيل : إنها هاهنا بمعنى إذ ، قال أبو زيد : ومنه قوله تعالى : (وذروا ما بقي

من الربى إن كنتم مؤمنين) البقرة : ٢٧٨ .

قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ قال ابن قتيبة : السورة تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من أسارت ، يعني [أفضلت] لأنها قطعة من القرآن ، ومن لم يهمزها جعلها من سُورَةِ البناء ، أي منزلة بعد منزلة . قال النابغة في النعمان .

ألم تر أن الله أعطاك سُورَةَ ترى كل ملك دونها يتذبذب

والسورة في هذا البيت : سورة المجد ، وهي مستعارة من سورة البناء . وقال ابن الأنباري : قال أبو عبيدة : إنما سميت السورة سورة لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة ، مثل سورة البناء . ومعنى : أعطاك سورة ، أي : منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك . قال ابن القاسم : ويجوز أن تكون سميت سورة لشرفها ، تقول العرب : له سورة في المجد ، أي : شرف وارتفاع ، أو لأنها قطعة من القرآن من قولك : أسارت سُورًا ، أي : أبقيت بقية ، وفي هاء « مثله » قولان : أحدهما : أنها تعود على القرآن المنزل ، قاله قتادة ، والفراء ومقاتل . والثاني : أنها تعود على النبي ﷺ ، فيكون التقدير : فأتوا بسورة من مثل هذا العبد الأمي ، ذكره أبو عبيدة والزجاج وابن القاسم . فعلى هذا القول : تكون « من » لابتداء الغاية ، وعلى الأول : تكون زائدة .

قوله تعالى : ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾

فيه قولان . أحدهما : أن معناه : استعينوا ^(١) من المعونة ، قاله السدي والفراء . والثاني :

استغيثوا من الاستغاثة ، وأشدوا :

فلما التقت فرساننا ^(٢) ورجلهم دعوا يال كعب واعتزينا لعامر ^(٣)

وهذا قول ابن قتيبة :

(١) في « معاني القرآن » للفراء : استغيثوا بهم .

(٢) في الاصل : مرساننا

(٣) هذا البيت للراعي النميري . عزى واعتزى : انتسب ، ودعا في الحرب بمثل قوله : يالفلان أو يالفلانين أو ياللانصار ، والاسم الغزاة والغزوة ، وهي دعوى المستنث : « لسان العرب »

وفي شهادتهم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم آلهتهم ، قاله ابن عباس والسدي ومقاتل والفراء . قال ابن قتيبة :
وسموا شهداء ، لأنهم يشهدونهم ، ويحضرونهم . وقال غيره : لأنهم عبدوهم ليشهدوا
لهم عند الله .

والثاني : أنهم أعوانهم ، روي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أن مناه : فأتوا بناس يشهدون أن ما تأتون به مثل القرآن ، روي عن مجاهد .
قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي : في قولكم : إن هذا القرآن ليس من
عند الله ، قاله ابن عباس .

قوله تعالى : ﴿ فَان لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ في هذه الآية مضمّر مقدّر ، يقتضي الكلام تقديمه ،
وهو أنه لما تحدام بما في الآية الماضية من التحدي ، فسكنوا عن الاجابة ؛ قال : (فان
لم تفعلوا) وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ أعظم دلالة على صحة نبوة نبينا ، لأنه أخبر
أنهم لا يفعلون ، ولم يفعلوا .

قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

والوقود : بفتح الواو : الحطب ، وبضمها : التوقد ، كالوقوء بالفتح : الماء ،
وبالضم : المصدر ، وهو : اسم حركات المنوضي . وقرأ الحسن وقتادة : وقودها ، بضم
الواو ، والاختيار الفتح . والناس أوقدوا فيها بطريق المذاب ، والحجارة ، لبيان
قوتها وشدتها ، إذ هي محرقة للحجارة . وفي هذه الحجارة قولان . أحدهما : أنها أصنامهم
التي عبدوها ، قاله الربيع بن أنس . والثاني : أنها حجارة الكبريت ، وهي أشد الأشياء
حراً ، إذا أحميت يعمدون بها . ومعنى «أعدت» : هيئت . وإنما خوفهم بالنار إذا لم يأتوا
بمثل القرآن ، لأنهم إذا كذبوه ، وعجزوا عن الاتيان بمثله . ثبتت عليهم الحجة ، وصار
الخلاف عناداً ، وجزاء المعاندين النار .

قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾

البشارة : أول خبر يرد على الإنسان ، وسمي بشارة ، لأنه يؤثر في بشرته ، فإن كان خيراً ، أثر المسرة والانبساط ، وإن شراً ، أثر الانجماع والنم ، والأغلب في عرف الاستعمال أن تكون البشارة بالخير ، وقد تستعمل في الشر ، ومنه قوله تعالى : (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) النساء : ١٣٨ .

قوله تعالى : ﴿ وعملوا الصالحات ﴾

يشمل كل عمل صالح ، وقد روي عن عثمان بن عفان أنه قال : أخلصوا الأعمال . وعن علي رضي الله عنه أنه قال . أقاموا الصلوات المفروضات . فأما الجنات ، فجمع جنة . وسميت الجنة جنة ، لاستتار أرضها بأشجارها ، وسمي الجن جنّاً ، لاستتارهم ، والجنين من ذلك ، والدّرع جنة ، وجن الليل : إذا ستر ، وذكر عن المفضل أن الجنة : كل بستان فيه نخل . وقال الزجاج : كل نبت كثف وكثر وستر بعضه بعضاً ، فهو جنة .

قوله تعالى : ﴿ تجري من تحتها ﴾ أي : من تحت شجرها لا من تحت أرضها .

قوله تعالى : ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن معناه : هذا الذي طعمنا من قبل ، فرزق الغذاء كرزق العشي ، روي عن ابن عباس والضحاك ومقاتل .

والثاني : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا ، قاله مجاهد وابن زيد .

والثالث : أن ثمر الجنة إذا جني خلفه مثله ، فإذا رأوا ما خلف الجنى ، اشتبه عليهم ،

فقالوا : (هذا الذي رزقنا من قبل) قاله يحيى بن أبي كثير وأبو عبيدة .

قوله تعالى : ﴿وَأَتُوا بِهِ مِثْلَهَا﴾

فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه متشابه في المنظر واللون ، مختلف في الطعم ، قاله مجاهد وأبو العالية والضحاك والسدي ومقاتل .

والثاني : أنه متشابه في جودته ، لا رديء فيه ، قاله الحسن وابن جريج .

والثالث : أنه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم ، غير أنه أحسن في المنظر والطعم ، قاله قتادة وابن زيد . فإن قال قائل : ما وجه الامتنان بمِثْلَهَا ، وكلما تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن ؟! فالجواب : أنا إن قلنا : إنه متشابه المنظر مختلف الطعم ، كان أغرب عند الخلق وأحسن ، فانك لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفاكهة ، كان نهاية في العجب . وإن قلنا : إنه متشابه في الجودة ؛ جاز اختلافه في الألوان والطعم . وإن قلنا : إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني ؛ كان أطرف وأعجب ، وكل هذه مطالب مؤثرة .

قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي : في الخلق ، فانهم لا يحضن ولا ييلن ، ولا يأتين الخلاء . وفي الخلق ، فانهم لا يحسدن ، ولا يفرن ، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن .

قال ابن عباس : نقية عن القذى والأذى . قال الزجاج : «مطهرة» أبلغ من طاهرة ، لأنه للتكثير . والخلود : البقاء الدائم الذي لا انقطاع له .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْبِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾

في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أنه لما نزل قوله تعالى : (ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) الحج : ٧٣ . ونزل قوله : (كمثل المنكبوت

اتخذت بيتاً) العنكبوت : ٤١ . قالت اليهود : وما هذا من الأمثال ؟! فنزلت هذه الآية ،
قاله ابن عباس والحسن وقنادة ومقاتل والفراء .

والثاني : أنه لما ضرب الله المثلين المتقدمين ، وهما قوله تعالى : (كمثل الذي استوقد
ناراً) البقرة : ١٧ وقوله : (أو كصيب من السماء) البقرة : ١٩ قال المنافقون : الله أجل
وأعلى من أن يضرب هذه الأمثال ، فنزلت هذه الآية ، رواه السدي عن أشياخه .
وروي عن الحسن ومجاهد نحوه .

والحياء بالمد : الانقباض والاحتشام ، غير أن صفات الحق عز وجل لا يطلع لها على
ماهية ، وإنما تمر كما جاءت . وقد قال النبي ﷺ : « إن ربكم حيي كريم » .^(١) وقيل : معنى
لا يستحيي : لا يترك . وحكى ابن جرير الطبري عن بعض اللغويين أن معنى
لا يستحيي : لا يخشى . ومثله : (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) الأحزاب : ٣٧ أي :
تستحيي منه . فالاستحياء والخشية ينوب كل واحد منهما عن الآخر . وقرأ مجاهد وابن
محيصن : لا يستحيي بياء واحدة ، وهي لغة .

قوله تعالى : ﴿ أن يضرب مثلاً ﴾

قال ابن عباس : أن يذكر شيئاً ، واعلم أن فائدة المثل أن يبين للمضروب له الأمر
الذي ضرب لأجله ، فينبغي غامضه .

قوله تعالى : ﴿ ما بعوضة ﴾

ما زائدة ، وهذا اختيار أبي عبيدة والزجاج والبصريين . وأنشدوا للناطقة :

[قالت] : ألا ليتما هذا الحمام لنا [إلى حمامتنا أو نصفه فقد]

وذكر أبو جعفر الطبري أن المعنى : ما بين بعوضة إلى ما فوقها ، ثم حذف ذكر : « بين »
و« إلى » إذ^(٢) كان في نصب البعوضة ، ودخول الفاء في « ما » الثانية ؛ دلالة عليها ، كما قالت

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي عن سلمان رضي الله عنه وقال الترمذي : حديث حسن غريب ،
ولفظه « إن ربكم حيي كريم » ، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً .

(٢) في الأصل : إذا

العرب : مطرنا مازباله فالثعلبية ، وله عشرون ما ناقة فجملًا ، وهي أحسن الناس ما قرنا
 وقدما [يعنون : ما بين قرنها إلى قدمها] ^(١) . وقال غيره : نصب البعوضة على البدل من المثل .
 وروى الأصمعي عن نافع : « بعوضة » بالرفع ، على إضمار هو . والبعوضة : صغيرة البق .
 قوله تعالى : ﴿ فما فوقها ﴾ فيه قولان .

أحدهما : أن معناه : فما فوقها في الكبر ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، وابن جريج ،
 والفراء .

والثاني : فما فوقها في الصغر ، فيكون معناه : فما دونها ، قاله أبو عبيدة .
 قال ابن قتيبة : وقد يكون الفوق بمعنى : دون ، وهو من الأضداد ، ومثله : الجون ؛
 يقال للأسود والأبيض . والصريم : الصبح ، والليل . والسدفة : الظلمة ، والضوء .
 والحلل : الصغير ، والكبير . والناهل : العطشان ، والريان . والمائل : القائم ، واللاطئ .
 بالأرض . والصارخ : المغيث ، والمستغيث . والهاجد : المصلي بالليل ، والنائم . والرهوة :
 الارتفاع ، والانحدار . والتامة : ما ارتفع من الأرض ، وما انهبط من الأرض . والظن :
 يقين ، وشك . والاقراء : الحيض ، والاطهار . والفرع في الجبل : المصعد ، والمنحدر .
 والوراء : خلفاً ، وقدماً . وأسرت الشيء : أخفيته ، وأعلنته . وأخفيت الشيء : أظهرته
 وكتمته . ورتوت الشيء : شددته ، وأرخيته . وشعبت الشيء : جمعته ، وفرقته . وبُعت
 الشيء بمعنى : بعته ، واشتريته . وشريت الشيء : اشتريته ، وبعته . والحي خلف :
 غيب ، ومتخفون .

واختلفوا في قوله : ﴿ يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ﴾ هل هو من تمام قول الذين
 قالوا : (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) البقرة : ٢٦ أو هو مبتدأ من كلام الله عز وجل ؛ على قولين .

(١) ما بين القوسين زيادة من الطبري .

أحدهما : أنه تمام الكلام الذي قبله ، قاله الفراء ، وابن قتيبة . قال الفراء : كانوا قالوا : ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد ، يضل به هذا ، ويهدي به هذا ؟ [ثم استأنف الكلام والخبر عن الله] فقال الله : (وما يضل به إلا الفاسقين) البقرة : ٢٦ .

والثاني : أنه مبتدأ من قول الله تعالى ، قاله السدي ومقاتل .

فأما الفسق ؛ فهو في اللغة : الخروج ، يقال : فسقت الرطبة : إذا خرجت من قشرها . فالفسق : الخروج عن طاعة الله إلى معصيته .

وفي المراد بالفاسقين هاهنا ، ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم اليهود ، قاله ابن عباس ومقاتل . والثاني : المنافقون ، قاله أبو العالية والسدي . والثالث : جميع الكفار .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ﴾

هذه صفة للفاسقين ، وقد سبقت فيهم الأقوال الثلاثة . والنقض : ضد الإبرام ، ومعناه : حل الشيء بعد عقده . وينصرف النقض إلى كل شيء بحسبه ، فنقض البناء : تفريق جمعه بعد إحكامه . ونقض العهد : الإعراض عن المقام على أحكامه .

وفي هذا العهد ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه ما عهد إلى أهل الكتاب من صفة محمد ﷺ والوصية باتباعه ، قاله ابن عباس ومقاتل .

والثاني : أنه ما عهد إليهم في القرآن ، فأقروا به ثم كفروا ، قاله السدي .
والثالث : أنه الذي أخذهم حين استخرج ذرية آدم من ظهره ، قاله الزجاج .
ونحن وإن لم نذكر ذلك العهد ، فقد ثبت بخبر الصادق ، فيجب الإيعان به .

وفي «من» قولان . أحدهما : أنها زائدة ، والثاني : أنها لا ابتداء الغاية ، كأنه قال : ابتداء نقض العهد من بعد ميثاقه . وفي هاء «ميثاقه» قولان . أحدهما : أنها ترجع إلى الله تعالى ، والثاني : أنها ترجع إلى العهد ، فتقديره : بعد إحكام التوفيق فيه .

وفي : الذي أمر الله أن يوصل : ثلاثة أقوال . أحدها : الرحم والقرابة ، قاله ابن عباس وقتادة والسدي . والثاني : أنه رسول الله ﷺ ، قطعوه بالكذب ، قاله الحسن . والثالث : الإيمان بالله ، وأن لا يفرق بين أحد من رسله ، فآمنوا بيمض وكفروا بيمض ، قاله مقاتل .

وفي فسادهم في الأرض ثلاثة أقوال . أحدها : أنه استدعاهم الناس إلى الكفر ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه العمل بالمعاصي ، قاله السدي ، ومقاتل . والثالث : أنه قطعهم الطريق على من جاء مهاجراً إلى النبي ﷺ ، ليؤمنوا الناس من الاسلام . والخسران في اللغة : النقصان .

قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ في كيف قولان .

أحدهما : أنه استفهام في معنى التعجب ، وهذا التعجب للمؤمنين ، أي : اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون ، وقد ثبتت حجة الله عليهم ، قاله ابن قتيبة والزجاج . والثاني : أنه استفهام خارج مخرج التقرير والتويخ . تقديره : ويحكم : كيف تكفرون بالله ؟ قال المعجاج .

أطرباً وأنت قنصري [والدهر بالانسان دوازي]^(١)

أراد : أطرب وأنت شيخ كبير ؟ ، قاله ابن النباري .

قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمَواتاً ﴾ .

قال الفراء : أي : وقد كنتم أمواتاً . ومثله (أو جاؤوكم حصرت صدورهم) النساء : ٩٠ . أي : قد حصرت . ومثله : (إن كان قبضه قد من دبر فكذبت) يوسف : ٢٦ أي : فقد كذبت ، ولولا إضمار « قد » لم يجز مثله في الكلام .

وفي الحياتين ، والموتين أقوال . أصحها : أن الموتة الأولى ، كونهم نطفاً وعلقاً

ومضناً ، فأحيام في الأرحام ، ثم عيّنهم بعد خروجهم إلى الدنيا ، ثم يُحييهم للبعث يوم القيامة ، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والفراء وتعلب ، والزجاج ، وابن قتيبة ، وابن الأنباري .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ أي : لأجلكم ، فبعضه للانتفاع ، وبعضه للاعتبار .

﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ ، أي : عمد إلى خلقها ، والسماء : لفظها لفظ الواحد ، ومعناها ، معنى الجمع ، بدليل قوله : ﴿ فسواهن ﴾ .

وأيهما أسبق في الخلق : الأرض ، أم السماء ؛ فيه قولان . أحدهما : الأرض ، قاله مجاهد . والثاني : السماء ، قاله مقاتل .

واختلفوا في كيفية تكميل خلق الأرض وما فيها ، فقال ابن عباس : بدأ بخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السموات في يومين ، وقدر فيها أقواتها في يومين . وقال الحسن ومجاهد : جمع خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام متوالية ، ثم خلق السماء في يومين . والعليم : جاء على بناء : فعمل ، للمبالغة في وصفه بكمال العلم .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾

كان أبو عبيدة يقول : «إذ» ملغاة ، وتقدير الكلام : وقال ربك ، وتابعه ابن قتيبة ، وطاب ذلك عليها الزجاج وابن القاسم . وقال الزجاج : إذ : معناها : الوقت ، فكأنه قال : ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة .

والملائكة : من الأولوك ، وهي الرسالة ، قال لييد :

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ماسأل

وواحد الملائكة : ملك ، والاصل فيه : ملاك . وأنشد سيبويه :

فلست لإنسي ولكن للملائكة تنزل من جوار السماء يصب
قال أبو إسحاق : ومعنى ملائكة : صاحب رسالة ، يقال : مائكة ومائكة
وملائكة . ومالك : جمع مائكة . قال الشاعر :

أبلغ النعمان عني مائكا أنه قد طال حبسي وانتظاري

وفي هؤلاء الملائكة قولان . أحدهما : أنهم جميع الملائكة ، قاله السدي عن
أشياخه . والثاني : أنهم الذين كانوا مع إبليس حين أهبط إلى الأرض ، ذكره أبو صالح
عن ابن عباس .

ونقل أنه كان في الأرض قبل آدم خلق ، فأفسدوا ، فبعث الله إبليس في جماعة من
الملائكة فأهلكوهم .

واختلفوا ما المقصود في إخبار الله عز وجل الملائكة بخلق آدم على ستة أقوال .
أحدها : أن الله تعالى علم في نفس إبليس كبراً ، فأحب أن يطلع الملائكة عليه ،
وأن يظهر ما سبق عليه في علمه ، رواه الضحاك عن ابن عباس ، والسدي عن أشياخه .
والثاني : أنه أراد أن يبلو طاعة الملائكة ، قاله الحسن .

والثالث : أنه لما خلق النار خافت الملائكة ، فقالوا : ربنا لمن خلقت هذه ؟ قال :
لمن عصاني ، فخافوا وجود المعصية منهم ، وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم ، فقال لهم :
(إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة : ٣٠ قاله ابن زيد .

والرابع : أنه أراد إظهار عجزهم عن الإحاطة بعلمه ، فأخبرهم حتى قالوا : أتجعل
فيها من يفسد فيها ؟ فأجابهم : إني أعلم ما لا تعلمون .

والخامس : أنه أراد تعظيم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده ، ليكونوا معظمين
له إن أوجده .

والسادس : أنه أراد إعلامهم بأنه خلقه ليسكنه الارض ، وإن كان ابتداء خلقه في السماء .

والخليفة : هو القائم مقام غيره ، يقال : هذا خلف فلان وخليفته . قال ابن الباربي : والاصل في الخليفة خليف ، بغير هاء ، فدخلت الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف ، كما قالوا : علامة ونسابة وراوية . وفي معنى خلافة آدم قولان .

أحدهما : أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه ، ودلائل توحيده ، والحكم في خلقه ، وهذا قول ابن مسعود ومجاهد .

والثاني : أنه خلف من سلف في الارض قبله ، وهذا قول ابن عباس والحسن .

قوله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾

فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أن ظاهر الالف الاستفهام ، دخل على معنى العلم ليقع به تحقيق .

قال جرير :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ

معناه : أنتم خير من ركب المطايا .

والثاني : أنهم قالوه لاستئلام وجه الحكمة ، لا على وجه الاعتراض . ذكره الزجاج .

والثالث : أنهم سألوا عن حال أنفسهم ، فتقديره : أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن

نسبح بحمدك ، أم لا ؟

وهل علمت الملائكة أنهم يفسدون بتوقيف من الله تعالى ، أم قالوا على حال من

قبلهم ؟ فيه قولان .

أحدهما : أنه بتوقيف من الله تعالى ، قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد

وقادة ، وابن زيد وابن قتيبة ، وروى السدي عن أشياخه : أنهم قالوا : ربنا وما يكون

ذلك الخليفة؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضاً ، فقالوا : (أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا).

والثاني : أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم ، روي نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل .

قوله تعالى : ﴿ وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

قرأ الجمهور بكسر الفاء ، وضما ابن مصرف وإبراهيم بن أبي عبلة ، وهما لقتان ، وروي عن طلحة وابن مقسم : وَيُسْفِكُ : بضم الياء ، وفتح السين ، وتشديد الفاء مع كسرهما ، وهي لتكثير الفعل وتكريره . وسفكُ الدم : صبُّه وإراقته وسفحه ، وذلك مستعمل في كل مضيّع ، إلا أن السفك يختص الدم ، والصب والسفح والإراقة يقال في الدم وفي غيره .

وفي معنى تسييحهم أربعة أقوال . أحدها : أنه الصلاة ، قاله ابن مسعود وابن عباس . والثاني : أنه قول : سبحان الله ، قاله قتادة . والثالث : أنه التعظيم والحمد ، قاله أبو صالح . والرابع : أنه الخضوع والذل ، قاله محمد بن القاسم الانباري .

قوله تعالى : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

القدس : الطهارة ، وفي معنى تقديسهم ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه : تطهر لك من أعمالهم ، قاله ابن عباس . والثاني : نعظّمك ونكبرك ، قاله مجاهد . والثالث : نصلي لك ، قاله قتادة .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

فيه أربعة أقوال . أحدها : أن معناه : أعلم ما في نفس إبليس من البني والمعصية ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي عن أشياخه . والثاني : أعلم أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء

وصالحون ، قاله قتادة . والثالث : أعلم أني أملاً جهنم من الجنة والناس ، قاله ابن زيد .
والرابع : أعلم عواقب الامور ، فانا أبتي من تظنون أنه مطيع ، فيؤديه الابتلاء إلى
المعصية كإبليس ، ومن تظنون به المعصية فيطيع ، قاله الزجاج .

الإشارة إلى خلق آدم عليه السلام

روى أبو موسى عن النبي ﷺ ، أنه قال : « إِبْنُ اللَّهِ ، عز وجل ،
خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض ، فجاء بنو آدم على قدر الارض ،
منهم الاحمر [والابيض] والاسود ، وبين ذلك ، والسهل والحزن ، وبين ذلك ،
والحيث والطيب » قال الترمذي : هذا حديث صحيح^(١) . وقد أخرج البخاري ومسلم في
« الصحيحين » من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ ، أنه قال : « خلق الله تعالى آدم طوله
ستون ذراعاً » . وأخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ ، أنه قال :
« خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، ما بين
العصر إلى الليل » . قال ابن عباس : لما نفخ فيه الروح ، أتته النفخة من قبل رأسه ، فجعلت
لا تجري منه في شيء إلا صار لحماً ودماً .

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

في تسمية آدم قولان . أحدهما : لأنه خلق من أديم الارض ، قاله ابن عباس وابن
جبير والزجاج . والثاني : أنه من الأدمة في اللون ، قاله الضحاك والنضر بن
شميل وقطرب .

وفي الاسماء التي علمه قولان . أحدهما : أنه علمه كل الاسماء ، وهذا قول ابن عباس

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وصححه ابن حبان .

وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة . والثاني : أنه علمه أسماء معدودة لسميات مخصوصة . ثم فيها أربعة أقوال . أحدها : أنه علمه أسماء الملائكة ، قاله أبو العالية . والثاني : أنه علمه أسماء الاجناس دون أنواعها ، كقولك : إنسان وملك وجني وطائر ، قاله عكرمة . والثالث : أنه علمه أسماء ما خلق من الارض من الدواب والهوام والطيور ، قاله الكلبي ومقاتل وابن قتيبة . والرابع : أنه علمه أسماء ذريته ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾

يريد : أعيان الخلق على الملائكة ، قال ابن عباس : الملائكة هاهنا : هم الذين كانوا مع إبليس خاصة .

قوله تعالى ﴿ أَنْبِئُونِي ﴾ : أخبروني .

قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

فيه قولان . أحدهما : إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً هو أفضل منكم وأعلم ، قاله الحسن . والثاني : أني أجعل فيها من يفسد فيها ، قاله السدي عن أشياخه .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾

قال الزجاج : لا اختلاف بين أهل اللغة أن التسييح هو : التنزيه لله تعالى عن كل سوء . والعليم بمعنى : العالم ، جاء على بناء «فعليل» للمبالغة . وفي الحكيم قولان . أحدهما : أنه بمعنى الحاكم ، قاله ابن قتيبة . والثاني : المحكم للأشياء ، قاله الخطابي .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ ﴾ أي : أخبرهم ، وروي عن ابن عباس : أنبئهم

بكسر الهاء ، قال أبو علي : قراءة الجمهور على الأصل ، لأن أصل هذا الضمير أن تكون الهاء مضمومة فيه ، ألا ترى أنك تقول : ضربهم وأبناءهم ، وهذا لهم . ومن كسر أتبع كسر الهاء التي قبلها وهي كسرة الباء . والهاء والميم تعود على الملائكة . وفي الهاء والميم

من «أسمائهم» قولان . أحدهما : أنها تعود على المخلوقات التي عرضها ، قاله الأكثرون .
والثاني : أنها تعود على الملائكة ، قاله الربيع بن أنس .

وفي الذي أبدوه قولان . أحدهما : أنه قولهم : (أتجعل فيها من يفسد فيها) ، ذكره
السدي عن أشياخه . والثاني : أنه ما أظهره من السمع والطاعة لله حين مروا على
جسد آدم ، فقال إبليس : إن فضل هذا عليكم ما تصنعون ؛ فقالوا : نطيع ربنا ،
فقال إبليس في نفسه : لئن فضلت عليه لأهلكنه ، ولئن فضل علي لأعصينه ،
قالة مقاتل .

وفي الذي كتموه قولان . أحدهما : أنه اعتقاد الملائكة أن الله تعالى لا يخلق خلقاً
أكرم منهم ، قاله الحسن وأبو العالية وقتادة . والثاني : أنه ما أسره إبليس من الكبر
والعصيان ، رواه السدي عن أشياخه ، وبه قال مجاهد وابن جبير ومقاتل .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا ﴾

حاشية القراء على كسر التاء من الملائكة ، وقرأ أبو جعفر والأعمش بضمها في
الوصل ، قال الكسائي : هي لغة أزدشنوة .

وفي هؤلاء الملائكة قولان . أحدهما : أنهم جميع الملائكة ، قاله السدي عن
أشياخه . والثاني : أنهم طائفة من الملائكة ، روي عن ابن عباس ، والأول أصح .
والسجود في اللغة : التواضع والخضوع ، وأنشدوا :

ساجد المنخر ما يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع

وفي صفة سجودهم لآدم قولان . أحدهما : أنه على صفة سجود الصلاة ، وهو الأظهر .
والثاني : أنه الانحناء والميل المساوي للركوع .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾

في هذا الاستثناء قولان .

أحدهما : أنه استثناء من الجنس ، فهو على هذا القول من الملائكة ، قاله ابن مسعود في رواية ، وابن عباس . وقد روي عن ابن عباس أنه كان من الملائكة ، ثم مسخه الله تعالى شيطانا . والثاني : أنه من غير الجنس ، فهو من الجن ، قاله الحسن والزهري . قال ابن عباس : كان إبليس من خزان الجنة ، وكان يدير أمر السماء الدنيا . فان قيل : كيف استثنى وليس من الجنس ؟ فالجواب : أنه أمر بالسجود معهم ، فاستثنى منهم ، لأنه لم يسجد ، وهذا كما تقول : أمرت عبدي وإخوتي فأطاعوني إلا عبدي ، هذا قول الزجاج .

وفي إبليس قولان . أحدهما : اسم أعجمي ليس بمشتق ، ولذلك لا يصرف ، هذا قول أبي عبيدة ، والزجاج وابن الأنباري . والثاني : أنه مشتق من الإبلّاس ، وهو : اليأس ، روي عن أبي صالح ، وذكره ابن قتيبة وقال : إنه لم يصرف ، لأنه لا سمي له ، فاستنقل . قال شيخنا أبو منصور اللغوي : والأول أصح ، لأنه لو كان من الإبلّاس لصرف ، ألا ترى أنك لو سميت رجلاً : بإخريط وإجفيل ؛ لصرف في المعرفة .

قوله تعالى : ﴿أَبَى﴾ معناه : امتنع ، ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ استفعل من : الكبر ، وفي ﴿وَكَانَ﴾ قولان . أحدهما : أنها بمعنى : صار ، قاله قتادة . والثاني : أنها بمعنى الماضي ، فمعناه : كان في علم الله كافراً ، قاله مقاتل وابن الأنباري .

قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ زوجة : حواء ، قال الفراء : أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل : زوج ، ويجمعونها : الأزواج . وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون : زوجة ، ويجمعونها : زوجات .

قال الشاعر :

فان الذي يسمى بحرّش زوجتي كماشٍ إلى أسد الشرى يستيّلها^(١)
وأشدني أبو الجراح :

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل اذا انحلت عرى الذنب
وفي الجنة التي أسكنها آدم قولان . أحدهما : جنة عدن . والثاني : جنة الخلد .
والرغد : الرزق الواسع الكثير ، يقال : أرغد فلان : إذا صار في
خصب وسعة .

قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ أي : بالاكل ، لا بالذئب منها .
وفي الشجرة ستة أقوال :

أحدها : أنها السبلة ، وهو قول ابن عباس ، وعبد الله بن سلام ، وكعب الاخبار ،
وهب بن منبه ، وقتادة ، وعطية العوفي ، ومحارب بن دثار ، ومقاتل .
والثاني : أنها الكرم ، روي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وجمعة
ابن هبيرة .

والثالث : أنها التين ، روي عن الحسن ، وعطاء بن أبي رباح ، وابن جريج .
والرابع : أنها شجرة يقال لها : شجرة العلم ، قاله أبو صالح عن ابن عباس .
والخامس : أنها شجرة الكافور ، نقل عن علي بن أبي طالب .
والسادس : أنها النخلة ، روي عن أبي مالك .

وقد ذكروا وجهاً سابغاً عن وهب بن منبه أنه قال : هي شجرة الخلد ، وإنما
الكلام على جنسها .

(١) البيت قاله الفرزدق . ومعني يستيّلها : أي يأخذ بولها بيده ، كما « في اللسان »

قوله تعالى : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾

قال ابن الأثير : الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، ويقال : ظلم الرجل سقاه إذا سقاه قبل أن يخرج زبده . وقال الشاعر :

وصاحب صدق لم تربني شكاته ظلمت وفي ظلمي له عامداً أجرُ

أراد بالصاحب : وطب اللبن ، وظلمه إياه : أن يسقيه قبل أن يخرج زبده .

والعرب تقول : هو أظلم من حية ، لأنها تأتي الحفر الذي لم تحفرة فتسكنه ، ويقال : قد ظلم الماء الوادي : إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى . فان قيل : ما وجه الحكمة في تخصيص تلك الشجرة بالنهي ؟ فالجواب : أنه ابتلاء من الله تعالى بما أراد . وقال أبو العالية : كان لها ثقل من بين أشجار الجنة ، فلما أكل منها ، قيل : اخرج إلى الدار التي تصاح لما يكون منك .

قوله تعالى : ﴿ فأزلهما الشيطانُ عنها فأخْرَجَهُمَا مما كانا فيه ﴾

أزلهما بمعنى : استزلهما ، وقرأ حمزة : (فأزلهما) ، أراد : نحاهما . قال أبو علي الفارسي : لما كان معنى (اسكن أنت وزوجك الجنة) اثبتا فيها ، فنبتا ؛ قابل حمزة الثبات بالزوال الذي يخالفه ، ويقوي قراءته : (فأخرجهما) .

والشيطان : إبليس ، وأضيف الفعل إليه ، لأنه السبب . وفيها (عنها) ثلاثة أقوال : أحدها : أنها تعود إلى الجنة . والثاني : ترجع إلى الطاعة . والثالث : ترجع إلى الشجرة . فعناه : فأزلهما بركة صدرت عن الشجرة .

وفي كيفية إزالته لهما ، ثلاثة أقوال . أحدها : أنه احتال حتى دخل إليهما الجنة ، وكان الذي أدخله الحية ^(١) ، قاله ابن عباس والسدي . والثاني : أنه وقف على باب الجنة ، وناداهما ، قاله الحسن . والثالث : أنه وسوس إليهما ، وأوقع في نفوسهما من غير مخاطبة

(١) هذا من الأخبار الإسرائيلية التي لا مستند لها من الكتاب والسنة .

ولا مشاهدة ، قاله ابن إسحاق ، وفيه بعد . قال الزجاج : الأجود : أن يكون خاطبها ، لقوله : (وقاسمها) .

واختلف العلماء في معصية آدم بالأكل ، فقال قوم : إنه نهي عن شجرة بعينها ، فأكل من جنسها . وقال آخرون : تأول الكراهة في النهي دون التحريم .

قوله تعالى : ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين ﴾ الهبوط بضم الهاء : الانحدار من علوّ ، وفتح الهاء : المكان الذي يهبط فيه ، وإلى من انصرف هذا الخطاب ؟ فيه ستة أقوال . أحدها : أنه انصرف إلى آدم وحواء والحية ، قاله أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : إلى آدم وحواء وإبليس والحية ، حكاه السدي عن ابن عباس . والثالث : إلى آدم وإبليس ، قاله مجاهد . والرابع : إلى آدم وحواء وإبليس ، قاله مقاتل . والخامس : إلى آدم وحواء وذريتهما ، قاله الفراء . والسادس : إلى آدم وحواء فحسب ، ويكون لفظ الجمع واقفاً على التثنية ، كقوله : (وكنا لحكمهم شاهدين) الأنبياء : ٧٨ ذكره ابن الأنباري ، وهو العلة في قول مجاهد أيضاً .

واختلف العلماء : هل أهبطوا جملة أو متفرقين ؟ على قولين . أحدهما : أنهم أهبطوا جملة ، لكنهم نزلوا في بلاد متفرقة ، قاله كعب ، وذهب . والثاني : أنهم أهبطوا متفرقين ، فهبط إبليس قبل آدم ، وهبط آدم بالهند ، وحواء بجُدَّة ، وإبليس بالأبلة ^(١) . قاله مقاتل . وروي عن ابن عباس أنه قال : أهبطت الحية بنصيبين ، قال : وأمر الله تعالى جبريل بإخراج آدم ، فقبض على ناصيته وخلصه من الشجرة التي قبضت عليه ، فقال : أيها الملك ارفق بي . قال جبريل : إني لا أرفق بمن عصى الله ، فارتعد آدم واضطرب ، وذهب كلامه ، وجبريل يعاتبه في معصيته ، ويمدّد نعم الله عليه ، قال :

(١) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى « معجم البلدان » .

وأدخل الجنة ضحوة ، وأخرج منها بين الصلوتين ، فكث فيها نصف يوم ، خمسمائة عام مما يعد أهل الدنيا .

وفي المداوة المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال .

أحدها : أن ذرية بعضهم أعداء لبعض ، قاله مجاهد . والثاني : أن إبليس عدو لآدم وحواء ، وهما له عدو ، قاله مقاتل . والثالث : أن إبليس عدو للمؤمنين ، وهم أعداؤه ، قاله الزجاج .

وفي المستقر قولان . أحدهما : أن المراد به القبور ، حكاه السدي عن ابن عباس . والثاني : موضع الاستقرار ، قاله أبو العالية ، وابن زيد ، والزجاج ، وابن قتيبة ، وهو أصح . والمتاع : المنفعة . والحين : الزمان . قال ابن عباس : (إلى حين) ، أي : إلى فناء الأجل بالموت . قوله تعالى : ﴿ فتلقي آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

تلقي : بمعنى أخذ ، وقبل . قال ابن قتيبة : كأن الله تعالى أوحى إليه أن يستغفره [ويستقبله] بكلام من عنده ، ففعل [ذلك آدم] فتاب عليه . وقرأ ابن كثير : (فتلقي آدم) بالنصب ، (كلماتٌ) : بالرفع ؛ على أن الكلمات هي الفاعلة .

وفي الكلمات أقوال .

أحدها : أنها قوله تعالى : (ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف : ٢٣ . قاله ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء الخراساني ، وعبيد بن عمير ، وأبي بن كعب ، وابن زيد .

والثاني : أنه قال : أي رب ؛ ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى . قال : ألم تنفخ فيّ من روحك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك إليّ قبل غضبك ؟ قال : بلى . قال : ألم

تسجد لي ملائكتك، وتسكني جنتك ؟ قال : بلى . قال : أي رب [أ رأيت] إن ثبت وأصلحت ، أراجعني أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم . حكاه السدي عن ابن عباس :

والثالث : أنه قال : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، إنك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فارحمني ، فأنت خير الراحمين ، [اللهم] لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فقب علي ، إنك أنت التواب الرحيم . رواه ابن أبي نجيح ^(١) عن مجاهد وقد ذكرت أقوال من كلمات الاعتذار تقارب هذا المعنى .

قوله تعالى (فتاب عليه)

أصل التوبة : الرجوع ، فالتوبة من آدم : رجوعه عن المعصية ، وهي من الله تعالى : رجوعه عليه بالرحمة ، والثواب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله ، وإنما لم تذكر حواء في التوبة ، لأنه لم يجر لها ذكر ، لا أن توبتها لم تقبل . وقال قوم : إذا كان معنى فعل الاثنين واحداً ؛ جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما ، كقوله تعالى : (والله ورسوله أحق أن يرضوه) التوبة : ٦٣ وقوله : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) طه : ١١٧ قوله تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ :

في إعادة ذكر الهبوط — وقد تقدم — قولان .

أحدهما : أنه أعيد لأن آدم أهبط إهابطين ، أحدهما من الجنة إلى السماء ، والثاني من السماء إلى الأرض . وأيهما الإهابط المذكور في هذه الآية ؟ فيه قولان .
والثاني : أنه إنما كرر الهبوط تأكيداً .

(٢) في الأصلين : ابن كثير ، وهو خطأ ، فإن الراوي لهذا الأثر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح كما

في الطبري .

قوله تعالى : (فاما) قال الزجاج : هذه «إن» التي للجزاء ، ضمت اليها «ما» والأصل في اللفظ «إن ما» مفصولة ، ولكنها مدغمة ، وكتبت على الإدغام ، فإذا ضمت «ما» الى «إن» لزم الفعل النون الثقيلة أو الخفيفة . وإنما تلزمه النون لأن «ما» تدخل مؤكدة ، ودخلت النون مؤكدة أيضاً ، كما لزمته اللام النون في القسم في قوائمك : والله لتفعلن ، وجواب الجزاء الفاء . وفي المراد بـ «الهدى» هاهنا قولان . أحدهما : أنه الرسول ، قاله ابن عباس ومقاتل . والثاني : الكتاب ، حكاه بعض المفسرين .

قوله تعالى : (فلا خوف عليهم)

وقرأ يعقوب : فلا خوف : بفتح الفاء من غير تنوين ، وقرأ ابن محيصن بضم الفاء من غير تنوين . والمعنى : فلا خوف عليهم فيما يستقبلون من العذاب ، ولا هم يحزنون عند الموت . والخوف لأمر مستقبل ، والحزن لأمر ماضٍ .

قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ في معنى الآية : ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها العلامة ، فمعنى آية : علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها ، والذي بعدها ، قال الشاعر :

ألا أبلغ لديك بني تميم بآية ما يحبون الطعاما
وقال النابغة :

توهمت آيات لها فعرقتها لسته أعوام وذا العام سابع
وهذا اختيار أبي عبيد .

والثاني : أنها سميت آية ، لأنها جماعة حروف من القرآن ، وطائفة منه . قال أبو عمرو الشيباني : يقال : خرج القوم بآيتهم ، أي : بجماعتهم . وأنشدوا :

خرجنا من النقبين لاحي مثلنا بآيتنا نرجي اللقاح المطافلا^(١)

(١) نرجي : نسوق . اللقاح : ذوات الألبان من النوق . المطافل : النوق معها أولادها .

والثالث : أنها سميت آية ، لأنها عجب ، وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين ، وهذا كما تقول : فلان آية من الآيات ؛ أي : عجب من المعجائب ذكره ابن الأنباري .

وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوال .

أحدها : آيات الكتب التي تتلى . والثاني : معجزات الأنبياء ، والثالث : القرآن . والرابع : دلائل الله في مصنوعاته . وأصحاب النار : سكانها ، سمو أصحاباً ، لصحبته إياها بالملزمة .

قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾

إسرائيل : هو يعقوب ، وهو اسم أعجمي . قال ابن عباس : ومعناه : عبد الله . وقد لفظت به العرب على أوجه ، فقالت : إسرائيل ، واسرال ، واسرائيل ، واسرائين . قال أمية :

إني زارد الحديد على النا س دروعاً سوابغ الأذيال
لا أرى من يعينني في حياتي غير نفسي إلا بني إسرائيل
وقال أعرابي صاد ضباً ، فأتى به أهله :
يقول أهل السوق للمجينا : هذا ورب البيت إسرائيلنا
أراد : هذا مما مسخ من بني إسرائيل .

والنعمة : المنّة ، ومثلها : النعماء . والنعمة ، بفتح النون : التمتع ، وأراد بالنعمة : النعم ، فوحدها ، لأنهم يكتفون بالواحد من الجميع ، كقوله تعالى : (والملائكة بمد ذلك ظهير) التحريم : ٤ . أي : ظهراء .

وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال . أحدها : أنها ما استودعهم من التوراة التي

فيها صفة رسول الله ﷺ ، قاله ابن عباس . والثاني : أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون ، وأهلك عدوهم ، وأعطاهم التوراة ، ونحو ذلك ، قاله الحسن والزجاج . وإنا من عليهم بما أعطى آبائهم ، لأن فخر الآباء فخر للأبناء ، وعار الآباء عار على الأبناء .
والثالث : أنها جمع نعمة على نصريف الأحوال .

والمراد من ذكرها : شكرها ، إذ من لم يشكر فما ذكر .

قوله تعالى : (وأوفوا)

قال الفراء : أهل الحجاز يقولون : أوفيت ، وأهل نجد يقولون : وفيت ، بغير ألف . قال الزجاج . يقال : وفى بالعهد ، وأوفى به ، وأنشد :

أما ابن طوق فقد أوفى بدمته كما وفى بقلاص النجم حاديها^(١)

وقال ابن قتيبة . يقال : وفيت بالعهد ، وأوفيت به ، وأوفيت الكيل لا غير .

وفي المراد بعده : أربعة أقوال . أحدها : أنه ما عهده إليهم في التوراة من صفة محمد ﷺ رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : أنه امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثالث : أنه الإسلام ، قاله أبو العالية . والرابع : أنه العهد المذكور في قوله تعالى : (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) المائدة : ١٣ قاله قتادة .

قوله تعالى : (أوف بعهدكم) . قال ابن عباس : أدخلكم الجنة .

قوله تعالى : (وإيتاي فارهبون) : أي : خافون .

قوله تعالى : ﴿ وآمنوا بما أنزلت ﴾ يعني القرآن ﴿ مصدقا لما معكم ﴾ يعني التوراة والانجيل ، فإن القرآن يصدقها أي أنها من عند الله ، ويوافقهما في صفة النبي ﷺ .

(١) قلاص النجم : هي الشرون نجما التي ساقها الدران في خطبة الثريا كما تزعم العرب .
والبيت لطيف الشوي .

﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾

إنما قال : أول كافر ، لأن المتقدم الى الكفر أعظم من الكفر بعد ذلك ، إذ المبادر لم يتأمل الحجة ، وإنما بادر بالعناد ، فحالاه أشد . وقيل : ولا تكونوا أول كافر به بعد أن آمن ، والخطاب لرؤساء اليهود .

وفي هائه قولان . أحدهما : أنها تعود الى المنزل ، قاله ابن مسعود وابن عباس . والثاني : أنها تعود على ما معهم ، لأنهم اذا كتموا وصف النبي ﷺ وهو معهم ، فقد كفروا به ، ذكره الزجاج .

قوله تعالى : ﴿ولا تشتروا بآياني ثمناً قليلاً وإياي فاتقون﴾ .

أي : لا تستبدلوا [بآيائي] ثمناً قليلاً . وفيه ثلاثة أقوال . أحدها : أنهما كانوا يأخذون من عرض الدنيا . والثاني : بقاء رئاستهم عليهم . والثالث : أخذ الأجرة على تعليم الدين . قوله تعالى : ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ .

تلبسوا : بمعنى تخلطوا . يقال : لبست الأمر عليهم ، ألبسه : إذا عميته عليهم ، وتخليطهم : أنهم قالوا : إن الله عهد إلينا أن نؤمن بالنبي الأمي ، ولم يذكر أنه من العرب .

وفي المراد بالحق قولان . أحدهما : أنه أمر النبي ﷺ ، قاله ابن عباس ، ومجاهد وقتادة ، وأبو العالية ، والسدي ومقاتل . والثاني : أنه الإسلام ، قاله الحسن .

قوله تعالى : ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ .

يريد : الصلوات الخمس ، وهي ها هنا اسم جنس ، والزكاة : مأخوذة من الزكاة ، وهو النماء ، والزيادة . يقال : زكا الزرع يزكو زكاء . وقال ابن الأنباري : معنى الزكاة في كلام العرب : الزيادة والنماء ، فسميت زكاة ، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه ، وتوفره ، وتقيه من الآفات . ويقال : هذا أذكى من ذاك ، أي : أزيد فضلاً منه .

قوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ .

أي : صلوا مع المصلين . قال ابن عباس : يريد محمداً ﷺ ، والصحابة رضي الله عنهم . وقيل : إنما ذكر الركوع ، لأنه ليس في صلاتهم ركوع ، والخطاب لليهود . وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع ، وهي إحدى الروايتين عن أحمد رضي الله عنه .

قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ قال ابن عباس : نزلت في اليهود ، كان الرجل يقول لقرابته من المسلمين في السر : اتبت على ما أنت عليه فانه حق . والالف في « أتأمرون » ألف الاستفهام ، ومعناه التوبيخ . وفي « البر » هاهنا ثلاثة أقوال . أحدها : أنه التمسك بكتابهم ، كانوا يأمرون باتباعه ولا يقومون به . والثاني : اتباع محمد ﷺ ، روي القولان عن ابن عباس . والثالث : الصدقة ، كانوا يأمرون بها ، ويخلون . ذكره الزجاج .

قوله تعالى : (وتنسون) أي : تتركون . وفي « الكتاب » قولان . أحدهما : أنه التوراة ، قاله الجمهور . والثاني : أنه القرآن ، فلا يكون الخطاب على هذا القول لليهود .

قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ الأصل في الصبر : الحبس ، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع . وسمي الصائم صابراً لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع ، والمصبورة : البهيمة تتخذ غرضاً . وقال مجاهد : الصبر هاهنا : الصوم .

وفيما أمروا بالصبر عليه ثلاثة أقوال . أحدها : أنه أداء الفرائض ، قاله ابن عباس ومقاتل . والثاني : أنه ترك المعاصي ، قاله قتادة . والثالث : عدم الرئاسة ، وهو خطاب لأهل الكتابين ، ووجه الاستعانة بالصلاة أنه يتلى فيها ما يرغب في الآخرة ، ويزهد في الدنيا .

قوله تعالى : (وإيها) في المكي عنها ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الصلاة ، قاله ابن عباس والحسن ، ومجاهد والجمهور . والثاني : أنها الكعبة والقبلة ، لأنه لما ذكر الصلاة ، دلت على القبلة ، ذكره الضحاك عن ابن عباس ، وبه قال مقاتل . والثالث : أنها الاستعانة ، لأنه لما قال : (واستعينوا) دل على الاستعانة ، ذكره محمد بن القاسم النحوي .

قوله تعالى : (لكبيرة) قال الحسن والضحاك : الكبيرة : الثقيلة ، مثل قوله تعالى (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) الشورى : ١٣ أي : ثقل ، والخشوع في اللغة : التظامن والتواضع ، وقيل : السكون .

قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملأوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ .
الظن هاهنا : معنى اليقين ، وله وجوه قد ذكرناها في كتاب « الوجوه والنظائر » .
قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾
يعني : على عالمي زمانهم ، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن زيد . قال ابن قتيبة : وهو من العام الذي أريد به الخاص .

قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعَةٌ ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ .

قال الزجاج : كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم يوم القيامة ، فأيسهم الله بهذه الآية من ذلك .

قوله تعالى : (واتقوا يوماً) [فيه] إضمار ، تقديره : اتقوا عذاب يوم ، أو : ما في يوم . والمراد باليوم يوم القيامة و« تجزي » بمعنى تقضي^(١) . قال ابن قتيبة : يقال : جزي الأمر عني يجزي ، بغير همز ، أي : قضى عني ، وأجزأني يجزئي ، مهموز ، أي : كفاني .

قوله تعالى : (نفس عن نفس) . قالوا : المراد بالنفس هاهنا : النفس الكافرة ، فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص .

(١) في الأصل تقضي . وفي نسخة (ب) ولتجزي بمعنى تقضي . والصواب ما أثبتنا .

قوله تعالى : (ولا تُقْبَلْ منها شفاعَةٌ) .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء ، إلا أن قنادة فتح الياء ، ونصب الشفاعة ، ليكون الفعل لله تعالى . قال أبو علي : من قرأ بالتاء ، فلأنَّ الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث ، فيلزم أن يلحق المسند أيضاً علامة التأنيث ، ومن قرأ بالياء ، فلأنَّ التأنيث في الاسم الذي أسند إليه الفعل ليس بحقيقي ، فحمل على المعنى ، كما أن الوعظ والموعظة بمعنى واحد . وفي الآية إضمار ، تقديره : لا يقبل منها فيه شفاعَةٌ . والشفاعة مأخوذة من الشفع الذي يخالف الوتر ، وذلك أن سؤال الشفيع يشفع سؤال المشفوع له .

فأما « العدل » فهو الفداء ، وسمي عدلاً ، لأنه يبادل المفدى . واختلف اللغويون : هل « العدل » و « العدل » بفتح العين وكسرهما ، يختلفان ، أم لا ؟ فقال الفراء : العدل بفتح العين : ما عادل الشيء من غير جنسه ، والعدل بكسرهما : ما عادل الشيء من جنسه ، فهو المثل ، تقول : عندي عدل غلامك ، بفتح العين : إذا أردت قيمته من غير جنسه ، وعندي عدل غلامك ، بكسر العين : إذا كان غلام يعدل غلاماً . وحكى الزجاج عن البصريين أن العدل والعدل في معنى المثل ، وأن المعنى واحد ، سواء كان المثل من الجنس أو من غير الجنس .

قوله تعالى : (ولا هم يُنصَرُونَ) أي : ينجون من عذاب الله .

قوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبَحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ تقديره : واذكروا إذ نجيناكم ، وهذه النعم على آبائهم كانت . وفي آل فرعون ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم أهل مصر ، قاله مقاتل . والثاني : أهل بيته خاصة ، قاله أبو عبيدة . والثالث : أتباعه على دينه ، قاله الزجاج . وهل الآل والأهل بمعنى ، أو يختلفان ؟ فيه قولان : وقد شرحت معنى الآل في كتاب « النظائر » وفرعون : اسم أعجمي ، وقيل : هو لقبه . وفي اسمه أربعة أقوال . أحدها : الوليد بن

مصعب ، قاله الآكثرون . والثاني : فيطوس^(١) ، قاله مقاتل . والثالث : مصعب بن الريان ، حكاه ابن جرير الطبري . والرابع : مغيث ، ذكره بعض المفسرين .

قوله تعالى : (يسومونكم) أي : يولونكم . يقال : فلان يسومك خسفاً ، أي : يوليئك ذلاً واستخفافاً . وسوء العذاب : شديده . وكان الزجاج يرى أن قوله : (يذبحون أبناءكم) تفسير لقوله (يسومونكم سوء العذاب) ، وأبى هذا بعض أهل العلم ، فقال : قد فرق الله بينهما في موضع آخر ، فقال : (يسومونكم سوء العذاب ، ويذبحون أبناءكم) إبراهيم ٦ : وإنما سوء العذاب : استخدامهم في أصعب الأعمال ، وقال : الفراء : الموضع الذي طرحت فيه الواو ، تفسير لصفات العذاب ، والموضع الذي فيه الواو ، يبين أنه قد مسهم من العذاب غير الذبح ، فكانه قال : يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح .

قوله تعالى : (ويستحيون نساءكم) أي : يستبقون نساءكم ، أي : بناتكم . وإنما استبقوا نساءهم للاستذلال والخدمة .

وفي البلاء هاهنا قولان . أحدهما : أنه بمعنى النعمة ، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو مالك ، وابن قتيبة والزجاج . والثاني : أنه النقمة ، رواه السدي عن أشياخه . فعلى هذا القول يكون « ذا » في قوله تعالى : (ذلكم) : عائداً على سومهم سوء العذاب ، وذبح آبائهم واستحياء نساءهم ، وعلى القول الأول يعود على النجاة من آل فرعون . قال أبو العالية : وكان السبب في ذبح الآبناء ، أن الكهنة قالت لفرعون : سيوله العام بمصر غلام يكون هلاكك على يديه ، فقتل الآبناء . قال الزجاج : فالمجب من حق فرعون ، إن كان الكاهن عنده صادقاً ، فما ينفع القتل ؟ وإن كان كاذباً ، فما معنى القتل ؟

قوله تعالى : ﴿ وإذا فرقتا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ الفرق : الفصل بين الشيئين و « بكم » بمعنى « لكم » . وإنما ذكر آل فرعون دونه ، لأنه

(١) في « البحر المحيط » فطوس .

قد علم كونه فيهم . وفي قوله تعالى : (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) : قولان . أحدهما : أنه من نظر العين ، معناه : وأنتم ترونهم يفرقون . والثاني : أنه بمعنى : العلم ، كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ) الفرقان : ٤٥ . قاله الفراء .

الإشارة إلى قصتهم

روى السدي عن أشياخه : أن الله تعالى أمر موسى أن يخرج بني إسرائيل ، وألقى على القبط الموت ، فأت بكر كل رجل منهم ، فأصبحوا يدفنونه ، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس ، قال عمرو بن ميمون : فلما خرج موسى بلغ ذلك فرعون ، فقال : لا تتبعوهم حتى يصيح الديك ، فاصاح ديك ليلتئذ . قال أبو السليل : لما انتهى موسى إلى البحر قال : هيه ^(١) أبا خالد ، فأخذه أفكل ، يعني : رعدة ، قال مقاتل : تفرق الماء يمينا وشمالا كالجلبين المتقابلين ، وفيها كوى ينظر كل سبط إلى الآخر . قال السدي : فلما رآه فرعون متفرقا قال : ألا ترون البحر فرق مني ، فانتح لي ؟ فأمت خيل فرعون فأبت أن تقتحم ، فنزل جبريل على ماذيانه ، فتشامت الحصن ربح الماذيانه ، فاقطعت في إثرها ، حتى إذا هم أولهم أن يخرج ، ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ .

قرأ أبو جعفر وأبو عمرو : « وعدنا » بنير ألف هاهنا ، وفي (الأعراف) و (طه) ووافقها أبان عن عاصم في (البقرة) خاصة . وقرأ الباقون « واعدنا » بألف . ووجه القراءة الأولى : إفراد الوعد من الله تعالى ، ووجه الثانية : أنه لما قبل موسى وعد الله عز وجل ، صار ذلك مواعدة بين الله تعالى وبين موسى . ومثله : (لَا تَوَاعِدُوهُمْ سِرًّا) البقرة : ٢٣٥ . ومعنى الآية : وعدنا موسى تممة أربعين ليلة ، أو انقضاء أربعين ليلة . وموسى : اسم أعجمي ، أصله بالعبرانية : موشا ، فمو : هو الماء ، وشا : هو الشجر ، لأنه وجد عند

(١) في الأصل : هي ، و « أبو خالد » كنى به البحر .

الماء والشجر ، فغرب بالسين . ولماذا كان هذا الوعد ؛ فيه قولان . أحدهما : لا أخذ التوراة . والثاني : للتكليم . وفي هذه المدة قولان . أحدهما : أنها ذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، وهذا قول من قال : كان الوعد لإعطاء التوراة . والثاني : أنها ذو الحجة وعشر من المحرم ، وهو قول من قال : كان الوعد للتكليم ، وإنما ذكرت الليالي دون الأيام ، لأن عادة العرب التأريخ بالليالي ، لأن أول الشهر ليلة ، واعتماد العرب على الأهلة ، فصارت الأيام تبعاً لليالي . وقال أبو بكر النقاش : إنما ذكر الليالي ، لأنه أمره أن يصوم هذه الأيام ويواصلها بالليالي ، فذلك ذكر الليالي وليس بشيء .

قوله تعالى ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ من بعده ، أي : من بعد انطلاقه إلى الجبل .

الإشارة إلى اتخاذهم العجل

روى السدي عن أشياخه أنه لما انطلق موسى ، واستخلف هارون ، قال هارون : يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم ، وإن حلي القبط غنيمة فاجمعوه واحفروا لها حفيرة ، فادفنوه ، فإن أحله موسى فخذوه ، وإلا كان شيئاً لم تأكلوه ، ففعلوا . قال السدي : وكان جبريل قد أتى إلى موسى ليذهب به إلى ربه ، فرآه السامري ، فأنكره وقال : إن لهذا شأنًا ، فأخذ قبضة من أثر حافر الفرس ، فقذفها في الحفيرة ، فظهر العجل . وقيل : إن السامري أمرهم بالقاء ذلك الحلي ، وقال : إنما طالت غيبة موسى عنكم لأجل ما معكم من الحلي ، فاحفروا لها حفيرة وقربوه إلى الله ، يبعث لكم نبيكم ، فإنه كان عارية ، ذكره أبو سليمان الدمشقي .

وفي سبب اتخاذ السامري عجلاً قولان . أحدهما : أن السامري كان من قوم يعبدون البقر ، فكان ذلك في قلبه ، قاله ابن عباس ، والثاني : أن بني إسرائيل لما مروا على قوم

يسكفون على أصنام لهم ، أعجبهم ذلك ، فلما سألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً وأنكر عليهم ؛ أخرج السامريّ لهم في غيبته عجلاً لما رأى من استحسانهم ذلك ، قاله ابن زيد .

وفي كيفية اتخاذ العجل قولان . أحدهما : أن السامري كان صوّاعاً ، فصاغه وألقى فيه القبضة ، قاله علي وابن عباس . والثاني : أنهم حفروا حفيرة ، وألقوا فيها حلي قوم فرعون وعواريهم تنزهاً عنها ، فألقى السامريّ القبضة من التراب ، فصار عجلاً . روي عن ابن عباس أيضاً . قال ابن عباس : صار لحماً ودماً وجسداً ، فقال لهم السامري : هذا إلهكم وإله موسى قد جاء ، وأخطأ موسى الطريق ، فعبدوه وزفنوا حوله ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا آتَيْنَا موسى الكتاب والفرقان لعلمك تهتدون ﴾ الكتاب : التوراة . وفي الفرقان خمسة أقوال . أحدها : أنه النصر ، قاله ابن عباس وابن زيد . والثاني : أنه مافي النوراة من الفرق بين الحق والباطل ، فيكون الفرقان نعتاً للتوراة ، قاله أبو العالية . والثالث : أنه الكتاب ، فكرره بغير اللفظ . قال عدي بن زيد :

فألقي قولها كذباً ومينا

وقال عنتره :

أقوى وأقصر بعد أم الهيثم

هذا قول مجاهد ، واختيار الفراء والزجاج . والرابع : أنه فرق البحر لهم ، ذكره الفراء والزجاج وابن القاسم . والخامس : أنه القرآن . ومعنى الكلام : لقد آتينا موسى الكتاب ، ومحمداً الفرقان ، ذكره الفراء ، وهو قول قطرب .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

القوم : اسم للرجال دون النساء ، قال الله تعالى : (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء) الحجرات : ١١ . وقال زهير :
وما أدري وسوف إخال أدري
أقوم آل حصن أم نساء ؟
وإنما سموا قوماً ، لأنهم يقومون بالأُمور .

قوله تعالى : (فتوبوا إلى بارئكم) قال أبو علي : كان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يَكسرون الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف . وروى اليزيدي وعبد الوارث عن أبي عمرو : (بارئكم) بحزم الهمزة . روى عنه العباس بن الفضل : « بارئكم » مهموزة غير مثقلة . وقال سيديويه : كان أبو عمر يَحْتَلِس الحركة في : « بارئكم » و : « يأمركم » وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات ، فيرى من سمعه أنه قد أسكن ولم يسكن .

والبارئ : الخالق . ومعنى (فاقتلوا أنفسكم) : ليقتل بعضهم بعضاً ، قاله ابن عباس ومجاهد .

واختلفوا فيمن خوطب بهذا على ثلاثة أقوال . أحدها : أنه خطاب للكل ، قاله السدي عن أشياخه . والثاني : أنه خطاب لمن لم يبدل يقاتل من عبد ، قاله مقاتل . والثالث : أنه خطاب للعابدين فحسب ، أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً ، قاله أبو سليمان الدمشقي . وفي الإشارة بقوله : « ذا » في : « ذلكم » قولان . أحدهما : أنه يعود إلى القتل . والثاني : أنه يعود إلى التوبة .

الإشارة إلى قصتهم في ذلك

قال ابن عباس : قالوا لموسى : كيف يقتل الآباء الأبناء ، والإخوة الإخوة ؟ فأُنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً ، فقالوا : فما آية توبتنا ؟

قال : أن يقوم السلاح فلا يقتل ، وترفع الظلمة . فقتلوا حتى خاضوا في الدماء ، وصاح الصبيان : يا موسى : العفو العفو . فبكى موسى ، فنزلت التوبة ، وقام السلاح ، وارتفعت الظلمة . قال مجاهد : بلغ القتلى سبعين ألفاً . قال قتادة : جعل القتل للقتيل شهادة ، وللحي توبة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكَ مِنَ الصَّاعِقَةِ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَدْمُونِمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .
 في القائلين لموسى ذلك قولان . أحدهما : أنهم السبعون المختارون ، قاله ابن مسعود وابن عباس . والثاني : جميع بني إسرائيل إلا من عصم الله منهم ، قاله ابن زيد ، قال : وذلك أنه أتاهم بكتاب الله ، فقالوا : والله لا نأخذ بقولك حتى نرى الله جهرة ؛ فيقول : هذا كتابي . وفي « جهرة » قولان . أحدهما : أنه صفة لقولهم ، أي : جهروا بذلك القول ، قاله ابن عباس ، وأبو عبيدة . والثاني : أنها الرؤية البينة ، أي : أرناهم غير مستترعنا بشيء ، يقال : فلان يتجاهر بالمعاصي ، أي : لا يستتر من الناس ، قاله الزجاج . ومعنى « الصاعقة » : ما يصعقون منه ، أي : يموتون . ومن الدليل على أنهم ماتوا ، قوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاكَ) هذا قول الأكثرين . وزعم قوم أنهم لم يموتوا ، واحتجوا بقوله تعالى : (وَخَرَّ مُوسَى صَعْقَةً) وهذا قول ضعيف ، لأن الله تعالى فرق بين الموضعين ، فقال هناك : (فلما أفاق) وقال هاهنا : (ثُمَّ بَعَثْنَاكَ) والإفاقة للمغشي عليه ، والبحث للميت .

قوله تعالى : (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه : ينظر بعضهم إلى بعض كيف يقع ميتاً . والثاني : ينظر بعضهم إلى إحياء بعض . والثالث : تنظرون العذاب كيف ينزل بكم ، وهو قول من قال : نزلت نار فأحرقتهم .
 قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(الغمام) : السحاب ، سمي غماماً ، لأنه يغم السماء ، أي : يسترها ، وكل شيء غطيته فقد غمته ، وهذا كان في التيه . وفي المن ثمانية أقوال . أحدها : أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس ، قاله ابن عباس والشعبي والضحاك . والثاني : أنه الترنجيبين ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وهو قول مقاتل . والثالث : أنه صمغ ، قاله مجاهد . والرابع : أنه يشبه الرب الغليظ ، قاله عكرمة . والخامس : أنه شراب ، قاله أبو العالية ، والربيع بن أنس . والسادس : أنه خبز الرقاق مثل الذرة ، أو مثل النقي ، قاله وهب . والسابع : أنه عسل ، قاله ابن زيد . والثامن : أنه الترنجيبيل ، قاله السدي .

وفي السلوى قولان . أحدهما : أنه طائر ، قال بعضهم : يشبه السمانى ، وقال بعضهم : هو السمانى . والثاني : أنه العسل^(١) ذكره ابن الأنباري ، وأنشد :

وقاسمها بالله جهداً لا نتم
ألد من السلوى إذا ما نشورها

قوله تعالى : (وما ظلمونا) قال ابن عباس : ما نقصونا وضررنا ، بل ضررنا أنفسهم .

قوله تعالى : ﴿ واذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا

الباب سجداً وقولوا حطة تنفروا لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ﴾ .

في القائل لهم قولان . أحدهما : أنه موسى بعد مضي أربعين سنة . والثاني : أنه

يوشع بن نون بعد موت موسى . والقرية : مأخوذة من الجمع ، ومنه : قرية الماء في الحوض .

والمقرة : الحوض يجمع فيه الماء . وفي المراد بـ : هذه القرية قولان . أحدهما : أنها بيت

المقدس ، قاله ابن مسمود وابن عباس وقتادة والسدي . وروي عن ابن عباس أنها أريحا .

قال السدي : وأريحا : هي أرض بيت المقدس . والثاني : أنها قرية من أداني قرى الشام ،

قاله وهب .

(١) نقل ابن عطية أن السلوى طير باجماع المفسرين ، وغلط الشاعر ، وهو خالد بن زهير الهذلي

حين ظن أن السلوى العسل في البيت الذي استشهد به المصنف ، وقد رد عليه القرطبي ، بأن دعوى الاجماع لا تصح .

قوله تعالى : (وادخلوا الباب سجداً) قال ابن عباس : وهو أحد أبواب بيت المقدس ، وهو يدعى : باب حطة . وقوله : (سجداً) أي : ركعاً . قال وهب : أمروا بالسجود شكراً لله تعالى إذ ردهم إليها .

قوله تعالى : (وقولوا حطة) وقرأ ابن السميع وابن أبي عتبة (حطة) بالنصب . وفي معنى حطة ثلاثة أقوال .

أحدها : أن معناه : استغفروا ، قاله ابن عباس ووهب . قال ابن قتيبة : وهي كلمة [أمروا أن يقولوها] في معنى الاستغفار ، من : حططت ، أي : حط عنا ذنوبنا .

والثاني : أن معناها : قولوا : هذا الأمر حق كما قيل لكم ، ذكره الضحاك عن ابن عباس . والثالث : أن معناها : لا إله إلا الله ، قاله عكرمة . قال ابن جرير الطبري : فيكون المعنى : قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم . [وهو قول : « لا إله إلا الله » .]

ولماذا أمروا بدخول القرية ؛ فيه قولان . أحدهما : أن ذلك لذنوب ركبوها فقليل : (ادخلوا القرية) ، (وادخلوا الباب سجداً) نفّر لكم خطاياكم) قاله وهب . والثاني : أنهم ملوا المن والسلوى ، فقليل : (اهبطوا مصرأ) فكان أول ما لقيهم أريحا ، فأمرؤا بدخولها .

قوله تعالى : (نفّر لكم خطاياكم) .

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي : (نفّر لكم) بالنون مع كسر الفاء . وقرأ نافع وأبان عن عاصم (ينفر) ياء مضمومة وفتح الفاء . وقرأ ابن عامر بقاء مضمومة مع فتح الفاء .

قوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ .

اعلم أن الله ، عز وجل ، أمرهم في دخولهم بفعل وقول ، فالفعل السجود ، والقول : حطة ، فغير القوم الفعل والقول .

فأما تغيير الفعل ؛ ففيه خمسة أقوال .

أحدها : أنهم دخلوا مترحفين على أوزراكهم . رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ^(١) والثاني : أنهم دخلوا من قبل أستاذهم ، قاله ابن عباس وعكرمة . والثالث : أنهم دخلوا مقنعي رؤوسهم ، قاله ابن مسعود^(٢) . والرابع : أنهم دخلوا على حروف عيونهم ، قاله مجاهد . والخامس : أنهم دخلوا مستلقين ، قاله مقاتل .
وأما تغيير القول ؛ ففيه خمسة أقوال .

أحدها : أنهم قالوا مكان « حطة » : حبة في شعرة ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ^(٣) . والثاني : أنهم قالوا : حنطة ، قاله ابن عباس وعكرمة ، ومجاهد ، وهب ، وابن زيد . والثالث : أنهم قالوا : حنطة حمراء فيها شعرة ، قاله ابن مسعود . والرابع : أنهم قالوا : حبة حنطة مثقوبة فيها شعيرة سوداء ، قاله السدي عن أشياخه . والخامس : أنهم قالوا : سنبلاثا ، قاله أبو صالح .

فاما الرجز ؛ فهو العذاب ، قاله الكسائي وأبو عبيدة والراجح . وأنشدوا الرؤبة :

حتى وقفنا كيدَه بالرجز

وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوال . أحدها : أنه ظلمة وموت ، مات منهم في ساعة واحدة ، أربعة وعشرون ألفاً ، وهلك سبعون ألفاً عقوبة ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه أصابهم الطاعون ، عذبوا به أربعين ليلة ثم ماتوا ، قاله وهب بن منبه . والثالث : أنه الثلج ، هلك به منهم سبعون ألفاً ، قاله سعيد بن جبير .

(١) الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من طريق أبي هريرة بلفظ « فدخلوا يرحفون على أستاذهم » رواه البخاري في التفسير . أما لفظ « مترحفين على أوزراكهم » فلم يرو عن أبي هريرة ، وإنما هو من قول الحسن وقتادة كما في « تفسير الطبري » .

(٢) وأسند هذا القول الطبري أيضاً إلى ابن عباس وعكرمة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوِّهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْشَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

استسقى بمعنى : استدعى ذلك ، كقولك : استنصر .

وفي الحجر قولان .

أحدهما : أنه حجر معروف عين لموسى ، قاله ابن عباس ، وابن جبير ، وقتادة ، وعطية ، وابن زيد ، ومقاتل . واختلفوا في صفته على ثلاثة أقوال . أحدها : أنه كان حجراً مربعاً ، قاله ابن عباس . والثاني : كان مثل رأس الثور ، قاله عطية . والثالث : مثل رأس الشاة ، قاله ابن زيد . وقال سعيد بن جبير : هو الذي ذهب بثياب موسى . فجاءه جبريل فقال : إن الله تعالى يقول لك : ارفع هذا الحجر ، فلي فيه قدرة ، ولك فيه معجزة ، فكان إذا احتاج إلى الماء ضربه .

والقول الثاني : أنه أمر بضرب أي حجر كان ، والأول أثبت .

قوله تعالى : (فانفجرت منه)

تقدير معناه : فضرِب فانفجرت ، فلما عرف بقوله : « فانفجرت » أنه قد ضرب ، اكتفى بذلك عن ذكر الضرب . ومثله : (أن اضرب بعصاك البحر فانفاق) الشعراء : ٦٣ قاله الفراء . ولما كان القوم اثني عشر سبطاً ، أخرج الله لهم اثني عشرة عيناً ، ولأنه كان فيهم تشاحن فسلموا بذلك منه .

قوله تعالى : (ولا تعشوا)

العشو : أشد الفساد ، يقال : عشي ، وعشا ، وعاث . قال ابن الرقاع :

لولا الحياء وأن رأسي قد عشا فيه المشيب لزرت أم القاسم

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعِ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَلَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِن لَّكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

هذا قولهم في التيه . وعنوا بالطعام الواحد : المن والسلوى . قال محمد بن القاسم : كان المن يؤكل بالسلوى ، والسلوى بالمن ، فذلك كانا طعاماً واحداً . والبقل هاهنا : اسم جنس ، وعنوا به : البقول . وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال : تذهب العامة إلى أن البقل : ما يأكله الناس خاصة دون البهائم من النباتات الناجم الذي لا يحتاج في أكله إلى طبخ ، وليس كذلك ، إنما البقل : العشب ، وما ينبت الربيع مما يأكله الناس والبهائم ، يقال : بقلت الأرض ، وأبقلت ، لغتان فصيحتان : إذا أنبت البقل . وابتقلت الإبل : إذا رعت . قال أبو النجم يصف الإبل :

تبقلت في أول النبل
بين رماحي مالك ومهشل

وفي « القناء » لغتان : كسر القاف وضمها ، والكسر أجود ، وبه قرأ الجمهور . وقرأ ابن مسعود ، وأبو رجاء ، وقناة ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش : بضم القاف . قال الفراء : الكسر لغة أهل الحجاز ، والضم لغة تميم ، وبغض بني أسد .
وفي « القوم » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الخطئة ، قاله ابن عباس ، والسدي عن أشياخه ، والحسن وأبو مالك ، قال الفراء : هي لغة قديمة ، يقول أهلها : قوموا لنا ، أي : اختبزوا لنا .

والثاني : أنه الثوم ، وهو قراءة عبد الله وأبي : « وثومها » واختاره الفراء ، وعلل بأنه ذكر مع ما يشاكله ، والفاء تبدل من الشاء ، كما تقول العرب : الحدث ، والجدف : لاقبر ، والأنافي والاثاني : للحجارة التي توضع تحت القدر . والمعافير ، والمغائير : لضرب من الصمغ . وهذا قول مجاهد ، والريبع بن أنس ، ومقاتل ، والكسائي ، والنضر بن شميل وابن قتيبة .

والثالث : أنه الخبؤ ، ذكره ابن قتيبة والزجاج .

قوله تعالى : (أتستبدلون الذي هو أدنى) : أي : أردأ (بالذي هو خير) : أي : أعلى ، يريد : أن المن والسلوى أعلى ما طلبتم .

قوله تعالى : (اهبطوا مصرًا) فيه قولان . أحدهما : أنه اسم لمصر من الأمصار غير معين ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ، وإنما أمروا بالمصر ، لأن الذي طلبوه في الأمصار . والثاني : أنه أراد البلد المسمى بمصر . وفي قراءة عبد الله والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش « مصر » بغير تنوين ، قال أبو صالح عن ابن عباس : أراد مصر فرعون ، وهذا قول أبي العالية والضحاك ، واختاره الفراء ، واحتج بقراءة عبد الله . قال : وسئل عنها الأعمش ، فقال : هي مصر التي عليها صالح ^(١) بن علي . وقال مفضل الضبي : سميت مصرًا ، لأنها آخر حدود المشرق ، وأول حدود المغرب ، فهي حد بينهما . والمصر : الحد . وأهل هجر يكتبون في عهدم : اشترى فلان الدار بمصورها ، أي : بمحدودها . وقال عدي :

وجاعل الشمس مصرًا لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا

(١) في الأصل : سليمان ، وهو خطأ . وصالح هذا : هو ابن علي بن عبد الله بن العباس ، أول من ولي مصر من قبل أبي العباس السفاح سنة ١٣٣ هـ . وتوفي بقتنرين وهو عامل علي حمص سنة ١٥٤ هـ .

وحكى ابن فارس أن قوماً قالوا : سميت بذلك لقصد الناس إياها ، كقولهم : مضرت الشاة ، إذا حلبتها ، فالناس يقصدونها ، ولا يكادون يرغبون عنها إذا نزلوها .

قوله تعالى : (وضربت عليهم الذلة) : أي : أزموها ، قال الفراء : الذلة والذل : بمعنى واحد وقال الحسن : هي الجزية . وفي المسكنة قولان .

أحدهما : أنها الفقر والفاقة ، قاله أبو العالية ، والسدي ، وأبو عبيدة ، وروي عن السدي قال : هي فقر النفس .

والثاني : الخضوع ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (وبأؤوا) أي : رجعوا . وقوله تعالى : (ذلك) إشارة إلى الغضب . وقيل : إلى جميع ما أزموه من الذلة والمسكنة وغيرها .
قوله تعالى : (وَيَذَرُونَ النَّبِيِّينَ)

كان نافع يهمز « النبيين » و « الأنبياء » و « النبوة » وما جاء من ذلك ، إلا في موضعين في الأحزاب : (لا تدخلوا بيوت النبي) ٥٣ (إن وهبت نفسها للنبي) ٥٠ . وإنما ترك الهمز في هذين الموضعين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد ، وباقي القراء لا يهزمون جميع المواضع . قال الزجاج : الأجود ترك الهمز . واشتقاق النبي من : نبأ ، وأنبأ ، أي : أخبر . ويجوز أن يكون من : نبا ينبو : إذا ارتفع ، فيكون بغير همز : فمبلاً ، من الرفعة . قال عبد الله بن مسعود : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ، ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار .

قوله تعالى : (بغير الحق) فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه : بغير جرم ، قاله ابن الأنباري . والثاني : أنه توكيد ، كقوله تعالى : (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) . والثالث : أنه خارج مخرج الصفة لقتلهم أنه ظلم ، فهو كقوله تعالى :

(رب احكم بالحق) فوصف حكمه بالحق ، ولم يدل على أنه يحكم بغير الحق .
قوله تعالى : (وكانوا يعتدون) العدوان : أشد الظلم . وقال الزجاج : الاعتداء :
مجاوزه القدر في كل شيء .

قوله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فاهم أجبرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ﴾ .

قوله تعالى : (إن الذين آمنوا) فيهم خمسة أقوال .

أحدها : أنهم قوم كانوا مؤمنين بعبسى قبل أن يبعث محمد ﷺ ، قاله ابن عباس .
والثاني : أنهم الذين آمنوا بموسى ، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى ، فأمنوا به وعملوا
بشريعته إلى أن جاء محمد . وهذا قول السدي عن أشياخه . والثالث : أنهم المنافقون ، قاله
سفيان الثوري . والرابع : أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام ، كقنس بن ساعدة ، وبجيراء ،
وورقة بن نوفل ، وسلمان . والخامس : أنهم المؤمنون من هذه الأمة .

قوله تعالى : ﴿ والذين هادوا ﴾ قال الزجاج : أصل هادوا في اللغة : تابوا . وروي
عن ابن مسعود أن اليهود سموا بذلك ، لقول موسى : (هدنا إليك) ، والنصارى لقول عيسى :
(من أنصاري إلى الله) . وقيل : سموا النصارى لقربة ، نزلها المسيح ، اسمها : ناصرة ،
وقيل : لتناصرهم .

فأما « الصابئون » فقرأ الجمهور بالهمز في جميع القرآن . وكان نافع لا يهمز كل
المواضع . قال الزجاج : معنى الصابئين : الخارجون من دين إلى دين ، يقال : صبأ فلان : إذا
خرج من دينه . وصبأت النجوم : إذا طلعت [وصبأ نأبؤه : إذا خرج] .

وفي الصابئين سبعة أقوال .

أحدها: أنه صنف من النصارى ألين قولاً منهم ، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم ، روي عن ابن عباس .

والثاني : أنهم قوم بين النصارى والمجوس ، ليس لهم دين ، قاله مجاهد .

والثالث : أنهم قوم بين اليهود والنصارى ، قاله سعيد بن جبير .

والرابع : قوم كالمجوس ، قاله الحسن والحكم .

والخامس : فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور ، قاله أبو العالية .

والسادس : قوم يصلون إلى القبلة ، ويعبدون الملائكة ، ويقرؤون الزبور ، قاله قتادة .

والسابع : قوم يقولون : لا إله إلا الله ، فقط ، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : (من آمن) في إعادة ذكر الإيمان ثلاثة أقوال . أحدها : أنه لما ذكر مع المؤمنين طوائف من الكفار رجع قوله : (من آمن) إليهم . والثاني : أن المعنى من أقام على إيمانه . والثالث : أن الإيمان الأول نطق المناققين بالإسلام ، والثاني : اعتقاد القلوب . قوله تعالى : (وعمل صالحاً)

قال ابن عباس : أقام الفرائض .

❦ فصل ❦

وهل هذه الآية محكمة أم منسوخة ؟ فيه قولان .

أحدهما : أنها محكمة ، قاله مجاهد والضحاك في آخرين ، وقدروا فيها : إن الذين

آمَنُوا ، ومن آمن من الذين هادوا . والثاني : أنها منسوخة بقوله : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه) ، ذكره جماعة من المفسرين .

قوله تعالى : ﴿ واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾

الخطاب بهذه الآية لليهود . والميثاق : مفعال من التوثق يمين أو عهد أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكد القول .

وفي هذا الميثاق ثلاثة أقوال . أحدها : أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة ، فكرهوا الإقرار بما فيها ، فرفع عليهم الجبل ، قاله مقاتل . قال أبو سليمان الدمشقي : أعطوا الله عهداً ليعملنَّ بما في التوراة ، فلما جاء بها موسى فرأوا ما فيها من الثقل ، امتنعوا من أخذها ، فرفع الطور عليهم . والثاني : أنه ما أخذ الله تعالى على الرسل وآبائهم من الإيمان بمحمد ﷺ ، ذكره الزجاج . والثالث : ذكره الزجاج أيضاً ، فقال : يجوز أن يكون الميثاق يوم أخذ الذرية من ظهر آدم .

قوله تعالى : (ورفعنا فوقكم الطور) قال أبو عبيدة : الطور في كلام العرب : الجبل . وقال ابن قتيبة : الطور : الجبل بالسريانية . وقال ابن عباس . ما أنبت من الجبال فهو طور ، وما لم ينبت فليس بطور .

وأي الجبال هو ؟ فيه ثلاثة أقوال . أحدها : جبل من جبال فلسطين ، قاله ابن عباس . والثاني : جبل نزلوا بأصله ، قاله قتادة . والثالث : الجبل الذي تجلى له ربه ، قاله مجاهد . وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة . وقال السدي : لإبائهم دخول الأرض المقدسة .

قوله تعالى : (خذوا ما آتيناكم بقوة) .

وفي المراد بالقوة أربعة أقوال . أحدها : الجهد والاجتهاد ، قاله ابن عباس وقتادة والسدي . والثاني : الطاعة ، قاله أبو العالية . والثالث : العمل بما فيه ، قاله مجاهد . والرابع : الصدق ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : (واذكروا ما فيه) فيه قولان . أحدهما : اذكروا ما تضمنه من الثواب والعقاب ، قاله ابن عباس . والثاني : معناه : ادرسوا ما فيه ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (لعلكم تتقون) قال ابن عباس : تتقون العقوبة .

قوله تعالى : ﴿ ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ﴾ .

قوله تعالى : (ثم توليتهم) أي : أعرضتم عن العمل بما فيه من بعد إعطاء المواعيق لتأخذنه بجذ ، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين بالعقوبة .

قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ السبت : اليوم المعروف ، قاله ابن الأنباري : ومعنى السبت في كلام العرب : القطع ، يقال : قد سبت رأسه : إذا حلقه وقطع الشعر منه ، ويقال : نمل سبتية : إذا كانت مدبوغة بالقرظ مخلوطة الشعر ، فسمي السبت سبتاً ، لأن الله تعالى ابتداء الخلق فيه ، وقطع فيه بعض خلق الأرض ، أو : لأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بقطع الأعمال وتركها . قال : وقال بعضهم : سمي سبتاً ، لأن الله تعالى أمرهم بالاستراحة فيه من الأعمال ، وهذا خطأ ، لأنه لا يعرف في كلام العرب : سبت بمعنى : استراح .

وفي صفة اعتدائهم في السبت قولان . أحدهما : أنهم أخذوا الحيتان يوم السبت ، قاله الحسن ومقاتل . والثاني : أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد ، وذلك أن الرجل كان يحفر الحفيرة ؛ ويجعل لها نهراً إلى البحر ، فإذا كان يوم السبت فتح النهر ، وقد حرم الله عليه العمل يوم السبت ، فيقبل الموج بالحيتان حتى يلقيها في الحفيرة ، فيريد الحوت الخروج فلا يطيق ، فيأخذها يوم الأحد ، قاله السدي .

الإشارة إلى قصة مسخهم

روى عثمان بن عطاء عن أبيه قال: نودي الذين اعتدوا في السبت ثلاثة أصوات. نودوا: يا أهل القرية، فاقبته طائفة أكثر من الأولى، ثم نودوا: يا أهل القرية، فانتبه الرجال والنساء والصبيان، فقال الله لهم: (كونوا قردة خاسئين) فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون: يا فلان ألم نهكم؟ فيقولون برؤوسهم: بلى. قال قتادة: فصار القوم قردة تعاوي، لها أذنان بعدما كانوا رجالاً ونساء.

وفي رواية عن قتادة: صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، وما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم. وقال غيره: كانوا نحواً من سبعين ألفاً، وعلى هذا القول العلماء، غير ما روي عن مجاهد أنه قال: مسخت قلوبهم ولم تمسخ أبدانهم، وهو قول بعيد، قال ابن عباس: لم يحيو على الأرض إلا ثلاثة أيام، ولم يحيا مسخ في الأرض فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل. وزعم مقاتل أنهم عاشوا سبعة أيام، وماتوا في اليوم الثامن، وهذا كان في زمان داود عليه السلام.

قوله تعالى: (خاسئين): الخاسيء في اللغة: المبعد، يقال للكلب: خساً، أي: تباعد.

قوله تعالى: ﴿فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾

في المكنى عنها أربعة أقوال. أحدها: أنها الخطيئة، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: العقوبة، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال الفراء: الهاء: كناية عن المسخنة التي مسخوها. والثالث: أنها القرية، والمراد أهلها، قاله قتادة وابن قتيبة. والرابع: أنها الأمة التي مسخت، قاله الكسائي، والزجاج.

وفي النكال قولان. أحدهما: أنه العقوبة، قاله مقاتل والثاني: العبرة، قاله ابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: (لما بين يديها وما خلفها) فيه ثلاثة أقوال. أحدها: لما بين يديها

من القرى وما خلفها ، رواه عكرمة عن ابن عباس . والثاني : لما بين يديها من الذنوب ، وما خلفها : ما عملوا بعدها ، رواه عطية عن ابن عباس . والثالث : لما بين يديها من السنين التي عملوا فيها بالمعاصي ، وما خلفها : ما كان بعدهم في بني إسرائيل لئلا يعملوا بمثل أعمالهم ، قاله عطية .

وفي المتقين قولان . أحدهما : أنه عام في كل متق إلى يوم القيامة ، قاله ابن عباس . والثاني : أن المراد بهم أمة محمد ﷺ ، قاله السدي عن أشياخه ، وذكره عطية وسفيان . قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالُوا ادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بُكْرَ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تَأْمُرُونَ ﴾ .

ذكر السبب في أمرهم بذبح البقرة

روى ابن سيرين عن عبدة قال : كان في بني إسرائيل رجل عقيم لا يولد له ، وله مال كثير ، وكان ابن أخيه وارثه ، فقتله واحتمله ليلاً ، فأتى به حياً آخر ، فوضعه على باب رجل منهم ، ثم أصبح يدعيه حتى تسلحوا ، وركب بعضهم إلى بعض ، فأتوا موسى فذكروا له ذلك ، فأمرهم بذبح البقرة .

وروى السدي عن أشياخه أن رجلاً من بني إسرائيل كانت له بنت وابن أخ فقير ، فخطب إليه ابنته ، فأبى ، فغضب وقال : والله لا قتلن عمي ، ولا آخذن ماله ولا نكحن ابنته ، ولا آكلن ذبته ، فأناه فقال : قد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل ، فانطلق معي فخذ لي من تجارتهم لعلني أصيب فيها ربحاً ، فخرج معه ، فلما بلغا ذلك السبط ، قتلته الفتى ، ثم رجع ، فلما أصبح ، جاء كأنه يطلب عمه لا يدري أين هو ، فاذا بذلك السبط قد اجتمعوا عليه ، فأمسكهم وقال : قتلتم عمي وجعل يبيكي

وينادي : واعماه . قال أبو العالية : والذي سأل موسى أن يسأل الله البيان : القاتل . وقال غيره : بل القوم اجتمعوا فسألوا موسى ، فلما أمرهم بذبح بقرة ، قالوا : أتتخذنا هزواً . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي : هزواً ، بضم الهاء والزاي والهمزة ، وقرأ حمزة ، وإسماعيل ، وخلف في اختياره ، والقراء عن عبد الوارث ، والمفضل : هزءاً ، بأسكان الزاي . ورواه حفص بالضم من غير همز ، وحكى أبو علي الفارسي أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم ، فن العرب من يثقله ، ومنهم من يخففه ، نحو السر واليسر . قوله تعالى : (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) .

وإنما اتقى من الهزء ، لأن الهازيء جاهل لاعب ، فلما تبين لهم أن الأمر من عند الله ، قالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) . قال الزجاج : وإنما سألوا : ما هي ، لأنهم لا يعلمون أن بقرة يحيا بضرب بعضها ميت .

فأما الفارض فهي : المسنة ، يقال : فرضت البقرة فهي فارض : إذا أسنت . والبكر : الصغيرة التي لم تلد ، والعوان : دون المسنة ، وفوق الصغيرة . يقال : حرب عوان : إذا لم تكن أول حرب ، وكانت ثانية .

قوله تعالى : ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال : إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإننا لنإل الله لمهندون ﴾ .

في الصفراء قولان . أحدهما : أنه من الصفرة ، وهو : اللون المعروف ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ، وابن قتيبة ، والزجاج . والثاني : أنها السوداء ، قاله الحسن البصري ، ورده جماعة ، فقال ابن قتيبة : هذا غلط في نموت البقر ، وإنما يكون ذلك في نموت الإبل ، يقال : بعير أصفر ، أي : أسود ، لأن السوداء من الإبل يشوب سوادها صفرة ،

ويدل على ذلك : قوله تعالى : (فاقع لونها) والعرب لا تقول : أسود فاقع ، وإنما تقول : أسود حالك ، وأصفر فاقع .

قال الزجاج : وفاقع نعت للأصفر الشديد الصفرة ، يقال : أصفر فاقع ، وأحمر قانيء ، وأخضر ناضر ، وأبيض يقق ، وأسود حالك ، وحلكوك ودجوجي ، فهذه صفات المبالغة في الألوان .

ومعنى (تسر الناظرين) تعجبهم قال ابن عباس : شدد القوم فشدد الله عليهم . وروى أبو هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « لولا أن بني إسرائيل استثنوا لم يعطوا الذي أعطوا » يعني بذلك قولهم . (وإنا إن شاء الله لمهتدون) .

وفي المراد باهتدائهم قولان . أحدهما : أنهم أرادوا : المهتدون إلى البقرة ، وهو قول الأكثرين . والثاني : إلى القاتل ، ذكره أبو صالح عن ابن عباس .

قوله تعالى : ﴿ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبوها وما كادوا يفعلون ﴾ .

قوله تعالى : (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول) قال قتادة : لم يذللها العمل فتثير الأرض . قال ابن قتبية : يقال في الدواب : دابة ذلول : يئنه الذل بكسر الدال ، وفي الناس : رجل ذليل بين الذل بضم الدال .

(تثير الأرض) : تقلبها للزراعة ، ويقال للبقرة : المثيرة . قال الفراء : لا تقفن على ذلول ، لأن المعنى : ليست بذلول فتثير الأرض ، وحكى ابن القاسم أن أبا حاتم السجستاني أجاز الوقف على ذلول ، ثم أنكره عليه جداً ، وعلل بأن التي تثير الأرض لا بعدم منها سقي الحرث ، ومتى أثارت الأرض كانت ذلولاً . ومعنى : ولا تسقي الحرث : لا يستقي عليها الماء لسقي الزرع .

قوله تعالى : (مسلّمة) فيه أربعة أقوال .

أحدها : مسلّمة من العيوب ، قاله ابن عباس ، وأبو العالية ، وقادة ، ومقاتل . والثاني : مسلّمة من العمل ، قاله الحسن وابن قتيبة . والثالث : مسلّمة من الشية ، قاله مجاهد وابن زيد ، والرابع : مسلّمة القوائم والخلق ، قاله عطاء الخراساني .

فأما الشية ، فقال الزجاج : الوشي في اللغة : خلط لون بلون . ويقال : وشيت الثوب أشبه شية ووشياً ، كقولك : ودبت فلاناً أديه دية . ونصب : لاشية فيها ، على النفي . ومعنى الكلام : ليس فيها لون يفارق سائر لونها . وقال عطاء الخراساني : لونها لون واحد . قوله تعالى : (الآن جئت بالحق) قال ابن قتيبة : الآن : هو الوقت الذي أنت فيه ، وهو حدّ الزمانين ، حدّ الماضي من آخره ، وحدّ المستقبل من أوله ، ومعنى (جئت بالحق) بينت لنا .

قوله تعالى : (وما كادوا يفعلون) فيه قولان . أحدهما : لغلاء ثمنها ، قاله ابن كعب القرظي . والثاني : لخوف الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم ، قاله وهب . قال ابن عباس : مكثوا يطلبون البقرة أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل ، فأبى أن يبيعها إلا بملء مسكها ذهباً ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة ، وعبيدة ، وهب ، وابن زيد ، والكلي ، ومقاتل في مقدار الثمن . فأما السبب الذي لأجله غلا ثمنها ، فيحتمل وجهين . أحدهما : أنهم شددوا فشدّد الله عليهم . والثاني : لإكرام الله عز وجل صاحبها ، فانه كان برأ بوالديه . فذكر بعض المفسرين أنه كان شاب من بني إسرائيل برأ بأبيه ، فجاء رجل يطلب سلعة هي عنده ، فانطلق لبيعه إياها ، فاذا مفاتيح حانوته مع أبيه ، وأبوه نائم ، فلم يوقظه ، ورد المشتري ، فأضعف له المشتري الثمن ، فرجع إلى أبيه ، فوجده نائماً ، فعاد إلى المشتري فردّه ، فأضعف له الثمن ، فلم يزل ذلك دأبها حتى ذهب المشتري ، فأنابه الله على بره بأبيه أن تجت له بقرة من بقره ، تلك البقرة .

وروي عن وهب بن منبه في حديث طويل أن فتى كانت برأ بوالديه ، وكان يحتطب على ظهره ، فإذا باعه تصدق بثلثه ، وأعطى أمه ثلثه ، وأبقى لنفسه ثلثه ، فقالت له أمه يوماً : إني ورثت من أهلك بقرة ، فتركها في البقر على اسم الله ، فإذا أتيت البقر ، فادعها باسم إله إبراهيم ، فذهب فصاح بها ، فأقبلت ، فأنطقها الله ، فقالت : اركبني يا فتى ، فقال [الفتى : إن أمي] لم تأمرني بهذا . فقالت : أيها البر بأمه ! لو ركبتني لم تقدر عليّ ، فأنطلق ، فلو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله [وينطلق معك] لا تنقلع لبرك بأمك . فلما جاء بها قالت أمه : بعها بثلاثة دنانير على رضى مني ، فبعث الله ملكاً فقال : بكم هذه ؟ قال : بثلاثة دنانير على رضى من أمي . قال : لك ستة ولا تستأمرها ، فأبى ، وعاد إلى أمه فأخبرها ، فقالت : بعها بستة على رضى مني ، فجاء الملك فقال : خذ اثني عشر ولا تستأمرها ، فأبى ، وعاد إلى أمه فأخبرها ، فقالت : يا بني ! ذاك ملكك ، فقل له : بكم تأمرني أن أبيعها ؟ فجاء إليه فقال له ذلك ، فقال : يا فتى يشتري بقرتك هذه موسى بن عمران لقتيل يقتل في بني إسرائيل .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

قوله تعالى : (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا) هذه الآية مؤخرة في التلاوة ، مقدمة في المعنى ، لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النفس ، فتقدير الكلام : وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادَّارَأْتُمْ فِيهَا ، فسألتم موسى فقال : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً) . ونظيرها قوله تعالى : (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيمًا) الكهف : أراد : أنزل الكتاب قِيمًا ، ولم يجعل له عِوَجًا ، فأخر المقدم وقدم المؤخر ، لأنه من عادة العرب . قال الفرزدق :

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةً مَلُومَةً طالت فليس تنالها الأوعالا

أراد : طالت الأوعال . وقال جرير :

طاف الخيال وأين منك لما فارجع لزورك بالسلام سلاماً

أراد : طاف الخيال لماماً ، وأين هو منك ؟ وقال الآخر :

خير من القوم العصاة أميرهم - يا قوم فاستحيوا - النساء الجلّس

أراد : خير من القوم العصاة النساء ، فاستحيوا من هذا .

ومعنى قوله : (فادارآتم) : اختلفتم ، قاله ابن عباس ومجاهد . وقال الزجاج : ادّارآتم ، بمعنى : تدارآتم ، أي : تذاقتم ، وألقى بعضهم على بعض ، تقول : درأت فلاناً : إذا دفعته ، وداريته : إذا لا يثته ، ودريته إذا ختلته ، فأدغمت التاء في الدال ، لأنهما من مخرج واحد ، فأما الذي كتبه : فهو أمر القتل .

قوله تعالى : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يُحيي الله الموتى ويُريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ .

من قال : أقاموا في طلبها أربعين سنة ؛ قال : ضربوا قبره ، ومن لم يقل ذلك ، قال : ضربوا جسمه قبل دفنه . وفي الذي ضرب به ستة أقوال .

أحدها : أنه ضرب بالعظم الذي يلي المضروف ، رواه عكرمة عن ابن عباس . قال أبو سليمان الدمشقي : وذلك العظم هو أصل الأذن ، وزعم قوم أنه لا يكر ذلك العظم من أحد فيعيش . قال الزجاج : المضروف في الأذن ، وهو : ما أشبه العظم الرقيق من فوق الشحمة ، وجميع أعلى صفة الأذن ، وهو معلق الشنوف ، فأما العظمان اللذان خلف الأذن الناتان من مؤخر الأذن ، فيقال لهما : الخشّاوان ، والخششاوان ، واحدهما : خُشْءٌ ، وخُشْشاء .

والثاني : أنه ضرب بالفخذ ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وذكر عكرمة ومجاهد أنه الفخذ الأيمن .

والثالث : أنه البضة التي بين الكتفين . رواه السدي عن أشياخه .

والرابع : أنه الذنب ، رواه ليث عن مجاهد .

والخامس : أنه عجب الذنب ، وهو عظم بني عليه البدن ، روي عن سعيد بن جبير .
والسادس : أنه اللسان ، قاله الضحاك .

وفي الكلام اختصار تقديره : فقلنا : اضربوه ببعضها ليحيا ، فضربوه فحيي ، فقام
فأخبر بقاتله .

وفي قاتله أربعة أقوال . أحدها : بنو أخيه ، رواه عطية عن ابن عباس . والثاني :
ابن عمه ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وهذان القولان يدلان على أن قاتله أكثر من
واحد . والثالث : ابن أخيه ، قاله السدي عن أشياخه وعبيدة . والرابع : أخوه ، قاله عبد
الرحمن بن زيد .

قوله تعالى : (كذلك يحيي الله الموتى) : فيه قولان .

أحدهما : أنه خطاب لقوم موسى . والثاني : لمشركي قريش ، احتج عليهم إذ جحدوا
البعث بما يوافق عليه أهل الكتاب ، قال أبو عبيدة : وآياته : عجائبه .

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ وإن من الحجارة
لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من
خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴿

قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم) : قال إبراهيم بن السري : قست في اللغة : غلظت
ويستوعست ، فقسوة القلب : ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه . والقاسي :
والعاسي : الشديد الصلابة . وقال ابن قتيبة : قست وعست وعنت واحد ، أي : يست .

وفي المشار إليهم هنا قولان . أحدهما : جميع بني إسرائيل . والثاني : القاتل . قال
ابن عباس : قال الذين قتلوه بعد أن سمى قاتله : والله ما قتلناه . وفي كاف « ذلك » ثلاثة
أقوال . أحدها : أنه إشارة إلى إحياء الموتى ، فيكون الخطاب لجميع بني إسرائيل . والثاني :

إلى كلام القليل ، فيكون الخطاب للقاتل ، ذكرهما المفسرون . والثالث : إلى ما شرح من الآيات من مسخ القردة والخنازير ، ورفع الجبل وانجاس الماء ، وإحياء القليل ، ذكره الزجاج .

وفي «أو» أقوال ، هي بينهما مذكورة في قوله تعالى : (أو كصيب) وقد تقدمت . قوله تعالى : (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قال مجاهد : كل حجر ينفجر منه الماء ، وينشق عن ماء ، أو يتردى من رأس جبل ، فن خشية الله .

قوله تعالى : ﴿أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلامَ الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾

في المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال . أحدها : أنه النبي ﷺ ، خاصة ، قاله ابن عباس ومقاتل . والثاني : أنه المؤمنون ، تقديره : أفطمعون أن تصدقوا نبيكم ، قاله أبو العالية وقتادة . والثالث : أنهم الأنصار ، فانهم لما أسلموا أحبوا إسلام اليهود للرضاعة التي كانت بينهم ، ذكره النقاش . قال الزجاج : وألف «أفطمعون» ألف استخبار ، كأنه آيسهم من الطمع في إيمانهم .

وفي سماعهم لكلام الله قولان . أحدهما : أنهم قرؤوا التوراة فحرفوها ، هذا قول مجاهد والسدي في آخرين ، فيكون سماعهم لكلام الله بنبايغ نبيهم ، وتحريفهم : تغيير ما فيها . والثاني : أنهم السبعون الذين اختارهم موسى ، فسمعوا كلام الله كفاحاً عند الجبل ، فلما جاؤوا إلى قومهم قالوا : قال لنا : كذا وكذا ، وقال في آخر قوله : إن لم تستطيعوا ترك ما أنكم عنه فافعلوا ما تستطيعون . هذا قول مقاتل ، والأول أصح . وقد أنكر بعض أهل العلم ، منهم الترمذي^(١) صاحب «الزوائد» هذا القول إنكاراً شديداً ، وقال : إنما خص

(١) هو محمد بن علي ، أبو عبد الله ، عالم بالحديث وأصول الدين ، توفي نحو ٣٢٠ هـ ، وقد تكلم عليه بعض أهل العلم انظر «لسان الميزان» للمحافظ ابن حجر (٢٠٨/٥) .

بالكلام موسى وحده ، وإلا فأني ميزة ؟! وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذاباً .

ومعنى (عقلوه) : سمعوه ووعوه .

وفي قوله تعالى : (وهم يعلمون) قولان . أحدهما : وهم يعلمون أنهم حرّفوه . والثاني : وهم يعلمون عقاب تحريفه .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ هذه الآية نزلت في نفر من اليهود ، كانوا إذا لقوا النبي والمؤمنين قالوا : آمنا ، وإذا خلا بمَعْشُرِهِمْ إِلَى بَعْضٍ ، قالوا : أتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، هذا قول ابن عباس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، وابن زيد ، ومقاتل .

وفي معنى (بما فتح الله عليكم) قولان . أحدهما : بما قضى الله عليكم ، والفتح : القضاء ، ومنه قوله تعالى : (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) الأعراف : ٨٩ قال السدي عن أشياخه : كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا ، فكانوا يتحدثون المؤمنين بما عذبوا به ، فقال بعضهم لبعض : أتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ . [من العذاب ، ليقولوا : نحن أحب إلى الله منكم ، وأكرم على الله منكم] والثاني : أن معناه : بما علمكم الله . قال ابن عباس وأبو العالية وقتادة : الذي فتحه عليهم : ما أنزله من التوراة في صفة محمد ، ﷺ ، وقال مقاتل : كان المسلم يلقى حليفه ، أو أخاه من الرضاة من اليهود ، فيسأله : أتُحَدِّثُونَهُ مُحَمَّدًا فِي كِتَابِكُمْ ؟ فيقولون : نعم ، إنه لحق . فسمع كعب بن الأشرف وغيره ، فقال لليهود في السر : أتُحَدِّثُونَهُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، أي : بما بين لكم في التوراة من أمر محمد ليخاصموكم به عند ربكم باعترافكم أنه نبي ، أفلا تعقلون أن هذا حجة عليكم ؟!

قوله تعالى : (عند ربكم) فيه قولان . أحدهما : أنه بمعنى : في حكم ربكم ، كقوله تعالى : (فأولئك عند الله هم الكاذبون) النور : ١٣ والثاني : أنه أراد يوم القيامة .

﴿ ومنهم أمميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ﴾ .

قوله تعالى : (ومنهم أمميون) يعني : اليهود . والأمي : الذي لا يكتب ولا يقرأ ، قاله مجاهد . وفي تسميته بالأمي قولان . أحدهما : لأنه على خلقة الأمة التي لم تتعلم الكتاب ، فهو على جبلته ، قاله الزجاج . والثاني : أنه ينسب إلى أمه ، لأن الكتابة في الرجال كانت دون النساء . وقيل : لأنه على ما ولدته أمه .

قوله تعالى : (لا يعلمون الكتاب) قال قتادة : لا يدرون ما فيه .

قوله تعالى : (إلا أماني) (جمهور القراء على تشديد الياء ، وقرأ الحسن ، وأبو جعفر ، بتخفيف الياء ، وكذلك : (تلك أمانيهم) البقرة : ١١١ و (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) النساء : ١٢٣ (في أمنيته) الحج : ٥٢ (وغرتم الأماني) الحديد : ١٤ كله بتخفيف الياء وكسر الهاء من « أمانيهم » . ولا خلاف في فتح ياء « الأماني » .

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الأكاذيب . قال ابن عباس : إلا أماني : يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً . وهذا قول مجاهد واختيار القراء . وذكر القراء أن بعض العرب قال لابن دأب ^(١) وهو يحدث : أهذا شيء رويته ، أم شيء تمنيت ، يريد : افتعلته ؟ .
والثاني : أن الأماني : التلاوة ، فعناه : لا يعلمون فقه الكتاب ، إنما يقتصرون على

ما يسمعون به يتلى عليهم . قال الشاعر :

تمنى كتاب الله أول ليلة

تمنى داود الزبور على رسل

وهذا قول الكسائي والزجاج .

(١) هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب اللدني كان يضع الشعر ، وأحاديث السمر ، وكلاماً

ينسب إلى العرب ، فسقط وزهبت روايته .

والثالث : أنها أمانيتهم على الله، قاله قتادة .

قوله تعالى : (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) قال مقاتل : ليسوا على يقين ، فإن كذب الرؤساء أو صدقوا ، تابعوهم .

قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

هذه الآية نزلت في أهل الكتاب [الذين] بدلوا التوراة وغيروا صفة النبي ﷺ

فيها . وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن زيد وسفيان . فأما الويل : فروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : « ويل : واد في جهنم ، يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره »^(١) وقال الزجاج : الويل : كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة ، ويستعملها هو أيضاً^(٢) . وأصلها في اللغة : العذاب والهلاك . قال ابن الأنباري : ويقال : معنى الويل : المشقة من العذاب . ويقال : أصله : وي لفلان ، أي : حزن لفلان ، فكثر الاستعمال للحرفين ، فوصلت اللام بـ «وي» وجعلت حرفاً واحداً ، ثم خبر عن «ويل» بلام أخرى ، وهذا اختيار القراء . والكتاب هاهنا : التوراة . وذكر الأيدي تأكيد ، والثنى القليل : ما يفنى من الدنيا .

وفيما يكسبون قولان . أحدهما : أنه عوض ما كتبوا . والثاني : إنهم ما فعلوا .

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ

عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى : (وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) وهم : اليهود . وفيما عنوا

بهذه الأيام قولان .

(١) زواه أحمد ، والترمذي ، من طريق دراج عن أبي الهيثم وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي .

(٢) أي : الذي يقع في الهلكة ، ومنه قوله تعالى : (يَا وَيْلَتَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) .

ومعنى: (بلى من كسب سيئة): بلى من كسب. قال الزجاج: بلى: رد لقولهم: (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) والسيئة هاهنا: الشرك في قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي وائل، وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل.

(وأحاطت به) أي: أحذقت به خطيئته. وقرأ نافع «خطيئته» بالجمع. قال عكرمة: مات ولم يتب منها، وقال أبو وائل: الخطيئة: صفة للشرك. قال أبو علي: إما أن يكون المعنى: أحاطت بحسنه خطيئته، أي: أحبطتها، من حيث أن المحيط أكثر من المحاط به، فيكون كقوله تعالى: (وإن جهنم لمحيطة بالكاافرين) التوبة: ٤٩ وقوله (أحاط بهم سرادقها) الكهف: ٢٩ أو يكون معنى أحاطت به: أهلكته، كقوله: (إلا أن يحاط بكم) يوسف: ٦٦. ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾

قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) هذا الميثاق مأخوذ عليهم في التوراة. قوله تعالى: (لا تعبدون) قرأ عاصم ونافع وأبو عمرو، وابن عامر: بالثاء على الخطاب لهم. وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي: بالياء على الإخبار عنهم. قوله تعالى: (وبالوالدين إحساناً) أي: ووصيناهم بآبائهم وأمهاتهم خيراً. قال الفراء: والعرب تقول: أوصيك به خيراً، وأمرتك به خيراً والمعنى: أمرتك أن تفعل به، ثم تحذف «أن» فيوصل الخبر بالوصية والأمر. قال الشاعر:

عجبت من دهاء إذ تشكونا ومن أبي دهاء إذ يوصينا
خيراً بها كأننا جافونا

وأما الإحسان إلى الوالدين: فهو برهما. قال ابن عباس: لا تنفض ثوبك فيصيبها الغبار. وقالت عائشة: ما بر والده من شدَّة النظر إليه. وقال عروة: لا تمتنع عن شيء أحبَّاء.

أحدهما : أنهم أرادوا أربعين يوماً ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وأبو العالية ، وقتادة ، والسدي .

ولماذا قدروها بأربعين ؟ فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم قالوا : بين طرقي جهنم مسيرة أربعين سنة ، ونحن نقطع مسيرة كل سنة في يوم ، ثم ينقضي العذاب وتهلك النار ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهم قالوا : عتب علينا ربنا في أمر ، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة ، ثم يدخلنا الجنة ، فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلّة القسم ، وهذا قول الحسن وأبي العالية .

والثالث : أنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل ، قاله مقاتل .

والقول الثاني : أن الأيام المعدودة سبعة أيام ، وذلك لأنّ عندهم أن الدنيا سبعة آلاف سنة ، والناس يعذبون لكل ألف سنة يوماً من أيام الدنيا ، ثم ينقطع العذاب ، قاله ابن عباس .

(قل اتخذتم عند الله عهداً) أي : عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا بهذا المقدار !

﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ .

قوله تعالى : (بلى من كسب سيئة) : بلى : بمنزلة « نعم » إلا أن « بلى » جواب النفي ، و« نعم » جواب الإيجاب ، قال الفراء : إذا قال الرجل لصاحبه : مالك علي شيء ، فقال الآخر : نعم ، كان تصديقاً أن لا شيء له عليه . ولو قال : بلى ؛ كان ردّاً لقوله . قال ابن الأنباري : وإنما صارت « بلى » متصل بالجحد ، لأنها رجوع عن الجحد إلى التحقيق ، فهي بمنزلة « بل » . و« بل » سبيلها أن تأتي بعد الجحد ، كقولهم : ما قام أخوك ، بل أبوك . وإذا قال الرجل للرجل : ألا تقوم ؟ فقال له : بلى ؛ أراد : بل أقوم ، فزاد الالف على « بل » ليحسن السكوت عليها ، لأنه لو قال : بل ؛ كان يتوقع كلاماً بعد بل ، فزاد الالف ليزول هذا التوهم عن المخاطب .

قوله تعالى : (وذى القربى) أي : ووصيناى بذى القربى أن يصلوا أرحامهم . وأما اليتامى ؛ فجمع : يتيم . قال الاصمعي : اليتيم فى الناس ، من قبل الأب ، وفى غير الناس : من قبل الأم . قال ابن الأثيري : قال ثعلب : اليتيم معناه فى كلام العرب : الانفراد . فعنى صبي يتيم : منفرد عن أبيه . وأنشدنا :

أفاطم إني هالك فتبيتي ^(١) ولا تجزعي كل النساء يتيم

قال : يروى : يتيم ويثيم . فمن روى يتيم بالناء ؛ أراد : كل النساء ضعيف منفرد . ومن روى بالياء أراد : كل النساء يموت عنهن أزواجهن . وقال : أنشدنا ابن الأعرابي :

ثلاثة أحباب : فحب علاقة وحب تملأق وحب هو القتل

قال : فقلنا له : زدنا ، فقال : البيت يتيم : أي : منفرد . وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي ، قال : إذا بلغ الصبي زال عنه اسمه اليتيم . يقال منه : يتيم يتيم يتما ويتما . وجمع اليتيم : يتامى ، وأيتام . وكل منفرد عند العرب يتيم ویتيمة . قال : وقيل : أصل اليتيم : الغفلة ، وبه سمي اليتيم ، لأنه يتغافل عن بره . والمرأة تدعى : يتيمة مالم تزوج ، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتيم ، وقيل : لا يزول عنها اسم اليتيم أبداً . وقال أبو عمرو : اليتيم : الإبطاء ، ومنه أخذ اليتيم ، لأن البر يبطئ عنه . «والمساكين» : جمع مسكين ، وهو اسم مأخوذ من السكون ، كأن المسكين قد أسكنه الفقر .

قوله تعالى : (وقولوا للناس حسناً) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر : (حُسناً) بضم الحاء والتخفيف ، وقرأ حمزة والكسائي : (حَسَنًا) بفتح الحاء والتثنية . قال أبو علي : من قرأ «حُسناً» فجاز أن يكون الحسن لغة فى الحسن ، كالْبُخْل ، والبَخْل ، والرُّشد والرشد . وجاء ذلك فى الصفة كما جاء فى الاسم ، ألا تراهم قالوا : العرب والعرب والرَّب ويجوز أن يكون الحسن مصدرأ كالكفر والشكر والشغل ، وحذف المضاف معه ، كأنه

(١) فى دالسان ، : فتبتي ، وكلا الروايتين معناها واحد .

قال : قولوا قولاً ذا حسن . ومن قرأ (حسناً) جملة صفة ، والتقدير عنده : قولوا للناس قولاً حسناً ، فحذف الموصوف .

واخلفوا في المخاطب بهذا على قولين .

أحدهما : أنهم اليهود ، قاله ابن عباس ، وابن جبير ، وابن جريج . ومعناه : اصدقوا وبنوا صفة النبي .

والثاني : أنهم أمة محمد ﷺ قال أبو العالية : قولوا للناس معروفاً ، وقال محمد ابن علي بن الحسين : كلموهم بما يحبون أن يقولوا لكم . وزعم قوم أن المراد بذلك مساهلة الكفار في دعائهم إلى الإسلام . فعلى هذا ؛ تكون منسوخة بآية السيف .

قوله تعالى : (ثم توليتهم) أي : أعرضتهم إلا قليلاً منكم . وفيهم قولان . أحدهما : أنهم أولوهم الذين لم يبدلوا . والثاني : أنهم الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ في زمانه . ~~وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أتتهم هؤلاء يقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وأن يأتيكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم~~ افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فاجزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بقافل عما تعملون ﴿

قوله تعالى : (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) أي : لا يسفك بعضكم دم بعض ، ولا يخرج بعضكم بعضاً من داره . قال ابن عباس : ثم أقررتم يومئذ بالعهد ، وأنتم اليوم تشهدون على ذلك ، فالإقرار على هذا متوجه إلى سلفهم ، والشهادة متوجهة إلى خلفهم . (ثم أتتهم هؤلاء يقتلون أنفسكم) أي : يقتل بعضكم بعضاً . روى السدي عن أشياخه قال : كانت قريظة حلفاء الأوس ، والنضير حلفاء الخزرج ، فكانوا يقاتلون في حرب سمير ^(١) فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم النضير وحلفاءها ، وكانت

(١) سمير : حرب كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج . وسمير : رجل من بني عمرو بن عوف ، وخبر هذه الحرب تجدوها في كتاب « الأغاني » .

النضير تقاتل قريظة وحلفاءها، فيملبونهم ويخرجون الديار ويخرجون منها، فإذا أسر الرجل من الفريقين كليهما، جمعوا له حتى يفدوه، فتعيرهم العرب بذلك، فتقول: كيف تقاتلونهم وتقدونهم؟! فيقولون: أمرنا أن نقدّهم، وحرّم علينا قتلهم. فتقول العرب: فلم تقاتلونهم؟ فيقولون: نستحي أن يستذل حلفاؤنا، فميرهم الله، عز وجل، فقال:

(ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) إلى قوله: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) فكان إيمانهم ببعضه: فداءهم الأسارى، وكفرهم: قتل بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: (تظاهرون): قرأ عاصم وحزمة والكسائي: (تظاهرون) وفي (التحريم) (تظاهرا) بتخفيف الظاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو وابن عامر بتشديد الظاء مع إثبات الألف. قال أبو علي: من قرأ (تظاهرون) بتشديد الظاء؛ أدغم التاء في الظاء، لمقاربتها لها، فخفف بالإدغام. ومن قرأ (تظاهرون) خفيفة؛ حذف التاء التي أدغمها أولئك من اللفظ، فخفف بالحذف. والتاء التي أدغمها ابن كثير هي التي حذفها عاصم. وروي عن الحسن وأبي جعفر (نظّهرون) بتشديد الظاء من غير ألف، فالتظاهر: التعاون. قال ابن قتيبة: وأصله من الظهر، فكان الظاهر: أن يجعل كل واحد من الرجلين [أو من القوم] الآخر ظهراً له يتقوى به، ويستند إليه. قال مقاتل: والإثم: المعصية، والعدوان: الظلم.

قوله تعالى: (وإن يأتوكم أسارى ثَفَادوهم) أصل الأسر: الشد. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (أسارى) وقرأ الأعمش وحزمة (أسرى) قال الفراء: أهل الحجاز يجمعون الأسير: «أسارى» وأهل نجد أكثر كلامهم «أسرى» وهو أجود الوجهين في العربية، لأنه بمنزلة قولهم: جريح وجرحى، وصريع وصرعى. وروى الأئمة عن أبي عمرو قال: الأسارى: ما شدوا، والأسرى: في أيديهم، إلا أنهم لم يشدوا. وقال الزجاج: «فعلى» جمع لكل ما أصيب به الناس في أبدانهم وعقولهم. يقال: هالك وهلكى، ومريض ومرضى، وأحمق

وحقّي ، وسكرات وسكرى . فمن قرأ : (أسارى) ؛ فهي جمع الجمع . تقول : أسير وأسرى وأسارى جمع أسرى .

قوله تعالى : (تفادوم) قرأ ابن ، كثير وأبو عمرو ، وابن عامر : (تفدوم) وقرأ نافع وعاصم والكسائي : (تفادوم) بألف . والمفاداة : إعطاء شيء ، وأخذ شيء مكانه .

(أفتؤمنون ببعض الكتاب) وهو : فكاك الأسرى . (وتكفرون ببعض) وهو : الإخراج والقتل . وقال مجاهد : تفديه في يد غيره ، وقتله أنت يدك ١٠ .

وفي المراد بالخزي قولان . أحدهما : أنه الجزية ، قاله ابن عباس . والثاني : قتل قريظة ونفي النضير ، قاله مقاتل . قوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) : قال ابن عباس : هم اليهود . وقال مقاتل : باعوا الآخرة بما يصيبونه من الدنيا .

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ .

قوله تعالى : (ولقد آتينا موسى الكتاب) يريد التوراة . وقفينا : أتبنا . قال ابن قتبية : وهو مأخوذ من القفا . يقال : قفوت الرجل : إذا سرت في أثره . والينات : الآيات الواضحات كإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى . وأيدناه : قويناه . والأيد : القوة .

وفي روح القدس ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه جبريل . والقدس : الطهارة ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك والسدي في آخرين . وكان ابن كثير يقرأ : (بروح القدس) ساكنة الدال . قال أبو علي : التخفيف والتثقيب فيه حسن ، نحو : العنق والعنق ، والطنب والطنب .

وفي تأييده به ثلاثة أقوال ، ذكرها الزجاج . أحدها : أنه أيّد به لظهور حجته وأمر دينه .

والثاني : لدفع بني اسرائيل عنه إذ أرادوا قتله . والثالث : أنه أيد به في جميع أحواله .
والقول الثاني : أنه الاسم الذي كان يحيي به الموتى ، رواه الضحاك عن ابن عباس .
والثالث : أنه الإنجيل ، قاله ابن زيد .

﴿ وقالوا قلوبنا غُلُفٌ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ﴾ .

قوله تعالى : (وقالوا قلوبنا غلف) قرأ الجمهور بأسكان اللام ، وقرأ قوم ، منهم الحسن وابن محيصن بضمها . قال الزجاج : من قرأ : (غلف) بتسكين اللام ، فعناه : ذوات غلف ، فكأنهم قالوا : قلوبنا في أوعية . ومن قرأ (غُلُف) بضم اللام ، فهو جمع « غلاف » فكأنهم قالوا : قلوبنا أوعية للعلم ، فما بالها لا تفهم وهي أوعية للعلم !؛ فعلى الأول ؛ يقصدون إعراضه عنهم ، كأنهم يقولون : ما نفهم شيئاً . وعلى الثاني يقولون : لو كان قولك حقاً لقبلته قلوبنا .
قوله تعالى : (فقليلاً ما يؤمنون) فيه خمسة أقوال .

أحدها : فقليل من يؤمن منهم ، قاله ابن عباس وقتادة . والثاني : أن المعنى : قليل ما يؤمنون به . قال معمر : يؤمنون بقليل مما في أيديهم ، ويكفرون بأكثره . والثالث : أن المعنى : فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً . ذكره ابن الأنباري . وقال : هذا على لغة قوم من العرب ، يقولون : قلما رأيت مثل هذا الرجل ، وهم يريدون : ما رأيت مثله . والرابع : فيؤمنون قليلاً من الزمان : كقوله تعالى (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) ذكره ابن الأنباري أيضاً . والخامس : أن المعنى : فإيمانهم قليل ، ذكره ابن جرير الطبري . وحكى في « ما » قولين . أحدهما : أنها زائدة . والثاني : أن « ما » تجمع جميع الأشياء ، ثم تخص بعض ما عمته بما يذكر بعدها .

﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كَفَرُوا فلمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ . بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ نَبِيًّا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

قوله تعالى : (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعني : القرآن . و « يستفتحون » : يستنصرون . وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استنصروا باسم نبي الله ، محمد ﷺ .
قوله تعالى : (بش ما اشتروا به أنفسهم) بش : كلمة مستوفية لجميع الدم ، وتقيضها : « نعم » واشتروا ، بمعنى : باعوا . والذي باعوها به قليل من الدنيا .
قوله تعالى : (بنياً) قال قتادة : حسداً . ومعنى الكلام : كفروا بنياً ، لأن نزل الله الفضل على النبي ﷺ .

وفي قوله تعالى (بضرب على غضب) خمسة أقوال . أحدها : أن الغضب الأول لاتخاذهم العجل . والثاني : لكفرهم بمحمد ، حكاه السدي عن ابن مسعود وابن عباس . والثاني : أن الأول لتكذيبهم رسول الله . والثاني : لعداوتهم لجبريل . رواه شهر عن ابن عباس . والثالث : أن الأول حين قالوا : (يد الله مغلولة) المائدة : ٦٤ . والثاني : حين كذبوا نبي الله . رواه أبو صالح عن ابن عباس ، واختاره الفراء . والرابع : أن الأول لتكذيبهم بعيسى والإنجيل . والثاني : لتكذيبهم بمحمد والقرآن . قاله الحسن ، والشعبي ، وعكرمة ، وأبو العالية ، وقتادة ، ومقاتل . والخامس : أن الأول لتبديلهم التوراة . والثاني : لتكذيبهم محمداً ﷺ . قاله مجاهد . والمهين : المذل .

﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾
قوله تعالى : (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعني : القرآن ؛ (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعنون : التوراة .

وفي قوله : (ويكفرون بما وراءه) قولان . أحدهما : أنه أراد بما سواه . ومثله (وأحل لكم ما وراء ذلكم) النساء : ٢٤ . قاله الفراء ومقاتل . والثاني : بما بعد الذي أنزل عليهم . قاله الزجاج .
قوله تعالى : (وهو الحق) يعود على ما وراءه .

(فلم تقتلون أنبياء الله) هذا جواب قولهم : (نؤمن بما أنزل علينا) فإن الأنبياء ،

وتقتلون بمعنى : قتلتم ، فوضع المستقبل في موضع الماضي ، لأن الوهم لا يذهب إلى غيره .
وأنشدوا في ذلك :

شهد الخطيئة حين يلقي ربه أن الوليد أحق بالعدر

أراد : يشهد .

﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

قوله تعالى : (ولقد جاءكم موسى بالبينات) فيها قولان . أحدهما : ما في الألواح من الحلال والحرام ، قاله ابن عباس . والثاني : الآيات التسع ، قاله مقاتل .

وفي هاء «بعده» قولان . أحدهما : أنها تعود إلى موسى ، فعناه : من بعد انطلاقة إلى الجبل ، قاله ابن عباس ومقاتل . والثاني : أنها تعود إلى المحيي ، لأن «جاءكم» يدل على المحيي . وفي ذكر عبادتهم العجل تكذيب لقولهم : (نؤمن بما أنزل علينا) .

قوله تعالى : (قالوا سمعنا وعصينا) قال ابن عباس : كانوا إذا نظروا إلى الجبل ، قالوا : سمعنا وأطعنا ، وإذا نظروا إلى الكتاب : قالوا : سمعنا وعصينا .

قوله تعالى : (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي : سقوا حب العجل ، فحذف المضاف ، وهو الحب ، وأقام المضاف إليه مقامه ، ومثله قوله : (الحج أشهر معلومات) البقرة : ١٩٧ [أي وقت الحج] وقوله : (أجعلتم سقاية الحاج) التوبة : ١٩ [أي : أجعلتم صاحب سقاية الحاج] . وقوله : (واسئلو القرية) يوسف : ٨٢ [أي : أهلها] وقوله : (إذا لا ذنك ضعف الحياة) الاسراء : ٧٥ . أي ، ضعف عذاب الحياة . وقوله : (لهدمت صوامع وبيع وصلوات) الحج : ٤٠ . أي : بيوت صلوات . وقوله : (بل مكر الليل والنهار) سبأ : ٣٠ . أي : مكرهم فيهما . وقوله : (فليدع ناديه) العلق : ١٧ أي : أهله .

ومن هذا قول الشاعر :

أُنبئت أن النار بعدك أوقدت واستبَّ بعدك يا كليب المجلس
أي : أهل المجلس . وقال الآخر :

وشر المنايا ميّت بين أهله

أي : وشر المنايا مية ميت بين أهله

قوله تعالى : (قل بُشِّسْ بِأَمْرِكُمْ بِهِ إِيمَانَكُمْ) أي : أن تكذبوا المرسلين ، وتقتلوا النبيين بغير حق ، وتكتموا الهدى .

قوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) في « إِنْ » قولان . أحدهما : أنها بمعنى : الجحد ، فالمعنى : ما كنتم مؤمنين إذ عصيتم الله ، وعبدتم العجل . والثاني : أن تكون « إِنْ » شرطاً مطلقاً بما قبله ، فالمعنى : إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ؛ فبُشِّسَ الْإِيمَانُ إِيْمَانُ بِأَمْرِكُمْ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ ، وقتل الأنبياء ، ذكرها ابن الأنباري .

﴿ قل إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْلَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . وَلَتَجِدَنَّ أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَاتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ .

قوله تعالى : (قل إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ) كانت اليهود تزعم أن الله تعالى لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وولده ، فزلت هذه الآية . ومن الدليل على علمهم بأن النبي ﷺ صادق ، أنهم ما تمنوا الموت ، وأكبر الدليل على صدقه أنه أخبر أنهم لا يتمنونه بقوله تعالى : (وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ) فما تمناه أحد منهم . والذي قدمته أيديهم : قتل الأنبياء وتكذيبهم ، وتبديل التوراة . قوله تعالى : (وَلَتَجِدَنَّاهُمْ) اللام : لام القسم ، والنون توكيده ، والمعنى : ولتجدنَّ اليهود في حال دعائهم إلى تمنّي الموت أحرص الناس على حياة ، وأحرص من الذين أشركوا . وفي « الذين أشركوا » قولان . أحدهما : أنهم : المجوس ، قاله ابن عباس ، وابن قتيبة

والزجاج . والثاني : مشركو العرب ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : (يود أحدم) في الهاء والميم من « أحدهم » قولان . أحدهما : أنها تعود على الذين أشركوا ، قاله الفراء . والثاني : ترجع إلى اليهود ، قاله مقاتل . قال الزجاج : وإنا ذكر « ألف سنة » لأنها نهاية ما كانت المجوس تدعو بها ملوكها ، كان الملك يحيا بأن يقال له : عش ألف نيزوز ، وألف مهرجان .

قوله تعالى : (وما هو) فيه قولان ذكرهما الزجاج ، أحدهما : أنه كناية عن أحدم الذي جرى ذكره ، تقديره : وما أحدم بمزحزحه من العذاب تعميره . والثاني : أن يكون هو كناية عما جرى من التعمير ، فيكون المعنى : وما تعميره بمزحزحه من العذاب ، ثم جمل « أن يعمر » مبيناً عنه ، كأنه قال : ذلك الشيء الذي ليس بمزحزحه من العذاب . ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله مصداقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين . ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ .

قوله تعالى : (قل من كان عدواً لجبريل) قال ابن عباس : أقبلت اليهود إلى النبي ، ﷺ فقالوا : من يأتيك من الملائكة ؟ قال : جبريل : فقالوا : ذلك ينزل بالحرب والقتال ، ذلك عدونا ، فنزلت هذه الآية والتي تليها .

وفي جبريل إحدى عشرة لغة .

إحداها : جبريل ، بكسر الجيم والراء من غير همز ، وهي لغة أهل الحجاز ، وبها قرأ ابن عامر ، وأبو عمرو . قال ورقة بن نوفل :

وجبريل يأتيه وميكال معها من الله وحي يشرح الصدر منزل

وقال عمران بن حطان :

والروح جبريل فيهم لا كفاء له وكان جبريل عند الله مأمونا

وقال حسان :

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

واللغة الثانية: جبريل بفتح الجيم وكسر الراء، وبعدها ياء ساكنة من غير همز

على وزن: فعليل، وبها قرأ الحسن البصري، وابن كثير، وابن جنيصن. وقال الفراء: لا

أشتبهها، لأنه ليس في الكلام فعليل، ولا أرى الحسن قرأها إلا وهو صواب، لأنه اسم أعجمي.

والثالثة: جبرئيل: بفتح الجيم والراء، وبعدها همزة مكسورة على وزن: جبرعيل،

وبها قرأ، الأعمش، وحمزة، والكسائي. قال الفراء: وهي لغة تميم وقيس، وكثير من أهل

نجد. وقال الزجاج: هي أجود اللغات، وقال جرير:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

والرابعة: جبرئيل، بفتح الجيم والراء وهمزة بين الراء واللام، مكسورة من غير

مد، على وزن جبرعيل، رواها أبو بكر عن عاصم.

والخامسة: جبرئيل، بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشديد اللام، وهي قراءة أبان عن

عاصم ويحيى بن يعمر.

والسادسة: جبرائيل، بهمزة مكسورة بعدها ياء مع الألف.

والسابعة: جبرائيل بيائين بعد الألف أولاها مكسورة.

والثامنة: جبرين، بفتح الجيم ونون مكان اللام.

والتاسعة: جبرين، بكسر الجيم ونون، قال الفراء: هي لغة بني أسد. وقرأت على

شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن الأنباري قال: في جبريل تسع لغات، فذكرهن.

وذكر ابن الأنباري في كتاب « الرد على من خالف مصحف عثمان » : جبرائيل ،
بفتح الجيم وإثبات الألف مع همزة مكسورة ليس بعدها ياء . وجبرئين ، بفتح الجيم مع
همزة مكسورة بعدها ياء ونون .

فأما ميكائيل ، ففيه خمس لغات .

إحداهن : ميكال ، مثل : مفعال بنير همز ، وهي لغة أهل الحجاز ، وبها قرأ أبو عمرو
وحفص عن عاصم .

والثانية : ميكائيل بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة ، مثل : ميكاعيل ، وهي لغة تميم
وقيس ، وكثير من أهل نجد ، وبها قرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ،
وأبو بكر عن عاصم .

والثالثة : ميكايل بهمزة مكسورة بعد الألف من غير ياء ، مثل ميكايل ، وبها
قرأ نافع وابن شنبوذ ، وابن الصباح ، جميعاً عن قبل .

والرابعة : ميكل ، على وزن ميكل ، وبها قرأ ابن محيصن .

والخامسة : ميكاين بهمزة معها ياء ونون بعد الألف ، ذكرها ابن الأنباري .
قال الكسائي : جبريل وميكائيل ، اسمان لم تكن العرب تعرفهما ، فلما جاء عربتهما . قال ابن
عباس ، جبريل وميكائيل ، كقولك : عبد الله ، وعبد الرحمن ، ذهب إلى أن « إيل » اسم
الله ، واسم الملك « جبر » « وميكا » . وقال عكرمة : معنى جبريل : عبد الله ، ومعنى
ميكائيل : عبيد الله . وقد دخل جبريل وميكائيل في الملائكة ، لكنه أعاد ذكرهما
لشرفهما ، كقوله تعالى (فيها فاكهة ونخل ورمان) الرحمن : ٦٨ . وإنما قال : (فان الله
عدو للكافرين) ولم يقل : لهم ، ليدل على أنهم كفرون بهذه العداوة .

﴿ أَوْ كَلِمَاتُ عَاهِدُوا عَهْدًا نَبِيَّهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

قوله تعالى : (أو كلما عاهدوا عهداً) الواو واو العطف ، أدخلت عليها ألف الاستفهام ، قال ابن عباس ومجاهد : والمشار إليهم : اليهود . وقيل : العهد الذي عاهدوه ، أنهم قالوا : والله لئن خرج محمد لنؤمننَّ به . وروي عن عطاء أنها اليهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبينهم ، فنقضوها ، كفعل قريظة والنضير . ومعنى نبذه : رفضه .
قوله تعالى : (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود . والكتاب : التوراة .
وفي قوله تعالى : (كتاب الله) قولان . أحدهما : القرآن . والثاني : أنه التوراة ، لأن الكافرين بمحمد ﷺ قد نبذوا التوراة .

﴿واتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَكِنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
قوله تعالى : (واتبعوا ما تلتو الشياطين)
في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلا أجابهم ، فسألوه عن السحر وخاصموه به ، فنزلت هذه الآية ، قاله أبو العالية . والثاني : أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة : ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً؟! والله ما كان إلا ساحراً ، فنزلت هذه الآية . قاله ابن اسحاق .

وتتلو ، بمعنى : تلت ، و«على» بمعنى : «في» قاله المبرد . قال الزجاج : وقوله :
(على ملك سليمان) أي : على عهد ملك سليمان .
وفي كيفية ما تلت الشياطين على ملك سليمان ستة أقوال .

أحدها: أنه لما خرج سليمان عن ملكه؛ كتبت الشياطين السحر، ودفتته في مصلاه، فلما توفي استخرجوه، وقالوا: بهذا كان يملك الملك، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل.

والثاني: أن آصف كان يكتب ما يأمر به سليمان، ويدفنه تحت كرسیه، فلما مات سليمان، استخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكذباً، وأضافوه إلى سليمان، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثالث: أن الشياطين كتبت السحر بعد موت سليمان، ثم أضافته إليه، قاله عكرمة. والرابع: أن الشياطين ابتدعت السحر، فأخذ سليمان، فدفنه تحت كرسیه لئلا يتعلمه الناس، فلما قبض استخرجته، فعلمته الناس وقالوا: هذا علم سليمان، قاله قتادة. والخامس: أن سليمان أخذ عهود الدواب، فكانت الدابة إذا أصابت إنساناً طلب إليها بذلك العهد، فتخلّص منه، فزاد السحرة السجع والسحر، قاله أبو مجلز.

والسادس: أن الشياطين كانت في عهد سليمان تسترق السمع، فتسمع من كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موت أو غيب أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا، حتى إذا أمنهم الكهنة كذبوا لهم [وأدخلوا فيه غيره] فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب في صندوق، ثم دفنها تحت كرسیه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق [وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه]، فلما مات سليمان؛ جاء شيطان إلى نفر من بني إسرائيل، فدلهم على تلك الكتب وقال: إنما كان سليمان يضبط أمر الخلق بهذا، ففشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، واتخذ

بنو إسرائيل تلك الكتب ، فلما جاء محمد ، ﷺ ، خاصمونه بها ، هذا قول السدي .
وسليمان : اسم عبراني ، وقد تكلمت به العرب في الجاهلية ، وقد جملة
النافعة سليماً ضرورة ، فقال :

ونسج سليم كل قضاء ذائل .

واضطر الخطيئة فجعله : سلاماً ، فقال :

فيه الرماح وفيه كل سائفة جدلاء محكمة من نسج سلام
وأراد اجمعاً : داود أبا سليمان ، فلم يستقم لهما الشعر ، فجعله : سليمان وغيره .
كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي . وفي قوله : (وما كفر سليمان) دليل على كفر
الساحر ، لأنهم نسبوا سليمان إلى السحر ، لا إلى الكفر .

قوله تعالى : (ولكن الشياطين كفروا)

وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم بتشديد نون (ولكن) ونصب
نون (الشياطين) . وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بتخفيف النون من (لكن) ورفع
نون (الشياطين) .

قوله تعالى : (وما أنزل على الملئكين) وقرأ ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير
والزهري (الملئكين) بكسر اللام ، وقراءة الجمهور أصح .

وفي « ما » قولان . أحدهما : أنها معطوفة على « ما » الأولى ، فتقديره : واتبعوا
ما تلو الشياطين وما أنزل على الملئكين . والثاني : أنها معطوفة على السحر ، فتقديره :
يعلمون الناس السحر ، ويعلمونهم ما أنزل على الملئكين . فان قيل : إذا كان السحر نزل على
الملئكين ، فلماذا كرهه ؟ فالجواب من وجهين ، ذكرهما ابن السري ، أحدهما : أنها كانوا يعلمون
الناس : ما السحر ، ويأمران باجتنابه ، وفي ذلك حكمة ؛ لأن سائلوا قال : ما الزنى ، ولو جب

أن يوقف عليه ، ويعلم أنه حرام . والثاني : أنه من الجائز أن يكون الله تعالى امتحن الناس بالملكين ، فمن قبل التعلم كان كافراً ، ومن لم يقبله فهو مؤمن ، كما امتحن بنهر طالوت^(١) .
وفي الذي أنزل على الملكين قولان . أحدهما : أنه السحر ، روي عن ابن مسعود
والحسن ، وابن زيد . والثاني : أنه التفرقة بين المرء وزوجه ، لا السحر ، روي عن مجاهد
وقادة ، وعن ابن عباس كالقولين . قال الزجاج : وهذا من باب السحر أيضاً .

الإشارة إلى قصة الملكين

ذكر العلماء أن الملكين إنما أنزلا إلى الأرض لسبب ، وهو أنه لما كثرت خطايا
بني آدم ؛ دعت عليهم الملائكة ، فقال الله تعالى : لو أنزلت الشهوة والشياطين منكم منزلتهما
من بني آدم ، لفعلتم مثل ما فعلوا ، فحدثوا أنفسهم أنهم إن ابتلوا ، اعتصموا ، فأوحى الله إليهم
(١) وقال القرطبي في تفسيره : « ما » نفى ، والواو للعطف على قوله : (وما كفر سليمان)
وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر ، نفى الله ذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ،
والتقدير : وما كفر سليمان ، وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يملون الناس السحر يبابل
هاروت وماروت . فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله تعالى : (ولكن الشياطين كفروا يملون
الناس السحر) هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل ، وأصح ما قيل فيها ، ولا يلتفت إلى ما سواه .
وقال القاسمي رحمه الله :

اعلم أن العلماء في هذه الآية وجوها كثيرة ، وأقوالاً عديدة ، فمنهم من ذهب فيها مذهب الأخباريين
أقلة الفث والسمين ، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحث وتمحل لما اعترضه ، بما المعنى الصحيح في غنى
عنه . ومنهم من ادعى فيها التقديم والتأخير ، ورد آخرها على أولها ، بما جعلها أشبه بالألغاز والمعميات ، التي
يتنزه عنها بيان أبلغ كلام . إلى غير ذلك مما يراه المتبع لما كتب فيها .

والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل - وهي
مدينة بالعراق على نهر الفرات - وكانا يعلمان الناس السحر . وبلغ حسن اعتقاد الناس بها أن ظنوا أنها
ملكان من السماء ، وما يعلمانه للناس هو بوحى من الله . وبلغ مكر هذين الرجلين ، وبخافتها على اعتقاد
الناس الحسن فيها أنها صاروا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منها : إننا نحن فتنة فلا تكفر . أي : إننا نحن
أولو فتنة ، نبلوك ونختبرك ، أتشكر أم تكفر ، ونصح لك أن لا تكفر ، يقولان ذلك ليوهما الناس أن
علومها إلهية ، وصناعتها روحانية ، وأنها لا يقصدان إلا الخير و « ما » هنا نافية على أصح الأقوال ،
ولفظ « الملكين » هنا وارد حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت .

[أن] اختاروا من أفضلكم ملكين ، فاختاروا هاروت وماروت . وهذا مروي عن ابن مسعود ، وابن عباس .

واختلف العلماء : ماذا فعلا من المعصية على ثلاثة أقوال . أحدها : أنهما زنيا ، وقتلا ، وشربا الخمر ، قاله ابن عباس . والثاني : أنها جارا في الحكم ، قاله عبيد الله بن عتبة . والثالث : أنها هما بالمعصية فقط . ونقل عن علي ، رضي الله عنه ، أن الزهرة كانت امرأة جميلة ، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت ، فراودها كل واحد منهما على نفسها ، ولم يعلم صاحبه ، وكانا يصعدان السماء آخر النهار ، فقالت لهما : بم تهبطان وتضعدان ؟ قالوا : باسم الله الأعظم ، فقالت : ما أنا بمواتيتكما إلى ما تريدان حتى تعلمانيه ، فعلماهما إياه ، فطارت إلى السماء ، ففسخها الله كوكبا ^(١) .

وفي الحديث أن النبي ﷺ « لمن الزهرة ، وقال : إنها فتنت ملكين » ^(٢) إلا أن هذه الأشياء بعيدة عن الصحة ^(٣) وتأول بعضهم ، هذا فقال : إنه لما رأى الكوكب ، ذكر تلك المرأة ،

(١) قال ابن كثير : غريب جداً .

(٢) رواه أبو بكر بن مردويه ، وابن راهويه عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لمن الله الزهرة فانها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت » . وقال ابن كثير في « تفسيره » : لا يصح ، وهو منكر جداً .

(٣) تنبيه : ما ورد من أن عمر مع النبي ﷺ يقول : « إن آدم لا أهبطه الله تعالى إلى الأرض ، قالت الملائكة : أي رب ، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون . قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بني آدم . قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة ، حتى يهبط بها إلى الأرض ، فنظر كيف يعملان . قالوا : ربنا هاروت وماروت ، فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما ، فسألاها نفسها . فقالت : لا والله حتى تسكنا بهذه الكلمة من الإشرار . فقالا : والله لا نشرك بالله أبداً ، فذهبت عنها ، ثم رجعت بصبي تحمله ، فسألاها نفسها . فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي . فقالا : والله لا تقتله أبداً ، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله ، فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تشربا هذا الخمر ، فشربا فسكرا ، فوقما عليهما وقتلا الصبي ، فلما أفاقا ، قالت المرأة : والله ما تركنا شيئاً مما أبيتاه علي إلا قد فعلنا حين سكرتنا ، فخيرنا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا . ←

لا أن المرأة مسخت نجماً .

واختلف العلماء في كيفية عذابهما ؛ فروي عن ابن مسعود أنها معلقان بشعورهما إلى يوم القيامة ، وقال مجاهد : إن جباً مليء ناراً فجعللا فيه .

فأما بابل ؛ فروي عن الخليل أن ألسن الناس تبلبلت بها . واختلفوا في حدها على ثلاثة أقوال . أحدها : أنها : الكوفة وسوادها ، قاله ابن مسعود . والثاني : أنها من نصيبين إلى رأس العين ، قاله قتادة . والثالث : أنها جبل في وهدة من الأرض ، قاله السدي . قوله تعالى : (إنما نحن فتنة) أي : اختبار وابتلاء .

قوله تعالى : (إلا باذن الله) يريد : بقضائه . (ولقد علموا) : إشارة إلى اليهود (لمن اشتراه) ، يعني : اختاره ، يريد : السحر . واللام لام اليمين . فأما الخلاق ؛ فقال الزجاج : هو النصيب الوافر من الخير .

قوله تعالى : (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أي : باعوها به (لو كانوا يعلمون) العقاب فيه .

— فقد رواه أحمد في « المسند » وابن حبان ، وهو حديث ضعيف جداً ، ولم يصح أن رسول الله ﷺ حدث بهذا ، ولعله من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار عن بني اسرائيل . وقد ذكر ابن كثير في التفسير أن الحكاية خرافة اسرائيلية . وقال في « التاريخ » : وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراوداها عن نفسها فأبت فهذا أظنه من وضع الاسرائيليين ، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار ، وتلقاه عنه طائفة من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني اسرائيل . وكل هذا يرجح ما رجحه ابن كثير من أن الحديث من قصص كعب الأحبار الاسرائيلية ، وأنه ليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، وأن من رفعه فقد أخطأ ووهم . وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطراب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أَراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وقال القاضي عياض : وإن ما ذكره أهل الاخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت ، وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرها وابتلائها ، فاعلم — أكرمك الله — أن هذه الأخبار لم يرو منها مقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ ، وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس ، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه ، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف ، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءهم ، كما نصه الله تعالى أول الآيات .

﴿ فصل ﴾

اختلف الفقهاء في حكم الساحر؛ فذهب إمامنا أحمد رضي الله عنه يكفر بسحره، قتل به، أو لم يقتل، وهل تقبل توبته؟ على روايتين. وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، فإن قتل بسحره وقال: سحري يقتل مثله، وتعمدت ذلك، قتل قوداً. وإن قال: قد يقتل، وقد يخطئ، لم يقتل، وفيه الدية. فأما ساحر أهل الكتاب، فإنه لا يقتل عند أحمد إلا أن يضر بالمسلمين، فيقتل لنقض العهد، وسواء في ذلك الرجل والمرأة. وقال أبو حنيفة: حكم ساحر أهل الكتاب حكم ساحر المسلمين في إيجاب القتل، فأما المرأة الساحرة، فقال: تحبس، ولا تقتل. ﴿ولو أنهم آمنوا واتَّقَوْا لمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: (ولو أنهم آمنوا) يعني: اليهود، والمثوبة: الثواب. (لو كانوا يعلمون) قال الزجاج: أي: يعلمون بعلوهم.

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) قرأ الجمهور بلا تنوين، وقرأ الحسن، والأعمش، وابن محيصن بالتنوين، «وراعنا» بلا تنوين من راعيت، وبالتنوين من الرعونة، قال ابن قتيبة: راعناً بالتنوين: هو اسم مأخوذ من [الرعنو] الرعونة، أراد: لا تقولوا جهلاً ولا حقاً. وقال غيره: كان الرجل إذا أراد استنصات صاحبه، قال: أرعني سمعك، فكان المنافقون يقولون: راعنا، يريدون: أنت أرعن. وقوله: (انظُرْنَا) بمعنى: انتظرنا، وقال مجاهد: انظُرْنَا: اسمع منا، وقال ابن زيد: لا تعجل علينا.

﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. قوله تعالى: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب) ،

قال ابن عباس: هم يهود المدينة، ونصارى نجران، فالمشركون مشركو أهل مكة. (أن ينزل عليكم) أي: على رسلكم. (من خير من ربكم) أراد: النبوة والإسلام.

وقال أبو سليمان الدمشقي: أراد بالخير: العلم والفقه والحكمة.
(والله يختص برحمته من يشاء)

في هذه الرحمة قولان. أحدهما: أنها النبوة، قاله علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي بن الحسين، ومجاهد والزجاج. والثاني: أنها الإسلام، قاله ابن عباس ومقاتل.
﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير. ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله مولى ولا نصير﴾.

قوله تعالى: (ما ننسخ من آية)

سبب نزولها: أن اليهود قالت لما نسخت القبلة: إن محمداً يحمل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء؛ فنزلت هذه الآية.

قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نسخت الشمس الظل: إذا أذهبتة، وحلت محله، وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال.
أحدها: رفع اللفظ والحكم. والثاني: تبديل الآية بغيرها، روي عن ابن عباس، والأول قول السدي، والثاني قول مقاتل. والثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود، وبه قال أبو العالية. وقرأ ابن عامر: (ما ننسخ) بضم النون، وكسر السين. قال أبو علي: أي: ما نجده منسوخاً كقولك: أحدث فلاناً، أي: وجدته محموداً، وإنما يجده منسوخاً بنسخه إياه^(١).

قوله تعالى: (أو ننسها) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ننساها) بفتح النون مع

(١) نص كلام أبي علي في القرطبي: قال أبو علي: ليست لغة، لأنه لا يقال: نسخ وأنسخ بمعنى، إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخاً، كما تقول: أحدث الرجل وأجملته بمعنى: وجدته محموداً وبخيراً. قال أبو علي: وليس نجده منسوخاً إلا بأن ننسخه، فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.

الهمزة ، والمعنى : نؤخرها . قال أبو زيد : نسأت الإبل عن الحوض ، فأنا أنسأها : إذا أخرتها ، ومنه : النسيئة في البيع . وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال . أحدها : نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها ، قاله الفراء . والثاني : نؤخر إنزالها ، فلا ننزلها البتة . والثالث : نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها ، حكاهما أبو علي الفارسي . وقرأ سعد بن أبي وقاص : (تنسها) بناء مفتوحة ونون . وقرأ سعيد بن المسيب والضحاك : (تنسها) بضم التاء . وقرأ نافع : (أو ننسها) بنونين ، الأولى مضمومة ، والثانية ساكنة . أراد : أو ننسكها ، من النسيان .

قوله تعالى : (نأت بخير منها) قال ابن عباس : بألين منها ، وأيسر على الناس .
قوله تعالى : (أو مثلها) أي : في الثواب والمنفعة ، فتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختيار . (ألم تعلم) لفظه لفظ الاستفهام ، ومعناه التوقيف والتقرير . والملك في اللغة : تمام القدرة واستحكامها ، فالله عز وجل يحكم بما يشاء على عباده ، ويغير ما يشاء من أحكام .
﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ .

قوله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم)

في سبب نزولها خمسة أقوال .

أحدها : أن رافع بن حريملة ، ووهب بن زيد ، قالوا لرسول الله : ائتنا بكتاب نقرأه تنزله من السماء علينا ، وفجر لنا أنهاراً حتى ننبعث ، فنزلت الآية ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن قريشاً سألت النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فقال : « هو لكم كالمائدة

لبنى إسرائيل [إن كفرتم] فأبوا » قاله مجاهد .

والثالث : أن رجلاً قال : يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل ، فقال النبي ﷺ : « اللهم لا نبغيها ، ما أعطاكم الله ، خير مما أعطى بني إسرائيل ، كانوا إذا أصاب أحدهم الخطيئة ؛ وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها ، فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا ، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة ، فقد أعطاكم الله خيرًا مما أعطى بني إسرائيل . فقال : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه] ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً [النساء : ١١٠ . وقال : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن » فنزلت هذه الآية . قاله أبو العالية .

والرابع : أن عبد الله ابن أبي أمية المخزومي أتى النبي ﷺ ، في رهط من قريش ، فقال : يا محمد : والله لا أؤمن بك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، فنزلت هذه الآية . ذكره ابن السائب .

والخامس : أن جماعة من المشركين جاؤوا إلى النبي ﷺ ، فقال بعضهم : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . وقال آخر : لن أؤمن لك حتى تسير لنا جبال مكة ، وقال عبد الله ابن أبي أمية : لن أؤمن لك حتى تأتي بكتاب من السماء ، فيه : من الله رب العالمين إلى ابن أبي أمية : اعلم أني قد أرسلت محمداً إلى الناس . وقال آخر : هلا جئت بكتابك مجتمعاً ، كما جاء موسى بالتوراة . فنزلت هذه الآية . ذكره محمد بن القاسم الأنباري . وفي المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم قريش ، قاله ابن عباس ومجاهد . والثاني اليهود ، قاله مقاتل . والثالث : جميع العرب ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

وفي «أم» قولان .

أحدهما : أنها بمعنى : بل ، تقول العرب : هل لك عليّ حق ، أم أنت معروف بالظلم .
يريدون : بل أنت . وأنشدوا :

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أم أنت في العين أملح
ذكره الفراء والزجاج .

والثاني : بمعنى الاستفهام . فان اعترض معترض ، فقال : إنما تكون للاستفهام إذا
كانت مردودة على استفهام قبلها ، فأين الاستفهام الذي تقدمها ؟ فنه جوابان . أحدهما :
أنه قد تقدمها استفهام ، وهو قوله : (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) ، ذكره الفراء .
وكذلك قال ابن الأنباري : هي مردودة على الألف في : (ألم تعلم) فان اعترض على هذا
الجواب ، فقليل : كيف يصح العطف ولفظ : (ألم تعلم) ينبيء عن الواحد ، و (يريدون)
عن جماعة ؟ فالجواب : أنه إنما رجع الخطاب من التوحيد إلى الجمع ، لأن ما خوطب به
النبي ﷺ فقد خوطبت به أمته ، فاكفى به من أمته في المخاطبة الأولى ، ثم أظهر المعنى
في المخاطبة الثانية . ومثل هذا قوله تعالى : (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) .
الطلاق : ١ . ذكر هذا الجواب ابن الأنباري . فأما الجواب الثاني عن (أم) فهو أنها للاستفهام ،
وليست مردودة على شيء . قال الفراء : إذا توسط الاستفهام الكلام ؛ ابتدء بالألف
وبأم ، وإذا لم يسبقه كلام ؛ لم يكن إلا بالألف أو بـ «هل» . وقال ابن الأنباري : «أم» جارية
بجرى «هل» ، غير أن الفرق بينهما : أن «هل» استفهام مبتدأ ، لا يتوسط ولا يتأخر ، و «أم» :
استفهام متوسط ، لا يكون إلا بعد كلام .

فأما الرسول هاهنا ؛ فهو محمد ﷺ ، والذي سئل موسى من قبل قوله : (أرنا الله جهرة)
النساء : ١٥٣ . وهل سألوا ذلك نبياً أم لا ؟ فيه قولان . أحدهما : أنهم سألوا ذلك ، فقالوا : (لن تؤمن
لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً) ، الاسراء : ٩٢ . قاله ابن عباس والثاني : أنهم سألوا في المسائل ،

فقل لهم بهذه الآية : لعلمكم تريدون أن تسألوا محمداً أن يريكم الله جهرة ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

والكفر : الجحود . والإيمان : التصديق . وقال أبو العالية : المعنى : ومن يتبدل الشدة بالرخاء . وسواء السبيل : وسطه .

﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾ إن الله على كل شيء قدير ﴿ . قوله تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب)

في سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن حبي بن أخطب ، وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس . والثاني : أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي ، ويحرض عليه كفار قريش في شعره ، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله حين قدمها ، فأمر النبي بالصفح عنهم ، فنزلت هذه الآية ، قاله عبد الله بن كعب بن مالك . والثالث : أن نفرأ من اليهود دعوا حذيفة وعماراً إلى دينهم ، فأيا ، فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل .

ومعنى «ود» : أحب وتمنى . وأهل الكتاب : اليهود . قال الزجاج : من عند أنفسهم موصول : بـ (ود كثير) ، لا بقوله : (حسداً) لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه . والمعنى : مودتهم لكفرهم من عند أنفسهم ، لأنه عندهم الحق . فأما الحسد ، فهو تني زوال النعمة عن المحسود ، وإن لم يصير للمحاسد مثلاً ، وتفارقة النبطة ، فانها تني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط . وحدهم الحسد فقال : هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأختار ، ولا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً ، لأن الفاضل يجري على ما هو الخليل

وقال بعض الحكماء : كل أحد يمكن أن يرضيه إلا الحاسد ، فانه لا يرضيه إلا زوال نعمتك . وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : ما رأيت ظالماً أشبه بظلم من الحاسد ، حزن لازم ، ونفس دائم ، وعقل هائم ، وحسرة لا تنقضي .
قوله تعالى : (حتى يأتي الله بأمره) قال ابن عباس : فجاء الله بأمره في النصير بالجللاء والنفي ، وفي قريظة بالقتل والسبي .

﴿ فصل ﴾

وقد روي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي العالية ، وقتادة ، رضي الله عنهم : أن العفو والصفح منسوخ بقوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يُحَرِّمون ما حرم الله ورسوله) التوبة : ٢٩ وأبى هذا القول جماعة من المفسرين والفقهاء ، واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقاً ، وإنما أمر به إلى غاية ، وما بعد الغاية يخالف حكم ما قبلها ، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ ، بل يكون الأول قد انتقضت مدته بغايته ، والآخر يحتاج إلى حكم آخر .
﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير ﴾

قوله تعالى : (تجدوه) أي : تجدوا ثوابه .

﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾

قوله تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى)

قال ابن عباس : اختصم يهود المدينة ونصارى نجران عند النبي ﷺ ، فقالت اليهود : ليست النصارى على شيء ، ولا يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ، وكفروا بالإنجيل وعيسى . وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء ، وكفروا بالتوراة وموسى ؛ فقال الله تعالى : (تلك أمانهم) .

واعلم أن الكلام في هذه الآية مجمل ، ومعناه : قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً . والهود ، جمع : هائد . (تلك أمانهم) أي : ذلك شيء يتمنونه ، وظن يظنونهم ، هذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد . (قل هاتوا برهانكم) أي : حججكم إن كنتم صادقين بأن الجنة لا يدخلها إلى من كان هوداً أو نصارى . ثم بين تعالى بأنه ليس كما زعموا فقال : (بلى من أسلم وجهه) وأسلم ، بمعنى : أخلص . وفي الوجه قولان . أحدهما : أنه الدين . والثاني : العمل .

قوله تعالى : (وهو محسن) أي : في عمله ؛ (فله أجره) قال الزجاج : يريد : فهو يدخل الجنة . قوله تعالى : (وهم يتلون الكتاب) أي : كل منهم يتلو كتابه بتصديق ما كفر به ، قاله السدي ، وقطادة . (كذلك قال الذين لا يعلمون) وفيهم قولان . أحدهما : أنهم مشركو العرب قالوا لمحمد وأصحابه : لستم على شيء ، قاله السدي عن أشياخه . والثاني : أنهم أمم كانوا قبل اليهود والنصارى ، كقوم نوح ، وهود ، وصالح ، قاله عطاء .

قوله تعالى : (فآله يحكم بينهم يوم القيامة) قال الزجاج : يريد حكم الفصل بينهم ، فيريهم من يدخل الجنة عياناً [ومن يدخل النار عياناً] فأما الحكم بينهم في المقعد فقد بينه لهم في الدنيا بما أقام على الصواب من الحجج .

ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسمى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴿ قوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) اختلفوا فيمن نزلت على قولين .

أحدهما : أنها نزلت في الروم ، كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا ، فخرّب وطرحّت الجيف فيه ، قاله ابن عباس في آخرين . والثاني : أنها في المشركين الذين حالوا بين رسول الله وبين مكة يوم الحديبية ، قاله ابن زيد . وفي المراد بخربها قولان . أحدهما : أنه تقضها ، والثاني : منع ذكر الله فيها . قوله تعالى : (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) فيه قولان . أحدهما : أنه إخبار عن أحوالهم بعد ذلك . قال السدي : لا يدخل رومي بيت المقدس إلا وهو خائف أن يضرب عنقه ، أو قد أخيف بأداء الجزية . والثاني : أنه خبر في معنى الأمر ، تقديره : عليكم بالجد في جهادهم كي لا يدخلها أحدٌ إلا وهو خائف .

(لهم في الدنيا خزي) فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أن خزيهم الجزية ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه فتح القسطنطينية ، قاله السدي . والثالث : أنه طردهم عن المسجد الحرام ، فلا يدخله مشرك أبداً ظاهراً ، قاله ابن زيد .

﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾

قوله تعالى : (ولله المشرق والمغرب)

في نزولها أربعة أقوال . أحدها : أن الصحابة كانوا مع رسول الله في غزوة في ليلة مظلمة ، فلم يعرفوا القبلة ؛ فجعل كل واحد منهم مسجداً بين يديه وصلى ، فلما أصبحوا إذا هم على غير القبلة ، فذكروا ذلك لرسول الله ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . رواه عامر ابن ربيعة . والثاني : أنها نزلت في التطوع بالنافلة ، قاله ابن عمر . والثالث : أنه لما نزل قوله تعالى (ادعوني استجب لكم) غافر : ٦٠ . قالوا : إلى أين : فنزلت هذه الآية ، قاله مجاهد . والرابع : أنه لما مات النجاشي ، وأمرهم النبي ﷺ بالصلاة عليه ؛ قالوا : إنه كان لا يصلي إلى القبلة ؛ فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة .

قوله تعالى : (فَتَمَّ وَجْهُهُ) فيه قولان . أحدهما : فتم الله ، يريد : علمه معكم أين كنتم ،

وهو قول ابن عباس، ومقاتل . والثاني: فثم قبة الله، قاله عكرمة، ومجاهد . والواسع : الذي وسع غناه مفاقر عباده، ورزقه جميع خلقه . والسعة في كلام العرب : الغنى .

﴿ فصل ﴾

وهذه الآية مستعملة الحسب في المجتهد إذا صلى إلى غير القبلة، وفي صلاة المتطوع على الرحلة، والخائف . وقد ذهب قوم إلى نسخها، فقالوا : إنها لما نزلت ؛ توجه رسول الله إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك بقوله: (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة: ١٤٤ . وهذا مروي عن ابن عباس . قال شيخنا علي بن عبيد الله : وليس في القرآن أمر خاص بالصلاة إلى بيت المقدس، وقوله : (فأينما تولوا فثم وجه الله) ليس صريحاً بالأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، بل فيه ما يدل على أن الجهات كلها سواء في جواز التوجه إليها، فإذا ثبت هذا ؛ دل على أنه وجب التوجه إلى بيت المقدس بالسنة، ثم نسخ بالقرآن .

﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ قوله تعالى : (وقالوا : اتخذ الله ولداً)

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيزاً ابن الله، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها نزلت في نصارى نجران حيث قالوا : عيسى ابن الله، قاله مقاتل .

والثالث : أنها في النصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت : عيسى ابن الله، والمشركون قالوا : الملائكة بنات الله، ذكره إبراهيم بن السري .

والرابع : أنها في اليهود والنصارى ومشركي العرب، ذكره الثعلبي .

فأما القنوت؛ فقال الزجاج: هو في اللغة معنيين. أحدهما: القيام. والثاني: الطاعة. والمشهور

في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعاء في القيام، فالقانت: القائم بأمر الله. ويجوز أن يقع في جميع الطاعات، لأنه إن لم يكن قيام على الرجلين؛ فهو قيام بالنية. وقال ابن قتيبة: لأرى أصل القنوت

إلا الطاعة ، لأن جميع الخلال من الصلاة ، والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها .
وللمفسرين في المراد بالقنوت هاهنا ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الطاعة ، قاله ابن
عباس ، وابن جبير ، ومجاهد ، وقتادة . والثاني : أنه الإقرار بالعبادة ، قاله عكرمة ، والسدي .
والثالث : القيام ، قاله الحسن ، والربيع .

وفي معنى القيام قولان . أحدهما : أنه القيام له بالشهادة بالعبودية . والثاني : أنه القيام
بين يديه يوم القيامة . فإن قيل : كيف عمَّ بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع ؟
فعنه ثلاثة أجوبة . أحدها : أن يكون ظاهرها ظاهر العموم ، ومعناها معنى الخصوص .
والمعنى : كل أهل الطاعة له قاتون . والثاني : أن الكفار تسجد ظلالم لله بالعدوات والعشيات ،
فتنسب القنوت إليهم بذلك . والثالث : أن كل مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه ، وجري
أحكامه عليه ، فذلك دليل على ذله للرب . ذكرهن ابن الأنباري .

﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾

قوله تعالى : (بديع السموات)

البديع : المبدع ، وكل من أنشأ شيئاً لم يسبق إليه قيل له : أبدعت . قال الخطابي :
البديع ، فاعل بمعنى : مفعول ، ومعناه : أنه فطر الخلق مخترعاً له لا على مثال سبق .
قوله تعالى : (وإذا قضى أمراً) قال ابن عباس : معنى القضاء : الإرادة . وقال مقاتل :
إذا قضى أمراً في علمه ، فإنما يقول له : كن فيكون . والجمهور على ضم نون (فيكون) ،
بالرفع على القطع . والمعنى : فهو يكون . وقرأ ابن عامر بنصب النون . قال مكي ابن أبي
طالب : النصب على الجواب ، لكن فيه بعد .

﴿ فصل ﴾

وقد استدل أصحابنا على قدم القرآن بقوله : (كن) فقالوا : لو كانت « كن » مخلوقة ؛
لافترت إلى إيجادها بمثلها وتسلسل ذلك ، والمتسلسل محال . فإن قيل : هذا خطاب لمعدوم ؛

فالجواب أنه خطاب تكوين يُظهر أثر القدرة، ويستحيل أن يكون المخاطب موجوداً، لأنه بالخطاب كان، فامتنع وجوده قبله أو معه. ويحقق هذا أن ما سيكون متصور للعلم، فضاهى بذلك الموجود، فجاز خطابه لذلك.

﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾

قوله تعالى: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله) فيهم ثلاثة أقوال. أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: النصارى، قاله مجاهد. والثالث: مشركو العرب، قاله قتادة، والسدي عن أشياخه. و(لولا) بمعنى: هلا.

وفي (الذين من قبلهم) ثلاثة أقوال. أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي عن أشياخه. والثالث: اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، قاله قتادة.

(تشابهت قلوبهم) أي: في الكفر.

﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولأن تسأل عن أصحاب الجحيم﴾

قوله تعالى: (إنا أرسلناك بالحق):

في سبب نزولها قولان. أحدهما: أن النبي ﷺ قال يوماً: «ليت شعري ما فعل أبوي!» فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(١). والثاني: أن النبي ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا» فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

وفي المراد (بالحق) هاهنا ثلاثة أقوال. أحدها: أنه القرآن. قاله ابن عباس. والثاني:

الإسلام، قاله ابن كيسان، والثالث: الصدق.

قوله تعالى: (ولا تسأل عن): الأكترون بضم التاء، على الخبر، والمعنى: لست بمسؤول

عن أعمالهم. وقرأ نافع، ويعقوب بفتح التاء وسكون اللام، على النهي عن السؤال عنهم.

(١) رواه ابن جرير في التفسير من طريق موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف جداً.

وجوز أبو الحسن الأخفش أن يكون معنى هذه القراءة : لا تسأل عنهم فأنهم في أمر عظيم .
فيكون ذلك على وجه التعظيم لما هم فيه . فأما الجحيم ؛ فقال الفراء : الجحيم : النار ، والجحيم
على الجحيم . وقال أبو عبيدة : الجحيم : النار المستحكمة المتلظية . وقال الزجاج : الجحيم : النار
الشديدة الوقود ، وقد جحيم فلان النار : إذا شدد وقودها ، ويقال لعين الأسد : جحمة لشدة
توقدها . ويقال لو قود الحرب ، وهو شدة القتال فيها : جاحم . وقال ابن فارس : الجاحم :
المكان الشديد الحر . قال الأعشى :

يُعدون للهباء قبل لقاءها غداة احتضار البأس والموت جاحم

ولذلك سميت الجحيم . وقال ابن الأنباري : قال أحمد بن عبيد : إنما سميت النار
جحيماً ، لأنها أكثر وقودها ، من قول العرب : جحمت النار أجحماً : إذا أكثر لها الوقود .
قال عمران بن حطان :

يرى طاعة الله الهدى وخلافه الضلالة يصلي أهلها جاحم الجحيم

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى
ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مآلك من الله من ولي ولا نصير ﴾
قوله تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى)
في سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم ، فلما
صرف إلى الكعبة بنسوا منه ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس . والثاني : أنهم ذهبوا إلى
دينهم ، فنزلت ، قاله مقاتل . والثالث : أنهم كانوا يسألونه الهدنة ، ويطمعونه في أنه إن
هادنهم وافقوه ؛ فنزلت ، ذكر معناه الزجاج .

قال الزجاج : والملة في اللغة : السنة والطريقة . قال ابن عباس : (وهدى الله)
هاهنا : الإسلام . وفي الذي جاءه من العلم أربعة أقوال . أحدها : أنه التحول إلى الكعبة ،
قاله ابن عباس . والثاني : أنه البيان بأن دين الله الإسلام . والثالث : أنه القرآن . والرابع :

العلم بضلالة القوم . (مالك من الله من ولي) ينفمك (ولا نصير) يمنك من عقوبته .
 ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون . يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين .
 واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون . وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾

قوله تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب)

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على قولين . أحدهما : أنها نزلت في الذين آمنوا من اليهود ، قاله ابن عباس . والثاني : في المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ ، قاله عكرمة ، وقادة .
 وفي الكتاب قولان . أحدهما : أنه القرآن ، قاله قتادة . والثاني : أنه التوراة ، قاله مقاتل .
 قوله تعالى : (يتلونه حق تلاوته) أي : يعملون به حق عمله ، قاله مجاهد .

قوله تعالى : (أولئك يؤمنون به) في هاء « به » قولان . أحدهما : أنها تعود على الكتاب . والثاني : على النبي محمد ﷺ وما بعد هذا قد سبق بيانه إلى قوله : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) والابتلاء : الاختبار . وفي إبراهيم ست لغات . أحدها : إبراهيم ، وهي اللغة الفاشية .
 والثانية : إبراهيم . والثالثة : ابراهم . والرابعة : إبراهيم ، ذكرهن الفراء . والخامسة : إبراهيم .
 والسادسة : إبرم . قال عبد المطلب :

عذت بما عاذ به إبرم مستقبل الكعبة وهو قائم
 وقال أيضاً :

نحن آل الله في كعبته لم يزل ذلك على عهد إبرم
 وفي الكلمات خمسة أقوال .

أحدها : أنها خمس في الرأس ، وخمس في الجسد . أما التي في الرأس ؛ فالفرق ، والمضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك . وفي الجسد : تقليم الأظافر ، وحلق

العانة ، وتنف الإبط ، والاستطابة بالماء ، والختان ، رواه طاووس عن ابن عباس .
والثاني : أنها عشر ، ست في الإنسان ، وأربع في المشاعر . فالتى في الإنسان : حلق
العانة ، وتنف الإبط ، وتقليم الأظافر ، وقص الشارب ، والسواك ، والغسل من الجنابة ،
والغسل يوم الجمعة . والتي في المشاعر : الطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة ،
ورمي الجمار ، والإفاضة . رواه حنش بن عبد الله عن ابن عباس .

والثالث : أنها المناسك ، رواه قتادة عن ابن عباس .

والرابع : أنه ابتلاء بالكوكب ، والشمس ، والقمر ، والمجرة ، والنار ، وذبح ولده
والختان ، قاله الحسن .

والخامس : أنها كل مسألة في القرآن ، مثل قوله : (رب اجعل هذا البلد آمناً)
إبراهيم : ٣٥ . ونحو ذلك ، قاله مقاتل . فن قال : هي أفعال فعلها ؛ قال : معنى فأتتمن : عمل
بهن . ومن قال : هي دعوات ومسائل ؛ قال : معنى فأتتمن : أجابه الله إليهن . وقد روي عن
أبي حنيفة أنه قرأ : (إبراهيم) رفع الميم (ربه) بنصب الباء^(١) ، على معنى : اختبر ربه هل
يستجيب دعاءه ، ويتخذ خليلاً أم لا ؟ .

قوله تعالى : (ومن ذريتي) في الذرية قولان . أحدهما : أنها فعلية من الذر ، لأن الله
أخرج الخلق من صلب آدم كالذر . والثاني : أن أصلها ذرورة ، على وزن : فعلولة ، ولكن
لما كثر التضعيف أبدل من الراء الأخيرة ياءً ، فصارت : ذروية ، ثم أدغمت الواو في الياء ،
فصارت : ذرية ، ذكرها الزجاج ، وصوب الأول .

وفي الهداهنا سبعة أقوال . أحدها : أنه الإمامة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ،
وبه قال مجاهد ، وسعيد بن جبير . والثاني : أنه الطاعة ، رواه الضحاك عن ابن عباس .
والثالث : الرحمة ، قاله عطاء وعكرمة . والرابع : الدين ، قاله أبو العالية . والخامس :

(١) سبق أن أشرنا إلى عدم صحة نسبة هذه القراءة وأمثالها إلى أبي حنيفة أحد أئمة المذاهب الأربعة

النبوة ، قاله السدي عن أشياخه . والسادس : الأمان ، قاله أبو عبيدة . والسابع : الميثاق ، قاله ابن قتيبة . والأول أصح .

وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان . أحدهما : أنهم الكفار ، قاله ابن جبير ، والسدي . والثاني : العصاة ، قاله عطاء .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾
قوله تعالى : (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ) البيت هاهنا : الكعبة ، والألف واللام تدخل للمعهود ، أو للجنس ، فلما علم المخاطبون أنه لم يرد الجنس ؛ انصرف إلى المعهود ، قال الزجاج : والمثاب والمثابة واحد ، كال مقام والمقامة ، قال ابن قتيبة : والمثابة : المعاد ، من قولك : ثبت إلى كذا ، أي : عدت إليه ، وثاب إليه جسمه بعد العلة : إذا عاد ، فأراد : أن الناس يعودون إليه مرة بعد مرة .

قوله تعالى : (وَأَمْنًا) قال ابن عباس : يريد أن من أحدث حدثاً في غيره ، ثم لجأ إليه ؛ فهو آمن ، ولكن ينبغي لأهل مكة أن لا يبايعوه ، ولا يطعموه ، ولا يسقوه ، ولا يؤووه ، ولا يكلم حتى يخرج ، فإذا خرج ؛ أقيم عليه الحد . قال القاضي أبو يعلى : وصف البيت بالأمن ، والمراد جميع الحرم ، كما قال : (هدياً بالغ الكعبة) والمراد : الحرم كله لأنه لا يذبح في الكعبة ، ولا في المسجد الحرام ، وهذا على طريق الحكم ، لا على وجه الخبر فقط .

وفي (مقام إبراهيم) ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الحرم كله ، قاله ابن عباس . والثاني : عرفة والمزدلفة والجمار ، قاله عطاء . وعن مجاهد كالقولين . وقد روي عن ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، قالوا : الحج كله مقام إبراهيم . والثالث : الحجر ، قاله سعيد بن جبير ، وهو الأصح . قال عمر بن الخطاب : قلت : يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت .

وفي سبب وقوف إبراهيم على الحجر قولان . أحدهما : أنه جاء يطالب ابنه إسماعيل ، فلم يجده ، فقالت له زوجته : انزل ، فأبى ، فقالت : فدعني أغسل رأسك ، فأنته بحجر فوضع رجله عليه ، وهو راكب ، فغسلت شقه ، ثم رفعتة وقد غابت رجله فيه ، فوضعتة تحت الشق الآخر وغسلته ، فقابت رجله فيه ، فجعله الله من شعاره ، ذكره السدي عن ابن مسعود وابن عباس . والثاني : أنه قام على الحجر لبناء البيت ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، قاله سعيد بن جبير .

قرأ الجمهور ، منهم : ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي : (واتخذوا) بكسر الخاء ؛ على الأمر . وقرأ نافع ، وابن عامر بفتح الخاء على الخبر . قال ابن زيد : قال النبي ﷺ : « أين ترون أن نصلي ؟ » فقال عمر : إلى المقام ، فنزلت : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى) ^(١) . وقال أبو علي : وجه فتح الخاء : أنه معطوف على ما أضيف إليه ، كأنه قال : وإذا اتخذوا . ويؤكد الفتح في الخاء أن الذي بعده خبر ، وهو قوله : وعهدنا .

قوله تعالى : (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أي : أمرناهما وأوصيناها . وإسماعيل : اسم أعجمي ، وفيه لفتان : إسماعيل ، و : اسماعين . وأنشدوا :

قال جوارى الحي لما جينا هذا ورب البيت إسماعينا

قوله تعالى : (أن طهرا بيتي) قال قتادة : يريد من عبادة الأوثان والشرك ، وقول الزور . فإن قيل : لم يكن هناك بيت ؛ فما معنى أمرهما بتطهيره ؟ فنه جوابان : أحدهما : أنه كانت هناك أصنام ، فأمر بإخراجها ، قاله عكرمة . والثاني : أن معناه : إنباء مطهراً ، قاله السدي . والعاكفون : المقيمون ، يقال : عكف يعكف ويعكف عكوفاً : إذا أقام ، ومنه : الاعتكاف . وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ ، أنه قال : « إن الله تعالى يُنزل في

(١) رواه أحمد والبخاري ، ولفظ أحمد عن عمر : وافقت ربي في ثلاث ، قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى ، فنزلت .

كل ليلة ويوم عشرين ومائة رحمة ينزل على هذا البيت : ستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين » ^(١) .

﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾

قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً) البلد : صدر القرى ، والبالد : المقيم بالبلد ، والبلدة : الصدر ، ووضعت الناقة بلدتها : إذا بركت ، والمراد بالبلدها هنا : مكة . ومعنى (آمناً) : ذا أمن . وأمن البلدة مجاز ، والمراد : أمن من فيه . وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال . أحدها : أنه سأله الأمن من القتل . والثاني : من الخسف والقذف . والثالث : من القحط والجذب . قال مجاهد : قال إبراهيم : لمن آمن ، فقال الله عز وجل : ومن كفر فسأرزقه .

قوله تعالى : (فأمتعه) وقرأ ابن عامر : (فأمتعه) بالتخفيف ، من أمتعت . وقرأ الباقون بالتشديد من : مَتَّعَتْ . والإمتاع : إعطاء ما تحصل به المتعة . والمتعة : أخذ الحظ من لذة ما يشتهي . وبماذا يمتعه ؟ فيه قولان . أحدهما : بالأمن . والثاني : بالرزق . والاضطرار : الإلجاء إلى الشيء ، والمصير : ما ينتهي إليه الأمر .

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾

(١) رواه الطبراني في « الكبير » والحاكم في « الكنى » والخطيب في « التاريخ » والبيهقي في « الشعب » عن ابن عباس . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » فيه يوسف بن السفر ، وهو متروك .

قوله تعالى : (وإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)

القواعد : أساس البيت ، واحدها : قاعدة . فأما قواعد النساء ؛ فواحدتها : قاعد ، وهي المجوز . (ربنا تقبل منا) أي : يقولان : ربنا ، فحذف ذلك ، كقوله : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم) الرعد : ٢٥ . أراد : يقولون . و (السميع) بمعنى : السامع ، لكنه أبلغ ، لأن بناء فيل للمبالغة . قال الخطابي : ويكون السماع بمعنى القبول والاجابة ، كقول النبي ﷺ : «أعوذ بك من دعاء لا يسمع»^(١) أي : لا يستجاب . وقول المصلي : سمع الله لمن حمده ، أي : قبل الله حمد من حمده . وأنشدوا :

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

الإشارة إلى بناء البيت

روى أنس عن النبي ﷺ ، قال : كانت الملائكة تحج إلى البيت قبل آدم . وقال ابن عباس : لما أهبط آدم ؛ قال الله تعالى : يا آدم ! اذهب فابن لي بيتاً فطف به ، واذكرني حوله كما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي . فأقبل يسعى حتى انتهى إلى البيت الحرام ، وبناء من خمسة أجبل : من لبنان ، وطور سيناء ، وطور زيتا ، والجودي ، وحراء ، فكان آدم أول من أسس البيت ، وطاف به ، ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان ، فدرس موضع البيت ، فبعث الله إبراهيم وإسماعيل . وقال علي ابن أبي طالب ، رضي الله عنه : لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت ؛ ضاق به ذرعاً ، ولم يدر كيف يصنع ، فأنزل الله عليه كهيئة السحابة ، فيها رأس يتكلم ، فقال : يا إبراهيم ! اعلم على ظلي ، فلما عاظم ارتفعت . وفي رواية أنه كان يبني عليها كل يوم ، قال : وحفر إبراهيم من تحت السكينة ، فأبدى عن قواعد ، ما تحرك القاعدة منها دون ثلاثين رجلاً . فلما بلغ موضع الحجر ، قال لإسماعيل :

(١) رواه مسلم عن زيد بن أرقم بلفظ «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها» .

التمس لي حجراً ، فذهب يطلب حجراً ، فجاء جبريل بالحجر الأسود ، فوضعه ، فلما جاء إسماعيل ، قال : من جاءك بهذا الحجر ؟ قال : جاء به من لم يتكل على بنائي وبنائك . وقال ابن عباس ، وابن المسيب ، وأبو العالية : رفعوا القواعد التي كانت قواعد قبل ذلك . وقال السدي : لما أمره الله ببناء البيت ؛ لم يدرك أين يبني ، فبعث الله له ريحاً ، فكنست حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل الطوفان .

قوله تعالى : (ربنا واجعلنا مسلمين لك) قال الزجاج : المسلم في اللغة : الذي قد استسلم لأمر الله ، وخضع . والمناسك : المتعبدات . فكل متعبد منسك ومنسك ، ومنه قيل للعابد : ناسك . وتسمى الذبيحة المتقرب بها إلى الله ، عز وجل : النسيكة . وكأن الأصل في النسك إغما هو من الذبيحة لله تعالى .

قوله تعالى : (وأرنا مناسكنا) أي : مذابحنا . قاله مجاهد . وقال غيره : هي جميع أفعال الحج . وقرأ ابن كثير : (وأرنا) بحزم الراء . و (رب أرني) الأعراف : ١٤٣ . و (أرنا) الذين أضلانا) فصلت : ٢٩ . وقرأ نافع ، وحمة ، والكسائي (أرنا) بكسر الراء في جميع ذلك . وقرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر كذلك ، إلا أنها أسكنوا الراء من (أرنا) الذين وحدها . قال الفراء : أهل الحجاز يقولون : (أرنا) وكثير من العرب يحزم الراء ، فيقول : (أرنا مناسكنا) وقرأ بها بعض النقات . وأنشد بعضهم :

قالت سليمي اشتر لنا دقيقاً واشتر فمجل خادماً ليقاً
وأنشدني الكسائي :

ومن يتق فان الله معه ورزق الله مؤتاب وغادي

قال قتادة : أراها الله مناسكهما : الموقف بمرفات ، والإفاضة من جمع ، وربي الجمار ، والطواف ، والسعي . وقال أبو مجلز : لما فرغ إبراهيم من البيت أتاه جبريل ، فأراه الطواف ،

ثم أتى به جرة العقبة ، ففرض له الشيطان ، فأخذ جبريل سبع حصيات ، وأعطى إبراهيم سبعا ، وقال له : ارم وكبر ، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان . ثم أتى به جرة الوسطى ، ففرض لهما الشيطان ، فأخذ جبريل سبع حصيات ، وأعطى إبراهيم سبع حصيات ، فقال : ارم وكبر ، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان . ثم أتى به الجرة القصوى ، ففرض لهما الشيطان ، فأخذ جبريل سبع حصيات ، وأعطى إبراهيم سبع حصيات . فقال له : ارم وكبر ، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان ، ثم أتى به منى ، فقال : هاهنا يخلق الناس رؤوسهم ، ثم أتى به جمعا ، فقال : هاهنا يجمع الناس ، ثم أتى به عرفة ، فقال : أعرفت ؟ قال : نعم . قال : فن تم سميت عرفات .

قوله تعالى : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) في الهاء والميم من (فيهم) قولان . أحدهما : أنها تعود على الذرية ، قاله مقاتل والفراء . والثاني : على أهل مكة في قوله : (وارزق أهله) والمراد بالرسول : محمد ﷺ . وقد روى أبو أمامة عن النبي ﷺ ، أنه قيل : يا رسول الله ! ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام »^(١) والكتاب : القرآن . والحكمة : السنة ، قاله ابن عباس . وروي عنه : الحكمة : الفقه والحلال والحرام ، ومواعظ القرآن . وسميت الحكمة حكمة ، لأنها تمنع من الجهل .

وفي قوله تعالى : (ويزكيهم) ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه : يأخذ الزكاة منهم فيطهرهم بها ، قاله ابن عباس والفراء . والثاني : يطهرهم من الشرك والكفر ، قاله مقاتل . والثالث : يدعوهم إلى ما يصيرون به أزكيا .

(١) رواه أبو داود الطيالسي وأحمد في « المسند » عن أبي أمامة ، وفي مسنده الفرج بن فضالة ، وهو ضعيف ، وجاء الحديث بمعناه في « مسند أحمد » عن الرباض بن سارية ، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر .

قوله تعالى : (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) قال الخطابي : العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه . أحدها : بمعنى الغلبة ، يقولون : من عزيزٌ . أي : من غلب سلب . يقال منه : عزَّ يعزُّ ، بضم العين من يعز ، ومنه قوله تعالى : (وعزَّي في الخطاب) ص : ٢٨ . والثاني : بمعنى الشدة والقوة ، يقال منه : عزَّ يعزُّ ، ففتح العين من يعز ، والثالث : أن يكون بمعنى نقاسة القدر ، يقال منه : عزَّ يعزُّ بكسر العين ، من يعز . ويتناول معنى العزيز على أنه الذي لا يعادله شيء ، ولا مثل له .

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاهٍ ﴾ نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ قوله تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم)

سبب نزولها أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه مهاجراً وسلمة إلى الإسلام ، فأسلم سلمة ، ورغب عن الإسلام مهاجر ، فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل . قال الزجاج : و « من » لفظها لفظ الاستفهام ، ومعناها التقرير والتوبيخ . والمعنى : ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه . ويقال : رغبت في الشيء : إذا أردته . ورغبت عنه : إذا تركته . وملة إبراهيم : دينه .

قوله تعالى : (إِلَّا مِنْ سَفَاهٍ) فيه أربعة أقوال . أحدها : أن معناه : إلا من سفه نفسه ، قاله الأخفش^(١) . قال يونس : ولذلك تعدى إلى النفس فنصبها ، وقال الأخفش : نصبت النفس لإسقاط حرف الجر ، لأن المعنى : إلا من سفه في نفسه .

(١) نقل القرطبي في التفسير ، عن الأخفش في معنى (سفه نفسه) أنه فعل بها من السفه ما صار به سفياً . وعنه أيضاً : هي لغة ، بمعنى سفته .

قال الشاعر :

نغالي اللحم للأضياف نيثاً ونرخصه إذا نضج القدور

والثاني : إلا من أهلك نفسه ، قاله أبو عبيدة . والثالث : إلا من سفهت نفسه ، كما يقال : غبن فلان رأيه ، وهذا مذهب الفراء وابن قتيبة . قال الفراء : نقل الفعل عن النفس إلى ضمير « من » ، ونصبت النفس على التشبيه بالتفسير ، كما يقال : ضقت بالأمر ذرعاً ، يزيدون : ضاق ذرعى به ، ومثله : (واشتعل الرأس شيباً) مريم : ٤ . والرابع : إلا من جهل نفسه ، فلم يفكر فيها ، وهو اختيار الزجاج .

قوله تعالى : (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) قال ابن الأنباري : لمن الصالحى الحال عند الله تعالى . وقال الزجاج : الصالح في الآخرة : الفائز .

قوله تعالى : (إذ قال له ربه أسلم) وذلك حين وقوع الاصطفاء ، قال ابن عباس : لما رأى الكوكب والقمر والشمس ، قال له ربه أسلم ، أي : أخلص .

قوله تعالى : (ووصى) قرأ ابن عباس وأهل المدينة : (وأوصى) بألف ، مع تخفيف الصاد ، والباقون بغير ألف مشددة الصاد ، وهذا لاختلاف المصاحف . أخبرنا ابن ناصر ، قال : أخبرنا ثابت ، قال : أخبرنا ابن قشيش ، قال : أخبرنا ابن حيويه ، قال : خدثنا ابن الأنباري ، قال : أخبرنا ثعلب ، قال : أملى عليّ خلف بن هشام البزار قال : اختلف مصحفنا أهل المدينة وأهل العراق في اثني عشر حرفاً : كتب أهل المدينة : (وأوصى) وأهل العراق : (ووصى) وكتب أهل المدينة : (سارعوا إلى مغفرة من ربكم) آل عمران : ١٣٣ . بنير واو ، وأهل العراق : (وسارعوا) وكتب أهل المدينة : (يقول الذين آمنوا) المائدة : ٥٦ . وأهل العراق : (ويقول) وكتب أهل المدينة : (من يرتد) المائدة : ٥٧ . وأهل العراق : (من يرتد) وكتب أهل المدينة : (الذين اتخذوا مسجداً) التوبة : ١٠٨ . وأهل العراق (والذين) وكتب أهل المدينة : (خيراً منها منقلباً) الكهف : ٣٧ . وأهل

العراق: (منها) وكتب أهل المدينة: (فتوكل على العزيز الرحيم) الشعراء: ٢١٧ . وأهل العراق: (وتوكل) وكتب أهل المدينة: (وأن يظهر في الأرض الفساد) المؤمن: ٢٦ . وأهل العراق: (أو أن يظهر) وكتب أهل المدينة في « حم عسق »: (بما كسبت أيديكم) بغير فاء ، وأهل العراق: (فجما) وكتب أهل المدينة (ما تشتهي الأنفس) الزخرف: ٧١ . باللهاء . وأهل العراق: (ما تشتهي) وكتب أهل المدينة: (فان الله الغني الحميد) الحديد: ٢٦ . وأهل العراق: (إن الله هو الغني الحميد) وكتب أهل المدينة: (فلا يخاف عقباها) الشمس: ١٥ . وأهل العراق: (ولا يخاف) .

ووصى أبلغ من أوصى ، لأنها تكون لمرات كثيرة ، وهاء « بها » تعود على المسألة . قاله عكرمة والزجاج . قال مقاتل: وبنوه أربعة: إسماعيل ، وإسحاق ، ومدين ، ومداين . وذكر غير مقاتل أنهم ثمانية .

قوله تعالى: (فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون) يريد: الزموا الإسلام ، فإذا أدرككم الموت صادفكم عليه .

﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهنا واحداً ونحن له مسلمون . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾
قوله تعالى: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت)

سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه يوم مات باليهودية ؟ فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل .

قوله تعالى: (تلك أمة قد خلت) أي: مضت ، يشير إلى إبراهيم وبنيه ، ويعقوب وبنيه . ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب

والأسباطِ وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴿١٣٧﴾

قوله تعالى : (وقالوا كونوا هوداً)

معناه : قالت اليهود : كونوا هوداً ، وقالت النصارى : كونوا نصارى ، تهتدوا .
(بل ملة إبراهيم حنيفاً) المعنى : بل تتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته . وفي الحنيف قولان .
أحدهما : أنه المائل إلى العبادة . قال الزجاج : الحنيف في اللغة : المائل إلى الشيء ، أخذ من قولهم : رجل أخف ، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منهما إلى أخنها بأصابعها . قالت أم الأحنف ترقصه :

والله لولا أخفُ برجله ودقة في ساقه من هزله

ما كان في فتيانكم من مثله

والثاني : أنه المستقيم ، ومنه قيل للأعرج : حنيف ، نظراً له إلى السلامة ، هذا قول ابن قتيبة . وقد وصف المفسرون الحنيف بأوصاف ، فقال عطاء : هو المخلص ، وقال ابن السائب : هو الذي يحج . وقال غيرهما : هو الذي يوحد ويحج ، ويضحى ويحسّن ، ويستقبل الكعبة .

فأما الأسباط : فهم بنو يعقوب ، وكانوا اثني عشر رجلاً . قال الزجاج : السبط في اللغة : الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد . والسبط في اللغة : الشجرة لها قبائل ، فالسبط : الذين هم من شجرة واحدة .

﴿ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم ﴾

قوله تعالى : (فان آمنوا) يعني : أهل الكتاب .

قوله تعالى : (بمثل ما آمنتم به) ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه : مثل إيمانكم ،

فزيدت الباء للتوكيد ، كما زيدت في قوله : (وهزّي إليك بجذع النخلة) مريم : ٢٤ . قاله ابن الأنباري . والثاني : أن المراد بالمثل هاهنا : الكتاب ، وتقديره : فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم ، قاله أبو معاذ النحوي . والثالث : أن المثل هاهنا : صلة ، والمعنى : فإن آمنوا بما آمنتم به . ومثله قوله : (ليس كمثل شيء) الشورى : ١١ . أي : ليس كـ شيء . وأنشدوا :

يا عاذلي دعني من عدلكا مثلي لا يقبل من مثلكا
أي : أنا لا أقبل منك ، فأما الشقاق ؛ فهو المشاقة والمداوة ، ومنه قولهم : فلان قد شق عصا المسلمين ، يريدون : فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع إمامهم ، فكأنه صار في شق غير شقهم .

قوله تعالى : (فسيفكفكم الله) هذا ضمان لنصر النبي ﷺ .

﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾

قوله تعالى : (صبغة الله) سبب نزولها أن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد ، فأتى عليه سبعة أيام ، صبغوه في ماء لهم ، يقال له : المعمودية ، ليطهره بذلك ، ويقولون : هذا طهور مكان الختان ، فاذا فعلوا ذلك ؛ قالوا : صار نصرانياً حقاً ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس . قال ابن مسعود وابن عباس ، وأبو العالية ، ومجاهد ، والنخعي ، وابن زيد : (صبغة الله) دينه . قال الفراء : (صبغة الله) [نصب] مردودة على الملة^(١) . وقرأ ابن عبلة : (صبغة الله) بالرفع على معنى : هذه صبغة الله . وكذلك قرأ : (ملة إبراهيم) بالرفع أيضاً على معنى : هذه ملة إبراهيم . قال ابن قتيبة : المراد بصبغة الله : الختان ، فساه صبغة ، لأن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء [ويقولون : هذا طهره لهم ، كالختان للحنفاء] فقال الله تعالى : (صبغة الله) أي : الزموا صبغة الله ، لا صبغة النصارى أو أولادهم ، وأراد بها : ملة إبراهيم . وقال غيره : إنما سمي الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان ، كظهور الصبغ على الثوب .

(١) يريد أنها بدل من (ملة إبراهيم) .

﴿ قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون ﴾

قوله تعالى: (أتحاجوننا في الله) قال ابن عباس: يريد: يهود المدينة، ونصارى نجران. والم حاجة: الحاجة في الدين، فإن اليهود قالت: نحن أهل الكتاب الأول. وقيل: ظهرت اليهود عبدة الأوثان، فقيل لهم: تزعمون أنكم موحدون، ونحن توحد، فلم يظهروا من لا يوحد؟!

قوله تعالى: (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) قال أكثر المفسرين: هذا الكلام اقتضى نوع مساهلة، ثم نسخ بآية السيف.

﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون. تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾

قوله تعالى: (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل) .. الآية .

سبب نزولها أن يهود المدينة، ونصارى نجران قالوا للمؤمنين: إن أنبياء الله كانوا منا من بني إسرائيل، وكانوا على ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: إن الله قد أعلمنا بدين الأنبياء، ولا أحد أعلم به منه. قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو: (أم يقولون) بالياء على وجه الخبر عن اليهود. وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي وحفص عن عاصم: (تقولون) بالياء لأن قبلها مخاطبة، وهي « أتحاجوننا » وبعدها (قل أنتم أعلم) .

وفي الشهادة التي كتموها قولان. أحدهما: أن الله تعالى شهد عندهم بشهادة لإبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا مسلمين، فكتموها، قاله الحسن، وزيد بن أسلم. والثاني: أنهم كتموا الإسلام، وأمر محمد وهم يعلمون أنه نبي دينه الإسلام، قاله أبو العالية، وقناة.

﴿ سيقول السفهاء من الناس ما وائيمهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾
 قوله تعالى : (سيقول السفهاء من الناس)

فيهم ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم اليهود ، قاله البراء بن عازب ، ومجاهد ، وسعيد ابن جبير . والثاني : أنهم أهل مكة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثالث : أنهم المنافقون ، ذكره السدي عن ابن مسعود ، وابن عباس . وقد يمكن أن يكون الكل قالوا ذلك ، والآية نزلت بعد تحويل القبلة . والسفهاء : الجملة . ما ولاهم ، أي : صرفهم عن قبلتهم : يريد : قبة المقدس .

واختلف العلماء في مدة صلاة النبي ﷺ ، إلى بيت المقدس بعد قدومه إلى المدينة على ستة أقوال . أحدها : أنه ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر ، قاله البراء بن عازب . والثاني : سبعة عشر شهراً ، قاله ابن عباس . والثالث : ثلاثة عشر شهراً ، قاله معاذ بن جبل . والرابع : تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، قاله أنس بن مالك . والخامس : ستة عشر شهراً . والسادس : ثمانية عشر شهراً ، روي القولان عن قتادة .

وهل كان استقباله إلى بيت المقدس برأيه ، أو عن وحي ؟ فيه قولان . أحدهما : أنه كان بأمر الله تعالى ووحيه ، قاله ابن عباس وابن جريج . والثاني : أنه كان باجتهاده ورأيه ، قاله الحسن ، وأبو العالية ، وعكرمة ، والريبع . وقال قتادة : كان الناس يتوجهون إلى أي جهة شاؤوا بقوله : (والله المشرق والمغرب) البقرة : ١١٥ . ثم أمرهم باستقبال بيت المقدس . وفي سبب اختياره بيت المقدس قولان . أحدهما : ليتألف أهل الكتاب ، ذكره بعض المفسرين . والثاني : لامتحان العرب بغير ما ألفوه ، قاله الزجاج .

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبّع الرسول عن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾

قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)

سبب نزولها أن اليهود قالوا: قبلتنا قبلة الانبياء، ونحن عدل بين الناس، فزلت هذه الآية، قاله مقاتل. والأمة: الجماعة. والوسط: العدل، قاله ابن عباس، وأبو سعيد، ومجاهد، وقتادة، وقال ابن قتيبة: الوسط: العدل، الخيار، ومنه قوله تعالى: (قال أوسطهم) القلم: ٢٨. أي: أعدهم، وخيرهم. قال الشاعر:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وأصل ذلك أن خير الأشياء أوساطها، والفوز والتقصير مذمومان. وذكر ابن جرير الطبري أنه من التوسط في الفعل، فإن المسلمين لم يقصروا في دينهم كاليهود، فإنهم قتلوا الأنبياء، وبدلوا كتاب الله، ولم يفلوا كالنصارى، فإنهم زعموا أن عيسى ابن الله. وقال أبو سليمان الدمشقي: في هذا الكلام مخذوف، ومعناه: جعلت قبلكم وسطاً بين القبلتين، فإن اليهود يصلون نحو المغرب، والنصارى نحو المشرق، وأنتم بينهما.

قوله تعالى: (تكونوا شهداء على الناس) فيه قولان. أحدهما: أن معناه: لتشهدوا للأنبياء على أممهم. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «يحيى النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويحيى النبي ومعه الرجلان، ويحيى النبي ومعه أكثر من ذلك، فيقال لهم: أبلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي: أبلغكم؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ قال: محمد وأمتي؛ فيشهدون أن الرسل قد بلغوا، فيقال: ما علمكم؟ فيقولون:

أخبرنا نبينا أن الرسل قد باءوا ، فصدقناه ، فذلك قوله : (اتكونوا شهداء على الناس)^(١) وهذا مذهب عكرمة ، وقتادة . والثاني : أن معناه : لتكونوا شهداء لمحمد ﷺ ، على الأئمة : اليهود والنصارى والمجوس ، قاله مجاهد .

قوله تعالى : (ويكون الرسول عليكم شهيداً) يعني : محمد ﷺ ، وبماذا يشهد عليهم ؟ فيه ثلاثة أقوال . أحدها : بأعمالهم ، قاله ابن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، وابن زيد . والثاني : بتبليغهم الرسالة ، قاله قتادة ، ومقاتل . والثالث : بإيمانهم ، قاله أبو الغالية . فيكون على هذا « عليكم » بمعنى : لكم . قال عكرمة : لا يسأل عن هذه الأمة إلا نبيها . قوله تعالى : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) يريد : قبله بيت المقدس . (إلا لنعلم) فيه أربعة أقوال . أحدها : لنرى . والثاني : لنميز . روي عن ابن عباس . والثالث : لنعلمه واقفاً ، إذ علمه قديم ، قاله جماعة من أهل التفسير ، وهو يرجع إلى قول ابن عباس : « لنرى » والرابع : أن العلم راجع إلى المخاطبين ، والمعنى : لتعلموا أئمة ، قاله الفراء . قوله تعالى : (ممن ينقلب على عقبيه) أي : يرجع إلى الكفر ، قاله ابن زيد ، ومقاتل . قوله تعالى : (وإن كانت لكبيرة) في المشار إليها قولان . أحدهما : أنه التولية إلى الكعبة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل . والثاني : أنها قبله بيت المقدس قبل التحول عنها ، قاله أبو الغالية ، والزجاج .

قوله تعالى : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) نزل على سبب ؛ وهو أن المسلمين قالوا : يا رسول الله ! رأيت إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؛! فأنزله الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم)^(٢) والإيمان المذكور هاهنا أريد به : الصلاة في قول الجماعة . وقيل : إيمانهم

(١) رواه أحمد ، والبخاري ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه .

(٢) رواه أحمد ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

الصلاة إيماناً ، لاشتمالها على قول ونية وعمل . قال الفراء : وإنما أسند الإيمان إلى الأحياء [من المؤمنين] والمعنى : فيمن مات [من المسلمين قبل أن تحول القبلة] لأنهم داخلون معهم في الملة . قوله تعالى : (لرؤوف) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم : (لرؤوف) على وزن : لرعوف ، في جميع القرآن ، ووجهها : أن فعولاً أكثر في كلامهم من فعل ، فباب ضروب وشكور ، أوسع من باب جذر وبقط . وقرأ أبو عمرو ، وحزمة ، والكسائي ، وأبو بكر ، عن عاصم : (لرؤف) على وزن : رَعُف . ويقال : هو الغالب على أهل الحجاز . قال جرير :

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤف الرحيم

والرؤوف بمعنى : الرحيم ، هذا قول الزجاج . وذكر الخطابي عن بعض أهل العلم أن الرأفة أبلغ الرحمة وأرقها . قال : ويقال : الرأفة أخص ، والرحمة أعم .

﴿ قد ترى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فاقول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾

قوله تعالى : (قد ترى تقلب وجهك في السماء)

سبب نزولها أن النبي ﷺ ، كان يحب أن يوجه إلى الكعبة ، قاله البراء ، وابن عباس ، وابن المسيب ، وأبو العالية ، وقتادة . وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مقدمة في النزول على قوله تعالى : (سيقول السفهاء من الناس) واختلفوا في سبب اختيار النبي الكعبة على بيت المقدس على قولين . أحدهما : أنها كانت قبلة إبراهيم ، روي عن ابن عباس . والثاني : لمخالفة اليهود ، قاله مجاهد . ومعنى تقلب وجهه : نظره إليها عينا وشمالاً . و« في » بمعنى « إلى » و« ترضاها » بمعنى : « تحبها » . و« الشطر » : النحو من غير خلاف . قال ابن عمر : أتى الناس

آت وهم في صلاة الصبح بقاء ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وأمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها [وكانت وجوههم إلى الشام] فاستداروا وهم في صلاتهم .^(١)

﴿ فصل ﴾

اختلف العلماء أي وقت حولت القبلة ؟ على ثلاثة أقوال . أحدها : أنها حولت في صلاة الظهر يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله المدينة ، قاله البراء بن عازب ، ومقل بن يسار . والثاني : أنها حولت يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه المدينة ، قاله قتادة . والثالث : أنها حولت في جمادى الآخرة ، حكاه ابن سلامة المفسر عن إبراهيم الحربي . وفي (الذين أوتوا الكتاب) قولان . أحدهما : اليهود ، قاله مقاتل . والثاني : اليهود والنصارى ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

قوله تعالى : (ليعلمون أنه الحق) يشير إلى ما أمر به من التوجه إلى الكعبة ، ثم توعدهم بباقي الآية على كتمانهم ما علموا . ومن أين علموا أنه الحق ؟ فيه أربعة أقوال . أحدها : أن في كتابهم الأمر بالتوجه إليها ، قاله أبو العالية . والثاني : يعلمون أن المسجد الحرام قبله إبراهيم . والثالث : أن في كتابهم أن محمداً رسول صادق ، فلا يأمر إلا بحق . والرابع : أنهم يعلمون جواز النسخ .

﴿ ولئن أنيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾

(١) رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » ، ولفظه : عن ابن عمر قال : بينما الناس في صلاة الصبح بقاء ، إذ جاءهم آت ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة .

قوله تعالى : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية)

سبب نزولها أن يهود المدينة ونصارى نجران قالوا للذي : اثنتا بآية كما أتى الأنبياء قبلك ، فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : (ما تبعوا قبلتك) يريد : الكعبة (وما بعضهم بتابع قلة بعض) لأن اليهود يصلون قبل المغرب إلى بيت المقدس ، والنصارى قبل المشرق (ولئن اتبعت أهواءهم) فصليت إلى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) قال مقاتل : يريد بالعلم : البيان .

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾

قوله تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) في هاء « يعرفونه » قولان . أحدهما : أنها تعود على النبي ﷺ ، قاله ابن عباس . والثاني : تعود على صرفه إلى الكعبة ، قاله أبو العالية ، وقادة ، والسدي ، ومقاتل . وروي عن ابن عباس أيضاً . وفي الحق الذي كتموه قولان . أحدهما : أنه النبي ﷺ ، قاله مجاهد . والثاني : أنه التوجه إلى الكعبة ، قاله السدي ، ومقاتل في آخرين .

وفي قوله : (وهم يعلمون) قولان . أحدهما : وهم يعلمون أنه حق . والثاني : وهم يعلمون ما على مخالفه من العقاب .

﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾

قوله تعالى : (الحق من ربك)

قال الزجاج : أي : هذا الحق من ربك . والممترون : الشاكثون ، والخطاب عام .

﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً

إن الله على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى: (ولكل وجهة)

أي: لكل أهل دين وجهة. المراد بالوجهة: القبلة، قاله ابن عباس في آخرين. قال الزجاج: يقال: جهة، ووجهة. وفي «هو» ثلاثه أقوال. أحدها: أنها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: الله موليتها إياهم، أي: أمرهم بالتوجه إليها. والثاني: ترجع إلى المتولي، فالمعنى: هو موليتها نفسه، فيكون «هو» ضمير كل. والثالث: يرجع إلى البيت، قاله مجاهد: أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة. والجمهور يقرؤون: (موليتها). وقرأ ابن عامر، والوليد عن يعقوب: «هو مولاه» بآلف بعد اللام، فضمير «هو» لكل، ومعنى القراءتين متقاربت.

قوله تعالى: (فاستبقوا الخيرات) أي: بادروها. وقال قتادة: لا تغلبوا على قبائلكم، (أيما تكونوا يأت بكم الله جميعاً) قال ابن عباس وغيره: هذا في يوم القيامة. فأما إعادة قوله: ﴿ومن حيث خرجت فقول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك﴾ وما الله بنافل عما تعملون. ومن حيث خرجت فقول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فقولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الدين منهم ظلموا فلا تحشوهم واخشوني ولا تؤم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴿

قوله تعالى: (ومن حيث خرجت فقول وجهك شطر المسجد الحرام) فانه تكرير تأكيد، ليحسم طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين أبداً إلى قبلتهم.

قوله تعالى: (لئلا يكون للناس) في الناس قولان، أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقاتادة، ومقاتل. والثاني: مشركو العرب، رواه السدي عن أشياخه. فمن قال بالأول؛ قال: احتجاج أهل الكتاب أنهم قالوا للنبي: مالك تركت قبله بيت المقدس! إن كانت ضلالة؛ فقد دنت بها الله، وإن كانت هدى؛ فقد نقلت عنها. وقال قتادة: قالوا: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه. ومن قال بالثاني؛ قال: احتجاج المشركين

أنهم قالوا : قد رجع إلى قبلكم ، ويوشك أن يعود إلى دينكم .

وتسمية باطلهم حجة على وجه الحكاية عن المحتج به ، كقوله تعالى : (حجبتهم داخضة

عند ربهم) الشورى : ١٦ . وقوله : (فرحوا بما عندهم من العلم) غافر : ٨٣ .

قوله تعالى : (إلا الذين ظلموا منهم) قال الزجاج : معناه : إلا من ظلم باحتجاجه فيما

قد وضع له ، كما تقول : مالك علي حجة إلا الظلم ، أي : إلا أن تظمني . أي : مالك علي البتة ،

ولكنك تظمني . قال ابن عباس : (فلا تخشوم) في انصرافكم إلى الكعبة (واخشوني)

في تركها .

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب

والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾

قوله تعالى : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) قال الزجاج : « كما » لا تصلح أن تكون

جواباً لما قبلها ، والأجود أن تكون معلقة بقوله : (فاذكروني) وقد روي معناه عن علي ،

وابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل . والآية خطاب لمشركي العرب . وفي قوله : (ويزكيهم)

ثلاثة أقوال ، قد سبق ذكرها في قصة إبراهيم . والكتاب : القرآن . والحكمة : السنة .

﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾

قوله تعالى : (فاذكروني)

قال ابن عباس ، وابن جبير : اذكروني بطاعتي أذكركم بغفرتي . وقال إبراهيم بن

السري : كما أنعمت عليكم بالرسالة ، فاذكروني بتوحيدي وتصديق نبيي . قال : فإن قيل :

كيف يكون جواب : (كما أرسلنا) : (فاذكروني) ؟ فإن قوله : (فاذكروني) أمر . وقوله :

(أذكركم) جزاؤه ؛ فالجواب : أن المعنى : إن تذكروني أذكركم .

قوله تعالى : (واشكروا لي) الشكر : الاعتراف بحق المنعم ، مع الثناء عليه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)

سبب نزولها أن المشركين قالوا : سيرجع محمد إلى ديننا، كما رجع إلى قبلتنا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة . وقال ابن عباس : استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على أداء الفرائض، وبالصلاة، وقد سبق الكلام في الصبر، وبيان الاستمانة به وبالصلاة.

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمُوتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾

قوله تعالى : (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمُوتٌ)

سبب نزولها أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأحد : مات فلان يبدر، مات فلان بأحد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس . ورفع الأموات باضمار مكنى من أسمائهم، أي : لا تقولوا : هم أموات، ذكر نحوه الفراء . فان قيل : فنحن نراهم موتى، فإوجه النهي ؟ فالجواب أن المعنى : لا تقولوا : هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات، ولا تنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء، بل هم أحياء، أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة^(١)، فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح، ذكره ابن الأباري . فان قيل : أليس جميع المؤمنين منعمين بعد موتهم ؟ فلم خصصتم الشهداء ؟ فالجواب : أن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة وما كلفها، وغيرهم منعم بما دون ذلك، ذكره ابن جرير الطبري .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾

وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿

(١) جاء في « صحيح مسلم » أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث

شأنت . . . الحديث

قوله تعالى : (ولنبليكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال)
قال الفراء : « من » تدل على أن لكل صنف منها شيئاً مضمراً ، فتقديره : بشيء من الخوف ، وشيء من الجوع ، وشيء من نقص الأموال .
وفيمن أريد في هذه الآية أربعة أقوال . أحدها : أنهم أصحاب النبي خاصة ، قاله عطاء . والثاني : أنهم أهل مكة . والثالث : أن هذا يكون في آخر الزمان . قال كعب : يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمر . والرابع : أن الآية على عمومها .

فأما الخوف ؛ فقال ابن عباس : وهو الفرع في القتال . والجوع : المجاعة التي أصابت أهل مكة سبع سنين . ونقص من الأموال : ذهاب أموالهم ، والأنفس بالموت والقتل الذي نزل بهم ، والثمرات لم تخرج كما كانت تخرج . وحكى أبو سليمان الدمشقي عن بعض أهل العلم : أن الخوف في الجهاد ، والجوع في فرض الصوم ، ونقص الأموال : ما فرض فيها من الزكاة والحج ، ونحو ذلك . والأنفس : ما يستشهد منها في القتال ، والثمرات : ما فرض فيها من الصدقات . (وبشر الصابرين) على هذه البلاوي بالجنة .

واعلم أنه إنما أخبرهم بما سيصيبهم ، ليوطنوا أنفسهم على الصبر ، فيكون ذلك أبعد لهم من الجزع . (قالوا : إنا لله) يريدون : نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء (وإنا إليه راجعون) يريدون : نحن مقرّون بالبعث والجزاء على أعمالنا ، والثواب على صبرنا . قال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة شيئاً لم يعطه الأنبياء قبلهم (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) . ولو أعطيتهم الأنبياء لأعطيتهم يعقوب ، ألم تسمع إلى قوله (يا أَسْفَى على يوسف) قال الفراء : وللمرب في المصيبة ثلاث لغات : مصيبة ، ومضابة ، ومصوبة ، زعم الكسائي أنه سمع أعرابياً يقول : جبر الله مصوبتك .

﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾

قوله تعالى: (أولئك عليهم صلوات من ربهم)

قال سعيد بن جبیر: الصلوات من الله: المغفرة (وأولئك هم المهتدون) بالاسترجاع.

قال عمر بن الخطاب: نعم العدلان، ونعمت الملاوة: (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون) ^(١).

﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرُوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ

بِهَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَأَنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى

مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾

قوله تعالى: (إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله)

في سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها: أن رجلاً من الأنصار ممن كان يهملُ لمناة في الجاهلية — ومناة: ضم كان بين

مكة والمدينة — قالوا: يا رسول الله! إنا كنا لا نطَّوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، فهل علينا

من حرج أن نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية . رواه عروة عن عائشة ^(٢).

والثاني: أن المسلمين كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة، لأنه كان على الصفا عاتيل

وأصنام؛ فنزلت هذه الآية . رواه عكرمة عن ابن عباس . وقال الشعبي: كان وثن على

(١) العدل بكسر العين: نصف الحل يكون على أحد جنبي البعير . والملاوة: هي ما يوضع بين

العدلين، وهي زيادة في الحل، وأراد بالمدلين: الصلاة، والرحمة . وبالملاوة: الاهتداء، وقد أخرج هذا الأثر البخاري تعليقاً، ووصله الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» وسنده صحيح، ورواه أحمد والبخاري ومسلم مطولاً .

الصفاء يدعى : إساف ، ووتن على المروة يدعى : نائلة ، وكان أهل الجاهلية يسمون بينها ويمسحون بها ، فلما جاء الإسلام كفوا عن السمي بينهما ، فنزلت هذه الآية .
 والثالث : أن الصحابة قالت للنبي ﷺ : إنا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة ، وإن الله تعالى ذكر الطواف بالبيت ، ولم يذكره بين الصفا والمروة ، فهل علينا من حرج أن لا نطوِّفَ بها ؛ فنزلت هذه الآية . رواه الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن جماعة من أهل العلم . قال إبراهيم بن السري : الصفا في اللغة : الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئاً ، وهو جمع ، واحده صفاة وصفاء ، مثل : حصاة وحصى . والمروة : الحجارة اللينة ، وهذان الموضعان من شعائر الله ، أي : من أعلام متعبداته . وواحد الشعائر : شعيرة . والشعائر : كل ما كان من موقف أو سمي أو ذبح . والشعائر : من شعرت بالشئ : إذا علمت به ، فسميت الأعلام التي هي متعبدات الله : شعائر الله . والحج في اللغة : القصد ، وكذلك كل قاصد شيئاً فقد اعتمره . والجناح : الإثم ، أخذ من جنح : إذا مال وعدل ، وأصله من جناح الطائر ، وإنما اجتنب المسلمون الطواف بينهما ، لمكان الأوثان ، فقليل لهم : إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب اجتنابهما ، فأعلم الله عز وجل أنه لا إله إلا الله لا إله إلا الله ، وأن من تطوع بذلك فإن الله شاكر عليم . والشكر من الله : المجازاة والثناء الجميل ، والجمهور قرؤوا (ومن تطوعَ) بالثناء ونصب العين . منهم : ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر . وقرأ حمزة ، والكسائي « يطوعُ » بالياء وجزم العين . وكذلك خلافتهم في التي بعدها بآيات .

﴿ فصل ﴾

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السمي بين الصفا والمروة ، فنقل الأثرم أن من ترك السمي لم يجزه حجه . ونقل أبو طالب : لا شيء في تركه عمداً أو سهواً ، ولا ينبغي أن يتركه . ونقل الميموني أنه تطوع .

قوله تعالى : (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) قال أبو صالح عن ابن عباس : نزلت في رؤساء اليهود ، كتموا ما أنزل الله في التوراة من البينات والهدى ، فالبينات : الحلال والحرام والحدود والفرائض . والهدى : نعمت النبي وصفته (من بعد ما بيناه للناس) قال مقاتل : لبني إسرائيل . وفي الكتاب قولان . أحدهما : أنه التوراة ، وهو قول ابن عباس . والثاني : التوراة والإنجيل ، قاله قتادة . (أولئك) إشارة إلى السكّاتين (يلعنهم الله) قال ابن قتيبة : أصل اللعن في اللغة : الطرد ، ولعن الله إبليس ، أي : طرده ، ثم انتقل ذلك فصار قولاً . قال الشماخ وذكروا :
 ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه مقام الذنب كالرجل اللعين^(١)

أي : الطريد . وفي اللاعنين أربعة أقوال . أحدها : أن المراد بهم : دواب الأرض ، رواه البراء عن النبي ﷺ^(٢) وهو قول مجاهد ، وعكرمة . قال مجاهد : يقولون : إنا منعنا القطر بذنوبكم ، فيلعنونه . والثاني : أنهم المؤمنون ، قاله عبد الله بن مسعود . والثالث : أنهم الملائكة والمؤمنون ، قاله أبو العافية ، وقاتة . والرابع : أنهم الجن والإنس وكل دابة ، قاله عطاء .

❦ فصل ❦

وهذه الآية توجب إظهار علوم الدين ، منصوصة كانت أو مستنبطة ، وتدل على امتناع جواز أخذ الأجرة على ذلك ، إذ غير جائز استحقاق الأجر على ما يجب فعله ، وقد روى الأعرج عن أبي هريرة أنه قال : إنكم تقولون : أكثر أبو هريرة على النبي ﷺ ،

(١) قال في «اللسان» أراد مقام الذنب الطريد ، كالرجل . والرجل اللعين المطرود ، لا يزال متنبذاً عن الناس ، شبه الذنب به في ذله وشدة مخافته وذعره .

(٢) رواه ابن ماجه ، وابن أبي حاتم ، وفي سنده ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف .

والله الموعد ، وإيم الله : لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحداً بشيء أبداً ، ثم تلا (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا) . . إلى آخرها ^(١) .

﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا ويؤتوا فآولئك أئوبٌ عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾
قوله تعالى : (إلا الذين تابوا)

قال ابن مسعود : إلا الذين تابوا من اليهود وأصلحوا أفعالهم ، وبينوا صفة رسول الله في كتابهم .

﴿ فصل ﴾

وقد ذهب قوم إلى أن الآية التي قبل هذه منسوخة بالاستثناء في هذه ، وهذا ليس بنسخ ، لأن الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ ، وذلك يقتضي التخصيص دون النسخ ، ومما يحقق هذا أن الناسخ والمنسوخ لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك العمل بالآخر ، وهاهنا يمكن العمل بالمستثنى والمستثنى منه .

﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾

قوله تعالى : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ)

إنما شرط الموت على الكفر ، لأن حكمه يستقر بالموت عليه ، فإن قيل : كيف قال : (والناس أجمعين) وأهل دينه لا يلعنونه ، فعنه ثلاثة أجوبة . أحدها : أنهم يلعنونه في الآخرة . قال الله عز وجل : (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً)

(١) رواه أحمد ، والبخاري ومسلم ، وغيرهم . وقوله : « والله الموعد » قال القاضي عياض في « المشرق » أي : عند الله المجتمع ، أو إليه . وقال الحافظ في « الفتح » ومراده أن الله تعالى يحاسبني إن تعمدت كذباً ، ويحاسب من يظن بي سوء .

العنكبوت : ٢٥. وقال : (كلما دخلت أمة لعنت أختها) الأعراف : ٣٨ . والثاني : أن المراد بالناس هاهنا : المؤمنون ، قاله ابن مسعود ، وقتادة ، ومقاتل . فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص . والثالث : أن اللعنة من الأكثر يطلق عليها : لعنة جميع الناس تغليبا لحكم الأكثر على الأقل .

﴿ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾

قوله تعالى : (خالدين فيها) في هاء الكناية قولان . أحدها : أنها تعود إلى اللعنة ، قاله ابن مسعود ، ومقاتل . والثاني : أنها ترجع إلى النار ، وإن لم يجر لها ذكر فقد علمت .

﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾

قوله تعالى : (وإلهكم إله واحد)

قال ابن عباس : إن كفار قريش قالوا : يا محمد صف لنا ربك وانسبه ، فنزلت هذه الآية ، وسورة الإخلاص . والإله بمعنى : المعبود .

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون ﴾

قوله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض)

في سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن المشركين قالوا للنبي : اجعل لنا الصفا ذهباً إن كنت صادقاً ؛ فنزلت هذه الآية ، حكاه السدي عن ابن مسعود ، وابن عباس . والثاني : أنهم لما قالوا : انسب لنا ربك وصفه ؛ فنزلت : (وإلهكم إله واحد) قالوا : فأرنا آية ذلك ؛ فنزلت : (إن في خلق السموات والأرض) إلى قوله : (يعقلون) رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثالث : أنه لما نزلت (وإلهكم إله واحد) قال كفار قريش : كيف يسمع الناس إله واحد ؛ فنزلت هذه الآية ، قاله عطاء .

فأما (السموات)؛ فتدل على صانعها ، إذ هي قائمة بغير عمد ، وفيها من الآيات الظاهرة ، ما يدل يسيره على مبدعه ، وكذلك الأرض في ظهور ثمارها ، وتمهيد سهولها ، وإرساء جبالها ، إلى غير ذلك . (واختلاف الليل والنهار) كل واحد منها حادث بعد أن لم يكن ، وزائل بعد أن كان (والفلك) : السفن . قال ابن قتيبة : الواحد والجمع بلفظ واحد . وقال اليزيدي : واحدة فلكة ، ويذكر ويؤنث . وقال الزجاج : الفلك : السفن ، ويكون واحداً ، ويكون جمعاً ، لأنَّ فعل ، وفعل جمعها واحد ، وبأيتان كثيراً بمعنى واحد . يقال : العجم والعُجم ، والعرب والعُرب ، والفلك والفُلك . والفلك : يقال لكل شيء مستدير ، أو فيه استدارة . (و البحر) : الماء الغزير (بما ينفع الناس) من المعاش . (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعني : المطر ، والمطر ينزل على معنى واحد ، وأجزاء الأرض والهواء على معنى واحد ، والأنواع تختلف في النبات والطعوم والألوان والأشكال المختلفة ، وفي ذلك رد على من قال : إنه من فعل الطبيعة ، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يتفق موجهها ، إذ المتفق لا يوجب المختلف ، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله : (يسقى ماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) الرعد : ٤ .

قوله تعالى : (وبثَّ أي : فرق .

قوله تعالى : (وتصريف الرياح) قرأ ابن كثير (الرياح) على الجمع في خمسة مواضع : هاهنا . وفي الحجر : ٢٢ . (وأرسلنا الرياح لواقح) وفي الكهف : ٤٦ . (تذروه الرياح) وفي الروم : ٤٦ . الحرف الأول (الرياح) . وفي الجاثية : ٤ (وتصريف الرياح) وقرأ باقي القرآن (الريح) . وقرأ أبو جعفر (الرياح) في خمسة عشر موضعاً في البقرة ، وفي الأعراف : ٥٦ . (يرسل الرياح) وفي إبراهيم : ١٨ . (اشتدت به الرياح) وفي الحجر : ٢٢ . (الرياح لواقح) وفي سبحان : ١٩ . وفي الكهف : ٤٥ . (تذروه الرياح) وفي الأنبياء : ٨١ .

وفي الفرقان : ٤٨ . (أرسل الرياح) وفي النمل . والثاني من الروم : ٤٨ . وفي سبأ : ١٢ .
وفي : ص : ٣٦ . وفي عسق : ٣٣ . (يسكن الرياح) وفي الجاثية : ٥ . (وتصريف الرياح)
تأبمه نافع إلا في سبحان . ورياح سليمان : الأنبياء : ٨١ . وتابع نافعا أبو عمرو إلا في
حرفين : (الريح) في إبراهيم ، وعسق ، ووافق أبا عمرو ، وعاصم ، وابن عامر . وقرأ
حمزة (الرياح) جمعاً في موضعين : في الفرقان ، والحرف الأول من الروم ، وباقين على
التوحيد . وقرأ الكسائي مثل حمزة ، إلا إنه زاد عليه في الحجر : ٢٢ . (الرياح لواقع) ولم
يختلفوا فيما ليس فيه ألف ولام ، فمن جمع ؛ فكل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد
والنفع ، ومن واحد ؛ أراد الجنس .

ومعنى تصريف الرياح : تقلبها شمالاً مرة ، وجنوباً مرة ، ودبوراً أخرى ، وصباً
أخرى ، وعذاباً ورحمة (والسحاب المسخر) : المذلل . والآية فيه من أربعة أوجه ، ابتداء
كونه ، وانتهاء تلاشيهِ ، وقيامه بلا دعامة ولا علاقة ، وإرساله إلى حيث شاء الله تعالى .
آيات . الآية : العلامة . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ قال : أخبرنا عاصم قال : أخبرنا ابن
بشران قال : أخبرنا ابن صفوان قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثني هارون قال : حدثني
عفان عن مبارك بن فضالة قال : سمعت الحسن يقول : كانوا يقولون ، يعني : أصحاب النبي
ﷺ : الحمد لله الرفيق ، الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف ، لقال الشاك في
الله : لو كان لهذا الخلق ربٌ لحادثه ، وإن الله تعالى قد حادث عاترون من الآيات ، إنه
جاء بضوء طبّق ما بين الخافقين ، وجعل فيها معاشاً ، وسراجاً وهاجاً ، ثم إذا شاء ذهب
بذلك الخلق ، وجاء بظلمة طبّقت ما بين الخافقين ، وجعل فيه سكناً ونجوماً ، وقرأ منيراً ،
وإذا شاء ، بنى بناءً ، جعل فيه المطر ، والبرق ، والرعد ، والصواعق ، ما شاء ، وإذا شاء
صرف ذلك ، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس ، وإذا شاء ذهب بذلك ، وجاء بحرٌ يأخذ

أنفاس الناس ، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما ترون من الآيات ، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة .

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ﴾ قوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً)

في الأنداد قولان قد تقدما في أول السورة . وفي قوله : (يحبونهم كحب الله) قولان .

أحدهما : أن معناه : يحبونهم كحب الذين آمنوا لله ، هذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي العالية ، وابن زيد ، ومقاتل ، والفراء .

والثاني : يحبونهم كمحبتهم لله ، أي : يسوون بين الأوثان وبين الله تعالى في المحبة . هذا اختيار الزجاج ، قال : والقول الأول ليس بشيء ، والدليل على تقضيه قوله : (والذين آمنوا أشد حبا لله) قال المفسرون : أشد حبا لله من أهل الأوثان لا أوثانهم .

قوله تعالى : (ولو يرى الذين ظلموا) قرأ أبو عمرو ، وابن كثير ، وعاصم ، وحمة والكسائي : (يرى) بالياء ، ومعناه : لو يرون عذاب الآخرة ؛ لعلموا أن القوة لله جميعاً . وقرأ نافع ، وابن عامر ، ويعقوب : (ولو ترى) بالياء ، على الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد به جميع الناس . وجوابه محذوف ، تقديره : لرأيتم أمراً عظيماً ، كما تقول : لو رأيت فلاناً والسياط تأخذه . وإنما حذف الجواب ، لأن المعنى واضح بدونه . قال أبو علي : وإنما قال : « إذ » ولم يقل : « إذا » وإن كانت « إذ » لما مضى ، لإرادة تقريب الأمر ، فأتى بمثال الماضي ، وإنما حذف جواب « لو » لأنه أفخم ، للذهاب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد . وقرأ أبو جعفر ، (إن القوة لله) و : (إن الله) بكسر الهمزة فيها على الاستشاف ، كأنه يقول :

فلا يحزنك ما ترى من محبتهم أصنامهم (إن القوة لله جميعاً) قال ابن عباس : القوة : القدرة ، والمنعة .

﴿ إذ تبرأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطَّعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرزوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾

قوله تعالى : (من الذين اتَّبَعُوا) فيهم قولان . أحدهما : أنهم القادة والرؤساء ، قاله ابن عباس ، وأبو العالية ، وقتادة ، ومقاتل ، والزجاج . والثاني : أنهم الشياطين ، قاله السدي .

قوله تعالى : (ورأوا العذاب) يشمل الكل . (وتقطَّعت بهم الأسباب) أي : عنهم ، مثل قوله : (فَسْتَلْ بِهِ خَيْراً) الفرقان : ٥٩ . وفي (الأسباب) أربعة أقوال . أحدها : أنها المودات ، وإلى نحوه ذهب ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة . والثاني : أنها الأعمال ، رواه السدي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وهو قول أبي صالح وابن زيد . والثالث : أنها الأرحام . رواه ابن جريج عن ابن عباس . والرابع : أنها تشمل جميع ذلك . قال ابن قتيبة : هي الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا ، فأما تسميتها بالأسباب ، فالسبب في اللغة : الحبل ، ثم قيل لكل ما يتوصل به إلى المقصود : سبب . والكرة : الرجعة إلى الدنيا ، قاله ابن عباس ، وقتادة في آخرين (فتبرأ منهم) يريدون : من القادة (كما تبرزوا منا) في الآخرة . (كذلك يريهم الله أعمالهم) قال الزجاج : أي : كتبرؤ بعضهم من بعض ، يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم ؛ لأن أعمال الكافر لا تنفعه ، وقال ابن الأنباري : يريهم الله أعمالهم القيحة حسراتٍ عليهم إذا رأوا أحسن المجازاة للمؤمنين بأعمالهم ، قال : ويجوز أن يكون : كذلك يريهم الله ثواب أعمالهم الصالحة وجزاءها ، فحذف الجزاء

وأقام الأعمال مقامه . قال ابن فارس : والحسرة : التلهف على الشيء الفات . وقال غيره :
الحسرة : أشد الندامة .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) نزلت في ثقيف ، وخزاعة ،
وبني عامر بن صعصعة ، فما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام ، وحرّموا البحيرة ،
والسائبة ، والوصيلة ، والحام ، قاله ابن السائب .

قوله تعالى : (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، والنكسائي ،
وحفص عن عاصم (خُطُوَاتِ) منقولة ^(١) . وقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم ،
وحمة (خُطُوَاتِ) ساكنة الطاء خفيفة . وقرأ الحسن ، وأبو الجوزاء (خُطُوَاتِ) بفتح
الخاء وسكون الطاء من غير همز . وقرأ أبو عمران الجوني بضم الخاء والطاء مع الهمز . قال
ابن قتيبة : خطواته : سبيله ومسلكه ، وهي جمع خُطوة ، والخطوة بضم الخاء : ما بين
القدمين ، وفتحتها : الفعلة الواحدة . واتباعهم خطواته : أنهم كانوا يحرّمون أشياء قد
أحلها الله ، ويحلّون أشياء قد حرمها الله .

قوله تعالى : (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) أي : يبين . وقيل : أبان عداوته بما جرى
له مع آدم .

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى : (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ) السوء : كل إثم وقبح . قال ابن عباس : وإِنَّمَا
سمي سوءاً ، لأنه تسوء عواقبه ، وقيل : لأنه يسوء إظهاره (والفحشاء) من : فحش الشيء :
إذا جاز قدره . وفي المراد بها هاهنا خمسة أقوال . أحدها : أنها كل معصية لها حد في الدنيا .

(١) أي : مضمومة الطاء .

والثاني : أنها ما لا يعرف في شريعة ولا سنة . والثالث : أنها البخل ، وهذه الأقوال الثلاثة منقولة عن ابن عباس . والرابع : أنها الزنى ، قاله السدي . والخامس : المعاصي ، قاله مقاتل . قوله تعالى : (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أي : أنه حرم عليكم ما لم يحرم . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَى نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُنَا لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال . أحدها : أنها في الذين قيل لهم : (كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) فملى هذا تكون الهاء والميم عائدة عليهم ، وهذا قول مقاتل . والثاني : أنها نزلت في اليهود ، وهي قصة مستأنفة ، فتكون الهاء والميم كناية عن غير مذكور ، ذكره ابن إسحاق عن ابن عباس . والثالث : في مشركي العرب وكفار قريش ، فتكون الهاء والميم عائدة إلى قوله : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) فملى القول الأول ؛ يكون المراد بالذي أنزل الله : تحليل الحلال ، وتحريم الحرام . وعلى الثاني يكون : الإسلام . وعلى الثالث : التوحيد والإسلام . (وَأَلْفَيْنَا) بمعنى : وجدنا .

قوله تعالى : (أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُنَا لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا) من الدين ، ولا يهتدون له ، أي تبعونهم أيضاً

في خطئهم واقترائهم !.

﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي يَسْتَعِيقُ بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صُمُّ بِكُمْ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

قوله تعالى : (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق)

في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال .

أحدها : أن معناها : ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينطق بها الراعي ، وهذا قول الفراء ، وتعلب ، قالا جميعاً : أضاف المثل إلى الذين كفروا ، ثم شبههم بالراعي ، ولم يقل : كالغنم ، والمعنى : ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت ، فلو قال لها الراعي : ارعي ، أو اشربي ؛ لم تدر ما يقول لها ، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن ، وإنذار الرسول ، فأضيف التشبيه إلى الراعي ، والمعنى في المرعي ، وهو ظاهر في كلام العرب ، يقولون : فلان يخافك كخوف الأسد ، والمعنى : كخوفه الأسد [لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف] . قال الشاعر :

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى : كما كان الرجم فريضة الزنى .

والثاني : أن معناها : ومثل الذين كفروا ، ومثلنا في وعظهم ، كمثل الناقع والمنعوق به ، فحذف : ومثلنا ، اختصاراً ، إذ كان في الكلام ما يدل عليه ، وهذا قول ابن قتيبة ، والزجاج .

والثالث : ومثل الذين كفروا في دعائهم آهتهم التي يعبدون ، كمثل الذي ينطق ، هذا قول ابن زيد ، والذي ينطق هو الراعي ، يقال : نطق بالغنم ، ينطق نطقاً ونعيقاً ونعاقاً ونعقائاً . قال ابن الأنباري : والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال : نطق ، إلا في الصباح بالغنم وحدها ، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى . (صَمُّ بُكْمٌ) إنما وصفهم بالصم والبكم ، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع ، وكذلك في النطق والنظر ، وقد سبق شرح هذا المعنى .

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (إنا حرّم عليكم الميتة)

قرأ أبو جعفر « الميتة » هاهنا ، وفي المائدة ، والنحل : (و (بلدة ميتة)) ق : ١١ . بالتشديد ، حيث وقع . والميتة في عرف الشرع : اسم لكل حيوان خرجت روحه بغير ذكاة . وقيل : إن الحكمة في تحريم الميتة أن جمود الدم فيها بالموت يحدث ، أذى للآكل ، وقد يسمى المذبوح في بعض الأحوال : ميتة حكماً ، لأن حكمه حكم الميتة ، كذبيحة المرتد . فأما الدم ؛ فالمحرم منه : المسفوح ، لقوله تعالى : (أو دمأ مسفوحاً) الأنعام : ١٤٥ . قال القاضي أبو يعلى : فأما الدم الذي يبقى في خلل اللحم بعد الذبح ، وما يبقى في المروق ؛ فهو مباح . فأما لحم الخنزير ؛ فالمراد بجهلته ، وإنا خص اللحم ، لأنه معظم المقصود . قال الزجاج : الخنزير يشتمل على الذكر والأنثى . ومعنى (وما أهلّ به لغير الله) البقرة : ١٧٣ . ما رفع فيه الصوت بتسمية غير الله ، ومثله الإلهال بالحج ، إنا هو رفع الصوت بالتلبية .

قوله تعالى : (فمن اضطر) أي : ألجى ، بضرورة . وقرأ أبو جعفر : (فمن اضطر) بكسر الطاء حيث كان . وأدغم ابن محيصن الضاد في الطاء .

قوله تعالى : (غير باغٍ) قال الزجاج : البغي : قصد الفساد ، يقال : بنى الجرخ : إذا تراعى إلى الفساد . وفي قوله : (غير باغٍ ولا عادٍ) أربعة أقوال . أحدها : أن معناه غير باغٍ على الولاية ، ولا عادٍ يقطع السبيل ، هذا قول سعيد بن جبير ، ومجاهد . والثاني : غير باغٍ في أكله فوق حاجته ، ولا متعمدٌ بأكلها وهو يجد غيرها ، هذا قول الحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، والربيع . والثالث : غير باغٍ ، أي : مستحلٌ ، ولا عاد : غير مضطر ، روي عن سعيد بن جبير ، ومقاتل . والرابع : غير باغٍ شهوته بذلك ، ولا عاد بالشبع منه ، قاله السدي .

❦ فصل ❦

معنى الضرورة في إباحة الميتة : أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه . سئل أحمد ،

رضي الله عنه ، عن المضطر إذا لم يأكل الميتة ، فذكر عن مسروق أنه قال : من اضطر فلم يأكل فأت دخل النار . فأما مقدار ما يأكل ؛ فنقل حنبل : يأكل مقدار ما يقيمه عن الموت . ونقل ابن منصور : يأكل بقدر ما يستغني . فظاهر الأولى : أنه لا يجوز له الشبع ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي ، وظاهر الثانية : جواز الشبع ، وهو قول مالك .

﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾
قوله تعالى : (إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب)

قال ابن عباس : نزلت في اليهود ، كتموا اسم النبي ﷺ ، وغيروه في كتابهم . والتمن القليل : ما يصيرونه من أتباعهم من الدنيا . (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) قال الزجاج : معناه : إن الذين يأكلونه يعذبون به ، فكأنهم يأكلون النار . (ولا يكلمهم) هذا دليل على أن الله لا يكلم الكفار ولا يحاسبهم .

قوله تعالى : (ولا يزكيهم) [فيه] ثلاثة أقوال . أحدها : لا يزكي أعمالهم ، قاله مقاتل . والثاني : لا يثني عليهم ، قاله الزجاج . والثالث : لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم ، قاله ابن جرير .

﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾

قوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة) أي : اختاروها على الهدى .

قوله تعالى : (فما أصبرهم على النار) فيه أربعة أقوال . أحدها : أن معناه : فما أصبرهم على عمل يؤدِّيهم إلى النار ! قاله عكرمة ، والريبع . والثاني : ما أجرأهم على النار ؛ قاله الحسن ، ومجاهد . وذكر الكسائي أن أعراياً حلف له رجل كاذباً ، فقال الأعرابي : ما أصبرك على الله ، يريد : ما أجرأك . والثالث : ما أبقاهم في النار ، كما تقول : ما أصبر فلاناً على الحبس ،

أي : ما أبقاه فيه ، ذكره الزجاج . والرابع : أن المعنى : فأني شيء صبرهم على النار ؟! قاله ابن الأنباري . وفي « ما » قولان . أحدهما : أنها للاستفهام ، تقديرها : ما الذي أصبرهم ؟ قاله عطاء ، والسدي ، وابن زيد ، وأبو بكر بن عياش . والثاني : أنها للتعجب ، كقوله : ما أحسن زيداً ، وما أعلم عمراً . وقال ابن الأنباري : معنى الآية التعجب ، والله يعجبُ المخلوقين ، ولا يعجب هو كعجبهم .

﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ قوله تعالى : (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) الإشارة بذلك إلى ما تقدم من الوعيد بالعذاب ، فتقديره : ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق ، فكفروا به واختلفوا فيه . وفي « الكتاب » قولان . أحدهما : أنه التوراة . والثاني : القرآن . وفي « الحق » قولان . أحدهما : أنه العدل ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه ضد الباطل ، قاله مقاتل . قوله تعالى : (وإن الذين اختلفوا في الكتاب) فيه قولان .

أحدهما : أنه التوراة . ثم في اختلافهم فيها ثلاثة أقوال . أحدها : أن اليهود والنصارى اختلفوا فيها ، فادعى النصارى فيها صفة عيسى ، وأنكر اليهود ذلك . والثاني : أنهم خالفوا ما في التوراة من صفة محمد ﷺ . والثالث : أنهم خالفوا سلفهم في التمسك بها . والثاني : أنه القرآن ، فمنهم من قال : شعر ، ومنهم من قال : إنما يعلمه بشر .

والشقاق : معاداة بعضهم لبعض . وفي معنى « بعيد » قولان . أحدهما : أن بعضهم متباعد في مشاقة بعض ، قاله الزجاج . والثاني : أنه بعيد من الهدى .

﴿ ليس البر أن تولثوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم

إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴿

قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم)

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً سأل عن «البر»، فأنزلت هذه الآية، فدعاه رسول الله، فتلاها عليه. وفيمن خطب بها قولان. أحدهما: أنهم المسلمون. والثاني: أهل الكتابين. فعلى القول الأول؛ معناها: ليس البر كله في الصلاة، ولكن البر ما في هذه الآية. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، وسفيان. وعلى القول الثاني؛ معناها: ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب، وصلاة النصارى إلى المشرق، ولكن البر ما في هذه الآية، وهذا قول قتادة، والريعي، وعوف الأعرابي، ومقاتل.

وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: (ليس البر) بنصب الراء. وقرأ الباقر برفعها، قال أبو علي: كلاهما حسن، لأن كل واحد من الاسمين؛ اسم «ليس» وخبرها، معرفة، فاذا اجتمعا في التعريف تكافأ في كون أحدهما اسماً، والآخر خبراً، كما تنكأ النكرتان. وفي المراد بالبر ثلاثة أقوال. أحدها: الإيمان. والثاني: التقوى. والثالث: العمل الذي يقرب إلى الله.

قوله تعالى: (ولكن البر من آمن بالله) فيه قولان. أحدهما: أن معناه: ولكن البر من آمن بالله. والثاني: ولكن ذا البر من آمن بالله، حكاهما الزجاج. وقرأ نافع، وابن عامر: (ولكن البر) بتخفيف نون «لكن» ورفع «البر». وإنما ذكر اليوم الآخر، لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون بالبعث. وفي المراد بالكتاب هاهنا قولان. أحدهما: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى الكتب، فيدخل في هذا اليهود، لتكذيبهم بعض النبيين وردم القرآن. قوله تعالى: (وآتى المال على حبه) في هاء «حبه» قولان. أحدهما: أنها ترجع إلى المال. والثاني: إلى الإيتاء. وكان الحسن إذا قرأها قال: سوى الزكاة المفروضة.

روى شيبان عن قتادة أن أهل الجاهلية كان فيهم بني وطاعة للشيطان ، وكانت الحلي منهم إذا كان فيهم عدة ومنعة ، فقتل عبدهم عبد قوم آخرين ؛ قالوا : لن نقتل به إلا حراً ، تعزراً لفضائلهم على غيرهم . وإذا قتلت امرأة منهم امرأة من آخرين ؛ قالوا : لن نقتل بها إلا رجلاً ؛ فنزلت هذه الآية . ومعنى « كتب » : فرض ، قاله ابن عباس وغيره . والقصاص : مقابلة الفعل بمثله ، مأخوذ من : قص الأثر . فإن قيل : كيف يكون فرضاً والولي مخير بينه وبين العقو ؟ فالجواب : أنه فرض على القاتل للولي ، لا على الولي .

قوله تعالى : (فمن عفي له من أخيه شيء) أي : من دم أخيه ، أي : ترك له القتل ، ورضي منه بالدية : ودل قوله : (من أخيه) على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام ، (فاتباع بالمعروف) أي : مطالبته بالمعروف ، بأمر أخذ الدية بالمطالبة الجميلة التي لا يرهقه فيها : (وأداء إليه باحسان) بأمر المطالب بأن لا يبخس ولا يماطل (ذلك تخفيف من ربكم) قال سعيد بن جبير : كان حكم الله على أهل التوراة أن يقتل قاتل العمد ، ولا يعفى عنه ، ولا يؤخذ منه دية ، فرخص الله لأمة محمد ، فإن شاء ولي المقتول عمداً ، قتل ، وإن شاء عفا ، وإن شاء ، أخذ الدية . قوله تعالى : (فمن اعتدى) أي : ظلم ، فقتل قاتل صاحبه بعد أخذ الدية ؛ (فله عذاب أليم) قال قتادة : يقتل ولا تقبل منه الدية .

❦ فصل ❦

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن دليل خطاب^(١) هذه الآية منسوخ ، لأنه لما قال : (الحر بالحر) ؛ اقتضى أن لا يقتل العبد بالحر ، وكذلك لما قال : (واللاتى باللاتى) ؛ اقتضى أن لا يقتل الذكر باللاتى من جهة دليل الخطاب ، وذلك منسوخ بقوله تعالى : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) قال شيخنا علي بن عبد الله : وهذا عند الفقهاء ليس بنسخ ، لأن الفقهاء يقولون : دليل الخطاب حجة مالم يعارضه دليل أقوى منه .

(١) دليل الخطاب عند الأصوليين هو مفهوم المخالفة ، وهو ثبوت نقيض حكم المنطوق المسكوت .

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الأبواب لعلكم تتقون﴾

قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة)

قال الزجاج: إذا علم الرجل أنه إن قَتَلَ قَتَلَ؛ أمسك عن القتل، فكان في ذلك حياة للذي هم بقتله ولنفسه، لأنه من أجل القصاص أمسك. وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أبلغ أبا مالك عني مغلفة وفي العتاب حياة بين أقوام

يريد: أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب. والأبواب: العقول، وإنما خصهم بهذا الخطاب وإن كان الخطاب عاماً، لأنهم المتفهمون بالخطاب، لكونهم يأترون بأمره وينتهون بنهيه.

قوله تعالى: (لعلكم تتقون) قال ابن عباس: لعلكم تتقون الدماء. وقال ابن زيد: لعلك تتقي أن يقتله فتقتل به.

﴿فصل﴾

نقل ابن منصور عن أحمد: إذا قتل رجل رجلاً بعضى، أو خنقه، أو شذخ رأسه بحجر، يقتل بمثل الذي قتل به. فظاهر هذا: أن القصاص يكون بغير السيف، ويكون بمثل الآلة التي قتل بها، وهو قول مالك، والشافعي. ونقل عنه حرب: إذا قتله بخشبة قتل بالسيف. ونقل أبو طالب: إذا خنقه قتل بالسيف. فظاهر هذا: أنه لا يكون القصاص إلا بالسيف، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾

قوله تعالى: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت)

قال الزجاج: المعنى: وكتب عليكم، إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف

بالواو . وعلم أن معناه معنى الواو ، وليس المراد : كتب عليكم أن يوصي أحدكم عند الموت ، لأنه في شغل حينئذ ، وإنما المعنى : كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية ، فيقول الرجل : إذا أنا مت ، ففلان كذا . فأما الخير هاهنا ؛ فهو المال في قول الجماعة .
وفي مقدار المال الذي تقع هذه الوصية فيه ستة أقوال . أحدها : أنه ألف درهم فصاعداً ، روي عن علي ، وقتادة . والثاني : أنه سبعمائة درهم فما فوقها ، رواه طاووس عن ابن عباس . والثالث : ستون ديناراً فما فوقها ، رواه عكرمة عن ابن عباس . والرابع : أنه المال الكثير الفاضل عن نفقة العيال . قالت عائشة لرجل سألها : إني أريد الوصية ، فقالت : كم مالك ؟ قال : ثلاثة آلاف ، قالت : كم عيالك ؟ قال : أربعة . قالت : هذا شيء يسير ، فدعه لعيالك . والخامس : أنه من ألف درهم إلى خمسمائة ، قاله إبراهيم النخعي . والسادس : أنه القليل والكثير ، رواه معمر عن الزهري . فأما المعروف ؛ فهو الذي لا حيف فيه .

❦ فصل ❦

وهل كانت الوصية ندباً أو واجبة ؟ فيه قولان . أحدهما : أنها كانت ندباً . والثاني : أنها كانت فرضاً ، وهو أصح ، لقوله تعالى : (كتب) ومعناه : فرض . قال ابن عمر : نسخت هذه الآية بآية الميراث . وقال ابن عباس : نسختها : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) النساء : ٧ . والعلماء متفقون على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون وهم مختلفون في الأقربين الذين لا يرثون : هل تجب الوصية لهم ؟ على قولين ، أحدهما أنها لا تجب لأحد .

❦ فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم ❦

قوله تعالى : (فمن بدّله) قال الزجاج : من بدل أمر الوصية بعد سماعه إياها ، فإنما إثمه

على مبدله ، لا على الموصي ، ولا على الموصى له (إن الله سميع) لما قد قاله الموصي (عليم)
 بما يفعله الموصى إليه .

﴿ فن خاف من موصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
 قوله تعالى : (فن خاف من موصٍ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص
 عن عاصم (موصٍ) ساكنة الواو ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم « مَوْصٍ »
 مفتوحة الواو مشددة الصاد . وفي المراد بالخوف هاهنا قولان . أحدهما : أنه العلم . والثاني :
 نفس الخوف . فعلى الأول ؛ يكون الجور قد وجد . وعلى الثاني : يخشى وجوده . و« الجنف » :
 الميل عن الحق . قال الزجاج : جنفاً ، أي : ميلاً ، أو إثمًا ، أي : قصد الإثم . وقال ابن عباس :
 الجنف : الخطأ ، والإثم : العمد . قال أبو سليمان الدمشقي : الجنف : الخروج عن الحق ، وقد
 يسمى به المخطيء والعامد ، إلا أن المفسرين علقوا الجنف على المخطيء ، والإثم على العامد .
 وفي توجيه هذه الآية قولان . أحدهما : أن معناها : من حضر رجلاً يموت ،
 فأسرف في وصيته ، أو قصر عن حق ؛ فليأمره بالمدل ، هذا قول مجاهد . والثاني : أن
 معناها : من أوصى بجور ، فرد وليه وصيته ، أو ردها إمام من أئمة المسلمين إلى كتاب الله
 وسنة نبيه ؛ فلا إثم عليه ، وهذا قول قتادة .

قوله تعالى : (فأصلح بينهم) أي : بين الدين أوصى لهم ، ولم يجر لهم ذكر ، غير أنه
 لما ذكر الموصي أفاد مفهوم الخطاب أن هناك موصى له ، وأنشد الفراء :

وما أدري إذا عمت أرضاً أريد الخير أيهما يليني ؟!

أأخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغي

فكُنِّي في البيت الأول عن الشر بعد ذكره الخير وحده ، لما في مفهوم اللفظ

من الدلالة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
 قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)

الصيام في اللغة : الإمساك في الجملة ، يقال : صامت الخيل : إذا أمسكت عن السير ،
 وصامت الريح : إذا أمسكت عن الهبوب . والصوم في الشرع : عبارة عن الإمساك عن
 الطعام والشراب والجماع مع انضمام النية إليه . وفي الذين من قبلنا ثلاثة أقوال . أحدها :
 أنهم أهل الكتاب ، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس ، وهو قول مجاهد . والثاني : أنهم
 النصارى ، قاله الشعبي ، والريبع . والثالث : أنهم جميع أهل الملل ، ذكره أبو صالح عن
 ابن عباس .

وفي موضع التشبيه في كاف (كما كتب) قولان . أحدهما : أن التشبيه في حكم
 الصوم وصفته ، لا في عدده . قال سعيد بن جبير : كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل أن يطعم
 لم يحل له أن يطعم إلى القابلة ، والنساء عليهم حرام ليلة الصيام ، وهو عليهم ثابت . وقد
 أُرخص لكم . فلي هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث)
 البقرة : ١٨٧ . فانها فرقت بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين . والثاني : أن التشبيه
 في عدد الأيام . ثم في ذلك قولان . أحدهما : أنه فرض على هذه الأمة صوم ثلاثة أيام من
 كل شهر ، وقد كان ذلك فرضاً على من قبلهم . قال عطية عن ابن عباس في قوله تعالى :
 (كما كتب على الذين من قبلكم) قال : كان ثلاثة أيام من كل شهر ، ثم نسخ بـرمضان .
 قال معمر عن قتادة : كان الله قد كتب على الناس قبل رمضان ثلاثة أيام من كل شهر ، فعلى
 هذا القول تكون الآية منسوخة بقوله تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) والثاني :
 أنه فرض على من قبلنا صوم رمضان بعينه . قال ابن عباس : فقدم النصارى يوماً ثم يوماً ،
 وآخرَ يوماً ، ثم قالوا : تقدم عشرًا وتؤخر عشرًا . وقال السدي عن أشياخه : اشتد على
 النصارى صوم رمضان ، فجعل يتقلب عليهم في الشتاء والصيف ، فلما رأوا ذلك اجتمعوا

فجعلوا صياماً في الفصل بين الشتاء والصيف ، وقالوا : نزيد عشرين يوماً نكفر بها ما صنعنا .
فعلى هذا تكون الآية محكمة غير منسوخة .

قوله تعالى : (لعالمكم تنقون) لأن الصيام وصلة إلى التقى ، إذ هو يكف النفس عن كثير مما تتطلع إليه من المعاصي ، وقيل : لعالمكم تنقون محظورات الصوم .
﴿ أياماً معدودات فن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يُطبقونه فدية طعام مسكين فن تطوع خير أو فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾

قوله تعالى : (أياماً معدودات) قال الزجاج : نصب « أياماً » على الظرف ، كأنه قال : كتب عليكم الصيام في هذه الأيام . والعامل فيه « الصيام » ، كأنَّ المعنى : كتب عليكم أن تصوموا أياماً معدودات . وفي هذه الأيام ثلاثة أقوال . أحدها : أنها ثلاثة أيام من كل شهر . والثاني : أنها ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء . والثالث : أنها شهر رمضان ، وهو الأصح .
وتكون الآية محكمة في هذا القول ، وفي القولين قبله تكون منسوخة (فن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام) فيه إضمار : فأفطر .

﴿ فصل ﴾

وليس المرض والسفر على الإطلاق ، فإن المريض إذا لم يضر به الصوم ؛ لم يجز له الإفطار ، وإنما الرحمة موقوفة على زيادة المرض بالصوم . واتفق العلماء أن السفر مقدر ، واختلفوا في تقديره ، فقال أحمد ، ومالك ، والشافعي : أقله مسيرة ستة عشر فرسخاً ؛ يومان ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : أقله مسيرة ثلاثة أيام ، مسيرة أربعة وعشرين فرسخاً . وقال الأوزاعي : أقله مرحلة يوم ، مسيرة ثمانية فراسخ . وقيل : إن السفر مشتق من السفر الذي هو الكشف ، يقال : سمرت المرأة عن وجهها ، وأسفر الصبح : إذا أضاء ، فسمي الخروج إلى المكان البعيد : سفراً ، لأنه يكشف عن أخلاق المسافرين .

قوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) نقل عن ابن مسعود، ومعاذ ابن جبل، وابن عمر، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وعلقمة، والزهري في آخرين في هذه الآية أنهم قالوا: كان من شاء صام، ومن شاء أفطر واقتدى، يطعم عن كل يوم مسكيناً، حتى نزلت: (فن شهد منكم الشهر فليصمه) فعلى هذا يكون معنى الكلام: وعلى الذين يطيقونه ولا يضمومونه فدية، ثم نسخت. وروي عن عكرمة أنه قال: نزلت في الحامل والمرضع. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس: (وعلى الذين يطوقونه) بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الواو. قال ابن عباس: هو الشيخ والشيخة.

قوله تعالى: (فدية طعام مسكين) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي «فدية» منون (طعام مسكين) موحد. وقرأ نافع، وابن عامر: «فدية» بغير تنوين «طعام» بالخفض «مساكين» بالجمع. قال أبو علي: معنى القراءة الأولى: على كل واحد طعام مسكين. ومثله: (فاجلدوهم ثمانين) النور: ٤. أي: اجلدوا كل واحد ثمانين. قال أبو زيد: أئدنا الأمير فكسانا كلنا حاة، وأعطانا كلنا مئة، أي: فعل ذلك بكل واحد منا. قال: فأما من أضاف الفدية إلى الطعام، فكأضافة البعض إلى ما هو بعض له، وذلك أنه سمي الطعام الذي يفدى به: فدية، ثم أضاف الفدية إلى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها، فهو على هذا من باب: خاتم حديد.

قوله تعالى: (فمن تطوع خيراً) [فيه] ثلاثة أقوال. أحدها: أن معناه: من أطعم مسكينين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن التطوع إطعام مساكين، قاله طاووس. والثالث: أنه زيادة المسكين على قوته، وهو مروي عن مجاهد، وفعله أنس بن مالك لما كبر (وأن تصوموا خير لكم) عائد إلى من تقدم ذكره من الأصحاء المقيمين الخيَّرين بين الصوم والإطعام على ما حكينا في أول الآية عن السلف، ولم يرجع ذلك إلى المرضى والمسافرين، والحامل والمرضع، إذ الفطر في حق هؤلاء أفضل من الصوم، وقد نهوا عن تعريض أنفسهم للتلف، وهذا يقوي قول القائلين بنسخ الآية.

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هذبكم
ولعلكم تشكرون ﴾

قوله تعالى : (شهر رمضان)

قال الأخفش : شهر رمضان بالرفع على تفسير الأيام ، كأنه لما قال : (أياماً
معدودات) فسرّها فقال : هي شهر رمضان . قال أبو عبيد : وقرأ مجاهد : (شهر رمضان)
بالنصب ، وأراه نصبه على معنى الإغراء : عليكم شهر رمضان فصوموه ، كقوله : (ملة
أيكم) وقوله : (صبغة الله) قلت : ومن قرأ بالنصب معاوية ، والحسن ، وزيد بن علي ،
وعكرمة ، ويحيى بن يعمر . قال ابن فارس : الرمض : حر الحجارة من شدة حر الشمس ،
ويقال : شهر رمضان ، من شدة الحر ، لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ، سموها
بالأزمنة التي وقعت فيها ، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر ، ويجمع على رمضانات ،
وأرمضاء ، وأرمضة .

قوله تعالى : (الذي أنزل فيه القرآن) فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أنه أنزل القرآن
فيه جملة واحدة ، وذلك في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا . قاله ابن عباس . والثاني :
أن معناه : أنه أنزل القرآن بفرض صيامه ، روي عن مجاهد ، والضحاك . والثالث : أن معناه :
إن القرآن ابتدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ ، قاله ابن إسحاق ، وأبو سليمان الدمشقي . قال
مقاتل : والفرقان : المخرج في الدين من الشبهة والضلالة .

قوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي : من كان حاضراً غير مسافر .
فان قيل : ما الفائدة في إعادة ذكر المرض والسفر في هذه الآية ، وقد تقدم ذلك ؟
قيل : لأن في الآية المتقدمة منسوخاً ، فأعاده لئلا يكون مقروناً بالمنسوخ .

قوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر) قال ابن عباس ، ومجاهد وقتادة ، والضحاك : اليسر : الإفطار في السفر ، والعسر : الصوم فيه . وقال عمر بن عبد العزيز : أي ذلك كان أيسر عليك فافعل : الصوم في السفر ، أو الفطر .

قوله تعالى: (ولتكمّلوا العدة) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي : (ولتكمّلوا) باسكان الكاف خفيفة . وقرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الميم ، وذلك مثل : « وصّى » و « أوصى » وقال ابن عباس : ولتكمّلوا عدة ما أفطرتُم . وقال بعضهم : المراد به : لا تزيدوا على ما افترض ، كما فعلت النصارى ، ولا تنقلوه عن زمانه كما نقلته (ولتكبروا لله على ما هداكم) قال ابن عباس : حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال ، أن يكبروا لله حتى يفرغوا من عيدهم . فأن قيل : ما وجه دخول الواو في قوله : (ولتكمّلوا العدة وتكبروا لله) وليس هناك ما يعطف عليه ؟ فالجواب : أن هذه الواو عطفت اللام التي بعدها على لام محذوفة ، والمعنى : ولا يريد بكم العسر ، ليسعدكم ، ولتكمّلوا العدة ، فحذفت اللام الأولى لوضوح معناها ، ذكره ابن الأنباري .

﴿ فصل ﴾

ومن السنة إظهار التكبير ليلة الفطر ، وليلة النحر ، وإذا غدوا إلى المصلّى . واختلفت الرواية عن أحمد ، رضي الله عنه ، متى يقطع في عيد الفطر ، فنقل عنه حنبل : يقطع بعد فراغ الإمام من الخطبة . ونقل الأثرم : إذا جاء المصلّى ، قطع . قال القاضي أبو يعلى : يعني : إذا جاء المصلّى وخرج الإمام .

﴿ وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾

قوله تعالى : (وإذا سألك عبادي عني)

في سبب نزولها خمسة أقوال .

أحدها : أن أعراياً جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : أقریب ربنا فتناجیه ، أم بعيد فننادیه ؟ فنزلت هذه الآية ، رواه الصلت بن حکیم عن أبيه عن جده .

والثاني : أن يهود المدينة قالوا : يا محمد ! كيف يسمع ربنا دعاءنا ، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام ؟! فنزلت هذه الآية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

والثالث : أنهم قالوا : يا رسول الله ! لو تعلم أية ساعة أحب إلى الله أن ندعو فيها دعوانا ، فنزلت هذه الآية ، قاله عطاء .

والرابع : أن أصحاب النبي قالوا له : أين الله ؟ فنزلت هذه الآية ، قاله الحسن .
والخامس : أنه لما حرم في الصوم الأول على المسلمين بعد النوم الأكل والجماع ؛ أكل رجل منهم بعد أن نام ، ووطئ رجل بعد أن نام ، فسألوا : كيف التوبة مما عملوا ؟ فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل . ومعنى الكلام : إذا سألك عني ؛ فأعلمهم أنني قريب .
وفي معنى « أجب » قولان . أحدهما : أسمع ، قاله الفراء ، وابن القاسم . والثاني : أنه من الإجابة (فليستجيبوا لي) أي : فليجيبوني . قال الشاعر :

وداع دعا يامن يجب إلى الندى فلم يستجبه عند ذلك مجيب

أراد : فلم يجبه . وهذا قول أبي عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج . (لهم يرشدون) قال أبو العالية : يعني : يهتدون .

❦ فصل ❦

إن قال قائل : هذه الآية تدل على أن الله تعالى يجب أدعية الداعين ، وترى كثيراً من الداعين لا يستجاب لهم !

فالجواب : أن أبا سعيد روى عن النبي ﷺ ، أنه قال : « ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم ؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال : إما أن يجعل دعوته ، وإما أن بدخرها له في الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها »^(١) .

وجواب آخر : وهو أن الدعاء تفتقر إجابته إلى شروط أصلها الطاعة لله ، ومنها أكل الحلال ، فإن أكل الحرام منع إجابة الدعاء ، ومنها حضور القلب ، ففي بعض الحديث : « لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه »^(٢) .

وجواب آخر : وهو أن الداعي قد يمتد المصلحة في إجابته إلى ما سأل ، وقد لا تكون المصلحة في ذلك ، فيجاب إلى مقصوده الأصلي ، وهو : طلب المصلحة ، وقد تكون المصلحة في التأخير أو في المنع .

﴿ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ أَنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾

قوله تعالى : (أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ)

سبب نزول هذه الآية أن الصحابة كانوا إذا نام الرجل قبل الأكل والجماع ، حرما عليه

(١) رواه أحمد في « المسند » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ورواه البزار ، وأبو يعلى بإسناد جيد ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) رواه أحمد في « المسند » عن عبد الله بن عمرو ، وفي سننه ابن لهيعة ، وله شاهد من حديث أبي هريرة عن الترمذي ولفظه : « ادعوا الله وأتمموا موقنوا بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » ، وفي سننه ضعف .

إلى أن يفطر ، فجاء شيخ من الأنصار وهو صائم إلى أهله ، فقال : عشوني ، فقالوا : حتى نسخن لك طعاماً ، فوضع رأسه فنام ، فجاءوا بالطعام ، فقال : قد كنت نمت ، فبات يتقلب ظهره لبطن ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ ؛ فأخبره ، فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ! إني أردت أهلي الليلة ، فقالت : إنها قد نامت ، فظننتها تمتل ، فواقمتها ، فأخبرتني أنها قد نامت ، فأنزل الله تعالى في عمر بن الخطاب : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وأنزل الله في الأنصاري : (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) هذا قول جماعة من المفسرين . واختلفوا في اسم هذا الأنصاري على أربعة أقوال . أحدها : قيس بن صرمة ، قاله البراء . والثاني : صرمة بن أنس ، قاله القاسم بن محمد . وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : صرمة بن مالك . والثالث : ضمرة بن أنس . والرابع : أبو قيس بن عمر ^(١) . وذكرا القولين أبو بكر الخطيب . فأما « الرفث » فقال ابن عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن ، وابن جبير في آخرين : هو الجماع .

قوله تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ) فيه قولان . أحدهما : أن اللباس السكن . ومثله (جعل لكم الليل لباساً) الفرقان : ٤٧ . أي : سكناً . وهذا قول ابن عباس ، وابن جبير ، ومجاهد ، وقتادة . والثاني : أنهم بمنزلة اللباس ، لإفضاء كل واحد يبشرته إلى بشرة صاحبه ، فكفى عن اجتماعها متجردين باللباس . قال الزجاج : والعرب تسمي المرأة : لباساً وإزاراً ، قال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت فكانت عليه لباساً

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » أن الناس اختلفوا في اسم الانصاري هذا ، فبعضهم أخطأ اسمه وسماه بكينته ، وبعضهم نسبته لجدته ، وبعضهم قلب نسبه ، وبعضهم صحفه « ضمرة » ورجح أن سوابه « أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي » .

وقال غيره :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا
فدى لك من أخي ثقة إزاري
يريد بالإزار : امرأته .

قوله تعالى : (عِلِمَ اللَّهُ أَنَسْكُمْ كُنْتُمْ تُخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ) قال ابن قتيبة : يريد : تخونونها
بارتكاب ما حُرِّمَ عليكم . قال ابن عباس : وعنى بذلك فعل عمر ، فانه أتى أهله ، فلما
اغتسل أخذ يلوم نفسه ويبيكي (فالآن باشروهن) : أصل المباشرة : إلصاق البشرة بالبشرة .
وقال ابن عباس : المراد بالمباشرة هاهنا : الجماع . (وابتغوا ما كتب الله لكم) فيه أربعة
أقوال . أحدها : أنه الولد ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد في آخرين . قال بعض أهل
العلم : لما كانت المباشرة قد تقع على ما دون الجماع ، أباحهم الجماع الذي يكون من مثله الولد ،
فقال : (وابتغوا ما كتب الله لكم) يريد : الولد . والثاني : أن الذي كتب لهم الرخصة ،
وهو قول قتادة ، وابن زيد . والثالث : أنه ليلة القدر . رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس .
والرابع : أنه القرآن ، فبنى الكلام : اتبعوا القرآن ، فما أيسح لكم وأمرتم به فهو المبتغى ،
وهذا اختيار الزجاج .

قوله تعالى : (واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض) قال عدي بن حاتم :
لما نزلت هذه الآية ، عمدت إلى عقالين ، أبيض وأسود ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت
أقوم في الليل ولا أستبين الأسود من الأبيض ، فلما أصبحت ؛ غدوت على رسول الله
فأخبرته ، فضحك وقال : « إن كان وسادك إذا لمريض ، إنما ذاك يبيض النهار من سواد الليل » (١)
وقال سهل بن سعد : نزلت هذه الآية : (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود)
ولم ينزل : (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحداهم في رجله الخيط الأسود

(١) رواه أحمد في « المسند » وهو في « الصحيحين » من غير وجه .

والخيط الأبيض ، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له زيها ، فأنزل الله بعد ذلك (من الفجر) فعملوا أنما يعني بذلك الليل والنهار .

❦ فصل ❦

إذا شك في الفجر ، فهل بدع السجور أم لا ؟ فظاهر كلام أحمد يدل على أنه لا يدع السجور ، بل يأكل حتى يستيقن طلوع الفجر . وقال مالك : أكره له أن يأكل إذا شك في طلوع الفجر ، فإن أكل فعليه القضاء . وقال الشافعي : لا شيء عليه .

قوله تعالى : (ولا تبashروهن وأنتم عاكفون في المساجد) في هذه المباشرة قولان . أحدهما : أنها الجامعة ، وهو قول الأكثرين . والثاني : أنها ما دون الجامع من اللبس والقبلة ، قاله ابن زيد . وقال قتادة : كان الرجل المعتكف إذا خرج من المسجد ، فلقى امرأته باشرها إذا أراد ذلك ، فوعظهم الله في ذلك .

❦ فصل ❦

الاعتكاف في اللغة : اللبث ، يقال : فلان معتكف على كذا ، وعاكف . وهو فعل مندوب إليه ، إلا أن ينذره الإنسان ، فيجب . ولا يجوز إلا في مسجد تقام فيه الجماعات ، ولا يشترط في حق المرأة مسجد تقام فيه الجماعة ، إذ الجماعة لا تجب عليها . وهل يصح بغير صوم ؟ فيه عن أحمد روايتان .

قوله تعالى : (تلك حدود الله) قال ابن عباس : يعني : المباشرة (فلا تقربوها) قال الزجاج : الحدود ما منع الله من مخالفتها ، فلا يجوز مجاوزتها . وأصل الحد في اللغة : المنع ، ومنه : حد الدار ، وهو ما يمنع غيرها من الدخول فيها . والحداد في اللغة : الحاجب والبواب ، وكل من منع شيئاً فهو حداد . قال الأعشى :

فقمنا ولما يصبحُ ديكنا
إلى جونة عند حدادها

أي : عند ربها الذي يمنها إلا بما يريد. وأحدث المرأة على زوجها ، وحدت ، فهي حاد ، ومحد : إذا قطعت الزينة ، وامتنعت منها ، وأحدثت النظر إلى فلان : إذا منعت نظرك من غيره . وسمي الحديد حديداً ، لأنه يمتنع به الأعداء .

قوله تعالى : (كذلك يبين الله) أي : مثل هذا البيان الذي ذكر .

﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدولوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾

قوله تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)

سبب نزولها : أن امرؤ القيس بن عابس^(١) ، وعبدان الحضرمي ، اختصما في أرض ، وكان عبدان هو الطالب ولا بينة له ، فأراد امرؤ القيس أن يحلف ، فقرأ عليه النبي ﷺ : (إن الذين يشترون بمهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) آل عمران : ٧٧ . ففكره أن يحلف ، ولم يخاصم في الأرض ، فنزلت هذه الآية . هذا قول جماعة ، منهم سعيد بن جبير . ومعنى الآية : لا يأكل بعضكم أموال بعض ، كقوله : (فاقتلوا أنفسكم) قال القاضي أبو يعلى : والباطل على وجهين . أحدهما : أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكه ، كالسرقة ، والنصب ، والخيانة . والثاني : أن يأخذه بطيب نفسه ، كالتهار ، والغناء ، وثن الحر . وقال الزجاج : الباطل : الظلم . « وتدلوا » أصله في اللغة من : أدليت الدلو : إذا أرسلتها لتملأها ، ودلوها : إذا أخرجتها . ومعنى أدلى فلان بحجته : أرسلها ، وأتى بها على صحة . فغنى الكلام : تعملون على ما يوجب إدلاء الحجة ، وتخونون في الأمانة ، وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن .

وفي هاء « بها » قولان . أحدهما : أنها ترجع إلى الأموال ، كأنه قال : لا تصانعوا ببعضها جوراً للحكام . والثاني : أنها ترجع إلى الخصومة ، فإن قيل : كيف أعاد ذكر

(١) في الأصل : ابن عباس .

الأكل فقال: «ولا تأكلوا» «لتأكلوا» فالجواب: أنه وصل اللفظة الأولى بالباطل، والثانية بالإثم، فأعادها للزيادة في المعنى، ذكره ابن الأنباري.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ)

هذه الآية من أولها إلى قوله: «والحج» نزلت على سبب، وهو أن رجلين من الصحابة قالوا: يا رسول الله! ما بال المصلل يبدو دقيقاً، ثم يزيد ويئلى حتى يستدير ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان؟ فنزلت: (يسألونك عن الأهلته قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ) هذا قول ابن عباس.

ومن قوله تعالى: (وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها) إلى آخرها، يدل على سبب آخر، وهو أنهم كانوا إذا حجوا، ثم قدموا المدينة، لم يدخلوا من باب، ويأتون البيوت من ظهورها، فنسي رجل، فدخل من باب، فنزلت: (وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها) هذا قول البراء بن عازب^(١).

وفيما كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها لأجله أربعة أقوال. أحدها: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأجل الإحرام، قاله ابن عباس، وأبو العالية، والنخعي، وقتادة، وقيس النهشلي. والثاني: لأجل دخول الشهر الحرام، قاله البراء بن عازب. والثالث: أن أهل الجاهلية كانوا إذا هم أحدهم بالشيء فاحتبس عنه؛ لم يأت بيته من بابه حتى يأتي الذي كان

(١) روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله (وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها) ورواه مسلم، وابن جرير قريباً من لفظ المؤلف.

ثم به ، قاله الحسن . والرابع : أن أهل المدينة كانوا إذا رجعوا من عيدهم فعلوا ذلك ، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه .

فأما التفسير ؛ فأنما سألوه عن وجه الحكمة في زيادة الأهلة وتقصانها ، فأخبرهم أنها مقادير لما يحتاج الناس إليه في صومهم وحجهم وغير ذلك . والأهلة : جمع هلال . ولم يبق الهلال على هذه التسمية ؛ فيه للمرب أربعة أقوال . أحدها : أنه يسمى هلالاً لليلتين من الشهر . والثاني : لثلاث ليال ، ثم يسمى : قرأً . والثالث : إلى أن يحجر ، وتحجيره : أن يسير بخطوة دقيقة ، وهو قول الأصمعي . والرابع : إلى أن يبهز ضوءه سواد الليل . حكى هذه الأقوال ابن السري ، واختار الأول ، قال : واشتقاق الهلال من قولهم : استهل الصبي : إذا بكى حين يولد . وأهل القوم بالحج : إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ، فسمي هلالاً ، لأنه حين يُرى يهل الناس بذكره .

فوله تعالى : (ولكنَّ البرَّ من اتقى) مثل قوله تعالى : (ولكنَّ البرَّ من آمن بالله) وقد سبق بيانه ، واختلف القراء في البيوت وما أشبهها ، فقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، والكسائي بكسر باء « البيوت » وعين « العيون » وغين « الغيوب » وروى عن نافع أنه ضم باء « البيوت » وعين « العيون » وغين « الغيوب » وجيم « الجيوب » وشين « الشيوخ » وروى عنه قالون أنه كسر باء « البيوت » وقرأ أبو عمر ، وأبو جعفر بضم الألف الحسة ، وكسره ن جميعاً حمزة ، واختلف عن عاصم . قال الزجاج : من ضم « البيوت » فعلى أصل الجمع : بيت وبيوت ، مثل : قلب وقلوب ، وفلس وفلوس . ومن كسر ، فأنما كسر للياء التي بعد الباء ، وذلك عند البصريين ردي ، لأنه ليس في الكلام فعول بكسر الفاء . وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول : إذا كان الجمع على فعول ، وثانيه ياء ؛ جاز فيه الضم والكسر ، تقول : بُيوتٌ وبيوت ، وشيوخٌ وشيوخ ، وقُيودٌ وقِيود .

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
 قوله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ)

سبب نزولها أن رسول الله ﷺ ، لما صُددَ عن البيت ، ونحر هديه بالحديبية ، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل ؛ رجع ، فلما تجهز في العام المقبل ؛ خاف أصحابه أن لا تفي لهم قريش بذلك ، وأن يصدومهم ويقاتلوهم ، وكره أصحابه القتال في الشهر الحرام ؛ فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس (١) .

قوله تعالى : (وَلَا تَعْتَدُوا) أي : وَلَا تَظْلَمُوا . وفي المراد بهذا الاعتداء أربعة أقوال .
 أحدها : أنه قتل النساء والولدان ، قاله ابن عباس ، ومجاهد . والثاني : أن معناه : لا تقتلوا من لم يقاتلكم ، قاله سعيد بن جبير ، وأبو المالية ، وابن زيد . والثالث : أنه إتيان ما نهوا عنه ، قاله الحسن . والرابع : أنه ابتداءهم بالقتال في الحرم في الشهر الحرام ، قاله مقاتل .

﴿ فَصَل ۝ ﴾

اختلف العلماء : هل هذه الآية منسوخة أم لا ؟ على قولين .

أحدهما : أنها منسوخة . واختلف أرباب هذا القول في المنسوخ منها على قولين .
 أحدهما : أنه أولها ، وهو قوله : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) قالوا : وهذا يقتضي أن القتال يباح في حق من قاتل من الكفار ، ولا يباح في حق من لم يقاتل ، وهذا منسوخ بقوله : (واقتلوهم حيث تفتوهم) والثاني : أن المنسوخ منها : (وَلَا تَعْتَدُوا) ولهؤلاء في هذا الاعتداء قولان . أحدهما : أنه قتل من لم يقاتل . والثاني : أنه ابتداء المشركين بالقتال ، وهذا منسوخ بآية السيف .

والقول الثاني : أنها محكمة ، ومعناها عند أرباب هذا القول : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) رواه الواحدي عن السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، والسكبي وأبو صالح لا يحتج بهما .

الذين يقاتلونكم) وهم الذين أعدوا أنفسهم للقتال، فأما من ليس بمعدٍ نفسه للقتال، كالرهبان والشيخوخة، والزمنى، والكافيف، والمجانين، فإن هؤلاء لا يقاتلون، وهذا حكم باقٍ غير منسوخ (١).

﴿ فصل ﴾

واختلف العلماء في أول آية نزلت في إباحة القتال على قولين. أحدهما: أنها قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الحج: ٣٩. قاله أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد ابن جبير، والزهرى. والثاني: أنها هذه الآية: (وقاتلوا في سبيل الله) قاله أبو المالبة، وابن زبد.

﴿واقتلوهم حيث ثقفتهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ قوله تعالى: (واقتلوهم حيث ثقفتهم)

أي: وجدتموهم. يقال: ثقفته أثقفته: إذا وجدته. قال القاضي أبو يعلى: قوله تعالى: (واقتلوهم حيث ثقفتهم) عام في جميع المشركين، إلا من كان بمكة، فانهم أمروا باخراجهم منها، إلا من قاتلهم، فانهم أمروا بقتلهم، يدل على ذلك قوله في نسق الآية: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) وكانوا قد آذوا المسلمين بمكة حتى اضطروهم إلى الخروج، فكانهم أخرجوهم. فأما الفتنة، ففيها قولان. أحدهما: أنها الشرك، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وقتادة في آخرين. والثاني: أنها ارتداد المؤمن إلى عبادة الأوثان. قاله مجاهد. فيكون معنى الكلام على القول الأول: شرك القوم أعظم

(١) قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب، لأن دعوى المدعى نسخ آية: يحتمل أن تكون غير منسوخة بغير دلالة على ضجة دعواه، نحكم.

من قتلهم إياهم في الحرم . وعلى الثاني: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليه من أن يقتل محققاً .

قوله تعالى: (ولا تقاتلوهم) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم) وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم) بحذف الألف فيهن . وقد اتفق الكل على قوله: (فاقتلوهم) واحتج من قرأ بالألف بقوله: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) واحتج من حذف الألف بقوله: (فاقتلوهم) .

❦ فصل ❦

واختلف العلماء في قوله: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه): هل هو منسوخ أم لا؟ فذهب مجاهد في جماعة من الفقهاء إلى أنه محكم، وأنه لا يقاتل فيه إلا من قاتل، ويدل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، أنه خطب يوم فتح مكة، فقال: «يا أيها الناس! إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي . وإنما أحلت لي ساعة من النهار، ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة»^(١). فبين ﷺ أنه خص في تلك الساعة بالإباحة على سبيل التخصيص، لا على وجه النسخ، فثبت بذلك حظر القتال في الحرم، إلا أن يقاتلوا فيدفعون دفعاً، وهذا أمر مستمر، والحكم غير منسوخ، وقد ذهب قتادة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) التوبة: ٥. فأمر بقتالهم في الحل والحرم وعلى كل حال . وذهب الربيع ابن أنس، وابن زيد . إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) وزعم

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس .

مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى : (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) البقرة : ١٩١ . والقول الأول أصح .

قوله تعالى : (فان قاتلوكم فاقتلوهم) قال مقاتل : أي : فقاتلوهم .

﴿ فان انتهوا فان الله غفور رحيم ﴾

قوله تعالى : (فان انتهوا)

فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه : فان انتهوا عن شركهم وقاتلكم . والثاني : عن كفرهم . والثالث : عن قتالكم دون كفرهم . فعلى القولين الأولين تكون الآية محكمة ، ويكون معنى : (فان الله غفور رحيم) غفور لشركهم وجرمهم ، وعلى القول الأخير ؛ يكون في معنى قوله : (غفور رحيم) قولان . أحدهما : غفور لكم حيث أسقط عنكم تكليف قتالهم . والثاني : أن معناه : يأمركم بالغفران والرحمة لهم . فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية السيف .

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا

على الظالمين ﴾

قوله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)

قال ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة في آخرين : الفتنة هاهنا : الشرك .

قوله تعالى : (ويكون الدين لله) قال ابن عباس : أي : يخلص له التوحيد . والعدوان :

الظلم ، وأريد به هاهنا : الجزاء ، فسمي الجزاء عدواناً لمقابلة للشيء عثله ، كقوله : (فن

اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) والظالمون هاهنا : المشركون ، قاله عكرمة ،

وقتادة في آخرين .

- فصل -

وقد روي عن جماعة من المفسرين، منهم قتادة، أن قوله تعالى: (فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) منسوخ بآية السيف، وإنما يستقيم هذا إذا قلنا: إن معنى الكلام: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، فأما إذا قلنا: إن معناه: فإن انتهوا عن دينهم؛ فالآية محكمة.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ)

هذه الآية نزلت على سبب، واختلفوا فيه على قولين. أحدهما: أن النبي ﷺ، أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدى، فصدّهم المشركون، فصالحهم نبي الله على أن يرجع عنهم ثم يعود في العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها بسلاح، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فلما كان العام المقبل؛ أقبل هو وأصحابه فدخلوها، فافتخر المشركون عليه إذ رددوه يوم الحديبية، فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي رددوه فيه، فقال: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ) وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقتادة في آخرين. والثاني: أن مشركي العرب قالوا للنبي، عليه السلام: أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام؟ قال: «نعم» وأرادوا أن يفتروه في الشهر الحرام، فيقاتلوه فيه، فنزلت هذه الآية، يقول: إن استحلوا منكم شيئاً في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثله، هذا قول الحسن، واختاره إبراهيم ابن السري والزجاج. فأما أرباب القول الأول؛ فيقولون: معنى الآية: الشهر الحرام

الذي دخلتم فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه عام أول . (والحرمات قصاص) :
اقتصصت لكم منهم في ذي القعدة كما صدوكم في ذي القعدة . وقال الزجاج : الشهر الحرام ،
أي : قال الشهر الحرام بالشهر الحرام ، فأعلم الله تعالى أن أمر هذه الحرمات لا يجوز للمسلمين
إلا قصاصاً ، ثم نسخ ذلك بآية السيف ، وقيل : إنما جمع الحرمات ، لأنه أراد الشهر الحرام
بالبلد الحرام ، وحرمة الإحرام .

قوله تعالى : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) قال ابن عباس : من قاتلكم في الحرم
فقاتلوه . وإنما سمي المقالة على الاعتداء اعتداءً ، لأن صورة الفعلان واحدة ، وإن كان أحدهما
طاعة والآخر معصية . قال الزجاج : والعرب تقول : ظلمني فلان فظلمته ، أي : جازيته بظلمه .
وجهل فلان عليّ ، فجهلت عليه . وقد سبق بيان هذا المعنى في أول السورة .

قوله تعالى : (واتقوا الله) قال سعيد بن جبير : واتقوا الله ، ولا تبدؤوهم بقتال في الحرم .
﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ
كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَهَدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ
فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ
يَجِدْ فِصْيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ
لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

قوله تعالى : (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

هذه الآية نزلت على سبب ، وفيه قولان .

أحدهما : أن النبي ﷺ لما أمر بالتجهز إلى مكة، قال ناسٌ من الأعراب: يا رسول الله ! بماذا تتجهز ؟ فوالله ما لنا زاد ولا مال ! فنزلت ، قاله ابن عباس ^(١) .
والثاني : أن الأنصار كانوا ينفقون ويتصدقون ، فأصابهم سنة ، فأمسكوا ؛ فنزلت ، قاله أبو جبير بن الضحاك ^(٢) . والسبيل في اللغة : الطريق . وإنما استعملت هذه الكلمة في الجهاد ، لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين . والتهلكة : بمعنى الهلاك ، يقال : هلك الرجل يهلك هلاكاً وهلكاً وتهلكة . قال المبرد : وأراد بالأيدي : الأنفس ؛ فعبر بالبعض عن الكل . وفي المراد بالتهلكة هاهنا أربعة أقوال . أحدها : أنها ترك النفقة في سبيل الله ، قاله حذيفة ، وابن عباس ، والحسن ، وابن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك .
والثاني : أنها القعود عن الغزو شغلاً بالمال ، قاله أبو أيوب الأنصاري . والثالث : أنها القنوط من رحمة الله ، قاله البراء ، والزهري ، وعبيدة . والرابع : أنها عذاب الله ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

قوله تعالى : (وَأَحْسِنُوا) فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه : أحسنوا الإتفاق ، وهو قول أصحاب القول الأول . والثاني : أحسنوا الظن بالله ، قاله عكرمة ، وسفيان ، وهو يخرج على قول من قال : التهلكة : القنوط . والثالث : أن معناه : أدوا الفرائض ، رواه سفيان عن أبي إسحاق .

(١) لم يرد هذا السبب بهذا اللفظ في كتب التفسير التي بين أيدينا ، وإنما جاء فيها : عن ابن عباس في قوله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال : لا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئاً ، إن لم يجد إلا مشقصاً ، فليجهز به في سبيل الله .

(٢) في الأصول التي بين أيدينا : الضحاك بن أبي جبير ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه ، فقد جاء في تقريب التهذيب ، أبو جبير — بفتح الجيم — ابن الضحاك الأنصاري المدني : صحابي ، وقيل : لا صحبة له . والحديث رواه الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » ، وزاد (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وقال الهيثمي : ورجالها رجال الصحيح .

قوله تعالى : (وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) قال ابن فارس : الحج في اللغة : القصد ، والاعتماد في الحج أصله : الزيارة . قال ثعلب : الحج بفتح الحاء : المصدر ، وبكسر ها : الاسم . قال : وربما قال الفراء : هما لغتان . وذكر ابن الأنباري في العمرة قولين . أحدهما : الزيارة . والثاني : القصد . وفي إتمامها أربعة أقوال . أحدها : أن معنى إتمامها : أن يفصل بينهما ، فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج ، قاله عمر بن الخطاب ، والحسن ، وعطاء . والثاني : أن يحرم الرجل من ديرة أهله ^(١) ، قاله علي بن أبي طالب ، وطاووس ، وابن جبير . والثالث : أنه إذا شرع في أحدهما لم يفسخه حتى يتم ، قاله ابن عباس . والرابع : أنه فعل ما أمر الله فيها ، قاله مجاهد . وجمهور القراء على نصب « العمرة » بإقناع الفعل عليها . وقرأ الأصمعي عن نافع والقرزاذ عن أبي عمرو ، والكسائي عن أبي جعفر برفعها ، وهي قراءة ابن مسعود ، وأبي رزين ، والحسن ، والشعبي . وقراءة الجمهور تدل على وجوبها . ومن ذهب إلى أن العمرة واجبة ، علي ، وابن عمر ، وابن عباس ، والحسن ، وابن سيرين ، وعطاء ، وطاووس ، وسعيد ابن جبير ، ومجاهد ، وأحمد ، والشافعي . وروي عن ابن مسعود ، وجابر ، والشعبي ، وإبراهيم ، وأبي حنيفة ، ومالك ، أنها سنة وتطوع .

قوله تعالى : (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) قال ابن قتيبة : يقال : أحصره المرض والمدو : إذا منعه من السفر ، ومنه هذه الآية . وحصره المدو : إذا ضيق عليه . وقال الزجاج : يقال للرجل إذا حبس : قد حصر ، فهو محصور . وللعلماء في هذا الإحصار قولان . أحدهما : أنه لا يكون إلا بالمدو ، ولا يكون المريض محصراً . وهذا مذهب ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد . وبديل عليه قوله : (فإذا أمنتُمْ) . والثاني : أنه يكون بكل حابس من مرض أو عدو أو عذر ، وهو قول عطاء ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبي حنيفة . وفي الكلام اختصار وحذف ، والمعنى : فإن أحرصتم دون تمام الحج والعمرة فحلتكم ؛ فليكن

(١) الديرة : تصغير الدار : كل موضع حل به قوم ، فهو دارهم .

ما استيسر من الهدي . ومثله : (أو به أذى من رأسه ففدية) تقديره : فحلق ، ففدية .
والهدي : ما أهدي إلى البيت . وأصله : هديّ مشدد ، فخفف ، قاله ابن قتيبة . وبالتشديد
يقرأ الحسن ، ومجاهد . وفي المراد (بما استيسر من الهدي) ثلاثة أقوال . أحدها : أنه شاة ،
قاله علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، والحسن ، وعطاء ، وابن جبير ، وإبراهيم ، وقتادة ،
والضحاك . والثاني : أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير ، قاله ابن عمر ، وعائشة ،
والقاسم . والثالث : أنه على قدر الميسرة ، رواه طاووس عن ابن عباس . وروي عن الحسن ،
وقتادة قالاً : أعلاه بدنة ، وأوسطه بقرة ، وأخسه شاة . وقال أحمد : الهدي من الأصناف
الثلاثة ، من الإبل والبقر ، والغنم ، وهو قول أبي حنيفة ، رحمه الله ، ومالك ، والشافعي ،
رحمهما الله .

قوله تعالى : (حتى يبلغ الهدي محله) قال ابن قتيبة : المحل : الموضع الذي يحل به نمحره ،
وهو من : حل يحل . وفي المحل قولان . أحدهما : أنه الحرم ، قاله ابن مسعود ، والحسن ،
وعطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، وابن سيرين ، والثوري ، وأبو حنيفة . والثاني : أنه الموضع
الذي أحصر به فيذبحه ويحل ، قاله مالك ، والشافعي ، وأحمد .

قوله تعالى : (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية) هذا نزل على
سبب ، وهو أن كعب بن عجرة كثر قتل رأسه حتى تهافت على وجهه ، فنزلت هذه الآية
فيه ، فكان يقول : في نزلت خاصة ^(١) .

❦ فصل ❦

قال شيخنا علي بن عبيد الله : اقتضى قوله : (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي
محله) تحريم حلق الشعر ، سواء وجد به الأذى ، أو لم يجد ، حتى نزل : (فمن كان منكم

(١) رواه البخاري ومسلم ، وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنه .

مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية (فافتضى هذا إباحة حلق الشعر عند الأذى مع الفدية، فصار ناسخاً لتحريمه المتقدم .

ومعنى الآية : فمن كان منكم - أي : من المحرمين ، محصراً كان أو غير محصر - مريضاً ، واحتاج إلى لبس أو شيء يحظره الإحرام ، ففعله ، أو به أذى من رأسه فحلق ؛ ففدية من صيام . وفي الصيام قولان . أحدهما : أنه ثلاثة أيام ، روي في حديث كعب ابن عجرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ^(١) وهو قول الجمهور . والثاني : أنه صيام عشرة أيام ، روي عن الحسن وعكرمة ، ونافع . وفي الصدقة قولان . أحدهما : أنه إطعام ستة مساكين ، روي في حديث كعب ، ^(٢) وهو قول من قال : الصوم ثلاثة أيام . والثاني : أنها إطعام عشرة مساكين ، وهو قول من أوجب صوم عشرة أيام . والنسك : ذبح شاة ، يقال : نسكت لله ، أي : ذبحت له . وفي النسك لغتان . ضم النون والسين ، وبها قرأ الجمهور ، وضم النون مع تسكين السين ، وهي قراءة الحسن .

قوله تعالى : (فإذا أمنتهم) ، أي : من العدو . إذ المرض لا تؤمن معاودته وقال علقمة في آخره : فإذا أمنتهم من الخوف والمرض . (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) معناه : من بدأ بالعمرة في أشهر الحج ، وأقام الحج من عامه ذلك ؛ فعليه ما استيسر من الهدى . وهذا قول ابن عمر ، وابن المسيب ، وعطاء ، والضحاك . وقد سبق الكلام فيما استيسر من الهدى . (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج) قال الحسن : هي قبل التروية يوم و [يوم] التروية ، و [يوم] عرفة ، وهذا قول عطاء ، والشعبي ، وأبي العالية ، وابن جبير ، وطاووس ، وإبراهيم . وقد نقل عن علي رضي الله عنه . وقد روي عن الحسن ، وعطاء ، قالوا : في أي العشر شاء صامهن . ونقل عن طاووس ، ومجاهد ، رطاء ، أنهم قالوا : في أي أشهر الحج شاء فليصمن . ونقل عن ابن عمر أنه قال : من حين يحرم إلى يوم عرفة .

﴿ فصل ﴾

فان لم يجد الهدي ، ولم يصم الثلاثة أيام قبل يوم النحر ، فاذا يصنع ؟ قال عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، وابن جبير ، وطاووس ، وإبراهيم : لا يجزئه إلا الهدي ولا يصوم . وقال ابن عمر وعائشة : يصوم أيام منى . ورواه صالح عن أحمد ، وهو قول مالك . وذهب آخرون إلى أنه لا يصوم أيام التشريق ، بل يصوم بعدهن . روي عن علي . ورواه المرزوقي عن أحمد ، وهو قول الشافعي .

﴿ فصل ﴾

فان وجد الهدي بعد الدخول في صوم الثلاثة أيام ، لم يلزمه الخروج منه ، وهو قول مالك ، والشافعي . وقال أبو حنيفة : يلزمه الخروج ، وعليه الهدي . وقال عطاء : إن صام يومين ثم أيسر ؛ فعليه الهدي . وإن صام ثلاثة ثم أيسر ؛ فليصم السبعة ، ولا هدي عليه . وفي معنى قوله : (في الحج) قولان . أحدهما : أن معناه : في أشهر الحج والثاني : في زمان الإحرام بالحج . وفي قوله تعالى : (وسبعة إذا رجعت) قولان . أحدهما : إذا رجعت إلى أمصاركم ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وأبو العالية ، والشعبي ، وقادة . والثاني : إذا رجعت من حجكم ، وهو قول عطاء ، وسعيد بن جبير ، وأبي حنيفة ، ومالك . قال الأثرم : قلت لأبي عبيد الله ، يعني : أحمد بن حنبل : فصيام السبعة أيام إذا رجع متى يصومهن ؟ أفى الطريق ، أم في أهله ؟ قال : كل ذلك قد تأوله الناس . قيل لأبي عبد الله : ففرق بينهم ، فرخص في ذلك .

قوله تعالى : (تلك عشرة كاملة) فيه خمسة أقوال .

أحدها : أن معناه : كاملة في قيامها مقام الهدي ، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس ، والحسن . قال القاضي أبو يعلى : وقد كان يجوز أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي في باب استكمال الثواب ، فأعلمنا الله تعالى أن العشرة بكمالها هي القاعة مقامه .

والثاني : أن الواو قد تقوم مقام « أو » في مواضع ، منها قوله : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) فأزال الله ، عز وجل احتمال التخيير في هذه الآية بقوله : (تلك عشرة كاملة) وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج .

والثالث : أن ذلك للتوكيد . وأنشدوا للفرزدق :

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى شمائي
وقال آخر :

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أيننا

وقال آخر :

كم نعمة كانت له كم كم وكم

والقرآن نزل بلغة العرب ، وهي تكرر الشيء لتوكيده .

والرابع : أن معناه : تلك عشرة كاملة في الفصل ، وإن كانت الثلاثة في الحج ، والسبعة بعد ، ثلاثا يسبق إلى وهم أحد أن السبعة دون الثلاثة ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

والخامس : أنها لفظة خبر ومعناها : الأمر ، فتقديره : تلك عشرة فأكلوها .

قوله تعالى : (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) في المشار إليه بذلك

قولان . أحدهما : أنه التمتع بالعمرة إلى الحج . والثاني : أنه الجزاء بالنسك والصيام . واللام من « لمن »

في هذا القول بمعنى : « على » . فأما حاضرو المسجد الحرام ؛ فقال ابن عباس ، وطاؤوس ، ومجاهد :

هم أهل الحرم . وقال عطاء : من كان منزله دون المواقيت . قال ابن الأنباري : ومعنى الآية :

إن هذا الفرض لمن كان من الغرباء ، وإنما ذكر أهله ، وهو المراد بالحضور ، لأن الغالب

على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون .

✽ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهنَّ الحج فلا رفقت ولا فسوق ولا جدال في

الحج وما فعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون
يا أولي الأبواب ﴿١٩٧﴾

قوله تعالى: (الحج أشهر معلومات)

في الحج لفتان . فتح الحاء، وهي لأهل الحجاز، وبها قرأ الجمهور . وكسر ها، وهي
لتميم، وقيل: لأهل نجد، وبها قرأ الحسن . قال سيدييه: يقال: حج حجاً، كقولهم:
ذكر ذكراً . وقالوا: حجة، يريدون: عمل سنة . قال الفراء: المعنى: وقت الحج هذه
الأشهر . وقال الزجاج: معناه: أشهر الحج أشهر معلومات .

وفي أشهر الحج قولان . أحدهما: أنها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة،
قاله ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وابن سيرين، وعطاء،
والشعبي، وطاووس، والنخعي، وقادة، ومكحول، والضحاك، والسدي، وأبو حنيفة،
وأحمد بن حنبل، والشافعي، رضي الله عنهم . والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة،
وهو مروى عن ابن عمر أيضاً، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، والزهري، والريعي، ومالك
ابن أنس . قال ابن جرير الطبري: إنما أراد هؤلاء أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة،
إنما هي للحج، وإن كان عمل الحج قد انتضى بانقضاء منى، وقد كانوا يستحبون أن يفعلوا
العمرة في غيرها . قال ابن سيرين: ما أحد من أهل العلم شك في أن عمرة في غير أشهر الحج
أفضل من عمرة في أشهر الحج، وإنما قال: (الحج أشهر) وهي شهران وبعض الآخر على
عادة العرب . قال الفراء: تقول العرب: له اليوم يرمان لم أره، وإنما هو يوم، وبعض آخر .
وتقول: زرتك العام، وأتيتك اليوم، وإنما وقع الفعل في ساعة . وذكر ابن الأنباري
في هذا قولين . أحدهما: أن العرب توقع الجمع على التثنية، كقوله تعالى: (أولئك مبرؤون
مما يقولون) وإنما يريد عائشة وصفوان . وكذلك قوله: (وكننا لحكمهم شاهدين) يريد:

داود وسليمان . والثاني : أن العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير ، فيقولون : قتل ابن الزبير أيام الحج ، وإنما كان القتل في أقصر وقت .

❦ فصل ❦

اختلف العلماء فيمن أحرم بالحج قبل أشهر الحج ، فقال عطاء ، وطاؤوس ، ومجاهد ، والشافعي : لا يجوز ذلك ، وجعلوا قاعدة قوله : (الحج أشهر معلومات) أنه لا ينعقد الحج إلا فيهن . وقال أبو حنيفة ، ومالك ، والثوري ، والليث بن سعد ، وأحمد بن حنبل : يصح الإحرام بالحج قبل أشهر ، فعلى هذا يكون قوله : (الحج أشهر معلومات) أي : معظم الحج يقع في هذه الأشهر ، كما قال النبي ، ﷺ : « الحج عرفة »^(١) .

قوله تعالى : (فمن فرض فيهن الحج) قال ابن مسعود : هو الإلهال بالحج ، والإحرام به . وقال طاؤوس ، وعطاء : هو أن يلي . وروي عن علي ، وابن عمر ، ومجاهد ، والشافعي في آخرين : أنه إذا قلّد بدنته فقد أحرم ، وهذا محمول على أنه قلّد لها ناوياً للحج . ونص الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، في رواية الأثرم : أن الإحرام بالنية . قيل له : يكون محرماً بغير نية ؟ قال : نعم إذا عزم على الإحرام ، وهذا قول مالك ، والشافعي . وقال أبو حنيفة : لا يجوز الدخول في الإحرام إلا بالتلبية أو تقليد الهدي وسوقه .

قوله تعالى : (فلا رقت) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر : (فلا رقت ولا فسوق) بالضم والتنوين . وقرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي بغير تنوين ، ولم يرفع أحد منهم لام « جدال » إلا أبو جعفر . قال أبو علي : حجة من فتح أنه أشدهم مطابقة للمعنى المقصود ، لأنه بالفتح قد نفى جميع الرقت والفسوق ، كقوله : (لا ريب

(١) رواه أحمد في « المسند » وأصحاب « السنن » ، والحاكم ، والبيهقي ، كلهم عن عبد الرحمن ابن يعمر الدبلي رضي الله عنه ، وسنده صحيح .

فيه) فإذا رفع ونون؛ كان النفي لواحد منه، وإنما فتحوا لام الجدل، ليتناول النفي جميع جنسه، فكذلك ينبغي أن يكون جمع الاسمين قبله. وحجة من رفع أنه قد علم من فحوى الكلام نفي جميع الرفث، وقد يكون اللفظ واحداً، والمراد بالمعنى: الجميع.

وفي الرفث ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الجماع، قاله ابن عمر، والحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه الجماع، وما دونه من التعريض به، وهو مروى عن ابن عمر أيضاً، وابن عباس، وعمر بن دينار في آخرين. والثالث: أنه اللغو من الكلام، قاله أبو عبد الرحمن الزبيدي. وفي الفسوق ثلاثة أقوال. أحدها: أنه السباب، قاله ابن عمر، وابن عباس، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه التنازع بالألقاب، مثل أن تقول لأخيك: يا فاسق، يا ظالم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه المعاصي، قاله الحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وقتادة في آخرين، وهو الذي نختاره، لأن المعاصي تشمل الكل، ولأن الفاسق: الخارج من الطاعة إلى المعصية.

قوله تعالى: (ولا جدال في الحج) الجدل: المراء. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أن معناه: لا يمارين أحد أحداً، فيخرجه المراء إلى الغضب، وفعل ما لا يليق بالحج، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عمر، وابن عباس، وطاووس، وعطاء، وعكرمة، والنخعي، وقتادة، والزهرى، والضحاك في آخرين.

والثاني: أن معناه: لا شك في الحج ولا مراء، فانه قد استقام أمره وعرف وقته وزال النسيء عنه، قال مجاهد: كانوا يحجون في ذي الحجة عامين، وفي المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر

الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي ﷺ بسنة ، ثم حج النبي من قابل في ذي الحجة ، فذلك حين قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض »^(١) وإلى هذا المعنى ذهب السدي عن أشياخه ، والقاسم بن محمد .

قوله تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) قال ابن عباس : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فيسألون الناس ، فأُنزل الله تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)^(٢) قال الزجاج : أمروا أن يتزودوا ، وأعلموا أن خير ما تزودوا تقوى الله عز وجل .

* ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم *

قوله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم)

قال ابن عباس : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم ، ويقولون : أيام ذكر ؛ فنزلت هذه الآية . والابتغاء : الالتئام . والفضل هاهنا : التماس الرزق بالتجارة والكسب . قال ابن قتبية : أفضتم ، بمعنى : دفعتم . وقال الزجاج : معناه : دفعتم بكثرة ، يقال : أفاض القوم في الحديث : إذا اندفعوا فيه ، وأكثروا التصرف . وفي تسمية « عرفات » قولان .

(١) متفق عليه من حديث أبي بكرة نفيح بن الحارث . قال العلماء في شرح هذا الحديث : إن العرب كانت تمسكت بيلة إبراهيم عليه السلام في تحريم الأشهر الأربعة ، إلا أنهم كانوا إذا احتاجوا للقتال في شهر منها ، أخروا تحريمهم إلى الشهر الذي يليه ، هكذا شهر إلى شهر ، حتى اختلط الأمر عليهم ، فصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم ، لأنهم كانوا في تلك السنة حرموا ذا الحجة بمقتضى حسابهم ، فأخبر ﷺ أن الاستدارة وافقت بما حكم الله سبحانه وتعالى به يوم خلق الله السموات والأرض .

(٢) رواه البخاري وأبو داود والنسائي .

أحدها : أن الله تعالى بعث جبريل إلى إبراهيم فحج به ، فلما أتى عرفات قال : قد عرفت ، فسميت «عرفة» قاله علي رضي الله عنه .

والثاني : أنها سميت بذلك لاجتماع آدم وحواء ، وتعارفها بها ، قاله الضحاك .

قال الزجاج : والمشعر : المعلم ، سمي بذلك ، لأن الصلاة عنده . والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج ، وهو مزدلفة ، وهي جمع يسمى بالاسمين . قال ابن عمر ، ومجاهد : المشعر الحرام : المزدلفة كلها .

قوله تعالى : (واذكروه كما هداكم) أي : جزاء هدايته لكم ، فإن قيل : ما فائدة تكرير الذكر ؟ قيل : فيه أربعة أجوبة . أحدها : أنه كرره للبالغة في الأمر به . والثاني : أنه وصل بالذكر الثاني ما لم يصل بالذكر الأول ، فحسن تكريره . فالمعنى : اذكروه بتوجيه كما ذكركم بهديته . والثالث : أنه كرره ليدل على مواصلته ، والمعنى : اذكروه ذكراً بعد ذكر ، ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم النحوي . والرابع : أن الذكر في قوله : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) هو : صلاة المغرب والعشاء اللتان يجمع بينهما بالمزدلفة . والذكر في قوله : (كما هداكم) هو : الذكر المفعول عند الوقوف بمزدلفة غداة جمع ، حكاه القاضي أبو يعلى .

قوله تعالى : (وإن كنتم من قبله) في هاء الكناية ثلاثة أقوال . أحدها : أنها ترجع إلى الإسلام ، قاله ابن عباس . والثاني : أنها ترجع إلى الهدى ، قاله مقاتل ، والزجاج والثالث : أنها ترجع إلى القرآن ، قاله سفيان الثوري .

قوله تعالى : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) قالت عائشة : كانت قريش ومن يدين بدينها ، وهم الحس ، يقفون عشية عرفة بالمزدلفة ، يقولون : نحن قطن البيت ، وكان بقية

العرب والناس يقفون بعرفات، فنزلت هذه الآية^(١). قال الزجاج: سموا الجنس لأنهم تحسوا في دينهم، أي: تشددوا. والحماسة: الشدة في كل شيء.

وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال. أحدها: أنهم جميع العرب غير الجنس، ويدل عليه حديث عائشة، وهو قول عروة، ومجاهد، وقناة. والثاني: أن المراد بالناس هاهنا: إبراهيم الخليل، عليه السلام، قاله الضحاك بن مزاحم. والثالث: أن المراد بالناس آدم، قاله الزهري. وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نعيم، ومورق العجلي: «الناسي» بانباء الياء. والرابع: أنهم أهل اليمن وريعة، فانهم كانوا يفيضون من عرفات، قاله مقاتل.

وفي المخاطبين بذلك قولان. أحدهما: أنه خطاب لقريش، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه خطاب لجميع المسلمين، وهو يخرج على قول من قال: الناس آدم، أو إبراهيم. والإفاضة هاهنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ: هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى صبيحة النحر، إلا أن جمهور المفسرين على أنها الإفاضة من عرفات، فظاهر الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يقال: (فاذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله) ثم أفيضوا من عرفات؟! غير أنني أقول: وجه الكلام على ما قال أهل التفسير: إن فيه تقدماً وتأخيراً، تقديره: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فاذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله.

و«الغفور»: من أسماء الله، عز وجل، وهو من قولك: غفرت الشيء: إذا غطيته، فكان الغفور هو السائر لعبده برحمته، أو السائر لذنوب عباده. والغفور: هو الذي يكثر المغفرة، لأن بناء المفعول للمبالغة من الكثرة، كقولك: صبور، وضروب، وأكول. ﴿فاذا قضيتكم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكر أفن الناس﴾

(١) روي البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الجنس، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله: (من حيث أفاض الناس).

من يقول ربنا آتينا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب . واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴿

قوله تعالى : (فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله)

في سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها : أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم ، ذكروا أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم في الجاهلية ، فتفاخروا بذلك ؛ فنزلت هذه الآية . وهذا المعنى مروى عن الحسن ، وعطاء ، ومجاهد .

والثاني : أن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون : وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا ؛ فنزلت هذه الآية . وهذا مروى عن الحسن أيضاً .

والثالث : أنهم كانوا إذا قضوا مناسكهم ، قام الرجل بمنى . فقال : اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة ، كثير المال ، فأعطني مثل ذلك ، فلا يذكر الله ، إنما يذكر آباءه ، ويسأل أن يعطى في دنياه ؛ فنزلت هذه الآية ، هذا قول السدي .

والمناسك : المتعبدات . وفي المراد بها هاهنا قولان . أحدهما : أنها جميع أفعال الحج ، قاله الحسن . والثاني : أنها إراقة الدماء ، قاله مجاهد . وفي ذكرهم آبائهم أربعة أقوال . أحدها : أنه إقرارهم بهم . والثاني : أنه حلفهم بهم . والثالث : أنه ذكر إحسان آبائهم إليهم ، فأنهم كانوا يذكرونهم وينسون إحسان الله إليهم . والرابع : أنه ذكر الأطفال والآباء ، لأنهم أول نطقهم بذكر آبائهم ، روي هذا المعنى عن عطاء ، والضحاك . وفي « أو » قولان . أحدهما : أنها بمعنى « بل » . والثاني : بمعنى الواو . و« الخلاق » : قد تقدم ذكره .

وفي حسنة الدنيا سبعة أقوال . أحدها : أنها المرأة الصالحة ، قاله علي . والثاني : أنها العبادة ، رواه سفيان بن حسين عن الحسن . والثالث : أنها العلم والعبادة ، رواه هشام عن الحسن . والرابع : المال ، قاله أبو وائل ، والسدي ، وابن زيد . والخامس : العافية ، قاله قتادة . والسادس : الرزق الواسع ، قاله مقاتل . والسابع : النعمة ، قاله ابن قتيبة .

وفي حسنة الآخرة ثلاثة أقوال . أحدها : أنها الحور العين ، قاله علي ، رضي الله عنه . والثاني : الجنة ، قاله الحسن ، والسدي ، ومقاتل . والثالث : العفو والمعافة ، روي عن الحسن ، والثوري .

قوله تعالى : (أولئك لهم نصيب مما كسبوا) قال الزجاج : معناه : دعاؤهم مستجاب ، لأن كسبهم هاهنا هو الدعاء ، وهذه الآية متعلقة بما قبلها ، إلا أنه قد روي أنها نزلت على سبب يخالف سبب أخواتها ، فروى الضحاك عن ابن عباس أن رجلاً قال : يا رسول الله : مات أبي ولم يحج ، أفأحج عنه ؟ فقال : « لو كان على أبيك دين قضيته ، أما كان ذلك يحزىء عنه ؟ » قال : نعم ، قال : « فدين الله أحق أن يقضى ! » قال : فهل لي من أجر ؟ فنزلت هذه الآية .^(١)

وفي معنى سرعة الحساب خمسة أقوال . أحدها : أنه قلَّته ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه قرب مجيئه ، قاله مقاتل . والثالث : أنه لما علم ما للمحاسب وما عليه قبل حسابه ، كان سريع الحساب لذلك . والرابع : أن المعنى : والله سريع المجازاة ، ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج . والخامس : أنه لا يحتاج إلى فكر وروية كالماجرين ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

(١) لم يذكر هذا الحديث في شيء من كتب الحديث والتفسير التي بين أيدينا على أنه سبب لنزول الآية ، والأحاديث في جواز الحج عن الغير وردت من طرق صحيحة عن ابن عباس وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم .

قوله تعالى: (واذكروا الله في أيام معدودات) في هذا الذكر قولان. أحدهما: أنه التكبير عند الجمرات، وأدبار الصلوات، وغير ذلك من أوقات الحج. والثاني: أنه التكبير عقب الصلوات المفروضة. واختلف أرباب هذا القول في الوقت الذي يندى فيه بالتكبير ويقطع على ستة أقوال. أحدها: أنه يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة، إلى [ما] بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، قاله علي، وأبو يوسف، ومحمد. والثاني: أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، قاله ابن مسعود، وأبو حنيفة. والثالث: من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد العصر من آخر أيام التشريق، قاله ابن عمر، وزيد بن ثابت وابن عباس، وعطاء. والرابع: أنه يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد صلاة الظهر من يوم النفر، وهو الثاني من أيام التشريق، قاله الحسن. والخامس: أنه يكبر من الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، قاله مالك بن أنس، وهو أحد قولي الشافعي. والسادس: أنه يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهذا قول للشافعي. ومذهب إمامنا أحمد أنه إن كان محلاً، كبر عقب ثلاث وعشرين صلاة؛ أولها الفجر يوم عرفة، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق، وإن كان محرماً كبر عقب سبعة عشر صلاة؛ أولها الظهر من يوم النحر، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق.

وهل يختص هذا التكبير عقب الفرائض بكونها في جماعة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان. إحداها: يختص بمن صلاها في جماعة، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله. والثانية: يختص بالفريضة، وإن صلاها وحده، وهو قول الشافعي.

وفي الأيام المعدودات ثلاثة أقوال. أحدها: أنها أيام التشريق، قاله ابن عمر، وابن

عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنها يوم النحر ويومان بعده، روي عن علي، وابن عمر. والثالث: أنها أيام العشر، قاله سعيد بن جبير، والنخعي. قال الزجاج: و«معدودات» يستعمل كثيراً للشيء القليل، كما يقال: دربهات وحمامات. قوله تعالى: (فمن تعجل في يومين) أي: فمن تعجل النفر الأول في اليوم الثاني من أيام منى؛ فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى النفر الثاني، وهو اليوم الثالث من أيام منى، فلا إثم عليه. فإن قيل، إنما يخاف الإثم المتعجل، فبالمتأخر الحق به، والذي أتى به أفضل؛! فعنه أربعة أجوبة. أحدها: أن المعنى: لا إثم على المتعجل، والمتأخر مأجور، فقال: لا إثم عليه، لتوافق اللفظة الثانية الأولى، كقوله: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) والثاني: أن المعنى: فلا إثم على المتأخر في ترك استعمال الرخصة. والثالث: أن المعنى: قد زالت آثار المتعجل والمتأخر التي كانت عليها قبل حجها. والرابع: أن المعنى: طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر إنما يكون بشرط التقوى.

وفي معنى «لمن اتقى» ثلاثة أقوال. أحدها: لمن اتقى قتل الصيد، قاله ابن عباس. والثاني: لمن اتقى المعاصي في حجه، قاله قتادة. وقال ابن مسعود: إنما مغفرة الله لمن اتقى الله في حجه. والثالث: لمن اتقى فيما بقي من عمره، قاله أبو العالية، وإبراهيم. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.

قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا)

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال. أحدها: أنها نزلت في الأنس، ابن شريق، كان لين الكلام، كافر القلب، يظهر للنبي الحسن، ويحلف له أنه يحبه، ويتبعه على

دينه ، وهو يضر غير ذلك ، هذا قول ابن عباس ، والسدي ومقاتل . والثاني : أنها نزلت فيمن نافق فأظهر بلسانه ما ليس في قلبه . وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . والثالث : أنها نزلت في سرية الرجيع ^(١) ، وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى النبي ﷺ وهو بالمدينة : إنا قد أسلمنا ، فابعث لنا نفرًا من أصحابك يعلمونا ديننا ، فبعث ﷺ خبيب بن عدي ، ومرثداً الغنوي ، وخالداً بن بكير ، وعبد الله بن طارق ، وزيد بن الدثنة ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، فساروا نحو مكة ، فزلوا بين مكة والمدينة ومعهم تمر ، فأكلوا منه ، فمرت عجوز فأبصرت النوى ، فرجعت إلى قومها وقالت : قد سلك هذا الطريق أهل يثرب ، فركب سبعون منهم حتى أحاطوا بهم ، فحاربوهم ، فقتلوا مرثداً ، وخالداً ، وابن طارق ، ونشر عاصم كنياته وفيها سبعة أسهم ، فقتل بكل سهم رجلاً من عظمائهم ، ثم قال : اللهم إني حيت دينك صدر النهار ، فاحم لحي آخر النهار ، ثم أحاطوا به فقتلوه ، وأرادوا حزر رأسه ليعبوه من سلافة بنت سعد ، وكان قتل بعض أهلها ، فنذرت : لئن قدرت على رأسه لتشرين في حفه الحمر ، فأرسل الله تعالى رجلاً ^(٢) من الدبروهي : الزناير فحمته ، فلم يقدروا عليه ، فقال : دعوه حتى يمسي فنذهب عنه ، فناخذه ، فجاءت ، سحابة فأمطرت كالعزالي ، فبعث الله الوادي ، فاحتمله فذهب به ، وأسروا خبيداً وزيداً ، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيداً ليقتلوه ، لأنه قتل آباءهم ، فلما خرجوا به ليقتلوه قال : دعوني أصلي ركعتين ، فتركوه فصلي ركعتين ، ثم قال : لولا أن تقولوا : جزع خبيب ؛ لذت ، وأنشأ يقول :

(١) الرجيع : ماء لهذيل قرب الهداة بين عسفان ومكة ، وهو الموضع الذي غدرت فيه عضل

والقارة ، بالنفر الذي بعثهم رسول الله ﷺ . انظر « سيرة ابن هشام » ج ٢ / ١٦٩ .

(٢) الرجل : الكثير .

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

فصلبوه حياً ، فقال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ رسوالمك سلامي ،
فجاءه رجل منهم يقال له : أبو مروعة ، ومعه رمح ، فوضعه بين يدي خبيب ، فقال له
خبيب : اتق الله ، فازاده ذلك إلا عتواً . وأما زيد ، فاتباعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فجاءه
سفيان بن حرب حين قدم ليقتله ، فقال : يا زيد ! أنشدك الله ، أتحب أن محمداً مكانك ،
وأنت في أهلك ؟ فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
تؤذيه وأنا جالس في أهلي ، ثم قتل^(١) . وبلغ النبي الخبر ، فقال : أياكم يحتمل خبيبا عن خشبته
وله الجنة ؟ فقال الزبير : أنا وصاحبي المقداد ، فخرجا عشيان بالليل ويمكنان بالنهار ، حتى
وافيا المكان ، وإذا حول الخشبة أربعون مشركاً نيام نشاوى ، وإذا هو رطب يثني لم يتغير
فيه شيء بعد أربعين يوماً ، فحملة الزبير على فرسه ، وسار فلحقه سبعون منهم ، فقذف الزبير
خبيبا فابتلعه الأرض ، وقال الزبير : ما جرأكم علينا يا معشر قريش !؟ ثم رفع العمامة عن
رأسه وقال : أنا الزبير بن العوام ، وأمي صفية بنت عبد المطلب ، وصاحبي المقداد ، أسدان
رابضان يدفعان عن شبلهما ، فإن شتم ناضتكم ، وإن شتمت نازلتكم ، وإن شتمت انصرفتكم ، فإنصرفوا ،
وقدما على رسول الله ﷺ وجيزيل عنده ، فقال : « يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك »
وقال بعض المناققين في أصحاب خبيب : وبيع هؤلاء المقتولين ، لا في يوتهم قعدوا ،
ولا رسالة صاحبهم أدوا ، فأنزل الله تعالى في الزبير والمقداد وخبيب وأصحابه والمناققين
هذه الآية بثلاث آيات بعدها . وهذا الحديث بطوله مروي عن ابن عباس .

(١) روى معنى هذا الحديث البخاري إلى هنا مطولاً في كتاب المازي من « صحبه » وفيه
قصة مقتل خبيب وزيد وعاصم .

قوله تعالى : (ويشهد الله على ما في قلبه) . فيه قولان . أحدهما : أنه يقول : إن الله يشهد أن ما ينطق به لساني هو الذي في قلبي . والثاني : أنه يقول : اللهم اشهد علي بهذا القول . وقرأ ابن مسعود : « ويستشهد الله » بزيادة سين وتاء . وقرأ الحسن ، وطلحة بن مصرف ، وابن حيصن وابن أبي عتبة : « ويشهد » بفتح الياء « الله » بالرفع .

قوله تعالى : (وهو ألد الخصام) . الخصام : جمع خصم ، يقال : خصم وخصام وخصوم . قال الزجاج : والألد : الشديد الخصومة ، واشتقاقه من لذيدي العنق ، وهما صفحتا العنق ، ومعناه : أن خصمه في أي وجه أخذ من أبواب الخصومة ، غلبه في ذلك .
﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾

قوله تعالى : (وإذا تولى) . فيه أربعة أقوال : أحدها : أنه بمعنى : غضب ، روي عن ابن عباس ، وابن جريج . والثاني : أنه الانصراف عن القول الذي قاله ، قاله الحسن . والثالث : أنه من الولاية ، فتقديره : إذا صار والياً ، قاله مجاهد والضحاك . والرابع : أنه الانصراف بالبدن ، قاله مقاتل وابن قتيبة .

وفي معنى : « سعى » قولان . أحدهما : أنه بمعنى : عمل ، قاله ابن عباس ومجاهد . والثاني : أنه من السعي بالقدم ، قاله أبو سليمان الدمشقي . وفي الفساد قولان : أحدهما : أنه الكفر . والثاني : الظلم . والحرث : الزرع . والنسل : نسل كل شيء من الحيوان ، هذا قول ابن عباس وعكرمة في آخرين . وحكى الزجاج عن قوم : أن الحرث : النساء والنسل : الأولاد . قال : وليس هذا بمنكر ، لأن المرأة تسمى حرثاً .

وفي معنى إهلاكه للحرث والنسل ثلاثة أقوال . أحدها : أنه إهلاك ذلك بالقتل والإحراق والافساد ، قاله الأكثرون . والثاني : أنه إذا ظلم كان الظلم سبباً لقطع القطر ،

فيهلك الحرث والنسل ، قاله مجاهد . وهو يخرج على قول من قال : إنه من التولي . والثالث : أنه إهلاك ذلك بالضلال الذي يؤول إلى الهلاك ، حكاه بعض المفسرين .

قوله تعالى : (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس : لا يرضى بالمعاصي . وقد احتجت المعتزلة بهذه الآية ، فأجاب أصحابنا بأجوبة . منها : أنه لا يحبه ديناً ، ولا يريد شرعاً ، فأما أنه لم يردّه وجوداً ؛ فلا . والثاني : أنه لا يحبه للمؤمنين دون الكافرين ، والثالث : أن الإرادة معنى غير المحبة ، فإن الإنسان قد يتناول المرء ، ويريد بطل الجرح ، ولا يحب شيئاً من ذلك . وإذا بان في المقول الفرق بين الإرادة والمحبة ؛ بطل ادعاؤهم التساوي بينهما ، وهذا جواب معتمد . وفي معنى هذه الآية قوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) . الزمر : ٧

﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد ﴾

قوله تعالى : (أخذته العزة) قال ابن عباس : هي الحمية . وأنشدوا :

أخذته عزة من جهله فتولى مغضباً فعل الضجر

ومعنى الكلام : حملته الحمية على الفعل بالإثم . وفي « جهنم » قولان ، ذكرهما ابن الأنباري ، أحدهما : أنها أعجمية لا تجر للتعريف والمعجمة . والثاني : أنها اسم عربي ، ولم يجر للتأنيث والتعريف . قال رؤبة : رُكِيَّةٌ جهنم : بعيدة القعر . وقال الأعشى :

دعوت خليلي مستحلاً ودعواه جهنم جدعاً للهجين المذمم^(١)

فترك صرفه يدل على أنه اسم أعجمي معرب .

وفي معنى الكلام قولان . أحدهما : فحسبه جهنم جزاء عن إثمه . والثاني : فحسبه

(١) جهنم : لقب لشاعر كان مهاجياً الأعشى اسمه « عمرو بن قطن » ، وقيل : هو اسم شيطان الشاعر على عقيدة بعض العرب في ذلك ، كما أن « مستحلاً » اسم شيطان الأعشى .

جهنم ذلاً من عزه . والمهاد : الفراش ، ومهدت لفلان : إذا وطأت له ، ومنه : مهد الصبي .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه) اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على

خمس أقوال .

أحدها : أنها نزلت في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهو معنى قول عمر وعلي رضي الله عنهما . والثاني : أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبوا لئزال خبيب من خشبته ، وقد شرحنا القصة . وهذا قول ابن عباس والضحاك . والثالث : أنها نزلت في صهيب الرومي ، واختلفوا في قصته ، فروي أنه أقبل مهاجراً نحو النبي ، ﷺ ، فاتبه نفر من قريش ، فزل ، فانتحل كنانته ، وقال : قد علمت أني من أركم بهم ، وإيم الله لاتصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي ، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، فان شئتم دلتكم على مالي . قالوا : فدلنا على مالك نخل عنك ، فعاهدكم على ذلك ، فنزلت فيه هذه الآية ، فلما رآه النبي ﷺ قال : « ربح البيع أبا يحيى » ؟ وقرأ عليه القرآن . هذا قول سعيد بن المسيب ، وذكر نحوه أبو صالح عن ابن عباس . وقال : إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق . وذكر مقاتل أنه قال للمشركين : أنا شيخ كبير لا يضركم إن كنت معكم أو عليكم ، ولي عليكم حق لجواري ، فخذوا مالي غير راحلة ، واركبوني وديني ، فاشترط أن لا يمنع عن صلاة ولا هجرة ، فأقام ما شاء الله ، ثم ركب راحلته ، فأتى المدينة مهاجراً ، فلقه أبو بكر ، فبشره وقال : نزلت فيك هذه الآية . وقال عكرمة : نزلت في صهيب ، وأبي ذر الغفاري ، فأما صهيب ، فأخذه أهله فاقتدى بماله ، وأما أبو ذر ، فأخذه أهله فأفلت منهم حتى قدم مهاجراً . والرابع : أنها نزلت في المجاهدين

في سبيل الله ، قاله الحسن وابن زيد في آخرين . والخامس : أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قاتلوا على دين الله حتى ظهروا ، هذا قول قتادة . و « يشري » كلمة من الأضداد ، يقال : شري ، بمعنى : باع ، وبمعنى : اشترى . فمعناها على قول من قال : نزلت في صهيب ؛ معنى : يشتري . وعلى بقية الأقوال بمعنى : يبيع .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال : أحدها أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب ، كانوا بعد إسلامهم يتقون السبت ولحم الجمل ، وأشياء يتقها أهل الكتاب . رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : أنها نزلت في أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ ، أمروا بالدخول في الإسلام . روي عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال الضحاك . والثالث : أنها نزلت في المسلمين ، يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها ، قاله مجاهد وقتادة .

وفي « السلم » ثلاث لغات : كسر السين ، وتسكين اللام . وبها قرأ أبو عمرو ، وابن عامر في « البقرة » وفتح السين في « الأنفال » وسورة « محمد » وفتح السين مع تسكين اللام . وبها قرأ ابن كثير ، ونافع ، والكسائي في المواضع الثلاثة ، وفتح السين واللام . وبها قرأ الأعمش في « البقرة » خاصة .

وفي معنى « السلم » قولان . أحدهما : أنه الإسلام ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، وابن قتيبة ، والزجاج في آخرين . والثاني : أنها الطاعة ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وهو قول أبي العالية ، والربيع . وقال الزجاج : و « كافة » بمعنى الجميع ، وهو في اشتقاق اللغة : ما يكف الشيء في آخره ، من ذلك : كُفّة القميص ، وكل مستطيل فحرفه كُفَّة : بضم الكاف . ويقال في كل مستدير : كِفة بكسر الكاف ، نحو : كِفة الميزان . ويقال : إنها سميت كُفَّة الثوب ، لأنها تمنعه أن ينتشر ، وأصل الكف : المنع ، وقيل لطرف اليد : كف ، لأنها تكف بها عن سائر البدن ، ورجل مكفوف : قد كف بصره أن ينظر . واختلفوا : هل قوله : « كافة » يرجع إلى السلم ، أو إلى الداخلين فيه ، على قولين . أحدهما : أنه راجع إلى السلم ، فتقديره : ادخلوا في جميع شرائع الإسلام . وهذا يخرج على القول الأول الذي ذكرناه في نزول الآية . والثاني : أنه يرجع إلى الداخلين فيه ، فتقديره : ادخلوا كلكم في الإسلام ، وبهذا يخرج على القول الثاني . وعلى القول الثالث يحتمل قوله : « كافة » ثلاثة أقوال . أحدها : أن يكون أمراً للمؤمنين بالسنتهم أن يؤمنوا بقلوبهم ، والثاني أن يكون أمراً للمؤمنين بالدخول في جميع شرائعهم . والثالث : أن يكون أمراً لهم بالثبات عليه ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا) النساء : ١٣٦ . و « خطوات الشيطان » : المعاصي . وقد سبق شرحها . و « البينات » : الدلالات الواضحات . وقال ابن جريج : هي الإسلام والقرآن . و « ينظرون » بمعنى : ينتظرون .

قوله تعالى : (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) كان جماعة من السلف يسكون عن الكلام في مثل هذا . وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال : المراد به : قدرته وأمره . قال : وقد بينه في قوله تعالى : (أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ) الأنعام : ١٥٨ .

قوله تعالى: (في ظلال من الغمام) أي: بظلل. والظلل: جمع ظلة. و«الغمام»: السحاب الذي لاماء فيه. قال الضحاك: في قطع من السحاب. ومتى يكون مجيء الملائكة؟ فيه قولان. أحدهما: أنه يوم القيامة، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه عند الموت. قاله قتادة. وقرأ الحسن بخفض «الملائكة» و(قضي الأمر): «فرغ منه». و(إلى الله ترجع الأمور). أي: نصير. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم، «ترجع» بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي بفتحها. فان قيل: فكأن الأمور كانت إلى غيره؟ فعنه أربعة أجوبة. أحدها: أن المراد به إلام الخلق أنه المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب، قاله الزجاج. والثاني أنه لما عبد قوم غيره، ونسبوا أفعاله إلى سواه، ثم انكشف الغطاء يوم القيامة؛ ردوا إليه ما أضافوه إلى غيره. والثالث: أن العرب تقول: قد رجع عليّ من فلان مكروه: إذا صار إليه منه مكروه، وإن لم يكن سبق، قال الشاعر:

فان تكن الأيام أحسن مرةً إليّ فقد عادت لهنّ ذنوب

ذكرهما ابن الأثيري. ومما يشبه هذا قول لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

أراد: يصير رماداً، لا أنه كان رماداً. وقال أمية بن أبي الصلت:

تلك المكارم لأقعبان من لبنٍ شيبا عاء فعادا بعد أبو الإ^(١)

أي: صار. والرابع: أنه لما كانت الأمور إليه قبل الخلق، ثم أوجدكم فلكم بعضها رجعت إليه بعد هلاككم. فان قيل: قد جرى ذكر اسمه تعالى في قوله: (أن يأتيهم الله) فما

(١) هو من قصيدة يمدح بها سيف بن ذي يزن إثر ظفروه بالجشة. القعب: القبح الضخم.

الحكمة في أنه لم يقل : وإليه ترجع الأمور؟ فالجواب: أن إعادة اسمه أفخم وأعظم، والعرب إذا جرى ذكر شيء يفخم أعادوا لفظه، وأنشدوا :

لأرى الموت يسبق الموت شيئاً نقص الموت ذا النى والفقيرا

فأعادوا ذكر الموت لفخامته في صدورهم، ذكره الزجاج .

﴿ سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة ومن يُبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنّ الله شديد العقاب ﴾

قوله تعالى : (سل بني إسرائيل) الخطاب للنبي ﷺ ، والمعنى : له وللمؤمنين . قال الفراء : أهل الحجاز يقولون : « سل » بغير همز ، وبعض تميم يقول : « أسأل » بالهمز ، وبعضهم يقول : « إسل » بالألف وطرح الهمز ، والأولى أغربهن ، وبها جاء الكتاب وفي المراد بالسؤال قولان . أحدهما : أنه التقرير والإذكار بالنعم . والثاني : التوبيخ على ترك الشكر . والآية البيّنة : العلامة الواضحة ، كالمصا ، والنمام ، والمن ، والسلوى ، والبحر . وفي المراد بنعمة الله قولان . أحدهما : أنها الآيات التي ذكرناها ، قاله قتادة . والثاني : أنها حجج الله الدالة على أمر النبي ﷺ ، قاله الزجاج .

وفي معنى تبديلها ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الكفر بها ، قاله أبو العالية ومجاهد . والثاني : تغيير صفة النبي ﷺ في التوراة . قاله أبو سليمان الدمشقي . والثالث : تعطيل حجج الله بالتأويلات الفاسدة .

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ زاد السير - أول (م ١٥)

قوله تعالى: (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) في نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أنها نزلت في أبي جهل وأصحابه ، قاله ابن عباس . والثاني : نزلت في علماء اليهود ، قاله عطاء . والثالث : في عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين . قاله مقاتل . قال الزجاج : وإنما جاز في « زين » لفظ التذكير ، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي ، إذ معنى الحياة ومعنى العيش واحد .

وإلى من يضاف هذا التزيين فيه قولان . أحدهما : أنه يضاف إلى الله . وقرأ أبي ابن كعب ، والحسن ، ومجاهد ، وابن محيصن ، وابن أبي عتبة : « زين » بفتح الزاي والياء ، على معنى : زينتها الله لهم . والثاني : أنه يضاف إلى الشيطان ، روي عن الحسن . قال شيخنا علي ابن عبيد الله : والتزيين من الله تعالى : هو التركيب الطبيعي ، فانه وضع في الطبائع حبة المحبوب ، لصورة فيه تزينت للنفس ، وذلك من صنعه ، وتزيين الشيطان باذكار ما وقع من إغفاله بما مثله يدعو إلى نفسه لزيفته ، فالله تعالى يزين بالوضع ، والشيطان يزين بالإذكار .

وما السبب في سخرية الكفار من المؤمنين ؟ فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم سخروا منهم للفقر . والثاني : لتصديقهم بالآخرة . والثالث : لاتباعهم للنبي ﷺ . وقيل : إنهم كانوا يوهوهم أنهم على الحق ، سخرية منهم بهم .

وفي معنى كونهم « فوقهم » ثلاثة أقوال . أحدها : أن ذلك على أصله ، لأن المؤمنين في عليين ، والكفار في سجين . والثاني : أن حجج المؤمنين فوق شبه الكافرين ، فهم المنصورون . والثالث : في أن نعيم المؤمنين في الجنة فوق نعيم الكافرين في الدنيا . قوله تعالى : (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه قولان . أحدهما : أنه يرزق

من يشاء رزقاً واسعاً غير ضيق . والثاني : يرزق من يشاء بلا محاسبة في الآخرة .

﴿ كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾

قوله تعالى : (كان الناس أمةً واحدةً) في المراد بـ « الناس » هاهنا ثلاثة أقوال . أحدها : جميع بني آدم ، وهو قول الجمهور . والثاني : آدم وحده ، قاله مجاهد . قال ابن الأثيري : وهذا الوجه جائز ، لأن العرب توقع الجمع على الواحد . ومعنى الآية : كان آدم ذا دين واحد ، فاختلف ولده من بعده . والثالث : آدم وأولاده كانوا على الحق ، فاختلفوا حين قتل قابيل هابيل . ذكره ابن الأثيري . والأمة هاهنا : الصنف الواحد على مقصد واحد .

وفي ذلك المقصد الذي كانوا عليه قولان . أحدهما : أنه الإسلام قاله أبي بن كعب ، وقتادة ، والسدي ، ومقاتل . والثاني : أنه الكفر . رواه عطية عن ابن عباس .

ومتى كان ذلك . فيه خمسة أقوال أحدها : أنه حين عرضوا على آدم ، وأقروا بالعبودية . قاله أبي بن كعب . والثاني : في عهد إبراهيم كانوا كفاراً . قاله ابن عباس . والثالث : بين آدم ونوح ، وهو قول قتادة . والرابع : حين ركبوا السفينة ، كانوا على الحق . قاله مقاتل . والخامس : في عهد آدم . ذكره ابن الأثيري . (فبعث الله النبيين مبشرين) بالجنة (ومنذرين) بالنار . هذا قول الأكثرين . وقال بعض السلف : مبشرين لمن آمن

بك يا محمد ، ومنذرين لمن كذبك . (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس) والكتاب : اسم جنس ، كما تقول : كثر الدرهم في أيدي الناس . وذكر بعضهم أنه في التوراة .

وفي المراد بالحق هاهنا قولان . أحدهما : أنه بمعنى الصدق والعدل . والثاني : أنه القضاء فيما اختلفوا فيه (ليحكم بين الناس) في الحاكم هاهنا ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الله تعالى . والثاني : أنه النبي الذي أنزل عليه الكتاب ، والثالث : الكتاب ، كقوله تعالى : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) الجاثية : ٢٩ . وقرأ أبو جعفر : « ليحكم » بضم الياء وفتح الكاف . وقرأ مجاهد « لتحكم » بالناء على الخطاب للنبي ﷺ .

قوله تعالى : (فيما اختلفوا فيه) يعني : الدين .

قوله تعالى : (وما اختلف فيه) في هذه الهاء ثلاثة أقوال . أحدها : أنها تعود إلى محمد ﷺ قاله ابن مسعود ، والثاني : إلى الدين . قاله مقاتل . والثالث : إلى الكتاب ، قاله أبو سليمان الدمشقي . فأما هاء « أوتوه » فمائدة على الكتاب من غير خلاف . وقال الزجاج : ونصب « نبياً » على معنى المفعول له ، فالعنى : لم يوقعوا الاختلاف إلا للنبي ، لأنهم عالمون بحقيقة الأمر في كتبهم . وقال الفراء : في اختلافهم وجهان . أحدهما : كفر بعضهم بكتاب بعض ، والثاني : تبديل ما بدلوا .

قوله تعالى : (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي : لمعرفة ما اختلفوا فيه ، أو تصحيح ما اختلفوا فيه .

وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال . أحدها : أنه الجمعة ، جعلها اليهود السبت ، والنصارى الأحد ، فروى البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة عن

رسول الله ﷺ أنه قال : «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»^(١) يبدأنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختافوا فيه ، فهدانا الله له فالיום لنا ، وغداً لليهود ، وبعد غد للنصارى»^(٢) . والثاني : أنه الصلاة ، فمنهم من يصلي إلى المشرق ، ومنهم من يصلي إلى المغرب . والثالث : أنه إبراهيم . قالت اليهود : كان يهودياً ، وقالت النصارى : كان نصرانياً . والرابع : أنه عيسى ، جعلته اليهود إلهية ، وجعلته النصارى إلهاً . والخامس : أنه الكتب ، آمنوا ببعضها ، وكفروا ببعضها . والسادس : أنه الدين ، وهو الأصح ، لأن جميع الأقوال داخلة في ذلك .

قوله تعالى : (باذنه) قال الزجاج : إذنه : علمه . وقال غيره : أمره . قال بعضهم : توفيقه :

﴿ أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾

قوله تعالى : (أم حسبكم أن تدخلوا الجنة) في سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن الصحابة أصابهم يوم الأحزاب بلاء وحصر ، فنزلت هذه الآية ، ذكره السدي عن أشياخه ، وهو قول قتادة . والثاني : أن النبي ﷺ ، لما دخل المدينة هو وأصحابه اشتد بهم الضر ، فنزلت هذه الآية ، قاله عطاء . والثالث : أن المنافقين قالوا للمؤمنين : لو كان محمد نبياً لم يُسلط عليكم القتل ، فأجابهم : من قتل منا دخل الجنة ، فقالوا : لم تمنون أنفسكم بالباطل ؟ فنزلت هذه

(١) أي : نحن الآخرون زماناً ، السابقون منزلة ، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية ، فهي سابقة لهم في الآخرة ، بأنهم أول من يحشر ، وأول من يحاسب ، وأول من يقضي بينهم ، وأول من يدخل الجنة .

(٢) متفق عليه ، واللفظ الذي أورده المصنف للمسلم .

الآية ، قاله مقاتل . وزعم أنها نزلت يوم أحد . قال الفراء : (أم حسبت) بمعنى : أظنتم ، وقال الزجاج : « أم » بمعنى : بل . وقد شرحنا « أم » فيما تقدم شرحاً كافياً . والمثل بمعنى : الصفة . و « زلزلوا » خُوفُوا وُحِرَ كُوا بما يؤذي ، وأصل الزلزلة في اللغة من : زل الشيء عن مكانه ، فإذا قلت : زلزلته ، فتأويله : كررت زلزلته من مكانه ، وكل ما كان فيه ترجيع كررت فيه فاء الفعل ، تقول : أقل فلان الشيء : إذا رفعه من مكانه ، فإذا كرر رفعه وردّه ، قيل : قلقه . فالمعنى أنه تكرر عليهم التحريك بالخوف ، قاله ابن عباس . البأساء : الشدة والبؤس ، والضراء : البلاء والمرض . وكل رسول بعث إلى أمته يقول : (متى نصر الله) والنصر : الفتح ، والجمهور على فتح لام « حتى يقول » ، وضمها نافع .

❦ فصل ❦

ومعنى الآية : أن البلاء والحمد بلغ بالأمم المتقدمة إلى أن استبطؤوا النصر لشدة البلاء . وقد دلت على أن طريق الجنة إنما هو الصبر على البلاء . قالت عائشة : ما شبع رسول الله ، ﷺ ، ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُرٍ حتى مضى لسبيله ^(١) . وقال حذيفة : أقرّ أبيي لعيني ، يوم أرجع إلى أهلي فيشكون إليّ الحاجة . قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأني سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : « إن الله يتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير » ، وإن الله ليحمي المؤمن من الدنيا ، كما يحمي المريض أهله الطعام ^(٢) . أخبرنا أبو بكر الصوفي ، قال : أخبرنا أبو سعيد ابن أبي صادق ، قال : أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي ، قال : سمعت أبا الطيب ابن الفرخان يقول : سمعت الجنيد يقول : دخلت على سري السقطي وهو يقول :

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه البيهقي . وقال المناوي : فيه اليان بن المغيرة ، قال الذهبي : ضعفه .

وَمَا رُمْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى
 حَلَلْتُ مَحَلَّةَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ
 وَأَغْضَيْتُ الْجَفُونَ عَلَى قِذَاهَا
 وَصُنْتُ النَفْسَ عَنْ قَالٍ وَقِيلِ
 ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يَنْفَقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالْيَوْمِ
 وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يَنْفَقُونَ) في سبب نزولها قولان . أحدهما : أنها نزلت في عمرو بن الجوح الأنصاري ، وكان له مال كثير ، فقال : يا رسول الله بماذا تنفق ، وعلى من تنفق ؟ فنزلت هذه الآية . رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : إن لي ديناراً ، فقال : « أنفقه على نفسك » . فقال : إن لي دينارين ، فقال : « أنفقها على أهلِكَ » . فقال : إن لي ثلاثة ، فقال : « أنفقها على خادمك » . فقال : إن لي أربعة ، فقال : « أنفقها على والديك » . فقال : إن لي خمسة ، فقال : « أنفقها على قرابتك » . فقال : إن لي ستة ، فقال : « أنفقها في سبيل الله ، وهو أحسنها » فنزلت فيه هذه الآية . رواه عطاء عن ابن عباس .^(١)

قال الزجاج : « ماذا » في اللغة على ضربين ، أحدهما : أن تكون « ذا » بمعنى الذي ، و « ينفقون » : صلاته ، فيكون المعنى : يسألونك : أي شيء الذي ينفقون ؟ والثاني أن تكون « ما » مع « ذا » اسماً واحداً ، فيكون المعنى : يسألونك أي شيء ينفقون ، قال : وكانهم سألوها : على من ينبغي أن يفضلوا ، وما وجه الذي ينفقون ؟ لأنهم يعلمون ما المنفق ،

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » بدون سند وقد جاء معنى هذا الحديث مستنداً من طريق أبي هريرة ولم يذكر فيه أنه سبب لنزول الآية . فقد روى أحمد في « المسند » وأبو داود والنسائي والحاكم عن أبي هريرة قال : قال رسول ﷺ : « تصدقوا ، قال رجل : عندي دينار ؟ قال : تصدق به على نفسك قال : عندي دينار آخر ؟ قال : تصدق به على زوجك . قال : عندي دينار آخر ؟ قال : تصدق به على ولدك . قال : عندي دينار آخر ؟ قال : تصدق به على خادمك . قال : عندي دينار آخر ؟ قال : أنت أبصر ، واسناده صحيح .

وأعلمهم الله أن أولى مَنْ أُفْضِلَ عليه الوالدان والأقربون. والخير: المال، قاله ابن عباس في آخرين. وقال: ومعنى: «فلا والدين»: فعلى الوالدين.

❦ فصل ❦

وأكثر علماء التفسير على أن هذه الآية منسوخة، قال ابن مسعود: نسختها آية الزكاة. وذهب الحسن إلى إحكامها، وقال ابن زيد: هي في النوافل، وهذا الظاهر من الآية، لأن ظاهرها يقتضي الندب، ولا يصح أن يقال: إنها منسوخة، إلا أن يقال: إنها اقتضت وجوب النفقة على المذكورين فيها.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى: (كتب عليكم القتال) قال ابن عباس: لما فرض الله على المسلمين الجهاد شق عليهم وكرهوه، فنزلت هذه الآية. و«كتب» بمعنى: فرض في قول الجماعة. قال الزجاج: يقال: كرهت الشيء، أكرهه كرهًا وكُرْهًا، وكرهيةً وكراهيةً. وكل ما في كتاب الله من الكره، فالفتح فيه جائز، إلا أن أباعبيد ذكر أن الناس مجتمعون على ضم هذا الحرف الذي في هذه الآية. وإنما كرهوه لمشقته على النفوس، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى. وقال الفراء: الكُرْه والكَرْه: لفتان. وكأن النحويين يذهبون بالكُرْه إلى ما كان منك مما لم تُكره عليه، فإذا أُكرهت على الشيء استجبوا «كرهًا» بالفتح. وقال ابن قتيبة: الكره بالفتح، معناه: الإكراه والقهر، وبالضم معناه: المشقة. ومن نظائر هذا: الجهد: الطاقة، والجهد: المشقة ومنهم من يجعلها واحدًا. وعُظم الشيء: أكبره

وعظمه : نفسه . وعرض الشيء : إحدى نواحيه . وعرضه : خلاف طوله . والأكل : مصدر . أكلت ، والأكل : المأكول ، وقال أبو علي : هما لقتان ، كالفقر والفقر ، والضعف والضعف ، والدَّف والدَّف ، والشَّهْد والشَّهْد .

قوله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئاً) قال ابن عباس : يعني الجهاد . (وهو خير لكم) فتح وغنيمة أو شهادة . (وعسى أن تحبوا شيئاً) وهو : القعود عنه . (وهو شر لكم) لا تصيبون فتحاً ولا غنيمة ولا شهادة . (والله يعلم) أن الجهاد خير لكم . (وأنتم لا تعلمون) حين أحببتم القعود عنه .

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها من المحكم الناسخ للعفو عن المشركين . والثاني : أنها منسوخة ، لأنها أوجبت الجهاد على الكل ، فنسخ ذلك بقوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) . التوبة : ١٢٢ . والثالث : أنها ناسخة من وجه ، منسوخة من وجه .

وقالوا : إن الحال في القتال كانت على ثلاث مراتب . الأولى : المنع من القتال ، ومنه قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) النساء : ٧٧ . والثانية : أمر الكل بالقتال ، ومنه قوله تعالى : (انفروا خفاً وثقالاً) التوبة : ٤١ . ومثلها هذه الآية . والثالثة : كون القتال فرضاً على الكفاية ، وهو قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) التوبة : ١٢٢ . فيكون الناسخ منها إيجاب القتال بعد المنع منه ، والمنسوخ منه وجوب القتال على الكل .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) روى جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ، بعث رهطاً واستعمل عليهم أبا عبيدة، فلما انطلق ليتوجه بكى صباية إلى رسول الله ﷺ، فبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً، وأمره ألا يقرأه إلا بكان كذا وكذا، وقال: «لا تكرهن أحدًا من أصحابك على المسير معك» فلما صار إلى المسكان، قرأ الكتاب واسترجع، وقال: ممماً [وطاعة لأمر] الله ولرسوله [فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب]، فرجع رجلان من أصحابه، ومضى بقيتهم، فأثوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أم من رجب، أو من جمادى الآخرة؛ فقال المشركون [للمسلمين]: قتلتم في الشهر الحرام [فأثوا النبي ﷺ فحدثوه الحديث] فزلت هذه الآية، فقال بعض المسلمين: لئن كان أصحابهم خير فإلهم أجر، فزلت: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) إلى قوله: (رَحِيمٌ) البقرة: ٢١٨. قال الزهري: اسم ابن الحضرمي: عمرو، واسم الذي قتله عبد الله بن واقد الليثي. قال ابن عباس: كان أصحاب النبي ﷺ، يظنون تلك الليلة من جمادى، وكانت أول رجب.

وقد روى عطية عن ابن عباس أنها نزلت في شيئين. أحدهما: هذا. والثاني:

دخول النبي ، ﷺ ، مكة في شهر حرام يوم الفتح ، حين عاب المشركون عليه القتال في شهر حرام .

وفي السائلين النبي ، ﷺ ، عن ذلك قولان . أحدهما : أنهم المسلمون سألوه : هل أخطؤوا أم أصابوا؟ قاله ابن عباس وعكرمة ومقاتل . والثاني : أنهم المشركون سألوه على وجه العيب على المسلمين ، قاله ، الحسن وعروة ومجاهد .

والشهر الحرام : شهر رجب ، وكان يدعى الاضم ، لأنه لم يكن يسمع فيه للسلح قمعة تمظيماً له (قتال فيه) أي : يسألونك عن قتال فيه . (قل : قتال فيه كبير) قال ابن مسعود وابن عباس : لا يحل . قال القاضي أبو يعلى : كان أهل الجاهلية يمتقدون تحريم القتال في هذه الأشهر ، فأعلمهم الله تعالى في هذه الآية ببقاء التحريم .

فصل

اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم : هل هو باق أم نسخ؟ على قولين .

أحدهما : أنه باق . روى ابن جريج أن عطاء كان يحلف بالله : ما يحل للناس الآن أن يغزوا في الحرم ، ولا في الأشهر الحرم ، إلا أن يقاتلوا فيه أو يغزوا ، وما نسخت .

والثاني : أنه منسوخ ، قال سميد بن المسيب ، وسليمان بن يسار : القتال جائز في الشهر الحرام ، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) التوبة : ٥ . وبقوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) التوبة : ١٩ . وهذا قول فقهاء الأمصار .

قوله تعالى: (وَصِدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) هو مرفوع بالابتداء، وخبر هذه الأسماء :
(أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ). وفي المراد بـ«سبيل الله» هاهنا قولان.

أحدهما: أنه الحج، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ، عن مكة. قاله ابن عباس
والسدي عن أشياخه.

والثاني: أنه الإسلام، قاله مقاتل. وفي هاء الكناية في قوله: (وَكُفِّرْ بِهِ) قولان
أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله السدي عن أشياخه، وقتادة، ومقاتل، وابن قتيبة.
والثاني: أنها تعود إلى السبيل. قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: وخفض «المسجد الحرام»
نسقا على قوله: (سَبِيلِ اللَّهِ) كأنه قال: وصد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام.

قوله تعالى: (وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ) لما آذوا رسول الله وأصحابه؛ اضطروهم إلى الخروج
فكأنهم أخرجوهم، فأعلمهم الله أن هذه الأفعال أعظم من قتل كل كافر. «والفتنة» هاهنا
معنى الشرك. قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والجماعة. والفتنة في
القرآن على وجوه كثيرة، قد ذكرتها في كتاب «النظائر» (ولا يزالون) يعني:
الكفار، (بِقَاتِلُونَكُمْ) يعني: المسلمين. و(حَبَطَتْ) بمعنى: بطلت:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) في سبب نزولها قولان.

أحدهما: أنه لما نزل القرآن بالرخصة لأصحاب عبد الله بن جحش في قتل ابن
الحضرمي، قال بمض المسلمين: ما لهم أجز، فنزلت هذه الآية: وقد ذكرنا هذا في

سبب نزول قوله تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام) عن جندب بن عبد الله.
والثاني: أنه لما نزلت لهم الرخصة قاموا، فقالوا: [يا رسول الله] أنطمع أن تكون
لنا غزاة نعطي فيها أجر المجاهدين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس . وقال: (هاجروا)
من مكة إلى المدينة، (وجاهدوا) في طاعة الله ابن الحضرمي وأصحابه . و (رحمة الله) :
مغفرته وجنته . قال ابن الأباري: الهجرة عند العرب من هجران الوطن والأهل والولد .
والمهاجرون معنهم : المهاجرون الأولاد والأهل، فعرف مكان المفعول فأسقط . قال
الشعبي : أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش، وأول مغنم قسم في الإسلام : مغنمه .
﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمها أكبر من
نفعها ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾
قوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر) في سبب نزولها قولان . أحدهما : أن
عمر بن الخطاب ، قال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية ^(١) . والثاني أن جماعة من
الأنصار جاؤوا إلى النبي ﷺ ، وفيهم عمر ، ومعاذ ، فقالوا : أفتنا في الخمر ، فإنها مذهبة للعقل
مسلبة للمال ، فنزلت هذه الآية .

وفي تسمية الخمر خمرًا ثلاثة أقوال . أحدها: أنها سميت خمرًا، لأنها تخامر العقل،
أي : تخالطه . والثاني : لأنها تخمّر العقل ، أي : تستره . والثالث : لأنها تخمّر ، أي :
تغطّي . ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم . وقال الزجاج : الخمر في اللغة : ما ستر على
العقل ، يقال : دخل فلان في خمار الناس ، أي : في الكثير الذي يستتر فيهم ، وخمار المرأة
قناعها ، سمي خماراً لأنه يغطي .

(١) أخرج الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لأحمد، عن عمر رضي الله عنه قال : لما نزل
تحريم الخمر، قال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية... الحديث. وصححه علي بن المديني، والترمذي.

قال : والخمر هاهنا هي المجمع عليها ، وقياس كل ما عمل عملها أن يقال له : خمر ، وأن يكون في التحريم بمنزلتها ، لأن العلماء أجمعوا على أن القمار كله حرام ، وإنما ذكر الميسر من بينه ، وجعل كله قياساً على الميسر ، والميسر إنما يكون قماراً في الجزر خاصة . فأما الميسر ؛ فقال ابن عباس ، وابن عمر ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة في آخرين : هو القمار . قال ابن قتيبة : يقال : يسرت : إذا ضربت بالقداح ، ويقال للضارب بالقداح : ياسر وياسرون ، ويُسِر وأيسر .

وكان أصحاب الثروة والأجواد في الشتاء عند شدة الزمان وكلبه ينحرون جزوراً ، ويجزئونها أجزاء ، ثم يضربون عليها بالقداح ، فإذا قر القامر ، جعل ذلك لذوي الحاجة والمسكنة ، وهو النفع الذي ذكره الله ، وكانوا يتماذحون بأخذ القداح ، ويتسابون بتركها ويمسيون من لا ييسر .

قوله تعالى : (قل فيها إثم كبير) قرأ الآكثرون « كبير » بالباء ، وقرأ حمزة والكسائي بالثاء .

وفي إثم الخمر ثلاثة أقوال . أحدها : أن شربها ينقص الدين . قاله ابن عباس . والثاني أنه إذا شرب سكر وأذى الناس ، رواه السدي عن أشياخه . والثالث : أنه وقوع المداوة والبغضاء وتغطية العقل الذي يقع به التمييز ، قاله الزجاج .

وفي إثم الميسر قولان . أحدهما : أنه يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويوقع المداوة ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه يدعو إلى الظلم ومنع الحق . رواه السدي عن أشياخه وجائز أن يراد جميع ذلك .

وأما منافع الخمر؛ فمن وجهين: أحدهما: الربح في بيعها. والثاني: انتفاع الأبدان^(١) مع التذاذ النفوس. وأما منافع الميسر: فإصابة الرجل المال من غير تعب. وفي قوله تعالى: (وإنهم أكبر من نفعها) قولان. أحدهما: أن معناه: وإنهم بعد التحريم أكبر من نفعها قبل التحريم، قاله سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل. والثاني: وإنهم قبل التحريم أكبر من نفعها قبل التحريم أيضاً، لأن الإثم الذي يحدث في أسبابها أكبر من نفعها. وهذا منقول عن ابن جبير أيضاً. واختلفوا بما إذا كانت الخمرة مباحة؟ على قولين. أحدهما: بقوله تعالى: (ومن ثمرات النخيل والأغاب تتخذون منه سكرًا) النحل: ٦٧. قاله ابن جبير. والثاني: بالشريعة الأولى، وأقر المسلمون على ذلك حتى حرمت.

فصل

اختلف العلماء: هل لهذه الآية تأثير في تحريم الخمر أم لا؟ على قولين. أحدهما: أنها تقتضي ذمها دون تحريمها، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال سعيد بن جبير، وبجاهد وقنادة، ومقاتل. وعلى هذا القول تكون هذه الآية منسوخة. والقول الثاني: أن لها تأثيراً في التحريم، وهو أن الله تعالى أخبر أن فيها إثمًا كبيراً أو الإثم كله محرم بقوله: (والإثم والبغي) الأعراف: ٣٣. هذا قول جماعة من العلماء، وحكاة الزجاج، واختاره القاضي أبو يعلى للعلة التي بينها، واحتج لصحته بعض أهل المعاني، فقال: لما قال الله تعالى: (قل فيها إثم كبير ومنافع للناس)؛ وقع التساوي بين الأمرين، فلما قال: (وإنهم أكبر من نفعها) صار الغالب الإثم، وبقي النفع مستغرقاً في جنب الإثم، فعاد الحكم للغالب المستغرق، فقلب جانب الخطر.

(١) كلا؛ ليست الخمرة بنافعة للبدن، وثبت في الطب الحديث أن الحرة ضارة بالبدن والعقل، وقد آلف في بيان ضررها كثير من الأطباء، مسلمين وغير مسلمين، وهناك رسالة في هذا الموضوع للدكتور نبيل الطويل، وهي ضمن كتابه «أحاديث في الصحة»، وقد قام المكتب الإسلامي بطبعه ونشره.

﴿ فصل ﴾

فأما الميسر؛ فالقول فيه مثل القول في الخمر، إن قلنا: إن هذه الآية دلت على التحريم، فالميسر حكمها حرام أيضاً، وإن قلنا: إنها دلت على الكراهة؛ فأقوم الأقوال أن نقول: إن الآية التي في المائدة نصت على تحريم الميسر.

قوله تعالى: (ويستلونك ماذا ينفقون) قال ابن عباس: إن الذي سأله عن ذلك عمرو ابن الجوح: قال ابن قتيبة: والمراد بالنفقة هاهنا: الصدقة والعطاء.

قوله تعالى: (قل العفو) قرأ أبو عمرو برفع واو «العفو»، وقرأ الباقون بنصبها قال أبو علي: «ماذا» في موضع نصب، فجوابه العفو بالنصب، كما تقول في جواب: ماذا أنفقت؟ درهماً، أي: أنفقت درهماً. هذا وجه نصب العفو. ومن رفع جعل «ذا» منزلة الذي، ولم يجعل «ماذا» اسماً واحداً، فإذا قال قائل: ماذا أنزل ربكم؟ فكأنه قال: ما الذي أنزل ربكم؟ فجوابه: قرآن. قال الزجاج: «العفو» في اللغة: الكثرة والفضل، يقال: قد عفا القوم: إذا كثروا. و«العفو»: ما أتى بغير كلفة. وقال ابن قتيبة: العفو: الميسور. يقال: خذ ما عفاك، أي: ما أتاك سهلاً بلا إكراه ولا مشقة.

والمفسرين في المراد بالعفو هاهنا خمسة أقوال.

أحدها: أنه ما يفضل عن حاجة المرء وعياله، رواه مقسم عن ابن عباس. والثاني: ما تطيب به أنفسهم من قليل وكثير، رواه عطية عن ابن عباس. والثالث: أنه القصد بين الإسراف والإقتار، قاله الحسن، وعطاء، وسعيد بن جبير والرابع: أنه الصدقة المفروضة، قاله مجاهد. والخامس: أنه ما لا يتبين عليهم مقداره، من قولهم: عفا الأثر إذا خفي ودرس، حكاه شيخنا عن طائفة من المفسرين.

﴿ فصل ﴾

وقد تكلم علماء الناسخ والمذسوخ في هذه الآية ، فروى السدي عن أشياخه أنها نسخت بالزكاة ، وأبى نسخها آخرون . وفصل الخطاب في ذلك أنا متى قلنا : إنه فرض عليهم بهذه الآية التصديق بفاضل المال ، أو قلنا : إنه أوجبت عليهم هذه الآية صدقة قبل الزكاة ، فالآية منسوخة بآية الزكاة ، ومتى قلنا : إنها محمولة على الزكاة المفروضة كما قال مجاهد ، أو على الصدقة المندوب إليها ، فهي محكمة .

قوله تعالى : (كذلك يبينُ الله) قال الزجاج : إنما قال كذلك ، وهو يخاطب جماعة ، لأن الجماعة معناها : القبيل ، كأنه قال : كذلك يأياها القبيل . وجائز أن تكون الكاف للنبي ، كأنه قال : كذلك يأياها النبي ، لأن الخطاب له مشتمل على خطاب أمته . وقال ابن الأنباري : الكاف في « كذلك » إشارة إلى ما يبين من الاتفاق ، فكأنه قال : مثل ذلك الذي بينه لكم في الاتفاق يبين الآيات . ويجوز أن يكون « كذلك » غير إشارة إلى ما قبله ، فيكون معناه : هكذا ، قاله ابن عباس . (لعلمكم تفكرون في الدنيا والآخرة) فتعرفون فضل ما بينهما ، فتعاملون للباقي منها .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالُطُوهُمْ فَارْحَمُواهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى) في سبب نزولها قولان . أحدهما : أنه لما أنزل الله تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) الاسراء : ٣٤ و (وَإِنِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا) النساء : ٩ انطلق من كان عنده مال يтим ، فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء من طعامه فيحبس له حتى

يأكله أو يفسد . فاشتد ذلك عليهم ، فذكروه للنبي ، ﷺ ، فنزلت هذه الآية ^(١) هذا قول ابن عباس ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومقاتل . والثاني : أن العرب كانوا يشددون في أمر اليتيم حتى لا يأكلون معه في قصعته ، ولا يستخدمون له خادماً . فسألوا النبي ، ﷺ ، عن مخالطتهم ، فنزلت هذه الآية ، ذكره السدي عن أشياخه ، وهو قول الضحاك .

وفي السائلين للنبي ، ﷺ ، عن ذلك قولان . أحدهما : أن الذي سأله ثابت بن رفاعه الأنصاري ، قاله مقاتل . والثاني : عبد الله بن رواحة ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

قوله تعالى (قل إصلاح لهم خير) قال ابن قتيبة : معناه : تمييز أموالهم ، والتزهد عن أكلها لمن وليهاخير . (وإن تخالطوهم فإخوانكم) أي : فهم إخوانكم ، حكمهم في ذلك حكم إخوانكم . قال ابن عباس : والمخالطة : أن يشرب من لبنك ، وتشرب من لبنه ، ويأكل في قصعتك ، وتأكل في قصعته . (والله يعلم المفسد من المصلح) يريد : المتعمد . أكل مال اليتيم ، من المتخرج الذي لا يألو إلا الإصلاح . (ولو شاء الله لأعنتكم) قال ابن عباس : أي لأخرجكم ، ولضيق عليكم . وقال ابن الأثري : أصل العنت : التشديد . تقول العرب : فلان يتعنت فلاناً ويعنته ، أي : يشدد عليه ، ويلزمه بما يصعب عليه أداؤه [قال : ثم قلت إلى معنى الهلاك] واشتقاق الحرف ، من قول العرب : أكمة عنوت : إذا كانت شديدة شاقة [المصعد] ، فجعلت هذه اللفظة مستعملة في كل شدة .

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرَكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۖ وَلَا مُمْتِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم ، وقال : صحيح ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

قوله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن رجلاً يقال له : مرثد بن أبي مرثد بعثه النبي ، ﷺ ، إلى مكة ليخرج ناساً من المسلمين بها أسرى ، فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها : عناق ، وكانت خلية له في الجاهلية ، فلما أسلم أعرض عنها ، فأنته فقالت : ويحك يا مرثد : ألا تحلو ؟ فقال : إن الإسلام قد حال بيني وبينك ، ولكن إن شئت تزوجتك ، إذا رجعت إلى رسول الله ، ﷺ ، استأذنته في ذلك ، فقالت له : أبي تبرم ! واستغانت عليه ، فضر به ضرباً شديداً ، ثم خلوا سبيله ، فلما قضى حاجته بمكة رجع إلى النبي ، ﷺ ، فسأله : أتحل لي أن أتزوجها ؟ فنزلت هذه الآية . هذا قول ابن عباس ^(١) . وذكر مقاتل بن سليمان أنه أبو مرثد الغنوي .

والثاني : أن عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء ، وأنه غضب عليها فطمعها ، ثم فرع ، فأثنى النبي ، ﷺ ، فأخبره خبرها ؛ [فقال له النبي ، ﷺ : « ما هي يا عبد الله » ؟] فقال :

(١) رواه الواحدى في « أسباب النزول » ، عن ابن عباس ، ورواه بسند حسن بنير هذا السياق وسبباً لآية أخرى ، أبو داود والنسائي والترمذي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ولفظه « أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتيهم المدينة ، قال : وكانت امرأة بني بمكة يقال لها : عناق ، وكانت صديقة له ، وأنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة بحمله . قال : فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة . قال : فجاءت عناق ، فأبصرت سواد ظلي فبجبت الحائط ، فلما انتهت إلي عرفت ، فقالت : مرثد ؟ فقلت : مرثد . فقالت : مرحباً وأهلاً بهم فبت عندنا الليلة . قال : قلت : يا عناق حرم الله الزنى ، قالت : يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم ، قال : فتبعني ثمانية وسلكت الخدمة ، فأنتهت إلى غار أو كهف ، فدخلت ، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي ، فبالوا ، فظل بولهم على رأسي ، وعمام الله عني ، قال : ثم رجعوا ، ورجعت إلى صاحبي ، فحملته ، وكان رجلاً ثقيلاً ، حتى انتهيت إلى الآخر ، ففككت عنه أكبله ، فجمعت أحمله ، وبعينتي حتى قدمت المدينة . فأثبت رسول الله ، ﷺ ، فقلت : يا رسول الله أنكح عناقاً ؟ فأمسك رسول الله ، ﷺ ، ولم يرد علي شيئاً حتى نزلت (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) . فقال رسول الله ، ﷺ : « يا مرثد . الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ، فلا تنكحها » . وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

يارسول الله: هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. فقال: «يا عبد الله: هذه مؤمنة». فقال: والذي بعثك بالحق لا أعترفها ولا تزوجها ففعل، فعابه ناس من المسلمين، وقالوا: أنكح أمة، وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رغبة في أحسابهن، فنزلت هذه الآية. رواه السدي عن أشياخه. وقد ذكر بعض المفسرين أن قصة عناق وأبا مرثد كانت سبباً لنزول قوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن) وقصة ابن رواحة كانت سبباً لنزول قوله تعالى: (ولأمة مؤمنة خير من مشركة).

فأما التفسير، فقال المفضل: أصل النكاح: الجماع، ثم كثر ذلك حتى قيل للعقد: نكاح. وقد حرم الله عز وجل نكاح المشركات عقداً ووطأً.

وفي «المشركات» هاهنا قولان. أحدهما: أنه يعُمُّ الكتابيات وغيرهن، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه خاص في الوثنيات، وهو قول سعيد بن جبير، والنخعي، وقتادة. وفي المراد بالأمة قولان. أحدهما: أنها المملوكة، وهو قول الأكثرين، فيكون المعنى: ولنكح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة. والثاني: أنها المرأة، وإن لم تكن مملوكة، كما يقال: هذه أمة الله، وهذا قول الضحاك، والأول أصح. وفي قوله: (ولو أعجبتكم) قولان. أحدهما: بجهاها وحسنها. والثاني: بحسبها ونسبها.

﴿فصل﴾

اختلاف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال القائلون بأن المشركات الوثنيات: هي حكمة، وزعم بعض من نصر هذا القول أن اليهود والنصارى ليسوا مشركين بالله، وإن جحدوا بنبوة نبينا. قال شيخنا: وهو قول فاسد من وجهين. أحدهما: أن حقيقة الشرك ثابتة في حقهم حيث قالوا: عزيز بن الله، والمسيح ابن الله. والثاني: أن كفرهم بمحمد ﷺ، يوجب أن يقولوا: إن ما جاء به ليس من عند الله، وإضافة ذلك إلى

غير الله شرك . فأما القائلون بأنها عامة في جميع المشركات ، فلهم في ذلك قولان . أحدهما : أن بمض حكمها منسوخ بقوله : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) . المائدة : ٦ . وبقي الحكم في غير أهل الكتاب محكماً . والثاني : أنها ليست منسوخة ، ولا ناسخة ، بل هي عامة في جميع المشركات ، وما أخرج عن عمومها من إباحتها ككافرة ؛ فلذلك خاص ، وهو قوله تعالى : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) المائدة : ٦ ؛ فهذه خصصت عموم تلك من غير نسخ ، وعلى هذا عامة الفقهاء . وقد روي عنه عن جماعة من الصحابة ، منهم : عثمان ، وطاحه ، وحذيفة ، وجابر ، وابن عباس .

قوله تعالى : (ولا تُشْكِرُوا المشركين) أي : لا تزوجوه بمسلمة حتى يؤمنوا ؛ والكلام في قوله تعالى : (ولابد مؤمن) وفي قوله تعالى : (ولو أعجبكم) مثل الكلام في أول الآية .

قوله تعالى : (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه) ؛ قرأ الجمهور بخفض « المغفرة » وقرأ الحسن ، والقزاز ، عن أبي عمرو ، برفعها .

﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

قوله تعالى : (ويسألونك عن المحيض) روى ثابت عن أنس قال : كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهن لم يؤاكلوها ، ولم يشاربوها ، ولم يجامعوها في البيوت ، فسئل النبي ﷺ ، عن ذلك ، فنزلت هذه الآية ، فأمرهم النبي ﷺ ، أن يؤاكلوهن ويشاربوهن ويكونوا معهن في البيوت ، وأن يفعلوا كل شيء ما عدا النكاح ^(١) . وقال ابن عباس : جاء

(١) أخرجه أحمد في « المسند » ، ومسلم في « صحيحه » ، ج ١ / ١ / ٢٤٦ ولفظه عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ -

رجل يقال له : ابن الدحداح^(١) ، من الأنصار ، إلى النبي ﷺ فقال : كيف نصنع بالنساء إذا حضن ؟ فنزلت هذه الآية . وفي المحيض قولان . أحدهما : أنه اسم للحيض ، قال الزجاج : يقال : قد حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحاضاً ومحيضاً . وقال ابن قتيبة : المحيض : الحيض . والثاني : أنه اسم لموضع الحيض ، كالقيل ، فانه موضع القيلولة ، والمبيت موضع البيتوتة . وذكر القاضي أبو يعلى أن هذا ظاهر كلام أحمد . فأما أرباب القول الأول ؛ فأكدوه بأن في اللفظ ما يدل على قولهم ، وهو أنه وصفه بالأذى ، وذلك صفة لتفسير الحيض ، لا مكانه . وأما أرباب القول الثاني ، فقالوا : لا يمتنع أن يكون المحيض صفة للموضع ، ثم وصفه بما قاربه وجاوره ، كالعميقة ، فانها اسم لشعر الصبي ، وسميت بها الشاة التي تذبح عند حلق رأسه مجازاً . والراوية : اسم للجمل ، وسميت المزادة راوية مجازاً . والأذى يحصل للواطىء بالنجاسة ، وتن الریح . وقيل : يورث جماع الحائض علة بالغة في الأثم . (فاعتزلوا النساء في المحيض) المراد به اعتزال الوطء في الفرج ، لأن المحيض نفس الدم أو نفس الفرج (ولا تقربوهن) أي : لا تقربوا جماعهن ، وهو تأكيد لقوله : (فاعتزلوا النساء) .

قوله تعالى : (حتى يطهرن) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص ، عن عاصم (حتى يطهرن) خفيفة . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وأبو بكر ، عن عاصم (يطهرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحها . قال ابن قتيبة : يطهرن : ينقطع عنهن الدم ، يقال : طهرت المرأة وطهرت : إذا رأت الطهر ، وإن لم تغتسل بالماء . ومن قرأ : «يطهرن»

- فأنزل الله تعالى : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض) إلى آخر الآية . فقال رسول الله ﷺ «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود . فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه . فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر ، فقالا : يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا ، أفلا نجامعن ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليها ، فخرجنا ، فاستقبلها هدية من ابن أبي النقيع ، فأرسل في آثارها فسقاها ، فمرفأ أن لم يجد عليها .

(١) ويقال له : ابن الدحداح كما جاء في «الاصابة» والآخر ذكره ابن جرير عن السدي .

بالتشديد أراد: يغتسلن بالماء. والأصل يتطهرن، فأدغمت التاء في الطاء. قال ابن عباس ومجاهد: حتى يطهرن من الدم، فاذا تطهرن اغتسلن بالماء.

قوله تعالى: (فأتوهن) إباحة من حظر، لا على الوجوب.

قوله تعالى: (من حيث أمركم الله) فيه أربعة أقوال.

أحدها: أن معناه: من قبل الطهر، لا من قبل الحيض، قاله ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والسدي في آخرين.

والثاني: أن معناه: فأتوهن من حيث أمركم الله أن لا تقربوهن فيه، وهو محل الحيض، قاله مجاهد. وقال من نصر هذا القول: إنما قال: (أمركم الله) والمعنى: نهاكم، لأن النهي أمر بترك المنهي عنه و«من» بمعنى «في»: كقوله تعالى: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) الجمعة: ٩.

والثالث: فأتوهن من قبل التزويج الحلال، لا من قبل الفجور، قاله ابن الحنفية.

والرابع: أن معناه: فأتوهن من الجهات التي يحل أن تقرب فيها المرأة، ولا تقربوهن من حيث لا ينبغي مثل أن كن صائمات أو معتكفات أو محرمات. وهذا قول الزجاج، وابن كيسان. وفي قوله تعالى: (إن الله يحب التوابين) قولان. أحدهما: التوابين من الذنوب، قاله عطاء، ومجاهد في آخرين. والثاني: التوابين من إتيان الحيض، ذكره بعض المفسرين.

وفي قوله: (ويحب المتطهرين) ثلاثة أقوال. أحدها: المتطهرين من الذنوب، قاله مجاهد، ومعيد بن جبير، وأبو العالية. والثاني: المتطهرين بالماء، قاله عطاء. والثالث: المتطهرين من إتيان أديار النساء. روي عن مجاهد.

﴿ فصل ﴾

أقل الحيض يوم وليلة في إحدى الروايتين عن أحمد . والثانية : يوم . وقال أبو حنيفة : أقله ثلاثة أيام . وقال مالك وداود : ليس لأقله حد . وفي أكثره روايتان عن أحمد . إحداهما : خمسة عشر يوماً ، وهو قول مالك والشافعي . والثانية : سبعة عشر يوماً . وقال أبو حنيفة : أكثره عشرة أيام .

والحيض مانع من عشرة أشياء : فعل الصلاة ، ووجوبها ، وفعل الصوم دون وجوبه ، والجلوس في المسجد ، والاعتكاف ، والطواف ، وقراءة القرآن ، وحمل المصحف ، والاستمتاع في الفرج ، وحصول نية الطلاق .

﴿ نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴾

قوله تعالى : (نسأؤكم حرث لكم) في سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها : أن اليهود أنكرت جواز إتيان المرأة إلا من بين يديها ، وعابت من يأتيها على غير تلك الصفة ، فنزلت هذه الآية . روي عن جابر ^(١) ، والحسن ، وقتادة . والثاني : أن حياً من قريش كانوا يتزوجون النساء بمكة ، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ، فلما قدموا المدينة ، تزوجوا من الأنصار ، فذهبوا ليفعلوا ذلك ، فأنكره ، وانتهى الحديث إلى النبي ﷺ ، فنزلت هذه الآية . رواه مجاهد عن ابن عباس . والثالث : أن عمر بن الخطاب جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : هلك ، حولت رحلي الليلة ، فنزلت هذه الآية . رواه سعيد بن جبير عن ابن

(١) روى الشيخان وأبو داود عن جابر ، قال : كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت (نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) .

عباس^(١) . والحَرْث : المزدرع ، وكُنِيَ به هاهنا عن الجماع ، فسماهن حَرْثًا ، لأنهن مَزْدَرَعُ الأَوْلاد ، كالأَرْضِ الزَّرْع ، فان قيل : النساء جمع ، فلم لم يقل : حروث ؟ فمعه ثلاثة أجوبة ، ذكرها ابن القاسم الانباري النحوي . أحدها : أن يكون الحَرْث مصدرًا في موضع الجمع ، فلزمه التوحيد ، كما تقول العرب : إخوتك صوم ، وأولادك فطر ، يريدون : صائمين ومفطرين ، فيؤدي المصدر بتوحيده عن اللفظ المجموع . والثاني : أن يكون أراد : حروث لكم ، فاكفى بالواحد من الجمع ، كما قال الشاعر :

كلوا في نصف بطنكم تمشوا

أي : في أنصاف بطونكم . والثالث : أنه إنما وحَّد الحَرْث ، لأن النساء شبهن به ، ولسن من جنسه ، والمعنى : نساؤكم مثل حروث لكم .

قوله تعالى : (أنى شئتم) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه بمعنى : كيف شئتم ، ثم فيه قولان . أحدهما : أن المعنى : كيف شئتم ، مقبلة أو مدبرة ، وعلى كل حال ، إذا كان الإتيان في الفرج . وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعطية ، والسدي ، وابن قتيبة في آخرين . والثاني : أنها نزلت في العزل . قاله سعيد بن المسيب ، فيكون المعنى : إن شئتم فاعزلوا ، وإن شئتم فلا تعزلوا .

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن حبان والترمذي ، وقال : حسن غريب ، ولفظه عند أحمد « عن ابن عباس قال : جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله هلكت . قال : وما الذي أهلكك ؟ قال : حولت رحلي الباردة ، قال : فلم يرد علي شيئاً ، قال : فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أقبل وأدبر ، واتقوا الدبر والحیضة ، قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . وقوله : « حولت رحلي الباردة » قال ابن الأثير في « النهاية » كنى برحله عن زوجته ، أراد به غشائها في قبلها من جهة ظهرها ، لأن المجمع يعلو المرأة ويركها بما يلي وجهها ، فحيث ركبها من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله . (والرحل) : إما أن يريد به المنزل والمأوى ، وإما أن يريد به الرجل الذي تركب عليه الأبل وهو الكور .

والقول الثاني : أنه بمعنى : إن شئتم ، ومتى شئتم ، وهو قول ابن الحنفية والضحاك ، وروي عن ابن عباس أيضاً . والثالث : أنه بمعنى : حيث شئتم ، وهذا محكي عن ابن عمر ومالك بن أنس ^(١) ، وهو فاسد من وجوه ، أحدها : أن سالم بن عبد الله لما بلغه أن نافعاً تحدث بذلك عن ابن عمر ، قال : كذب العبد ، إنما قال عبد الله : يؤتون في فروجهن من أدبارهن . وأما أصحاب مالك ، فإنهم ينكرون صحته عن مالك ، والثاني : أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ ، أنه قال : « ملعون من أتى النساء في أدبارهن » ^(٢) ، فدل على أن الآية لا يراد بها هذا .

والثالث : أن الآية نهت على أنه محل الولد بقوله : (فأتوا حرثكم) وموضع الزرع : هو مكان الولد . قال ابن الأنباري : لما نصَّ الله على ذكر الحرث ، والحرث به يكون النبات ، والولد مشبَّه بالنبات ؛ لم يحز أن يقع الوطء في محل لا يكون منه ولد .

(١) ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث في نهى الرجل أن يأتي المرأة في دبرها ، فمن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « استحيوا إن الله لا يستحيي من الحق ، لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن » (الحش : الدبر) رواه الدارقطني ، والطبراني ورجاله ثقات .
وعن خزعة بن ثابت الخطمي أن رسول الله ﷺ قال : « لا يستحيي الله من الحق ، لا يستحيي الله من الحق ، ثلاثاً ، لا تأتوا النساء في أعجازهن ، رواه أحمد والنسائي وابن ماجه .
وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في الدبر » رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه ، وحسنه الترمذي ، وصححه ابن حزم .
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى » . رواه أحمد والبخاري والطبراني في الأوسط ، وصححه المنذري والمهيتمي .
وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه ، فقد كفر بما أنزل على محمد » . رواه أحمد في « المسند » وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسنده صحيح .
فهذه الأحاديث الصحيحة تفسير قاطع الآية ، فليس لمسلم أن يعدل عن تفسير رسول الله ﷺ إلى تفسير غيره .
مها كان هذا الغير .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وقال البوصيري في « الزوائد » استاده صحيح ، لأن الحارث ابن مخلد ذكره ابن حبان في « الثقات » ، وباقي رجال الاستاد ثقات .

والرابع : أن تحريم إتيان الحائض كان لعلّة الأذى ، والأذى ملازم لهذا المحل لا يفارقه .

قوله تعالى : (وقدموا لأنفسكم) فيه أربعة أقوال . أحدها : أن معناه : وقدموا لأنفسكم من العمل الصالح ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : وقدموا التسمية عند الجماع ، رواه عطاء عن ابن عباس . والثالث : وقدموا لأنفسكم في طلب الولد ، قاله مقاتل . والرابع : وقدموا طاعة الله واتباع أمره ، قاله الزجاج .

﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرؤوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ﴾

قوله تعالى : (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) في سبب نزولها أربعة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في عبد الله بن رواحة ، كان بينه وبين خنته^(١) شيء ، فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ، وجعل يقول : قد حلفت بالله ، فلا محل لي ، إلا أن تبرّ يميني ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الرجل كان يحلف بالله أن لا يصل رحمه ، ولا يصلح بين الناس ، فنزلت هذه الآية ، قاله الربيع بن أنس .

والثالث : أنها نزلت في أبي بكر حين حلف ، لا ينفق على مسطح ، قاله ابن جريج . والرابع : نزلت في أبي بكر ، حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم ، قاله مقاتلان : ابن حيان ، وابن سليمان .

قال الفراء : والمعنى : ولا تجعلوا الله معترضاً لأيمانكم . وقال أبو عبيد : نصباً لأيمانكم ،

(١) هو بشير بن النعمان ، وكان خنته على أخته .

كأنه يعني: أنكم تعترضونه في كل شيء، فتحلفون به. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال. أحدها: أن معناها: لا تحلفوا بالله أن لا تبرؤوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وابن جبير، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين^(١). والثاني: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتقوا المخلوقين وتبرؤهم، وتصلحوا بينهم بالكذب، روى هذا المعنى عطية عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارين مصلحين، فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه. هذا قول ابن زيد.

﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾
والله غفور حلیم

قوله تعالى: (لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) قال الزجاج: اللغو في كلام العرب: ما أطرّح ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما لا يعتد به، لغواً. وقال ابن فارس: اشتقاق ذلك من قولهم لما لا يمتد^(٢) [به] من أولاد الإبل في الدية وغيرها لغواً، يقال منه: لغيا لغو، وتقول: لغني بالأمر: إذا لهيج به. وقيل: إن اشتقاق اللغة منه [أي: بلهج صاحبها بها]. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال. أحدها: أن يحلف على الشيء يظن أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه. وإلى هذا المعنى ذهب أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي عن أشياخه، ومالك، ومقاتل. والثاني: أنه: لا والله، ويلي والله، من غير قصد لعقد اليمين، وهو قول عائشة، وطاووس، وعروة، والنخعي،

(١) جاء في «غريب القرآن» لابن قتيبة في تفسير الآية: لا تجعلوا الله بالحلف به، مانعاً لكم من أن تبرؤوا وتتقوا، ولكن إذا حلفتم على أن لا تصلوا رجماً، ولا تنصدقوا، ولا تصلحوا، وعلى أشياء ذلك من أبواب البر - فكفروا وأتوا الذي هو خير.

(٢) في الأصل: يمد، والتصحيح من «معجم مقاييس اللغة».

والشافعي . واستعمل أرباب هذا القول بقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وكسب القلب : عقده وقصده ، وهذان القولان منقولان عن الإمام أحمد ، روى عنه ابنه عبد الله أنه قال : اللغو عندي أن يحلف على اليمين ، يرى أنها كذلك ، ولا كفارة . والرجل يحلف ولا يبعد قلبه على شيء ، فلا كفارة . والثالث : أنه يمين الرجل وهو غضبان ، رواه طاووس عن ابن عباس . والرابع : أنه حلف الرجل على معصية ، فليحنت ، وليكفر ، ولا إثم عليه . قاله سعيد بن جبير . والخامس : أن يحلف الرجل على شيء ، ثم ينساه . قاله النخعي . وقول عائشة أصح الجميع . قال حنبل : سئل أحمد عن اللغو فقال : الرجل يحلف فيقول : لا والله ، وبلى والله ، لا يريد عقد اليمين ، فإذا عقد على اليمين لزمته الكفارة .

قوله تعالى : (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حلیم) قال مجاهد : أي : ما عقدت عليه قلوبكم « والحليم » : ذو الصفح الذي لا يستغزه غضب ، فيعجل ، ولا يستخفه جهل جاهل مع قدرته على العقوبة . قال أبو سليمان الخطابي : ولا يستحق اسم الحليم من سامح مع المعز عن المجازاة ، إنما الحليم الصفوح مع القدرة ، المتأنّي الذي لا يعجل بالعقوبة . وقد أنعم بعض الشعراء أبياتاً في هذا المعنى فقال :

لا يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلتوا وإن عزّوا لأقوام
ويُشتموا فترى الألوانَ مسفرةً لا صفحَ ذلٍ ولكن صفحَ أحلام

قال ، وبقال : حلّم الرجل يحامُ حُلماً بضم اللام في الماضي والمستقبل . وحلّم في النوم ، بفتح اللام ، يحلم حُلماً ، اللام في المستقبل والحاء في المصدر مضموتان .

﴿ فصل ﴾

الآيمان على ضربين ، ماضٍ ومستقبل ، فالماضي على ضربين : يمين محرمة ، وهي :

اليمين الكاذبة، وهي أن يقول: والله ما فعلت، وقد فعل. أو: لقد فعلت، وما فعل. ويمين مباحة، وهي أن يكون صادقاً في قوله: ما فعلت. أو: لقد فعلت. والمستقبلة على خمسة أقسام. أحدها: يمين عقدُها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها معصية، مثل أن يحلف: لا أصليَنَّ الخمس، ولا أصومنَّ رمضان، أو: لا شربت الخمر. والثاني: عقدُها معصية، والمقام عليها معصية، وحلها طاعة، وهي عكس الأولى. والثالث: يمين عقدُها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها مكروه، مثل أن يحلف: لئفعلنَّ النوافل من العبادات. والرابع: يمين عقدُها مكروه، والمقام عليها مكروه، وحلها طاعة، وهي عكس التي قبلها. والخامس: يمين عقدُها مباح، والمقام عليها مباح، وحلها مباح. مثل أن يحلف: لا دخلت بلدًا فيه من يظلم الناس، ولا سلكت طريقاً مخوفاً، ونحو ذلك.

﴿الَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ) قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئاً، فأبت أن تمنّيه؛ حلف أن لا يقربها السنة، والسنتين، والثلاث، فيدعها لا آئناً، ولا ذات بعل، فلما كان الإسلام، جعل الله ذلك أربعة أشهر، فأُنزل الله هذه الآية^(١). وقال سعيد بن المسيب: كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية. قال ابن قتيبة: يؤلون، أي: يحلفون. يقال: آليت من امرأتي، أولي إيلاء: إذا حلف لا يجامعها. والاسم: الآلية. وقال الزجاج: يقال من الإيلاء: آليت أولي إيلاء، والآية وألوة وألوة، وهي بالكسر أقل اللغات، قال كثير:

قيل الأَلَايا حافِظٌ ليمينه وإن بدرت منه الآلية برّت

(١) رواه الواحدي بمناه في «اسباب النزول» بسنده إلى ابن عباس.

وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: «من» بمعنى: «في» أو: «على»
والتقدير: يحلفون على وطء نسائهم، فحذف الوطء، وأقام النساء مقامه، كقوله تعالى: (ما وعدتنا
على رسلك) آل عمران: ١٩٤ أي: على السنة رسلك. وقيل: في الكلام حذف، تقديره:
يؤلون، يعتزلون من نسائهم. والترص: الانتظار. ولا يكون مؤلياً إلا إذا حلف بالله أن لا يصيب
زوجته أكثر من أربعة أشهر، فان حلف على أربعة أشهر فما دون ذلك، لم يكن مؤلياً. وهذا
قول مالك، وأحمد، والشافعي. وفاؤوا: رجعوا، ومنعاه: رجعوا إلى الجماع، قاله عليّ،
وابن عباس، وابن جبير، ومسروق، والشمسي. وإذا كان للمؤلي عذر لا يقدر معه على الجماع،
فانه يقول: متى قدرت جامعها، فيكون ذلك من قوله فيئة؛ فتى قدر فلم يفعل، أمر
بالطلاق، فان لم يطلق، طلق الحاكم عليه.

قوله تعالى: (فان الله غفور رحيم) قال عليّ، وابن عباس: غفور لإثم اليمين.

﴿وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم﴾

قوله تعالى: (وإن عزموا الطلاق) أي: حققوه. وفي عزم الطلاق قولان.
أحدهما: أنه إذا مضت الأربعة الأشهر استحق عليه أن ينيء، أو يطلق، وهو
مروي عن عمر، وعثمان، وعليّ، وابن عمر، وسهل بن سعد، وعائشة، وطاووس،
ومجاهد، والحكم، وأبي صالح. وحكاه أبو صالح عن اثني عشر رجلاً من الصحابة،
وهو قول مالك، وأحمد، والشافعي.

والثاني: أنه لا ينيء حتى يمضي أربعة أشهر، فتطلق بذلك من غير أن يتكلم بطلاق.
واختلف أرباب هذا القول فيما يلحقها من الطلاق على قولين. أحدهما: طلاقه بانه.
روي عن عثمان، وعليّ، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب. والثاني: طلاقه
رجمية، روي عن سعيد بن المسيب، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وابن شبرمة.

قوله تعالى: (فإن الله سميع عليم) فيه قولان. أحدهما: سميع لطلاقه، عليم بدينه. والثاني: سميع ليمينه، عليم بها.

﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبما أنزلنَّ من كتابه﴾^(١) أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ﴿قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) سبب نزولها: أن المرأة كانت إذا طلقت وهي راغبة في زوجها، قالت: أنا حلي، وليست حلي، لكي يراجعها، وإن كانت حلي وهي كارهة، قالت: لست بحلي، لكي لا يقدر على مراجعتها. فلما جاء الإسلام ثبتوا على هذا، فنزل قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لمدتهن وأحصوا العدة) الطلاق: ١ ثم نزلت: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء). رواه أبو صالح عن ابن عباس.

فأما التفسير: فالطلاق: التخلية. قال ابن الأثير: هي من قول العرب: أطلقت الناقة، فطلقت: إذا كانت مشدودة، فأزلت الشد عنها، وخلتها، فشبها ما يقع للمرأة بذلك، لأنها كانت متصلة الأسباب بالرجل، وكانت الأسباب كالشد لها، فلما طلقها قطع الأسباب. ويقال: طلقت المرأة، وطلقت. وقال غيره: الطلاق: من أطلقت الشيء من يدي، إلا أنهم أكثر استعمالهم اللفظتين فرقوا بينهما، ليكون التخليق مقصوراً في الزوجات. وأما القروء: فيراد بها: الاطهار، ويراد بها الحيض. يقال: أقرأت المرأة إذا حاضت، وأقرأت: إذا طهرت. قال النبي ﷺ في المستحاضة: «تقعد أيام أقرائها»^(٢) يريد: أيام حيضها. وقال الأعشى:

(١) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن المستحاضة، فقال: «تدع الصلاة أيام أقرائها، ثم تتسل غداً واحداً»، ثم تتوضأ عند كل صلاة. رواه ابن حبان في «صحيحه»، وقد رواه غير ابن حبان عن غير عائشة، انظر «نصب الراية»، ج ١ / ٢٠١.

وفي كل عام أنت جاثم غزوة تشدُّ لأقصاها غريم عزائك
 'مورثة' مالا، وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائك^(١)
 أراد بالقروء: الأطهار، لأنه لما خرج عن نسائه أضاع أطهارهن. واختلف أهل
 اللغة في أصل القروء على قولين. أحدهما: أن أصله الوقت، يقال: رجع فلان لقرئه،
 أي: لوقته الذي كان يرجع فيه، [ورجع لقارئه أيضاً] قال الهذلي^(٢):

كرهت المقر عقر بني شليل إذا هبت لقارئها الرياح^(٣)

فالحيض يأتي لوقت، والطهر يأتي لوقت، هذا قول ابن قتيبة. والثاني: أن أصله
 الجمع. وقولهم: قرأت القرآن، أي: لفظت به مجموعاً. والقرء: اجتماع الدم في البدن،
 وذلك إنما يكون في الطهر، وقد يجوز أن يكون اجتماعه في الرحم، وكلاهما حسن، هذا
 قول الزجاج.

واختلف الفقهاء في الأقرء على قولين. أحدهما: أنها الحيض. روي عن عمر، وعلي،
 وابن مسعود، وأبي موسى، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضحاك،
 والسدي، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والحسن بن صالح، وأبي حنيفة وأصحابه،
 وأحمد بن حنبل رضي الله عنه فإنه قال: قد كنت أقول: القروء: الأطهار، وأنا اليوم
 أذهب إلى أنها الحيض^(٤). والثاني: أنها الأطهار. روي عن زيد بن ثابت، وابن عمر،

(١) هـام من قصيدة يمدح بها هودة بن علي الحنفي. جثم الأمر تجشمه جشماً وجشامة: تكلفه على
 جهد ومشقة. والفرجة والغرام: الحد وعقد القلب على امرأته فاعله. الغراء: حسن الصبر عن فقد ما
 يفقد الإنسان. وقوله: مورثة صفة لقوله: غزوة. يقول: لك في كل عام غزوة أنت جاثمها، تجمع لها
 صبرك وجلدك، فتعودها بالمال والجهد الذي يموضك عما غابت من هجر نسائك في وقت طهرهن، فلم تقربهن.
 (٢) هو مالك بن الحارث الهذلي.

(٣) المقر: اسم مكان، كرهه لأنه قوتل فيه، وشليل: جد جرير بن عبد البجلي.

(٤) وقد نصر هذا القول ابن القيم في «زاد المعاد» والأحاديث الصحيحة تؤيده.

وعائشة ، والزهري ، وأبان بن عثمان ، ومالك بن أنس ، والشافعي ، وأوماً إليه أحمد .
ولفظ قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن) لفظ الخبر ، ومعناه : الأمر ، كقوله تعالى :
(والوالدات يُرضعن أولادهن حولين كاملين) وقد يأتي لفظ الأمر في معنى الخبر
كقوله تعالى : (فليمدد له الرحمن مدا) مريم : ٧٥ . والمراد بالمطلقات في هذه الآية ، البالغات ،
المدخول بهن غير الحوامل .

قوله تعالى : (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) فيه ثلاثة أقوال . أحدها :
أنه الحبل ، قاله عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، وابن قتيبة ، والزجاج .
والثاني : أنه الحيض ، قاله عكرمة ، وعطية ، والنخعي ، والزهري . والثالث : الحبل والحيض ،
قاله ابن عمر ، وابن زيد .

قوله تعالى : (إن كنَّ يُؤمننَّ بالله واليوم الآخر) خرَّج مخرج الوعيد لهن
والتوكيد ، قال الزجاج : وهو كما تقول للرجل : إن كنت مؤمناً فلا تطلم .
وفي سبب وعيدهم بذلك قولان . أحدهما : أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرجمة
قاله ابن عباس . والثاني : لأجل إلحاق الولد بنفي أبيه ، قاله قتادة . وقيل : كانت المرأة
إذا رغبت في زوجها ، قالت : إني حائض ، وقد طهرت . وإذا زهدت فيه ، كتمت حيضها
حتى تغتسل ، فتفتوته .

والبعولة : الأزواج . و « ذلك » : إشارة إلى العدة . قاله مجاهد ، والنخعي ، وقتادة
في آخرين . وفي الآية دليل على أن خصوص آخر اللفظ لا يمنع عموم أوله ، ولا يوجب
تخصيصه ، لأن قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن) عام في المبتونات والرجميات ، وقوله

تعالى : (وبعولتهن أحق بردهن) خاص في الرجعيات^(١).

قوله تعالى : (إن أرادوا إصلاحاً) قيل : إن الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته ، طلقها واحدة وتركها ، فإذا قارب انقضاء عدتها راجعها ، ثم تركها مدة ، ثم طلقها ، فهو عن ذلك . وظاهر الآية يقتضي أنه إنما ملك الرجعة على غير وجه المضارة بتطويل العدة عليها ، غير أنه قد دل قوله تعالى : (ولا تمسكوهن ضراً لتعتدوا) على صحة الرجعة وإن قصد الضرر ، لأن الرجعة لو لم تكن صحيحة إذا وقعت على وجه الضرر ؛ لما كان ظالماً بفعلها .

قوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وهو : المعاشرة الحسنة ، والصحبة الجميلة . روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن حق المرأة على الزوج ، فقال « أن يطعمها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى ، ولا يضرب الوجه ، ولا يقبح ، ولا يهجر إلا في البيت »^(٢) وقال ابن عباس : إني أحب أن أتزين للمرأة ، كما أحب أن تزين لي ، لهذه الآية .

قوله تعالى : (وللرجال عليهن درجة) قال ابن عباس : بما ساق إليها من المهر ، وأتفق عليها من المال . وقال مجاهد : بالجهد والميراث . وقال أبو مالك : يطلقها ، وليس لها من الأمر شيء . وقال الزجاج : تنال منه من اللذة كما ينال منها ، وله الفضل بنفقته . وروى أبو هريرة

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية : أي : وزوجها الذي طلقها أحق بردها مادامت في عدتها ، إذا كان مراده بردها الإصلاح والخير ، وهذا في الرجعيات . فأما المطلقات البوائن فلم يكن حال زول هذه الآية مطلقة بائن ، وإنما كان ذلك لما حصروا في الطلقات الثلاث . فأما حال زول هذه الآية فكان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ، فلما قصروا في الآية التي بعدها على ثلاث تطليقات ، صار للناس مطلقة بائن وغير بائن . وإذا تأملت هذا تبين المكصاف ما سلكه بعض الأصوليين من استشهادهم على مسألة عود الضمير ؛ هل يكون مخصوصاً لما تقدمه من لفظ العموم أم لا ؟ بهذه الآية الكريمة ، فإن التمثيل بها غير مطابق لا ذكره ، والله أعلم .

(٢) رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، واللفظ له ، وحسنه النووي .

عن النبي ﷺ أنه قال : « لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » (١) . وقالت ابنة سعيد بن المسيب : ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما نكلمون أمراءكم .

فصل

اختلف العلماء في هذه الآية : هل تدخل في الآيات المنسوخات أم لا ؛ على قولين . أحدهما : أنها تدخل في ذلك . واختلف هؤلاء في المنسوخ منها ، فقال قوم : المنسوخ منها قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) وقالوا : فكان يجب على كل مطلقة أن تعتد بثلاثة قروء ، فنسخ حكم الحامل بقوله تعالى : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) الطلاق : ٤ . وحكم المطلقة قبل الدخول بقوله تعالى : (إذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، فالكم عليهن من عدة تعتدونها) الطلاق : ١ وهذا مروى عن ابن عباس ، والضحاك في آخرين . وقال قوم : أولها محكم ، والمنسوخ قوله تعالى : (وبمولتهن أحق بردهن) قالوا : كان الرجل إذا طلق امرأته كان أحق برجعها ، سواء كان الطلاق ثلاثاً ، أو دون ذلك ، فنسخ بقوله تعالى : (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) والقول الثاني : أن الآية كلها محكمة ، فأولها عام . والآيات الواردة في العدد ، خصت ذلك من العموم ، وليس بنسخ . وأما ما قيل في الارتجاع ، فقد ذكرنا أن معنى قوله تعالى : (وبمولتهن أحق بردهن في ذلك) ، أي : في العدة قبل انقضاء القروء الثلاثة ، وهذا القول هو الصحيح .

﴿ الطلاق مرتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيميا حدودَ الله فإن خفتم ألا يقيما حدودَ الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به تلك حدودُ الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدودَ الله فأولئك هم الظالمون ﴾

(١) رواه أحمد والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

قوله تعالى: (الطلاق مرتان) سبب نزولها، أن الرجل كان يطلق امرأته، ثم يراجعها ليس لذلك شيء ينهي إليه، فقال رجل من الأنصار لامرأته: والله لا أؤيك إلي أبداً ولا أدعك تحلين مني. فقالت: كيف ذلك؟ قال: أطلقك، فإذا دنا أجلك، راجعتك، فذهبت إلى النبي ﷺ، تشكو إليه ذلك، فنزلت هذه الآية، فاستقبلها الناس [جديداً] من كان طلق، ومن لم يكن طلق. رواه هشام بن عروة عن أبيه^(١).

فأما التفسير، ففي قوله تعالى: (الطلاق مرتان) قولان. أحدهما: أنه بيان لسنة الطلاق، وأن يقع في كل قرء طلقة، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه بيان للطلاق الذي يملك معه الرجعة، قاله عروة، وقتادة، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين.

قوله تعالى: (فامسك بمعروف) معناه: فالواجب عليكم إمساك بمعروف، وهو ما يعرف من إقامة الحق في إمساك المرأة. وقال عطاء، ومجاهد، والضحاك، والسدي: المراد بقوله تعالى: (فامسك بمعروف): الرجعة بعد الثانية. وفي قوله تعالى: (أو تسريحاً باحسان) قولان. أحدهما: أن المراد به: الطلقة الثالثة، قاله عطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الإمساك عن رجعتها حتى تنقضي عدتها، قاله الضحاك، والسدي. قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء: وهذا هو الصحيح، لأنه قال عقيب الآية: (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) والمراد بهذه الطلقة: الثالثة بلا شك، فيجب إذن أن يحمل قوله تعالى: (أو تسريحاً باحسان) على تركها حتى تنقضي عدتها، لأنه إن حمل على الثالثة، وجب أن يحمل قوله تعالى: (فإن طلقها) على رابعة، وهذا لا يجوز.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»، والترمذي، وغيرهما مرسلًا، لأن عروة بن الزبير تابعي. وقد جاء الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحوه متصلًا مرفوعًا، رواه الترمذي والحاكم والبيهقي.

﴿ فصل ﴾

الطلاق على أربعة أضرب :

واجب ، ومندوب إليه ، ومحذور ، ومكروه . فالواجب : طلاق المؤلى بعد التربص ، إذا لم يفتى ، وطلاق الحكيمين في شقاق الزوجين ، إذا رأيا الفرقة . والمندوب : إذا لم يتقعا ، واشتد الشقاق بينهما ، ليتخلصا من الإثم . والمحذور : في الحيض ، إذا كانت مدخولاً بها ، وفي طهر جامعها فيه قبل أن تطهر . والمكروه : إذا كانت حالها مستقيمة ، وكل واحد منها قيم بحق صاحبه .

قوله تعالى : (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) نزلت في ثابت بن قيس ابن شماس ، أتت زوجته إلى النبي ﷺ ، فقالت : والله ما أعيب على ثابت في دين ولا خلق ، ولكنني [أكره الكفر في الاسلام] لأطيعه بغضاً . فقال لها النبي ﷺ : « أتردين عليه حديثه ؟ » قالت : نعم . فأمره النبي ﷺ ، أن يأخذها ، ولا يزداد . رواه عكرمة عن ابن عباس ^(١) واختلفوا في اسم زوجته ، فقال ابن عباس : جميلة . ونسبها يحيى ابن أبي كثير ، فقال : جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول ، وكنها مقاتل ، فقال : أم حبيبة بنت عبد الله بن أبي . وقال آخرون . إنما هي جميلة أخت عبد الله بن أبي . وروى يحيى بن سعيد عن عمرة روايتين . إحداهما : أنها حبيبة بنت سهل . والثانية : سهلة بنت حبيب ^(٢) .

(١) رواه ابن ماجه عن ابن عباس ، ورواه البخاري في « صحيحه » والنسائي بمعناه .

(٢) الذي في كتب التفسير حبيبة بنت سهل ، ولم يذكر أحد منهم سهلة بنت حبيب ، ولا وجدنا لها ترجمة في الصحاحيات . وقد اختلف العلماء فيمن اختلفت من ثابت بن قيس بن شماس ، أي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول ، أم حبيبة بنت سهل ؟ والذي رجحه الحافظ ابن حجر وارتضاه . أنها كلتاها اختلفتا منه ، فقد قال في « الفتح » ج / ٩ / ٢٥٠ : والذي يظهر أنها قصتان وقتل امرأتين ، لشبهة الخبرين ، وصحة الطرفين ، واختلف السياقين .

وهذا الخلع أول خلع كان في الإسلام . والخوف في الآية بمعنى : العلم : قال أبو عبيد : معنى قوله : (ألا يخافا) : يوقنا . والحدود قد سبق بيان معناها .

ومعنى الآية : أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها لبغضها إياه ، وخاف الزوج أن يعتدي عليها لامتناعها عن طاعته ؛ جاز له أن يأخذ منها الفدية ، إذا طلبت ذلك . هذا على قراءة الجمهور في فتح « ياء » (يخافا) وقرأ الحسن ، ومجاهد ، وأبو جعفر ، وحزرة والأعمش : (يُخَافَا) بضم الياء .

قوله تعالى : (فان خفتم) قال قتادة : هو خطاب للولاة (فلا جناح عليهما) على المرأة (فيما افترت به) وعلى الزوج فيما أخذ ، لأنه ثمن حقه . وقال الفراء : يجوز أن يراد الزوج وحده ، وإن كانا قد ذكرا جميعاً ، أقوله تعالى : (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) الرحمن ٢٢ : وإنا نخرج من أحدهما . وقوله : (نسيا حوتهما) الكهف : ٦١ وإنا ننسي أحدهما .

﴿ فصل ﴾

وهل يجوز له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها ؛ فيه قولان . أحدهما : يجوز ، وبه قال عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي ، وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، والنخعي ، والضحاك ، ومالك ، والشافعي . والثاني : لا يجوز ، وبه قال سعيد بن المسيب ، وعطاء ، والشعبي ، وطاووس ، وابن جبير ، والزهري ، وأحمد بن حنبل ، وقد نقل عن علي ، والحسن أيضاً . وهل يجوز الخلع دون السلطان ؛ قال عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن عمر ، وطاووس ، وشريح ، والزهري : يجوز ، وهو قول جمهور العلماء . وقال الحسن ، وابن سيرين ، وقتادة : لا يجوز إلا عند السلطان .

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) ذكر مقاتل أن هذه الآية نزلت في عيمة بنت وهب بن عتيك النضيري، وفي زوجها رفاعه بن عبد الرحمن القرظي. وقال غير مقاتل: إنها عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، كانت تحت رفاعه بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها، فطلقها ثلاثاً، فزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، ثم طلقها، فأتمت إلى النبي ﷺ، فقالت: إني كنت عند رفاعه، فطلقني، فأبت طلاقاً، فزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وأنه طلقني قبل أن يمسي، فأرجع إلى ابن عمي؟ فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعه؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»^(١).

قوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا) يعني: الزوج المطلق مرتين. قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: هي الطلقة الثالثة. واعلم أن الله تعالى عاد بهذه الآية بعد الكلام في حكم الخلع إلى تمام الكلام في الطلاق.

قوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا) يعني: الثاني (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا) يعني: المرأة، والزوج الأول (إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) قال طاووس: ما فرض الله على كل واحد منهما من حسن العشرة والصحبة.

قوله تعالى: (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا) قراءة الجمهور (يبينها) بالياء. وقرأ الحسن، ومجاهد، والمفضل عن عاصم بالنون (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قال الزجاج: يعلمون أن أمر الله حق.

(١) أخرج الحديث بمعناه البخاري ومسلم وأصحاب السنن إلا أبا داود. وقوله: حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. شبه لذة الجماع بلذة العسل، فاستعار لها ذوقاً، وإنا أنث، لأنه أراد قطعة من العسل، وقيل: على إعطائها معنى النطفة. وقيل: العسل في الأصل يذكر ويؤنث، فمن صغره مؤنثاً قال: عسيلة، وإنا صغره إشارة إلى القدر القليل الذي يحصل به الحل.

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ) قال ابن عباس : كان الرجل يطلق امرأته، ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها [يفعل ذلك]، يضارها [ويعضلها]^(١) بذلك، فنزلت هذه الآية. والأجل ها هنا: زمان العدة. ومعنى البلوغ ها هنا: مقاربة الأجل دون حقيقة الانتهاء إليه، يقال : بلغت المدينة : إذا قاربتها، وبلغتها : إذا دخلتها. وإنما حمل العلماء هذا البلوغ على المقاربة، لأنه ليس بعد انقضاء العدة رجعة.

قوله تعالى : (فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة : المراد به الرجعة قبل انقضاء العدة.

قوله تعالى : (وَسَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) وهو تركها حتى تنقضي عدتها. والمعروف في الإمساك : القيام بما يجب لها من حق. والمعروف في التسريح : أن لا يقصد إضرارها، بأن يطيل عدتها بالمراجعة، وهو معنى قوله : (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا) قاله الحسن ومجاهد، وقتادة في آخرين. وقال الضحاك : إنما كانوا يضارون المرأة لتفتدي (ومن يفعل ذلك) الاعتداء، (فقد ظلم نفسه) بارتكاب الإثم.

قوله تعالى : (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا) فيه قولان. أحدهما : أنه الرجل يطلق أو يراجع، أو يعتق، ويقول : كنت لاعباً. روي عن عمر، وأبي الدرداء، والحسن. والثاني : أنه المضار بزوجه في تطويل عدتها بالمراجعة والطلاق. قاله مسروق، ومقاتل.

(١) عضل المرأة، يعضلها : لم يحسن عشرتها ليضطرها بذلك إلى الافداء منه بمهرها الذي أمر بها.

(واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) قال ابن عباس : احفظوا منته عليكم بالإسلام . قال : والكتاب : القرآن . والحكمة : الفقه . (واتقوا الله) في الضرار (واعلموا أن الله بكل شيء) به وبغيره (عليم) .

﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

قوله تعالى : (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن) في سبب نزولها قولان . أحدهما : ما روى الحسن أن معقل بن يسار زوج أخته من رجل من المسلمين ، فكانت عنده ما كانت ، فطلقها تطليقة [ثم تركها] ومضت العدة ، فكانت أحق بنفسها ، فخطبها مع الخطاب ، فرضيت أن ترجع إليه ، فخطبها إلى معقل ، فغضب معقل ، وقال : أكرمتك بها ، فطلقتها ! لا والله ! لا ترجع إليك آخر ما عليك . قال الحسن : فعلم الله ، عز وجل ، حاجة الرجل إلى امرأته ، وحاجة المرأة إلى بعلها ، فنزلت هذه الآية ، فسمعها معقل ، فقال : سمعاً لأبي ، وطاعة ، فدعا زوجها ، فقال : أزوجك ، وأكرمتك ^(١) . ذكر عبد الغني الحافظ عن الكلبي أنه سمي هذه المرأة ، فقال : جميلة بنت يسار . والثاني : أن جابر بن عبد الله الأنصاري كانت له ابنة عم ، فطلقها زوجها تطليقة ، فأنقضت عدتها ، ثم رجع يريد رجعتها ، فأبى جابر ، وقال : طلق ابنة عمنا ، ثم تريد أن تنكحها الثانية ؟ وكانت المرأة تريد زوجها ، قدراصته ، فنزلت هذه الآية ، قال السدي ^(٢) :

(١) أخرجه بمناه البخاري وأبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وقال الترمذي بعد روايته للحديث : وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي ، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيبية ، فلم كان الأمر إليها ، تزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل بن يسار ، وإنما خاطب الله في هذه الآية الأولياء فقال : (ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) في هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في الترويع مع رضاهن .

(٢) قال السيوطي في « لباب القول في أسباب النزول » : والاول أصح ، وهو أقوى .

فأما بلوغ الأجل في هذه الآية ، فهو انقضاء المدة ، بخلاف التي قبلها . قال الشافعي رضي الله عنه : دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين .

قوله تعالى : (فلا تمضوهن) خطاب للأولياء . قال ابن عباس ، وابن جبير ، وابن قتبية في آخرين : معناه : لا تحبسوهن . والعرب تقول للشدائد : معضلات . وداء عضال : قد أعيا . قال أوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولّى ويرضيك مقبلا
ولكنه النسائي إذا كنت آمنا وصاحبك الأدنى إذا لامرأ عضلا

وقالت ليلي الأخيلية :

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دأها فشفاهها
شفاهها من الداء العضال الذي بها غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها

قال الزجاج : وأصل العضل ، من قولهم : عضلت الدجاجة ، فهي مُعضِل : إذا احتبس يضها ونشب^(١) فلم يخرج ، وعضلت الناقة أيضاً : إذا احتبس ولدها في بطنها . قوله تعالى : (إذا تراضوا بينهم بالمعروف) قال السدي ، وابن قتبية : معناه : إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح . قال الشافعي : وهذه الآية أبين آية في أنه ليس للمرأة أن تتزوج إلا بولي .

قوله تعالى : (ذلك يوعظ به) قال مقاتل : الإشارة إلى نهى الولي عن المنع . قال الزجاج : إنا قال : « ذلك » ، ولم يقل : « ذلكم » وهو مخاطب جماعة ، لأن لفظ الجماعة لفظ الواحد ، والمعنى : ذلك أيها القبيل .

(١) أي : علق .

قوله تعالى : (ذلکم أَرْزَکُم) یعنی ردّ النساءِ إلى أزواجهن ، أفضل من التفرقة
بینهم (وأطهر) أي : أنقى لقلوبکم من الریبة لثلا يكون هناك نوع محبة ، فيجتمعان
على غیر وجه صلاح .

قوله تعالى : (والله یعلم وأتم لا تعلمون) فيه قولان . أحدهما : أن معناه : یعلم ودّ
کل واحد منهما لصاحبه ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، والثاني : یعلم مصالحکم عاجلاً
وآجلاً ، قاله الزجاج في آخرين .

﴿والوالدات يُرْضَعْنَ أولادُهُنَّ حولینِ کاملینِ لمن أرادَ أنْ یُتِمَّ الرضاعةَ وعلى
المولودِ له رزقُهنَّ وكسوتُهنَّ بالمعروفِ لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلا وسمها لا تُضارَّ والدَةُ
بولدها ولا مولودٌ له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصلاً عن راضٍ منها
وتشاورٍ فلا جناحَ علیهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادکم فلا جناحَ علیکم إذا سلّمتم
ما آتیتم بالمعروفِ واتقوا الله واعلموا أنَّ اللهَ بما تعملون بصیر ﴾

قوله تعالى : (والوالدات یرضعن أولادهن) لفظه لفظ الخبر ، ومعناه الأمر ، كقوله
تعالى : (والمطلقات یتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) البقرة : ٢٢٨ وقال القاضي أبو یعلی : وهذا
الأمر انصرف إلى الآباء ، لأن علیهم الاسترضاع ، لا إلى والدات ، بدلیل قوله تعالى :
(وعلى المولود له رزقهن) وقوله تعالى (فأَتوهن أجورهن) النساء : ٢٤ فلو كان متحماً
على الوالدة ، لم تستحق الأجرة . وهل هذا عام في جميع والدات ؟ فيه قولان . أحدهما :
أنه خاص في المطلقات ، قاله سعید بن جبیر ، ومجاهد ، والضحاك ، والسدي ، ومقاتل في
آخرین . والثاني : أنه عام في الزوجات والمطلقات ، ولهذا نقول : لها أن توجر نفسها الرضاع
ولدها ، سواء كانت مع الزوج ، أو مطلقة ، قاله القاضي أبو یعلی ، وأبو سلیمان الدمشقي في
آخرین . والحول : السنة ، وفي قوله : (کاملین) قولان . أحدهما : أنه دخل للتوكید ،

كقوله تعالى: (تلك عشرة كاملة) البقرة: ١٩٦. والثاني: أنه لما جاز أن يقول: «حولين»، ويريد أقل منها، كما قال: (من تمجّل في يومين فلا إثم عليه) البقرة: ٢٠٣. ومعلوم أنه يتعجل في يوم، وبعض آخر. وتقول العرب: لم أر فلاناً منذ يومين، وإنما يريدون: يوماً وبعض آخر. قال: كاملين لتبيين أنه لا يجوز أن يُنقص منها، وهذا قول الزجاج، والفراء.

﴿فصل﴾

اختلف علماء النسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فقال بعضهم: هو محكم، والمقصود منه بيان مدة الرضاع، ويتعلق به أحكام، منها أنه كمال الرضاع، ومنها أنه يلزم الأب نفقة الرضاع مدّة الحولين، ويجبره الحاكم على ذلك، ومنها أنه يثبت تحریم الرضاع في مدّة الحولين، ولا يثبت فيما زاد، وتقل عن قتادة، والريعي بن أنس في آخرين أنه منسوخ بقوله تعالى: (فإن أراداً فصلاً عن تراضٍ منها) قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا قول بعيد، لأن الله تعالى قال في أولها: (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلما قال في الثاني: (فإن أراداً فصلاً عن تراضٍ منها) خيّر بين الإرادتين، وذلك لا يعارض المدّة المقدرة في التمام.

قوله تعالى: (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أي: هذا التقدير بالحولين لمريدي إتمام الرضاعة. وقرأ مجاهد بـ «أن» أن يتم الرضاعة وبالرفع، وهي رواية الحلبي عن عبد الوارث. وقد نبّه ذكر التمام على نفي حكم الرضاع بعد الحولين، وأكثر القراء على فتح راء «الرضاعة»، وقرأ طلحة بن مصرف، وابن أبي عبة، وأبو رجاء، بكسرهما، قال الزجاج: يقال: الرضاعة بفتح الراء وكسرهما، والفتح أكثر، ويقال: ما حمله على ذلك إلا اللؤم والرضاعة بالفتح هاهنا لا غير^(١).

(١) قال في «اللسان»: الرضاعة بالفتح والكسر: الاسم من الارضاع، فأما من الرضاعة اللؤم، فالفتح لا غير.

قوله تعالى: (وعلى المولود له) يعني: الأب. (رزقهنَّ وكنسوتهنَّ) يعني: المرضعات. وفي قوله: (بالمعروف) دلالة على أن الواجب على قدر حال الرجل في إعساره ويساره، إذ ليس من المعروف إلزام المعسر ما لا يطيقه، ولا الموسر النزر الطفيف. وفي الآية دليل على تسويغ اجتهاد الرأي في أحكام الحوادث، إذ لا يتوصل إلى تقدير النفقة بالمعروف إلا من جهة غالب الظن، إذ هو معتبر بالعادة.

قوله تعالى: (لا تكلف نفس إلا وسعها) أي: إلا ما تطيقه. (لا تضارَّ والدته بولدها) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان عن عاصم (لا تضارَّ) برفع الراء، وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي بنصبها، قال أبو علي: "من رفع، فلاجل المرفوع قبله، وهو «لا تكلف»، فأتبعه بما قبله ليقع تشابه اللفظ، ومن نصب جعله أمراً، وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف، قال ابن قتيبة: معناه: لا تضار، فأدغمت الراء في الراء. وقال سعيد بن جبیر: لا يحملنَّ المطلقة مضارة الزوج أن تأتي إليه ولده. وقال مجاهد: لا تأتي أن ترضعه ضراراً بأبيه، ولا يضارَّ الوالد بولده، فيمنع أمه أن ترضعه، ليحزنها بذلك. وقال عطاء، وقتادة، والزهري، وسفيان، والسدي في آخرين: إذا رضيت بما يرضى به غيرها، فهي أحق به. وقرأ أبو جعفر «لا تضار» بتخفيفها وإسكانها.

قوله تعالى: (وعلى الوارث) فيه أربعة أقوال. أحدها: أنه وارث المولود، وهو قول عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وابن أبي ليلى، وقتادة، والسدي، والحسن بن صالح، ومقاتل في آخرين. واختلف أرباب هذا القول، فقال بعضهم: هو وارث المولود من عصبته، كائناً من كان، وهذا مروى عن عمر، وعطاء، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم وسفيان. وقال بعضهم: هو وارث المولود على الإطلاق من الرجال والنساء، روي عن ابن أبي ليلى، وقتادة، والحسن بن صالح، وإسحاق، وأحمد بن حنبل. وقال آخرون:

هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود ، روي عن أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد .
والقول الثاني : أن المراد بالوارث هاهنا ، وارث الوالد ، روي عن الحسن والسدي . والثالث :
أن المراد بالوارث الباقي من والدي الولد بمذوفاة الآخر ، روي عن سفيان . والرابع : أنه
أريد بالوارث الصبي نفسه ، والنفقة عليه ، فإن لم يملك شيئاً ، فلي عصبته ، قاله الضحاك ،
وقيصة بن ذؤيب . قال شيخنا علي بن عبيد الله : وهذا القول لا ينافي قول من قال : المراد
بالوارث وارث الصبي ، لأن النفقة تجب للموروث على الوارث إذا ثبت إعسار المنفق
عليه . وفي قوله تعالى : (مثل ذلك) ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الإشارة إلى أجره الرضاع
والنفقة ، روي عن عمر ، وزيد بن ثابت ، والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وإبراهيم ، وقتادة ،
وقيصة بن ذؤيب ، والسدي . واختاره ابن قتيبة . والثاني : أن الإشارة بذلك إلى النهي
عن الضرر ، روي عن ابن عباس ، والشعبي ، والزهري . واختاره الزجاج . والثالث : أنه
إشارة إلى جميع ذلك ، روي عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومقاتل ، وأبي سليمان الدمشقي ،
واختاره القاضي أبو يعلى . ويشهد لهذا أنه معطوف على ما قبله ، وقد ثبت أن على المولود
له النفقة والكسوة ، وأن لا يضار ، فيجب أن يكون قوله : (مثل ذلك) . مشيراً إلى جميع
ما على المولود له .

قوله تعالى : (فإن أرادوا فصلاً عن تراضٍ) الفصل : الفطام . قال ابن قتيبة : يقال :
فصلت الصبي أمه : إذا فطمته . ومنه قيل للحوار إذا قطع عن الرضاع : فصل ، لأنه
فصل عن أمه ، وأصل الفصل : التفريق . قال مجاهد : التشاور فيما دون الحولين إن أرادت
أن تقطم وأبي ، فليس لها ، وإن أراد هو ، ولم ترد ، فليس له ذلك حتى يقع ذلك عن تراض
منها وتشاور ، يقول : غير مسيتين إلى أنفسهما وإلى صبيها .

قوله تعالى : (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) قال الزجاج : أي : لأولادكم . قال
مقاتل : إذا لم ترض الأم بما يرضى به غيرها ، فلا حرج على الأب أن يسترضع لولده .

وفي قوله تعالى : (إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف) قولان . أحدهما : إذا سلمتم أيها الآباء إلى أمهات الأولاد أجور ما أرضعن قبل امتناعهن ، قاله مجاهد ، والسدي . والثاني : إذا سلمتم إلى الظئر أجرها بالمعروف ، قاله سعيد بن جبير ، ومقاتل . وقرأ ابن كثير (ما آتيتكم) بالقصر ، قال أبو علي : وجهه أن يقدر فيه : ما آتيتكم تقده أو سوقه ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه [فكان التقدير : ما آتيتموه ، ثم حذف الضمير من الصلة] كما تقول : آتيت جديلاً ، أي : فعلته .

﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴾
قوله تعالى : (والذين يتوفون منكم) أي : يقبضون بالموت . وقرأ المفضل عن عاصم « يتوفون » بفتح الياء في الموضعين . قال ابن قتيبة : هو من استيفاء العدد ، واستيفاء الشيء : أن نستقصيه كله ، يقال : توفيته واستوفيته ، كما يقال : تيقنت الخير واستيقنته ، هذا الأصل ، ثم قيل للموت : وفاة وتوفٍ (ويتربصن) ينتظرن وقال الفراء : وإنما قال : (وعشراً) ولم يقل : عشرة ، لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام ، غلبوا عليه الليالي ، حتى أنهم يقولون : صمنا عشراً من شهر رمضان ، لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام ، فإذا أظهروا مع العدد تفسيره ، كانت الإيات بغير هاء ، والذكور بالهاء ^(١) كقوله تعالى : (سخرها عليهم سبع ليال

(١) قال أبو حيان رحمه الله في « البحر المحيط » : الذي نقل أصحابنا أنه إذا كان المدود مذكراً وحذفته ، فلك فيه وجهان . أحدهما وهو الأصل : أن يبقى العدد على ما كان عليه ولو لم يحذف المدود ، فنقول : صمت خمسة ، تريد خمسة أيام . قالوا : وهو الفصح . قالوا : ويجوز أن تحذف منه كله تاء التأنيث . وحكى الكسائي عن أبي الجراح : صمنا من الشهر خمساً . ومعلوم أن الذي يصام من الشهر إنما هي الأيام واليوم مذكر . وكذلك قوله :

ولا فيري مثل ما سار راكب يتمم خمساً ليس في سيرة أمم
يريد : خمسة أيام . . وعلى ذلك ما جاء في الحديث « من صام رمضان ، وأتبعه بست من شوال » .
وإذا قرر هذا فجاء قوله تعالى : (وعشراً) على أحد الحائزين ، وحسنه هنا ، أنه مقطع كلام ، فهو شبهه بالفواصل ، كما حسن قوله تعالى : (إن لبثتم الاثني عشر) طه : ١٣ ، كونه فاصلة ، فلذلك اختير مجيء هذا على أحد الحائزين .

وثمانية أيام حسوماً) الحاقصة : ٧. فان قيل : ما وجه الحكمة في زيادة هذه العشرة ؟ فالجواب : أنه يبين صحة الحمل بنفخ الروح فيه ، قاله سعيد بن المسيب ، وأبو العالية ، ويشهد له الحديث الصحيح عن النبي ﷺ ، « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً [نطفة] ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح » (١).

❦ فصل ❦

وهذه الآية ناسخة للتي تشابهها ، وهي تأتي بعد آيات ، وهي قوله : (والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول) البقرة : ٢٤٠. لأن تلك كانت تقتضي وجوب العدة سنة ، وسنذكر ما يتعلق بها هنالك ، إن شاء الله . فأما التي نحن في تفسيرها : فقد روي عن ابن عباس أنه قال : نسختها (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (الطلاق : ٤ . والصحيح : أنها عامة دخلها التخصيص ، لأن ظاهرها يقتضي وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ، سواء كانت حاملاً ، أو غير حامل ، غير أن قوله تعالى : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) خص أولات الحمل ، وهي خاصة أيضاً في الحرائر ، فإن الأمة عدتها شهران وخمسة أيام ، فبان أنها من العام الذي دخله التخصيص .

قوله تعالى : (فإذا بلغن أجلهن) يعني : انقضاء العدة .

❦ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكنتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا

(١) رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ورواه أبو عوانة في « مسنده » وزاد « نطفة » بين قوله : « إن أحدكم » وبين قوله : « أربعين » .

عُقْدَةُ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾

قوله تعالى : (ولا جناح عليكم) فيه قولان . أحدهما : أن معناه : فلا جناح على الرجال في تزويجهم بعد ذلك . والثاني : فلا جناح على الرجال في ترك الإنكار عليهن إذا تزين وتزوجن . قال أبو سليمان الدمشقي : وهو خطاب لأوليائهن .

قوله تعالى : (فيما قلن في أنفسهن بالمعروف) فيه قولان . أحدهما : أنه التزين والتشوف للنكاح ، قاله الضحاك ، ومقاتل . والثاني : أنه النكاح ، قاله الزهري ، والسدي . و « الخبير » من أسماء الله تعالى ، ومعناه : العالم بكنه الشيء ، المطلع على حقيقته . « والخبير » في صفة المخلوقين ، إنما يستعمل في نوع من العلم ، وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد دون النوع المعلوم ببدائه العقول . وعلم الله تعالى سواء ، فيما غمض ولطف ، وفيما تجل وظهر .

قوله تعالى : (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدة . والتريض : الإيلاء والتلويح من غير كشف ، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر . والخطبة بكسر الخاء : طلب النكاح ، والخطبة بضم الخاء : مثل الرسالة التي لها أول وآخر . قال ابن عباس : التريض أن يقول : إني أريد أن أتزوج . وقال مجاهد : أن يقول : إنك جميلة ، وإنك لحسنة ، وإنك لإلى خير .

قوله تعالى : (أو أكنتم في أنفسكم) قال الفراء : فيه لغتان ، كننت الشيء ، وأكننته ^(١)

(١) ونص كلامه في « معاني القرآن » : للعرب في « وأكننت الشيء » : إذا مستترته ، لغتان ، كننته ، وأكننته . وأنشدوني :

ثلاث من ثلاث قداميات من اللاتي تكنن^٢ من الصقيع

وبعضهم يرويه : تكنن^٣ ، من أكننت . وأما قوله : (لوأؤم مكنون) الطور : ٢٤ و (بيض مكنون) الإضافات : ٤٩ فكانه مذهب للشيء يصاب ؛ وإحداها قريبة من الأخرى .

وقال ثعلب : أ كنت الشيء : إذا أخفيت في نفسك ، وكنته : إذا سترته بشيء . وقال ابن قتيبة : أ كنت الشيء : إذا سترته ، ومنه هذه الآية ، وكنته : إذا صنته ، ومنه قوله تعالى : (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ ، قال بعضهم : يجعل كنته ، وأ كنته ، بمعنى . قوله تعالى : (علم الله أنكم ستذكروهن) قال مجاهد : ذكره إياها في نفسه .

قوله تعالى : (ولكن لا تواعدوهن سرأ) فيه أربعة أقوال . أحدها : أن المراد بالسر هاهنا : النكاح ، قاله ابن عباس . وأنشد بيت امرئ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أني كبرت وأن لا يشهد السر أمثالي

وفي رواية : يشهد اللهو^(١) . قال الفراء : ونرى أنه مما كنى الله عنه ، كقوله تعالى : (أو جاء أحد منكم من الغائط) النساء : ٣٤ . وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن السر : الإفضاء بالنكاح [المحرم] وأنشد :

ويأكل جارهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع^(٢)

قال ابن قتيبة : استعير السر للنكاح ، لأن النكاح يكون سرأ ، فالمدنى : لا تواعدوهن

(١) رواية البيت في الديوان هكذا :

كبرت وألا يحسن اللهو أمثالي

ألا زعمت بسباسة اليوم أني

وعلى هذه الرواية فلا شاهد في البيت .

(٢) البيت للحطيئة ، وهو من قصيدة يمدح فيها بني رياح وبني كلب من بني يربوع ، وأنف كل شيء : طرفه وأوله . والقصاع : جمع قصعة ، وهي الجفنة الضخمة ، يذكر عقتهم وحفاظهم وامتناعهم من انتهاك حرمة الجارة ، واقتراب الانتم في حقها ، ويصف كرمهم وإيثارهم جارهم بالطعام على أنفسهم ، فلا يتقدمون إلى الطعام حتى يأخذ منه ما يشتهي وما يكفيه .

بالتزويج ، [وهن في العدة] تصريحاً (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) لا تذكر فيه رفناً ولا نكاحاً . والثاني : أن المواعدة سرّاً : أن يقول لها : إني لك محب ، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري ، روي عن ابن عباس أيضاً . والثالث : أن المراد بالسر الزنى ^(١) . قاله الحسن ، وجابر بن زيد ، وأبو مجلز ، وإبراهيم ، وقتادة ، والضحاك . والرابع : أن المعنى : لا تنكحوهن في عدتهن سرّاً ، فإذا حلت أظهرتم ذلك ، قاله ابن زيد . وفي القول المعروف قولان . أحدهما : أنه التعريض لها ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والقاسم ابن محمد ، والشعبي ، ومجاهد ، وإبراهيم ، وقتادة ، والسدي والثاني : أنه إعلام وليها برغبته فيها ، وهو قول عبيدة ^(٢) .

قوله تعالى : (ولا تعزموا عقدة النكاح) قال الزجاج : معناه : لا تعزموا على عقدة النكاح ، وحذفت « على » استخفافاً ، كما قالوا : ضرب زيد الظهر والبطن ، معناه : على الظهر والبطن (حتى يبلغ الكتاب أجله) أي : حتى يبلغ فرض الكتاب أجله . قال : ويجوز أن يكون « الكتاب » بمعنى « الفرض » كقوله تعالى : (كتب عليكم الصيام) البقرة : ١٨٣ . فيكون المعنى : حتى يبلغ الفرض أجله . قال ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، وقتادة ، والسدي : بلوغ الكتاب أجله : انقضاء العدة .

قوله تعالى : (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) قال ابن عباس : من الوفاء ، فاحذروه أن تخالفوه في أمره . والحليم قد سبق بيانه .

(١) قال الأعشى :

ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكهن أو تأبدا

وقد فسروا السر في هذا البيت بالزنى ، وهو ظاهر ، وقد رجح هذا القول الطبري في « تفسيره » .

(٢) روى ابن أبي حاتم قال : قال محمد بن سيرين : قلت لعبيدة : ما معنى قوله تعالى : (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) قال : يقول لوليها : لا تسبقني بها ، يعني : لا تزوجها حتى تملني .

﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين ﴾

قوله تعالى : (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وأبو عمرو « تمسوهن » بغير الف حيث كان ، وفتح التاء . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف « تماسوهن » بألف وضم التاء في الموضعين هنا وفي الأحزاب ثالث . قال أبو علي : وقد يراد بكل واحد من « فاعل » و« فعل » ما يراد بالآخر ، تقول : طارت النمل ، وعاقبت اللص . قال مقاتل بن سليمان : نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ، ولم يسم لها مهرأ ، فطلقها قبل أن يمسها ، فقال النبي ﷺ « هل منتمها بشيء ؟ » قال : لا . قال : « منتمها ولو بقلنسوتك » ومعنى الآية : ما لم تمسوهن ، ولم تفرضوا لهن فريضة . وقد تكون « أو » بمعنى الواو . كقوله تعالى : (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) الدهر : ٢٤ .

والمس : النكاح ، والفريضة : الصداق ، وقد دلت الآية على جواز عقد النكاح بغير تسمية مهر (ومتوهن) أي : أعطوهن ما يتمتن به من أموالكم على قدر أحوالكم في الفنى والفقر . والمتاع : اسم لما ينتفع به ، فذلك معنى قوله تعالى : (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) . وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو « قدره » بإسكان الدال في الحرفين ، وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي بحرفين الحرفين ، وعن عاصم : كالقراءتين ، وهما لفتان .

﴿ فصل ﴾

وهل هذه المنة واجبة، أم مستحبة؟ فيه قولان. أحدهما: واجبة، واختلف أرباب هذا القول، لأي المطلقات تجب. على ثلاثة أقوال. أحدها: أنها واجبة لكل مطلقة، روي عن علي، والحسن، وأبي العالية، والزهرى. والثاني: أنها تجب لكل مطلقة إلا المطلقة التي فرض لها صداقاً، ولم يمسها، فإنه يجب لها نصف ما فرض، روي عن ابن عمر، والقاسم ابن محمد، وشريح، وإبراهيم. والثالث: أنها تجب للمطلقة قبل الدخول إذا لم يسم لها مهرأ، فإن دخل بها، فلا منة، ولها مهر المثل، روي عن الأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل. والثاني: أن المنة مستحبة، ولا تجب على أحد، سواء سمى للمرأة، أو لم يسم، دخل بها، أو لم يدخل، وهو قول مالك، والليث بن سعد، والحكم، وابن أبي ليلى. واختلف العلماء في مقدار المنة، فنقل عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب: أعلاها خادم، وأدناها كسوة يجوز لها أن تصلي فيها، وزوي عن حماد وأبي حنيفة: أنه قدر نصف صداق مثلها. وعن الشافعي وأحمد: أنه قدر يساره وإعساره، فيكون مقدراً باجتهاد الحاكم. ونقل عن أحمد: المنة بقدر ما تجزى، فيه الصلاة من الكسوة، وهو درع وخمار.

قوله تعالى: (متاعاً بالمعروف) أي: بقدر الإمكان، والحق: الواجب. وذكر المحسنين والمنفقين ضرب من التأكيد.

﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعلمون بصير﴾

قوله تعالى: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي: قبل الجماع (وقد فرضتم

لهن) أي: أوجبتم لهن شيئاً التزمتم به، وهو المهر (إلا أن يعفون) يعني: النساء، وعفو المرأة: ترك حقها من الصداق الوفي: الذي يده عقدة النكاح ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الزوج، وهو قول عليّ، وابن عباس، وجبير بن مطعم، وابن المسيب، وابن جبير، ومجاهد، وشريح، وجابر بن زيد، والضحاك، ومحمد بن كعب القرظي، والريبع بن أنس، وابن شبرمة، والشافعي، وأحمد رضي الله عنهم في آخرين. والثاني: أنه الولي، روي عن ابن عباس، والحسن، وعلقمة، وطاووس، والشعبي، وإبراهيم في آخرين. والثالث: أنه أبو البكر. روي عن ابن عباس، والزهري، والتسدي في آخرين. فعلى القول الأول عفو الزوج: أن يكمل لها الصداق، وعلى الثاني: عفو الولي: ترك حقها إذا أبت، روي عن ابن عباس، وأبي الشعثاء. وعلى الثالث يكون قوله: (إلا أن يعفون) يختص بالثيات. وقوله: (أو يعفو) يختص بأبا البكر، قاله الزهري، والأول أصح، لأن عقدة النكاح خرجت من يد الولي، فصارت بيد الزوج، والعفو إنما يُطلق على ملك الإنسان، وعفو الولي عفو عما لا يملك، ولأنه قال: (ولا تنسوا الفضل بينكم) والفضل في هبة الإنسان مال نفسه، لا مال غيره.

قوله تعالى: (وأن تعفوا أقرب للتقوى) فيه قولان. أحدهما: أنه خطاب للزوجين جميعاً، روي عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه خطاب للزوج وحده، قاله الشعبي، وكان يقرأ: «وأن يعفو» بالياء.

قوله تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم) خطاب للزوجين، قال مجاهد: هو إتمام الرجل الصداق، وترك المرأة شطرها.

﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾

قوله تعالى: (حافظوا على الصلوات) المحافظة: المواظبة والمداومة، والصلوات بالآلف واللام ينصرف إلى المعهود، والمراد: الصلوات الخمس.

قوله تعالى : (والصلاة الوسطى) قال الزجاج : هذه الواو إذا جاءت مخصصة ، فهي دالة على فضل الذي تخصصه ، كقوله تعالى : (وجبريل وميكال) البقرة : ٩٧ قال سعيد بن المسيب : كان أصحاب رسول الله ﷺ ، في الصلاة الوسطى هكذا ، وشبك بين أصابعه .^(١) ثم فيها خمسة أقوال . أحدها : أنها العصر ، روى مسلم في «أفراده» من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أنه قال يوم الأحزاب : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملائكة قبورهم ويوتهم ناراً »^(٢) . وروى ابن مسعود ، وسمرة ، وعائشة عن النبي ﷺ ، أنها صلاة العصر^(٣) . وروى مسلم في «أفراده» من حديث البراء بن عازب قال : نزلت هذه الآية (حافظوا على الصلوات [والصلاة الوسطى]^(٤) وصلاة العصر) فقراءناها ما شاء الله ، ثم نسخها الله ، فنزلت : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) وهذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وابن مسعود ، وأبي أيوب ، وابن عمر في رواية ، وسمرة بن جندب ، وأبي هريرة ، وابن عباس في رواية عطية ، وأبي سعيد الخدري ، وعائشة في رواية ، وحفصة ، والحسن ، وسعيد ابن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وعطاء في رواية ، وطاووس ، والضحاك ، والنخعي ، وعبيد ابن عمير ، وزر بن حبيش ، وقتادة ، وأبي حنيفة ، ومقاتل في آخرين ، وهو مذهب أصحابنا^(٥) .

(١) يريد أنهم كانوا يختلفون في تعيين الصلاة الوسطى .

(٢) وتماه عند مسلم « ثم ضلها بين المشائين ، بين المغرب والعشاء » ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وغير واحد من أصحاب «المسانيد» و«السنن» و«الصحاح» .

(٣) حديث ابن مسعود هو في « صحيح مسلم » ج ١ / ٤٣٧ وحديث عائشة أيضاً في « صحيح مسلم » ج ١ / ٤٣٨ . وأما حديث سمرة ، فقد رواه الإمام أحمد في « مسنده » والترمذي في « جامع » ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٤) هذه الزيادة التي أوردها المؤلف هنا لم ترد في رواية البراء ، وإنما وردت من طريق عائشة رضي الله عنها . انظر « صحيح مسلم » ج ١ / ٤٣٨ .

(٥) وهو الصحيح الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة الراجعة ، وإليه ذهب الطبري والديلمي وابن كثير ، وأكثر أهل الأثر .

والثاني : أنها الفجر ، روي عن عمر ، وعليّ في رواية ، وأبي موسى ، ومعاذ ، وجابر بن عبد الله ، وأبي أمامة ، وابن عمر في رواية مجاهد ، وزيد بن أسلم ، وابن عباس في رواية أبي رجاء المطاردي ، وعكرمة ، وجابر بن زيد ، وأنس بن مالك ، وعطاء ، وعكرمة ، وطاؤوس في رواية ابنه ، وعبد الله بن شداد ، ومجاهد ، ومالك ، والشافعي . وروى أبو المالية قال : صليت مع أصحاب رسول الله ، ﷺ : الغداة فقلت لهم : أيها الصلاة الوسطى ؟ فقالوا : التي صليت قبل . والثالث : أنها الظهر ، روي عن ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، وأبي سعيد الخدري ، وعائشة في رواية ، وروى ضميرة عن عليّ رضي الله عنه قال : هي صلاة الجمعة ، وهي سائر الأيام الظهر . والرابع : أنها المغرب ، روي عن ابن عباس ، وقبيصة بن ذؤيب . والخامس : أنها العشاء الأخيرة ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في «تفسيره» . وفي المراد بالوسطى ثلاثة أقوال . أحدها : أنها أوسط الصلوات محلاً . والثاني : أوسطها مقداراً . والثالث : أفضلها . ووسط الشيء : خيره وأعدله ، ومنه قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) البقرة : ١٤٣ . فإن قلنا : إن الوسطى بمعنى : الفضلى ، جاز أن يدعي هذا كل ذي مذهب فيها . وإن قلنا : إنها أوسطها مقداراً ، فهي المغرب ، لأن أقل المفروضات ركعتان ، وأكثرها أربعاً . وإن قلنا : إنها أوسطها محلاً ، فللقائلين : إنها العصر أن يقولوا : قبلها صلاتان في النهار ، وبعدها صلاتان في الليل ، فهي الوسطى . ومن قال : هي الفجر ، فقال عكرمة : هي وسط بين الليل والنهار ، وكذلك قال ابن الأثيري : هي وسط بين الليل والنهار ، وقال : وسمعت أبا العباس يعني ، نعلباً يقول : النهار عند العرب أوله : طلوع الشمس . قال ابن الأثيري : فعلى هذا صلاة الصبح من صلاة الليل ، قال : وقال آخرون : بل هي من صلاة النهار ، لأن أول وقتها أول وقت الصوم . قال : والصواب عندنا أن تقول : الليل المحض خاتمه طلوع الفجر ، والنهار المحض أوله : طلوع الشمس ، والذي بين طلوع الفجر ، وطلوع الشمس يجوز أن يسمى نهاراً ، ويجوز

أن يسمى ليلاً، لما يوجد فيه من الظلمة والضوء، فهذا قول يصح به المذهبان. قال ابن الأثيري: ومن قال: هي الظهر، قال: هي وسط النهار. فأما من قال: هي المغرب، فاحتج بأن أول صلاة فرضت، الظهر، فصارت المغرب وسطى، ومن قال: هي العشاء، فانه قال: هي بين صلاتين لا تقصران.

قوله تعالى: (وقوموا لله قانتين) المراد بالقيام هاهنا: القيام في الصلاة، فأما القنوت، فقد شرحناه فيما تقدم. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، والشعبي، وطاووس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه طول القيام في الصلاة، روي عن ابن عمر، والربيع بن أنس. وعن عطاء كالقولين. والثالث: أنه الإمساك عن الكلام في الصلاة. قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت الآية (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت [ونہینا عن الكلام] ^(١).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: (فإن خفتم فرجالاً) أي: خفتم عدواً، فصلوا رجالاً، وهو جمع راجل، والركبان جمع راكب، وهذا يدل على تأكيد أمر الصلاة، لأنه أمر بفعلها على كل حال. وقيل: إن هذه الآية أنزلت بعد التي في سورة النساء، لأن الله تعالى وصف لهم صلاة الخوف في قوله: (وإذا كنتم فيهم فأقمتم لهم الصلاة) النساء: ١٠٢ ثم نزلت هذه الآية (فإن خفتم) أي: خوفاً أشد من ذلك، فصلوا عند المسابقة كيف قدرتم. فان قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه صلى يوم

(١) رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيره.

الخنديق الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بعد ما غاب الشفق؟^(١) فالجواب: أن أبا سعيد روى أن ذلك كان قبل نزول قوله تعالى: (فان خفتم فرجالاً أو ركبانا) قال أبو بكر الاثرم: فقد بين الله أن ذلك الفعل الذي كان يوم الخندق منسوخ.^(٢)

قوله تعالى: (فاذا أمنتكم فاذكروا الله) في هذا الذكر قولان. أحدهما: أنه الصلاة، فتقديره: فصلوا كما كنتم تصلون آمين. والثاني: أنه الثناء على الله، والحمد له.

والذين يُتَوَقَّونَ منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم* قوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) روى ابن حبان أن هذه الآية نزلت في رجل من أهل الطائف، يقال له: حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة، ومعه أبواه وامرأته، وله أولاد، فمات فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فأعطى النبي ﷺ أبويه وأولاده من ميراثه، ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنه أمرهم أن يتفقوا عليها من تركه زوجها حولا.

قوله تعالى: (وصية لأزواجهم) قرأ أبو عمرو، وحزمة، وابن عامر «وصية» بالنصب، وقرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي «وصية» بالرفع. وعن عاصم كالقراءتين. قال أبو علي: من نصب حَمَلَهُ على الفعل، أي: ليوصوا وصية، ومن رفع، فمن وجهين.

(١) رواه الترمذي وأبو يعلى والبيهقي عن ابن مسعود، ورواه النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري، ورواه البزار، في «مسنده» عن جابر بن عبد الله، ولم نجد من طريق ابن عباس كذا كرام المؤلف. (٢) وقد ذهب البعض إلى عدم النسخ، وجعل صلاة الخوف قسمين، أحدهما: أن تكون في حال القتال — وهو المراد بهذه الآية —. والثاني: في غير حال القتال، وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى: (وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) النساء: ١٠٣. وقد روى مالك في الموطأ، عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف، وصفها، ثم قال: فان كان خوف أشد من ذلك، صلوا رجالاً على أقدامهم أو ركبانا، مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها.

أحدهما : أن يجعل الوصية مبتدأ ، والخبر لأزواجهم . والثاني : أن يضرله خبراً ، تقديره : فعليهم وصية . والمراد منه من قارب الوفاة ، فليوص ، لأن المتوفى لا يؤمر ولا ينهى .

قوله تعالى : (متاعاً إلى الحول) أي : متموئناً إلى الحول ، ولا تخرجوهن . والمراد بذلك نفقة السنة وكسوتها وسكنائها (فان خرجن) أي : من قبل أنفسهن (فلا جناح عليكم) يعني : أولياء الميت . (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) يعني التشوف إلى النكاح . وفي ماذا رفع الجناح عن الرجال ؟ فيه قولان . أحدهما : أنه في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول . والثاني : في ترك منعهن من الخروج ، لأنه لم يكن مقامها الحول واجباً عليها ، بل كانت مخيرة في ذلك .

❦ فصل ❦

ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم ، مكثت زوجته في بيته حولاً ، ينفق عليها من ميراثه ، فإذا تم الحول ، خرجت إلى باب بيتها ، ومعهما بعة ، فرمت بها كلباً ، وخرجت بذلك من عدتها . وكان معنى رميها بالبعة أنها تقول : مكثي بعد وفاة زوجي أهون عندي من هذه البعة . ثم جاء الإسلام ، فأقرم على ما كانوا عليه من مكث الحول بهذه الآية ، ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة في نظم القرآن على هذه الآية ، وهي قوله تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً)^(١) .

(١) وإليه ذهب الجمهور من أهل العلم سلفاً وخلفاً . وروى البخاري عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) قد نسخها الآية الأخرى ، فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه .

قال الحافظ ابن كثير : ومعنى هذا الاشكال الذي قاله ابن الزبير لعثمان : إذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة الأشهر ، فما الحكمة في إبقاء رسمها مع زوال حكمها ، وبقاء رسمها بعد التي نسختها يوم بقاء حكمها ؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي ، وأنا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك يمدّها ، فأثبتها =

ونسخ الأمر بالوصية لها بما فرض لها من ميراثه .

﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ﴾

قوله تعالى : (وللمطلقات متاع بالمعروف) قد سبق الكلام في المتعة بما فيه كفاية .

﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾

قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) أي : كما يشن الذي تقدم من الأحكام (يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) أي : يثبت لكم وصف العقلاء باستعمال ما بين لكم ، وثمرة العقل استعمال الأشياء المستقيمة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) النساء : ١٧ . وإنما سموا جهالاً ، لأنهم آثروا أهواءهم على ما علموا أنه الحق .

﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾

قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم) معناه : ألم تعلم . قال ابن قتيبة : وهذا على جهة التعجب ، كما تقول : ألا ترى إلى ما يصنع فلان ؟ .

= حيث وجدتها .

وقال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ج ٨ / ١٤٤ وهذا الموضع مما وقع فيه الناسخ مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ ، ثم أشار إلى آيات آخر في مثل هذا .

ومن السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخة ، وإنما خص من الحول بعضه ، وبقي البعض وصية لها ، إن شئت أقامت ، فقد روى البخاري عن مجاهد (والذين يتوفونكم منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) قال : جعل الله لها تمام السنة بسبعة أشهر وعشرين ليلة وصية ، إن شئت سكنت في وصيتها ، وإن شئت خرجت ، وهو قول الله تعالى : (غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم) فالعدة كما هي واجب عليها .

قوله تعالى : (وم ألف) فيه قولان . أحدهما : أن معناه : وهم مؤتلفون ، قاله ابن زيد . والثاني : أنه من العدد ، وعليه العلماء واختلفوا في عددهم على سبعة أقوال . أحدها : أنهم كانوا أربعة آلاف . والثاني : أربعين ألفاً ، والقولان عن ابن عباس . والثالث : تسعين ألفاً ، قاله عطاء بن أبي رباح ، والرابع : سبعة آلاف ، قاله أبو صالح . والخامس : ثلاثين ألفاً ، قاله أبو مالك ، والسادس : بضعة وثلاثين ألفاً ، قاله السدي ، والسابع : ثمانية آلاف ، قاله مقاتل . وفي معنى : حذرهم من الموت ، قولان . أحدهما : أنهم فروا من الطاعون ، وكان قد نزل بهم ، قاله الحسن ، والسدي . والثاني : أنهم أمروا بالجهاد ، ففروا منه ، قاله عكرمة ، والضحاك ، وعن ابن عباس ، كالقولين .

الإشارة الى قصتهم

روى حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف قال : كانت أمة من بني إسرائيل إذا وقع فيهم الوجد ، خرج أغنياؤهم ، وأقام فقراؤهم ، فأتوا الذين أقاموا ، ونجا الذين خرجوا ، فقال الأشراف : لو أقمنا كما أقام هؤلاء لهلكنا ، وقال الفقراء : لو ظعننا كما ظعن هؤلاء سلمنا ، فأجمع رأيهم في بعض السنين على أن يظعنوا جميعاً ، فظعنوا فماتوا ، وصاروا عظاماً تبرق ، فكذبهم أهل البيوت والطرق عن بيوتهم وطرقهم ، فمر بهم نبي من الأنبياء ، فقال : يا رب لو شئت أحيتهم ، فعبدوك ، وولدوا أولاداً يعبدونك ، ويمعمرون بلادك . [قال : أو أحب إليك أن أفعل ؟ قال : نعم] . فقيل له : تكلم بكذا وكذا ، فتكلم به ، فنظر إلى العظام تخرج من عند العظام التي ليست منها إلى التي هي منها ، ثم قيل له : تكلم بكذا وكذا ، فتكلم به ، فنظر إلى العظام تكسى لحماً وعصباً ، ثم قيل له : تكلم بكذا وكذا ، فنظر فإذا هم قعود يسبحون الله ويقدسونه . وأنزل الله فيهم هذه الآية . وهذا الحديث يدل على بعد المدة التي مكثوا فيها أمواتاً . وفي بعض الأحاديث : أنهم بقوا أمواتاً سبعة أيام ، وقيل : ثمانية أيام .

وفي النبي الذي دعا لهم قولان . أحدهما : أنه حزيل ، والثاني : أنه شمعون . فان قيل كيف أميت هؤلاء مرتين وقد قال الله تعالى : (إلا الموتة الاولى) الدخان : فالجواب أن موتهم بالعقوبة لم يفن أعمارهم ، فكان كقوله تعالى : (والتي لم تمت في منامها) الزمر : ٤٢ وقيل : كان إحيائهم آية من آيات نبينهم ، وآيات الأنبياء نواذر لا يقاس عليها ، فيكون تقدير قوله تعالى : (إلا الموتة الأولى) التي ليست من آيات الأنبياء ، ولا لا مرنادر . وفي هذه القصة احتجاج على اليهود إذ أخبرهم النبي ﷺ بأمر لم يشاهدوه ، وهم يعلمون صحته واحتجاج على المنكرين للبعث ، فدلهم عليه بإحياء الموتى في الدنيا ، ذكر ذلك جميعه ابن الأنباري .

قوله تعالى : (إن الله لئذ فضل على الناس) نبه عز وجل بذكر فضله على هؤلاء على فضله على سائر خلقه مع قلة شكرهم .

﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ .

قوله تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله) في المخاطبين بهذا قولان . أحدهما : أنهم الذين أماتهم الله ، ثم أحيام ، قاله الضحاك . والثاني : خطاب لأمة محمد ﷺ . فمعناه : لا تهربوا من الموت ، كما هرب هؤلاء ، فما ينفعكم الهرب (واعلموا أن الله سميع) لأقوالكم (عليم) بما تنطوي عليه ضمائركم .

﴿ من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾

قوله تعالى : (من ذا الذي يقرض الله) قال الزجاج : أصل القرض ما يمطيه الرجل أو يفعله ليجازي عليه ، وأصله في اللغة القطع ، ومنه أخذ المقرض . فمعنى أقرضته : قطعت له قطعة يجازيني عليها . فان قيل : ما وجه تسمية الصدقة قرصاً ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه .

أحدها : لأن هذا الفرض يبدل بالجزاء ، والثاني : لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة ، والثالث : لتأكيد استحقاق الثواب به ، إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به . فأما اليهود فانهم جهلوا هذا ، فقالوا : أليست قرض الله منا ؟ وأما المسلمون فوثقوا بوعده الله ، وبأدروا إلى معاملته . قال ابن مسعود : لما نزلت هذه الآية ، قال أبو الدحداح : وإن الله ليريد منا القرض ، فقال النبي ﷺ : نعم . قال : أرني يدك . قال : إني أقرضت ربي حائطي ، قال : وحائطه فيه ستمائة نخلة ، ثم جاء إلى الحائط ، فقال : يا أم الدحداح اخرجي من الحائط ، فقد أقرضته ربي ^(١) . وفي بعض النسخ : فعمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم ، وتنفض ما في أكمامهم ، فقال النبي ﷺ : « كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح » وفي معنى القرض الحسن ستة أقوال . أحدها : أنه الخالص لله ، قاله الضحاك ، والثاني : أن يخرج عن طيب نفس ، قاله مقاتل ، والثالث : أن يكون حلالا . قاله ابن المبارك ، والرابع : أن يحتسب عند الله ثوابه ، والخامس : أن لا يتبعه منا ولا أذى ، والسادس : أن يكون من خيار المال .

قوله تعالى : (فيضاعفنه) قرأ أبو عمرو فيضاعفه بألف مع رفع الفاء ، كذلك في جميع القرآن ، إلا في سورة الأحزاب (يضعف لها العذاب ضعفين) وقرأ نافع ، وحزرة ، والكسائي ، جميع ذلك بالألف مع رفع الفاء ، وقرأ ابن كثير (فيضعفه) برفع الفاء من غير ألف في جميع القرآن ، وقرأ ابن عامر (فيضعفه) بغير ألف مشددة في جميع القرآن ، ووافقه عاصم على نصب الفاء في « فيضاعفه » إلا أنه أثبت الألف في جميع القرآن . قال أبو علي : للرفع وجهان . أحدهما : أن يعطفه على ما في الصلة ، وهو يقرض ، والثاني : أن يستأنفه ، ومن نصب حمل الكلام على المعنى ، لأن المعنى : أيكون قرض ؟ فحمل عليه « فيضاعفه » وقال : ومعنى ضاعف وضعف : واحد ، والمضاعفة : الزيادة على الشيء .

(١) رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ج ٦ / ٣٢١ وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات . ثم ذكره أيضاً ج ٩ / ٣٢٤ . وقال : رواه أبو يعلى ، والطبراني ، ورجلها ثقات ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

حتى يصير مثلين أو أكثر . وفي الأضفاف الكثيرة قولان . أحدهما : أنها لا يحصى عددها ، قاله ابن عباس والسدي . وروى أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة أنه قال : إن الله يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة . وقرأ هذه الآية ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » ^(١) . والثاني : أنها معلومة المقدار ، فالدرهم بسبعائة ، كما ذكر في الآية التي بعدها ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : (والله يقبض ويبسط) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحزمة ، والكسائي « يبسط » و « بسطة » بالسين ، وقرأهما نافع بالصاد . وفي معنى الكلام قولان . أحدهما : أن معناه : يقتر على من يشاء في الرزق ، ويبسطه على من يشاء ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وابن زيد . والثاني : يقبض يد من يشاء عن الاتفاق في سبيله ، ويبسط يد من يشاء بالاتفاق ، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين .

﴿ ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين ﴾

قوله تعالى : (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل) قال الفراء : الملائكة : الرجال في كل

(١) رواه أحمد في « المسند » من طريق مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان النهدي . وعلي بن زيد ، ضعفه غير واحد . والحديث حسن . وقد قال الشيخ أحمد شاكر : رواه ابن أبي حاتم عن أبي خلاد سليمان بن خلاد المؤدب عن محمد الرفاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي ، وزياد بن الجصاص ، ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » فلم يذكر فيه جرحاً ، وهذا أمانة توثيقه عنده ، ثم لم يذكره في الضعفاء ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال : ربما وهم . وهذا الحديث لم ينفرده به كما ترى ، فقد رواه كما رواه علي بن زيد بن جدعان بنحوه ، فارتفعت شبهة الخطأ والوهم ، وصح الحديث من الوجهين ، والحمد لله .

القرآن لا يكون فيهم امرأة، وكذلك القوم والنفر والرهط . وقال الزجاج : الملاءم الوجوه، وذوو الرأي، وإنما سموا ملاءمًا، لأنهم مليئون بما يحتاج إليه منهم . وفي نبيهم ثلاثة أقوال . أحدها : أنه شمويل ، قاله ابن عباس ، ووهب . والثاني : أنه يوشع بن نون ، قاله قتادة . والثالث : أنه نبي ، يقال له : سمعون بالسين المهملة ^(١) ، سمته أمه . بذلك ، لأنها دعت الله أن يرزقها غلامًا ، فسُمع دعاؤها فيه ، فسمته ، هذا قول السدي .

وسبب سؤالهم ملكًا أن عدوهم غلب عليهم .

قوله تعالى : (نقاتل) قراءة الجمهور بالنون والجزم ، وقرأ ابن أبي عجلة بالياء والرفع ، كناية عن الملك .

قوله تعالى : (هل عسيتم) قراءة الجمهور بفتح السين ، وقرأ نافع بكسرها هاهنا ، وفي سورة «محمد» وهي لغتان .

قوله تعالى : (إن كتب عليكم القتال) أي : فرض (ألا تقاتلوا) أي : لعلكم تحبسون .

قوله تعالى : (وقد أخرجنا من ديارنا) يعنون : أخرج بعضنا ، وهم الذين سبوا منهم وقهروا ، فظاھر العموم ، ومعناه الخصوص .

قوله تعالى : (تولوا) أي : أعرضوا عن الجهاد . (إلا قليلًا) وهم الذين عبروا النهر ، وسيأتي ذكرهم .

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ماسكًا قالوا أنَّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾

(١) قال ابن كثير : والسين تصير شينًا بالبرانية .

قوله تعالى : (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) ذكر أهل التفسير أن نبي بني إسرائيل سأل الله أن يبعث لهم ملكاً ، فأتى بعضاً وقرن فيه دهن ، وقيل له : إن صاحبكم الذي يكون ملكاً يكون طوله طول هذه العصا ، و متى دخل عليك رجل ، فنشق الدهن ، فهو الملك ، فادهن به رأسه ، وملكه على بني إسرائيل ، فقاس القوم أنفسهم بالعصا ، فلم يكونوا على مقدارها . قال عكرمة ، والسدي : كان طالوت سقاءً يسقي على حمار له ، فضل سحاره ، فخرج يطلبه . وقال وهب : بل كان دباغاً يعمل الأدم ، فضلت حمراً لأبيه ، فأرسل مع غلام له في طلبها ، فمات شمويل النبي ﷺ ، فدخلوا ليسألاه عن ضالتهما ، فنشق الدهن ، فقام شمويل ، فقاس طالوت بالعصا ، وكان على مقدارها ، فذهنه ، ثم قال له : أنت ملك بني إسرائيل ، فقال طالوت : أما علمت أن وسطي أدنى أسباط بني إسرائيل ، وبيتي أدنى يوتهم ؟ قال : بلى . قال : فبأية آية ؟ قال : بأية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمراه ، فكان كما قال .

قال الزجاج : طالوت ، وجالوت ، وداود ، لانصرف ، لأنها أسماء أعجمية ، وهي معارف ، فاجتمع فيها التعريف والمجعة .

ومعنى قوله تعالى : (أنى له الملك) من أي جهة يكون له الملك علينا . قال ابن عباس : إنما قالوا ذلك ، لأنه كان في بني إسرائيل سبطان ، في أحدهما النبوة ، وفي الآخر الملك ، فلم يكن هو من أحد السبطين . قال قتادة . كانت النبوة في سبط لاوي ، والملك في سبط يهوذا .

قوله تعالى : (ولم يؤت سعة من المال) أي : لم يؤت ما يملك به الملك . (قال إن الله اصطفاه عليكم) أي : اختاره ، وهو « اقمعل » من الصفوة . والبسطة : السعة ، قال ابن قتيبة : هو من قولك : بسطت الشيء : إذا كان مجموعاً ، ووسعته . قال ابن عباس : كان

طالوت أهل بني إسرائيل بالحرب ، وكان يفوق الناس بمنكبيه وعقه ورأسه . وهل كانت هذه الزيادة قبل الملك ، أم أحدثت له بعد الملك ؟ فيه قولان . أحدهما : قبل الملك ، قاله وهب ، والسدي . والثاني : بعد الملك ، قاله ابن زيد . والمراد بتعظيم الجسم ، فضل القوة ، إذ العادة أن من كان أعظم جسماً ، كان أكثر قوة والواسع : الغني .

﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةٌ من ربكم وبقيّة مما ترك آله موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾

قوله تعالى : (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه) الآية : العلامة ، فمعناه : علامة تخليك الله إياه (أن يأتيكم التابوت) وهذا من مجاز الكلام ، لأن التابوت يؤتى به ، ولا يأتي ، ومثله : (فإذا عزم الأمر) وإنما جاز مثل هذا ، لزوال اللبس فيه ، كما بينا في قوله تعالى : (فأرجمت تجارتهم) البقرة : ١٦ . وروي عن ابن مسعود ، وابن عباس : أنهم قالوا لنبيهم : إن كنت صادقاً ، فأتنا بآية تدل على أنه ملك ، فقال لهم ذلك . وقال وهب : خيرهم ، أي آية يريدون ، فقالوا : أن يرد علينا التابوت . قال ابن عباس : كان التابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذهب ، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً ، قدموه بين أيديهم يستنصرون به ، وفيه السكينة . وقال وهب بن منبه : كان نحواً من ثلاث أذرع في ذراعين . قال مقاتل : فلما تفرقت بنو إسرائيل ، وعصوا الأنبياء ، سلط الله عليهم عدوهم ، فغلبوهم عليه . وفي السكينة سبعة أقوال . أحدها : أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان ، رواه أبو الأحوص عن علي رضي الله عنه . والثاني : أنها دابة بمقدار الهر ، لها عينان لها شعاع ، وكانوا إذا التقى الجمعان ، أخرجت يدها ، ونظرت إليهم ، فيهزم الجيش من الرعب . رواه الضحاك عن ابن عباس . وقال مجاهد : السكينة لها رأس كراس الهرّة ، وخنجان . والثالث : أنها طست من ذهب [من الجنة] تنسل فيه قلوب الأنبياء . رواه أبو مالك عن

ابن عباس . والرابع : أنها روح من الله تتكلم ، كانوا إذا اختلفوا في شيء ، كلمتهم وأخبرتهم ببيان ما يريدون ، رواه عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه . والخامس : أن السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها ، رواه ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح ، وذهب إلى نحوه الزجاج ، فقال : السكينة : من السكون ، فعناه : فيه ما تسكنون إليه إذا أناكم . والسادس : أن السكينة معناها هاهنا : الوقار ، رواه معمر عن قتادة . والسابع : أن السكينة : الرحمة . قاله الربيع بن أنس ^(١) .

وفي البقية سمعة أقوال . أحدها : أنها راضض الألواح التي تكسرت حين ألقاها موسى وعصاه ، قاله ابن عباس ، وقاتدة ، والسدي . والثاني : أنها راضض الألواح . قاله عكرمة ، ولم يذكر العصا . وقيل : إنما اتخذ موسى التابوت ليجمع راضض الألواح فيه . والثالث : أنها عصا موسى ، والسكينة ، قاله وهب . والرابع : عصا موسى ، وعصا هارون ، وثيابهما ، ولوحان من التوراة ، والمن ، قاله أبو صالح . والخامس : أن البقية ، العلم والتوراة ، قاله مجاهد ، وعطاء بن أبي رباح . والسادس : أنها راضض الألواح ، وقفيز من من في طست من ذهب ، وعصا موسى وعمامته ، قاله مقاتل . والسابع : أنه قفيز من من راضض

(١) قال ابن جرير الطبري : فأولى هذه الأقوال بالحق في معنى السكينة ، ما قاله عطاء بن أبي رباح ، أنها الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها . وقال ابن عطية : والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى . وقال الشوكاني رحمه الله في تفسيره : وأقول : هذه التفسيرات المتناقضة كلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقفاهم الله ، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين رضي الله عنهم ، والنشكيك عليهم ، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً ، وتارة جماداً ، وتارة شيئاً لا يقبل ، كقول مجاهد : كبشة الريح ، لها وجه كبوجه الهر ، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر . وهكذا اكل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على مالا يقبل في الغالب ، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفسيرات المتناقضة مروياً عن النبي ﷺ ، ولا رأياً رآه قائله ، فهم أجل قدراً من التفسير بالرأي ، وبما لا مجال للاجتهاد فيه . وإذا تقرر لك هذا ، عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لنة ، وهو معروف ، ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتصفة المتناقضة ، فقد جعل الله عنا سمة .

الألواح ، حكاه سفيان الثوري عن بعض العلماء . والثامن : أنها عصا موسى والنملان . ذكره الثوري أيضاً عن بعض أهل العلم . والتاسع : أن المراد بالبقية : الجهاد في سبيل الله ، وبذلك أمروا ، قاله الضحاك .

والمراد بآل موسى ، وآل هارون : موسى ، وهارون . وأنشد أبو عبيدة :

ولا تبك ميتاً بعد ميت أحبة عليّ وعباس وآل أبي بكر

يريد : أبا بكر نفسه .

قوله تعالى : (تحملة الملائكة) قرأ الجمهور : «تحملة» بالتاء ، وقرأ الحسن ، ومجاهد ، والأعمش بالياء . وفي المكان الذي حملته منه الملائكة إليهم قولان . أحدهما : أنه كان مرفوعاً مع الملائكة بين السماء والأرض ، منذ خرج عن بني إسرائيل ، قاله الحسن . والثاني : أنه كان في الأرض .

وفي أي مكان كان فيه قولان .

أحدهما : أنه كان في أيدي الممالة قد دفنوه ، قال ابن عباس : أخذ التابوت قوم جالوت ، فدفنوه في متبرز لهم ، فأخذهم الباسور فهلكوا ، ثم أخذه أهل مدينة أخرى ، فأخذهم بلاء ، فهلكوا ، ثم أخذه غيرهم كذلك ، حتى هلكت خمس مدائن ، فأخرجوه على بقرتين ، ووجهوها إلى بني إسرائيل ، فساقتها الملائكة .

والثاني : أنه كان في برية التيه ، خلفه فيها يوشع ، ولم يعلموا بمكانه حتى جاءت به الملائكة ، قاله قتادة .

وفي كيفية مجيء الملائكة به قولان .

أحدهما : أنها جاءت به بأنفسها ، قال وهب : قالوا النبيهم : اجعل لنا وقتاً يأتينا فيه ،

فقال: الصبح، فلم يناموا لياتهم، ووافت به الملائكة مع الفجر، فسمعوا حفيف الملائكة تحمله بين السماء والأرض.

والثاني: أن الملائكة جاءت به على عجلة وثورين، ذكر عن وهب أيضاً. فلي القول الأول: يكون معنى تحمله: نقله. وعلى الثاني: يكون معنى حملها إياه: تسبيها في حمله، قال الزجاج: ويجوز في اللغة أن يقال: حملت الشيء إذا كنت سبباً في حمله.

قوله تعالى: (إن في ذلك لآية لكم) أي: علامة تدل على تمليك طالوت. قال المفسرون: فلما جاءهم التابوت وأقرؤا له بالملك، تأهب للخروج، فأسرعوا في طاعته، وخرجوا معه، فذلك قوله تعالى.

﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفةً بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾

قوله تعالى: (فلما فصل طالوت بالجنود) أي: خرج وشخص. وفي عدد من خرج معه ثلاثة أقوال. أحدها: سبعون ألفاً، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون ألفاً، قاله عكرمة والسدي. والثالث: مائة ألف، قاله مقاتل. قال: وساروا في حر شديد، فابتلاه الله بالنهر. والابتلاء: الاختبار. وفي النهر لفتان. إحداها: تحريك الباء، وهي قراءة الجمهور، والثاني: تسكينها، وبها قرأ الحسن ومجاهد، وفي هذا النهر قولان. أحدهما: أنه نهر فلسطين قاله ابن عباس والسدي، والثاني: نهر بين الأردن وفلسطين، قاله عكرمة، وقتادة، والريعي ابن أنس. ووجه الحكمة في ابتلائهم به أن يعلم طالوت من له نية في القتال منهم، ومن ليس له نية.

قوله تعالى : (ليس مني) أي ليس من أصحابي .

قوله تعالى : (إلا من اغترف غرفةً) قرأ ابن كثير ونافع ، وأبو عمرو ، «غرفة» بفتح الغين ، وقرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحزة ، والكسائي بضمها ، قال الزجاج : من فتح الغين ، أراد المرة الواحدة باليد ، ومن ضمها ، أراد ملء اليد . وزعم مقاتل أن الغرفة كان يشرب منها الرجل ، ودابته ، وخدمه ويملاً قربته . وقال بعض المفسرين : لم يرد به غرفة الكف ، وإنما أراد المرة الواحدة بقربة أو جرة ، أو ما أشبه ذلك . وفي عدد القليل الذين لم يشربوا إلا غرفة قولان . أحدهما : أنهم أربعة آلاف ، قاله عكرمة والسدي . والثاني : ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وهو الصحيح ، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه يوم بدر « أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت » وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً^(١) .

قوله تعالى : (لا طاقة لنا) أي : لا قوة لنا ، قال الزجاج : أطق الشئ : إطاقته وطاقته ، وطوقاً ، مثل قولك : أطقته إطاعة وطاعة وطوعاً . واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوال أحدها : أنهم الذين شربوا أكثر من غرفة ، فانهم انصرفوا ، ولم يشهدوا ، وكانوا أهل شك ونفاق ، قاله ابن عباس ، والسدي . والثاني : أنهم الذين قتل بصائرهم من المؤمنين ، قاله الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . والثالث : أنه قول الذين جاوزوا معه ، وإنما قال ذلك بعضهم لبعض ، لما رأوا من قتلهم ، وهذا اختيار الزجاج .

قوله تعالى : (قال الذين يظنون) في هذا الظن قولان . أحدهما : أنه بمعنى اليقين ، قاله السدي في آخرين . والثاني : أنه الظن الذي هو التردد ، فإن القوم توهموا لقلّة عددهم

(١) رواه ابن جرير عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر ، فذكره . وأخرج أحمد والبخاري وغيره عن البراء بن عازب قال : كنا أصحاب محمد يتحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر - ولم يجاوز معه إلا مؤمن - بضمة عشر وثلاثمائة .

أنهم سيقتلون فيلقون الله ، قاله الزجاج في آخرين . وفي الظانين هذا الظن قولان . أحدهما : أنهم الثلاثمائة والثلاثة عشر ، قالوا للراجعين : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ، قاله السدي . والثاني : أنهم أولو العزم والفضل من الثلاثمائة والثلاثة عشر . والفئة : الفرقة ، قال الزجاج : وإنما قيل لهم : فئة من قولهم : فأوت رأسه بالعصا ، وفأيته : إذا شققته .

قوله تعالى : (باذن الله) قال الحسن : بنصر الله .

قوله تعالى : (والله مع الصابرين) أي بالنصر والاعانة .

﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾

قوله تعالى : (ولما برزوا) أي : صاروا بالبراز من الأرض ، وهو ما ظهر واستوى . و (أفرغ) بمعنى اصعب (وثبت أقدامنا) أي : قوّ قلوبنا لتثبيت أقدامنا ، وإنما ثبتت الأقدام عند قوة القلوب . قال مقاتل : كان جالوت وجنوده يعبدون الأوثان .

﴿ فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾

قوله تعالى : (فهزموهم) أي : كسروهم وردوهم ، قال الزجاج : أضل الهزم في اللغة : كسر الشيء ، وثني بعضه على بعض ، يقال : سقاء منهزم [ومهزم] إذا كان بعضه قد ثني على بعض مع جفاف ، وقصب منهزم : قد كسر وشقق ، والعرب تقول : هزمت على زيد ، أي : عطفت عليه .

قال الشاعر :

هزمت عليك اليوم يا ابنة مالك فجودي علينا بالنوال الوائمي^(١)

(١) البيت نسب في «اللسان» لابي بدر السلي .

ويقال : سمعت هزيمة الرعد ، قال الأصمعي : كأنه صوت فيه تشقق .

وداود : هو نبي الله أبو سليمان ، وهو اسم أعجمي ، وقيل : إن إخوة داود كانوا مع طالوت ، فمضى داود لينظر إليهم ، فنادته أحجار : خذي ، فأخذها ، وجاء إلى طالوت ، فقال : مالي إن قتلت جالوت ، فقال : ثلث ملكي ، وأنكحك ابنتي ، فقتل جالوت .

قوله تعالى : (وآتاه الله الملك) يعني آتى داود ملك طالوت . وفي المراتب « الحكمة » هاهنا قولان . أحدهما : أنها النبوة ، قاله ابن عباس . والثاني : الزبور ، قاله مقاتل . قوله تعالى : (وعلمه مما يشاء) فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أنها صنعة الدروع ، والثاني : الزبور ، والثالث : منطق الطير .

قوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) قرأ الجمهور (دفع الله) بغير ألف هاهنا ، وفي « الحج » وقرأ نافع ، ويعقوب ، وأبان (ولولا دفاع) بألف فيهما . قال أبو علي : المعنيان متقاربان ، قال الشاعر :

ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تدفع^(١)

وفي معنى الكلام قولان . أحدهما : أن معناه : لولا أن الله يدفع بمن أطيعه عمن عصاه ، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت بمن أطيعه ، هلك المصاة بسرعة العقوبة ، قاله مجاهد . والثاني : أن معناه : لولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، لقلب المشركون على الأرض ، فقتلوا المسلمين ، وخرّبوا المساجد ، قاله مقاتل . ومعنى : (لفسدت الأرض) هلك أهلها . ﴿ تلك آيات الله تنلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين ﴾

قوله تعالى : (تلك آيات الله تنلوها عليك) أي : نقص عليك من أخبار المتقدمين .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وهو من قصيدة جيدة ، يرثي بها بنه الحمة الذين هلكوا بالطاعون .

(وإنك لمن المرسلين) حُكْمُكَ حَكْمُهُمْ ، فمن صدقك ، فسيبيله سبيل من صدقهم ، ومن عصاك ، فسيبيله سبيل من عصاهم .

الجزء الثالث ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾ ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما قتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما قتلوا ولكن الله يفعل ما يريد .

قوله تعالى : (منهم من كلم الله) يعني : موسى عليه السلام . وقرأ أبو المتوكل ، وأبو نبيك ، وابن السمين : منهم من كلم الله بألف خفيفة اللام ، ونصب اسم «الله» . وفي المراد بقوله : (ورفع بعضهم درجات) قولان . أحدهما : غنى بالرفوع درجات ، محمدًا ﷺ ، فانه بعث إلى الناس كافة ، وغيره بعث إلى أمته خاصة ، هذا قول مجاهد . والثاني : أنه غنى تفضيل بعضهم على بعض فيما آناه الله ، هذا قول مقاتل . قال ابن جرير الطبري : والدرجات : جمع درجة ، وهي المرتبة ، وأصل ذلك : مراقي السلم ودَرَجته ، ثم يستعمل في ارتفاع المنازل والمراتب . وقد تقدم تفسير «الينات» و«روح القدس» .

قوله تعالى : (ولو شاء الله ما قتل الذين من بعدهم) أي : من بعد الأنبياء . وقال قتادة : من بعد موسى وعيسى عليهما السلام . قال مقاتل : وكان بينهما ألف نبي .

قوله تعالى : (ولكن اختلفوا) يعني : الأُمم .

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) هذه الآية تحث على الصدقات ، والإنفاق في وجوه الطاعات . وقال الحسن : أراد الزكاة المفروضة .

قوله تعالى: (من قبل أن يأتي يوم) يعني، يوم القيامة (لا بيع فيه) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعَة) بالنصب من غير تنوين، ومثله في «إبراهيم» (لا بيع فيه) وفي الطور (لا نفو فيها ولا تأثيم) وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، جميع ذلك بالرفع والتنوين. قال ابن عباس: لا فدية فيه، وقيل: إنما ذكر لفظ البيع لما فيه من المعاضة، وأخذ البذل. والخلة: الصداقة. وقيل: إنما نفي هذه الأشياء، لأنه غنى عن الكافرين، وهذه الأشياء لا تنفعهم، ولهذا قال: (والكافرون هم الظالمون). ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾

قوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) روى مسلم في «صحيحه» عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال له: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم). قال: فضرب صدري، وقال: «لبيك العلم يا أبا المنذر»^(١) قال: أبو عبيدة: القيوم: الذي لا يزول، لاستقامة وصفه بالوجود، حتى لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه. وقال الزجاج: القيوم: القائم بتدبير أمر الخلق. وقال الخطابي: القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، وزنه: «فيعول» من القيام، وهو نعت للمبالغة للقيام على الشيء، ويقال: هو القائم على كل شيء بالرعاية، يقال: قمت بالشيء: إذا وليته بالرعاية والمصاحبة. وفي «القيوم» ثلاث لغات القيوم، وبه قرأ الجمهور، والقيام، وبه قرأ عمر بن الخطاب، وابن

(١) ورواه الامام أحمد، ونظفه عند مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) قال: فضرب في صدري وقال: «والله لبيك العلم يا المنذر، معنى «لبيك العلم»: ليكون العلم هتيتاً لك».

مسمود، وابن أبي عجلة، والأعمش. والقيم، وبه قرأ أبو رزين، وعلقمة. وذكر ابن الأنباري أنه كذلك في مصحف ابن مسمود، قال: وأصل القيوم: القيوم: فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن، جعلتا ياء مشددة. وأصل القيام: القوام، قال الفراء: وأهل الحجاز يصرفون الفعل [إلى] الفيعال، فيقولون للصواغ: صياغ. فأما «السنة» فهي: التماس من غير نوم، ومنه: الوسنان. قال ابن الرقاع:

وكانها بين النساء أعارها عينية أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده الناس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم^(١)

قوله تعالى: (له ما في السموات وما في الأرض) قال بعض العلماء: إنما لم يقل: والأرضين، لأنه قد سبق ذكر الجمع في السموات، فاستغنى بذلك عن إعادته، ومثله (وجعل الظلمات والنور) ولم يقل: الأنوار.

قوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) فيه رد على من قال: ما نبيهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (الزمر: ٣).

قوله تعالى: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ظاهر الكلام يقتضي الإشارة إلى جميع الخلق، وقال مقاتل: المراد بهم الملائكة. وفي المراد (بما بين أيديهم وما خلفهم) ثلاثة أقوال. أحدها: أن الذي بين أيديهم أمر الآخرة، والذي خلفهم أمر الدنيا، روي عن ابن عباس، وقتادة. والثاني: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، قاله السدي عن أشياخه، ومجاهد، وابن جريج، والحكم بن عتيبة. والثالث: ما بين أيديهم: ما قبل خلقهم، وما خلفهم: ما بعد خلقهم، قاله مقاتل.

(١) الجاذر: بقر الوحش، وهي حسان الميول. جاسم: موضع تكثر فيه الجاذر. الوسن: نقل النوم وتجمعه. أقصده الناس: قتله الناس وأماته. رنقت: خالطت عينه. السنة: النوم الخفيف.

قوله تعالى : (ولا يحيطون بشيء) قال الليث : يقال لكل من أحرز شيئاً ، أو بلغ علمه أقصاه : قد أحاط به . والمراد بالعلم هاهنا المعلوم (وسع كرسيه) أي : احتمل وأطاق . وفي المراد بالكرسي ثلاثة أقوال . أحدها : أنه كرسي فوق السماء السابعة دون العرش ، قال النبي ﷺ « ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة »^(١) وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء . والثاني : أن المراد بالكرسي علم الله تعالى . رواه ابن جبير عن ابن عباس^(٢) . والثالث : أن الكرسي هو العرش ، قاله الحسن^(٣) .

قوله تعالى : (ولا يؤوده) أي : لا يشغله ، يقال : آده الشيء يؤوده أوداً وإياداً . والأود : الثقل ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والجماعة . والعلي : العالي القاهر ، « فاعل » بمعنى « فاعل » . وقال الخطابي : وقد يكون من الملأ الذي هو مصدر : علا يعلو ، فهو عال ، كقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ . ويكون ذلك من علاء المجد والشرف ، يقال منه : علي يعلو علاءاً . ومعنى العظيم : ذو العظمة والجلال ، والعظم في حقه تعالى ، منصرف إلى عظم الشأن ، وجلال القدر ، دون العظم الذي هو من نعمت الأجسام .

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾

(١) رواه ابن مردويه وابن جرير الطبري ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » . وقال البيهقي بسند روايته : تفرد به يحيى بن سعيد السعدي . وهو منكر الحديث ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد كما قال القادمن الحديثين .

وقد ساق البيهقي شاهدآله ، وفي إسناد إبراهيم بن هشام ، كذبه أبو زرعة وأبو حاتم ، ووصفه الذهبي بأنه أحد المتروكين ، ولم يصب ابن حبان في توثيقه . فليس يتقوى الحديث بهذا الشاهد .

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر : هي رواية شاذة لا يقوم عليها دليل من كلام العرب . ولذلك رجح أبو منصور الأزهري الرواية الصحيحة عن ابن عباس التي تقول : إن الكرسي موضع القدمين ، وقال : وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها ، ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم ، فقد أبطل .

(٣) رواه ابن جرير ، وفي « مسنده » جويبر بن سعيد الأزدي ، وهو ضعيف جداً .

قوله تعالى : (لا إكراه في الدين) في سبب نزولها أربعة أقوال . أحدها : أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يمش لها ولد ، تحلف : لئن عاش لها ولد انتهو دته . فلما أجليت يهود بني النضير ، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار . فقال الأنصار : يا رسول الله أبناءنا ، فنزلت هذه الآية . هذا قول ابن عباس ^(١) . وقال الشعبي : قالت الأنصار : والله لنكرهن أولادنا على الإسلام ، فإنا إنما جعلناهم في دين اليهود إذ لم نعلم ديناً أفضل منه ، فنزلت هذه الآية . والثاني : أن رجلاً من الأنصار تنصّر له ولدان قبل أن يبعث النبي ﷺ ، ثم قدما المدينة ، فلزمهما أبوهما ، وقال : والله لا أدعكما حتى تسلما ، فأيا ، فاختصموا إلى النبي ﷺ ، فنزلت هذه الآية . هذا قول مسروق . والثالث : أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود ، فلما أجلي رسول الله ﷺ بني النضير ، قالوا : والله لنذهبن معهم ، ولندين بدينهم ، فمنعهم أهلوههم ، وأرادوا إكراههم على الإسلام ، فنزلت هذه الآية . والرابع : أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح ، كان يكرهه على الإسلام ، فنزلت هذه الآية ، والقولان عن مجاهد .

﴿ فصل ﴾

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية ، فذهب قوم إلى أنه محكم ، وأنه من العام المخصوص ، فانه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام ، بل يختارون بينه وبين أداء الجزية ، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ^(٢) .

(١) أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي في « السنن » وابن حبان وابن أبي حاتم ، والضياء في « المختارة » عن ابن عباس ، ولفظه عند أبي داود : عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقلاتاً ، فنجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّد ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا ، فأزل الله عز وجل : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . والمقلات : المرأة التي لا يمش لها ولد .

(٢) ورجحه ابن جرير الطبري في « تفسيره » .

وقال ابن الأنباري : معنى الآية : ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه عليه ، ولم يشهد به القلب ، وتنطوي عليه الضمائر ، إنما الدين هو المنعقد بالقلب . وذهب قوم إلى أنه منسوخ ، وقالوا : هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال ، فعلى قولهم ، يكون منسوخاً بآية السيف ، وهذا مذهب الضحّاك ، والسدي ، وابن زيد . والدين هاهنا : أريد به الإسلام . والرشد : الحق ، والنبي : الباطل . وقيل : هو الإيمان والكفر . فأما الطاغوت ؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، قال ابن قتيبة : الطاغوت واحد ، وجمع ، ومذكر ، ومؤنث . قال الله تعالى : (أولياؤهم الطاغوت) وقال : (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) الزمر : ١٧ والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال . أحدها : أنه الشيطان ، قاله عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، والشعي ، والسدي ، ومقاتل في آخرين . والثاني : أنه الكاهن ، قاله سعيد بن جبير ، وأبو العالية . والثالث : أنه الساحر ، قاله محمد بن سيرين . والرابع : أنه الأصنام ، قاله الزبيدي ، والزجاج . والخامس : أنه مردة أهل الكتاب ، ذكره الزجاج أيضاً . قوله تعالى : (فقد استمسك بالعروة الوثقى) هذا مثل للإيمان ، شبه التمسك به بالتمسك بالعروة الوثيقة . وقال الزجاج : معنى الكلام : فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً . والافتصام : كسر الشيء من غير إيانة .

﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

قوله تعالى : (الله ولي الذين آمنوا) أي : متولي أمورهم ، يهديهم ، وينصرهم ، ويعينهم . والظلمات : الضلالة ، والنور : الهدى ، والطاغوت : الشياطين ، هذا قول ابن عباس ، وعكرمة في آخرين . وقال مقاتل : الذين كفروا : هم اليهود ، والطاغوت : كعب بن

الأشرف . قال الزجاج : والطاغوت هاهنا : واحد في معنى جماعة ، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة . قال الشاعر :

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيفيض وأما جلدها فصليب^(١)

أراد جلودها ، فإن قيل : متى كان المؤمنون في ظلمة ؟ ومتى كان الكفار في نور ؟ فعنه ثلاثة أجوبة . أحدها : أن عصمة الله للمؤمنين عن مواقة الضلال ، إخراج لهم من ظلام الكفر ، وتزوين قرناء الكفار لهم الباطل الذي يحيدون به عن الهدى ، إخراج لهم من نور الهدى ، و «الإخراج» مستعار هاهنا . وقد يقال للممتنع من الشيء : خرج منه ، وإن لم يكن دخل فيه . قال تعالى : (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) يوسف : ٣٧ وقال : (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) النحل : ٧٠ . وقد سبقت شواهد هذا في قوله تعالى : (وإلى الله ترجع الأمور) البقرة : ٢١٠ والثاني : أن إيمان أهل الكتاب بالنبي قبل أن يظهر نور لهم ، وكفرهم به بعد أن ظهر ، خروج إلى الظلمات . والثالث : أنه لما ظهرت معجزات رسول الله ﷺ ، كان المخالف له خارجاً من نور قد علمه ، والموافق له خارجاً من ظلمات الجهل إلى نور العلم . ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتية الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾

قوله تعالى : (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) قد سبق معنى « ألم تر » . وحاج : بمعنى خاصم ، وهو عمروذ في قول الجماعة . قال ابن عباس : ملك الأرض شرقها وغربها ؛

(١) البيت للمقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس ، من قصيدة مفضلية جيدة قالها يمدح الحارث بن جبلة ابن أبي شمر النسائي . الحسرى : الابل الملية يتركها أصحابها فتמות . الصليب : الجلد اليابس . وقوله : عظامها فيفيض . كفى بذلك عن استخراج ما فيها من الودك . فصليب : يريد : وأما جلودها فذوات صليب ، وهو الصديد يسيل من الموتى ، والاصل فيه صليب العظام ، وهو ودكها .

مؤمنان، وكافران؛ فالؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين . والكافران : عمروذ، ومختنصر .
قال ابن قتيبة : معنى الآية : حاج إبراهيم ، لأن الله آتاه الملك ، فأعجب بنفسه [وملكه] .

قوله تعالى : (إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت) قال بعضهم : هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، تقديره : أنه قال له : من ربك ؟ فقال : ربي الذي يحيي ويميت . قال عمروذ : أنا أحيي وأميت . قال ابن عباس : يقول : أترك من شئت ، وأقتل من شئت . فان قيل : لم انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى ، وعدل عن نصرته الأولى ؟ فالجواب : أن إبراهيم رأى من فساد معارضته أمراً يدل على ضعف فهمه ، فانه عارض اللفظ بعنقه ، وتسلي اختلاف الفعلين ، فانتقل إلى حجة أخرى ، قصداً لقطع المحاج ، لا عجزاً عن نصرته الأولى .

قوله تعالى : (فهبت الذي كفر) أي : انقطعت حجته ، فتحير ، وقرأ أبو رزين العقيلي ، وابن السمين : فهبت ، بفتح الباء والهاء . وقرأ أبو الجوزاء ، ويحيى بن يعمر ، وأبو حيوة : فهبت ، بفتح الباء ، وضم الهاء . قال الكسائي : ومن العرب من يقول : هبت ، وهبت ، بكسر الهاء وضمها (والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني : الكافرين . قال مقاتل : لا يهديهم إلى الحجة ، وعنى بذلك عمروذ .

﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى سمارك ولنجمك آية للناس وانظر إلى المظالم كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما نبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى : (أو كالذي مر على قرية) قال الزجاج : هذا معطوف على معنى الكلام الذي قبله ، معناه : رأيت كالذي حاج إبراهيم ، أو كالذي مر على قرية . وفي المراد بالقرية قولان . أحدهما : أنها بيت المقدس لما خربه بمختنصر ، قاله وهب ، وقادة ، والريبع بن

أنس . والثاني : أنها التي خرج منها الألو ف حذر الموت ، قاله ابن زيد : وفي الذي مر عليها ثلاثة أقوال . أحدها : أنه عزير ، قاله علي بن أبي طالب ، وأبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، وناجية بن كعب ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، ومقاتل . والثاني : أنه أومياء ، قاله وهب ، ومجاهد ، وعبد الله بن عبيد بن عمير . والثالث : أنه رجل كافر شك في البعث ، نقل عن مجاهد أيضاً . والخاوية : الخالية ، قاله الزجاج . وقال ابن قتيبة : الخاوية : الخراب ، والعروش : السقوف ، وأصل ذلك أن تسقط السقوف ، ثم تسقط الحيطان عليها (قال أنى يحيي هذه الله) أي : كيف يحييها . فان قلنا : إن هذا الرجل نبي ، فهو كلام من يؤثر أن يرى كيفية الإعادة ، أو يستهولها ، فيعظم قدرة الله ، وإن قلنا : إنه كان رجلاً كافراً ، فهو كلام شك ، والأول أصح .

قوله تعالى : (فأمانه الله مائة عام ، ثم بعثه) .

الإشارة الى قصته

روى ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه قال : خرج عزير نبي الله من مدينته ، وهو رجل شاب ، فر على قرية ، وهي خاوية على عروشها ، فقال : أنى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأمانه الله مائة عام ، ثم بعثه ، وأول ما خلق الله منه عيناه ، فجعل ينظر إلى عظامه ينظم بعضها إلى بعض ، ثم كسيت لحماً ، ونفخ فيها الروح . قال الحسن : قبضه الله أول النهار ، وبعثه الله آخر النهار بعد مائة سنة . قال مقاتل : ونودي من السماء : كم لبثت ؟ قال قتادة : فقال : لبثت يوماً ، ثم نظر فرأى بقية من الشمس ، فقال : أو بعض يوم . فهذا يدل على أنه عزير ، وقال وهب بن منبه : أقام أرميا بأرض مصر فأوحى الله إليه أن الحق بأرض إيلياء ^(١) ، فركب حماره ، وأخذ معه سلة من عنب وتين ، ومعه سقاء جديد ، فيه ماء ، فلما

(١) أي : بيت المقدس .

بداله شخص بيت المقدس وما حوله من القرى [والمساجد] نظر إلى خراب لا يوصف [فلما رأى هدم بيت المقدس كالجليل العظيم] قال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟ ثم نزل منها منزلاً، وربط حماله، [وعلق سقاه] فألقى الله عليه النوم، ونزع روحه مئة عام، فلما صر منها سبعون عاماً، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس، عظيم، فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك، فتعمر بيت المقدس وإبلياء وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت، [فقال الملك: أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل، ولما يصلحه من أداة العمل، فأنظره ثلاثة أيام] فأتت بثلاثة قهرمان، ودفع إلى كل قهرمان ألف عامل، وما يصلحه من أداة العمل [فسار إليها قهارمته ومعهم ثلاثة آلاف عامل] فلما وقعوا في العمل، رد الله روح الحياة في عيني أرميا، وآخر جسده ميت، فنظر إليها تعمر، فلما تمت بعد ثلاثين سنة؛ رد الله إليه الروح، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنه [ونظر إلى حماله واقفاً كهينته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب، ونظر إلى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة، وقد آتى على ذلك ربيع مائة عام، وبرد مائة عام، وحر مائة عام، لم تتغير ولم تنتقص شيئاً، وقد نحل جسم أرميا من البلى، فأثبت الله له لحماً جديداً، ونشز عظامه وهو ينظر، فقال له الله: انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولنجمك آية للناس، وانظر إلى المعظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير^(١). وزعم مقاتل أن هذه القصة كانت بعد رفع عيسى عليه السلام.

قوله تعالى (كم لبثت) قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم «لبثت» و«لبثم» في كل القرآن باظهار التاء، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي بالإدغام [لبثاً]^(٢)، قال أبو علي الفارسي: من بين «لبثت»، فلتبائن المخرجين، وذلك أن الظاء والذال والتاء من حيز،

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من الطبري.

(٢) أي: بادغام التاء في التاء.

والطاء والتاء والذال من حيز ، فلما تبين المخرجان ، واختلف الحيزان ، لم يدغم . ومن أدغمها أجراها مجرى المثلين ، لاتفاق الحرفين في أنها من طرف اللسان ، وأصول الثنايا ، واتفاقها في الهمس ورأى الذي بينهما من الاختلاف يسيراً ، فأجراها مجرى المثلين ^(١) . فأما طعامه وشرابه ، فقال وهب : كان معه مكنل فيه عنب وتين ، وثلة فيها ماء . وقال السدي : كان معه تين وعنب ، وشرابه من العصير ، لم يحمض التين والعنب ، ولم يحتر العصور .

قوله تعالى : (لم يتسنه) قرأ ابن كثير ، ونافع : وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : (يتسنه) و (اقتده) و (ما أغنى غني ماله) و (سلطانيه) و (وماهيه) بابتاء الهاء في الوصل . وكان حمزة يحذفن في الوصل ، ووافقه الكسائي في حذف موضعين (يتسنه) و (اقتده) وكلهم يقف على الهاء . ولم يختلفوا في (كتابيه) و (حسايه) أنها بالهاء وصلّاً ووقفاً . فأما معنى : (لم يتسنه) ، فقال ابن عباس ، والحسن ، وقناة في آخرين : لم يتغير . وقال ابن قتيبة : لم يتغير بحر السنين عليه ، واللفظ مأخوذ من السنّه ، يقال : سانهت النخلة : إذا حملت عاماً ، وحالت عاماً .

قوله تعالى (وانظر إلى حمارك) قال مقاتل : انظر إليه ، وقد ابيضت عظامه ، وتفرقت أوصاله ، فأعاده الله .

قوله تعالى : (ولنجعلك آية للناس) اللام صلة للفعل مضمر تقديره : فعلنا بك ذلك لنريك قدرتنا ، ولنجعلك آية للناس ، أي : علماً على قدرتنا ، فأضمر الفعل لبيان معناه . قال ابن عباس : مات وهو ابن أربعين سنة ، وابنه ابن عشرين سنة ، ثم بمث وهو ابن أربعين ، وابنه ابن عشرين ومائة ، ثم أقبل حتى أتى قومه في بيت المقدس ، فقال لهم : أنا عزيز ، فقالوا :

(١) قال النحاس : والاضمار أحسن لتبين مخرج التاء من مخرج التاء .

حدثنا آباؤنا أن عزيزاً مات بأرض بابل ، فقال لهم : أنا هو أرسلني الله إليكم أجدد لكم توراتكم ، وكانت قد ذهبت ، وليس منهم أحد يقرؤها ، فأملأها عليهم .

قوله تعالى : (وانظر إلى العظام) قيل : أراد عظام نفسه ، وقيل : عظام حماره ، وقيل : هما جميعاً .

قوله تعالى (كيف ننشزها) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو (ننشزها) بضم النون الأولى ، وكسر الشين وراء مضمومة . ومعناه : نحيطها ، يقال : أنشر الله الميت ، فنشره . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي : ننشزها ، بضم النون مع الزاي ، وهو من النشر الذي هو الارتفاع . والمعنى : نرفع بعضها إلى بعض للأحياء . وقرأ الأعمش : ننشزها ، بفتح النون ، ورفع الشين مع الزاي . وقرأ الحسن ، وأبان عن عاصم : ننشزها ، بفتح النون مع الواو ، كأنه من النشر عن الطي ، فكأن الموت طواها ، والإحياء نشرها .

قوله تعالى : (فلما تبين له) أي : بان له إحياء الموتى (قال أعلم) قرأ ابن كثير ، ونافع وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : « أعلم » مقطوعة الألف ، مضمومة الميم . والمعنى : قد علمت ما كنت أعلمه غيباً مشاهدة . وقرأ حمزة والكسائي بوصل الألف ، وسكون الميم على معنى الأمر ، والابتداء ، على قراءتهما بكسر الهمزة ، وظاهر الكلام أنه أمر من الله له . وقال أبو علي : نزل نفسه منزلة غيره ، فأمرها وخاطبها . وقرأ الجعفي عن أبي بكر ، قال : « أعلم » بكسر اللام على معنى الأمر بأعلام الغير .

❦ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم ❦

قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) في سبب سؤاله هذا أربعة أقوال . أحدها : أنه رأى ميتة تمزقها الهوام والسباع ، فسأل هذا السؤال ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، وابن جريج ، ومقاتل . وما الذي كانت هذه الميتة ؟ فيه ثلاثة أقوال . أحدها : كان رجلاً ميتاً ، قاله ابن عباس . والثاني : كان جيفة حمار ، قاله ابن جريج ، ومقاتل . والثالث : كان حوتاً ميتاً ، قاله ابن زيد . والثاني : أنه لما بشر بأخذ الله له خليلاً ، سأل هذا السؤال ليعلم صحة البشارة ، ذكره السدي عن ابن مسعود ، وابن عباس . وروي عن سعيد بن جبير أنه لما نشر بذلك ، قال : ما علامة ذلك ؟ قال : أن يجيب الله دعائك ، ويحيي الموتى بسؤالك ، فسأل هذا السؤال . والثالث : أنه سأل ذلك ليزيل عوارض الوسواس ، وهو قول عطاء ابن أبي رباح . والرابع : أنه لما نازعه عمرو في إحياء الموتى ، سأل ذلك ليرى ما أخبر به عن الله ، وهذا قول محمد بن اسحاق .

قوله تعالى : (أولم تؤمن) أي : أولست قد آمنت أني أحيي الموتى ؟ وقال ابن جبير : ألم توقن بالخلعة ؟

قوله تعالى : (بل ولكن ليطمئن قلبي) «اللام» متعلقة بفعل مضمر ، تقديره : ولكن سألتك ليطمئن ، أو أرني ليطمئن قلبي ، ثم في المعنى أربعة أقوال . أحدها : لأعلم أنك تحييني إذا دعوتك ، قاله ابن عباس . والثاني : ليزداد قلبي يقيناً ، قاله سعيد بن جبير . وقال الحسن : كان إبراهيم موقناً ، ولكن ليس الخبر كالميانة . والثالث : ليطمئن قلبي بالخلعة ، روي عن ابن جبير أيضاً . والرابع : أنه كان قلبه متعلقاً برؤية إحياء الموتى ، فأراد : ليطمئن قلبه بالنظر ، قاله ابن قتيبة . وقال غيره : كانت نفسه تائقة الى رؤية ذلك ، وطالب الشيء قلق إلى أن يظفر بطلبته ، يدل على أنه لم يسأل لشك ، أنه قال : (أرني كيف تحيي الموتى) وما قال : هل تحيي الموتى .

قوله تعالى : (فخذ أربعة من الطير) في الذي أخذ سبعة أقوال . أحدها : أنها الحمامة ، والديك ، والكركي ، والطاووس ، رواه عبد الله بن هبيرة عن ابن عباس . والثاني : أنها الطاووس ، والديك ، والدجاجة السندية ، والأوزة ، رواه الضحاك عن ابن عباس . وفي لفظ آخر ، رواه الضحاك مكان الدجاجة السندية الرأل ، وهو فرخ النعام . والثالث : أنها الشعابين ، وكانت قرباهم يومئذ ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والرابع : أنها الطاووس ، والنسر ، والغراب ، والديك ، نقل عن ابن عباس أيضاً . والخامس : أنها الديك ، والطاووس ، والغراب ، والحمام ، قاله عكرمة ، ومجاهد ، وعطاء وابن جريج ، وابن زيد . والسادس : أنها ديك ، وغراب ، وبط ، وطاووس ، رواه ليث عن مجاهد . والسابع : أنها الديك ، والبطة ، والغراب ، والحمامة ، قاله مقاتل . وقال عطاء الخراساني : أوحى الله إليه أن خذ بطة وغراباً أسود ، وحمامة بيضاء ، وديكاً أحمر .

قوله تعالى : (فصرهن إليك) قرأ الجمهور بضم الصاد ، والمعنى : أملهن إليك ، يقال : صرت الشيء فأنصار ، أي : أملتة فال ، وأنشدوا :

الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى جيراننا صور^(١)

فمعنى الكلام : اجمعين إليك . (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) فيه إضمار قطعمن . قال ابن قتيبة : أضمر « قطعمن » واكتفى بقوله : (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) عن قوله « قطعمن » ، لأنه يدل عليه ، وهذا كما تقول : خذ هذا الثوب ، واجعل على كل رمح عندك منه علماً . يريد : قطعه ، وافعل ذلك ، وقرأ أبو جعفر ، وحزمة ، وخلف ،

(١) لم يعرف قائله ، وهو في « اللسان » و « الخزانة » و « شرح شواهد المفتي » وبعد البيت :

وأنتي حوثماً يثني الهوى بصري من حوثماً سلكوا أدنو فأظنور

وهو من « الشواهد المستفيضة » .

والمفضل ، عن عاصم (فصرهن إليك) بكسر الصاد . قال اليزيدي : هما واحد ، وقال ابن قتيبة : الكسر والضم لغتان . قال الفراء : أكثر العرب على ضم الصاد ، وحدثني الكسائي أنه سمع بعض بني سليم يقول : صرته ، فأناأصيره . وروي عن ابن عباس ، ووهب ، وأبي مالك ، وأبي الأسود الدؤلي ، والسدي ، أن معنى المكسورة الصاد : قطمهن . وروي عن أبي عبيدة أنه قال : معناه بالضم : اجهمهن ، وبالكسر : قطمهن .

قوله تعالى : (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) قال الزجاج : معناه : اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً . وروي عوف عن الحسن قال : اذبحهن وتنقهن ، ثم قطمهن أعضاءً ، ثم خلط ينهن جميعاً ، ثم جزئها أربعة أجزاء ، وضع على كل جبل جزءاً . ثم تنحى عنهن ، فدعاهن ، فجعل يعدو كل عضو إلى صاحبه حتى استوبن كما كن ، ثم أثبتهن يسمين . وقال قتادة : أمسك رؤوسها بيده ، فجعل العظم يذهب إلى العظم ، والريشة إلى الريشة ، والبضعة إلى البضعة ، وهو يرى ذلك ، ثم دعاهن ، فأقبلن على أرجلهن يلقي لكل طائر رأسه . وفي عدد الجبال التي قسمن عليها قولان . أحدهما : أنه قسمهن على أربعة أجبل ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وفتادة . وروي عن ابن عباس قال : جعلهن أربعة أجزاء في أرباع الأرض ، كأنه يعني جهات الإنسان الأربع . والثاني : أنه قسمهن سبعة أجزاء على سبعة أجبل ، قاله ابن جريج ، والسدي .

قوله تعالى : (ثم ادعهن يأتينك سعيًا) قال ابن قتيبة : يقال : عدواً ، ويقال : مشياً على أرجلهن ، ولا يقال للطير إذاطار : سعى (واعلم أن الله عزير) أي : منيع لا يغلب ، (حكيم) فيما يدبر . ويزعم مقاتل أن هذه القصة جرت لإبراهيم بالشام قبل أن يكون له ولد ، وقبل نزول الصحف عليه ، وهو ابن خمس وسبعين سنة .

﴿ مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾

قوله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) حدثنا عن ثعلب أنه قال : إنما المثل — والله أعلم — للنفقة ، لا الرجال ، ولكن العرب إذا دل المعنى على ما يريدون ، حذفوا ، مثل قوله تعالى : (وأشربوا في قلوبهم العجل) فأضمر « الحب » ، لأن المعنى معلوم ، فكذلك هاهنا . أراد : مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم . ونحو هذا قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هؤلئير أنهم آمنوا بما رزقوا فمما رزقناكم) وقد أعلم المراد « سبيل الله » قولان أحدهما : أنه الجهاد . والثاني : أنه جميع أبواب البر . قال أبو سليمان الدمشقي . والآية مردودة على قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) وقد أعلم الله عز وجل بضرب هذا المثل ، أن الحسنة في النفقة في سبيله تضاعف سبعمائة ضعف ^(١) . وقال الشعبي : نفقة الرجل على نفسه وأهل بيته تضاعف سبعمائة ضعف . قال ابن زيد : (والله يضاعف لمن يشاء) أي : يزيد على السبعمائة .

﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يُتبعون ما أنفقوا مِنَّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾

قوله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قال ابن السائب ومقاتل : نزلت في عثمان بن عفان في نفقته في غزوة تبوك ، وشرائه بئر رومة ، ركية بالمدينة ، تصدق بها على المسلمين . وفي عبد الرحمن بن عوف حين تصدق بأربعة آلاف درهم ، وكانت

(١) أخرج مسلم عن ابن مسعود قال : جاء رجل بناقطة مخطومة ، فقال : يا رسول الله هذه في سبيل الله ، فقال ﷺ : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة » .

وروى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . قال عز وجل : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » ، يدع طعامه وشهوته من أجلي . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخوف فيه أطيّب عند الله من ربح المسك .

نصف ماله ^(١). وأما المن ففيه قولان . أحدها : أنه المن على الفقير ، ومثل أن يقول : قد أحسنت إليك ونعمشتك ، وهو قول الجمهور ^(٢). والثاني : أنه المن على الله بالصدقة ، روي عن ابن عباس . فإن قيل : كيف مدحهم بترك المن ، ووصف نفسه بالمتنان ؟ فالجواب : أنه يقال : من فلان على فلان : إذا أنعم عليه ، فهذا الممدوح ، قال الشاعر :

ففتني علينا بالسلام فانما كلامك ياقوت ودر منظم

أراد بالمن الإلزام . وأما الوجه المذموم ، فهو أن يقال : من فلان على فلان : إذا استعظم ما أعطاه ، واقتخر بذلك ، قال الشاعر في ذلك :

أنت قليلًا ثم أسرع منة فنيك ممنون كذاك قليل

ذكر ذلك أبو بكر الأنباري . وفي الأذى قولان . أحدهما : أنه مواجهة الفقير بما يؤذيه ، مثل أن يقول له : أنت أبدأ فقير ، وقد بليت بك ، وأراحني الله منك . والثاني :

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » ، عن الكلبي ، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال : الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان في نفقتها في جيش السرة . وأخرج البخاري تعليقاً عن أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حين حوضر أشرف عليهم ، وقال : أنشدكم الله ، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ . ألسنتم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من حفر رومة فله الجنة » فحفرتها ؟ . ألسنتم تعلمون أنه قال : « من جهز جيش العسرة فله الجنة » فجهزته ؟ قال : فصدقوه بما قال . قال الحافظ ابن حجر : وقد وصله الدارقطني والاسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان بنهما . ورواه مطولاً الترمذي والنسائي والدارقطني وقال الترمذي : حديث حسن . وذكر في « الإصابة » ، أنه قد جاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه انتشد الصحابة في أشياء ... وعن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة ، فنثرها في حجره ، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ، ويقول : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » مرتين ، رواه أحمد والترمذي وحسنه .

(٢) روى مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ، ولهم عذاب أليم . المتان بما أعطى ، والمسبل إزاره ، والمنفق سلته بالخلف الكاذب » .

أن يخبر بأحسانه إلى الفقير ، من يكره الفقير إطلاعه على ذلك ، وكلا القولين يؤذي الفقير وليس من صفة المخلصين في الصدقة . واقد حدثنا عن حسان بن أبي سنان أنه كان يشتري أهل بيت الرجل وعياله ، ثم يعتقهم جميعاً ، ولا يتعرف إليهم ، ولا يخبرهم من هو .

﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ﴾

قوله تعالى : (قول معروف) أي : قول جميل للفقير ، مثل أن يقول له : يوسع الله عليك (ومغفرة) أي : يستر على المسلم خلته وفاقة ، وقيل : أراد بالمغفرة التجاوز عن السائل إن استطال على المسؤول وقت رده (خير من صدقة يتبعها أذى) وقد سبق بيانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالذي ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾

قوله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم) أي : لا تبطلوا ثوابها ، كما تبطل ثواب صدقة المرأى الذي لا يؤمن بالله ، وهو المنافق (فثله) أي : مثل نفقته ، كمثل صفوان ، قال ابن قتبية : الصفوان : الحجر ، والواابل : أشد المطر ، والصلد : الأملس . وقال الزجاج : الصفوان : الحجر الأملس ، وكذلك الصفا . وقال ثعلب : الصلد : النقي . وروي عن ابن عباس ، وقتادة (فتركه صلداً) قالوا : ليس عليه شيء . وهذا مثل ضربه الله تعالى للمرأى بنفقته ، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء مما أنفق .

﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ﴾

قوله تعالى : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله) أي : طلباً لرضاه . وفي معنى التثبيت قولان . أحدهما : أنه الإتفاق على يقين وتصديق ، وهذا قول الشعبي ، وقتادة ،

والسدي ، في آخرين . والثاني : أنه التثبيت لارتداد عمل الإلفاق ، فهم ينظرون أين يضعونها ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، وأبي صالح .

قوله تعالى : (كمثل جنة) الجنة : البستان وقرأ مجاهد ، وعاصم الجحدري « حبة » بالحاء . والربوة : ما ارتفع . وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحزمة ، والكسائي « ربوة » بضم الراء . وقرأ عاصم ، وابن عامر بفتح الراء ، وقرأ الحسن والأعمش بكسر الراء ، وقرأ ابن عباس ، وأبو رزين ، برباوة ، بزيادة ألف ، وفتح الراء ، وقرأ أبي بن كعب ، وعاصم الجحدري كذلك ، إلا أنهما ضميا الراء ، وكذلك خلا فهم في « المؤمنين » . قال الزجاج : يقال : ربوة وربوة وربوة وربوة . والموضع المرتفع من الأرض ، إذا كان له ما يرويه من الماء ، فهو أكثر ريعاً من السفلى . وقال ابن قتيبة : الربوة الارتفاع ، وكل شيء ارتفع وزاد ، فقد ربا ، ومنه الربا في البيع .

قوله تعالى : (فأنت أكلها) قرأ ابن كثير ، ونافع : أكلها . والأكل بسكون الكاف حيث وقع ، ووافقهما أبو عمرو ، فيما أضيف إلى مؤنث ، مثل : (أكلها دائماً) فأما ما أضيف إلى مذكر مثل : أكله ؟ أو كان غير مضاف إلى مكنى : مثل (أكل خط) فثقله أبو عمرو . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي جميع ذلك متقلاً . وأكلها ، أي : ثمرها . (ضعفين) أي : مثلين . فأما « الظل » فقال ابن قتيبة : هو أضعف المطر ، وقال الزجاج : هو المطر الدائم ، الصغار القطر الذي لا تكاد تسيل منه الثعالب . قال ثعلب : وهذا لفظ مستقبل وهو لا يمر ماض ، فعناه : فإن لم يكن أصابها وابل فطل^(١) . ومعنى هذا المثل : أن صاحب

(١) قال الفراء : كيف قال فسوله : (فإن لم يصبها وابل فطل) وهذا الأمر قد مضى ؟ قيل : أضمرت « كان » فصالح الكلام ، ومثله أن تقول : قد أعتقت عبدين ، فإن لم أعتق اثنين ، فواحد أبقيمتهما . والمعنى : إلا أكن ، لأنه ماض ، فلا بد من ضمير « كان » لأن الكلام جزاء . ومنه قول الشاعر :

إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة ولم تجدي من أن تقرى بها بدءاً

والبيت لزائد بن صعصعة الفهمسي يعرض بزوجه ، وكانت أمها سرية .

هذه الجنة لا ينجب ، فانها إن أصابها الطل حسنت ، وإن أصابها الواابل أضعفت ، فكذلك نفقة المؤمن المخلص . والبصير من أساء الله تعالى ، معناه : المبصر . قال الخطابي : وهو فاعيل بمعنى مفعول ، كقولهم : أليم بمعنى مؤلم .

﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبير وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾

قوله تعالى (أيود أحدكم) هذه الآية متصلة بقوله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم) ومعنى : «أيود» أوجب ، وإنما ذكر النخيل والأعناب ، لأنها من أنفس ما يكون في البساتين ، وخص ذلك بالكبير ، لأنه قد يئس من سعي الشباب في اكتسابهم .

قوله تعالى : (وله ذرية ضعفاء) أي : ضعاف ، وإذا ضعفت الذرية كان أحنى عليهم ، وأكثر إشفاقاً (فأصابها) يعني : الجنة (إعصار) وهي ربح شديدة ، تهب بشدة ، قفرع إلى السماء تراباً ، كأنه عمود .

قال الشاعر :

إن كنت ريحاً فقد لاقت إعصاراً^(١)

أي : لاقت أشد منك . فإن قيل : كيف جاز في الكلام أن يكون له جنة فأصابها ، ولم يقل : فيصيبها ؟ أفيجوز أن يقال : أتود أن يصيب مالا ، فضاع ، والمراد : فيضيع ؟ فالجواب : أن ذلك جائز في «وددت» ، لأن العرب تلقاها مرة : «أن» ، ومرة : «لو» ،

(١) قال أبو عبيدة : الأعصار : ربح شديدة فيما بين السماء والأرض . يضرب مثلاً للعدل بنفسه إذا ضل بمن هو أدهى منه وأشد .

فيقولون : وددت لو ذهبنا عنا، ووددت أن تذهب عنا^(١)، قاله الفراء، وثعلب .

﴿ فصل ﴾

وهذه الآية مثل ضرب به الله تعالى في الحسرة بسلب النعمة عند شدة الحاجة .
وفيمن قصد به ثلاثة أقوال . أحدها : أنه مثل الذي ينحتم له بالفساد في آخر عمره ، قاله
ابن عباس . والثاني : أنه مثل للمفرط في طاعة الله تعالى حتى يموت ، قاله مجاهد . والثالث :
أنه مثل للمرائي في النفقة ، ينقطع عنه نفعا أحوج ما يكون إليه ، قاله السدي .

﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومِمَّا أخرجنا لكم من الأرض
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيهِ إِلَّا أَنْ تُنْفِضُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ
اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) في سبب نزولها قولان . أحدهما :
أن الأنصار كانوا إذا جذوا النخل ، جاء كل رجل بشيء من ذلك فعلقه في المسجد ، فبأكل منه
فقراء المهاجرين ، وكان أناس ممن لا يرغب في الخير يجيء أحدهم بالقنو فيه الحشف والشيص^(٢) ،

(١) وتام كلام الفراء في « معاني القرآن » فلما صلت « ولو » : « إن » ومماها جيماً الاستقبال ، استجازوا
أن يردوا « فعل » بتأويل « لو » على « يفعل » مع « أن » ، فلذلك قال : (فأصاها) وهي في مذهبه بمنزلة
« لو » إذا ضارعت « إن » بمعنى الجزاء ، فوضعت في مواضعها ، وأجبت « إن » بجواب « لو » ، وجواب « إن »
فكانه قيل : أبود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات
وأصاها الكبير .

(٢) القنو : الكباسة ، وهي المذق التام بشاربخة ورطبه ، هو في الثمر بمنزلة المنقود من العنب ،
وجمه : أقناء . والحشف : هو الثمر ما لم ينو ، فإذا يبس صلب وفسد ، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة .
والشيص : ردي الثمر .

فيعلقه ، فنزلت هذه الآية . هذا قول البراء بن عازب ^(١) . والثاني : أن النبي ﷺ ، أمر بركة الفطر ، فجاء رجل بتمر رديء ، فنزلت هذه الآية . هذا قول جابر بن عبد الله ^(٢) . وفي المراد بهذه النفقة قولان . أحدهما : أنها الصدقة المفروضة ، قاله عبيدة السلماني في آخرين . والثاني : أنها التطوع . وفي المراد بالطيب هاهنا قولان . أحدهما : أنه الجيد الأنفس ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه الحلال ، قاله أبو معقل في آخرين .

قوله تعالى : (ولا تيمموا) أي : لا تقصدوا . والتيمم في اللغة : القصد . قال ميمون ابن قيس الأعشى :

تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمَةٍ ذِي شَرٍّ ^(٣)

وفي الحديث قولان . أحدهما : أنه الرديء ، قاله الأكثرون ، وسبب الآية يدل عليه . والثاني : أنه الحرام ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : (ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه) قال ابن عباس : لو كان بعضكم يطلب من بعض حقاً له ، ثم قضاه ذلك ، ولم يأخذه إلى أن يرى أنه قد أغمض عن بعض

(١) رواه ابن أبي حاتم والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، ولفظه عند الترمذي « عن البراء » (ولا تيمموا الحديث منه تنفقون) قال : نزلت فينا معشر الأنصار ، كنا أصحاب نخل ، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته ، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين ، فيعلقه بالمسجد ، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاع ، أتى القنو ، فضر به بمصاه ، فيسقط البسر والتمر ، فيأكل . وكان ناس من لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو ، فيه الشيص والحشف ، والقنو قد انكسر ، فيعلقه ، فأزل الله تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الحديث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه) . قال : لو أن أحداً أهدي إليه مثل ما أعطى ، لم يأخذه إلا على إغماض أو حياء . قال : فكنا بعد ذلك يأتي أحداً بصالح ما عنده .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرک » ج ٢ / ٢٨٣ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . (٣) ديوانه : ص ١٩ وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معدى كرب الكندي . ذي شرن : غليظ ، والشرن : الغلظ . يصف وغورة الطريق الذي يسلكه ليصل منه إلى ممدوحه .

حقه . وقال ابن قتيبة : أصل هذا أن يصرف المرء بصره عن الشيء ، وينمضه ، فسمي الترخص إغماضاً . ومنه قول الناس للبائع : أغمض ، أي : لا تشخص ، وكن كأنك لا تبصر . وقال غيره : لما كان الرجل إذا رأى ما يكره ، أغمض عينيه ، لئلا يرى جميع ما يكره ؛ جعل التجاوز والمساهلة في كل شيء إغماضاً .

قوله تعالى : (واعلموا أن الله غني) قال الزجاج : لم يأمركم بالتصدق عن عوز ، لكنه بلا أخباركم ، فهو حميد على ذلك . يقال : قد غني زيد ، يعني غنى مقصوراً : إذا استغنى ، وقد غني القوم : إذا نزلوا في مكان يفتنهم ، والمكان الذي ينزلون فيه مغنى . والنواني : النساء ، قيل : إنما سمين بذلك ، لأنهن غنين بجمالهن ، وقيل : بأزواجهن . فأما « الحميد » فقال الخطابي : هو بمعنى المحمود ، فعيل بمعنى مفعول .

﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً ﴾
والله واسع عليم ﴿

قوله تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر) قال الزجاج : يقال : وعدته أعدّه وعداً وعدة وموعداً وموعدة وموعوداً ، ويقال : الفقّر ، والفقُر . ومعنى الكلام : يحملكم على أن تؤدّوا في الصدقات الردي ، يخوفكم الفقر باعطاء الجيد . ومعنى : يعدكم الفقر ، أي : بالفقر ، وحذفت الباء . قال الشاعر :

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أمرت به فقد تركتُك ذا مال وذا نسبٍ

وفي الفحشاء قولان . أحدهما : البخل . والثاني : المعاصي . قال ابن عباس : والله يعدكم مغفرةً لفحشاءكم ، وفضلاً في الرزق .

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

قوله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء) في المراد بهذه الحكمة أحد عشر قولاً. أحدها : أنها القرآن ، قاله ابن مسعود ، ومجاهد ، والضحاك ، ومقاتل في آخرين . والثاني : معرفة ناسخ القرآن ، ومذسوخه ، ومحكمه ، ومتشابهه ، ومقدمه ، ومؤخره ، ونحو ذلك ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . والثالث : النبوة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والرابع : الفهم في القرآن ، قاله أبو العالية ، وقتادة ، وإبراهيم . والخامس : العلم والفقه ، رواه ليث عن مجاهد . والسادس : الإصاية في القول ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد . والسابع : الورع في دين الله ، قاله الحسن . والثامن : الخشية لله ، قاله الربيع بن أنس . والتاسع : العقل في الدين ، قاله ابن زيد . والعاشر : الفهم ، قاله شريك . والحادي عشر : العلم والعمل ، لا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمعها ، قاله ابن قتيبة .

قوله تعالى : (ومن يؤت الحكمة) قرأ يعقوب بكسر تاء «يؤت» ، ووقف عليها بهاء . والمعنى : ومن يؤته الله الحكمة . وكذلك هي في قراءة ابن مسعود بهاء بعد التاء .

قوله تعالى : (وما يذكر) قال الزجاج : أي : وما يتفكر فكراً يذكر به ما قص من آيات القرآن إلا ذوق العقول . قال ابن قتيبة : «أولو» بمعنى : ذو ، وواحد «أولو» «ذو» ، و«أولات» : «ذات» .

﴿وَمَا أَنتَقِمُ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذْرَةٍ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
قوله تعالى : (أو نذرتهم من نذر) النذر : ما أوجبه الإنسان على نفسه ، وقد يكون مطلقاً ، ويكون معلقاً بشرط (فإن الله يعلمه) قال مجاهد : يُحصيه ، وقال الزجاج : يجازي عليه . وفي المراد بالظالمين هاهنا ، قولان . أحدهما : أنهم المشركون ، قاله مقاتل . الثاني :

المنفقون بالبنّ والأذى والرياء ، والمنذرون في المعصية ، قاله أبو سليمان الدمشقي . والأنصار : المانعون . فنعناه : ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله .

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

قوله تعالى : (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ) قال ابن السائب : لما نزل قوله تعالى : (وما أنفقتم من نفقة) قالوا : يا رسول الله ، صدقة السر أفضل ، أم العلانية ؟ فنزلت هذه الآية قال الزجاج ، يقال : بدا الشيء يبدو : إذا ظهر ، وأبديته إبداءً : إذا أظهرته ، وبدا لي بداء : إذا تغير رأيي عما كان عليه .

قوله تعالى : (فَنِعْمًا هِيَ) في «نعم» أربع لغات . «نعم» بفتح النون ، وكسر العين ، مثل : علم . و«نعم» بكسر ها ، و«نعم» بفتح النون ، وتسكين العين ، و«نعم» بكسر النون وتسكين العين . وأما قوله (فَنِعْمًا هِيَ) فقرأ نافع في غير رواية «ورش» ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية أبي بكر ، والمفضل : «فنعما» ، بكسر النون ، والعين ساكنة . وقرأ ابن كثير ، وعاصم في رواية حفص ، ونافع في رواية «ورش» ، ويعقوب بكسر الزون والعين . وقرأ ابن عامر ، وحزمة والكسائي ، وخلف : «فنعما» بفتح النون ، وكسر العين ، وكلهم شددوا الميم . وكذلك خلافهم في سورة النساء . قال الزجاج : «ما» في تأويل الشيء ، أي : فنعمة الشيء هي . وقال أبو علي : نعم الشيء إبداءها . وقوله تعالى : (فهو خير لكم) يعني الإخفاء . واتفق العلماء على أن إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها^(١) ، وفي الفريضة قولان . أحدهما : أن إظهارها

(١) روى الإمام أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث عتبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والسر بالقرآن كالسر بالصدقة » واسناده صحيح . وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تمل شمله ماتتفق بينه » .

أفضل ، قاله ابن عباس في آخرين . واختاره القاضي أبو يملى . وقال الزجاج : كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله ﷺ ، أحسن ، فأما اليوم ، فالناس يسيئون الظن ، فإظهارها أحسن . والثاني : إخفاؤها أفضل ، قاله الحسن ، وقادة ، وبزید بن أبي حبيب . وقد حمل أرباب القول الأول الصدقات في الآية على الفريضة ، وحملوا (وإن تخفوها) على النافلة ، وهذا قول عجيب . وإنما فضلت صدقة السر لمعين . أحدهما : يرجع إلى المعطي ، وهو بُعدُه عن الرياء ، وقربه من الإخلاص ، والإعراض عما تؤثر النفس من العلائية . والثاني : يرجع إلى المعطي ، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال ، لأنه في العلائية ينكسر .

قوله تعالى : (ويكفرُ عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو بكر عن عاصم (ونكفر عنك) بالنون والرفع ، والمعنى : ونحن نكفر عنكم ، ويجوز أن يكون مستأنفاً . وقرأ نافع ، وحزمة ، والكسائي : « ونكفر » بالنون وجزم الراء . قال أبو علي : وهذا على حمل الكلام على موضع قوله : (فهو خير لكم) لأن قوله : (فهو خير لكم) في موضع جزم ، ألا ترى أنه لو قال : وإن تخفوها يكون أعظم لأجركم لجزم ، ومثله (لو لا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن) المنافقون : ١٠ حمل قوله « وأكن » على موضع « فأصدق » . وقرأ ابن عامر : « ويكفر » بالياء والرفع ، وكذلك حفص عن عاصم على السكتاية عن الله عز وجل ، وقرأ أبان عن عاصم ، « وتكفر » بالتاء المرفوعة ، وفتح الفاء مع تسكين الراء .

قوله تعالى : (من سيئاتكم) في « من » قولان . أحدهما : أنها زائدة . والثاني : أنها داخلية للتبعية . قال أبو سليمان الدمشقي : ووجه الحكمة في ذلك أن يكون العباد على خوف ووجل .

﴿ ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يُوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾

قوله تعالى : (ليس عليك هدام) في سبب زولها قولان . أحدهما : أن المسلمين كرهوا أن يتصدقوا على أقربائهم من المشركين ، فنزلت هذه الآية ، هذا قول الجمهور . والثاني : أن النبي ﷺ ، قال : « لا تصدقوا إلا على أهل دينكم » فنزلت هذه الآية ، قاله سعيد بن جبير ^(١) . والخير في الآية ، أريد به المال ، قاله ابن عباس ، ومقاتل . ومعنى : (فلا أنفسكم) ، أي : فلکم ثوابه .

قوله تعالى : (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قال الزجاج : هذا خاص للمؤمنين ، أعلمهم الله أنه قد علم أن مُرادهم ما عنده ، وإذا أعلمهم بصحة قصدهم ، فقد أعلمهم بالجزاء عليه .

قوله تعالى (يوفَّ إليكم) أي : توفون أجره ومعنى الآية : ليس عليك أن يهتدوا ، فتمنهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام ، فإن تصدقتم عليهم أثبتتم . والآية محمولة على صدقة التطوع ، إذ لا تجوز أن يعطى الكافر من الصدقة المفروضة شيئاً .

﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلكون الناس إالحافاً وما تنفقوا من خيرٍ فإن الله به عليم ﴾
قوله تعالى : (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) لما حثهم على الصدقات والتنفقات ، دهم على خير من تصدق عليه . وقد تقدم تفسير الإحصار عند قوله : (فإن أحصرتم) البقرة : ١١ وفي المراد (الذين أحصروا) أربعة أقوال . أحدها : أنهم أهل الصفة حبسوا أنفسهم على طاعة الله ، ولم يكن لهم شيء ، قاله ابن عباس ، ومقاتل . والثاني : أنهم فقراء المهاجرين ، قاله مجاهد .

(١) رواه الطبري بهذا اللفظ عن سعيد بن جبير . وروى النسائي ، والحاكم وابن أبي حاتم ، وابن المنذر عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين ، فسألوا ، فرخص لهم ، فنزلت هذه الآية . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . والرضخ : المطية القليلة .

والثالث : أنهم قوم حبسوا أنفسهم على الغزو ، فلا يقدرّون على الاكتساب ، قاله قتادة .
والرابع : أنهم قوم أصابهم جراحات مع النبي ﷺ ، فصاروا زمني ، قاله سعيد بن جبير ،
واختاره الكسائي ، وقال : أحصروا من المرض ، ولو أراد الحبس ، لقال : حُصروا ،
وإنما الإحصار من الخوف ، أو المرض . والحصر : الحبس في غيرهما . وفي سبيل الله قولان .
أحدهما : أنه الجهاد ، والثاني : الطاعة . وفي الضرب في الأرض قولان . أحدهما : أنه الجهاد
لم يمكنهم لفقرهم ، نقل عن ابن عباس . والثاني : الكسب ، قاله قتادة . وفي الذي منعهم من
ذلك ثلاثة أقوال . أحدها : الفقر ، قاله ابن عباس . والثاني : أمراضهم ، قاله ابن جبير ، وابن
زيد . والثالث : التزامهم بالجهاد ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (يحسبهم الجاهل) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، والكسائي « يحسبهم »
و« يحسبن » بكسر السين في جميع القرآن . وقرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحزرة ، وأبو جعفر
بفتح السين في الكل . قال أبو علي : فتح السين أقيس ، لأن لماضي إذا كان على « فعل » ، نحو :
حسب ، كان المضارع على « يفعل » ، مثل : فرق يفرق ، وشرب يشرب ، والكسر حسن
لموضع السمع . قال ابن قتيبة : لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل ، إنما أراد الجهل الذي هو
ضد الخبر ، فكأنه قال : يحسبهم من لا يخبر أمرهم . والتعفف : ترك السؤال ^(١) ، يقال : عفف عن الشيء
وتعفف . والسيما : العلامة التي يعرف بها الشيء ، وأصله من السمة . وفي المراد بسيماهم ثلاثة أقوال .
أحدها : تجملهم ، قاله ابن عباس . والثاني : خشوعهم ، قاله مجاهد . والثالث : أثر الفقر عليهم ، قاله السدي
والريعي بن أنس ، وهذا يدل على أن للسيما حكماً يتعاقب بها . قال إمامنا أحمد في الميت يوجد في دار

(١) جاء في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليس المسكين الذي ترده
التمرّة والتمرّتان ، ولا اللقمة ولا اللقمتان ، إنما المسكين الذي يتعفف » ، اقرؤوا إن شئتم ، يعني قوله
تعالى : (لا يسألون الناس إلحافاً) .

الحرب ، ولا يعرف أمره : ينظر إلى سياه ، فإن كان عليه سيما الكفار من عدم الختان ، حكم له بحكمهم ، فلم يدفن في مقابر المسلمين ، ولم يصل عليه ، وإن كان عليه سيما المسلمين حكم له بحكمهم . وأما الإلحاف ، فهو : الإلحاح ، قال ابن قتيبة : يقال : ألحف في المسألة : إذا ألح ، وقال الزجاج : معنى ألحف : شَمِلَ بالمسألة ، ومنه اشتقاق الإلحاف ، لأنه يشمل الانسان بالتغطية ، فإن قيل : فهل كانوا يسألون غير ملحقين ؟ فالجواب : أن لا ، وإنما معنى الكلام : أنه لم يكن منهم سؤال ، فيكون إلحاف .

قال الأعشى :

لا يغمز الساق من أين ولا وصبٍ ولا يعضُ على شرسوفهِ الصِّفر^(١)

معناه : ليس بساقه أين ولا وصب ، فيغمزها لذلك . قال الفراء : ومثله أن تقول : قلما رأيت مثل هذا الرجل ، ولعلك لم تر قليلاً ولا كثيراً من أشباهه ، فهم لا يسألون الناس إلحافاً ، ولا غير إلحاف . وإلى نحو هذا ذهب الزجاج ، وابن الأنباري في آخرين .

﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلم أجرم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

قوله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية) اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال . أحدها : أنها نزلت في الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله عز وجل ، رواه حنّس الصنعاني عن ابن عباس

(١) في « الأصميات » من أين ومن وصب ، والبيت لأعشى باهلة ، من قصيدة يرثي بها أخاه لأمه المنتشر ابن وهب . الأين : الأعياء والتعب . والوصب : الوجع والمرض . والشرسوف : رأس الضلع ، أي البطن . والصفر : يزعم العرب أنه دابة تعض الضلوع والشراسيف ، إذا جاع الانسان . قال ابن السيد : وإنما أراد : لا صفر في جوفه ، فيعض على شراسيفه . يصفه بشدة الخلقعة ، وصحة البنية .

وهو قول أبي الدرداء وأبي أمامة، ومكحول، والأوزاعي في آخرين. والثاني: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كان معه أربعة دراهم، فأنفق في الليل درهماً والنهار درهماً، وفي السر درهماً، وفي العلانية درهماً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها نزلت في عليّ، وعبد الرحمن بن عوف، فإن علياً بعث بوسق من تمر إلى أهل الصفة ليلاً، وبعث عبد الرحمن إليهم بدنائير كثيرة نهاراً، رواه الضحاك عن ابن عباس.

﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿

قوله تعالى: (الذين يأكلون الربا) الربا: أصله في اللغة: الزيادة، ومنه الربوة والراية، وأرأى فلان على فلان: زاد. وهذا الوعيد يشمل الآكل، والعامل به، وإنما خص الآكل بالذكر، لأنه معظم المقصود. وقد صح عن النبي ﷺ، أنه «لئن آكل الربا وموكله وشاهديه وكتبه»^(١).

قوله تعالى: (لا يقومون) قال ابن قتيبة أي: يوم البعث من القبور. والمس: الجنون، يقال: رجل ممسوس. فالتناس إذا خرجوا من قبورهم أسرعوا كما قال تعالى: (يوم يخرجون من الأجداث سراعا) المعارج: ٤٣. إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون، لأن الله أربى الربا في بطونهم يوم القيامة حتى أنقلهم، فلا يقدرّون على الإسراع. وقال سعيد بن جبير: تلك علامة آكل الربا إذا استحلّه يوم القيامة.

(١) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن مسعود، ورواه مسلم في صحيحه، عن جابر ابن عبد الله، وألفظه «لئن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكتبه وشاهديه وقال: هما سواء».

قوله تعالى : (ذلك) أي : هذا الذي ذكر من عقابهم (بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا) وقيل : إن ثقيفاً كانوا أكثر العرب رباً ، فلما نهوا عنه ؛ قالوا : إنما هو مثل البيع .

قوله تعالى : (فن جاءه موعظة من ربه) قال الزجاج : كل تأنيث ليس بحقيقي ، فتذكيره جائز ، ألا ترى أن الوعظ والموعظة معبران عن معنى واحد .

قوله تعالى : (فله ما سلف) أي : ما أكل من الربا .

وفي قوله تعالى : (وأمره إلى الله) قولان . أحدهما : أن «الهاء» ترجع إلى المربي ، فتقديره : إن شاء عصمته منه ، وإن شاء لم يفعل ، قاله سعيد بن جبير ، ومقاتل . والثاني : أنها ترجع إلى الربا ، فعناه : ينفو الله عما شاء منه ، ويعاقب على ما شاء منه ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

قوله تعالى : (ومن عاد) قال ابن جبير : من عاد إلى الربا مستحلاً محتجاً بقوله تعالى : (إنما البيع مثل الربا) .

﴿ يحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

قوله تعالى : (يحق الله الربا) فيه قولان . أحدهما : أن معنى محقه : تنقيصه واضمحلاله ، ومنه : محاق الشهر لنقصان الهلال فيه . روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير . والثاني : أنه إبطال ما يكون منه من صدقة ونحوها ، رواه الضحاك عن ابن عباس .^(١)

قوله تعالى : (ويربي الصدقات) قال ابن جبير : يضاعفها . والكفَّار : الذي يكثر فعل ما يكفر به ، والأثيم : المتأدي في ارتكاب الإثم المصر عليه .

(١) أخرج أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن مسعود مرفوعاً « إن الربا وإن كثرت فاقبته إلى قل ، والقل ، بضم القاف وتشديد اللام : القلة ، كالقل والذلة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا) في نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أنها نزلت في بني عمرو بن عمرو بن عوف من ثقيف ، وفي بني المغيرة من بني مخزوم ، وكان بنو المغيرة يأخذون الربا من ثقيف ، فلما وضع الله الربا ، طالبت ثقيف بني المغيرة بما لهم عليهم ، فنزلت هذه الآية ، والتي بعدها ، هذا قول ابن عباس ^(١) . والثاني : أنها نزلت في عثمان بن عفان ، والعباس ، كانا قد أسلفا في التمر ، فلما حضر الحذاذ ، قال صاحب التمر : إن أخذتما مالكما ، لم يبق لي ولعياالي ما يكفي ، فهل لكما أن تأخذا النصف وأضعف لكما ؟ فعلا ، فلما حل الأجل ، طلبا الزيادة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فنهأهما ، فنزلت هذه الآية ، هذا قول عطاء وعكرمة . والثالث : أنها نزلت في العباس ، وخالد ابن الوليد ، وكانا شريكين في الجاهلية ، وكانا يسلفان في الربا ، فجاء الإسلام ، ولهما أموال عظيمة في الربا ، فنزلت هذه الآية ، فقال النبي ﷺ : « أَلَا إِنَّ كُلَّ رَبٍّ مِنْ رَبِّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رَبٍّ أَضْعَهُ رَبُّ الْعَبَّاسِ ^(٢) » هذا قول السدي . قال ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك : إنما قال : (ما بقي من الربا) لأن كل رباً كان قد ترك ، فلم يبق إلا ربا ثقيف . وقال قوم : الآية محمولة على من أربى قبل إسلامه ، وقبض بعضه في كفره ، ثم أسلم ، فيجب عليه أن يترك ما بقي ، ويعفى له عما مضى . فأما المراجعة بعد الإسلام ، فردودة فيما قبض ، ويسقط ما بقي .

(١) رواه الواحدي ، من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

(٢) رواه الواحدي عن السدي بدون سند . وأخرج مسلم من حديث جابر في صفحة حجة النبي ﷺ . وفيه : فخطب الناس وقال : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بِلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ دَمٍ أَضْمَ مِنْ دِمَائِكُمْ ابْنُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، كَانَ مَسْتَرَضاً فِي بَنِي سَعْدِ ، فَقَتَلْتَهُ هَذِيلٌ ، وَرَبُّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رَبٍّ أَضْعَهُ رَبُّنَا ، رَبُّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَانْهَ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ . »

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر (فأذنوا) مقصورة، مفتوحة الذال. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «فأذنوا» بعد الألف وكسر الذال. قال الزجاج: من قرأ: فأذنوا، بقصر الألف، وفتح الذال، فالمنعنى: أيقنوا. ومن قرأ بعد الألف، وكسر الذال، فعناه: أعلموا كل من لم يترك الربا أنه حرب. قال ابن عباس: يقال يوم القيامة لا كل الربا: خذ سلاحك للحرب^(١).

(١) ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث في النهي عن الربا، والتنفير منه، وأنه من الكبائر، وأن عاقبة من يقع فيه وخيمة.

من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وروى البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج، رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فخرج كما كان. قلت: ما هذا الذي رأيته في النهر؟ قال: آكل الربا».

وروى أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، قال: قال رسول الله ﷺ: «درهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية».

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الربا ثلاثة وسبعون بابا، ورواه الحاكم وزاد: «أيسرها مثل أن يشكح الرجل أمه، وإن أبى الربا عرض الرجل المسلم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي».

وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ أن تشتري الثمرة حتى تطعم، وقال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

قوله تعالى : (وَإِنْ تَبْتِمُ فَلَكُمْ رِئُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) أي :
التي أقرضتموها ، لا تظلمون ، فتأخذون أكثر منها ، ولا تُظلمون فتتقصون منها ، والجمهور
على فتح « تاء » تظلمون الأولى ، وضم « تاء » تظلمون الثانية . وروى المفضل عن عاصم : ضم
الأولى ، وفتح الثانية .

﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى : (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ) ذكر ابن السائب ، ومقاتل أنه لما نزل قوله تعالى :
(وذروا ما بقي من الربا) قال بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة : هاتوا رؤوس أموالنا ، وندع
لكم الربا ، فشكا بنو المغيرة العسرة ، فنزلت هذه الآية . فأما العسرة ، فهي الفقر ، والضيقة .
والجمهور على تسكين السين ، وضمها أبو جعفر هاهنا ، وفي (ساعة العسرة) وقرأ الجمهور بفتح
سين « الميسرة » ، وضمها نافع ، وتابعه زيد عن يعقوب على ضم السين ، إلا أنه زاد ، فكسر
الراء ، وقلب التاء هاء ، وأوصلها بياء . قال الزجاج : ومعنى وإن كان : وإن وقع . والنظرة :
التأخير ، فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا إذا كان المطالب معسراً ، وأعلمهم أن
الصدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالى : (وإن تصدقوا) والآخر على تشديد الصاد ،
وخففها عاصم مع تشديد الدال . وسكنها ابن أبي عجلة مع ضم الدال فجعله من الصدق .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) قرأ أبو عمرو بفتح تاء « ترجعون » وضمها
الباقون . قال ابن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، ومقاتل في آخرين :
هذه آخر آية نزلت من القرآن ^(١) . قال ابن عباس : وتوفي رسول الله ﷺ بعدها بأحد وثمانين

(١) رواه الطبري والنسائي في « السنن الكبرى » وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، وقال : رواه
الطبراني بإسنادين ، رجال أحدهما ثقات . وظاهر هذه الرواية يارض ما ثبت عن ابن عباس من أن آخره -

يوماً ، وقال ابن جريج : توفي بعدها بتسع ليال . وقال مقاتل : بسبع ليال . قوله تعالى : (ثم توفي كل نفس ما كسبت) أي : تعطى جزاء ما كسبت .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تدانيتُم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يعمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضرل إحداها فتذكر إحداها الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾

آية نزلت هي آية الربا ، فقد روى البخاري في صحيحه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا . وطريق الجمع بين الروايتين كما قال الحافظ ابن حجر أن هذه الآية (يريد آية الربا) ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن .

وقال الزركشي في « البرهان » ج/١/٢١٠ بعد أن ذكر الآثار الواردة عن الصحابة في آخر آية نزلت من القرآن .

قال القاضي أبو بكر في « الانتصار » : وهذه الأقوال ليس في شيء منها مرفع إلى النبي ﷺ ، ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد ، وتغليب الظن ، وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط . ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه ، أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو لفارقه له ، وزول الوحي عليه بقرآن بعد .

ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها ، فيؤمر برسم منازل معها ، وتلاوتها عليهم بعد رسم منازل آخرها وتلاوته ، فيظن سامع ذلك أنه آخر منازل من الترتيب .

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين) قال الزجاج: دأنت الرجل إذا عاملته، فأخذت منه دين، وأعطيته.

قال الشاعر:

دأنت أروى والديون تقضى فاطلت بعضاً وأدت بعضاً

والمعنى: إذا كان لبعضكم على بعض دين إلى أجل مسمى، فاكتبوه، فأمر الله تعالى بكتابة الدين، وبالإشهاد، حفظاً منه للأموال، وللناس من الظلم، لأن من كانت عليه البينة، قل تحدّثه لنفسه بالطمع في إذهابه. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في السلم خاصة. فإن قيل: ما الفائدة في قوله «بدين» و«تداينتم» يكفي عنه؛ فالجواب: إن تداينتم يقع على معنيين. أحدهما: المشاركة والمباينة والإقراض. والثاني: المجازاة بالأفعال، فالأول يقال فيه: الدين يفتح الدال، والثاني: يقال منه: الدين بكسر الدال. قال تعالى: (يسألون أيا ن يوم الدين) الداريات: ١٢ أي: يوم الجزاء.

وأنشدوا:

دناهم كما دانوا^(١)

(١) هو عجز بيت من قصيدة لشبل بن شيان الزماني، أولها:

صفحنا عن بني ذهل	وقلنا القوم لإخوان
عسى الأليم أن يرجع	من قوماً كالذي كانوا
فلما صرح الثمر	وأمرى وهو عريان
ولم يبق سوى المدوا	ن دنأهم كما دانوا

قال المرزوقي: العدوان والسداء والمدو: الظلم.

وأما قوله: دنأهم كما دانوا، والأول ليس بجزء، فهذا الميم إلى المطابقة والموافقة، وإخراج اللفظ في معرض صاحبه، ليعلم أنه جزأه على حدّه وقدره، أو ابتدأه. وعلى ذلك قوله تعالى: (يخادعون الله وهو خادعهم) (الله يستهزئ بهم) وما أشبهه. والدين: لفظة مشتركة في عدة معان: الجزاء والمادة والطاعة والحساب، وهو هاهنا الجزاء، ويقولون: «كما تدان ندان» أي: كما تصنع يصنع بك.

فدل قوله « بدین » على المراد بقوله « تداينتم » ذكره ابن الأنباري . فأما العدل فهو الحق . قال قتادة : لا تدعن حقاً ، ولا تزيدن باطلاً .

قوله تعالى : (ولا يَأْب كاتب) أي : لا يمتنع أن يكتب كما علمه الله ، وفيه قولان . أحدهما : كما علمه الله الكتابة ، قاله سعيد بن جبیر . وقال الشعبي : الكتابة فرض على الكفاية كالجهاد . والثاني : كما أمره الله به من الحق ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (وليلمّل الذي عليه الحق) قال سعيد بن جبیر : يعني المطلوب ، يقول : ليلمّل ما عليه من حق الطالب على الكاتب ، (ولا يبخس منه شيئاً) أي : لا ينقص عند الإملاء . قال شيخنا أبو منصور اللغوي : يقال : أمللت أمل ، وأمليت أملي لغتان ، فأمليت من الإملاء وأملات من الملل والملال ، لأن الممل يطيل قوله على الكاتب ويكرره .

قوله تعالى : (فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً) في المراد بالسفيه هاهنا أربعة أقوال . أحدها : أنه الجاهل بالأموال ، والجاهل بالإملاء . قاله مجاهد ، وابن جبیر . والثاني : أنه الصبي والمرأة ، قاله الحسن . والثالث : أنه الصغير ، قاله الضحاك ، والسدي والرابع : أنه المبذر ، قاله القاضي أبو يعلى . وفي المراد بالضعيف ثلاثة أقوال . أحدها : أنه العاجز والأخرس ، ومن به حمق ، قاله ابن عباس ، وابن جبیر . والثاني : أنه الأحمق ، قاله مجاهد ، والسدي . والثالث : أنه الصغير قاله القاضي أبو يعلى .

قوله تعالى : (أو لا يستطيع أن يعمل هو) قال ابن عباس : لا يستطيع لعمري . وقال ابن جبیر : لا يحسن أن يعمل ما عليه ، وقال القاضي أبو يعلى : هو المجنون .

قوله تعالى : (فليملل وليه) في هاء الكناية قولان . أحدها : أنها تعود إلى الحق ، فتقديره : فليملل ولي الحق ، هذا قول ابن عباس ، وابن جبیر ، والربيع بن أنس ، ومقاتل ،

واختاره ابن قتيبة . والثاني : أنها تعود إلى الذي عليه الحق ، وهذا قول الضحاك ، وابن زيد ، واختاره الزجاج ، وعاب قول الأولين ، فقال : كيف يقبل قول المدعى ؟ وما حاجته إلى الكتاب والإشهاد ، والقول قوله ؟! وهذا اختيار القاضي أبي يعلى أيضاً . والعدل : الإنصاف . وفي قوله تعالى : (من رجالكم) قولان . أحدهما : أنه يعني الأحرار ، قاله مجاهد ، والثاني : أهل الإسلام ، وهذا اختيار الزجاج ، والقاضي أبي يعلى ، ويدل عليه أنه خاطب المؤمنين في أول الآية .

قوله تعالى : (فإن لم يكونا رجلين) أراد : فإن لم يكن الشهيذان رجلين (فرجل وامرأتان) ولم يرد به : إن لم يوجد رجلان .

قوله تعالى : (ممن ترضون من الشهداء) قال ابن عباس : من أهل الفضل والدين . قوله تعالى : (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) ذكر الزجاج ، أن الخليل ، وسيبويه ، وسائر النحويين الموثوق بعلمهم ، قالوا : معناه : استشهدوا امرأتين ، لأن تذكر إحداهما الأخرى . ومن أجل أن تذكر إحداهما الأخرى . وقرأ حمزة « إن تضل » بكسر الالف ، والضلال هاهنا : النسيان ، قاله ابن عباس والضحاك ، والسدي ، والربيع ، ومقاتل ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة . وأما قوله : « فتذكر » فقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، بالتخفيف مع نصب الراء ، وقرأ حمزة بالرفع مع تشديد الكاف ، وقرأ الباقون بالنصب ، وتشديد الكاف ، فن شدد أراد الإدكار عند النسيان ، وفي قراءة من خفف قولان . أحدهما : أنها بمعنى المشددة أيضاً ، وهذا قول الجمهور . قال الضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدي : ومعنى القراءتين واحد . والثاني : أنها بمعنى تجعل شهادتهما بمنزلة شهادة ذكر ، وهذا مذهب سفيان بن عيينة ، وحكى الأصمعي عن أبي عمرو ونحوه ، واختاره القاضي أبو يعلى ، وقد رده جماعة ، منهم ابن قتيبة . قال أبو علي : ليس مذهب ابن عيينة بالقوي ، لأنهم لو بلغن ما بلغن ، لم تجز شهادتهن إلا أن يكون معهن رجل ، ولأن الضلال هاهنا : النسيان ، فينبغي أن يقابل بما يعادله ، وهو التذكير .

قوله تعالى: (ولا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا) قال قتادة: كان الرجل يطوف في الحِوَاءِ العظيم^(١)، [فيه القوم، فيدعوهم إلى الشهادة] فلا يتبعه منهم أحد، فزلت هذه الآية. وإلى ماذا يكون هذا الدعاء؟ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: إلى تحمل الشهادة، وإثباتها في الكتاب، قاله ابن عباس، وعطية، وقتادة، والريعي. والثاني: إلى إقامتها وأدائها عند الأحكام بعد أن تقدمت شهادتهم بها، قاله سعيد بن جبير، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والشعبي، وأبو مجلز، والضحاك، وابن زيد. ورواه الميموني عن أحمد ابن حنبل. والثالث: إلى تحملها وإلى أدائها، روي عن ابن عباس، والحسن، واختاره الزجاج، قال القاضي أبو يعلى: إنما يلزم الشاهد أن لا يأتي إذا دعي لإقامة الشهادة إذا لم يوجد من يشهد غيره، فأما إن كان قد تحملها جماعة، لم تبين عليه، وكذلك في حال تحملها، لأنه فرض على الكفاية كالجهاد، فلا يجوز لجميع الناس الامتناع منه.

قوله تعالى: (ولا تَسْأَمُوا) أي: لا تملوا وتضجروا أن تكتبوا القليل والكثير الذي قد جرت العادة بتأجيله إلى أجله، أي: إلى محل أجله (ذلكم أفسط عند الله) أي: أعدل، (وأقوم للشهادة) لأن الكتاب يذكر الشهود جميع ما شهدوا عليه (وأدنى) أي: أقرب (ألا تراتبوا) أي: لا تشكوا (إلا أن تكون) الأموال (تجارة) أي: إلا أن تقع تجارة. وقرأ عاصم «تجارة» بالنصب على معنى: إلا أن تكون الأموال تجارة حاضرة، وهي البيوع التي يستحق كل واحد منها على صاحبه تسليم ما عقد عليه من جهته بلا تأجيل، فأباح ترك الكتاب فيها توسعة، لئلا يضيق عليهم أمر تبائعهم في مأكل أو مشروب.

قوله تعالى: (وأشهدوا إذا تبائعتم) الإشهاد مندوب إليه فيما جرت العادة بالإشهاد عليه.

(١) قال في اللسان: الحِوَاءُ بكسر الحاء: جماعة يوت الناس إذا تدانت، والجمع: الاحوية.

﴿ فصل ﴾

وهذه الآية تتضمن الأمر بإثبات الدين في كتاب، وإثبات شهادة في البيع والدين. واختلف العلماء، هل هذا أمر وجوب، أم على وجه الاستحباب؟ فذهب الجمهور إلى أنه أمر نذبي واستحباب^(١)، فعلى هذا هو محكم، وذهبت طائفة إلى أن الكتاب والإشهاد واجب، روي عن ابن عمر، وأبي موسى، ومجاهد، وابن سيرين، وعطاء، والضحاك، وأبي قلابه، والحكم، وابن زيد. ثم اختلف هؤلاء، هل هذا الحكم باق، أم منسوخ؟ فذهب أكثرهم إلى أنه محكم غير منسوخ، وذهبت طائفة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: (فإن أمن بعضهم بعضاً فليؤد الذي أوتى من أمانته).

قوله تعالى: (ولا يضار كاتب ولا شهيد) قرأ أبو جعفر بتخفيف الراء من «يضار» وسكونها. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال. أحدها: أن معناه: لا يضار بأن يدعى وهو

(١) قال ابن كثير: وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والنذبي، لا على الوجوب، والدليل على ذلك، حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري، وقد رواه الإمام أحمد، حدثنا أبو الياء، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثنا عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستبمه النبي ﷺ ليقتضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ، وأبطأ الأعرابي، فطلق رجال بمتراضون الأعرابي، فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابعه، وإلا بعته. فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي. قال: «أوليس قد ابتعته منك؟» قال الأعرابي: لا والله ما بعتك. فقال النبي ﷺ: «بل قد ابتعته منك» فطلق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما تراجعا، فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بابتعتك، فمن جاء من المسلمين، قال للأعرابي: ويلك، النبي ﷺ لم يكن يقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة، فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بابتعتك. قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بابتعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «بم تشهد؟» فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين. ورواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، وابن سعد في «الطبقات» والطبراني، ورجاله كلهم ثقات، وهو حديث صحيح.

مشغول ، هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والسدي ، والربيع بن أنس ، والفراء ، ومقاتل . وقال الربيع : كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول : اكتب لي ، فيقول : إني مشغول ، فيلزمه ، ويقول : إنك قد أمرت بالكتابة ، فيضاره ، ولا يدعه ، وهو يجد غيره ، وكذلك يفعل الشاهد ، فنزلت (ولا يضار كاتب ولا شهيد) . والثاني : أن معناه : النهي للكاتب أن يضار من يكتب له ، بأن يكتب غير ما يعل عليه ، وللشاهد أن يشهد بما لم يستشهد عليه ، هذا قول الحسن ، وطاووس ، وقتادة ، وابن زيد ، واختاره ابن قتيبة ، والزجاج . واحتج الزجاج على صحته بقوله تعالى : (وإن تفعلوا فانه فسوق بكم) قال : ولا يسمى من دعا كاتباً ليكتب ، وهو مشغول ، أو شاهداً ؛ فاسقاً ، إنما يسمى من حرف الكتاب ، أو كذب في الشهادة ، فاسقاً . والثالث : أن معنى المضارة : امتناع الكاتب أن يكتب ، والشهادة أن يشهد ، وهذا قول عطاء في آخرين .

قوله تعالى : (وإن تفعلوا) يعني : المضارة .

﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن من بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾

قوله تعالى : (وإن كنتم على سفر) إنما خص السفر ، لأن الأغلب عدم الكاتب ، والشاهد فيه . ومقصود الكلام : إذا عدتم التوثق بالكاتب ، والشهادة ، فخذوا الرهن .

قوله تعالى : (فرهان) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعبد الوارث (فرهن) بضم الراء والهاء من غير ألف ، وأسكن الهاء عبد الوارث . ووجه التخفيف . وقرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي (فرهان) بكسر الراء ، وفتح الهاء ، وإثبات

الألف . قال ابن قتيبة : من قرأ (فرهان) أراد : جمع رهن ، ومن قرأ (فرهن) أراد : جمع رهان ، فكأنه جمع الجمع .

قوله تعالى : (مقبوضة) يدل على أن من شرط لزوم الرهن القبض ، وقبض الرهن أخذه من راحته منقولاً ، فإن كان مما لا ينقل ، كالدور والأرضين ، فقبضه تحلية راحته يئنه وبين مرتبته .

قوله تعالى : (فإن أمن بعضكم بعضاً) أي : فإن وثق رب الدين بأمانة الغريم ، فدفع ماله بغير كتاب ، ولا شهود ، ولا رهن ، (فليؤد الذي أوتى) وهو المدين (أمانته وليتق الله ربه) أن يخون من ائتمنه .

قوله تعالى : (فإنه آثم قلبه) قال السدي عن أشياخه : فإنه فاجر قلبه . قال القاضي أبو يعلى : إنما أضاف الإثم إلى القلب ، لأن المآثم تتعلق بعقد القلب ، وكتمان الشهادة إنما هو عقد النية لترك أدائها .

﴿ الله مافي السموات وما في الأرض وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فينفركم من يشاء ويمعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى : (وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) أما إبداء مافي النفس ، فإنه العمل بما أضره العبد ، أو النطق ، وهذا مما يحاسب عليه العبد ، ويؤاخذ به ، وأما ما يخفيه في نفسه ، فاختلف العلماء في المراد بالخفي في هذه الآية على قولين . أحدهما : أنه عام في جميع المخفيات ، وهو قول الأكثرين . واختلفوا : هل هذا الحكم ثابت في المؤاخظة ، أم منسوخ ؟ على قولين . أحدهما : أنه منسوخ بقوله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة : ٢٨٦ . هذا قول ابن مسعود ، وأبي هريرة ، وابن عباس في رواية ، والحسن ، والشعبي ، وابن سيرين ،

وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وابن زيد ، ومقاتل ^(١) . والثاني : أنه ثابت في المواخذة على العموم ، فيؤاخذ به من يشاء ، ويفره لمن يشاء ، وهذا مروى عن ابن عمر ، والحسن ، واختاره أبو سليمان الدمشقي ، والقاضي أبو يعلى . وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : هذه الآية لم تنسخ ، ولكن الله عز وجل إذا جمع الخلائق ، يقول لهم : اني مخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم يطَّلَع عليه ملائكتي ، فأما المؤمنون فيخبرهم ، ويفره لهم ما حدثوا به أنفسهم ، وهو قوله تعالى : (يحاسبكم به الله) يقول : يخبركم به الله ، وأما أهل الشرك والريب ، فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب ، وهو قوله تعالى : (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ^(٢)

(١) نقل ابن كثير في «تفسيره» حديث ابن عباس الخرج في مسلم ، وفيه : « فلما فعلوا ذلك نسخ الله ، فأزل الله (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . . . » ثم قال بعد أن ذكر له أكثر من طريق : فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس . وقد ثبت عن ابن عمر كما ثبت عن ابن عباس ، فروى البخاري عن مروان الأصغر ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - أحسبه ابن عمر - (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) قال : نسخها الآية التي بعدها . وهكذا روي عن علي ، وابن مسعود ، والشعبي ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، وقتادة : أنها منسوخة بالتي بعدها . وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ، ما لم تكلم أو تعمل . » وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى : إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكذبوها سيئة ، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكذبوها حسنة ، فإن عملها فاكذبوها عشراً » .

(٢) وهو اختيار ابن جرير الطبري ، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة ، وأنه تعالى قد يحاسب ويفره ، وقد يحاسب ويماقب ، بالحديث الذي رواه الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم عن صفوان ابن محرز قال : « بينا نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف ، إذ عرض له رجل فقال : يا ابن عمر ، ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه ، فيقرره بذنوبه ، فيقول له : هل تعرف كذا ؟ فيقول : رب أعرف مرتين ، حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ ، قال : فاني قد سترتها عليك في الدنيا ، وإني أغفرها لك اليوم ، قال : فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه يمينه ، وأما الكفار والمنافقون ، فينادي بهم على رؤوس الازهاد) هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (.

ثم قال ابن جرير : فتأويل الآية إذا : وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الناس فتظفروا ، أو تخفوه فتخطي عليه نفوسكم يحاسبكم به الله ، فيعرف مؤمنكم تفضله بفضوه عنه ، ومغفرته له ، فيغفر له ، ويمدب منافقكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه ، ونبوة أنبيائه .

والأكثر على تسكين راء « فيغفر » وباء « يعذب » منهم ابن كثير ونافع ، وأبو عمرو ، وهمة ، والكسائي . وإنما جزموا لإتباع هذا ما قبله ، وهو « يحاسبكم » وقرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، وعاصم ويعقوب : برفع الراء ، والباء فيهما . فهو لاء قطعوا الكلام عن الأول ، قال ابن الأنباري : وقد ذهب قوم إلى أن المحاسبة هاهنا هي إطلاع الله العبد يوم القيامة على ما كان حدث به نفسه في الدنيا ، ليعلم أنه لم يعزب عنه شيء . قال : والذي نختاره أن تكون الآية محكمة ، لأن النسخ إنما يدخل على الأمر والنهي . وقد روي عن عائشة أنها قالت : أما ما أعلنت ، فإله يحاسبك به ، وأما ما أخفيت ، فما عجلت لك به العقوبة في الدنيا . والقول الثاني : أنه أمر خاص في نوع من المخفيات ، ولا ريب هذا القول فيه قولان . أحدهما : أنه كتمان الشهادة ، قاله ابن عباس في رواية ، وعكرمة ، والشعبي . والثاني : أنه الشك واليقين ، قاله مجاهد . فعلى هذا المذكور تكون الآية محكمة .

﴿ آمَنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَنفَرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

قوله تعالى : (آمَنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) . روى البخاري ومسلم في « صحيحهما » من حديث أبي مسعود البدرى عن النبي ﷺ ، أنه قال « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه »^(١) قال أبو بكر النقاش : معناه : كفتاه عن قيام الليل^(٢) .

(١) رواه مسلم بهذا اللفظ ، ورواه البخاري بلفظ « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » .

(٢) وقيل : كفتاه عما يكون من الآفات تلك الليلة ، وقيل : من الشيطان وشربه ، وقيل : حسبها أجراً وفضلاً . وروى مسلم في « صحيحه » عن عبد الله قال : لما أسري رسول الله ﷺ ، انتهى به إلى سدة المنتهى ، وهي في السماء السادسة ، إليها ينتهي ما يرج به من الأرض ، فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها ، فيقبض ، قال : (إذ بنى السدة ما يمشي) قال : فراش من ذهب ، قال : وأعطاني رسول الله ﷺ ثلاثاً : أعطني الصلوات الخمس ، وأعطني خواتم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمت . والمقحمت ، بكسر الحاء : الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار ، أي تلقيهم فيها .

وقيل : إنها نزلتا على سبب ، وهو ما روى الملاء عن أبيه عن أبي هريرة قال : لما أنزل الله تعالى : (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ [فأنوا رسول الله ﷺ ، ثم جثوا على الركب] فقالوا : قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطبقها ، فقال : « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » . فلما قالوها وذلت بها أنفسهم ، أنزل الله في أثرها (آمن الرسول)^(١) . قال الزجاج : لما ذكر ما اشتمل عليه هذه السورة من القصص والأحكام ، ختمها بتصديق نبيه ، والمؤمنين . وقرأ ابن عباس (وكتابه) فليل له في ذلك ، فقال : كتاب أكثر من كُتِب ، ذهب به الى اسم الجنس ، كما تقول : كثر الدرهم في أيدي الناس . وقد وافق ابن عباس في قراءته حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وكذلك في (التحريم) ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر (وكتبه) هاهنا بالجمع ، وفي (التحريم) بالتوحيد . وقرأ أبو عمرو بالجمع في الموضعين .

قوله تعالى : (لا تفرق بين أحد من رسله) قرأ أبو عمرو ما أضيف الى مكنى على حرفين ، مثل « رسلنا » و« رسلكم » باسكان السين ، وثقل ما عدا ذلك . وعنه في قوله تعالى : (على رسلك) روايتان ، التخفيف والتثقيل . وقرأ الباقون كل ما في القرآن من هذا الجنس بالتثقيل . ومعنى قوله : (لا تفرق بين أحد من رسله) أي : لا تفعل كما فعل أهل الكتاب ، آمنوا يعض ، وكفروا يعض . وقرأ يعقوب « لا يفرق » بالياء ، وفتح الراء .

قوله تعالى : (غفرانك) أي : نسألك غفرانك . والمصير : المرجع .

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

قوله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) الوسع : الطاقة . قاله ابن عباس ، وقتادة . ومعناه : لا يكلفها ما لا قدرة لها عليه لاستحاثته ، كتكليف الزم السعي ، والأعمى النظر . فأما تكليف ما يستجبل من المكلف ، لا أفقد الآلات ، فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في العلم القديم أنه لا يؤمن بالإيمان ، فالآية محمولة على القول الأول . ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى في سياق الآية (ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) فلو كان تكليف ما لا يطاق ممنوعاً ، كان السؤال عبثاً ، وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم : (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً) الكهف : ٥٧ وقال ابن الأنباري : المعنى : لا تحملنا ما يثقل علينا أدائه ، وإن كنا مطيقين له على تجشم ، وتحمل مكروهه ، فخاطب العرب على حسب ما تمقل ، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغيضه : ما أطيعك النظر إليك ، وهو مطيق لذلك ، لكنه يثقل عليه ، ومثله قوله تعالى : (ما كانوا يستطيعون السمع) .

قوله تعالى : (لها ما كسبت) قال ابن عباس : لها ما كسبت من طاعة (وعليها ما اكتسبت) من معصية . قال أبو بكر النقاش : فقوله : « لها » دليل على الخير ، و « عليها » دليل على الشر . وقد ذهب قوم إلى أن « كسبت » لمرة ومرات ، و « اكتسبت » لا يكون إلا لشيء بعد شيء ، وهما عند آخرين لغتان بمعنى واحد ، كقوله عز وجل : (فهل الكافرين أم لهم رويداً) الطارق : ١٧ .

قوله تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا) هذا تعليم من الله للخلق أن يقولوا ذلك ، قال ابن

الأنباري: والمراد بالنسيان هاهنا: الترك مع العمد، لأن النسيان الذي هو بمعنى النفلة قد أمنت الآثام من جهته. والخطأ أيضاً هاهنا من جهة العمد، لا من جهة السهو^(١)، يقال: أخطأ الرجل: إذا تعمد، كما يقال: أخطأ إذا غفل. وفي «الإصر» قولان. أحدهما: أنه العهد، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثاني: الثقل، أي: لا تنقل علينا من الفروض ما ثقلته على بني إسرائيل، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) فيه خمسة أقوال. أحدها: أنه ما يصعب ويشق من الأعمال، قاله الضحاك، والسدي، وابن زيد، والجمهور، والثاني: أنه المحبة،

(١) يؤيد هذا التفسير قوله ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». رواه ابن ماجه وابن جبان في «صحيحه»، والطبراني عن ابن عباس. ورواه الحاكم ج ٢/١٩٨. ولفظه: تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وقال أبو جعفر الطبري: والنسيان على وجهين: أحدهما على وجه التضييع من البعد والتفريط، وهذا الذي يرغب البعد إلى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به، وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه، فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) طه: ١١٥. والآخر: على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكله به، وضمف عقله عن احتماله، فإن ذلك من البعد غير ممصبة، وهو به غير آثم، ولا وجه لمسألة البعد به أن يفتره له. وكذلك الخطأ وجهان. أحدهما من وجه مانهي عنه، فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ، وهذا الوجه الذي يرغب البعد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه إلا ما كان من ذلك كفرأ. والآخر منها: ما كان منه على وجه الجهل به، والظن منه بأن له فعله، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً، وهو يحسب أن الفجر لم يطلع، أو يؤخر صلاة في يوم غيم، وهو ينتظر بتأخيرها إياها دخول وقتها، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل، فإن ذلك من الموضوع عن البعد الذي وضع الله عز وجل عن عباده الآثم فيه، فلا وجه لمسألة البعد به ألا يؤاخذه به. انتهى باختصار.

رواه الثوري عن منصور عن إبراهيم . والثالث: الغلظة^(١) قاله مكحول . والرابع : حديث النفس ووساوسها . والخامس : عذاب النار .
 قوله تعالى : (أنت مولانا) أي : أنت ولينا (فأنصرنا) أي : أعنا . وكان معاذ إذا فرغ من هذه السورة قال : آمين .



(١) الغلظة : غليان شهوة الواقعة من الرجل والمرأة .

سورة آل عمران

ذكر أهل التفسير أنها مدنية، وأن صدرًا من أولها نزل في وفد نجران، قدموا النبي ﷺ في ستين راكبًا، فيهم العاقب، والسيد، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر (آل عمران) إلى بضع وثمانين آية منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿آلم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم. نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾

قوله تعالى: (نزل عليك الكتاب) يعني: القرآن (بالحق) يعني: العدل. (مصدقًا لما بين يديه) من الكتب. وقيل: إنما قال في القرآن: «نزل» بالتشديد، وفي التوراة والإنجيل: أنزل، لأن كل واحد منها أنزل في مرة واحدة، وأنزل القرآن في مرات كثيرة. فأما التوراة، فذكر ابن قتيبة عن الفراء أنه يجعل من: وري الزند يري: إذا خرجت ناره، وأورثته، يريد أنها ضياء. قال ابن قتيبة: وفيه لغة أخرى: وري يري، ويقال: وريت بك زنادي. والإنجيل، من نجلت الشيء: إذا أخرجه، وولد الرجل: نجله، كأنه هو استخرجه، يقال: قبح الله ناجليه، أي: والديه، وقيل للماء يقطر من البئر: نجل، يقال: قد استنجل الوادي: [إذا ظهر نزوه]. وإنجيل: إفعيل من ذلك، كأن الله أظهر به عافيا من الحق دارسًا. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والإنجيل: أعجمي معرب، قال: وقال بعضهم: إن كان عريبًا، فاشتقاقه من النجل، وهو ظهور الماء على وجه الأرض، واتساعه، ونجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم وقيل: هو إفعيل من النجل وهو الأصل: فالإنجيل أصل لعلوم وحكم^(١) وفي الفرقان

(١) قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المرب» للجواليقي: والصحيح أن الكلمة يونانية الأصل، أصلها «أونجيليون»، مركبة من كلمتين معناها: البشرى الحسنة.

هاهنا قولان . أحدهما : أنه القرآن ، قاله قتادة ، والجمهور . قال أبو عبيدة : سمي القرآن فرقاناً ، لأنه فرق بين الحق والباطل ، والمؤمن والكافر ، والثاني : أنه الفصل بين الحق والباطل في أمر عيسى حين اختلفوا فيه ، قاله أبو سليمان الدمشقي . وقال السدي : في الآية تقديم وتأخير ، تقديره : وأنزل التوراة ، والإنجيل ، والفرقان ، فيه هدى للناس .

﴿ إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ﴾

قوله تعالى : (إن الذين كفروا بآيات الله) قال ابن عباس : يريد وفد نجران النصاري ، كفروا بالقرآن ، وعحمد . والانتقام : المبالغة في العقوبة .

﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله الا هو العزيز الحكيم ﴾

قوله تعالى : (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) قال أبو سليمان الدمشقي : هذا تعريض نصارى أهل نجران فيما كانوا ينطوون عليه من كيد النبي ﷺ وذكر التصوير في الأرحام تنبيه على أمر عيسى .

﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبواب ﴾

قوله تعالى : (منه آيات محكمات) المحكم : المتقن المبين ، وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال . أحدها : أنه الناسخ ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وقتادة ، والسدي في آخرين . والثاني : أنه الحلال والحرام ، روي عن ابن عباس ، ومجاهد . والثالث : أنه ما علم العلماء تأويله . روي عن جابر بن عبد الله . والرابع : أنه الذي لم ينسخ ، قاله الضحاك . والخامس : أنه ما لم يتكرر ألفاظه ، قاله ابن زيد . والسادس : أنه ما استقل بنفسه ، ولم يخرج إلى بيان ، ذكره

القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد . وقال الشافعي ، وابن الأنباري : هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والسابع : أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة . والثامن : أنه الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والحلال والحرام ، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى ^(١) . وأم الكتاب أصله . قاله ابن عباس ، وابن جبير ، فكأنه قال : هن أصل الكتاب اللواتي يعمل عليهن في الأحكام ، وجمع الحلال والحرام . وفي المتشابهة سبعة أقوال . أحدها : أنه المنسوخ ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وقتادة ، والسدي في آخرين . والثاني : أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل ، كقيام الساعة ، روي عن جابر بن عبد الله . والثالث : أنه الحروف المقطعة كقوله : «ألم ونحو ذلك ، قاله ابن عباس . والرابع : أنه ما اشتبهت معانيه ، قاله مجاهد . والخامس : أنه ما تكررت ألفاظه ، قاله ابن زيد . والسادس : أنه ما احتمل من التأويل وجوهاً . وقال ابن الأنباري : المحكم ما لا يحتمل التأويلات ، ولا يخفى على مميّز ، والمتشابهة : الذي تتورده تأويلات . والسابع : أنه القصص ، والأمثال ، ذكره القاضي أبو يعلى . فان قيل : فما فائدة إنزال المتشابهة ، والمراد بالقرآن البيان والهدى ؟ فعه أربعة أجوبة . أحدها : أنه لما كان كلام العرب على ضربين . أحدهما : الموجز الذي لا يخفى على سامعه ، ولا يحتمل غير ظاهره . والثاني : المجاز ، والكنايات ، والإشارات ، والتلويحات ، وهذا الضرب الثاني هو المستحل عند العرب ، والبديع في كلامهم ، أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ، ليتحقق عجزم عن الاتيان بمثله ، فكأنه قال : عارضوه بأي الضربين شئتم ، ولو نزل كله محكماً واضحاً ، لقالوا : هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا . ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية ، أو تعريض أو تشبيه ، كان أفصح وأغرب .

(١) قال القاسمي في « محاسن التأويل » ، ص ٧٥٢ : للعلماء في المحكم والمتشابهة أقوال كثيرة ، ومباحث واسعة ، وأبدع ما رأيت في تحرير هذا المقام سابقة الذيل لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عليه الرحمة والرضوان . وبني بهذه المقالة الرسالة الموسومة بـ « الاكليل في المتشابهة والتأويل » ، وقد أثبت بها القاسمي رحمه الله في تفسيره بطولها .

قال امرؤ القيس :

وما ذرفت عينك إلا أنضري بي سهميك في أعشار قلب مقتل^(١)

فجعل النظر بمنزلة السهم على جهة التشبيه ، فحلا هذا عند كل سامع ومنشد ، وزاد في بلاغته . وقال امرؤ القيس أيضاً :

رمتني بسهم أصاب الفؤاد غداة الرحيل فلم أنصر^(٢)

وقال أيضاً :

فقلت له لما تخطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكل كل^(٣)

فجعل الليل صلباً وصدرأ على جهة التشبيه ، فحسن بذلك شعره . وقال غيره :

من كمت أجادها طابحها لم تمت كل موتها في القدر

أراد بالطابخين : الليل والنهار على جهة التشبيه . وقال آخر :

تبكي هاشماً في كل فجر كما تبكي على الفنن الحمام

(١) شرح القصائد السبع ص ٤٧ .

ذرفت : سال دمعا . وأراد بالسهمين : العينين . الأعشار : القطع والكسور . المقتل : المذلل . يقول : ما بكيت إلا لنحرحي قلباً معشراً ، أي : مكسراً ، ولم تبكي ، لأنك مظلومة . وقال غير الأصمعي : ما ذرفت عينك إلا لتذهبي بقلبي كله ، كالرجل الذي يأخذ المعالي والغريب ، وهما من سهام القهار ولهما عشرة أنصباء ، والجزور يقسم عشرة أعشار ، وهذا مثل ضربه لذهابها بقلبه كله .

(٢) ديوانه ص ١٥٥ . وقوله : رمتني بسهم ، أي : نظرت إلي نظرة فلم أنصر ، أي : لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبي من قلبي . وقال الطوسي : سهمها هاهنا : عيناها .

(٣) شرح القصائد السبع ص : ٧٥ .

تخطى : تعدد . جوزه : وسطه . يقال : تخطى الرجل إذا تعدد ، أي مد مطاه : أي ظهره . يقول : قلت ليل لا أفرط طوله ، وناءت أوائله ، وازدادت أواخره تطاولاً ، وطول الليل ينبت عن مقاساة الأحزان والشدائد ، والسر المتولد منها ، لأن المفهوم يستطيل ليله ، والمسرور يستقصير ليله .

وقال آخر :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفتح بمنطقها فإ

فجعل لها غناء وفقاً على جهة الاستعارة. والجواب الثاني : أن الله تعالى أنزله مختبراً به عباده ، ليقف المؤمن عنده ، ويرده إلى عالمه ، فيعظم بذلك ثوابه ، ويرتاب به المناق ، فيدخله الزيف ، فيستحق بذلك العقوبة ، كما ابتلاهم بنهر طالوت . والثالث : أن الله تعالى أراد أن يشغل أهل العلم بردهم المتشابه إلى المحكم ، فيطول بذلك فكرهم ، ويتصل بالبحث عنه اهتمامهم ، فيثابون على تعبهم ، كما يثابون على سائر عباداتهم ، ولو جعل القرآن كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل ، ولم يفضل العالم على غيره ، ولما أت الخواطر ، وإنما تقع الفكرة والحيلة مع الحاجة إلى الفهم . وقد قال الحكماء : عيب الغنى : أنه يورث البلادة ، وفضل الفقر : أنه يعمت على الحيلة ، لأنه إذا احتاج احتال . والرابع : أن أهل كل صناعة يعملون في علومهم معاني غامضة ، ومسائل دقيقة ليخرجوا بها من يعلمون ، ويعرّونهم على انتزاع الجواب ، لأنهم إذا قدروا على الغامض ، كانوا على الواضح أقدر ، فلما كان ذلك حسناً عند العلماء ، جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو ، وهذه الأجوبة معنى ما ذكره ابن قتيبة^(١) ، وابن الأثير .

قوله تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ) في الزيف قولان . أحدهما : أنه الشك ، قاله مجاهد ، والسدي ، والثاني : أنه الميل ، قاله أبو مالك . وعن ابن عباس كالقولين . وقيل : هو الميل عن الهدى . وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال . أحدها : أنهم الخوارج ، قاله الحسن . والثاني : المنافقون ، قاله ابن جريج . والثالث : وفد نجران من النصارى ، قاله الربيع . والرابع : اليهود ، طلبوا معرفة بقاء هذه الأمة من حساب الجمل ، قاله ابن السائب . قوله تعالى : (فيتبعون ما تشابه منه) قال ابن عباس : يُحيلون المحكم على المتشابه ،

(١) انظر : مشكل القرآن ، ص ٦٢ .

والمتشابه على المحكم ، ويُلبسون . وقال السدي : يقولون : ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ، ثم نسخت ؟! وفي المراد بالفتنة هاهنا ، ثلاثة أقوال . أحدها : أنها الكفر ، قاله السدي ، والريع ، ومقاتل ، وابن قتيبة . والثاني : الشبهات ، قاله مجاهد . والثالث : إفساد ذات البين ، قاله الزجاج : وفي التأويل وجهان . أحدهما : أنه التفسير . والثاني : العاقبة المنتظرة . والراسخ : الثابت ، يقال : رسخ يرسخ رسوخاً . وهل يعلم الراسخون تأويله أم لا ؟ فيه قولان . أحدهما : أنهم لا يعلمونه ، وأنهم مستأنفون ، وقد روى طاووس عن ابن عباس أنه قرأ (ويقول الراسخون في العلم آمناً به) وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وابن عباس ، وعروة ، وقتادة ، وعمر بن عبد العزيز ، والفراء ، وأبو عبيدة ، ونعاب ، وابن الأنباري ، والجمهور . قال ابن الأنباري : في قراءة عبد الله (إن تأويله ، إلا عند الله والراسخون في العلم) وفي قراءة أبي ، وابن عباس (ويقول الراسخون) وقد أنزل الله تعالى في كتابه أشياء ، استأثر بعلمها ، كقوله تعالى : (قل إنما علمها عند الله) الأعراف : ١٨٧ وقوله تعالى : (وقرونا بين ذلك كثيراً) الفرقان : ٣٨ فأنزل الله تعالى المجل ، ليؤمن به المؤمن ، فيسعد ، ويكفر به الكافر ، فيشقى . والثاني : أنهم يعلمون ، فهم داخلون في الاستثناء . وقد روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال : أنا ممن يعلم تأويله ، وهذا قول مجاهد ، والريع ، واختاره ابن قتيبة ، وأبو سليمان الدمشقي . قال ابن الأنباري : الذي روى هذا القول عن مجاهد ابن أبي نجيح ، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد .

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب
ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه . ان الله لا يخلف الميعاد ﴾

قوله تعالى : (ربنا لا تزغ قلوبنا) أي يقولون : (ربنا لا تمحل قلوبنا عن الهدى بعد إذ هديتنا) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وابن يعمر ، والجحدري « لا تزغ » بفتح التاء « قلوبنا » برفع الباء . ولدنك : بمعنى عندك . والوهاب : الذي يجود بالمعطاء من غير

استتابة، والمخلوقون لا يعلكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولدًا لعقيم، والله تعالى قادر على أن يهب جميع الأشياء .

﴿إن الذين كفروا لن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار﴾

قوله تعالى : (لن تُغني عنهم أموالهم) أي : لن تدفع ، لأن المال يدفع عن صاحبه في الدنيا ، وكذلك الأولاد ، فأما في الآخرة ، فلا ينفع الكافر ماله ، ولا ولده . وقوله تعالى : (من الله) أي : من عذابه .

﴿كذب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب﴾

قوله تعالى : (كذب آل فرعون) في الدأب قولان . أحدهما : أنه العادة ، فعناه : كمادة آل فرعون ، يريد : كفر اليهود ، ككفر من قبلهم ، قاله ابن قتيبة ، وقال ابن الأنباري : و « الكاف » في « كذاب » متعلقة بفعل مضمر ، كأنه قال : كفرت اليهود ، ككفر آل فرعون . والثاني : أنه الاجتهاد ، فعناه : أن دأب هؤلاء ، وهو اجتهادهم في كفرهم ، وتظاهروا على النبي ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام ، قاله الزجاج .

﴿قل للذين كفروا ستُغلبون وتُحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾

قوله تعالى : (قل للذين كفروا ستُغلبون وتُحشرون) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر (ستُغلبون وتُحشرون) بالثاء و(يرونهم) بالياء ، وقرأ نافع ثلاثهن بالثاء ، وقرأهن حمزة ، والكسائي بالياء . وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن يهود المدينة

لما رأوا وقعة بدر، همّوا بالإسلام، وقالوا: هذا هو النبي الذي نجده في كتابنا، لا ترد له راية، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا له وقعة أخرى، فلما كانت أحد، شكّوا، وقالوا: ما هو به، ونقضوا عهداً كان بينهم وبين النبي، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة، فقالوا: تكون كلمتنا واحدة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس^(١). والثاني: أنها نزلت في قريش قبل وقعة بدر، فحقق الله وعده يوم بدر، روي عن ابن عباس، والضحاك. والثالث: أن أبا سفيان في جماعة من قومه، جمعوا الرسول الله ﷺ، بعد وقعة بدر، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب.

﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فتقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴿

قوله تعالى: (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) في المخاطبين بهذا ثلاثة أقوال. أحدها: أنهم المؤمنون، روي عن ابن مسعود، والحسن. والثاني: الكفار، فيكون معطوفاً على الذي قبله، وهو يتخرج على قول ابن عباس الذي ذكرناه آنفاً. والثالث: أنهم اليهود، ذكره الفراء، وابن الأباري، وابن جرير. فإن قيل: لم قال: (قد كان لكم) ولم يقل: قد كانت لكم؟ فالجواب من وجهين. أحدهما: أن ما ليس بمؤث حقيقي، يجوز تذكيره. والثاني: أنه ردّ المعنى إلى البيان، فعناه: قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى، وترك اللفظ، وأنشدوا:

إن امرءاً غره منكنَّ واحدةٌ
بعدي وبعذك في الدنيا لمفرور

وقد سبق معنى «الآية»، و«الفئة»، وكل مشكل تركت شرحه، فانك تجده فيما سبق، والمراد بالفئتين: النبي ﷺ وأصحابه، ومشركو قريش يوم بدر. قاله قتادة

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» عن الكلبي، عن أبي صالح.

والجماعة. وفي قوله تعالى: (يرونهم مثليهم) قولان. أحدهما: يرونهم ثلاثة أمثالهم، قاله الفراء، واحتج بأنك إذا قلت: عندي ألف دينار، واحتاج إلى مثليه، فانك تحتاج إلى ثلاثة آلاف^(١). والثاني: أن معناه يرونهم ومثلهم، قال الزجاج: وهو الصحيح^(٢).

قوله تعالى: (رأي العين) أي: في رأي العين. قال ابن جرير: جاء هذا على مصدر رأيته، يقال: رأيته رأياً، ورؤية. واختلفوا في الفئة الرائية على ثلاثة أقوال، هي التي ذكرناها في قوله تعالى: (قد كان لكم آية) فإن قلنا: إن الفئة الرائية المسلمون، فوجه أن المشركين كانوا يضعفون على عدد المسلمين، فأروهم على ما هم عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود. وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر. وقد قرأ نافع: « يرونهم » بالتاء. قال ابن الأثير: ذهب إلى أن الخطاب لليهود. قال الفراء: ويجوز لمن قرأ « يرونهم » بالياء أن يجعل الفعل لليهود، وإن كان قد خاطبهم في قوله تعالى: (قد كان لكم آية) لأن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. وقد شرحنا هذا في «الفتاحة» وغيرها. فإن قيل: كيف يقال: إن المشركين استكثروا المسلمين، وإن المسلمين استكثروا المشركين، وقد بين قوله تعالى: (وإذا يريكمهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم) الأنفال: ٢٤. أن الفئتين تساوتا في استقلال إحداهما للأخرى؟ فالجواب: أنهم استكثروهم في حال، واستقلوهم في حال، فإن

(١) نص كلام الفراء في «معاني القرآن» ج ١/ ١٩٤. فإن قلت: فكيف جاز أن يقال: « مثليهم » يريد ثلاثة أمثالهم؟ قلت: كما تقول وعندك عبد: احتاج إلى مثله، فأنت محتاج إليه، وإلى مثله، وتقول: احتاج إلى مثلي عبدي، فأنت إلى ثلاثة محتاج. ويقول الرجل: معي ألف واحتاج إلى مثليه، فهو يحتاج إلى ثلاثة، فلما نوى أن يكون الألف داخلاً في معنى المثل صار، المثل اثنين، والمثلان ثلاثة، ومثله في الكلام أن تقول: أراكم مثلكم، كأنك قلت: أراكم ضعفكم، وأراكم مثليكم: يريد ضعفكم، فهذا على معنى الثلاثة.

(٢) في القرطبي ج ٤/ ٢٦: قال الزجاج: وهذا باب الغلط. يريد ما ذهب إليه الفراء فيه غلط في جميع المقاييس، لأننا إنما نقل مثل الشيء مساوياً له، فنقل مثليه ما يساويه مرتين.

قلنا : إن الفئة الرائية المسلمون ، فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على مام عليه ، ثم قلل الله المشركين في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم ، فنصرهم الله بذلك السبب . قال ابن مسعود : نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم ، فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً . وقال في رواية أخرى : لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : أراهم مئة ، فأسرنا منهم رجلاً ، فقلت : كم كنتم ؟ قال : ألفاً . وإن قلنا : إن الفئة الرائية المشركون ، فانهم استقلوا المسلمين في حال ، فاجترؤوا عليهم ، واستكثروهم في حال ، فكان ذلك سبب خذلانهم ، وقد نقل أن المشركين لما أسروا يومئذ ، قالوا للمسلمين : كم كنتم ؟ قالوا : كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر . قالوا : ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا .

قوله تعالى : (والله يؤيد) ، أي : يقوي (إن في ذلك) في الإشارة قولان . أحدهما : أنها ترجع إلى النصر . والثاني : إلى رؤية الجيش مثلهم ، والعبرة : الدلالة الموصلة إلى اليقين ، المؤدية إلى العلم ، وهي من العبور ، كأنه طريق يُعبر به ، ويتوصل به إلى المراد . وقيل : العبرة : الآبة التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم . والأبصار : القول والبصائر .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حِسْنُ الْمَأْبِ ﴾

قوله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) قرأ أبو رزين العقيلي ، وأبو رجاء العطاردي ، ومجاهد ، وابن محيصن « زين » بفتح الزاي « حب » بضم الباء ، وقد سبق في « البقرة » بيان التزيين . والقناطر : جمع قنطار ، قال ابن دريد : ليست النون فيه أصلية ، وأحسب أنه معرب . واختلف العلماء : هل هو محدود أم لا ؟ فيه قولان . أحدهما : أنه محدود ، ثم فيه

أحد عشر قولاً . أحدها : أنه ألف ومئتا أوقية ، رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ^(١) وبه قال معاذ بن جبل ، وابن عمر ، وعاصم بن أبي النجود ، والحسن في رواية . والثاني : أنه اثنا عشر ألف أوقية ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ^(٢) . وعن أبي هريرة كالتولين ، وفي رواية عن أبي هريرة أيضاً : اثنا عشر أوقية . والثالث : أنه ألف ومئتا دينار ، ذكره الحسن ورواه العوفي عن ابن عباس . والرابع : أنه اثنا عشر ألف درهم ، أو ألف دينار ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وروي عن الحسن ، والضحاك ، كهذا القول ، والذي قبله . والخامس : أنه سبعون ألف دينار ، روي عن ابن عمر ، ومجاهد . والسادس : ثمانون ألف درهم ، أو مئة رطل من الذهب ، روي عن سعيد بن المسيب ، وقتادة . والسابع : أنه سبعة آلاف دينار ، قاله عطاء . والثامن : ثمانية آلاف مثقال ، قاله السدي . والتاسع : أنه ألف مثقال ذهب أو فضة ، قاله الكلبي . والعاشر : أنه ملء مسك ثور ذهاباً ، قاله أبو نضرة ، وأبو عبيدة . والحادي عشر : القنطار : رطل من الذهب ، أو الفضة ، حكاه ابن الأنباري . والقول الثاني : أن القنطار ليس بمحدود . وقال الربيع بن أنس : القنطار : المال الكثير ، بمضه على بعض ، وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزن لا يحد ، وهذا اختيار ابن جرير الطبري . قال ابن الأنباري : قال بمض اللغويين : القنطار : المقدة الوثيقة المحكمة من المال . وفي معنى المقنطرة ثلاثة أقوال . أحدها : أنها المضعفة ، قال ابن عباس : القناطر ثلاثة ، والمقنطرة تسعة ، وهذا قول الفراء . والثاني : أنها المكملة ، كما تقول : بدرة مبدرة ، وألف مؤلفة ، وهذا قول ابن قتيبة . والثالث : أنها المضروبة حتى صارت دنائير ودراهم ، قاله السدي . وفي المسومة ثلاثة أقوال

(١) رواه الطبري في « التفسير » وذكره ابن كثير ، وقال : وهذا حديث منكر أيضاً ، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب ، كثيره من الصحابة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » وابن ماجه مرفوعاً ، ورواه ابن جرير ووكيع موقوفاً . قال ابن كثير :

وهذا أصح .

أحدها: أنها الراعية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية، والضحاك، والسدي، والريعي، ومقاتل. قال ابن قتيبة: يقال: سامت الخيل، وهي سائمة: إذا رعت، وأسمتها وهي مسامة، وسومتها فهي مسومة: إذا رعيها والمسومة في غير هذا: المعلمة في الحرب بالسومة وبالسيماء، أي: بالعلامة. والثاني: أنها المعلمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، وعن الحسن كالقولين. وفي معنى المعلمة ثلاثة أقوال. أحدها: أنها معلمة بالشية، وهو اللون الذي يخالف سائر لونها، روي عن قتادة. والثاني: بالكسبي، روي عن المؤرج. والثالث: أنها البلق، قاله ابن كيسان. والثالث: أنها الحسان، قاله ابن عكرمة، ومجاهد. فأما الأنعام، فقال ابن قتيبة: هي: الإبل، والبقر، والغنم، وأحدها: نعم، وهو جمع لا واحد له من لفظه. والمآب: المرجع. وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها.

﴿ قل أوتيتكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾

قوله تعالى: (قل أوتيتكم بخير من ذلكم) روى عطاء بن السائب عن أبي بكر بن حفص قال: لما نزل قوله تعالى: (زين للناس حب الشهوات) . قال عمر: يارب الآن حين زينتها! فنزلت: (قل أوتيتكم بخير من ذلكم) ووجه الآية أنه خبر أن ما عنده خير مما في الدنيا، وإن كان محبوباً، ليتروكوا ما يحبون لما يرجون. فأما الرضوان، فقرأ عاصم، لإحفاصاً وأبان بن يزيد عنه، برفع الراء في جميع القرآن، واستثنى يحيى والعلمي كسر الراء في المائدة في قوله تعالى: (من اتبع رضوانه) المائدة: ١٦٠. وقرأ الباقر بكسر الراء، والكسر لغة قریش. قال الزجاج: يقال: رضيت الشيء أرضاه رضئاً ومرضاه ورضواناً ورضواناً. (والله بصير بالعباد) . يعلم من يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا، فهو يجازيهم على أعمالهم .

﴿الذين يقولون ربنا إنا آثمنا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾

قوله تعالى : (الصابرين) أي : على طاعة الله عز وجل ، وعن محارمه (والصادقين) في عقائدهم وأقوالهم (والقانتين) بمعنى المطيعين لله (والمنفقين) في طاعته . وقال ابن قتيبة يعني : بالنفقة الصدقة . وفي معنى استغفارهم قولان . أحدهما : أنه الاستغفار المعروف باللسان ، قاله ابن مسعود ، والحسن في آخرين ^(١) . والثاني : أنه الصلاة . قاله مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ومقاتل في آخرين . فعلى هذا إنما سميت الصلاة استغفاراً ، لأنهم طلبوا بها المغفرة . فأما السحر ، فقال إبراهيم بن السري : السحر : الوقت الذي قبل طلوع الفجر ، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر ، فوصفهم الله بهذه الطاعات ، ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم يستغفرون .

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾

قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو) سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أحبار الشام قدما النبي ﷺ ، فلما أبصرا المدينة ، قال أحدهما لصاحبه : ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان ، فلما دخلا على النبي ﷺ ، عرفاه بالصفة ، فقالا : أنت محمد ؟ قال : «نعم» . قالوا : وأحمد ؟ قال : «نعم» . قالوا : نسألك عن شهادة ، فإن أخبرتنا بها ، آمنا

(١) ثبت في الصحيحين وغيرهما من السانيد ، وهو السنن ومن غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فاستجب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له . »

وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل ، ثم يقول : يا نافع هل جاء السحر ؟ فإذا قال : نعم ، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير الطبري .

بك وصدقناك ، فقال : «سلاني» . فقالا : أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله ، فنزلت هذه الآية ، فأسلما ، قاله ابن السائب^(١) . وقال غيره : هذه الآية رد على نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام ، وقد سبق ذكر خبرهم في أول السورة . وقال سعيد بن جبير : كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، وكان لكل حي من العرب صنم أو صنمان ، فلما نزلت هذه الآية ، خرت الأصنام سجداً . وفي معنى (شهد الله) قولان . أحدهما : أنه بمعنى قضى وحكم ، قاله مجاهد ، والفراء ، وأبو عبيدة . والثاني : بمعنى يبين ، قاله ثعلب والزجاج ، قال ابن كيسان : شهد الله تدبيره العجيب ، وأموره المحكمات عند خلقه ، أنه لا إله إلا هو . وسئل بعض الأعراب : ما الدليل على وجود الصانع ؟ فقال : إن البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدل على المسير ، فبيكل علوي بهذه اللطافة ، ومر كرسفلي بهذه الكفاة ، أما يدلان على الصانع الخبير ؟! وقرأ ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وابن السميع ، وعاصم الجحدري (شهداء الله) بضم «الشين» وفتح «الهاء والدال» وبهمزة مرفوعة بعد المدة ، وخفض «الهاء» من اسم الله تعالى (قائماً بالقسط) أي : بالعدل . قال جعفر الصادق : وإنما كرر (لا إله إلا هو) لأن الأولى وصف وتوحيد ، والثانية رسم وتعليم ، أي : قولوا : لا إله إلا هو .

﴿إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾

قوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) الجمهور على كسر «إن» إلا الكسائي ، فإنه فتح «الألف» ، وهي قراءة ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي رزين ، وأبي العالية ، وقتادة . قال أبو سليمان الدمشقي : لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية ، وادعت النصارى أنه لا دين أفضل من النصرانية ، نزلت هذه الآية . قال الزجاج : الدين : اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه ، وأمهم بالإقامة عليه ، وأن يكون

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند عن ابن السائب الكلبي .

عادتهم ، وبه يجزيهم . وقال شيخنا علي بن عبيد الله : الدين : ما التزمه العبد لله عز وجل . قال ابن قتيبة : والإسلام الدخول في السلم ، أي : في الانقياد والمتابعة ، ومثله الاستسلام ، يقال : سلم فلان لأمرك ، واستسلم ، وأسلم ، كما تقول : أشيت الرجل ، أي : دخل في الشئ ، وأربع : دخل في الربيع . وفي الذين أوتوا الكتاب ثلاثة أقوال . أحدها : أنهم اليهود ، قاله الربيع . والثاني : أنهم النصارى ، قاله محمد بن جعفر بن الزبير . والثالث : أنهم اليهود ، والنصارى ، قاله ابن السائب . وقيل : الكتاب هاهنا : اسم جنس بمعنى الكتب . وفي الذين اختلفوا فيه أربعة أقوال . أحدها : دينهم ، والثاني : أمر عيسى ، والثالث : دين الإسلام ، وقد عرفوا صحته . والرابع : نبوة محمد ﷺ ، وقد عرفوا صفته .

قوله تعالى : (إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي : الإيضاح لما اختلفوا فيه (بنياً بينهم) قال الزجاج : معناه : اختلفوا للبنى ، لا لقصد البرهان ، وقد ذكرنا في «البقرة» معنى : سريع الحساب .

﴿ فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنا معك البلاغ والله بصير بالمعادي ﴾

قوله تعالى : (فان حاجوك) أي : جادلوك ، وخاصموك . قال مقاتل : يعني اليهود ، وقال ابن جرير : يعني نصارى نجران في أمر عيسى ، وقال غيره : اليهود والنصارى . (فقل أسلمت وجهي لله) قال الفراء : معناه : أخلصت عملي ، وقال الزجاج : قصدت بمبادتي إلى الله .

قوله تعالى : (ومن اتبعن) أثبت الباء في الوصل دون الوقف أهل المدينة والبصرة ، وابن شنبوذ عن قبل ، ووقف ابن شنبوذ ويعقوب بياء . قال الزجاج : والاحب إلي اتباع المصحف . وما حذف من الياءات في مثل قوله تعالى : (ومن اتبعن) و (لئن أخرجتن) و (ربي أكرم) و (ربي أهان) . فهو على ضربين . أحدهما : ما كان مع النون ، فان

كان رأس آية ، فأهل اللثة يميزون حذف الياء ، ويسمون أواخر الآي الفواصل ، كما أجازوا ذلك في الشعر .

قال الأعشى :

ومن شأني كاسف باله إذا ما انتسبت له أنكرن
وهل يمنعني ارتيادي البلا د من حذر الموت أن يأتين^(١)

فأما إذا لم يكن آخر آية أو قافية ، فالأكثر إثبات الياء ، وحذفها جيد أيضاً ، خاصة مع النونات ، لأن أصل « اتبعني » « اتبعي » ولكن « النون » زيدت لتسلم فتحة العين ، فالكسرة مع النون تنوب عن الياء ، فأما إذا لم تكن النون ، نحو غلامي وصاحبي ، فلا أجود إثباتها ، وحذفها عند عدم النون جائز على قلته ، تقول : هذا غلام ، قد جاء غلامي ، وغلامي بفتح الياء وإسكانها ، فجاز الحذف ، لأن الكسرة تدل عليها .

قوله تعالى : (وقل للذين أتوا الكتاب) يريد اليهود النصارى (والأمين) بمعنى مشركي العرب ، وقد سبق في البقرة شرح هذا الاسم .

قوله تعالى : (أسلمتم) قال الفراء : هو استفهام ومعناه الأمر^(٢) ، كقوله تعالى : (فهل أنتم متتهون) . المائدة : ٩١ .

(١) الديوان ص : ١٩ ، ورواية صدر البيت الأول فيه : ومن شأني كاسف وجهه . والشأنى : المفض . والكاسف الوجه : العابس المنير .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته ﷺ إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث ، فمن ذلك قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الاعراف : ١٥٨ وقال تعالى : (نبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) الفرقان : ١ وفي « الصحيحين » وغيرهما ما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه بث كتبه -

﴿ فصل ﴾

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية ، فذهبت طائفة الى أنها محكمة ، وأن المراد بها تسكين نفس النبي ﷺ عنده امتناع من لم يحبه ، لأنه كان يحرص على إيمانهم ، ويتألم من تركهم الإجابة . وذهبت طائفة إلى أن المراد بها الاختصار على التبليغ ، وهذا منسوخ بآية السيف .

﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بمذاب أليم . أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾

قوله تعالى : (إن الذين يكفرون بآيات الله) قال أبو سايان الدمشقي : عنى بذلك اليهود والنصارى . قال ابن عباس : والمراد بآيات الله محمد والقرآن . وقد تقدم في « البقرة » شرح قتلهم الأنبياء ، والقسط ، والعدل . وقرأ الجمهور (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) وقرأ حمزة « ويقاثلون » بألف . وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ أنه قال : « قتلتم بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل ، فأمروا من قتلهم بالمروف ، ونهوا عن المنكر ، فقتلوا جميعاً »

ﷺ يدعوا إلى الله ملوك الآفاق ، وطوائف بني آدم ، من عربهم وعجمهم ، كنائسهم وأمميهم ، امتثالاً لأمر الله بذلك . وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » ، رواه مسلم . وقال ﷺ : « دبت إلى الأحمر والأسود » ، رواه أحمد في المسند من حديث أبي موسى الأشعري ، ورواه أيضاً من حديث أبي ذر .

في آخر النهار ، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه^(١) وأنزل الآية فيهم . وإنما وبخ بهذا اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ لأنهم تولوا أولئك ، ورضوا بفعالهم (فبشرهم) بمعنى : أخبرهم ، وقد تقدم شرحه في « البقرة » ومعنى حبطت : بطلت .

﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾

قوله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) في سبب نزولها أربعة أقوال . أحدها : أن النبي ﷺ دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود ، فدعاهم إلى الله فقال رجلان منهم : على أي دين أنت ؟ فقال : على ملة إبراهيم . قالوا : فانه كان يهودياً . قال : فهاكموا إلى التوراة ، فأبيا عليه ، فنزلت هذه الآية . رواه سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس^(٢) . والثاني : أن رجلاً من اليهود ، وامرأة زنيا ، فكرهوا رجمهما لشرهما ، فرفعوا أمرهما إلى النبي ﷺ رجاء أن يكون عنده رخصة ، فحكم عليهما بالرجم ، فقالوا : جرت علينا يا محمد ، ليس علينا الرجم . فقال : بني وبينكم التوراة ، فجاء ابن صوريا ، فقرأ من التوراة ، فلما أتى على آية الرجم ، وضع كفه عليها ، وقرأ ما بعدها ، فقال ابن سلام : قد جاوزها ، ثم قام ، فقرأها ، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين ، فرجما ، فغضب اليهود . فنزلت هذه الآية . رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣) . والثالث : أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام ، فقال نعمان بن أبي

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وفي سنده أبو الحسن مولى من بني أسد ، وقد قال الحافظ في « اللسان » : مجهول .

(٢) رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير .

(٣) جاء في « الصحيحين » ، وفي « سنن » أبي دؤاد واللفظ له . عن ابن عمر أنه قال : إن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما تجدون في التوراة في شأن الزنى » ؟ فقالوا : نفضحهم ويحجلدون . فقال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم

أوفى : هلم نحكمك إلى الأحبار . فقال : بل إلى كتاب الله ، فقال : بل إلى الأحبار ، فنزلت هذه الآية ، قاله السدي . والرابع : أنها نزلت في جماعة من اليهود ، دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام ، فقالوا : نحن أحق بالهدى منك ، وما أرسل الله نبياً إلا من بني إسرائيل . قال : فأخرجوا التوراة ، فاني مكتوب فيها أي نبي ، فأبوا ، فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل بن سليمان .

فأما التفسير ، فالنصيب الذي أوتوه : العلم الذي علموه من التوراة . وفي الكتاب الذي دعوا إليه قولان . أحدهما : أنه التوراة ، رواه عكرمة ، عن ابن عباس ، وهو قول الأكثرين . والثاني : أنه القرآن ، رواه أبو صالح ، عن ابن عباس ، وهو قول الحسن ، وقتادة . وفي الذي أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال . أحدها : ملة إبراهيم . والثاني : حد الزنى . روي عن ابن عباس . والثالث : صحة دين الإسلام ، قاله السدي . والرابع : صحة نبوة محمد ﷺ ، قاله مقاتل . فان قيل : التولي هو الإعراض ، فما فائدة تكريره ؟ فالجواب من أربعة أوجه . أحدها : التأكيد . والثاني : أن يكون المعنى : يتولون عن الداعي ، ويعرضون عما دعا إليه . والثالث : يتولون بأبدانهم ، ويعرضون عن الحق بقلوبهم . والرابع : أن يكون الذين تولوا علماءهم ، والذين أعرضوا أتباعهم ، قاله ابن الأنباري .

فأتوا بالتوراة ، فشروها ، فجعل أحدهم يده على آية الرجم ، ثم جعل يقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك فرفعها ، فإذا فيها آية الرجم . فقالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجما . فهذا الحديث الصحيح ليس فيه أن هذه القصة سبب لزول الآية . وأثر المصنف رحمه الله إنما هو من رواية الكلبي عن أبي صالح والكلبي . هذا هو محمد بن السائب وقد اتفق العلماء على عدم الاحتجاج به ، بل بعضهم نسبته إلى الكذب ، وقال البخاري : قال علي : حدثنا يحيى عن سفيان ، قال لي الكلبي : كلما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب .

﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾

قوله تعالى : (ذلك بأنهم قالوا) يعني : الذي حملهم على التولي والإعراض أنهم قالوا : (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات) وقد ذكرناها في « البقرة » . و (يفترون) : يخلقون . وفي الذي اختلقوه قولان . أحدهما : أنه قولهم : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ، قاله مجاهد ، والزجاج . والثاني : قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، قاله قتادة ، ومقاتل .

﴿ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾
قوله تعالى : (فكيف إذا جمعناهم) معناه : فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم (ليوم) أي : لجزء يوم ، أو لحساب يوم . وقيل « اللام » بمعنى : « في » .

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعج الملك ممن تشاء وتُعزّز من تشاء وتُذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك) في سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن النبي ﷺ ، لما فتح مكة ، ووعد أمته ملك فارس والروم ، قال المنافقون واليهود : هيهات ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس ، وأنس بن مالك ، والثاني : أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته ، فنزلت هذه الآية ، حكاه قتادة^(١) . والثالث : أن اليهود قالوا : والله لا نطيع رجلاً جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم ، فنزلت هذه الآية ، قاله أبو سليمان الدمشقي . فأما التفسير ، فقال الزجاج : قال : الخليل ، وسيبويه ، وجميع النحويين الموثوق بعلمهم : « اللهم » بمعنى « يا الله » ، و « الميم » المشددة زيدت عوضاً من « يا » ، لأنهم لم يجدوا

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال : ذكر لنا . . .

«يا» مع هذه «الميم» في كلمة ، ووجدوا اسم الله عز وجل مستعملاً بـ«يا» إذا لم تذكر الميم ، فعلموا أن الميم في آخر السكامة بمنزلة «يا» في أوأها . والضمة التي في «الهاء» هي ضمة الاسم المنادى المفرد . قال أبو سليمان الخطابي: ومعنى «مالك الملك»: أنه بيده، يؤتية من يشاء ، قال: وقد يكون معناه: مالك الملوك ، ويحتمل أن يكون معناه: وارث الملك يوم لا يدعيه مدّع، كقوله تعالى: (الملك يومئذ الحقّ للرحمن) الفرقان: ٢٦

قوله تعالى: (تؤتي الملك من تشاء) في هذا الملك قولان . أحدهما: أنه النبوة ، قاله ابن جبير ، ومجاهد . والثاني: أنه المال ، والعبيد ، والحفدة ، ذكره الزجاج . وقال مقاتل: تؤتي الملك من تشاء ، يعني محمداً وأمه ، وتنزع الملك ممن تشاء ، يعني فارس والروم . (وتعزّ من تشاء) محمداً وأمه (وتذل من تشاء) فارس والروم . وبماذا يكون هذا العزو الذل ؛ فيه ثلاثة أقوال . أحدها: العز بالنصر ، والذل بالقهر ، والثاني: العز بالغنى ، والذل بالفقر ، والثالث: العز بالطاعة ، والذل بالمعصية .

قوله تعالى: (بيدك الخير) قال ابن عباس: يعني النصر والغنيمة ، وقيل: معناه يديك الخير والشر ، فاكفى بأحدهما ، لأنه المرغوب فيه .

﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحيّ من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾

قوله تعالى: (تولج الليل في النهار) أي: تدخل ما تقصصت من هذا في هذا . وقال ابن عباس ، ومجاهد: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر . قال الزجاج: يقال: ولج الشيء يلج ولوجاً وولجاً وولجة .

قوله تعالى: (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) و (لبلد ميت) الأعراف: ٥٧، و (أو من كان ميتاً) الأنعام: ١٢٢، و (وإن يكن ميتة)

الأنعام: ١٢٩، و (الأرض الميتة) يس: ٣٣: كله بالتخفيف. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي: (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) و (لبلد ميتة) و (إلى بلد ميتة) وخفف حمزة، والكسائي غير هذه الحروف. وقرأ نافع (أومن كان ميتاً) و (الأرض الميتة) و (لحم أخيه ميتاً) الحجرات: ١٢: وخفف في سائر القرآن ما لم يمت. وقال أبو علي: الأصل التثقيل، والمخفف محذوف منه، وما مات، وما لم يمت في هذا الباب مستويان في الاستعمال. وأنشدوا:

ومنهل فيه الغراب ميتٌ سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَوْمَ وَاسْتَقَيْتُ

فهذا قد مات. وقال آخر:

ليسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيْتٌ الْأَحْيَاءُ^(١)

فخفف ما مات، وشدد ما لم يمت. وكذلك قوله تعالى: (إنك ميت وإلهم ميتون) الزمر: ٣٠ ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال. أحدها: أنه إخراج الإنسان حياً من النطفة، وهي ميتة. وإخراج النطفة من الإنسان، وكذلك إخراج الفرخ من البيضة، وإخراج البيضة من الطائر، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، والجمهور. والثاني: أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان، روى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء. والثالث: أنه إخراج السنبلة الحية من الحبة الميتة، والنخلة الحية من النواة الميتة، والنواة الميتة من النخلة الحية، قاله السدي. وقال الزجاج: يخرج النبات الفس من الحب اليابس، والحب اليابس من النبات الحي النامي.

(١) البيت نسبة في «اللسان» لعدي بن الرعلاء وبعده:

كاسفاً باله قليل الرجاء
وأنا من خلقهم في المساء

إنما الميت من يعيش شقيماً
فأناس يمضون ثمناً

قوله تعالى : (بغير حساب) أي : بغير تقدير . قال الزجاج : يقال للذي ينفق موسعاً : فلان ينفق بغير حساب ، كأنه لا يحسب ما أنفقته إنفاقاً .

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

قوله تعالى : (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ) في سبب نزولها أربعة أقوال . أحدها : أن عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود ، فقال يوم الأحزاب : يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود ، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو ، فنزلت هذه الآية ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثاني : أنها نزلت في عبد الله بن أبي ، وأصحابه من المنافقين كانوا يتولون اليهود ، ويأتونهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من النبي ﷺ ، فنهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثالث : أن قوماً من اليهود ، كانوا يباطنون نقرأ من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم ، فهاهم قوم من المسلمين عن ذلك ، وقالوا : اجتنبوا هؤلاء اليهود ، فأبوا ، فنزلت هذه الآية . روي عن ابن عباس أيضاً والرابع : أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره ، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة ، فهاهم الله عز وجل عن ذلك ، هذا قول مقاتلين ، ابن سليمان ، وابن حيان . فأما التفسير ، فقال الزجاج : معنى قوله تعالى : (من دون المؤمنين) أي : لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن ، أي : لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤمنين ، وهذا كلام جرى على المثل في المكان ، كما تقول : زيد دونك ، ولست تريد المكان ، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان ، والخسة كالاستفال في المكان . ومعنى (فليس من الله في شيء) أي : فإله بريء منه .

قوله تعالى (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) قرأ يعقوب ، والمفضل عن عاصم « تَقِيَّةً » بفتح

الناء من غير ألف، قال مجاهد: إلا مُصانمة في الدنيا. قال أبو العالية: التقاة باللسان، لا بالعمل.

﴿ فصل ﴾

والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد: وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ قال: لا. وقال: إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فتي يتبين الحق؛ وسنشرح هذا المعنى في «النحل» عند قوله تعالى: (إلا من أكره) النحل: ١٠٦، إن شاء الله.

﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى: (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) قال ابن عباس: بني اتخاذ الكافرين أولياء.

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾

قوله تعالى: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) قال الزجاج: نصب «اليوم» بقوله: (ويحذركم الله نفسه) في ذلك اليوم. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون متعلقاً بالمصير، والتقدير: وإلى الله المصير، يوم تجد. ويجوز أن يكون متعلقاً بفعل مضمر، والتقدير: اذكر يوم تجد. وفي كيفية وجود العمل وجهان. أحدهما: وجوده مكتوباً في الكتاب. والثاني: وجود الجزاء عليه. والأمد: الغاية.

قال الطرماح :

كلُّ حيٍّ مُسْتَنكَمٌ عِدَّةُ الْعَمَلِ وَمُودٍ إِذَا انْقَضَى أَمَدُهُ ^(١)
يريد: غاية أجله .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) في سبب نزولها أربعة أقوال . أحدها : أن النبي ﷺ ، وقف على قريش ، وقد نصبوا أصنامهم يسجدون لها ، فقال : يا معشر قريش : « لقد خالفتكم ملة أبيكم إبراهيم » . فقالوا : يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله ، ليقربونا إلى الله زلفى . فنزلت هذه الآية ، رواه الضحاك عن ابن عباس ^(٢) . والثاني : أن اليهود قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فنزلت هذه الآية ، فعرضها النبي ﷺ عليهم ، فلم يقبلوها ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثالث : أن ناساً قالوا : إنا لنحب ربنا حباً شديداً ، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً ، فأنزل هذه الآية ، قاله الحسن ، وابن جريج . والرابع : أن نصارى نجران ، قالوا : إنما نقول هذا في عيسى حباً لله ، وتمظيماً له ، فنزلت هذه الآية ، ذكره ابن اسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، واختاره أبو سليمان الدهشقي .

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

قوله تعالى : (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) في سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن

(١) ديوانه : ١١٢ وروايته فيه :

كل حي مستكمل عدة العمل ر ومود إذا انقضى عده
يريد أن المرء هالك إذا انقضى عدد أيامه وأكله في هذه الحياة الدنيا .

(٢) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » من طريق جوير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، وجوير ، هو أبو القاسم البلخي ، نزيل الكوفة ، راوي التفسير ، قال الحافظ في « التقریب » ضعيف جداً .

عبد الله بن أبي قال لأصحابه: إن محمداً يحمل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى بن مريم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. والثاني: أن النبي ﷺ، دعا اليهود إلى الإسلام، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حباً لله مما تدعونا إليه، فنزلت (قل إن كنتم تحبون الله) ونزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾

قوله تعالى: (إن الله اصطفى آدم) قال ابن عباس: قالت اليهود: نحن أبناء إبراهيم وإسحاق، ويعقوب، ونحن على دينهم، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم، فجعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يرى، لأن العرب تختل المعلوم بالشيء المرئي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهد عياناً، فنحن نعاين الشيء الصافي أنه النقي من الكدر، فكذلك صفوة الله من خلقه. وفيه ثلاث لغات: صفوة، وصفوة، وصفوة. وأما آدم فعربي، وقد ذكرنا اشتقاقه في «البقرة». وأما نوح، فأعجمي مُعَرَّبٌ، قال أبو سليمان الدمشقي: اسم نوح: السكن، وإنما سمي نوحاً، لكثرة نوحه. وفي سبب نوحه خمسة أقوال. أحدها: أنه كان ينوح على نفسه، قاله يزيد الرقاشي، والثاني: أنه كان ينوح لمعاصي أهله، وقومه. والثالث: لمراجعته ربه في ولده. والرابع: لدعائه على قومه بالهلاك. والخامس: أنه مر بكلب مجنوم، فقال: أخساً يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعيتني يانوح، أم عبت الكلب؟ وفي آل إبراهيم ثلاثة أقوال. أحدها: أنه من كان على دينه، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنهم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد «آل إبراهيم» هو نفسه، كقوله: (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) البقرة: ٢٤٨، ذكره بعض أهل التفسير. وفي «عمران»

قولان . أحدهما : أنه والد مريم ، قاله الحسن ، ووهب . والثاني : أنه والد موسى ، وهارون ، قاله مقاتل . وفي «آله» ثلاثة أقوال . أحدها : أنه عيسى عليه السلام ، قاله الحسن . والثاني : أن آله موسى وهارون ، قاله مقاتل . والثالث : أن المراد بـ «آله» نفسه ، ذكره بعض المفسرين ، وإنما خص هؤلاء بالذكر ، لأن الأنبياء كلهم من نسلهم . وفي معنى اصطفاة هؤلاء المذكورين ثلاثة أقوال . أحدها : أن المراد اصطفاة دينهم على سائر الأديان ، قاله ابن عباس ، واختاره الفراء ، والدمشقي . والثاني : اصطفاهم بالنبوة ، قاله الحسن ، وبجاهد ، ومقاتل . والثالث : اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم . والمراد بـ «العالمين» : عالمو زمانهم ، كما ذكرنا في «البقرة» :

﴿ ذَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (ذَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ) قال الزجاج : نصبها على البدل ، والمعنى : اصطفا ذرية بعضها من بعض . قال ابن الأباري : وإنما قال : بعضها ، لأن لفظ الذرية مؤنث ، ولو قال : بعضهم ، ذهب إلى معنى الذرية . وفي معنى هذه البعضية قولان . أحدهما : أن بعضهم من بعض في التناصُر والدين ، لا في التناسل ، وهو معنى قول ابن عباس ، وقتادة . والثاني : أنه في التسلسل ، لأن جميعهم ذرية آدم ، ثم ذرية نوح ، ثم ذرية إبراهيم ، ذكره بعض أهل التفسير . قال أبو بكر النقاش : ومعنى قوله : (ذرية بعضها من بعض) أن الأبناء ذرية للآباء ، والآباء ذرية للأبناء ، كقوله تعالى : (حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) يس : ٤٦ ، فجعل الآباء ذرية للأبناء ، وإنما جاز ذلك ، لأن الذرية مأخوذة من : ذرأ الله الخلق ، فسمي الولد للوالد ذرية ، لأنه ذرىء منه ، وكذلك يجوز أن يقال للأب : ذرية لابن ، لأن ابنه ذرىء منه ، فالفعل يتصل به من الوجهين ، ومثله : (يحبونهم كحُبِّ الله) البقرة : ١٦٥ فأضاف الحب إلى الله ، والمعنى : كحُبِّ المؤمن لله ، ومثله (ويطعمون الطعام على حبه) الدهر : ٨ ، فأضاف الحب للطعام .

﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

قوله تعالى : (إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ) في « إِذْ » قولان . أحدهما : أنها زائدة ، واختاره أبو عبيدة ، وابن قتيبة . والثاني : أنها أصلٌ في الكلام ، وفيها ثلاثة أقوال . أحدها : أن المعنى : اذكر إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ، قاله المبرد ، والأخفش . والثاني : أن العامل في (إِذْ قَالَتْ) معنى الاصطفاء ، فيكون المعنى : اصطفى آل عمران ، إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ، واصطفاهم إِذْ قَالَتْ الملائكة : يا مريم ، هذا اختيار الزجاج . والثالث : أنها من صلة « سميعٌ » تقديره : والله سميعٌ إِذْ قَالَتْ ، وهذا اختيار ابن جرير الطبري . قال ابن عباس : واسم امرأة عمران حنة ، وهي أم مريم ، وهذا عمران بن ماثان ^(١) ، وليس : « عمران أبي موسى » وليست هذه مريم أخت موسى . وبين عيسى وموسى ألف وثمانمائة سنة . والمحرَّر : العتيق . قال ابن قتيبة : يقال : أعتقت الغلام ، وحررته : سواء . وأرادت : أي نذرت أن أجعل ما في بطني محرراً من التبديد الدنيا ، ليعبدك . وقال الزجاج : كان على أولادهم فرضاً أن يطعموهم في نذرهم ، فكان الرجل ينذر في ولده أن يكون خادماً في متبذم . وقال ابن اسحاق : كان السبب في نذرها أنه أمسك عنها الولد حتى أسنت ، فرأت طائراً يطعم فرخاً له ، فدعت الله أن يهب لها ولداً ، وقالت : اللهم لك عليّ إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس ، فحملت بمریم ، وهلك عمران ، وهي حامل . قال القاضي أبو يعلى : والنذر في مثل ما نذرت صحيح في شريعتنا ، فانه إِذَا نذر الإنسان أن ينشئ ولده الصغير على عبادة الله وطاعته ، وأن يعلمه القرآن ، والفقه ، وعلوم الدين ، صح النذر .

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِذَا الذَّكَرُ كَلَّا لَأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

(١) في « الطبري » عمران بن ياشم

قوله تعالى : (والله أعلم بما وضعت) قرأ ابن عامر ، وعاصم إلا حفصاً ويعقوب (بما وضعتُ) باسكان العين ، وضم التاء . وقرأ الباقر بن فتح الدين ، وجزم التاء ، قال ابن قتيبة : من قرأ بجزم التاء ، وفتح العين ، فيكون في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : إني وضعتها أثني ، وليس الذكر كالأثني ، والله أعلم بما وضعت . ومن قرأ بضم التاء ، فهو كلام متصل من كلام أم مريم .

قوله تعالى : (وليس الذكر كالأثني) من تمام اعتذارها ، ومعناه : لا تصالح الأثني لما يصلح له الذكر ، من خدمته المسجد ، والإقامة فيه ، لما يلحق الأثني من الحيض والنفاس . قال السدي : ظنت أن ما في بطنها غلام ، فلما وضعت جارية ، اعتذرت . ومريم : اسم أعجمي . وفي الرقيم قولان . أحدهما : الملعون ، قاله قتادة . والثاني : أنه المرجوم بالحجارة ، كما تقول : قتيل بمعنى مقتول ، قاله أبو عبيدة ، فعلى هذا سُمي رجيماً ، لأنه يرمى بالنجوم .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنْتِ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يُرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

قوله تعالى : (فتقبلها ربها بقبول حسن) قرأ مجاهد (فتقبلها) بسكون اللام (ربها) بنصب الباء (وأنبتها) بكسر الباء وسكون التاء على معنى الدعاء . قال الزجاج : الأصل في العربية : فتقبلها يتقبل حسن ، ولكن « قبول » محمول على قبلها قبولاً يقال : قبلت الشيء قبولاً ، ويجوز قبولا : إذ ارضيته . (وأنبتها نباتاً حسناً) أي : جعل نشوءها نشوءاً حسناً ، وجاء « نباتاً » على غير لفظ أنبت ، على معنى : نبتت نباتاً حسناً . وقال ابن الأثير : لما كان « أنبت » يدل على « نبت » حمل الفعل على المعنى ، فكانه قال : وأنبتها ، فنبتت هي نباتاً حسناً .

قال امرؤ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورضتُ فذلتُ صعبةً أيّ إذلال^(١)

أراد : أي رياضة ، فلما دل « رضت » على « أذلت » حمله على المعنى . وللمفسرين في معنى النبات الحسن ، قولان . أحدهما : أنه كمال النشوء ، قال ابن عباس : كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام ، والثاني : أنه ترك الخطايا . قال قتادة : حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب ، كما يصيب بنو آدم .

قوله تعالى : (وكفلها) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « وكفلها » بفتح الفاء خفيفة ، و « زكرياء » مرفوع ممدود . وروى أبو بكر عن عاصم : تشديد الفاء ، ونصب « زكرياء » ، وكان يمد « زكرياء » في كل القرآن في رواية أبي بكر . وروى حفص عن عاصم : تشديد الفاء « زكريا » مقصور في كل القرآن . وكان حمزة والكسائي يشددان و « كفلها » ، ويقصران « زكريا » في كل القرآن . فأما « زكريا » فقال القراء : فيه ثلاث لغات . أهل الحجاز يقولون : هذا زكريا قد جاء ، مقصور ، وزكرياء ، ممدود ، وأهل نجد يقولون : زكري ، فيجرونها ، ويلقون الألف . وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي ، عن ابن دريد ، قال : زكريا اسم أعجمي ، يقال : زكري ، وزكرياء ممدود ، وزكريا مقصور . وقال غيره : وزكري يتخفيف الياء ، فمن قال : زكرياء بالمد ، قال في التثنية : زكرياوان ، وفي الجمع زكرياؤون ، ومن قال : زكريا بالقصر ، قال في التثنية زكريان ، كما

(١) ديوانه ص ٣٢ . وقوله : وصرنا إلى الحسنى . أي : لما نجب من الأمور . ورقّ كلامنا : أي : صرنا إلى الصبا وجد اللب واللهو والغزل ، فلم نرفع أصواتنا أثلا بشعر بنا . ورضت فذات : بعد امتناع وصعوبة . والمعنى : لينتها بالكلام والمدارة ، كما يراض البعير بالسير حتى يذل . وقوله : أي إذلال ، محمول على : رضت ، لأن معناه : أذلت .

تقول : مدنيان، ومن قال : زكري بتخفيف الياء ، قال في التثنية : زكريان الياء خفيفة، وفي الجمع: زكرون بطرح الياء .

الإشارة الى كفالة زكريا حريم

قال السدي : انطلقت بها أمها في خرقها، وكانوا يقتربون على الذين يؤتون بهم، فقال زكريا وهو نبهم يومئذ : أنا أحكم بها ، عندي أختها ، فأبوا ، وخرجوا إلى نهر الأردن ، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها ، فجرت الأقلام ، وثبت قلم زكريا ، فكفلها . قال ابن عباس : كانوا سبعة وعشرين رجلا ، فقالوا : نطرح أقلامنا ، فمن صعد قلمه مغالباً للجريفة فهو أحق بها ، فصعد قلم زكريا ، فعلى هذا القول كانت غلبة زكريا بمصاعدة قلمه ، وعلى قول السدي بوقوفه في جريان الماء وقال مقاتل : كان يغلق عليها الباب ، ومعه المفتاح ، لا يأمن عليه أحداً ، وكانت إذا حاضت ، أخرجها إلى منزله تكون مع أختها أم يحيى ، فإذا طهرت ، ردها إلى بيت المقدس . والأكثرون على أنه كفلهامذ كانت طفلة بالقرعة . وقد ذهب قوم إلى أنه كفلهاعند طفولتها بغير قرعة ، لأجل أن أمها ماتت ، وكانت خالتها عنده ، فلما بلغت ، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها ، وإنما كان الاقتراع بعد ذلك عدة ، لأجل سنة أصابتهم . فقال محمد بن إسحاق : كفله زكريا إلى أن أصابت الناس سنة ، فشكا زكريا إلى بني إسرائيل ضيق يده ، فقالوا : ونحن أيضاً كذلك ، فجعلوا يتدافعونها حتى اقتربوا ، فخرج السهم على جريج النجار ، وكان فقيراً ، وكان يأتيها باليسير ، فيزمي ، فدخل زكريا ، فقال : ما هذا؟ على قدر نفقة جريج ؟ فمن أين هذا؟ قالت : هو من عند الله . والصحيح ما عليه الأكثرون ، وأن القوم تشاحوا على كفالتها ، لأنها كانت بنت سيدهم وإمامهم عمران ، كذلك قال قتادة في آخرين ، وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة منذ طفولتها . فأما المحراب ، فقال أبو عبيدة :

المحراب سيد المجالس ، ومقدمها ، وأشرفها ، وكذلك هو من المسجد . وقال الأصمعي :
المحراب هاهنا: الغرفة . وقال الزجاج : المحراب في اللغة : الموضع العالي الشريف .

قال الشاعر :

رَبَّةٌ مُحْرَابٌ إِذَا جَثَّهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سَلْمًا^(١)

قوله تعالى : (وجد عندها رزقاً) قال ابن عباس : ثمار الجنة ، فاكهة الصيف في
الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، وهذا قول الجماعة .

قوله تعالى : (أُنَى لَكَ هَذَا) أي : من أين ؟ قال الريح بن أنس : كان زكريا إذا
خرج ، أغلق عليها سبعة أبواب ، فإذا دخل وجد عندها رزقاً . وقال الحسن : لم ترتضع ندياً
قط ، وكان يأتيها رزقها من الجنة ، فيقول زكريا : أُنَى لَكَ هَذَا ؟ فتقول : هو من عند الله ،
فتكلمت وهي صغيرة . وزعم مقاتل أن زكريا استأجر لها ظئراً ، وعلى ما ذكرنا عن ابن
إسحاق يكون قوله لها : أُنَى لَكَ هَذَا ؟ لاستكثار ما يرى عندها . وما عليه الجمهور أصح .
والحساب في اللغة : التقدير والتضييق .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

قوله تعالى : (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ) قال المفسرون : لما عين زكريا هذه الآية
المعجبة من رزق الله تعالى مريم الفاكهة في غير حينها ، طمع في الولد على الكبر . و (من
لدنك) بمعنى : من عندك . والذرية ، يقال للجمع ، وتقال للواحد ، والمراد بها هاهنا : الواحد .
قال الفراء : وإنما قال طيبة ، لتأنيث الذرية ، والمراد بالطيبة : النقيّة الصالحة . والسميع :
بمعنى السامع . وقيل : أراد بحبيب الدعاء .

(١) البيت لوضاح اليمن ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، وهو من قصيدة أثبت صاحب «الآغا» ج ٦/ ٢٢٣

﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين ﴾

قوله تعالى: (فنادته الملائكة) قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: فنادته بالتاء، وقرأ حمزة، والكسائي: فناداه بألف مماله، قال أبو علي: هو كقوله تعالى: (وقال نسوة) يوسف: ٢٠. وقرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس: « فناداه » بألف. وفي الملائكة قولان. أحدهما: جبريل وحده، قاله السدي، ومقاتل، ووجهه أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع، تقول: ركبت في السفن، وسمعت هذا من الناس. والثاني: أنهم جماعة من الملائكة، وهو مذهب قوم، منهم ابن جرير الطبري. وفي المحراب قولان. أحدهما: أنه المسجد. والثاني: أنه قبلة المسجد. وفي تسمية محراب الصلاة محراباً، ثلاثة أقوال. أحدها: لانفراد الإمام فيه، تبعده من الناس، ومنه قولهم: فلان حرب لفلان: إذا كان بينهما مباغضة، وتباعده، ذكره ابن الأنباري عن أبيه، عن أحمد ابن عبيد. والثاني: أن المحراب في اللغة أشرف الأماكن، وأشرف المسجد مقام الإمام. والثالث: أنه من الحرب فالمصلي محارب للشيطان.

قوله تعالى: (أن الله يبشرك بغلام) قرأ الأكثرون بفتح الألف على معنى: فنادته الملائكة بأن الله، فلما حذف الجار منها، وصل الفعل إليها، فنصبها. وقرأ ابن عامر، وحمزة، بكسر «إن» فأضمر القول. والنقير: فنادته، فقالت: إن الله يبشرك. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: يبشرك بضم الياء: وفتح الباء، والتشديد في جميع القرآن إلا في (حم عسق). (يبشر الله عباده) الشورى: ٢٣ فأنها فتحة الياء وضما الشين، وخففاها. فأما نافع، وابن عامر، وعاصم، فشددوا كل القرآن. وقرأ حمزة: « يبشر » خفيفاً في كل القرآن، إلا قوله تعالى: (فهم تبشرون) الحجر: ٥٤. وقرأ الكسائي « يبشر » مخففة في

خمسة مواضع ، في (آل عمران) في قصة زكرياء ، وقصة مريم ، وفي بني (اسرائيل) ، وفي (الكهف) وفي (حم عشق) قال الزجاج: وفي «يبدرك» ثلاث لغات. أحدها: يبدرك ، بفتح الباء وتشديد الشين. والثانية: «يبدرك» باسكان الباء ، وضم الشين . والثالثة : «يبدرك» بضم الياء وإسكان الباء ، فعنى «يبدرك» بالتشديد و «يبدرك» بضم الياء : البشارة . ومعنى «يبدرك» بفتح الياء : يَسْرُكُ ويفرحك ، يقال : بشرت الرجل أبشُرهُ ، : إذا أفرحته ، وبشر الرجل يبشّر : إذا فرح .

وأنشد الأخفش والكسائي :

وَإِذَا لَقِيتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَى غُبْرًا أَكْفَهُمْ بَقَاعُ مُمَحِلٍ
فَأَعْنَهُمْ وَابْشُرْ بَمَا بَشَرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَانْزِلْ^(١)

فهذا على بشر يبشّر : إذا فرح . وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور ، ومنه قولهم : يلقاني يبشّر . أي : بوجهٍ ينبسط ، وفي معنى تسميته «بحيى» خمسة أقوال . أحدها : لأن الله تعالى أحياء به عقر أمه ، قاله ابن عباس . والثاني : لأن الله تعالى أحياء قلبه بالإيمان ، قاله قتادة . والثالث : لأنه أحياء بين شيخ وعجوز ، قاله مقاتل والرابع : لأنه حيى بالعلم والحكمة التي أوتىها ، قاله الزجاج . والخامس : لأن الله أحياء بالطاعة ،

(١) البيتان لمجد قيس بن خفاف البرجمي من قصيدة حكيمية أثبتها صاحب «الأصميات» رقم ٨٧ ، ووافضليات» رقم ١١٦ . بهش إلى الشيء : فرح به فأسرع إليه . القداح : أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجبال والآكام ، ولا حصى فيها ولا حجارة ، ولا تنبت الشجر . المحل : المجدب . يقول : إذا رأيت الكرام الأسخياء ، قد أجهدتهم السنة ، والقحط ، والجذب ، حتى اغتبرت أيديهم من قلة ما يجدون ، وكثرة ما بذلوا في معونة الناس فأعنتهم . وابتشر من : بشر على وزن فرح يبشّر ، يقال : أتاني أمر بشرت به ، أي : سررت به . يقول : شاركهم في ارتياحهم ، وفرحهم بالسجاء مع ما يلقون من جهد السنة . الضيق . يقول : كن مع الكرام حيث كانوا ، وانزل معهم كل منزل أنزلهموه كرمهم ، من ضنك ، وحاجة .

فلم يعص، ولم يهيم، قاله الحسن بن الفضل. وفي «الكلمة» قولان. أحدهما: أنها عيسى، وسمي كلمة، لأنه بالكلمة كان، وهي «كن» وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقنادة، والسدي، ومقاتل. وقيل: إن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقتل يحيى قبل رفع عيسى. والثاني: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عبيدة في آخرين. ووجه أن العرب تقول: أنشدني فلان كلمة، أي: قصيدة. وفي معنى السيد ثمانية أقوال. أحدها: أنه الكريم على ربه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه الحليم التقي، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه الحكيم، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، وأبو الشعثاء، والريبع، ومقاتل. والرابع: أنه الفقيه العالم، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه التقي، رواه سالم عن ابن جبير. والسادس: أنه الحسن الخلق، رواه أبو روق عن الضحاك. والسابع: أنه الشريف، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الذي يفوق قومه في الخير، قاله الزجاج. وقال ابن الأثير: السيد هاهنا الرئيس، والإمام في الخير. فأما «الحصور» فقال ابن قتيبة: هو الذي لا يأتي النساء، وهو فعول بمعنى مفعول، كأنه محصور عنهن، أي: محبوس عنهن. وأصل الحصر: الحبس. ومما جاء على «فعول» بمعنى «مفعول»: ركوب بمعنى مركوب، وحلوب بمعنى محلوب، وهيوب بمعنى مهيب. واختلف المفسرون لماذا كان لا يأتي النساء على أربعة أقوال. أحدها: أنه لم يكن له ما يأتي به النساء، فروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا» قال: ثم دلى رسول الله ﷺ يده إلى الأرض، فأخذ عوداً صغيراً، ثم قال: «وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، ولذلك سماه الله سيداً وحسوراً»^(١) وقال سعيد بن المسيب: كان له كالندوة.

(١) رواه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم مرفوعاً وموقوفاً، ووصف ابن كثير المرفوع بأنه غريب جداً، وقال: الموقوف أصح اسناداً من المرفوع، وكذلك ذكر السيوطي في «الدر المنثور» المرفوع والموقوف، وقال: الموقوف أقوى اسناداً من المرفوع.

والثاني: أنه كان لا ينزل الماء، قاله ابن عباس، والضحاك. والثالث: أنه كان لا يشتهي النساء، قاله الحسن، وقتادة، والسدي. والرابع: أنه كان يمنع نفسه من شهواتها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: (ونبيًا من الصالحين) قال ابن الأنباري: معناه: من الصالحين الحال عند الله.

﴿قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبرُ وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾

قوله تعالى: (قال رب أنى يكون لي غلام) أي: كيف يكون؟!

قال الكميت:

أنى ومن أين آبك الطرب^(١)

قال العلماء، منهم الحسن، وابن الأنباري، وابن كيسان: كأنه قال: من أي وجه يكون لي الولد؟ أ يكون بازالة المقر عن زوجتي، ورد شبابي؟ أم يأتي ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشك. قال الزجاج: يقال: غلام بين الغلوميّة، وبين الغلاميّة، وبين الغلومة. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: الغلام: فعال، من الغلّمة، وهي شدة شهوة النكاح. ويقال للكهل: غلام.

قالت ليلي الأخيالية تمدح الحجاج:

(١) تمامه: من حيث لا صبوة ولا ريب

وهو مطلع قصيدة له يمدح بها رسول الله ﷺ. آبك: جاءك وغشيك، وهو فعل ماض من الأوب. الطرب: خفة من فرح أو حزن، والمراد الأول. الصبوة: الصبي والشوق. الريب: جمع ريبة، وهي الشبهة. يقول: كيف طربت مع كبير منك من حيث لا يوجد الطرب ومواضعه؟ الصبوة للفرح، والريب للحزن.

..... غلام إذا هزَّ القناة سقاها^(١)

وكان قولهم للسكهل : غلام ، أي : قد كان مرة غلاماً . وقولهم للطفل : غلام على منى التفاؤل ، أي : سيصير غلاماً . قال : وقيل : الغلام الطار الشارب ، ويقال للجارية : لامة . قال الشاعر :

..... يهان لها الغلامه والغلام^(٢)

قوله تعالى : (وقد بلغنيَ الكبير) أي : وقد بلغتَ الكبير ، قال الزجاج : كل شيء نته فقد بلغك . وفي سنه يومئذ ستة أقوال . أحدها : أنه كان ابن مائة وعشرين سنة ، امرأته بنت ثمان وتسعين سنة ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه كان ابن بضع وسبعين سنة ، له قتادة . والثالث : ابن خمس وسبعين ، قاله مقاتل . والرابع : ابن سبعين ، حكاه فضيل بن غزوان . والخامس : ابن خمس وستين . والسادس : ابن ستين ، حكاهما الزجاج . قال لمغويون : والماعز من الرجال والنساء : الذي لا يأتیه الولد ، وإنما قال : « عاقر » ، ولم يقل : عاقرة ، لأن الأصل في هذا الوصف للمؤنث ، والمذكر فيه كالمستعار ، فأجري مجرى « طالق » « حائض » هذا قول الفراء .

﴿ قال رب اجعل لي آيةً قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيامٍ إلا رمزاً واذكر •
بِكَ كثيراً وسبح بالعشي والإبكار ﴾

(١) الأمالي ج/١/٨٦ : صدره : شفاها من الداء المضال الذي بها

وقبله :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضاً تتبع أقصى دائها فشفاها

(٢) هو عجز بيت من قصيدة لأوس بن غلفاء الهجيمي ، صدره :

ومُرْكضةٌ صريحٌ أبوها

قوله تعالى : (رب اجعل لي آية) أي : علامة على وجود الحمل . وفي علة سؤاله « آية » قولان . أحدهما : أن الشيطان جاءه ، فقال : هذا الذي سمعت من صوت الشيطان ، ولو كان من وحي الله ، لأوحاه إليك ، كما يوحى إليك غيره ، فسأل الآية ، قاله السدي عن أشياخه . والثاني : أنه إنما سأل الآية على وجود الحمل ليبادر بالشكر ، وليتعجل السرور ، لأن شأن الحمل لا يتحقق بأوله ، فجعل الله آية وجود الحمل حبس لسانه ثلاثة أيام . فأما « الرمز » فقال الفراء : الرمز بالشفقين ، والحاجبين ، والعينين ، وأكثره في الشفتين . قال ابن عباس : جعل يكلم الناس بيده . وإنما منع من مخاطبة الناس ، ولم يحبس عن الذكر لله تعالى . وقال ابن زيد : كان يذكر الله ، ويشير إلى الناس . وقال عطاء بن السائب : اعتقل لسانه من غير مرض . وجهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آية على وجود الحمل . وقال قتادة ، والريبع بن أنس : كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية بمد مشافهة الملائكة بالبشارة .

قوله تعالى : (وسبح) قال مقاتل : صل . قال الزجاج : يقال : فرغت من سُبْحتي ، أي : من صلاتي . وسميت الصلاة تسبيحاً ، لأن التسييح تعظيم الله ، وتبرئته من السوء ، فالصلاة يوصف فيها بكل ما يبرئ منه من السوء .

قوله تعالى : (بالعشي) العشي : من حين نزول الشمس إلى آخر النهار (والإبكار) : ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى : قال الشاعر :

فلا الظلَّ في بردِ الضحى تستطيعه ولا الفيء من بردِ العشي تذوق^(١)

قال الزجاج : يقال : أبكر الرجل يبكر إبكاراً ، وبكر يبكر تبكيراً ، وبكر يبكر

(١) البيت لحيد بن ثور الهلالي الديوان ص: ٣٣ وهو من قصيدته الغزلية الجيدة التي قالها لما تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشراء : ألا يشب أحد بامرأة إلا جلده . فخرج من عقوبة عمر بأن ذكر « سرحة » وسمّاها سرحة مالك . ورواية البيت في الديوان :

فلا الظلَّ منها بالضحى تستطيعه ولا الفيء منها بالعشي تذوق

في كل شيء تقدم فيه .

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ) قال جماعة من المفسرين :

المراد بالملائكة : جبريل وحده . وقد سبق معنى الاصطفاء . وفي المراد بالتطهير هاهنا أربعة أقوال . أحدها : أنه التطهير من الحيض ، قاله ابن عباس . وقال السدي : كانت مريم لآتيحيض . وقال قوم : من الحيض والنفاس . والثاني : من مس الرجال ، روي عن ابن عباس أيضاً . والثالث : من الكفر ، قاله الحسن ، ومجاهد . والرابع : من الفاحشة والإثم ، قاله مقاتل . وفي هذا الاصطفاء الثاني أربعة أقوال . أحدها : أنه تأكيد للأول . والثاني : أن الأول للعبادة ، والثاني : لولادة عيسى عليه السلام . والثالث : أن الاصطفاء الأول اختيار مبهم ، وعموم يدخل فيه صوالح من النساء ، فأعاد الاصطفاء لتفصيلها على نساء العالمين . والرابع : أنه لما أطلق الاصطفاء الأول ، أبان بالثاني أنها مصطفاة على النساء دون الرجال . قال ابن عباس ، والحسن ، وابن جريج : اصطفاها على عالمي زمانها . قال ابن الأثيري : وهذا قول الأكثرين ^(١) .

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

قوله تعالى : (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ) قد سبق شرح القنوت في «البقرة» وفي المراد به

هاهنا أربعة أقوال . أحدها : أنه العبادة ، قاله الحسن . والثاني : طول القيام في الصلاة ، قاله

(١) قال الحافظ ابن حجر ج ٦ / ٣٣٩ في قوله تعالى : (واصطفاكِ على نساء العالمين) وظاهره أن مريم أفضل من جميع النساء ، وهذا لا يمتنع عند من يقول : إنها نبيه ، وأما من قال : ليست نبيه فيحمله على عالمي زمانها ، وبالأول جزم الزجاج وجماعة ، واختاره القرطبي ، ويحتمل أيضاً أن يراد نساء بني إسرائيل أو نساء تلك الأمة .

مجاهد . والثالث : الطاعة ، قاله قتادة ، والسدي ، وابن زيد . والرابع : الإخلاص ، قاله سعيد بن جبیر . وفي تقديم السجود على الركوع أربعة أقوال . أحدها : أن الواو لا تقتضي الترتيب ، وإنما تؤذن بالجمع ، فالركوع مقدم ، قاله الزجاج في آخرين . والثاني : أن المعنى استعلمي السجود في حال ، والركوع في حال ، لا أنهما يجتمعان في ركعة ، فكأنه حثُّ لها على فعل الخير . والثالث : أنه مقدم ومؤخر ، والمعنى : اركعي واسجدي ، كقوله تعالى : (إني متوفيك ورافعك إليّ) آل عمران: ٥٥ . ذكرهما ابن الأثير . والرابع : أنه كذلك كان في شريعتهم تقديم السجود على الركوع ، ذكره أبو سليمان الدمشقي . قال مقاتل : ومعناه : اركعي مع المصلين قراءاً بيت المقدس . قال مجاهد : سجدت حتى قرحت .

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون. إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمهُ المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلمهم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾

قوله تعالى : (ذلك من أنباء الغيب) « ذلك » إشارة إلى ما تقدم من قصة زكرياء ، ويحيى ، وعيسى ، ومريم . والأنباء : الأخبار . والغيب : ما غاب عنك . والوحي : كل شيء دلت به من كلام ، أو كتاب ، أو إشارة ، أو رسالة ، قاله ابن قتيبة . والوحي في القرآن على أوجه تراها في كتابنا الموسوم بـ « الوجوه والنظائر » موقفة . وفي الأقلام ثلاثة أقوال . أحدها : أنها التي يكتب بها ، قاله ابن عباس ، وابن جبیر ، والسدي . والثاني : أنها العصي ، قاله الربيع بن أنس . والثالث : أنها القداح ، وهو اختيار ابن قتيبة ، وكذلك قال الزجاج : هي قداح جملوا عليها علامات يعرفونها على جهة القرعة . وإنما قيل للسهم :

القلم ، لأنه يقلم ، أي : يبرى . وكل ما قطعت منه شيئاً بمدشى ، فقد قلمته ، ومنه القلم الذي يكتب به ، لأنه قلم مرة بعد مرة ، ومنه : قلمت أظفاري . قال : ومعنى : (أيهم يكفل مريم) لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم ، وهو الضمان للقيام بأمرها . ومعنى : (لديهم) عندهم وقد سبق شرح كفالتهم لها آنفاً . وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال . أحدها : أنه قول الله له : « كن » فكان ، قاله ابن عباس ، وقتادة . والثاني : أنها بشارة الملائكة مريم بعيسى ، حكاه أبو سليمان . والثالث : أن الكلمة اسم لعيسى ، وسمي كلمة ، لأنه كان عن الكلمة . وقال القاضي أبو يعلى : لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله تعالى . وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال . أحدها : أنه لم يكن لقدمه أخص ، والأخص : ما يتجافى عن الأرض من باطن القدم ، رواه عطاء عن ابن عباس . والثاني : أنه كان لا يمسح بيده ذاعاة إلا برأ ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثالث : أنه مسح بالبركة ، قاله الحسن ، وسعيد . والرابع : أن معنى المسيح : الصديق ، قاله مجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وذكره الزبيدي . قال أبو سليمان الدمشقي : ومعنى هذا أن الله مسحه ، فطهره من الذنوب . والخامس : أنه كان يمسح الأرض أي : يقطعها ، ذكره ثعلب . وبيان : أنه كان كثير السياحة . والسادس : أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن ، قاله أبو سليمان الدمشقي ، وحكاه ابن القاسم وقال أبو عبيد : المسيح في كلام العرب على معنيين . أحدهما : المسيح الدجال ، والأصل فيه : الممسوح ، لأنه ممسوح أحد العينين . والمسيح عيسى ، وأصله بالعبرانية « مشيحا » بالشين ، فلما عربته العرب ، أبدلت من شينه سيناً ، كما قالوا : موسى ، وأصله بالعبرانية موسى . قال ابن الأباري : وإنما بدأ بلقبه ، فقال : المسيح عيسى بن مريم ، لأن المسيح أشهر من عيسى ، لأنه قل أن يقع على سمي يشبهه به ، وعيسى قد يقع على عدد كثير ، فقدمه شهرته ، ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهر من أسمائهم . فأما قوله : عيسى بن مريم ، فإنما نسبته إلى أمه ، لينفي ما قال عنه الملحدون من النصارى ، إذ أضافوه إلى الله تعالى .

قوله تعالى (وجيهاً) قال ابن زيد: الوجيه في كلام العرب: المحبب المقبول. وقال ابن قتيبة: الوجيه: ذو الجاه. وقال الزجاج: هو ذو المنزلة الرفيعة عند ذوي القدر والمعرفة، يقال: قد وجه الرجل يوجهه وجهة، ولفلان جاه عند الناس، أي: منزلة رفيعة.

قوله تعالى: (ومن المقرين) قال قتادة: عند الله يوم القيامة. والمهد: مضجع الصبي في رضاعه، وهو مأخوذ من التمديد، وهو التوطئة. وفي تكميله للناس في تلك الحال قولان: أحدهما: لتبرئة أمه مما قدفت به. والثاني: لتحقيق معجزته الدالة على نبوته. قال ابن عباس: تكلم ساعة في مهده، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق. (وكهلاً) قال: ابن ثلاثين سنة أرسله الله تعالى، فكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله. وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة، فكث في نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله. قال ابن الأنباري: كان عليه السلام قد زاد على الثلاثين، ومن أربى عليها، فقد دخل في الكهولة. والكهل عند العرب: الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلاً، لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم: قدأ كتهل النبات. وقال ابن فارس: الكهل: الرجل حين وخطه الشيب. فإن قيل: قد علم أن الكهل يتكلم، فعنه ثلاثة أجوبة. أحدها: أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: (وكهلاً) قال: ذلك بعد نزوله من السماء. والثاني: أنه أخبرهم أن الزمان يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من حال إلى حال، ولو كان إلهاً لم يدخل عليه هذا التغير، ذكره ابن جرير الطبري. والثالث: أن المراد بالكهل: الحليم، قاله مجاهد.

﴿قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر﴾ قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴿

قوله تعالى: (قالت رب أنى يكون لى ولد) في علة قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالت هذا تعجباً واستغراباً، لا شكاً وإنكاراً على ما أشرنا إليه في قصة زكريا، وعلى هذا

الجمهور . والثاني : أن الذي خاطبها كان جبريل ، وكانت تظنه آدمياً يريد بها سوءاً ، ولهذا قالت : (أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) مريم : ١٨ ، فلما بشرها لم تتيقن صحة قوله ، لأنها لم تعلم أنه ملك ، فلذلك قالت : (أنى يكون لي ولد) قاله ابن الأنباري .

قوله تعالى : (ولم يمسنني بشر) أي : ولم يقربني زوج . والمس : الجماع ، قاله ابن فارس . وسمي البشر بشراً ، لظهورهم ، والبشرة : ظاهر جلد الإنسان ، وأبشرت الأرض : أخرجت نباتها . وبشرت الأديم : إذا قشرت وجهه ، وتباشير الصبح : أوائله . قال : يعني جبريل : (كذلك الله يخلق ما يشاء) أي : بسبب ، وبغير سبب . وباقي الآية مفسر في « البقرة » .

﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾

قوله تعالى : (ويعلمه الكتاب) قرأ الأكترون « ونعمه » بالزون . وقرأ نافع ، وعاصم بالياء ، فمطفاه على قوله « يبدرك » وفي الكتاب قولان . أحدهما : أنه كتُبُ النبيين وعلمهم ، قاله ابن عباس . والثاني : الكتابة : قاله ابن جريج ، ومقاتل . قال ابن عباس : والحكمة : الفقه ، وقضاء النبيين .

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾

قوله تعالى : (ورسولاً) قال الزجاج : ينتصب على وجهين . أحدهما : ونجمله رسولاً ، والاختيار عندي : ويكلم الناس رسولاً .

قوله تعالى : (أني أخلق) قرأ الأكترون « أني » بالفتح ، فجعلوها بدلاً من آية ، فكأنه قال : قد جئتكم بأنني أخلق لكم ، وقرأ نافع بالكسر ، قال أبو علي : يحتمل وجهين . أحدهما : أن يكون مستأنفاً . والثاني : أنه فسر الآية بقوله : إني أخلق ، أي : أصور وأقدر .

قال ابن عباس: أخذ طيناً، وصنع منه خماشاً، ونفخ فيه، فاذا هو يطير، ويقال: لم يصنع غير الخفاش، ويقال: إن نبي إسرائيل نعتوه بذلك، لأن الخفاش عجيب الخلق. وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: الخفاش. فسألوه أشد الطير خالقاً، لأنه يطير بغير ريش. وقال وهب: كان الذي صنعه يطير ما دام الناس ينظرونه، فاذا غاب عن أعينهم، سقط ميتاً، ليميز فعل الخلق من فعل الخالق. والأكثرون قرؤوا (فيكون طيراً) وقرأ نافع هاهنا وفي (المائدة) طائراً. قال أبو علي: حجة الجمهور قوله تعالى: (كهية الطير) ولم يقل: كهية الطائر. ووجه قراءة نافع: أنه أراد: يكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه، طائراً. وفي «الأكمة» أربعة أقوال. أحدها: أنه الذي يولد أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وسعيد عن قتادة، وبه قال اليزيدي، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الأعمى، ذكره ابن جريج عن ابن عباس، ومعمار عن قتادة، وبه قال الحسن، والسدي. وحكى الزجاج عن الخليل أن الأكمة: هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يعمى، وإن كان بصيراً. والثالث: أنه الأعمش، قاله عكرمة. والرابع: أنه الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، قاله مجاهد والضحاك. والأبرص: الذي به وضع. وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام، علم الطب، فأراه المعجزة من جنس ذلك، إلا أنه ليس في الطب إراء الأكمة والأبرص، وكان ذلك دليلاً على صدقه. قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً، وإنما كان يداوهم بالدعاء. وذكر المفسرون أنه أحميا أربعة أنفس من الموت. وعن ابن عباس: أن الأربعة كلهم بقي حتى ولد له، إلا سام بن نوح.

قوله تعالى: (وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ) قال سعيد بن جبير: كان عيسى إذا كان في المكتب يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام: يا غلام إن أهلك قد هيئوا لك كذا وكذا من الطعام فتقطعه مني منه؟^(١) وقال مجاهد: بما أكلتم البارحة، وبما خبأتم منه. وعلى هذا المفسرون، إلا أن

(١) أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير.

قتادة كان يقول : وأنبئكم بما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم ، وما تدخرون منها ، وكان أخذ عليهم أن يأكلوا منها ، ولا يدخروا ، فلما خانوا ، مُسخوا خنازير ^(١) .

﴿ ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولا حِلَّ لكم بعض الذي حُرِّم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾

قوله تعالى : (ومصدقاً لما بين يدي) قال الزجاج : نصب « مصدقاً » على الحال ، أي : وجئتكم مصدقاً (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال قتادة : كان قد حرم عليهم موسى الأبل والثوب ^(٢) وأشياء من الطير ، فأحلها عيسى .

قوله تعالى : (وجئتكم بآية) أي : بآيات تعلمون بها صدقي ، وإنما واحد ، لأن الكل من جنس واحد (من ربكم) أي : من عند ربكم .

﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد أنا مسلمون ﴾

قوله تعالى : (فلما أحس عيسى) أي : علم . قال شيخنا أبو منصور اللغوي : يقال : أحسستُ بالشيء ، وحسست به . وقول الناس في المعلومات « محسوسات » خطأ ، وإنما الصواب « المحسات » فأما المحسوسات ، فهي المقتولات ، يقال : حسه : إذا قتله . والآنصار : الأعوان . و « إلى » بمعنى « مع » في قول الجماعة ، قال الزجاج : وإنما حسنت في موضع « مع » لأن « إلى » غاية و « مع » تضم الشيء بالشيء ^(٣) . قال ابن الأنباري : ويجوز أن

(١) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه .

(٢) الثوب : جمع ثوب ، وهي الشحم الرقيق الذي ينشئ الكرش والأعضاء والمصارين من الذبائح والأنعام .

(٣) قال الفراء في « معاني القرآن » ص ٢١٨ : المفسرون يقولون : من أنصاري مع الله . وهو وجه =

يكون المعنى : من أنصاري إلى أن أدين أمر الله . واختلفوا في سبب استنصاره بالحواريين ، فقال مجاهد : لما كفر به قومه ، وأرادوا قتله ، استنصر الحواريين . وقال غيره : لما كفروا به ، وأخرجوه من قريتهم ، استنصر الحواريين . وقيل : استنصرهم ، لإقامة الحق ، وإظهار الحجة . والجمهور على تشديد « ياء » الحواريين . وقرأ الجوني ، والجحدري ، وأبو حيوة : الحواريون بتخفيف الياء . وفي معنى الحواريين ستة أقوال . أحدها : أنهم الخواص الأصفياء ، قال ابن عباس : الحواريون : أصفياء عيسى . وقال الفراء : كانوا خاصة عيسى . وقال الزجاج : الحواريون في اللغة : الذين أخلصوا ، وتقوا من كل عيب ، وكذلك الدقيق : الحواري ، إنعاسي بذلك ، لأنه ينقى من لباب البر وخالصه . قال حذاق اللغويين : الحواريون : صفوة الأنبياء الذين خلصوا وأخلصوا في تصديقهم ونصرتهم . ويقال : عين حوراء : إذا اشتد بياضها ، وخلص ، واشتد سوادها ، ولا يقال : امرأة حوراء ، إلا أن تكون مع حور عينها بياض . والثاني : أنهم البيض الثياب ، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم سمو بذلك ، لبياض ثيابهم . والثالث : أنهم القصارون ، سمو بذلك ، لأنهم كانوا يحورون الثياب ، أي : يبيضونها . قال الضحاک ، ومقاتل : الحواريون : هم القصارون . قال اليزيدي : ويقال للقصارين : الحواريون ، لأنهم يبيضون الثياب ، ومنه سمي الدقيق : الحواري ، والعين الحوراء : النقية المجاجر . والرابع : الحواريون : المجاهدون .

وأنشدوا :

ونحن أناسٌ يملأُ البَيْضُ هامنا ونحن حواريون حين تراحف

= حسن ، وإنما يجوز أن تجعل « إلى » موضع « مع » ، إذا ضمنت إلى الشيء مما لم يكن معه ، كقول العرب : إن الذود إلى الذود دليل . أي : إذا ضمنت الذود إلى الذود صارت إبلاً . فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح . كان « مع » « إلى » ألا ترى أنك تقول : قدم فلان ، ومعهم مال كثير . ولا تقول في هذا الموضع : قدم فلان وإليه مال كثير . وكذلك تقول : قدم فلان إلى أهله ، ولا تقول : مع أهله . ومنه قوله تعالى : (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) معناه : ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم .

جَمَّعْنَا يَوْمَ الْلِقَاءِ تَرَامُنَا إِلَى الْمَوْتِ نَعْشِي لَيْسَ فِينَا تَحَانُفٌ
والخامس: الحواريون: الصيادون. والسادس: الحواريون: الملوك، حكى هذه
الأقوال الثلاثة ابن الأثير. قال ابن عباس: وعدد الحواريين اثنا عشر رجلاً. وفي
صناعتهم قولان. أحدهما، أنهم كانوا يصطادون السمك، رواه سعيد بن جبير عن ابن
عباس. والثاني: أنهم كانوا يفسلون الثياب، قاله الضحاك، وأبو أرتاة.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

قوله تعالى: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ) هذا قول الحواريين. والذي أُنزل: الانجيل.
والرسول: عيسى. وفي المراد بالشاهدين خمسة أقوال. أحدها: أنهم محمد ﷺ، وأُمته،
لأنهم يشهدون للرسول بالتبليغ، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنهم من آمن قبلهم
من المؤمنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم الأنبياء، لأن كل نبي شاهد
أُمته، قاله عطاء. والرابع: أن الشاهدين: الصادقون، قاله مقاتل. والخامس: أنهم الذين
شهدوا للأنبياء بالتصديق. فمعنى الآية: صدقنا، واعترفنا، فاكْتُبْنَا مَعَ مَنْ فَعَلَ فَعَلْنَا،
هذا قول الزجاج.

﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

قوله تعالى: (وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ) قال الزجاج: المكر من الخلق: خبث وخداع،
ومن الله عز وجل: المجازاة، فسمي باسم ذلك، لأنه مجازاة عليه، كقوله تعالى: (اللَّهُ
يَسْتَهْزِئُ بِهِمُ) البقرة: ١٥، (والله خير الماكرين) آل عمران: ٥٤، لأن مكره مجازاة،
ونصر للمؤمنين. قال ابن عباس: ومكرهم، أن اليهود أرادوا قتل عيسى، فدخل خوخة،
فدخل رجل منهم، فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم،
ظنوه عيسى، فقتلوه.

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ إِلَىٰ مَطَٰرِكِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاجْعَلُ
الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

قوله تعالى : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ إِلَىٰ مَطَٰرِكِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاجْعَلُ
الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) : وأنشده أبو عبيدة :

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَدِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدٍ لَيْسُوا إِلَىٰ قَيْسٍ وَلَيْسُوا مِنْ أَسَدٍ
وَلَا تَوْفَاهُمْ قَرِيشٌ فِي الْعَدَدِ^(١)

أي : لا تجعلهم وفاء لعددها ، والوفاء : التمام . وفي هذا التوفي قولان . أحدهما : أنه
الرفع إلى السماء^(٢) . والثاني : أنه الموت . فعلى القول الأول يكون نظم الكلام مستقيماً من
غير تقديم ولا تأخير ، ويكون معنى « متوفيك » قابضك من الأرض وافيئاً تاماً من غير
أن ينال منك اليهود شيئاً ، هذا قول الحسن ، وابن جريج ، وابن قتيبة ، واختاره الفراء . ومما
يشهد لهذا الوجه قوله تعالى : (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) المائدة : ١١٧ ، أي :

(١) الرجز لمنظور البري كما في « اللسان » ج ١٥ / ٤٠٠ . يريد : أن قريشاً لا تجعلهم تمام عددهم ،
ولا تستوفي بهم عددهم .

(٢) وهو الصحيح المتعين ، قال الطبري : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : معنى ذلك
إني قابضك من الأرض ورافعك ، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : ينزل عيسى بن مريم ،
فيقتل الدجال ، ثم يمكث في الأرض مدة - ذكرها ، اختلفت الرواية في مبلغها - ثم يموت فيصلي عليه
المسلمون ويدفنونه . ثم قال : ومعلوم أنه لو كان قد أمانه الله عز وجل ، لم يكن بالذي يمته ميتة أخرى ،
فيجمع عليه ميتتين ، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ، ثم يحييهم ، كما قال جل ثناؤه
(الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شر كائن من يفعل من ذلكم من شيء) الروم : ٤٠ .
فتأويل الآية إذاً : قال الله لعيسى : يا عيسى إني قابضك من الأرض ورافعك إلي ، ومطهرك من الذين
كفروا فجحدوا نبوتك .

رفعتني إلى السماء من غير موت ، لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه ، لا بعد موته . وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير ، تقديره : إني رافئك إلى ومطهرك من الذين كفروا ، ومتوفيك بعد ذلك ، هذا قول الفراء ، والزجاج في آخرين . فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته . قال سعيد بن المسيب : رُفِعَ عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . وقال مقاتل : رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان . وقيل : عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين . ويقال : ماتت قبل رفعه .

قوله تعالى : (ومطهرك من الذين كفروا) فيه قولان . أحدهما : أنه رفعه من بين أظهرهم . والثاني : منعهم من قبله . وفي الذين اتبعوه قولان . أحدهما : أنهم المسلمون من أمة محمد ﷺ ، لأنهم صدقوا بنبوته ، وأنه روح الله وكلمته ، هذا قول قتادة ، والربيع ، وابن السائب . والثاني : أنهم النصارى ، فهم فوق اليهود ، واليهود مستذلون مقهورون ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : (فيما كنتم فيه تختلفون) يعني الدين .

﴿ فأما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾

قوله تعالى : (فأما الذين كفروا) قيل : هم اليهود والنصارى ، وعذابهم في الدنيا بالسيف والجزية ، وفي الآخرة بالنار .

﴿ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ﴾

قوله تعالى : (فيوفّيهم أجورهم) قرأ الأكثر بالنون ، وقرأ الحسن ، وقتادة ، وحفص عن عاصم : فيوفّيهم بالياء معطوفاً على قوله تعالى (إذ قال الله يا عيسى) .

﴿ ذلك نلتوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾

قوله تعالى : (ذلك ثلوه عليك) يعني ماجرى من القصص . (من الآيات) . يعني الدلالات على صحة رسالتك ، إذ كانت أخباراً لا يعلمها أي . (والذكر الحكيم) قال ابن عباس : هو القرآن . قال الزجاج : معناه : ذو الحكمة في تأليفه ونظمه ، وإبانة الفوائد منه .

﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾

قوله تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) قال أهل التفسير : سبب نزول هذه الآية ، محاسبة وفد نجران من النصارى للنبي ﷺ ، في أمر عيسى ، وقد ذكرناه في أول السورة . فأما تشبيه عيسى بآدم ، فلا أنها جميعاً من غير أب .

قوله تعالى : (خلقه من تراب) يعني : آدم . قال ثعلب : وهذا تفسير لأمر آدم . وليس بحال^(١) .

قوله تعالى : (ثم قال له) يعني لآدم ، وقيل لعيسى (كن فيكون) أي : فكان : فأريد بالمستقبل الماضي ، كقوله تعالى : (واتبعوا ما تلتوا الشياطين) أي : ما تلت الشياطين .

﴿ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾

قوله تعالى : (الحق من ربك) قال الزجاج : الحق مرفوع على خبر ابتداء محذوف ، المعنى : الذي أنبأتك به في قصة عيسى الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) أي : الشاكين والخطاب للنبي خطاب للخلق ، لأنه لم يشك .

﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾

(١) يريد أن جملة « خلقه » تفسيرية لمثل آدم ، فلا موضع لها من الأعراب ، ولا يصلح أن تكون حالاً ، لأن « خلقه » فعل ماض ، ولا يكون الحال منه ، وقيل : هي في موضع الحال ، و « قد » مع « خلقه » مقدرة ، والعامل فيها معنى التشبيه . انظر « معاني القرآن » للفراء ، والبحر المحيط ج ٢ / ٤٧٨ .

قوله تعالى: (فن حاجك فيه) في هاء «فيه» قولان. أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى.

والثاني: إلى الحق. والعلم: البيان والإيضاح.

قوله تعالى: (فقل تماكوا) قال ابن قتيبة: تعالى: تفاعل، من علوت، ويقال للثنتين من الرجال والنساء: تماليا، وللنساء: تمالين. قال الفراء: أصلها من العلو، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها، صارت عندهم بمنزلة «هلم» حتى استجازوا أن يقولوا للرجل، وهو فوق شرف: تعال، أي: اهبط. وإنما أصلها: الصعود. قال المفسرون: أراد بأبنائنا: فاطمة والحسن، والحسين. وروى مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية (تماكوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^(١).

قوله تعالى: (وأنفسنا) فيه خمسة أقوال. أحدها: أراد علي بن أبي طالب، قاله الشعبي. والعرب تخبر عن ابن العم بأنه نفس ابن عمه. والثاني: أراد الاخوان، قاله ابن قتيبة. والثالث: أراد أهل دينه، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أراد الأزواج. والخامس: أراد القرابة القريبة، ذكرها علي بن أحمد النيسابوري. فأما الابتهاال، فقال ابن قتيبة: هو التداعي باللعن، يقال: عليه بهلة الله. وبهلته، أي: لعنته. وقال الزجاج: معنى الابتهاال في اللغة: المبالغة في الدعاء، وأصله: الالتعان، يقال: بهله الله، أي: لعنه. وأمر بالمبالغة بعد إقامة الحجة. قال جابر بن عبد الله: قدم وفد نجران فيهم السيّد والعاقب، فذكر الحديث... إلى أن قال: فدعاهما إلى الملاعة، فواعداه أن يفادياه، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأيا أن يجيباه، فأقرا له بالخراج، فقال:

(١) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» مطولاً من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

« والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهم ناراً » (١).

﴿ إِن هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَنْ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
قوله تعالى : (وما من إله إلا الله) قال الزجاج : دخلت « من » هاهنا تأكيداً
ودليلاً على نفي جميع ما ادعى المشركون من الآلهة .

﴿ فَاَنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللَّهَ عَلِيْمٌ بِالْمُفْسِدِيْنَ ﴾

قوله تعالى : (فان تولوا) فيه ثلاثة أقوال . أحدها : عن الملاعة ، قاله مقاتل . والثاني :
أنه عن البيان الذي أتى به النبي ﷺ ، قاله الزجاج . والثالث : عن الإقرار بوحداية الله ،
وتنزيهه عن الصاحبة والولد ، قاله أبو سليمان الدمشقي . وفي الفساد هاهنا قولان . أحدهما :
أنه العمل بالمعاصي ، قاله مقاتل . والثاني : الكفر ، ذكره الدمشقي .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بَأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

قوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب) فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أنهم اليهود ، قاله قتادة ،
وابن جريج ، والربيع بن أنس . والثاني : وفد نجران الذين حاجوا في عيسى ، قاله السدي
ومقاتل . والثالث : أهل الكتابين جميعاً ، قاله الحسن . وقال ابن عباس : نزلت في
القسيسين والرهبان ، فبعث بها النبي ﷺ إلى جعفر وأصحابه بالحبشة ، فقرأها جعفر ،
والنجاشي جالس ، وأشراف الحبشة . فأما « الكلمة » فقال المفسرون هي : لا إله إلا الله . فان قيل :

(١) قال الحفاظ ابن كثير : رواه ابن مردويه ، ورواه الحاكم بمناه ، وقال : صحح على شرط مسلم .
ولم يخرجاه ، هكذا قال . وقد رواه أبو داود الطيالسي عن الشعبي مرسلًا ، وهو أصح ، وقد روي
عن ابن عباس ، والبراء نحو ذلك .

فهذه كلمات ، فلم قال كلمة ؛ فعنه جوابان . أحدهما : أن الكلمة تعبر عن ألفاظ وكلمات .
قال اللغويون : ومعنى كلمة : كلام فيه شرح قصة وإن طال ، تقول العرب : قال زهير
في كلمته يراد في قصيدته .

قالت الخنساء :

وقافية مثل حد السنا	ن تبقى ويذهب من قالها
تقد الذؤابة من يذبل	أبت أن ترايل أوعالها
نطقت ابن عمرو فسهلتها	ولم ينطق الناس أمثالها ^(١)

فأوقعت القافية على القصيدة كلها ، والغالب على القافية أن تكون في آخر كلمة ، من
البيت ، وإنما سميت قافية ، لأن الكلمة تتبع البيت ، وتقع آخره ، فسُميت قافية من قول
العرب : قفوت فلاناً : إذا انتهت ، وإلى هذا الجواب بذهب الزجاج وغيره . والثاني : أن
المراد بالكلمة : كلمات ، فاكتمى بالكلمة من كلمات ، كما قال علقمة بن عبدة :

بها جيفُ الحسرى فأما عظامُها فيبضُ وأما جلدُها فصليب

أراد : وأما جلودها ، فاكتمى بالواحد من الجمع ، ذكره والذي قبله ابن الأنباري .
قوله تعالى : (سواءٌ بيننا وبينكم) قال الزجاج : يعني بالسواء العدل ، وهو من استواء
الشيء ، ويقال : للعدل سواءٌ وسواءٌ وسواءٌ .

(١) الأبيات من قصيدة تربي بها أخوها معاوية . وفي الديوان : « يهلك » بدل « يذهب »

و « تفارق » بدل « ترايل » .

تقد : أشق . الذؤابة : أعلى كل شيء . يذبل : جبل في أقصى أرض بني كلاب . تقول : إن هذه
القصيدة التي ينطق بها ماضية ، كسيف قاطم فقد قم الجبال . وقولها : أبت أن ترايل أوعالها . أي :
أن ذؤابة جبل يذبل ألقت الوعول ، فكادت لاترضى بأن لاتفارقها ، تريد بذلك وصف علو الجبل ، لأن
الوعول لاتسكن سوى أعالي الجبال . وقولها : سهلتها ، أي : جئت بها سهلة .

قال زهير بن أبي سلمى :

أروني مُخْطَةً لَاضِمَةً فِيهَا يَسُوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ
فَإِنْ تَدْعُوا السَّوَاءَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَيُسَوِّمُ بَنِي حِصْنٍ بَقَاءُ ^(١)

قال: وموضع «أن» في قوله تعالى (أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) خفض على البدل من «كلمة» المعنى: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله. وجائز أن يكون «أن» في موضع رفع، كأن قائلًا قال: ما الكلمة؟ فأجيب، فقيل: هي ألاّ نعبد إلا الله.

قوله تعالى: (وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه سجد بعضهم لبعض، قاله عكرمة. والثاني: لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله، قاله ابن جريج. والثالث: أن نجعل غير الله رباً، كما قالت النصارى في المسيح، قاله مقاتل والزجاج.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ) قال ابن عباس، والحسن، والسدي: اجتمع عند النبي ﷺ نصارى نجران، وأخبار اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرانياً. فنزلت هذه الآية.

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِّجْتُمْ فِيكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(١) الديوان ص: ١٥ وفيه: أروني سنة لا عيب فيها. والسواء: العدل. يقول: أرونا سنة لا تعاب عليكم تسوي بيننا في الحق، وقوله: تدعو السواء. أى: تركوا العدل، فلا يبقى بعضاً على بعض.

قوله تعالى: (ها أنتم) قرأ ابن كثير «ها أنتم» مثل: هعنتم، فأبدل من همزة الاستفهام «الهاء» أراد: أنتم. وقرأ نافع وأبو عمرو «ها أنتم» ممدوداً، استفهام بلا همزة، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، «ها أنتم» ممدوداً مهبوزاً، ولم يختلفوا في مد «هؤلاء» و«أولاء». قوله تعالى: (فيما لكم به علم) فيه قولان. أحدهما: أنه ما رأوا وعانوا، قاله قتادة. والثاني: ما أمروا به، ونهوا عنه، قاله السدي. فأما الذي ليس لهم به علم، فهو شأن إبراهيم عليه السلام. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان بين إبراهيم وموسى، خمسمائة وخمس وسبعون سنة. وبين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنان وثلاثون سنة. وقال ابن إسحاق: كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة وخمس وستون سنة، وبين موسى وعيسى ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة. وقد سبق في (البقرة) معنى الحنيف.

﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾
 ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾
 قوله تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) في سبب نزولها قولان. أحدهما: أن رؤساء اليهود قالوا للنبي ﷺ: لقد علمت أننا أولى بدين إبراهيم منك، وأنه كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فنزلت هذه الآية. ومعناها: أحق الناس بدين إبراهيم، الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي ﷺ على دينه، قاله ابن عباس. والثاني: أن عمرو بن العاص أراد أن يُغضب النجاشي على أصحاب النبي ﷺ، فقال للنجاشي: إنهم ليشتمون عيسى. فقال النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى؟ فقالوا: يقول: إنه عبد الله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم. فأخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقضي العين، فقال: والله ما زاد على ما يقول صاحبكم ما يزن هذا القذى، ثم قال: أبشروا، فلا دهورة^(١) اليوم على حزب إبراهيم.

(١) قال في اللسان، الدهورة: جمعك الشيء، وقذفك به في مهواة، ودهورت الشيء كذا، وفي حديث النجاشي: «فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم» كأنه أراد: لاضعية عليهم، ولا يترك حفظهم وتعهدهم.

زاد المسير — أول (٢٦م)

قال عمرو بن العاص : وَمَنْ حَزَبَ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الرُّهْطُ وَصَاحِبِهِمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَوْمَ خُصُومَتِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ، هَذَا قَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ .

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضَاهَوْنَكُمْ وَيُضَاهَوْنَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله تعالى : (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يَضَاهَوْنَكُمْ) سبب نزولها أن اليهود قالوا للمعاذ بن جبل ، وعُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ : تركتما دينكما ، واتبعتما دين محمد ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس . والطائفة : اسم لجماعة مجتمعين على ما اجتمعوا عليه من دين ، ورأي ، ومذهب ، وغير ذلك . وفي هذه الطائفة قولان . أحدهما : أنهم اليهود ، قاله ابن عباس . والثاني : اليهود والنصارى ، قاله أبو سليمان الدمشقي . والضلال : الحيرة . وفيه هاهنا قولان . أحدهما : أنه الاستنزال عن الحق إلى الباطل ، وهو قول ابن عباس ، ومقاتل . والثاني : الإهلاك ، ومنه (إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) السجدة : ١٠ . قاله ابن جرير ، والدمشقي . وفي قوله : (وما يشعرون) قولان . أحدهما : وما يشعرون أن الله يدل المؤمنين على حالهم ، والثاني : وما يشعرون أنهم يضلون أنفسهم .

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾

قوله تعالى : (لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ؟) قال قتادة : يعني : محمداً والإسلام (وأنتم تشهدون) أن بعث محمد في كتابكم ، ثم تكفرون به .

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى : (لم تلبسون الحق بالباطل ؟) قال اليزيدي : معناه : لم تخطوون الحق بالباطل ؟ قال ابن فارس : واللبس : اختلاط الأمر ، وفي الأمر لبسة ، أي : ليس بواضح .

وفي الحق والباطل أربعة أقوال . أحدها : أن الحق : إقرارهم ببعض أمر النبي ﷺ ، والباطل : كتمانهم بعض أمره . والثاني : الحق : إيمانهم بالنبي ﷺ غدوة ، والباطل : كفرهم به عشية ، روي عن ابن عباس . والثالث : الحق : التوراة ، والباطل : ما كتبوه فيها بأيديهم ، قاله الحسن ، وابن زيد . والرابع : الحق : الإسلام ، والباطل : اليهودية والنصرانية ، قاله قتادة . قوله تعالى : (وتكتُمون الحق) قال قتادة : كتموا الإسلام ، وكتبوا محمداً ﷺ .

﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾

قوله تعالى : (وقالت طائفة من أهل الكتاب) في سبب نزولها قولان . أحدهما : أن طائفة من اليهود قالوا : إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار ، فآمنوا ، وإذا كان آخره ، فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون : هؤلاء أهل الكتاب ، وهم أعلم منا ، فينقلبون عن دينهم ، رواه عطية عن ابن عباس . وقال الحسن والسدي : نواطأ اثنا عشر حبراً من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار ، واكفروا آخره ، وقولوا : إنا نظرنا في كتبنا ، وشاورنا علماءنا ، فوجدنا محمداً ليس بذلك ، فيشك أصحابه في دينهم ، ويقولون : هم أهل الكتاب ، وهم أعلم منا ، فيرجعون إلى دينكم ، فنزلت هذه الآية . وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور . والثاني : أن الله تعالى صرف نبيه إلى الكعبة عند صلاة الظهر ، فقال قوم من علماء اليهود : (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) يقولون : آمنوا بالقبلة التي صلوا إليها الصبح ، واكفروا بالتي صلوا إليها آخر النهار ، لعلهم يرجعون إلى قبلتهم ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . قال مجاهد ، وقتادة ، والزجاج في آخرين : وجه النهار : أوله .

وأنشد الزجاج :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ قَدْ قُمْنَ قَبْلَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ^(١)

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ يَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: (وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ) اختلف العلماء في توجيه هذه الآية على أربعة أقوال. أحدها: أن معناها: وَلَا تَصْدُقُوا إِلَّا مَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، وَلَا تَصْدُقُوا أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِمَّا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ، وَفَلَقَ الْبَحْرَ، وَالْمَنَ، وَالسَّلْوَى، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا تَصْدُقُوا أَنْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، لَأَنْكُمْ أَصْحَابُ دِينٍ مِنْهُمْ، فَيَكُونُ هَذَا كُلُّهُ مِنْ كَلَامِ الْيَهُودِ بَيْنَهُمْ، وَتَكُونُ اللَّامُ فِي «لِمَنْ» صِلَةً، وَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) كَلَامًا مَعْتَرِضًا بَيْنَ كَلَامَيْنِ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ، وَالْأَخْفَشِ. وَالثَّانِي: أَنْ كَلَامَ الْيَهُودِ تَامٌ عِنْدَ قَوْلِهِ: (لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ) وَبِالْبَاقِي مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَمْتَرِضُهُ شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَتَقْدِيرُهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، إِلَّا أَنْ تَجَادِلَكُمْ الْيَهُودُ بِالْبَاطِلِ، فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ. قَالَ الْفَرَاءُ:

(١) البَيْهَقِيُّ الْمَرْبُوعِيُّ بْنُ زِيَادٍ الْعَبْسِيُّ، مِنْ آيَاتِ قَالَهَا حِينَ قَتَلَ حَمِيمَةَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ، وَحَمِي لِقَتْلِهِ، وَاسْتَعْدَ طَلَبَ ثَأْرَهُ. وَرَوَاتُهَا فِي «شَرْحِ الْحَمَاسَةِ» الْمَرْزُوقِيِّ:

مِنْ كَانَ مُسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَیَاتُ سَاحَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَلْظُمْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَسْحَارِ

قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي شَرْحِهَا: كَانَتْ الْعَادَةُ مُسْتَمِرَّةً مُسْتَحْكَمَةً فِيمَ، أَنَّهُمْ لَا يَنْدُبُونَ الْقَتِيلَ أَوْ يَذْكُرُونَ ثَأْرَهُ. فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ فَرَحًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ، شَامِتًا بِأَوْلِيَائِهِ، فَلْيَنْزِعْ مَلَابِسَ الْمَسْرَةِ، وَلْيَطْرَحْ أَرْدِيَةَ الشَّهَامَةِ، فَقَدْ أَدْرَكَتِ الْأَثَارَ، وَأَرِيقَتِ الدَّمَاءَ، وَشَفِيتِ الْأَدْوَاءَ، وَلِيَحْضُرْ سَاحَتَنَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، لِيَرَى أَنْ مَا كَانَ مُحَرَّمًا مِنَ الرِّثَاءِ قَدْ حُلَّ، وَأَنْ الْخَطَرَ الْوَاقِعَ بِكَائِهِ قَدْ رَفَعَ، وَيَجِدُ النِّسَاءَ مَكْشُوفَاتِ الرُّؤُوسِ، يَذْكُرْنَ بِمَا كَانَ مِنْ فُضَائِلِهِ، وَيَنْدُبْنَ بِأَشْهَرِ أَوْصَافِهِ، وَأَعْلَى مَرَاتِبِهِ وَمَحَالِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُتَّصِلٌ مِنْ فَعْلِهِنَّ، غَيْرِ مُنْقَطِعٍ فِي أَطْرَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْأَصَالِ وَالْأَسْحَارِ.

معنى : « أن يؤتى » : أن لا يؤتى . والثالث : أن في الكلام تقدماً وتأخيراً ، تقديره : ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم ، إلا من تبع دينكم ، فأخرت « أن » ، وهي مقدمة في النية على مذهب العرب في التقديم والتأخير ، ودخلت اللام على جهة التوكيد ، كقوله تعالى : (عسى أن يكون ردِّف لكم) النمل : ٧٢ أي : ردِّفكم .

وقال الشاعر :

ما كنتُ أخدعُ للخليل بخلةٍ حتى يكون لي الخليلُ خدوعاً

أراد : ما كنت أخدع الخليل .

وقال الآخر :

يذمّون الدنيا وهم يحابونها أفلا يوق حتى ما يدِرُّ لها ثَمَلٌ^(١)

أراد : يذمون الدنيا ، ذكره ابن الأنباري . والرابع : أن اللام غير زائدة ، والمعنى : لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء مما جاء به إلا لليهود ، فانكم إن قاتم ذلك للمشركين ، كان عوناً لهم على تصديقه ، قاله الزجاج . وقال ابن الأنباري : لا تؤمنوا أن محمداً وأصحابه على حق ، إلا لمن تبع دينكم ، مخافة أن بطل على عنادكم الحق ، ويحاجوكم به عند ربكم . فعلى هذا يكون معنى الكلام : لا تقروا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم ، وقد ذكر هذا المعنى مكي بن أبي طالب النحوي . وقرأ ابن كثير : أن يؤتى بهزتين ، الأولى مخففة ، والثانية مليئة على الاستفهام ، مثل : أنتم أعلم . قال أبو علي : ووجهها أن « أن » في موضع رفع بالابتداء ، وخبره : يصدقون به ، أو يعترفون به ، أو يذكرونه لغيركم ، ويجوز أن يكون

(١) نسبة في « اللسان » لابن همام السلوي ، وروايته فيه : وذموا لنا الدنيا وهم يرضونها .
الأفريقي : واحداً ؛ فيقة ، وهي اسم للبن الذي يجتمع بين الحلبتين . والثمل : زيادة في أطباء الناقة ، والبقرة ، والشاة ، وإنما ذكر الثمل المبالغة في الارتضاع ، لأن الثمل لا يدرك .

موضع «أن» نصباً ، فيكون المعنى : أتشيعون ، أو أتذكرون أن يؤتى أحدٌ ، ومثله في المعنى : (أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم) البقرة : ٧٦ . وقرأ الأعشى ، وطلحة بن مصرف : إن يؤتى ، بكسر الهمزة ، على معنى : ما يؤتى . وفي قوله تعالى : (أو يحاجوكم عند ربكم) قولان . أحدهما : أن معناه : ولا تصدقوا أنهم يحاجوكم عند ربكم ، لأنهم لاجحة لهم ، قاله قتادة . والثاني : أن معناه : حتى يحاجوكم عند ربكم على طريق التعمّد ، كما يقال : لا يلقاه أو تقوم الساعة ، قاله الكسائي .

قوله تعالى : (إن الفضل بيد الله) قال ابن عباس : يعني النبوة ، والكتاب ، والهدى (يؤتيه من يشاء) لا ما نختصّه منكم أنتم يا معشر اليهود من أنه لا يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم .

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

قوله تعالى : (يختص برحمته من يشاء) في الرحمة ثلاثة أقوال . أحدها : أنها الإسلام ، قاله ابن عباس ، ومقاتل . والثاني : النبوة ، قاله مجاهد . والثالث : القرآن والإسلام ، قاله ابن جريج .

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لا يُؤدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى : (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار) قال ابن عباس : أودع رجل ألفاً ومئتي أوقية من ذهب عبد الله بن سلام ، فأدّاها إليه ، فمدحه الله بهذه الآية ، وأودع رجل فتخاص بن عازوراء ديناراً ، فخانه . وأهل الكتاب : اليهود . وقد سبق الكلام في القنطار . وقيل : إن «الباء» في قوله : «بقنطار» بمعنى «على» فأما الدينار ، فقرأت على

شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الدينار فارسي معرب، وأصله: دينار، وهو وإن كان معرباً، فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار، فقد صار كالعربي، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه، لأنه خاطبهم بما عرفوا، واشتقوا منه فعلاً، فقالوا: رجل مُدَنَّر: كثير الدنانير. وبرذون مدَنَّر: أشبه مستدير النقش بدياض وسواد. فإن قيل: لم خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخلق على ذلك، فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك، وقد بيَّنه في قوله تعالى: (ليس علينا في الأميين سبيل) فحذّر منهم. وقال مقاتل: الأمانة ترجع إلى من أسلم منهم، والخيانة إلى من لم يسلم. وقيل: إن الذين يؤدّون الأمانة: النصارى، والذين لا يؤدونها: اليهود.

قوله تعالى: (إلا مادمت عليه قائماً) قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: دُمت ودُمت، ومُت ومُتْم. وتميم يقولون: مت ودمت بالكسر، ويجمعون في «يفعل» يدوم ويموت. وفي هذا القيام قولان أحدهما: أنه التقاضي، قاله مجاهد، وقناة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: والمعنى: مادمت مواظباً بالاعتناء له والمطالبة. وأصل هذا أن المطالب بالشئ يقوم فيه، ويتصرّف. والتارك له يقعد عنه. [قال الأعشى: يقوم على الرّغم في قومه فيعضو إذا شاء أو ينتقم

أي: يطالب بالذحل^(١) ولا يقعد عنه. قال تعالى: (ليسوا سواء)] (من أهل الكتاب أمة قائمة) آل عمران: ١١٣ أي: عاملة غير تاركة، وقال تعالى: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) الرعد: ٣٣ أي: أخذ لها بما كسبت^(٢). والثاني: أنه القيام حقيقة، فتقديره: إلا مادمت قائماً على رأسه، فانه يعترف بأمانته، فاذا ذهب، ثم جئت، جحدك، قاله السدي. قوله تعالى: (ذلك) يعني: الخيانة. والسبيل: الإثم والحرَج، ونظيره (ما على

(١) الذحل: النار، وطلب المكافأة بجنابة جنيت عليه، من قتل أو جرح أو نحو ذلك.

(٢) هذا نص كلام ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن»، ص: ١٣٨ - ١٣٩، وما بين

معقفين مزيد منه.

المحسنين من سبيل) التوبة: ٩١ قال قتادة: إنما استحل اليهود أموال المسلمين، لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب.

قوله تعالى: (ويقولون على الله الكذب) قال السدي: يقولون: قد أحل الله لنا أموال العرب.

قوله تعالى: (وهم يعلمون) قولان. أحدهما: يعلمون أن الله قد أنزل في التوراة الوفاء، وأداء الأمانة. والثاني: يقولون الكذب، وهم يعلمون أنه كذب.

﴿بلى من أوفى بعهده وانتقى فإن الله يحب المتقين﴾

قوله تعالى: (بلى) رد الله عز وجل عليهم قولهم: (ليس علينا في الأميين سبيل) بقوله: (بلى) قال الزجاج: وهو عندي وقف التام، ثم استأنف، فقال: (من أوفى بعهده) ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: (بلى من أوفى). والعهد: ما عاهدكم الله عز وجل عليه في التوراة. وفي «هاء» (عهده) قولان. أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى الموفي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) في سبب نزولها ثلاثة أقوال. أحدها: أن الأشعث بن قيس خاصم بعض اليهود في أرض، فجحدته اليهودي، فقدمه إلى النبي ﷺ، فقال [له]: «ألك بينة»؟ قال: لا. قال لليهودي: «أتحلف»؟ فقال

الأشعث: إذا يحلف فيذهب بمالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري ومسلم^(١).
والثاني: أنها نزلت في اليهود، عهد الله إليهم في التوراة تبين صفة النبي ﷺ، فوجدوا،
وخالفوا لما كانوا ينالون من سفلتهم من الدنيا، هذا قول عكرمة، ومقاتل. والثالث: أن رجلاً
أقام سلخته في السوق أول النهار، فلما كان آخره، جاء رجل، يساومه، فحاف: لقد منعها
أول النهار من كذا، ولولا المساء لما باعها به، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي، ومجاهد.
فعلى القول الأول، والثالث، العهد: لزوم الطاعة، وترك المعصية، وعلى الثاني: ما عهده
إلى اليهود في التوراة. واليمين: الحلف. وإن قلنا: إنها في اليهود، والكفار، فإن الله
لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً. وإن قلنا: إنها في العصاة، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا
يكلمهم الله كلام خير. ومعنى (ولا ينظر إليهم)، أي: لا يعطف عليهم بخير مقتلهم، قال
الزجاج: تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، ولا يكلمه، معناه: أنه غضبان عليه.

قوله تعالى: (ولا يذكهم) أي: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم.

﴿وإنّ منهم لفريقاً يلوّنون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون﴾

قوله تعالى: (وإن منهم لفريقاً) اختلفوا فيمن نزلت على قولين. أحدهما: أنها نزلت
في اليهود، رواه عطية، عن ابن عباس. والثاني: في اليهود والنصارى، رواه الضحاك،
عن ابن عباس.

(١) ونصه كما في البخاري ج/٥/٥٣ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول ﷺ «من حلف
على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان» قال: فقال الأشعث:
في والله كان ذلك. كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجددني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي
رسول الله ﷺ «ألك بينة؟» قلت: لا. قال، فقال لليهودي: «احلف». قال: قلت: يا رسول الله إذا
يحلف وبذهب بمالي، فأرسل الله تعالى: (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) إلى آخر الآية.

قوله تعالى: (وَإِنَّ) هي كلمة مؤكدة، واللام في قوله: «لَفَرِيقًا» تأكيد زائد على تأكيد «إِنَّ». قال ابن قتيبة: ومعنى (يَذَوُّونَ أَلْسِنَهُمْ): يقلبونها بالتحريف والزيادة. والألسنة: جمع لسان، قال أبو عمرو: اللسان يذكر ويؤنث، فمن ذكره جمعه: ألسنة، ومن أنثه، جمعه: ألسنًا. وقال الفراء: اللسان بعينه لم نسمعه من العرب إلا مذكراً. وتقول العرب: سبق من فلان لسان، يعنون به الكلام، فيذكرونه.

وأنشد ابن الأعرابي:

لسانك معسولٌ ونفسك شحّةٌ وعند الثريا من صديقك ما لكَا

وأنشد ثعلب:

ندمت على لسانٍ كان مني فليت بأنه في جوفِ عكم^(١)

والعكم: العدل. ودل بقوله: كان مني، على أن اللسان الكلام.

وأنشد ثعلب:

أنتي لسان بني عامر أحاديثها بمد قولٍ نكر

فأنت اللسان، لأنه عنى الكلمة والرسالة.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾

(١) قائله الخطيئة ديوانه ص: ٣٤٧. اللسان هاهنا: الكلام، وأدخل الباء على «أن» مع «ليت»، وهو قليل، وأراد: ليت أنه في جوف عكم، فقحم الباء على «أن» وهو حجة في المرية. ويروى: «فلت يأنه»، ووددت بأنه. والمكم: داخل الجيب على المثل بالمكم، وهو النمط تجمله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.

قوله تعالى : (ما كان لبشر) في سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن قوماً من رؤساء اليهود والنصارى ، قالوا : يا محمد أتريد أن نتخذك رباً ؟ فقال : معاذ الله ، ما بذلك بعثني ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس . والثاني : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ألا نسجد لك ؟ قال : « لا ، فانه لا ينبغي أن يُسجد لأحد من دون الله » فنزلت هذه الآية ، قاله الحسن البصري . والثالث : أنها نزلت في نصارى نجران حيث عبدوا عيسى . قاله الضحاك ، ومقاتل . وفيمن عني بـ « البشر » قولان . أحدهما : محمد ﷺ . والكتاب : القرآن ، قاله ابن عباس ، وعطاء . والثاني : عيسى ، والكتاب : الإنجيل ، قاله الضحاك ، ومقاتل . والحكم : الفقه والعلم ، قاله قتادة في آخرين . قال الزجاج : ومعنى الآية : لا يجتمع لرجل نبوة ، والقول للناس : كونوا عباداً لي من دون الله ، لأن الله لا يصطي الكذبة . قوله تعالى : (ولكن كونوا) أي : ولكن يقول لهم : كونوا ، فحذف القول لدلالة الكلام عليه .

فأما الربانيون ، فروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : هم الذين يفتنون الناس بالحكمة ، ويربونهم عليها . وقال ابن عباس ، وابن جبير : هم الفقهاء المعلمون . وقال قتادة ، وعطاء : هم الفقهاء العلماء الحكماء . قال ابن قتيبة : واحد هم رباني ، وهم العلماء المعلمون . وقال أبو عبيد : أحسب الكلمة ليست بعرية ، وإنما هي عبرانية ، أو سريانية ، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين . قال أبو عبيد : وإنما عرفها الفقهاء ، وأهل العلم ، قال : وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول : هم العلماء بالحلل والحرام ، والأمر والنهي . وحكى ابن الأثير عن بعض اللغويين : الرباني : منسوب إلى الرب ، لأن العلم : مما يطاع الله به ، فدخلت الألف والنون في النسبة للمبالغة ، كما قالوا : رجل لحياضي : إذا بالغوا في وصفه بكبر اللحية .

قوله تعالى : (بما كنتم تعلمون الكتاب) قرأ ابن كثير ، ونافع وأبو عمرو : تعلمون ،
 باسكان العين ، ونصب اللام . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحزرة ، والكسائي : تعلمون مثقلاً ،
 وكلهم قرؤوا : « تدرسون » خفيفة . وقرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو رزين ، وسعيد بن
 جبير ، وطلحة بن مصرف ، وأبو حيوة : تدرسون ، بضم التاء مع التشديد . والدراسة : القراءة .
 قال الزجاج : ومعنى الكلام : ليكون هديكم ونيتم في التعليم هدي العلماء والحكماء ، لأن
 العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه .

﴿ولا يأمرُكم أن تَتَّخِذُوا الملائكةَ والنبيينَ أرباباً يَأْمُرُكم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾

قوله تعالى : (ولا يأمرُكم أن) قرأ ابن عامر ، وحزرة ، وخلف ، ويعقوب ، وعاصم
 في بعض الروايات عنه ، وعبد الوارث ، عن أبي عمرو ، واليزيدي في اختياره ، بنصب الراء .
 وقرأ الباقر برفع الراء ، فن نصب كان المعنى : وما كان لبشر أن يأمرُكم ، ومن رفع
 قطعه مما قبله . قال ابن جريج : ولا يأمرُكم محمد .

﴿وإذا أخذَ اللهُ ميثاقَ النبيينَ لما آتيتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءَكم رسولٌ مُصدِّقٌ
 لما معكم لتؤْمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّه قال ءأقررتُم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال
 فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾

قوله تعالى (وإذا أخذَ اللهُ ميثاقَ النبيينَ) قال الزجاج : موضع « إذ » نصب ، المعنى :
 واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله . قال ابن عباس : الميثاق : العهد . وفي الذي أخذ ميثاقهم
 عليه قولان . أحدهما : أنه تصديق محمد ﷺ ، روي عن علي ، وابن عباس ، وقتادة ،
 والسدي . والثاني : أنه أخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمننَّ بما جاء به الآخر منهم ، قاله

طاووس . قال مجاهد ، والريع بن أنس : هذه الآية خطأ من الكتاب ^(١) ، وهي في قراءة ابن مسعود : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب) واحتج الريع بقوله تعالى : (ثم جاءكم رسول) ^(٢) . وقال بعض أهل العلم : إنما أخذ الميثاق على النبيين ، وأمهم ، فاكتمى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم ، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع ، وهذا معنى قول ابن عباس ، والزجاج .

واختلف العلماء في لام « لما » فقرأ الأكثرون « لما » بفتح اللام والتخفيف ، وقرأ حمزة مثلها ، إلا أنه كسر اللام ، وقرأ سعيد بن جبيرة « لما » مشددة الميم ، فقراءة ابن جبيرة ، معناها : حين آتيتكم . وقال الفراء في قراءة حمزة : يريد أخذ الميثاق للذي آتاهم ، ثم جعل قوله : (لتؤمنن به) من الأخذ . قال الفراء : ومن نصب اللام جعلها زائدة . و « ما » هاهنا بمعنى الشرط والجزاء ، فالمعنى : لئن آتيتكم ومها آتيتكم شيئاً من كتاب وحكمة . قال ابن الأنباري : اللام في قوله تعالى : (لما آتيتكم) على قراءة من شدد أو كسر : جواب لأخذ الميثاق . قال : لأن أخذ الميثاق يمين ، وعلى قراءة من خففها ، معناها : القسم ، وجواب القسم اللام في قوله : (لتؤمنن به) . وإنما خاطب ، فقال : آتيتكم . بعد أن ذكر

(١) في الطبري من « الكتاب » قال الشيخ محمود شاكر : قلت : والقول الذي ذكره مجاهد إنه خطأ من الكتاب ، إنما عني به أن قراءة ابن مسعود هي مع القراءة التي كانت في العرصة الأخيرة ، فأخطأ وكتب القراءة الأولى ، ولم يرد بقوله : خطأ من الكتاب ، أنه وضع ذلك من عند نفسه كيف ؟ والقرآن متلقى بالرواية والوراثه عن رسول الله ﷺ ، لا بما هو مكتوب في المصحف .

(٢) قال أبو بكر الباقلاني في كتاب « الانتصار لنقل القرآن » وأما نحن وإن كتاب نوثق جميع من ذكرنا من السلف وأتباعهم ، فإنا لا نعقد تصديق جميع ما روى عنهم ، بل نعقد أن فيه كذباً كثيراً ، قد قامت الدلالة على أنه موضوع عليهم ، وأن فيه ما يمكن أن يكون حقاً عنهم وما يمكن أن يكون باطلاً ، ولا يثبت عليهم من طريق العلم اليقيني بأخبار الآحاد ، وإذا كانت كذلك ، وكانت هذه القراءات والكلمات المروية عن جماعة منهم المخالفة لما في مصحفنا ، مما لا نعلم صحتها وثبوتها ، وكنا مع ذلك نعلم اجتماعهم على تسليم مصحف عثمان وقراءتهم وإقراءهم ما فيه ، والعمل به دون غيره ، لم يجب أن نحفل بشيء من هذه الروايات عنهم لأجل ما ذكرنا .

النبيين وهم غيب ، لأن في الكلام معنى قول وحكاية ، فقال مخاطباً لهم : لما آتيتكم وقرأ نافع « آتيناكم » بالثبوت والالف .

قوله تعالى : (ثم جاءكم رسول) قال علي رضي الله عنه : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد ، إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه . وقال غيره : أخذ ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً . والإصر هاهنا : العهد في قول الجماعة . قال ابن قتيبة : أصل الإصر : الثقل ، فسمي العهد إصرأ ، لأنه منع من الأمر الذي أخذ له ، وثقل وتشديد . وكلهم كسر ألف « إصري » . وروى أبو بكر ، عن عاصم ضمه . قال أبو علي : يشبه أن يكون الضم لغة .

قوله تعالى : (قال فاشهدوا) قال ابن فارس : الشهادة : الإخبار بما شوهده . وفيمن خوطب بهذا قولان . أحدهما : أنه خطاب للذين ، ثم فيه قولان . أحدهما : أن معناه : فاشهدوا على أممكم ، قاله علي بن أبي طالب . والثاني : فاشهدوا على أنفسكم ، قاله مقاتل . والثاني : أنه خطاب للملائكة ، قاله سعيد بن المسيب . فعلى هذا يكون كناية عن غير مذكور .

﴿ فمن تولى بمدّ ذلك فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴾

قوله تعالى : (أفغير دين الله يبغون) قرأ أبو عمرو : « يبغون بالياء مفتوحة . (وإليه يرجعون) بالياء مضمومة ، وقرأها الباقون بالياء في الحرفين . وروى حفص عن عاصم : « يبغون » و « يرجعون » بالياء فيهما ، وفتح الياء وكسر الجيم بمقرب على أصله . قال ابن عباس : اختصم أهل الكتابين ، فزعمت كل فرقة أنها أولى بدين إبراهيم ، فقال النبي ﷺ : « كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم » . فغضبوا ، وقالوا : والله لا نرضى بقضائك ، ولا نأخذ بدينك ، فنزلت هذه الآية . والمراد بدين الله ، دين محمد ﷺ . (وله أسلم) اتقاد ، وخضع (طوعاً وكرهاً) الطوع : الاتقياد بسهولة ، والكره : الاتقياد بمشقة وإياء من النفس .

وفي معنى الطوع والكره ستة أقوال . أحدها : أن إسلام الكل كان يوم الميثاق طوعاً وكرهاً ، رواه مجاهد عن ابن عباس ، والأعمش عن مجاهد ، وبه قال السدي . والثاني : أن المؤمن يسجد طائئاً ، والكافر يسجد ظلته وهو كاره ، روي عن ابن عباس ، ورواه ابن أبي نجيح ، وليث عن مجاهد . والثالث : أن الكل أقرؤا له بأنه الخالق ، وإن أشرك بعضهم ، فإقراره بذلك حجة عليه في إشراكه ، هذا قول أبي العالية ، ورواه منصور عن مجاهد . والرابع : أن المؤمن أسلم طائئاً ، والكافر أسلم مخافة السيف ، هذا قول الحسن . والخامس : أن المؤمن أسلم طائئاً ، والكافر أسلم حين رأى بأس الله ، فلم ينفعه في ذلك الوقت ، هذا قول قتادة . والسادس : أن إسلام الكل خضوعهم لنفاذ أمره في جبلتهم ، لا يقدر أحد أن يمتنع من جبلة عليه ، ولا على تغييرها ، هذا قول الزجاج ، وهو معنى قول الشعبي : انقاد كلهم له .

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ . كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

قوله تعالى : (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم) في سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن رجلاً من الانصار ارتدَّ ، فلحق بالمشركين ، فنزلت هذه الآية ، إلى قوله تعالى (إلا الذين تابوا) فكتب بها قومه إليه ، فرجع تائباً [فقبل النبي ﷺ ذلك منه ، وخلقى عنه]

رواه عكرمة عن ابن عباس^(١). وذكر مجاهد، والسدي أن اسم ذلك الرجل: الحارث بن سويد .
والثاني: أنها نزلت في عشرة رهط ارتدوا ، فيهم الحارث بن سويد ، فندم ، فرجع . رواه
أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال مقاتل . والثالث: أنها في أهل الكتاب ، عرفوا النبي
ﷺ ، ثم كفروا به . رواه عطية عن ابن عباس . وقال الحسن: هم اليهود والنصارى .
وقيل : إن « كيف » هاهنا لفظها لفظ الاستفهام ، ومعناها الجحد ، أي : لا يهدي
الله هؤلاء .

﴿ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يَنْظُرُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (خالدين فيها) قال الزجاج أي : في عذاب اللعنة (ولا هم ينظرون) أي :
يؤخرون عن الوقت . قال : ومعنى : (أصلحوا) أي : أظهروا أنهم كانوا على ضلال ، وأصلحوا
ما كانوا أفسدوه ، وغرّوا به من تبعهم ممن لا علم له .

﴿ فصل ﴾

وهذه الآية استئنفت من تاب ممن لم يتب وقد زعم قوم أنها نسخت ما تضمنته
الآيات قبلها من الوعيد ، وإيس بنسخ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبِلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الضَّالُّونَ ﴾

(١) رواه النسائي وابن حبان وابن أبي حاتم والطبري والبيهقي والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد
ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . ورواه أحمد أيضاً ، وإسناده صحيح .

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِدَائِهِمْ) اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال .
 أحدها : أنها نزلت فيمن لم يتب من أصحاب الحارث بن سويد ، فانهم قالوا : نقيم بمكة
 وتربص بمحمد ريب المنون ، قاله ابن عباس ، ومقاتل . والثاني : أنها نزلت في اليهود
 كفروا ببيسى والأنجيل ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن ، قاله الحسن ، وقتادة ، وعطاء
 الخراساني . والثالث : أنها نزلت في اليهود والنصارى ، كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفته ،
 ثم ازدادوا كفراً بأقامتهم على كفرهم ، قاله أبو العالية . قال الحسن : كلما نزلت آية كفروا
 بها ، فازدادوا كفراً . وفي علة امتناع قبول توبتهم أربعة أقوال . أحدها : أنهم ارتدوا ،
 وعزموا على إظهار التوبة استر أحوالهم ، والكفر في ضمائرهم ، قاله ابن عباس . والثاني :
 أنهم قوم تابوا من الذنوب في الشرك ، ولم يتوبوا من الشرك ، قاله أبو العالية . والثالث :
 أن : معناه : لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وعطاء
 الخراساني ، والسدي . والرابع : لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر ،
 قاله مجاهد .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ
 ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) روى أبو صالح عن ابن عباس
 أن النبي ﷺ لما فتح مكة ، دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حياً في الإسلام ،
 فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافراً . قال الزجاج : وملء الشيء : مقدار ما يملؤه . قال
 سيديويه ، والخليل : والملء بفتح الميم : الفعل ، تقول : ملأت الشيء أملؤه ملأً ، المصدر
 بالفتح لا غير . والملاة : التي تلبس ممدودة . والملاوة من الدهر : القطعة الطويلة

منه ، يقولون : ابل جديدًا ، وتعل جيبًا ، أي : عش معه دهرًا طويلاً . (ذهباً) منصوب على التمييز . وقال ابن فارس : ربما أنت الذهب ، فقيل : ذهبة ، ويجمع على الأذهاب .

قوله تعالى : (ولو افئدى به) ^(١) قال الفراء : الواو هاهنا قد يستغنى عنها ، ولو حذف كان صواباً ، كقوله تعالى : (وليكون من الموقنين) الأنعام : ٧٥ قال الزجاج : هذا غلط ، لأن فائدة الواو بيّنة ، فليست مما يلقي . قال النحاس : قال أهل النظر من النحويين في هذه الآية : الواو ليست مقحمة ، وتقديره : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً تبرعاً ولو افئدى .

﴿لن تنالوا البرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى : (لن تنالوا البر) في البر أربعة أقوال . أحدها : أنه الجنة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي في آخرين . قال ابن جرير : فيكون المعنى : لن تنالوا بر الله بكم الذي تطالبونه بطاعتكم . والثاني : التقوى ، قاله عطاء ، ومقاتل . والثالث : الطاعة ، قاله عطية . والرابع : الخير الذي يستحق به الأجر ، قاله أبو روق . قال القاضي أبو يعلى : لم يرد نفي الأصل ، وإنما نفي وجود الكمال ، فكأنه قال : لن تنالوا البر الكامل .

قوله تعالى : (حتى تنفقوا مما تحبون) فيه قولان . أحدهما : أنه نفقة العبد من ماله ، وهو صحيح صحيح ، رواه ابن عمر عن النبي ﷺ ^(٢) . والثاني : أنه الاتفاق من محبوب

(١) روى الامام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟ قال : فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهرك أهلك آدم أن لا تشرك بي شيئاً ، فأبيت إلا أن تشرك بي ، وأخرج البخاري ، ومسلم .

(٢) لم تقف على هذه الرواية التي ذكرها المؤلف من طريق ابن عمر في شيء من كتب السنة ، وإنما الذي جاء فيها : أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر ، وتأمل الغنى ، ولا تهمل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت : فلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان » رواه البخاري ومسلم .

المال ، قاله قتادة ، والضحاك . وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة أقوال . أحدها : أنها الصدقة المفروضة ، قاله ابن عباس ، والحسن ، والضحاك . والثاني : أنها جميع الصدقات ، قاله ابن عمر . والثالث : أنها جميع النفقات التي يُبتغى بها وجه الله تعالى ، سواء كانت صدقة ، أو لم تكن ، نُقل عن الحسن ، واختاره القاضي أبو يعلى وروى البخاري ، ومسلم في « الصحيحين » من حديث أنس بن مالك قال : كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة ، فقال : يا رسول الله إن الله يقول : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء^(١) ، وإنها صدقة لله ، أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها حيث أراك الله ، فقال ﷺ : « بخ بخ ، ذاك مال رابح أو رائج [شك الراوي^(٢)] وقد سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجمعها في الأقربين » فقسمها أبو طلحة في أقاربه ، وبني عمّه . وروي عن عبد الله بن عمر أنه قرأ هذه الآية فقال : لا أجد شيئاً أحب إليَّ من جاريتي رميثة^(٣) ، فهي حرة لوجه الله ، ثم قال :

(١) قوله: بيرحاء . قال الحافظ ابن حجر: بفتح الموحدة ، وسكون التحتانية ، وفتح الراء ، وبالمهملّة والمد ، وجاء في ضبطه أوجه كثيرة ، جمعها ابن الأثير في « النهاية » ، فقال: يروى بفتح الباء ، وبكسرهما ، وبفتح الراء وضما ، والمد والقصر . فهذه ثمان لغات . وفي رواية حماد بن سلمة « برحما » بفتح أوله وكسر الراء وتقديما على التحتانية . وفي « سنن أبي داود » « بارحما » مثله لكن بزيادة ألف . وقال الباجي : أفصحها بفتح الباء ، وسكون الياء ، وفتح الراء مقصور ، وكذا جزم به الصغاني ، وقال : إنه « فيعل » من البراح . قال : ومن ذكره بكسر الموحدة ، وظن أنها بشر من آبار المدينة فقد صحف .

(٢) جاء في البخاري : رابع أو رائج ، شك ابن مسلمة . قال الحافظ ابن حجر : أي القعني ، والرواية الأولى واضحة من الريح ، أي : ذو ربح . وقيل : هو فاعل بمعنى مفعول ، أي : هو مال مربوح فيه . وأما الثانية فمناها : رائج عليه أجره . قال ابن بطلال : والمعنى أن مسافته قريبة ، وذلك أنفس الأموال . وقيل : مناه يروح بالأجر ويندو به ، واكتفى بالرواح عن الند .

(٣) في « الدر المنثور » : مرجانة .

لولا أني أعود في شيء جعلته الله ، لنكحتها ، فأنكحها نافعاً ، فهي أم ولده . وسُئِلَ أبو ذر : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : الصلاة : عماد الإسلام ، والجهاد : سنام العمل ، والصدقة : شيء عَجَب . ثم قال السائل : يا أبا ذرٍ لقد تركت شيئاً هو أوثق عمل في نفسي لأراك ذكرته . قال : ما هو ؟ قال : الصيام . فقال : قربة وليس هناك ، وتلا قوله تعالى : (لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ^(١)) . قال الزجاج : ومعنى قوله تعالى : (فان الله به عليم) أي : يجازي عليه .

﴿ كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴿

قوله تعالى : (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل) سبب نزولها أن النبي ﷺ قال : « أنا على ملة إبراهيم » فقالت اليهود : كيف وأنت تأكل لحوم الإبل ، وتشرب ألبانها ؟ فقال : « كان ذلك حلالاً لإبراهيم » . فقالوا : كل شيء نحرّمه نحن ، فانه كان محرّماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا . فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم . قاله أبو روق ، وابن السائب ^(٢) و« الطعام » : اسم للمأكول . قال ابن قتيبة : والحِل : الحلال ، ومثله الحرم والحرام ، واللبس واللباس . وفي الذي حرّمه على نفسه ، ثلاثه أقوال . أحدها : لحوم الإبل وألبانها . روي عن النبي ﷺ ، ^(٣) ورواه أبو صالح ، عن ابن عباس ، وهو قول الحسن ، وعطاء ابن أبي رباح ،

(١) رواه ابن جرير الطبري ج/٦/٥٩١ ، وهذا الخبر منقطع لأن ميمون بن مهران لم يدرك أبا ذر .

(٢) رواه الواحدي في « أسباب النزول » ، ولم يذكر له سنداً .

(٣) روى الإمام أحمد بسند حسن عن ابن عباس قال : « حضرت عصابة من اليهود في الله ﷺ فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمن إلا نبي [فذكر الحديث ، وفيه أنهم قالوا :] أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ [وأن رسول الله ﷺ قال لهم :] فأشددكم بالذي أنزل التوراة على موسى ﷺ هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً ، وطال سقمه ، فنذر لله نذراً ، لئن شفاه الله من سقمه ليحرّم من أحبّ الشراب إليه وأحبّ الطعام إليه . وكان أحبّ الطعام إليه لحاف الإبل ، وأحبّ الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا : اللهم نعم . فقال : « اللهم اشهد عليهم » .

وأبي المالية في آخرين . والثاني : أنه العروق ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ^(١) وهو قول مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي في آخرين . والثالث : أنه زائدنا الكبدة ، والكليتان ، والشحم إلا ما على الظهر ، قاله عكرمة . وفي سبب تحريمه لذلك أربعة أقوال . أحدها : أنه طال به مرض شديد ، فنذر : لئن شفاه الله ، ليجر من أحب الطعام والشراب إليه ، روي عن النبي ﷺ . والثاني : أنه اشتكى عرق النسا ^(٢) فحرّم العروق ، قاله ابن عباس في آخرين . والثالث : أن الأطباء وصفوا له حين أصابه النسا اجتناب ما حرمه ، فحرّمه ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والرابع : أنه كان إذا أكل ذلك الطعام ، أصابه عرق النسا ، فبييت وقيداً ^(٣) فحرّمه ، قاله أبو سليمان الدمشقي . واختلفوا : هل حرم ذلك باذن الله ، أو باجتهاده ؟ على قولين . واختلفوا : بماذا ثبت تحريم الطعام الذي حرمه على اليهود ، على ثلاثة أقوال . أحدها : أنه حرم عليهم بتحريمه ، ولم يكن محرماً في التوراة ، قاله عطية . وقال ابن عباس : قال يعقوب : لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد . والثاني : أنهم وافقوا أباهم يعقوب في تحريمه ، لأنه حرّم عليهم بالشرع ، ثم أضافوا تحريمه إلى الله ، فأكذبهم الله بقوله : (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) هذا قول الضحاك . والثالث : أن الله حرّمه عليهم بعد التوراة لا فيها . وكانوا إذا أصابوا ذنباً عظيماً ، حرم عليهم به طعام طيب ، أو صب عليهم عذاب ، هذا قول ابن السائب . قال ابن عباس : (فأتوا بالتوراة فاتلوها) هل تجدون فيها تحريم لحوم الإبل وألبانها !

(١) رواه البيهقي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس .

(٢) النسا : هو العرق الذي يخرج من الورك ، فيستبطن الفخذين ، ثم يمر حتى يبلغ الكعب ، وهو الذي يأخذه المرض المعروف .

(٣) قال في « اللسان » ، الوقيد والموقوذ : الشديد المرض الذي قد أشرف على الموت . وفي « الطبري » « فكان بيت وله زقاء » . والزقاء : صوت الباكي وصياحه .

﴿ فن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴾

قوله تعالى : (فن افترى) يقول : اختلق (على الله الكذب من بعد ذلك) أي : من بعد البيان في كتبهم ، وقيل : من بعد مجيئكم بالثورة وتلاوتكم إياها .

﴿ قل صدق الله فاتبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

قوله تعالى : (قل صدق الله) الصدق : الإخبار بالشيء على ما هو به ، وضده الكذب . واختلفوا أي خبر عنى بهذه الآية ؟ على قولين . أحدهما : أنه عنى قوله تعالى : (ما كان إبراهيم يهودياً) ، قاله مقاتل ، وأبو سليمان الدمشقي . والثاني : أنه عنى قوله تعالى : (كلُّ الطعام كان حلالاً) قاله ابن السائب .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) قال مجاهد : افتخر المسلمون واليهود ، فقالت اليهود : بيت المقدس أفضل من الكعبة . وقال المسلمون : الكعبة أفضل ، فنزلت هذه الآية . وفي معنى كونه « أول » قولان . أحدهما : أنه أول بيت كان في الأرض ، واختلف أرباب هذا القول ، كيف كان أول بيت على ثلاثة أقوال . أحدها : أنه ظهر على وجه الماء حين خلق الله الأرض ، فخلقها قبلها بالني عام ، ودحاها من تحته ، فروى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : كانت الكعبة حشفة على وجه الماء ، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة . وقال ابن عباس : وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بالني سنة ، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت ، وبهذا القول يقول ابن عمر ، وابن عمرو ، وقتادة ، ومجاهد ، والسدي في آخرين . والثاني : أن آدم استوحش حين أهبط ، فأوحى الله إليه ، أن : ابن لي بيتاً في الأرض ، فاصنع حوله نحو ما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي ، فبناه ، رواء أبو صالح ، عن ابن عباس . والثالث : أنه أهبط مع آدم ، فلما

كان الطوفان ، رُفِعَ فصار معموراً في السماء ، وبني إبراهيم على أثره ، رواه شيبان عن قتادة .
 القول الثاني : أنه أول بيت وُضِعَ للناس للعبادة^(١) ، وقد كانت قبله بيوت ، هذا قول علي بن أبي
 طالب رضي الله عنه^(٢) ، والحسن ، وعطاء بن السائب في آخرين . فأما بكّة ، فقال
 الزجاج : يصلح هذا الاسم أن يكون مشتقاً من البكّة . يقال : بكّ الناس بعضهم بعضاً ،
 أي : دفع . واختلفوا في تسميتها بكّة على ثلاثة أقوال . أحدها : لآزدحام الناس بها ، قاله
 ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، والفراء ، ومقاتل . والثاني : لأنها
 تبتك أعناق الجبابة ، أي : تدقّها ، فلم يقصدها جبارٌ إلا قصمه الله ، روي عن عبد الله
 ابن الزبير ، وذكره الزجاج . والثالث : لأنها تضع من نخوة المتجبرين ، يقال : بككت
 الرجل ، أي : وضعت منه ، ورددت نخوته ، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي ، وقطرب .
 واتفقوا على أن مكة اسمٌ لجميع البلدة . واختلفوا في بكّة على أربعة أقوال . أحدها : أنه
 اسمٌ للبقعة التي فيها الكعبة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو مالك ، وإبراهيم . وعطيّة .
 والثاني : أنها ما حول البيت ، ومكة ما وراء ذلك ، قاله عكرمة . والثالث : أنها المسجد ،
 والبيت . ومكة : اسمٌ للحرم كله ، قاله الزهري ، وضرة بن حبيب . والرابع : أن بكّة
 هي مكة ، قاله الضحاك ، وابن قتيبة ، واحتج ابن قتيبة بأن الباء تبدل من الميم ؛ يقال : سمد
 رأسه ، وسبد رأسه : إذا استأصله . وشر لازم ، ولازب .

قوله تعالى : (مباركاً) قال الزجاج : هو منصوب على الحال . المعنى : الذي استقر
 بمكة في حال بركنه .

قوله تعالى : (وهدي) أي : وذا هدي . ويجوز أن يكون « هدي » في موضع رفع ،

(١) يؤيده ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي مسجد رضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام » .
 قلت : ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » . قلت : كم بينها ؟ قال : « أربعون سنة » . قلت : ثم أي ؟ قال :
 « ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد » . رواه أحمد في « المسند » والبخاري ومسلم .
 (٢) أثر علي ، رواه ابن أبي حاتم ، وصححه الحافظ ابن حجر .

المعنى : وهو هدى ، فأما بركنه ، ففيه تغفر الذنوب ، وتضاعف الحسنات ، ويؤمن من دخله .

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « من طاف بالبيت ، لم يرفع قدماً ، ولم يضع أخرى ، إلا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ، ورفع له بها درجة » ^(١) .

قوله تعالى : (وهدي للعالمين) ، في الهدى هاهنا أربعة أقوال . أحدها : أنه بمعنى القبلية ، فتقديره : وقبلية للعالمين . والثاني : أنه بمعنى : الرحمة . والثالث : أنه بمعنى : الصلاح ، لأن من قصده ، صاحت حاله عند ربه . والرابع : أنه بمعنى : البيان ، والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره ، حيث يجتمع الكلب والظبي في الحرم ، فلا الكلب يهيج الظبي ، ولا الظبي يستوحش منه ، قاله القاضي أبو يعلى .

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَكَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : (فيه آيات بينات) ، الجمهور يقرؤون : آيات . وروى عطاء عن ابن عباس أنه قرأ : (فيه آية بينة مقام إبراهيم) ، وبها قرأ مجاهد . والآية : مقام إبراهيم . فأما من قرأ : « آيات » فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الآيات : مقام إبراهيم ، وأمن من دخله . فعلى هذا يكون الجمع معبراً عن التثنية ، وذلك جائز في اللغة ، كقوله تعالى : (وكننا لحكمهم شاهدين) الأنبياء : ٧٨ . وقال أبو رجاء : كان الحسن يمدّهن ، وأنا أنظر إلى أصابعه : مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، والله على الناس حج البيت . وقال ابن جرير : في

(١) رواه أحمد في « المسند » رقم ٤٤٦٢ ، والترمذي في « جامعه » ، والحاكم في « المستدرک » ، وابن خزيمة في « صحيحه » عن ابن عمر ، ولفظ المصنف عند ابن خزيمة .

قال الهيثمي في مجمع « الروائد » ٣ : ٢٤٠ . وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط . وهشيم الراوي عن عطاء سمع منه بعد اختلاطه . وقد حسن الشيخ أحمد شاكر هذا الحديث في تعليقه على « المسند » فانظره .

الكلام إضمار ، تقديره : منهن مقام إبراهيم . قال المفسرون : الآيات فيه كثيرة ، منها مقام إبراهيم ، ومنها : أمن من دخله ، ومنها : امتناع الطير من العلو عليه ، واستشفاء المريض منها به ، وتمجيل العقوبة لمن انتهك حرمة ، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخراجه ، إلى غير ذلك . قال القاضي أبو يعلى : والمراد بالبيت هاهنا : الحرم كله ، لأن هذه الآيات موجودة فيه ، ومقام إبراهيم ليس في البيت ، والآية في مقام إبراهيم أنه قام على حجر ، فأثرت قدماء فيه ، فكان ذلك دليلاً على قدرة الله ، وصدق إبراهيم .

قوله تعالى : (ومن دخله كان آمناً) ، قال القاضي أبو يعلى : لفظه لفظ الخبر ، ومعناه : الأمر ، وتقديره : ومن دخله ، فأمنوه ، وهو عام فيمن جنى جناية قبل دخوله ، وفيمن جنى فيه بعد دخوله ، إلا أن الإجماع انمقد على أن من جنى فيه لا يؤمن ، لأنه هتك حرمة الحرم ورد الأمان ، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجاً منه ، ثم لجأ إلى الحرم . وقد اختلف الفقهاء في ذلك ، فقال أحمد في رواية المروزي : إذا قتل ، أو قطع يداً ، أو آتى حداً في غير الحرم ، ثم دخله ، لم يقيم عليه الحد ، ولم يقتل منه ، ولكن لا يبيع ، ولا يشارى ، ولا يؤاكل حتى يخرج ، فإن فعل شيئاً من ذلك في الحرم ، استوفى منه . وقال أحمد في رواية حنبل : إذا قتل خارج الحرم ، ثم دخله ، لم يقتل . وإن كانت الجناية دون النفس ، فإنه يقيم عليه الحد ، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه . وقال مالك والشافعي : يقيم عليه جميع ذلك في النفس ، وفيما دون النفس .

وفي قوله تعالى : (ومن دخله كان آمناً) ، دليل على أنه لا يقيم عليه شيء من ذلك ، وهو مذهب ابن عمر ، وابن عباس ، وعطاء ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وطاووس .

قوله تعالى : (والله على الناس حج البيت) ، الاكثرون على فتح حاء « الحج » ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : بكسرها . قال مجاهد : لما أنزل قوله تعالى :

(ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) آل عمران: ٨٥ قال أهل الملل كلهم : نحن مسلمون ، فنزلت هذه الآية ، فحججه المسلمون ، وتركه المشركون ، وقالت اليهود : لا نحجه أبداً .

قوله تعالى : (من استطاع إليه سبيلاً) ، قال النحويون : من استطاع بدل من «الناس» ، وهذا بدل البعض من الكل ، كما تقول : ضربت زيداً رأسه . وقد روي عن ابن مسعود ، وابن عمر ، وأنس ، وعائشة عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ : ما السبيل ؟ فقال : « من وجد الزاد والراحلة » ^(١) .

قوله تعالى (ومن كفر) ، فيه خمسة أقوال . أحدها : أن معناه : من كفر بالحج فاعتقده غير واجب ، رواه مقسم عن ابن عباس ، وابن جريج عن مجاهد ، وبه قال الحسن ،

(١) قال الحافظ في «التلخيص» رواه الدارقطني ج/١/٢٥٤ ، والحاكم ج/١/٤٤٢ والبيهقي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى : (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) ، قال : قيل : يا رسول الله ما السبيل ؟ قال : « الزاد والراحلة » . قال البيهقي : الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلًا ، يعني الذي خرجه الدارقطني ، وسنده صحيح إلى الحسن ولا أرى الموصول إلا وهماً . وقد رواه الحاكم من حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أيضاً ، إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة عبد الله بن واقد الحراني ، وقد قال أبو حاتم : هو منكر الحديث . وقد رواه الشافعي في «المسند» ج/١/٢٨٤ ، والترمذي ص ١٠٠ ، وابن ماجه ص ٢١٤ ، والدارقطني ص ٢٥٥ من حديث ابن عمر ، وقال الترمذي : حسن ، وهو من رواية إبراهيم بن يزيد الخوزي ، وقد قال فيه أحمد والنسائي : متروك الحديث ، ورواه ابن ماجه ج/١/٢١٤ ، والدارقطني من حديث ابن عباس ، وسنده ضعيف أيضاً ورواه ابن المنذر من قول ابن عباس . ورواه الدارقطني من حديث جابر ، ومن حديث علي بن أبي طالب ، ومن حديث ابن مسعود ، ومن حديث عائشة ، ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وطرقها كلها ضعيفة ، وقد قال عبد الحق : إن طرقها كلها ضعيفة ، وقال أبو بكر ابن المنذر : لا يثبت الحديث في ذلك مسنداً ، والصحيح من الروايات رواية الحسن مرسله .

وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» ، ولا يخفى أن هذه الطرق بقوي بعضها بعضاً فتصلح للاحتجاج بها . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : فهذه الأحاديث مستندة من طرق حسان مرسله وموقوفة تبدل على أن مناط الرجوع الزاد والراحلة ، مع علم النبي ﷺ أن كثيراً من الناس يقدرون على المشي .

وعطاء، وعكرمة، والضحاك، ومقاتل. والثاني: من لم يرج ثواب حجه، ولم يخف عقاب تركه، فقد كفر به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثالث: أنه الكفر بالله، لا بالحج، وهذا المني مروى عن عكرمة، ومجاهد. والرابع: أنه إذا أمكنه الحج، فلم يحج حتى مات، وسم بين عينيه: كافر، هذا قول ابن عمر. والخامس: أنه أراد الكفر بالآيات التي أنزلت في ذكر البيت، لأن قوماً من المشركين قالوا: نحن نكفر بهذه الآيات، هذا قول ابن زيد.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ). قال الحسن: هم اليهود والنصارى، فأما آيات الله. فقال ابن عباس: هي القرآن ومحمد ﷺ. وأما الشهيد، فقال ابن قتبية: هو بمعنى الشاهد، وقال الخطابي: هو الذي لا يغيب عنه شيء، كأنه الحاضر الشاهد.

قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ). قال مقاتل: دعت اليهود حذيفة، وعمار بن ياسر، إلى دينهم، فنزلت هذه الآية. وفي المراد بأهل الكتاب هاهنا قولان. أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله الحسن. والثاني: اليهود. قاله زيد بن أسلم، ومقاتل. قال ابن عباس: لم تصدّون عن سبيل الله: الإسلام، والحج. وقال قتادة: لم تصدّون عن نبي الله، وعن الإسلام. قال السدي: كانوا إذا سئلوا: هل تجدون محمداً في كتبكم؟ قالوا: لا. فصّدوا عنه الناس.

قوله تعالى: (تَبْغُوهَا) ، قال اللغويون: الهاء كناية عن السبيل، والسبيل يذكر ويؤنث. وأنشدوا:

فَلَا تَبْعُدْ فَكُلُّهُ فَتَى أَنَاسٍ سَيُصْبِحُ سَالِكًا تِلْكَ السَّبِيلَا

ومعنى «تبنونها» : تبغون لها ، تقول العرب : ابغني خادماً ، يريدون : ابغته لي ، فإذا أرادوا : ابغ معي ، وأعني على طلبه ، قالوا : ابغني ، ففتحوا الألف ، ويقولون : وهبتك درهماً ، كما يقولون : وهبت لك . قال الشاعر :

فتولى غلامهم ثم نادى أظليماً أصيدكم أم حماراً ؟

أراد : أصيد لكم . ومعنى الآية : يلتئمسون لسبيل الله الزيف والتجريف ، ويريدون ردَّ الإيمان والاستقامة إلى الكفر والاعوجاج ، ويطلبون العدول عن القصد ، هذا قول الفراء ، والزجاج ، واللغويين . قال ابن جرير : خرج هذا الكلام على السبيل ، والمعنى : لأهله ، كأن المعنى : تبغون لأهل دين الله ، ولمن هو على سبيل الحق عوجاً . أي : ضللاً . قال أبو عبيدة : العوج بكسر العين ، في الدين ، والكلام ، والعمل ، ، والعوج بفتحها ، في الخاطئ والجذع . وقال الزجاج : العوج بكسر العين : فيما لا يرى له شخصاً ، وما كان له شخص قلت : عوج بفتحها ، تقول : في أمره ودينه عوج ، وفي العصا عوج . وروى ابن الأنباري عن ثعلب قال : العوج عند العرب بكسر العين : في كل ما لا يحاط به ، والعوج بفتح العين في كل ما لا يحصل ، فيقال : في الأرض عوج ، وفي الدين عوج ، لأن هذين يتسعان ، ولا يدركان . وفي العصا عوج ، وفي السن عوج ، لأنها يحاط بهما ، ويبلغ كنههما . وقال ابن فارس : العوج بفتح العين : في كل منتصب ، كالخاطئ . والعوج : ما كان في بساط أو أرض ، أو دين ، أو معاش .

قوله تعالى : (وأنتم شهداء) فيه قولان . أحدهما : أن معناه ، وأنتم شاهدون بصحة ما صدقتم عنه ، وبطلان ما أنتم فيه ، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس ، وقتادة ، والأكثرين . والثاني : أن معنى الشهداء هاهنا : العقلاء ، ذكره القاضي أبو يعلى في آخرين .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾

سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية ، فلما جاء النبي ﷺ أطفأ تلك الحرب بالإسلام ، فبينما رجلان أوسي وخزرجي يتحدثان ، ومعهما يهودي ، جعل اليهودي يذكرهما أيامها ، والعداوة التي كانت بينهما حتى اقتتلا ، فنادى كل واحد منهما بقومه ، فخرجوا بالسلاح ، فجاء النبي ﷺ ، فأصلح بينهم ، فنزلت هذه الآية ، قاله مجاهد ، وعكرمة ، والجماعة . قال المفسرون : والخطاب بهذه الآية للأوس والخزرج . قال زيد بن أسلم : وعنى بذلك الفريق : شاس بن قيس اليهودي وأصحابه . قال الزجاج : ومعنى طاعتهم : تقليدهم .

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
قوله تعالى : (ومن يعتصم بالله)

قال ابن قتيبة : أي : يمتنع ، وأصل العصمة : المنع ، قال الزجاج : ويعتصم جزم
بـ « من » والجواب (فقد هُدي)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
قال عكرمة : نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا ، وأصلح النبي ﷺ بينهم .
وفي « حق تقاته » ثلاثة أقوال . أحدها : أن يُطاع الله فلا يُعصى ، وأن يُذكر فلا يُنسى ،
وأن يشكر فلا يكفر ، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ^(١) . وهو قول ابن مسعود ، والحسن ،
وعكرمة ، وقتادة ، ومقاتل . والثاني : أن يجاهد في الله حق الجهاد ، وأن لا يأخذ العبد فيه

(١) رواه ابن أبي حاتم في « التفسير » والحاكم في « المستدرک » ج ٢ / ٢٤٤ مرفوعاً غير مرفوع ، وإسناده صحيح . ورواه ابن مردويه مرفوعاً كما ذكر المصنف ، قال ابن كثير . والأظهر أنه موقوف .

لومة لأئم، وأن يقرموا له بالقسط، ولو على أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناه: اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قاله الزجاج.

فصل

واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؛ على قولين. أحدهما: أنه منسوخ، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبیر، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت على المسلمين، فسخها قوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم)، الثغابن: ١٦. والثاني: أنها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول طاووس. قال شيخنا علي بن عبد الله: والاختلاف في نسخها وإحكامها، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن «حق تقاته» الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يمجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع، والمعتقد إحكامها يرى أن «حق تقاته» أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: «ما استطعتم» مفسرًا لـ «حق تقاته» لا ناسخًا ولا مخصصًا.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾

قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً) قال الزجاج: اعتصموا: استمسكوا.

فأما الحبل، ففيه ستة أقوال. أحدها: أنه كتاب الله: القرآن. رواه شقيق عن ابن مسعود^(١)

(١) رواه الطبري وإسناده صحيح، ولفظه «إن الصراط محضر تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله، هلم هذا الطريق، ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو كتاب الله».

وبه قال قتادة ، والضحاك ، والسدي . والثاني : أنه الجماعة ، رواه الشعبي عن ابن مسعود .
والثالث : أنه دين الله ، قاله ابن عباس ، وابن زيد ، ومقاتل ، وابن قتيبة . وقال ابن زيد :
هو الإسلام . والرابع : عهد الله ، قاله مجاهد ، وعطاء ، وقتادة في رواية ، وأبو عبيد ،
واحتج له الزجاج بقول الأعشى :

وَإِذَا تُجَوِّزُهَا جِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْآخَرَىٰ إِلَيْكَ جِبَالَهَا^(١)
وأنشد ابن الأنباري :

فلو جبلاً تناول من سليمي لمدَّ بحبلها جبلاً متينا

والخامس : أنه الإخلاص ، قاله أبو العالية ، والسادس : أنه أمر الله وطاعته ، قاله
مقاتل بن حيان . قال الزجاج : وقوله : « جميعاً » منصوب على الحال ، أي : كونوا
مجتمعين على الاعتصام به . وأصل « تفرقوا » : تفرقوا ، إلا أن التاء حذفت لاجتماع
حرفين من جنس واحد ، والمحذوفة هي الثانية ، لأن الأولى دليّة على الاستقبال ، فلا يجوز
حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال ، وهو مجزوم بالنهي ، والأصل : ولا تفرقون ،
فحذفت النون ، لتدل على الجزم .

قوله تعالى : (واذكروا نعمة الله عليكم) اختلفوا فيمن أريد بهذا الكلام على قولين .
أحدهما : أنهم مشركو العرب ، كان القوي يستبيح الضعيف ، قاله الحسن ، وقتادة والثاني :
الأوس والخزرج ، كان بينهم حرب شديد ، قاله ابن إسحاق . والأعداء : جمع عدو . قال
ابن فارس : وهو من عدّأ : إذا ظلم .

(١) من ديوانه ص ٢٧ من قصيدته في قيس بن معد بكرب ، وهذا البيت في ذكر فاقته .
يقول : إذا ما أخذت من قبيلة عهودها حتى أجتاز ديارها آمناً ، أعطتها القبيلة التي تليها عهداً وذماماً
أن تخترق ديارها آمناً لا ينالها أحد بسوء ، وذلك أن القبائل كلها ترهب قيساً وتخافه ، فكل قاصد إليه ،
واجد الأمان حيث سار .

قوله تعالى : (فأصبحتم) أي : صرتم ، قال الزجاج : وأصل الأخ في اللغة أنه الذي مقصده مقصد أخيه ، والعرب تقول : فلان يتوخى مساراً فلان ، أي : ما يسره . والشفا : الحرف . واعلم أن هذا مثل ضربه الله لإشرافهم على الهلاك . وقربهم من العذاب ، كآته قال : كنتم على حرف حفرة من النار ، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا الموت على الكفر . قال السدي : فأتقذك منها محمد ﷺ .

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة) قال الزجاج : معنى الكلام : ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير ، وتأمرون بالمعروف ، ولكن « من » هاهنا تدخل لتحض المخاطبين من سائر الأجناس ، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ، ومثله : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) الحج : ٢٠ معناه : اجتنبوا الأوثان ، فانها رجس . ومثله قول الشاعر :

أخو رغائب يعطيها ويسألها بأبي الظلامة منه التوفل الزفر^(١)

وهو التوفل الزفر . لأنه وصفه باعطاء الرغائب . والتوفل : الكثير الإعطاء للنوافل ، والزفر : الذي يحمل الأثقال . ويدل على أن الكل أُمروا بالمعروف والنهي عن المنكر . قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) قال : ويجوز أن يكون أمر منهم فرقة ، لأن الدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون

(١) هو لأعشى باعلة ، من قصيدة جيدة يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي .

والظلامة : ما أخذ ظلماً . التوفل : الكثير النوافل ، وهي المطايا ، واحدها : نافلة . الزافر : القوي على الحملات ، وهي الغرامات التي تحملها عن القوم . قال في « اللسان » وقوله : منه مؤكدة للكلام ، كما قال تعالى : (يغفر لكم من ذنوبكم) الاحقاف : ٣١ . والمعنى : بأبي الظلامة ، لأنه التوفل : الزفر .

إليه ، وليس الخلق كلهم علماء ، والعلم ينوب بعض الناس فيه عن بعض ، كالجهاد .
فأما الخير ، ففيه قولان .

أحدهما : أنه الإسلام ، قاله مقاتل .

والثاني : العمل بطاعة الله ، قاله أبو سليمان الدمشقي . وأما المعروف ، فهو ما يعرف
كل عاقل صوابه ، وضده المنكر ، وقيل : المعروف هاهنا : طاعة الله ، والمنكر : معصيته .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا) فيهم قولان .

أحدهما : أنهم اليهود والنصارى ، قاله ابن عباس ، والحسن في آخرين .

والثاني : أنهم الحرورية^(١) قاله أبو أمامة .

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ
أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) قرأ أبو رزين العقيلي ، وأبو
عمران الجوني ، وأبو نبيك : تبيض وتسود ، بكسر التاء فيهما . وقرأ الحسن ، والزهري ،
وابن محيصن ، وأبو الجوزاء : تبياض وتسواد بالالف ، ومدة فيهما . وقرأ أبو الجوزاء ،

(١) الحرورية : هم الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه ، نسبة إلى حروراء . قال ياقوت في «معجم
البلدان» : وحروراء ، بفتح الحاء وسكون الواو ، وراء أخرى وألف ممدودة : قرية بظاهر الكوفة ،
وقيل : موضع على ميلين منها ، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً رضي الله عنه فنسبوا إليها .

وابن يعمر: فأما الذين اسودَّت وَايَاضَّتْ ، بألف ومدة. قال الزجاج : أخبر الله بوقت ذلك العذاب ، فقال : يوم تبيض وجوه . قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة . وفي الذين اسودت وجوههم ، خمسة أقوال .

أحدها : أنهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق ، قاله أبي بن كعب .
والثاني : أنهم الحرورية ، قاله أبو أمامة ، وأبو اسحاق الهمداني .
والثالث : اليهود ، قاله ابن عباس .

والرابع : أنهم المنافقون ، قاله الحسن . والخامس : أنهم أهل البدع ، قاله قتادة .
قوله تعالى : (أ ك ف ر ت م) قال الزجاج : معناه : فيقال لهم : أكفرتم ، فحذف القول لأن في الكلام دليلاً عليه ، كقوله تعالى : (واسماعيل ربنا تقبل منا) البقرة : ١٢٧ ، أي : ويقولان : ربنا تقبل منا . ومثله : (من كل باب . سلام عليكم) الرعد : ٢٥ ، والمعنى : يقولون : سلام عليكم . والألف لفظها لفظ الاستفهام ، ومعناها التقرير والتوبيخ . فإن قلنا : إنهم جميع الكفار ، فإنهم آمنوا يوم الميثاق ، ثم كفروا ، وإن قلنا : إنهم الحرورية ، وأهل البدع ، فكفرهم بعد إيمانهم : مفارقة الجماعة في الاعتقاد ، وإن قلنا : اليهود ، فإنهم آمنوا بالأنبياء قبل مبعثه ، ثم كفروا بعد ظهوره ، وإن قلنا : المنافقون ، فإنهم قالوا بالسنة ثم وأنكروا بقلوبهم .

قوله تعالى : (فذوقوا العذاب) أصل الذوق إنما يكون بالشم ، وهذا استمارة منه ، فكأنهم جعلوا ما يشعرون ويعرفون مذاقاً على وجه التشبيه بالذي يعرف عند التطعم ، تقول العرب : قد ذُقتُ من إكرام فلان ما يرغبني في قصده ، يعنون : عرفت ، ويقولون : ذق الفرس ، فاعرف ما عنده .

قال تميم بن مقبل :

أو كاهْتِزَّازٍ رُدِّي نُدَاوِقُهُ أَيْدِي التَّجَارِ فزادوا منه ليلاً^(١)

وقال الآخر :

وإنَّ اللهَ ذاقَ حُلُومَ قَيْسٍ فَلَمَّا رَأَى خَفَّتْهَا قَلَاهَا^(٢)

يعنون باللذوق : العلم . وفي كتاب الخليل : كل ما نزل بأنسان من مكروه . فقد ذاقه .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَيْضَتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى : (وأما الذين أبيضت وجوههم) قال ابن عباس : هم المؤمنون . ورحمة

الله : جنته ، قال ابن قتيبة : وسمي الجنة رحمة ، لأن دخولهم إياها كان برحمته . وقال الزجاج : معناه : في ثواب رحمته ، قال : وأعاد ذكر «فيها» تأكيداً .

(١) ديوانه ص : ٣٢٨ . وقد جاء فيه « تداوله » مكان « تذواقه » ، والرديني : الرمح ، منسوب إلى رديئة ، وهي امرأة كانت تتفن هي وزوجها سهر صنع الرماح بخط هجر . التجار : جمع تاجر ، وهو الذي يتجر في الشيء ، الحاذق بالأمر . شبه تثنى النساء في مشيهن باهتزاز الرمح اللدن .

وقال الشماخ في وصف القوس :

فذاق فأعطته من اللين جانباً كفى ولها أن يفرق السهم حاجز

(٢) قال الجاحظ في « الحيوان » ج / ٥ / ٣٠ : قال يزيد بن الصمق لابي سليم حين صنعوا لسيدهم العباس ابن أنس ما صنعوا ، وقد كانوا توجهوه وملكوه ، فلما خالفهم في بعض الأمر ، وثبوا عليه وكان سبب ذلك قلة رهطه .

وإن الله ذاق حُلُومَ قَيْسٍ فَلَمَّا ذاقَ خَفَّتْهَا قَلَاهَا
رَأَاهَا لَا تَطِيْعُ لَهَا أَمْرًا فَخَلَاهَا تَرَدَّدُ فِي خَلَاهَا

قلاها : أبغضها . وخلأها : تركها . والخلى ، مقصورة : الرطب من الثبات ، واحداثه : خلأه ، يقول : جعلها كالسوائت ترتاد المراعي .

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : (وما الله يريد ظلماً للعالمين) قال بعضهم : معناه : لا يعاقبهم بلا جرم .

وقال الزجاج : أعلمنا أنه يغذب من عذبه باستحقاق .

﴿ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَع الْأُمُورُ . كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) سبب نزولها أن مالك بن النضير ووهب بن يهودا اليهوديين ، قال لابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة [وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل] : ديننا خير مما تدعونا إليه ، ونحن أفضل منكم ، فزلت هذه الآية ، هذا قول عكرمة ومقاتل . وفيمن أريد بهذه الآية ، أربعة أقوال .

أحدها : أنهم أهل بدر . والثاني : أنهم المهاجرون ^(١) . والثالث : جميع الصحابة .

والرابع : جميع أمة محمد ﷺ ، نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس . وقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ ، أنه قال : « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها ، وأكرمها على الله تعالى » ^(٢) . قال الزجاج : وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ ،

(١) رواه أحمد ، والنسائي ، والحاكم بإسناد جيد عن ابن عباس . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، والحاكم ، وصححه ، وله شاهد مرسل عن قتاده عند الطبري رجاله ثقات . —

وهو يعم سائر أمته^(١).

وفي قوله تعالى: (كنتم)، قولان.

أحدهما: أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أن معناه: كنتم في اللوح المحفوظ.

والثاني: أن معناه: خلقتكم ووجدتكم. ذكرهما المفسرون.

والثالث: أن المعنى: كنتم مذكتكم، ذكره ابن الأنباري.

والثاني: أن معنى كنتم: أنتم، كقوله تعالى: (وكان الله غفوراً رحيمًا)

النساء: ٩٦.

ذكره الفراء^(٢)، والزجاج. قال ابن قتيبة: وقد يأتي الفعل على بنية الماضي، وهو راهن، أو مستقبل، كقوله تعالى: (كنتم) ومعناه: أنتم، ومثله: (وإذ قال الله يا عيسى) المائدة: ١١٦، أي: وإذ يقول. ومثله: (أتى أمر الله) النحل: ١، أي: سيأتي، ومثله: (كيف تكلمت من كان في المهد صبياً) مريم: ٢٩، أي: من هو في المهد، ومثله: (وكان

— وروى الامام أحمد عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ قال نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجملت أمتي خير الأمم»، وقد حسن هذا الحديث الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر.

(١) قال الحافظ ابن كثير بعدما ساق الأحاديث الثابتة في فضل أمة محمد ﷺ: فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر. وتؤمنون بالله) فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون).

(٢) جاء في «معاني القرآن» وقوله: (كنتم خير أمة) في التأويل في اللوح المحفوظ، ومعناه: أنتم خير أمة، كقوله: (واذكروا إذ كنتم قليلاً فكترتم) المائدة: ٨٦. و(إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) الانفال: ٢٦. فاضمار «كان» في مثل هذا وإظهارها سواء.

الله سميعاً بصيراً) النساء : ١٣٤ . أي : والله سميع بصير ، ومثله : (فتشير سحاباً فسقناه) فاطر : ٩ ، أي : فسوقه .

وفي قوله تعالى : (كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) قولان .

أحدهما : أن معناه : كُتِبَ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ . قال أبو هريرة : يأتون بهم في السلاسل حتى يدخلوهم في الإسلام ^(١) .

والثاني : أن معناه : كُتِبَ خَيْرُ الْأُمَمِ الَّتِي أُخْرِجَتْ .

وفي قوله تعالى : (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) قولان .

أحدهما : أنه شرط في الخيرية ، وهذا المعنى مروى عن عمر بن الخطاب ، ومجاهد ، والزجاج .

والثاني : أنه ثناء من الله عليهم ، قاله الربيع بن أنس . قال أبو العالية : والمعروف : التوحيد . والمنكر : الشرك . قال ابن عباس : وأهل الكتاب : اليهود والنصارى .

قوله تعالى : (مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ) : مَنْ أَسْلَمَ ، كعبد الله بن سلام وأصحابه . (وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) ، يعني : الكافرين ، وهم الذين لم يسموا .

﴿ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلْكُمْ يَوَلَّوْكُمْ الْأُدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾

قوله تعالى : (لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى) قال مقاتل : سبب نزولها أن رؤساء اليهود عمدوا إلى عبد الله بن سلام وأصحابه فأذوهم لإسلامهم ، فنزلت هذه الآية . قال ابن عباس : والأذى قولهم : (عزيز ابن الله) التوبة : ٣٠ . (المسيح ابن الله) التوبة : ٣٠ و (ثالث ثلاثة) المائدة : ٧٣ . وقال الحسن :

(١) أخرجه البخاري ج ١/ ١٦٩ موقوفاً ، وهو في حكم المرفوع ، لأنه في معنى الحديث المرفوع الذي رواه البخاري : « عجب الله عز وجل من قوم يدخلون الجنة في السلاسل » .

هو الكذب على الله ، ودعاؤهم المسلمين إلى الضلالة . وقال الزجاج : هو البهت والتحريف .
ومقصود الآية : إعلام المسلمين بأنه ان ينالهم منهم إلا الأذى باللسان من دعائهم إياهم إلى
الضلال ، وإسماعهم الكفر ، ثم وعدهم النصر عليهم في قوله : (وإن يقاتلوكم يوثوكم
الأدبار) .

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبِأُوتُوا
بِفَضْلٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

قوله تعالى : (أين ما ثقفوا) معناه : أدركوا ووجِدوا ، وذلك أنهم أين
نزلوا احتاجوا إلى عهد من أهل المكان ، وأداء جزية . قال الحسن : أدركتهم هذه
الأمّة ، وإن المجوس لتجبيهم الجزية . وأما الحبل ، فقال ابن عباس ، وعطاء ، والضحاك ،
وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : الحبل : العهد ، قال بعضهم : ومعنى الكلام : إلا بهدٍ
يأخذونه من المؤمنين باذن الله . قال الزجاج : وما بعد الاستثناء في قوله تعالى : (إلا بحبلٍ
من الله) ليس من الأول ، وإنما المعنى : أنهم أذلاء ، إلا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه .
وقد سبق في « البقرة » تفسير باقي الآية .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ
الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

قوله تعالى : (ليسوا سواءً) ، في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن النبي ﷺ ، احتبس عن صلاة العشاء ليلة حتى ذهب ثلث الليل ،

ثم جاء فبشرهم ، فقال : « إنه لا يصلي هذه الصلاة أحدٌ من أهل الكتاب ^(١) » فنزلت هذه الآية ، قاله ابن مسعود .

والثاني : أنه لما أسلم ابن سلام في جماعة من اليهود ، قال أحبارهم : ما آمن بحمد إلا أشرارنا ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس ، ومقاتل . وفي معنى الآية قولان . أحدهما : ليس أمة محمد واليهود سواء ، هذا قول ابن مسعود ، والسدي . والثاني : ليس اليهود كلهم سواء ، بل فيهم من هو قائم بأمر الله ، هذا قول ابن عباس ، وقتادة . وقال الزجاج : الوقف التام (ليسوا سواء) أي : ليس أهل الكتاب متساوين . وفي معنى « قاعة » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الثابتة على أمر الله ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أنها العادلة ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وابن جريج .

والثالث : أنها المستقيمة ، قاله أبو عبيد ، والزجاج . قال الفراء : ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى ، والكلام مبني على أخرى ، لأن « سواء » لا بد لها من اثنين ، وقد تستجيز العرب إضمار أحد الشئيين إذا كان في الكلام دليل عليه . قال أبو ذؤيب : عصيت إليها القلب إني لأمره سميعٌ فما أدري أرشد طلابها! ^(٢)

(١) رواه أحمد والطبري وأبو يعلى والبزار وإسناده حسن ، ولفظ أحمد :

عن ابن مسعود قال : أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ، ثم خرج إلى المسجد ، فإذا الناس ينتظرون الصلاة ، قال : أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم ، قال : وأنزل هؤلاء الآيات : (ليسوا سواء من أهل الكتاب) حتى بلغ (وما تفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) . (٢) ديوان الهذليين ج ١/ ٧١ قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على البيت : رواية البيت هكذا لا يستقيم بها معنى ، ورواية ديوانه : عصاني إليها القلب إني لأمره

ويروى : دعاني إليها . . وهما روايتان صحيحتان . وتقام معنى البيت في الذي يليه .

فقلت لقلبي : يا لك الخير إنما يدليك للووت الجديد حبابها

بقول : عصاني القلب ، وأذهب إليها ، فأنا أتبع ما يأمرني به .

ولم يقل: أم لا، ولا أم غي، لأن الكلام معروف المعنى.

وقال آخر:

وما أدري إذا يَمُتُ أرضاً أريدُ الخيرَ أيُّهما يليني
أألخيرَ الذي أنا أبتغيهِ أم الشرَّ الذي هو يبتغيهِ^(١)

ومثله قوله تعالى: (أَمَّنْ هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً) الزمر: ٩ ولم يذكر
ضده، لأن في قوله: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر: ٩. دليلاً
على ما أضمر من ذلك، وقد رد هذا القول الزجاج، فقال: قد جرى ذكر أهل الكتاب
في قوله تعالى: (كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق) فأعلم الله أن منهم
أمة قاعة. فالحاجة إلى أن يقال: وأمة غير قاعة، وإعنا بدأ بذكر فعل الأكثر منهم، وهو
الكفر والمشاقة، فذكر من كان منهم مبيناً لهؤلاء. قال: و«آناء الليل» ساعاته، وواحد
الآناء: إني. قال ابن فارس: يقال: مضى من الليل إني، وإنيان، والجمع: الآناء. واختاف
المفسرون: هل هذه الآناء معينة من الليل أم لا؟ على قولين.

أحدهما: أنها معينة، ثم فيها ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها صلاة العشاء، قاله ابن مسعود، ومجاهد.

والثاني: أنها ما بين المغرب والعشاء، رواه سفيان عن منصور.

والثالث: جوف الليل، قاله السدي.

(١) للمثقب العبدي من قصيدة جيدة في «الفضليات» والبيتان تعبير صادق عن جهل الإنسان بما
يجب له القدر من الخير والشر.

والثاني : أنها ساعات الليل من غير تعيين ، قاله قتادة في آخرين .

وفي قوله تعالى : (وهم يسجدون)، قولان .

أحدهما: أنه كناية عن الصلاة ، قاله مقاتل ، والفراء ، والزجاج .

والثاني : أنه السجود المعروف، وليس المراد أنهم يتلون في حال السجود، ولكنهم جمعوا الأمرين ، التلاوة والسجود .

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْوَفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى : (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر وأبو بكر عن عاصم : تفعلوا ، وتكفروه ، بالتاء في الموضعين على الخطاب ، لقوله تعالى : (كنتم خير أمة) . قال قتادة : فلن تكفروه : لن يضل عنكم . وقرأ قوم ، منهم حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ، وعبد الوارث عن أبي عمرو : يفعلوا ، ويكفروا ، بالياء فيهما ، إخبارا عن الأمة القائمة . وبقية أصحاب أبي عمرو يحذرون بين الياء والتاء .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

قوله تعالى : (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) اختلفوا فيمن أنزلت على أربعة أقوال .

أحدها : أنها في نفقات الكفار ، وصدقاتهم ، قاله مجاهد .

والثاني : في نفقة سفلة اليهود على علماءهم ، قاله مقاتل .

والثالث : في نفقة المشركين يوم بدر .

والرابع : في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين ، ذكر هذين

القولين أبو الحسن الماوردي . وقال السدي : إنما ضرب الإنفاق مثلاً لأعمالهم في شركهم . وفي الصرّ ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه البرد ، قاله الأكثرون .

والثاني : أنه النار ، قاله ابن عباس ، قال ابن الأنباري : وإنما وصفت النار بأنها صرّ

لتصويتها عند الالتهاب .

والثالث : أن الصرّ : التصويت ، والحركة من الحصى والحجارة ، ومنه : صرير النمل ،

ذكره ابن الأنباري . والحراث : الزرع . وفي معنى « ظلموا أنفسهم » قولان .

أحدهما : ظلموها بالكفر ، والمعاصي ، ومنع حق الله تعالى .

والثاني : بأن زرعوا في غير وقت الزرع .

قوله تعالى : (وما ظلمهم الله) قال ابن عباس : أي : ما نقصهم ذلك بغير جرم أصابوه ،

وإنما أنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حق الله منه ، وهذا مثل ضربه الله لإبطال أعمالهم

في الآخرة . وحدثننا عن ثعلب ، قال : بدأ الله تعالى هذه الآية بالريح ، والمعنى : على الحراث ،

كقوله تعالى : (كمثل الذي ينعيق بما لا يسمع) وإنما المعنى على المنعوق به . وقريب منه

قوله تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن) فخبّر عن

« الأزواج » وترك « الذين » كأنه قال : أزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ، فبدأ بالذين ،

ومرادده : بعد الأزواج . وأنشد :

لعلِّي إِنْ مَالَتْ بِي الرِّيحُ مِيلَةً عَلَى ابْنِ أَبِي دِيَّانٍ أَنْ يَتَنَدَّمَ

فخبر عن ابن أبي ديان، وترك نفسه، وإنما أراد: لعل ابن أبي ديان أن يتندما إن مالت بي الريح ميلة. وقد يبدأ بالشيء، والمراد التأخير، كقوله تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) الزمر: ٦٠ والمعنى: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة يوم القيامة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورُهمُ أَكْبَرُ قَدْ يَسْتَأْذِنُ لَكُمْ الْآيَاتُ إِنْ كنتم تَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونهكم) قال ابن عباس، ومجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يضافون المنافقين، ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة، والصداقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مبايعتهم. قال الزجاج: البطانة: الدخلاء الذين يستبطنون [أمره] وينسبط إليهم، يقال: فلان بطانة لفلان، أي: مُداخل له، مؤانس. ومعنى لا يألوكم: لا يتقون غاية في إلقاتكم فيما يضرهم^(١).

قوله تعالى: (ودُّوا ما عنتُّم) أي: ودُّوا عنتكم، وهو ما نزل بكم من مكروه وضرر، يقال: فلان يعنت فلاناً، أي: يقصد إدخال المشقة والأذى عليه، وأصل هذا من قولهم: أكمة عنوت، إذا كانت طويلة، شاقة المسلك. قال ابن قتيبة: ومعنى (من دونهكم) أي: من غير المسلمين. والخبال: الشر.

قوله تعالى: (قد بدت البغضاء من أفواههم) قال ابن عباس: أي: قد ظهر لكم منهم

(١) قال القرطبي: معنى (لا يألوكم خبالاً) لا يقصرون فيما فيه الفساد عليكم.

الكذب، والشتم، ومخالفة دينكم. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من المعاملات والكتبة، ولهذا قال أحمد: لا يستعين الإمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب. وروى عن عمر أنه بلغه أن أبا موسى استكتب رجلاً من أهل الذمة، فكتب إليه يعنفه، وقال: لا تردوهم إلى العز بعد إذ أذلهم الله.

﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الا نامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾

قوله تعالى: (ها أنتم أولاء تحبونهم) قال ابن عباس: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم، فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين. قال ابن قتيبة: ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء. فأما «تحبونهم». قالها والميم عائدة إلى الذين نهوا عن مصافحتهم. وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال.

أحدها: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة، والرضاع، والحلف، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس.

والثاني: أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنى منقول عن قتادة.

والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيما، روي عن أبي العالية.

والرابع: أنها بمعنى إرادة الإسلام لهم، وهم يريدون المسلمين على الكفر، وهذا قول المفضل، والزجاج. والكتاب: بمعنى الكتب، قاله الزجاج.

قوله تعالى : (وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا) هذه حالة المنافقين ، وقال مقاتل : هم اليهود .
والأنامل : أطراف الأصابع . قال ابن عباس : والغيط : الحنق عليكم ، وقيل : هذا من
بجاز الكلام ، ضُرب مثلاً لما حلَّ بهم ، وإن لم يكن هناك غض على أئمة ، ومعنى « موتوا بغيطكم » :
ابقوا به حتى تموتوا ، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتصماً . قال ابن جرير :
هذا أمر من الله تعالى لنبيه أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كدأ من الغيط .

﴿ إِن تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَمْكُونُ مُحِيطٌ ﴾
قوله تعالى : (إِن تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةً) قال قتادة : وهي الألفة والجماعة . والسيئة : الفرقة
والاختلاف ، وإصابة طرف من المسلمين . وقال ابن قتيبة : الحسنة : النعمة . والسيئة : المصيبة .

قوله تعالى : (وَإِنْ تَصْبِرُوا) فيه قولان . أحدهما : على أذاهم ، قاله ابن عباس .
والثاني : على أمر الله ، قاله مقاتل .
وفي قوله تعالى : (وَتَتَّقُوا) قولان .

أحدهما : الشرك ، قاله ابن عباس . والثاني : المعاصي ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : (لَا يَضُرُّكُمْ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، يضركم بكسر الضاد ،
وتخفيف الراء . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي : لا يضركم بضم الضاد
وتشديد الراء . قال الزجاج : الضر والضير بمعنى واحد . فأما الكيد فقال ابن قتيبة : هو
المكر . قال أبو سليمان الخطابي : والمحيط : الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه ، وأحاط
علمه بالأشياء كلها .

﴿ وَإِذَا غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (وإذ غدوت من أهلك) قال المفسرون : في هذا الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : ولقد نصركم الله بيدر ، وإذ غدوت من أهلك . وقال ابن قتيبة : بوى ، من قولك : بوى أنك منزلاً : إذا أفدتك إياه ، أو أسكنتكه . ومعنى مقاعد للقتال : المسكر والمصاف . واختلفوا في أي يوم كان ذلك ، على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه يوم أحد ، قاله عبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وابن عباس ، والزهري ، وقادة ، والسدي ، والريعي ، وابن إسحاق ، وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أحد ، فجعل يصف أصحابه للقتال .

والثاني : أنه يوم الأحزاب ، قاله الحسن ، ومجاهد ، ومقاتل .

والثالث : يوم بدر ، نقل عن الحسن أيضاً . قال ابن جرير : والأول أصح ، لقوله تعالى : (إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا) وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد .

قوله تعالى : (والله سميع عليم) قال أبو سليمان الدمشقي : سميع لمشاورتك إياهم في الخروج ، ومرادهم للخروج ، عليم بما يخفون من حب الشهادة .

﴿ إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

قوله تعالى : (إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا) قال الزجاج : كانت النبوة في ذلك الوقت . وتفشلا : تجبنا ، وتحورا . (والله وليها) ، أي : ناصرها . قال جابر بن عبد الله : نحن بنو سلمة ، وبنو حارثة ، وما نحب أن لو لم يكن ذلك لقول الله : (والله وليها) . وقال الحسن : [هما] طائفتان من الأنصار همنا بذلك ، فعصمها الله . وقيل : لما رجع عبد الله ابن أبي في أصحابه يوم أحد ، همّت الطائفتان باتباعه ، فعصمها الله .

﴿فصل﴾

فأما التوكل ، فقال ابن عباس : هو الثقة بالله . وقال ابن فارس : هو إظهار المعجز [في الأمر] ، والاعتماد على غيرك ، ويقال : فلان وكَلَهُ تَكْلَةً ، أي : عاجز ، يكل أمره إلى غيره . وقال غيره : هو تفعل من الوكالة ، يقال : وكلت أمري إلى فلان فتوكل به ، أي : ضمنه ، وقام به ، وأنا متوكل عليه . وقال بعضهم : هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره .

﴿ولقد نصركم الله يَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى : (ولقد نصركم الله يَدْرٍ) في تسمية بدر قولان .

أحدهما : أنها بئر لرجل اسمه بدر ، قاله الشعبي .

والثاني : أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه ، ذكره الواقدي عن أشياخه .

قوله تعالى : (وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) أي : لقلة العدد والمُدد . (لعلكم تشكرون) ، أي : لتكونوا من الشاكرين .

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ ثَلَاثَ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَوَّلِينَ﴾

قوله تعالى : (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ) قال الشعبي : قال كُرُزُ ابن جابر لمشركي مكة : إني أمدكم بقومي ، فاشتد ذلك على المسلمين ، فنزات هذه الآية . وفي أي يوم كان ذلك ، فيه قولان .

أحدهما : يوم بدر ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقبادة ،

والثاني : يوم أحد، وعدمهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا، لم يُمدُّوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل، والأول أصح. والكفاية : مقدار سد الخلة. والاكتفاء : الاقتصار على ذلك. والإمداد : إعطاء الشيء بعد الشيء.

قوله تعالى : (منزِلين) قرأ الآكثرون بتخفيف الزاي، وشددها ابن عامر.

﴿يَلِيْ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُعَدِّدُ كُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾

قوله تعالى : (ويأتوكم من فورهم هذا) فيه قولان.

أحدهما : أن معناه : من وجههم وسفرهم هذا، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والزجاج.

والثاني : من غضبهم هذا، قاله عكرمة، ومجاهد، والضحاك في آخرين. قال ابن جرير : من قال : من وجههم، أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر، ومن قال : من غضبهم، أراد ابتداء غضبهم لقتلهم يوم بدر^(١). وأصل الفور : ابتداء الأمر يؤخذ فيه، يقال : فارت القدر : إذا ابتداء ما فيها بالغليان، ثم اتصل. وقال ابن فارس : الفور : الغليان، يقال : فارت القدر تفور، وفار غضبه : إذا جاش، ويقولون : فعله من فوره، أي : قبل أن يسكن.

(١) نص كلام ابن جرير : « فالذي قال في هذه الآية معنى قوله تعالى : (من فورهم هذا) من وجههم هذا، قصد إلى أن تأويله : ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين. وأما الذين قالوا : معنى ذلك : من غضبهم هذا، فاعا عنوا أن تأويل ذلك : ويأتيكم كفار قريش، وتبائعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتلهم الذين قتلوا يوم بدر بها.

وفي يوم فورهم قولان .

أحدهما : أنه يوم بدر ، قاله قتادة .

والثاني : يوم أحد ، قال مجاهد ، والضحاك ، كانوا غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا .

قوله تعالى : (مسوّمين) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم بكسر الواو ، والباقون بفتحها ، فن فتح الواو ، أراد أن الله سوّمها ، ومن كسر ها ، أراد أن الملائكة سوّمت أنفسها . وقال الأخفش : سوّمت خيلها ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال يوم بدر : « سوّموا فإن الملائكة قد سوّمت » ^(١) ونسب الفعل إليها ، فهذا ذليل الكسر .

قال ابن قتيبة : ومعنى مسوّمين : معلمين بعلامة الحرب ، وهو من السيماء [مأخوذ] ، والسومة : العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه . قال علي رضي الله عنه : وكان سيماء خيل الملائكة يوم بدر ، الصوف الأبيض في أذنانها ونواصيها . وقال أبو هريرة : العهن الأحمر . وقال مجاهد : كانت أذنان خيولهم مجزوزة ، وفيها العهن . وقال هشام بن عروة : كانت الملائكة على خيل بلق ، وعليهم عمام صفر . وروى ابن عباس عن رجل من بني غفار قال : حضرت أنا وابن عم لي بدرًا ، ونحن على شركنا ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الخيل سمعنا فيها حممة الخيل ، وسمعنا فارسًا يقول : أقدم حيزوم ، فأما صاحبي فمات مكانه ، وأما أنا فكنت أهلك ، ثم انتعشت ^(٢) . وقال أبو داود المازني : إني لأتبع يوم بدر رجلاً من المشركين لأضربه ،

(١) رواه ابن جرير الطبري ج/٧/١٨٦ عن عمير بن اسحاق قال : إن أول ما كان الصوف ليومئذ - يعني ليوم بدر - قال رسول الله ﷺ : « سوّموا فإن الملائكة قد سوّمت » .

قال الشيخ أحمد شاكر : وعمير بن اسحاق أبو محمد مولى بني هاشم ، روى عن المقداد بن الأسود ، وعمر بن العاص ، وكان قليل الحديث ، وقال أبو حاتم والنسائي : لا نعلم زوى عنه غير ابن عون ، قال ابن معين : ثقة ، وقال أيضاً : لا يساوي حديثه شيئاً ، ولكن يكتب حديثه ، فهذا الحديث كما ترى مرسل ، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به .

(٢) رواه ابن هشام في « السيرة » ج/١/٦٣٣ ، ورواه ابن جرير في « التفسير » ، حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن اسحاق قال : حدثني عبد الله أبي بن بكر أنه حدث عن ابن عباس ، أن ابن -

فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيني، فعرفت أن غيري قد قتله ^(١).
وفي عدد الملائكة يوم بدر خمسة أقوال .

أحدها : خمسة آلاف ، قاله الحسن . وروى جبير بن مطعم عن علي رضي الله عنه ، قال : بينا أنا أمتح من قليب بدر ، جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها ، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة ، وكان مع رسول الله ﷺ ، وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة عن عيين رسول الله ، وكانت الريح الثالثة إيسراfil نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله ، وكنت عن يساره ، وهزم الله أعداءه .
والثاني : أربعة آلاف ، قاله الشعبي . والثالث : ألف ، قاله مجاهد .

والرابع : تسعة آلاف ، ذكره الزجاج .

عباس قال : حدثني رجل من بني غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فنتهب مع من ينتهب ، قال : بينا نحن في الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمنا فيها حممة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم . قال : فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فأت مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت .

الدبرة : الهزيمة في القتال . أقدم : كلمة زجر تزجر بها الخيل ، وأمر لها بالتقدم . حيزوم : اسم فرس من خيل الملائكة يومئذ ، ويقال : هو فرس جبريل عليه السلام . وقناع القلب : غشاؤه .

وجاء في الحديث الذي أخرجه مسلم ، ص ١٣٨٤ ، قال أبو زميل - هو سماك الحنفي - فحدثني ابن عباس قال : بينا رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه . فخر مستلقياً ، فنظر إليه ، فإذا هو قد خطم أنفه ، وشق وجهه كضربة بالسوط ، فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » ، فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

(١) ذكر هذا الأثر ابن هشام ج/١/٦٣٣ عن ابن اسحاق عن أبيه ، عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني . ومن طريقه أخرجه الطبري وغيره .

والخامس : ثمانية آلاف ، ذكره بعض المفسرين .

﴿ وما جعله الله إلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

قوله تعالى : (وما جعله الله) يعني المدد (إلا بُشْرَى) ، أي : إلا بشاره تطيب أنفسكم ، (ولتطمئن قلوبكم به) ، فتسكن في الحرب ، ولا تجزع ، والأكثر على أن هذا المدد يوم بدر . وقال مجاهد : يوم أحد ، وروي عنه ما يدل على أن الله أمدهم في اليومين بالملائكة جميعاً ، غير أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر .

قوله تعالى : (وما النصر إلا من عند الله) أي : ليس بكثرة العدد والعُدَد .

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾

قوله تعالى : (ليقطع طرفاً) معناه : نصركم بيدٍ ليقطع طرفاً . قال الزجاج : أي : ليقتل قطعةً منهم . وفي أي يوم كان ذلك فيه قولان .

أحدهما : في يوم بدر ، قاله الحسن ، وقتادة ، والجمهور .

والثاني : يوم أحد ، قتل منهم ثمانية وعشرون ، قاله السدي .

قوله تعالى : (أو يكبتهم) فيه سبعة أقوال -

أحدها : أن معناه : يهزمهم ، قاله ابن عباس ، والزجاج .

والثاني : يحزيمهم ، قاله قتادة ، ومقاتل .

والثالث : يصرعهم ، قاله أبو عبيد ، واليزيدي . وقال الخليل : هو الصرع على الوجه .

والرابع : يهلكهم ، قاله أبو عبيدة . والخامس : يلغهم ، قاله السدي .

والسادس : يُظْفِر عليهم ، قاله المبرد .

والسابع : يغيظهم ، قاله النضر بن شميل ، واختاره ابن قتيبة . وقال ابن قتيبة : أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن دال ، كأن الأصل فيه : يكبدهم ، أي : يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغیظ ، وشدة العداوة ، ومنه يقال : فلان قد أحرق الحزن كبده ، وأحرقت العداوة كبده ، والعرب تقول : العدو : أسود الكبد . قال الأعشى :

فما أُجْشِمْتُ من إتيان قوم هم الأعداء والأكباد سود^(١)

كأن الأكباد لما احترقت بشدة العداوة ، اسودت ، ومنه يقال للعدو : كاشح ، لأنه يخبأ العداوة في كشحه . والكشح : الخاصرة ، وإنما يريدون الكبد ، لأن الكبد هناك . قال الشاعر :

وأضمر أضغاناً عليّ كشوحها^(٢)

والتاء والدال ، تقاربتا المخرج ، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى ، وتبدل إحداهما من الأخرى ، كقولهم : هرت الثوب وهرده : إذا خرقة ، وكذلك : كبت العدو ، وكبده ، ومثله كثير .

قوله تعالى : (فينقلبوا خائبين) قال الزجاج : الخائب : الذي لم ينل ما أمّل . وقال غيره : الفرق بين الخيبة واليأس ، أن الخيبة لا تكون إلا بعد الأمل ، واليأس قد يكون من غير أمل .

(١) ديوانه ص ٣٢٣ .

وأجشمت : على البناء للمجهول من أجشمه الأمر : إذا كلفه إياه فتحمله بمشقة . إتيان قوم : يقصد قوم صاحبه التي انصرفت عنه . عدو أسود الكبد : أحرقت كبده العداوة .

(٢) هو للنمر بن تولب ، وتماه :

أقارض أقواماً فأوفي قروضهم وعف إذا أردى النفوس شحيجها
تفد منهم فافذات تسوّتي واضمر

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَاتَّخِذْهُمْ ظِلًّا لِمَوْنِكَ﴾

قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) في سبب نزولها خمسة أقوال .

أحدها: أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟! » فنزلت هذه الآية . أخرجه مسلم في « أفراده » من حديث أنس ^(١) . وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والربيع .

والثاني: أن النبي ﷺ، لمن قوماً من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر ^(٢) .

والثالث: أن النبي ﷺ بسبب الدين انهزموا يوم أحد، فنزلت هذه الآية، فكف عن ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس .

والرابع: أن سبعين من أهل الصفة، خرجوا إلى قبيلتين من بني سليم، عضية وذكوان، فقتلوا جميعاً، فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين يوماً، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل ابن سليمان ^(٣) .

(١) ورواه أحمد في « المسند » والترمذي وغيرهما، والرباعية على وزن ثمانية: الأسنان الأربعة التي تلي الشايب بين الثنية والتاب .

(٢) رواه أحمد في « المسند » والترمذي عن ابن عمر . وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح يستغرب من هذا الوجه، من حديث نافع عن ابن عمر، ولفظه عند أحمد: « كان رسول الله ﷺ يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم، حتى أنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) فترك ذلك .

(٣) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم يقول وهو قائم: اللهم

والخامس : أن النبي ﷺ لما رأى حمزة ممثلاً به ، قال : « لا مثلاً بكذا وكذا منهم » فنزلت هذه الآية ، قاله الواقدى . وفي معنى الآية قولان .

أحدهما : ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء .

والثاني : ليس لك من النصر والهزيمة شيء . وقيل : إن « لك » بمعنى « إليك » .

قوله تعالى : (أو يتوب عليهم) قال الفراء : في نصبه وجهان ، إن شئت جماعته معطوفاً على قوله تعالى : (ليقطع طرفاً) وإن شئت جعلت نصبه على مذهب « حتى » كما تقول : لا أزال معك حتى تعطيني ، ولما نفى الأمر عن نبيه أثبت أن جميع الأمور إليه بقوله تعالى : (والله ما في السموات وما في الأرض)

﴿ والله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفورٌ رحيمٌ . يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافاً مضاعفةً واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) قال أهل التفسير : هذه الآية نزلت

– أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم كسفي يوسف ، اللهم امن الحيان ورعلاً وذكوان وعصيدة . عصت الله ورسوله ، ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) هذا لفظ مسلم .

وقال الحافظ في « الفتح » ج ٧/ ٢٧٣ : وهذا – يريد الحديث – إن كان محفوظاً احتمل أن يكون نزول الآية تراخي عن قصة أحد ، لأن قصة رعل وذكوان كانت بعدها ، كما سيأتي تلو هذه النزوة – وفيه بعد . والصواب أنها نزلت في شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد ، والله أعلم . ويؤيد ذلك ظاهر قوله تعالى في صدر الآية (ليقطع طرفاً من الذين كفروا) أي : يقتلهم (أو يكبتهم) أي : يخزيهم . ثم قال : (أو يتوب عليهم) أي : فيسلوا (أو يعذبهم) أي : إن ماتوا كفاراً .

وقال في ج ٨/ ٧١ : ثم ظهر لي علة الخبر ، وأن فيه إدراجاً ، وأن قوله : حتى أنزل الله ، منقطع من رواية الزهري عن بلغه ، بين ذلك مسلم في رواية يونس المذكورة .

في ربا الجاهلية . قال سعيد بن جبير : كان الرجل يكون له على الرجل المال ، فإذا حلَّ الأجل ، فيقول : أخر عني ، وأزيدك على مالك ، فتلک الأضغاف المضاعفة .^(١)

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «عمدة التفسير» ج ٣/ ٣٨ تعليقاً على هذه الآية : والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا ، وأولياؤهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي ، بل التشريع اليهودي في الربا يلعبون بالقرآن ، ويزعمون أن هذه الآية تدل على أن الربا المحرم هو الأضغاف المضاعفة ، ليحيزوا ما بقي من أنواع الربا ، على ما ترضى أهواؤهم وأهواء سادتهم ، ويتركوا الآية الصريحة : (وإن تبتم فلاكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) فكانوا في تلاعبهم بتأول هذه الآية الصريحة أسوأ حالاً من : (يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) ، (فأولئك الذين سعى الله فاحذروهم) .

وقال الشيخ محمود شلتوت في كتابه « تفسير القرآن الكريم » ص ١٥٨ : بقي علينا أن ننبه في هذا الشأن لأمر خطير ، هو أن بعض الباحثين المولعين بتصحيح التصرفات الحديثة ، وتخريجها على أساس فقهي إسلامي ، ليمروا بالتجديد ، وعمق التفكير ، يحاولون أن يجدوا تخريجها للمعاملات الربوية التي يقع التعامل بها في المصارف أو صناديق التوفير ، أو السندات الحكومية أو نحوها ، ويلتمسون السبيل إلى ذلك . فمنهم من يزعم أن القرآن إنما حرم الربا الفاحش بدليل قوله : (أضغافاً مضاعفة) فهذا قيد في التحريم لا بد أن يكون له فائدة ، والا كان الاتيان به عبثاً ، تعالى الله عن ذلك ، وما فائدته في زعمهم إلا أن يؤخذ بمفهومه ، وهو إباحة ما لم يكن أضغافاً مضاعفة من الربا .

وهذا قول باطل ، فإن الله سبحانه وتعالى أتى بقوله : (أضغافاً مضاعفة) توبيخاً لهم على ما كانوا يفعلون ، وإراراً لفعلهم السيئ ، وتشهيراً به ، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى : (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصن لتبتنوا عرض الحياة الدنيا) انور : ٣٣ فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراه الفتيات على البغاء في حالة ارادتهن التحصن ، وأن يبيحه لهن إذا لم يردن التحصن ، ولكنه يشع ما يفعلونه ، ويشهر به ، ويقول لهم : لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكرهون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن ، وهذا أقظم ما يصل إليه مولى مع مولاته ، فكذلك الأمر في آية الربا ، يقول الله لهم : لقد بلغ بكم الأمر في استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضغافاً مضاعفة ، فلا تفعلوا ذلك ، وقد جاء النهي في غير هذه المواضع مطلقاً صريحاً ، ووعد الله بحق الربا قل أو أكثر ، ولأن آكله ومؤكله ، وكتابه وشاهديه ، كما جاء في الآثار ، وأذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله ، واعتبره من الظلم المقنوت ، وكل ذلك ذكر فيه

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى : (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) قال ابن عباس : هذا تهديد للمؤمنين ، ثلثا يستحلوا الربا . قال الزجاج : والمعنى : اتقوا أن تحلوا ما حرم الله فتكفروا .

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) كلهم أثبت الواو في « وسارعوا » إلا نافعا ، وابن عامر ، فانهما لم يذكرها . وقال أبو علي : وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام ، فنقرأ بالواو ، عطف « وسارعوا » على « وأطيعوا » ومن حذفها ، فلأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى ، فاستغنت عن العطف . ومعنى الآية : بادروا إلى ما يوجب المغفرة . وفي المراد بموجب المغفرة هاهنا عشرة أقوال .

أحدها : أنه الاخلاص ، قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه .

والثاني : أداء الفرائض ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والثالث : الإسلام ، قاله ابن عباس .

في الربا على الإطلاق دون تقييد بقليل أو كثير . ومنهم من يميل إلى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمم ، ويقول : مادام صلاح الأمة في الناحية الاقتصادية متوقفاً على أن تتعامل بالربا ، وإلا اضطربت أحوالها بين الأمم ، فقد دخلت بذلك في قاعدة الضرورات تبيح المحظورات ، وهذا أيضاً مناقضة ، فقد بينا أن صلاح الأمة لا يتوقف على هذا التعامل ، وأن الأمر فيه ، إنفاؤه وهم من الأرهام ، وضمف أمام النظم التي يسير عليها الغالبون الأقوياء .

وخلاصة القول : « أن كل محاولة يراد بها إباحة ما حرم الله ، أو تبرير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير ، بدافع الحاجة للأوضاع الحديثة أو الغربية ، والانخلاع عن الشخصية الإسلامية ، إنما هي جراءة على الله تعالى ، وقول عليه بغير علم ، وضمف في الدين ، وتزلزل في اليقين . »

والرابع : التكبيرة الأولى من الصلاة ، قاله أنس بن مالك .

والخامس : الطاعة ، قاله سعيد بن جبير . والسادس : التوبة ، قاله عكرمة .

والسابع : الهجرة ، قاله أبو العالية . والثامن : الجهاد ، قاله الضحاك .

والتاسع : الصلوات الخمس ، قاله يمان . والعاشر : الأعمال الصالحة ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : (وجنة عرضها السموات والأرض) قال ابن قتيبة : أراد بالعرض

السعة ، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول ، والعرب تقول : بلاد عريضة ، أي : واسعة .

وقال النبي ﷺ للمنزمين يوم أحد « لقد ذهبتُم فيها عريضة » .

قال الشاعر :

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كِفَّةُ حابل^(١)

قال : وأصل هذا من العرض الذي هو خلاف الطول ، وإذا عرض الشيء اتسع ،

وإذا لم يعرض ضاق ودق . وقال سعيد بن جبير : لو ألصق بعضهم إلى بعض كانت الجنة في

عرضهم .

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ

عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) قال ابن عباس : في العسر واليسر . ومعنى

الآية : أنهم رغبوا في معاملة الله ، فلم يبطروهم الرخاء ، فينسيهم ، ولم تمنعهم الضراء فيبخلوا .

قوله تعالى : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) قال الزجاج : يقال : كظمت الغيظ : إذا

(١) البيت غير منسوب في « الكامل » و « اللسان » وروايتها : « كأن فجاج الأرض » . والحابل :

الصائد . وكفته : جباله التي يصيد بها .

أمسكت على ما في نفسك منه ، وكظم البعير^(١) على جرته : إذا ردها في حلقه . وقال ابن الأثير : الأصل في الكظم : الإمساك على غيظ وغم . وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى »^(٢)

قوله تعالى : (والعافين عن الناس) فيه قولان .

أحدهما : أنه العفو عن الممالك ، قاله ابن عباس ، والريبع .

والثاني : أنه على إطلاقه ، فهم يعفون عن ظلمهم ، قاله زيد بن أسلم ، ومقاتل .

﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يذهب الذنوب إلا الله ولم يبصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾

قوله تعالى : (والذين إذا فعلوا فاحشة) في سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها : أن امرأة أتت إلى نهبان التمار تشتري منه تمرأ فضمتها ، وقبلها ، ثم ندم ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك ، فنزلت هذه الآية ، رواه عطاء عن ابن عباس^(٣) .

(١) الجرعة ، بالكسر : ما يخرج البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه .

(٢) أخرجه الامام أحمد في « المسند » وابن ماجه عن ابن عمر ، ونقل السني عن « زوائد البوصيري » قال : اسناده صحيح ، رجاله ثقات . وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ، وقال : رواه ابن ماجه ، ورواته محتج بهم في الصحيح .

الجرعة : يجوز فيها ضم الجيم ، وهي الاسم من التجرع ، أي : الشرب ، ويجوز فتحها ، وهي المرة الواحدة منه ، والجرعة بالضم أيضاً : ملء الفم يبتلعه ، وتجرجع الجرعة : شربها وابتلعها . قال في « اللسان » وجرجع الفيظ : كظمه على المثل بذلك . وفي « النهاية » كظم الفيظ : تجرجعه واحتمل سببه ، والصبر عليه .

(٣) ذكره الواحد في « أسباب النزول » بدون سند .

والثاني: أن أنصاريًا وتقفياً آخى النبي ﷺ بينها، فخرج الثقفى مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعمد أهل الثقفى، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها، فدخل ولم يستأذن؛ فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها، فقبله ثم ندم، فأدبر راجعاً، فقالت: سبحان الله خنت أمانتك، وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك. قال: فخرج يسبح في الجبال، ويتوب إلى الله من ذنبه. فلما قدم الثقفى أخبرته المرأة بفعله، فخرج يطلبه حتى دل عليه، فقدم على صنيعة فوافقه ساجداً يقول: ذنبي ذنبي، قد خنت أخى. فقال له: يا فلان انطلق إلى رسول الله ﷺ فاسأله عن ذنبك، لعل الله أن يجعل لك منه مخرجاً، فرجع إلى المدينة، فنزلت هذه الآية بتوبته، رواه أبو صالح، عن ابن عباس^(١). وذكره مقاتل.

والثالث: أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: بنو إسرائيل أكرم على الله منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلك» فقرأ هذه الآية، والتي قبلها، هذا قول عطاء^(٢). واختلفوا هل هذه الآية نمت للمنفقين في السراء والضراء؟ أم لقوم آخرين؟ على قولين. أحدهما: أنها نعت لهم، قاله الحسن.

والثاني: أنها لصنف آخر، قاله أبو سليمان الدمشقي.
والفاحشة: القبيحة وكل شيء جاوز قدره، فهو فاحش. وفي المراد بها هاهنا قولان. أحدهما: أنها الزنى. قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل.
والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول»، من طريق الكلبي، وهو ضعيف جداً.

(٢) رواه الواحدي عن عطاء بن أبي رباح مرفوعاً.

واختلفوا في «الظلم» المذكور بمدّها، فلم يفرق قوم بينه وبين الفاحشة، وقالوا: الظلم للنفس فاحشة أيضاً، وفرق آخرون، فقالوا: هو الصنائر. وفي قوله تعالى: (ذكروا الله) قولان.

أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله ابن مسعود، وعطاء في آخرين. والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال.

أحدها: أنه ذكر العرض على الله، قاله الضحاك.

والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة، قاله الواقدى.

والثالث: ذكر وعيد الله لهم على ما أتوا، قاله ابن جرير.

والرابع: ذكر نهى الله لهم عنه.

والخامس: ذكر غفران الله: ذكر القولين أبو سليمان الدمشقي.

فأما الإصرار، فقال الزجاج: هو الإقامة على الشيء. وقال ابن فارس: هو العزم على الشيء والثبات عليه^(١). وللمفسرين في المراد بالإصرار ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه مواجهة الذنب عند الاهتمام به. وهذا مذهب مجاهد.

والثاني: أنه الثبوت عليه من غير استغفار، وهذا مذهب قتادة^(٢)، وابن إسحاق.

(١) جاء في معجم «مقاييس اللغة» ومن الباب: الإصرار: العزم على الشيء، وإثباته قياسه، لأن العزم على الشيء والاجماع عليه واحد، وكذلك الإصرار: الثبات على الشيء.

(٢) روى الطبري عن قتادة قوله تعالى (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) فأيكم والإصرار، فأما هلك المصرون الماضون قدماً لا تنههم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى آتاهم الموت وهم على ذلك؟

والثالث : أنه ترك الاستغفار منه ، وهذا مذهب السدي^(١) . وفي معنى (وهم يعلمون) ثلاثة أقوال .

أحدها : وهم يعلمون أن الإصرار بضر ، وأن تركه أولى من التماسي ، قاله ابن عباس ، والحسن .

والثاني : يعلمون أن الله يتوب على من تاب ، قاله مجاهد ، وأبو عمارة .

والثالث : يعلمون أنهم قد أذنبوا ، قاله السدي ، ومقاتل .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾

(١) قال أبو جعفر الطبري ج/٧/٢٢٥ : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال : الإصرار : الأقامة على الذنب عمداً ، وترك التوبة منه . ولا معنى لقول من قال : الإصرار على الذنب هو مواقفته ، لأن الله عز وجل مدح بترك الإصرار على الذنب مواقع الذنب ، فقال : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) . ولو كان المواقع الذنب مصراً بمواقفته إياه ، لم يكن الاستغفار وجه مفهوم ، لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والتندم ، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يواقفه صاحبه وجه . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » ، حدثني بذلك الحسين بن يزيد السبيعي قال : حدثنا عبد الحميد الخثمي ، عن عثمان بن واقد ، عن أبي نصيرة ، عن مولى لأبي بكر ، عن أبي بكر ، عن رسول الله ﷺ . فلو كان مواقع الذنب مصراً لم يكن لقوله : « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » معنى ، لأن مواقع الذنب إذا كانت هي الإصرار ، فلا يزال الاسم الذي لزمه معنى غيره ، كما لا يزال عن الزاني اسم زان ، وعن القاتل اسم قاتل توبته منه ، ولا معنى غيرها . وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصر عليه ، فمعلوم بذلك أن الإصرار غير المواقفة ، وأنه المقام عليه ، على ما قلنا قبل .

وقال ابن كثير بعد ذكره الحديث السابق الذي استدلل به الطبري : ورواه أبو داود ، والترمذي ، والبزار في « مسنده » من حديث عثمان بن واقد ، وقد وثقه يحيى بن معين ، وشيخه أبو نصيرة الواسطي ، واسمه مسلم بن عبيد ، وثقه الإمام أحمد ، وابن حبان ، وقول علي بن المديني ، والترمذي : ليس اسناد هذا الحديث بذلك ، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر ، ولكن جماله مثله لا ينضر ، لأنه تابعي كبير ، ويكفيه نسبته إلى أبي بكر ، فهو حديث حسن .

قوله تعالى: (قد خلت من قبلكم سنن) السنن : جمع سنة ، وهي الطريقة . وفي معنى الكلام قولان .

أحدهما : قد مضى قبلكم أهل سنن وشرائع ، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم ، فاعتبروا بهم ، وهذا قول مجاهد . وفي معنى (فسيروا في الأرض) قولان

أحدهما : أنه السير في السفر . قال الزجاج : إذا سرتم في أسفاركم ، عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم . والثاني : أنه التفكير . ومعنى : فانظروا : اعتبروا ، والعاقبة : آخر الأمر .

﴿ هَذَا يَأْنُ لِلنَّاسِ وَهْدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

قوله تعالى: (هذا يأن للناس) قال سعيد بن جبير : هذه الآية أول ما نزل من « آل عمران » وفي المشار إليه « هذا » قولان .

أحدهما : أنه القرآن ، قاله الحسن ، وقتادة ، ومقاتل .

والثاني : أنه شرح أخبار الأمم السالفة ، قاله ابن اسحاق . والبيان : الكشف عن الشيء ، وبأن الشيء : اتضح ، وفلان أبين من فلان ، أي : أفصح . قال الشعبي : هذا بيان للناس من العمى ، وهدى من الضلالة ، وموعظة من الجهل .

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

قوله تعالى: (ولا تهنوا ولا تحزنوا) سبب نزولها أن أصحاب رسول الله ﷺ لما انهزموا يوم أحد ، أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل ، فقال

النبي ﷺ: « اللهم لا يعلون علينا ، اللهم لا قوة لنا إلا بك » فنزلت هذه الآيات ، قاله ابن عباس^(١) . قال ابن عباس ، ومجاهد : (ولا تهنوا) أي : ولا تضعفوا . وفيما نهوا عن الحزن عليه أربعة أقوال .

أحدها : أنه قتل إخوانهم من المسلمين ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه هزيمتهم يوم أحد ، وقتلهم ، قاله مقاتل .

والثالث : أنه ما أصاب النبي ﷺ من شجه ، وكسر رباعيته ، ذكره الماوردي .

والرابع : أنه ما فات من الغنيمة ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري .

قوله تعالى : (وأتمم الأعلون) قال ابن عباس : يقول : أنتم الغالبون فأتمم الأمر لكم .

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَافِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

قوله تعالى : (إن يمسكم قرح) قال ابن عباس : أصابهم يوم أحد قرح ، فشكوا

إلى النبي ﷺ ما لقوا ، فنزلت هذه الآية . فأما المس ، فهو الإصابة ، وقرأ ابن كثير ،

وأبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع « قرح » بفتح القاف . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وأبو

بكر ، عن عاصم « قرح » بضم القاف . واختلفوا هل معنى القراءتين واحد أم لا ؛ فقال

أبو عبيد : القرح بالفتح : الجراح ، والقتل . والقرح بالضم : ألم الجراح . وقال الزجاج :

هما في اللغة بمعنى واحد ، ومعناه : الجراح وألمها ، قال : ومعنى ندافلها ، أي : نجعل الدولة

في وقت للكفار على المؤمنين إذا عصى المؤمنون ، فأما إذا أطاعوا ، فهم منصورون ، قال

(١) رواه ابن جرير ج/٧/٢٣٦ . عن ابن عباس .

ومعنى (ليعلمه الله) أي : ليعلم واقعا منهم ، لأنه عالم قبل ذلك ، وإنما يجازي على ما وقع .
وقال ابن عباس : معنى العلم هاهنا : الرؤية .

قوله تعالى (ويتخذ منكم شهداء) قال أبو الضحى : نزلت في قتل أحد ، قال ابن جريج : كان المسلمون يقولون : ربنا أرنا يوماً كيوم بدر ، نلتمس فيه الشهادة ، فاتخذ منهم شهداء يوم أحد . قال ابن عباس : والظالمون هاهنا : المنافقون : وقال غيره : هم الذين انصرفوا يوم أحد مع ابن أبي المنافق .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾

قوله تعالى (وليمحص الله الذين آمنوا) قال الزجاج : معنى الكلام : جعل الله الأيام مداولة بين الناس ، ليمحص المؤمنين ، ويمحق الكافرين . وفي التمهيص قولان .
أحدهما : أنه الابتلاء والاختبار ، وأنشدوا :

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشّفه التمهيص حتى بدا لياً^(١)

وهو قول الحسن ، ومجاهد ، والسدي ، ومقاتل ، وابن قتيبة في آخرين .
والثاني : أنه التنقية ، والتخليص ، وهو قول الزجاج . وحكي عن المبرد ، قال : يقال : محص الحبل محصاً : إذا ذهب منه الوبر حتى يتخلص ، ومعنى قولهم : [اللهم] محص عنا ذنوبنا : أذهبها عنا^(٢) . وذكر الزجاج عن الخليل أن التمهيص : التخليص ، يقال : محصت الشيء أمحصه محصاً : إذا أخلصته . فعلى القول الأول التمهيص : ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم ، وعلى الثاني : هو تنقيتهم من الذنوب بذلك . قال الفراء : معنى الآية : وليمحص الله بالذنوب عن الذين آمنوا .

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وهو في «عيون الأخبار» ٧٥/٣ و «الكامل» ١٨٣/١ ، وفي «الأغني» أنه قاله في صديقه قعي بن ذكوان ، ثم قال في ص : ٦٧ : أنه قاله في صديقه الحسين بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، بعد أن هاجرا .
(٢) في القرطبي : « أي : خلصنا من عقوبتها .

قوله تعالى (ويعحق الكافرين) فيه أربعة أقوال .

أحدها : يهلكهم ، قاله ابن عباس . والثاني : يذهب دعوتهم ، قاله مقاتل .

والثالث : ينقصهم ويقللهم ^(١) ، قاله الفراء .

والرابع : يحبط أعمالهم ، ذكره الزجاج .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ . وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾

قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت) قال ابن عباس : لما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ ، بما فعل بشهداء يوم بدر من الكرامة ، رغبوا في ذلك ، فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه ، فيلحقون بأخوانهم ، فأراهم الله يوم أحد ، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم ، فنزل فيهم (ولقد كنتم تمنون الموت) يعني القتال (من قبل أن تلقوه) أي : من قبل أن تنظروا إليه يوم أحد (فقد رأيتموه) يومئذ ، قال الفراء ، وابن قتيبة : أي : رأيتم أسبايه ، وهي السيف ونحوه من السلاح . وفي معنى (وأنتم تنظرون) ثلاثة أقوال .

أحدها : تنظرون إلى السيوف ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه ذكر للتوكيد ، قاله الأخفش . وقال الزجاج : معناه : فقد رأيتموه ، وأنتم بُصراء ، كما تقول : رأيت كذا وكذا ، وليس في عينك علة ، أي : رأيته رؤية حقيقة .

(١) في «معاني القرآن» : «بفنيهم» بدل من «يقللهم» .

والثالث : أن معناه : وأنتم تنظرون ما تمنيتم . وفي الآية إضمار [أي : فقد رأيتموه وأنتم تنظرون] فلم انهزمتم !

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾

قوله تعالى (وما محمد إلا رسول) قال ابن عباس : صاح الشيطان يوم أحد: قتل محمد . فقال قوم : لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لمعشأرنا وإخواننا ، ولو كان محمد حياً لم نهزم ، فترخصوا في الفرار ، فنزلت هذه الآية^(١) . وقال الضحاك : قال قوم من المنافقين: قتل محمد ، فالحقوا بدينكم الأول ، فنزلت هذه الآية . وقال قتادة : قال أناس : لو كان نبياً ما قُتل ، وقال ناسٌ من عليّة أصحاب رسول الله : قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به ، فنزلت هذه الآية . ومعنى الآية : أنه يموت كما ماتت قبله الرسل ، أفان مات على فراشه ، أو قتل كمن قتل قبله من الأنبياء ، أتقبلون على أعقابكم ؟ أي : ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر ؟ ! وهذا على سبيل المثل ، يقال لكل من رجع عما كان عليه : قد انقلب على عقبيه ، وأصله : رجعة القهقري ، والعقب : مؤخر القدم .

قوله تعالى (فلن يضر الله شيئاً) أي : لن ينقص الله شيئاً برجوعه ، وإنما يضر نفسه . (وسيجزي) أي : يثيب الشاكرين ، وفيهم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم الثابتون على دينهم ، قاله علي رضي الله عنه ، وقال : كان أبو بكر أمير الشاكرين .

والثاني : أنهم الشاكرون على التوفيق والهداية . والثالث : على الدين .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾

قوله تعالى (وما كان النفس أن تموت إلا بإذن الله) في الإذن قولان .

أحدهما : أنه الأمر ، قاله ابن عباس . والثاني : الإذن نفسه ، قاله مقاتل .

قال الزجاج : ومعنى الآية : وما كانت نفس تموت إلا بإذن الله .

قوله تعالى (كتاباً مؤجلاً) تأكيد ، والمعنى : كتب الله ذلك كتاباً مؤجلاً ،

أي : كتاباً ذا أجل . والأجل : الوقت المعلوم ، ومثله في التأكيد (كتاب الله عليكم)

النساء : ٢٤ لأنه لما قال : (حرمت عليكم أمهاتكم) النساء : ٢٢ دلّ على أنه مفروض ، فأكد

بقوله : (كتاب الله عليكم) النساء : ٢٤ وكذلك قوله تعالى : (صنع الله النمل : ٨٨ لأنه لما

قال : (وترى الجبال تحسبها جامدة) النمل : ٨٨ دلّ على أنه خلق الله فأكد بقوله : (صنع الله) .

قوله تعالى (ومن يرد ثواب الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا) أي : من قصد بعمله الدنيا ، أُعطي

منها ، قليلاً كان أو كثيراً ، ومن قصد الآخرة بعمله ، أُعطي منها . وقال مقاتل : عني

بالآية : من ثبت يوم أحد ، ومن طلب الغنيمة .

— فصل —

وأكثر العلماء على أن هذا الكلام محكم ، وذهبت طائفة إلى تسخيه بقوله تعالى :

(عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) الاسراء : ١٨ والصحيح أنه محكم ، لأنه لا يؤتى أحد

شيئاً إلا بقدره الله ومشيتته .

ومعنى قوله تعالى : (نُؤْتِهِ مِنْهَا) أي : ما نشاء ، وما قدرنا له ، ولم يقل : ما يشاء هو .

﴿وَكَايْنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

قوله تعالى (وكاين من نبي) قرأ الجمهور «وكاين» في وزن «كعين». وقرأ ابن كثير «وكائن» في وزن «كاعن». قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «كاين» مثل: «كعين» ينصبون الهمزة، ويشددون الياء. وتميم يقولون: «وكائن» كأنها فاعل من كئت. وأنشدني الكسائي:

وكاين ترى يسمي من الناس جاهداً على ابن غدا منه شجاعٌ وعقربُ
وقال آخر:

وكاين أصابت مؤمناً من مُصيبةٍ على الله عُقباها ومنه ثوابها
وقال ابن قتيبة: كاين بمعنى «كم» مثل قوله: (وكاين من قرية عتت عن أمر ربها) الطلاق: ٨ وفيها لغتان. «كاين» بالهمزة وتشديد الياء، و«كاين» على وزن «قاتل»، [وبائع] وقد قرئ بها [جميعاً في القرآن] والأكثر والأفصح تخفيفها. قال الشاعر:
وكاين أربنا الموت من ذي تميّةٍ إذا ما ازدرانا أو أصررّ لمائتم^(١)
وقال الآخر:

وكاين ترى من صامتٍ لك مُعجبٍ زيادته أو نقصه في التّكلم^(٢)
قوله تعالى (قاتل معه ريشون) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبان، والمفضل

(١) أنشده ابن فارس في «الصاحي» ص ١٣٢، ولم ينسبه لقائل.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى من «معلقاته» في شرح الزوزني ص ٨٩، ونسبه الجاحظ في «البيان والتبيين» ج ١/ ١٧٠ للأعور الشني، وذكر بعده بيتاً آخر وهو:
لسانُ القتي نصفٌ ونصفُ فؤاده فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدم

كلاهما عن عاصم : « قُتِلَ » بضم القاف ، وكسر التاء ، من غير ألف ، وقرأ الباقر : « قاتل » بألف ، وقرأ ابن مسعود ، وأبو رزين ، وأبو رجاء ، والحسن ، وابن عمر ، وابن جبير ، وقادة ، وعكرمة ، وأيوب : « ربيون » بضم الراء . وقرأ ابن عباس ، وأنس ، وأبو مجلز ، وأبو العالية ، والجحدري ، بفتحها . فعلى حذف الألف يحتمل وجهين . أحدهما : أن يكون قتل للنبي وحده ، ويكون المعنى : وكأين من نبي قتل ، ومعه ربيون ، فما وهنوا بعد قتله .

والثاني : أن يكون قتل للريين ، ويكون : « فما وهنوا » لمن بقي منهم . وعلى إثبات الألف يكون المعنى : أن القوم قاتلوا ، فما وهنوا . وفي معنى الريين خمسة أقوال . أحدها : أنهم الألف ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس في رواية ، واختاره الفراء . والثاني : الجماعات الكثيرة ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقادة ، والسدي ، والربيع ، واختاره ابن قتيبة . والثالث : أنهم الفقهاء والعلماء ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، واختاره الزبيدي ، والزجاج . والرابع : أنهم الأتباع ، قاله ابن زيد . والخامس : أنهم المتألهون العارفون بالله تعالى ، قاله ابن فارس . قوله تعالى (فما وهنوا) فيه قولان .

أحدهما : أنه الضعف ، قاله ابن عباس ، وابن قتيبة . والثاني : أنه العجز ، قاله قتادة . قال ابن قتيبة : والاستكانة : الخشوع ، والذل ، ومنه أخذ المسكين . وفي معنى الكلام قولان .

أحدهما : فما وهنوا بالخوف ، وما ضعفوا بنقصان القوة ، ولا استكانوا بالخضوع .

والثاني : فما وهنوا لقتل نبيهم ، ولا ضعفوا عن عدوهم ، ولا استكانوا لما أصابهم .
 ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذُنُوبَنَا وإِسرَافَنَا في أمرنا وثبت أقدامَنَا وانصُرْنَا على القومِ الكافرين ﴾

قوله تعالى (وما كان قولهم) يعني الرابين . (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا) أي : لم يكن قولهم غير الاستغفار . والإسراف : مجاوزة الحد ، وقيل : أريد بالذنوب الصغار ، وبالإسراف : الكبائر .

قوله تعالى (وثبت أقدامنا) قال ابن عباس : على القتال . وقال الزجاج : معناه : ثبتنا على دينك ، فإن الثابت على دينه ثابت في حربه .

﴿ فَأَنَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
 قوله تعالى (فَأَنَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) فيه قولان .

أحدهما : أنه النصر ، قاله قتادة . والثاني : الغنيمة ، قاله ابن جريج . وروي عن ابن عباس ، أنه قال : النصر والغنيمة .

وفي حسن ثواب الآخرة قولان .
 أحدهما : أنه الجنة .

والثاني : الأجر والمغفرة ، وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدو .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يردُّوكُم على أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا) قال ابن عباس : نزلت في قول ابن أبي للمسلمين لما رجعوا من أحد : لو كان نبياً ما أصابه الذي أصابه . وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم المنافقون على قول ابن عباس ، ومقاتل .

والثاني : أنهم اليهود والنصارى ، قاله ابن جريج .

والثالث : أنهم عبدة الأوثان ، قاله السدي . قالوا وكانوا قد أمروا المسلمين بالرجوع عن دينهم . ومعنى (يردوكم على أعقابكم) : يصرفوكم إلى الشرك ، (فتقلبوا خاسرين) بالعقوبة .

﴿ بل الله مولئكم وهو خير الناصرين ﴾

قوله تعالى (بل الله مولئكم) أي : وليكم ينصركم عليهم ، فاستغنوا عن موالاته الكفار .

﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مَثْوًى للظالمين ﴾

قوله تعالى (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب)^(١) قال السدي : لما ارتحل المشركون يوم أحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق ، وقالوا : قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشرذمة ، تركتموهم ! ارجعوا فاستأصلوهم ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، ونزلت هذه الآية . والإلقاء : القذف . والرعب : الخوف . قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ،

(١) ثبت في « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يعطن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحللت لي الثنائيم ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

وحمة « الرعب » ساكنة العين ، خفيفة ، وقرأ ابن عامر ، والكسائي ، ويعقوب ، وأبو جعفر ، مضمومة العين ، مثقلة ، أين وقعت . والسلطان هاهنا : الحجة في قول الجماعة . والمأوى : المكان الذي يؤوى إليه . والمثوى : المقام ، والثوى : الإقامة . قال ابن عباس : والظالمون هاهنا : الكافرون .

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بأذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾

قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي : لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من أحد ، قال قوم منهم : من أين أصابنا هذا ، وقد وعدنا الله النصر ؟ ! فزلت هذه الآية . وقال المفسرون : وعد الله تعالى المؤمنين النصر بأحد ، فنصرهم ، فلما خالفوا ، وطلبوا الغنيمة ، هزموا . وقال ابن عباس : ما أنصر رسول الله ﷺ في موطن ما أنصر في أحد ، فأنكر ذلك عليه ، فقال : بيني وبينكم كتاب الله ، إن الله يقول : (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بأذنه) فأما الحس ، فهو القتل ، قاله ابن عباس ^(١) ، والحسن ، وبجاهد ، والسدي ، والجماعة . وقال ابن قتيبة : تحسونهم ، أي : تستأصونهم بالقتل ، يقال : سنّة حسوس : إذا أنت على كل شيء ، وجراد محسوس : إذا قتله البرد .

وفي قوله تعالى (بأذنه) ثلاثة أقوال .

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الامام أحمد في « المسند » ٢٦٠٩ والحاكم ، ج ٢/ ٢٩٦ وصححه ، ووافقه الذهبي ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في « دلائل النبوة » ، وذكره الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » ج ٥/ ٢٤ ، وقال : وهذا حديث غريب ، وهو من مراسلات ابن عباس ، وله شواهد من وجوه كثيرة .

أحدها : بأمره ، قاله ابن عباس . والثاني : بعلمه ، قاله الزجاج .

والثالث : بقضائه ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

قوله تعالى (حتى إذا فشلتم) قال الزجاج : أي : حينئذ . (وتنازعتم) أي : اختلفتم (من بعد ما أراكم ما تحبون) يعني : النصرة . وقال الفراء : فيه تقديم وتأخير ، معناه : حتى إذا تنازعتم في الأمر ، فشلتم وعصيتهم ، وهذه الواو زائدة ، كقوله تعالى : (فلما أسأما وتلّاه للجبين وناديناه) الصافات : ١٠٣ . معناه : ناديناه . فأما تنازعهم ، فإن بعض الرماة قال : قد انهزم المشركون ، فما غنمنا من الغنيمة ؟ وقال بعضهم : بل ثبت مكاننا كما أمرنا رسول الله ﷺ ، فترك المركز بعضهم ، وطلب الغنيمة ، وتركوا مكانهم ، فذلك عصيانهم ، وكان النبي ﷺ قد أوصاهم : « لو رأيتم الطير تحطفتنا فلا تبرحوا من مكانكم » .

قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا) قال المفسرون : هم الذين طلبوا الغنيمة ، وتركوا مكانهم . (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين ثبتوا . وقال ابن مسعود : ما كنت أظن أحداً من أصحاب محمد يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية .

قوله تعالى (ضربكم عنهم) أي : ردكم عن المشركين بقتلكم وهزيتكم . (ليتليكم أي : ليختبركم ، فيبين الصابر من الجازع .

قوله تعالى (ولقد عفا عنكم) فيه قولان .

أحدهما : عفا عن عقوبتكم ، قاله ابن عباس .

والثاني : عفا عن استئصالكم ، قاله الحسن . وكان يقول : هؤلاء مع رسول الله ، في سبيل الله غضاب الله ، يقاتلون في سبيل الله ، نهوا عن شيء فضيعوه ، فأتروا حتى غموا بهذا الغم ، والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة ، ويركب كل داهية ، ويزعم أن لا بأس عليه ، فسوف يعلم .

قوله تعالى (والله ذو فضل على المؤمنين) فيه قولان .

أحدهما : إذ عفا عنهم ، قاله ابن عباس . والثاني : إذ لم يقتلوا جميعاً ، قاله مقاتل .

﴿ إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تُلَوُّنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى (إذ تصعدون ولا تلون) قال المفسرون : « إذ » متعلقة بقوله تعالى : (ولقد عفا عنكم) وأكثر القراء على ضم التاء ، وكسر العين ، من قوله : « تصعدون » وهو من الإصعاد . وروى أبان عن ثعلب ، عن عاصم فتحها ، وهي قراءة الحسن ، ومجاهد ، وهو من الصعود . قال الفراء : الإصعاد في ابتداء الأسفار ، والمخارج ، تقول : أصدنا من بغداد إلى خراسان ، فإذا صعدت على سلم أو درجة ، قلت : صعدت ، ولا تقول : أصدت . وقال الزجاج : كل من ابتداً مسيراً من مكان ، فقد أصد ، فأما الصعود ، فهو من أسفل إلى فوق . ومن فتح التاء والعين ، أراد الصعود في الجبل . والمفسرين في معنى الآية قولان .

أحدهما : أنه صعودهم في الجبل ، قاله ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أنه الإبعاد في الهزيمة ، قاله قتادة ، وابن قتيبة ، و« تلون » بمعنى : « تخرجون » .

وقوله تعالى (على أحد) عام ، وقد روي عن ابن عباس أنه أريد به النبي ﷺ قال : والنبي ﷺ يناديهم من خلفهم : « إني عباد الله ، أنا رسول الله » ، وقرأت عائشة ، وأبو مجلز ، وأبو الجوزاء ، وحמיד « على أحد » بضم الألف والحاء ، يعنون الجبل .

قوله تعالى (فأتابكم) أي : جازاكم . قال الفراء : الإجابة هاهنا بمعنى عقاب ، ولكنه كما قال الشاعر :

أخاف زياداً أن يكونَ عطاؤه أداهمَ سوداً أو محدرجةً سُمرًا^(١)

المحدرجة : السباط . والسود فيما يقال : القيود .

قوله تعالى (غماً بنغم) في هذه الباء أربعة أقوال .

أحدها : أنها بمعنى « مع » . والثاني : بمعنى « بعد » .

والثالث بمعنى « على » ، فعلى هذه الثلاثة الأقوال يتعلق الغمان بالصحابة . وللمفسرين في المراد بهذين الغمين خمسة أقوال .

أحدها : أن الغم الأول ما أصابهم من الهزيمة والقتل . والثاني : إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم ، قاله ابن عباس ، ومقاتل .

والثاني : أن الأول فرارهم الأول ، والثاني : فرارهم حين سمعوا أن محمداً قد قتل ، قاله مجاهد .

والثالث : أن الأول ما فاتهم من الغنيمة وأصابهم من القتل والجراح ، والثاني : حين سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل ، قاله قتادة .

والرابع : أن الأول ما فاتهم من الغنيمة ، والفتح ، والثاني : إشراف أبي سفيان عليهم ، قاله السدي .

والخامس : أن الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم ، والثاني : إشراف أبي سفيان عليهم ، ذكره الثعلبي .

(١) فائله الفرزدق ، وزيد : هو ابن أبيه ، كان قد توعد الفرزدق ، ثم أظهر الرضى عنه ، وأنه سيحبوه إن قصده ، فلم يركن لذلك الفرزدق .

والأدام ، جمع آدم : وهو القيد . والمحدرجة : السباط ، وهو وصف ، من : حدرج السوط : إذا أحكم قتلته حتى استوى ، وسوط محدرج : منار محكم القتل .

والقول الرابع : أن الباء بمعنى الجزاء ، فتقديره : غمكم كما غمتم غيركم ، فيكون أحد الغمين للصحابة ، وهو أحد غموهم التي ذكرناها عن المفسرين ، ويكون الغم الذي جُوزوا لأجله لغيرهم . وفي المراد بغيرهم قولان .

أحدهما : أنهم المشركون غموهم يوم بدر ، قاله الحسن .

والثاني : أنه النبي ﷺ غموه حيث خالفوه ، فجوزوا على ذلك ، بأن غمو بما أصابهم ، قاله الزجاج .

قوله تعالى (لكيلا تحزنوا) في « لا » قولان .

أحدهما : أنها باقية على أصلها ، ومعناها النفي ، فعلى هذا في معنى الكلام قولان .

أحدهما : فأنابكم غماً أنساكم الحزن على ما فاتكم وما أصابكم ، وقد روي أنهم لما سموا أن النبي قد قتل ، نسوا ما أصابهم وما فاتهم .

والثاني : أنه متصل بقوله : (ولقد عفا عنكم) فغنى الكلام : عفا عنكم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم ، لأن عفوه يذهب كل غم .

والقول الثاني : أنها صلة ، ومعنى الكلام : لكي تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم في خلافكم . ومثلها قوله تعالى : (لتلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) الحديد : ٢٩ أي : ليعلم . هذا قول المفضل . قال ابن عباس : والذي فاتهم : الغنيمة ، والذي أصابهم : القتل والهزيمة .

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ

لِلّٰهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى : (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة) قال ابن قتيبة : الأمانة : الأمن . يقال : وقعت الأمانة في الأرض . وقال الزجاج : معنى الآية : أعقبكم بما نالكم من الرعب أن أمنكم أمانةً تنامون معه ، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام . و«نعاساً» منصوب على البذل من «أمانة» ، يقال : نعس الرجل ينعس نعاساً ، فهو ناعس . وبعضهم يقول : نعسان . قال الفراء : قد سمعتها ، ولكني لا أشتهاها . قال العلماء : النعاس : أخف النوم . وفي وجه الامتنان عليهم بالنعاس قولان .

أحدهما : أنه أمنهم بعد خوفهم حتى ناموا ، فالمنة بزوال الخوف ، لأن الخائف لا ينام . والثاني : قوام بالاستراحة على القتال .

قوله تعالى : (يفشى طائفة منكم) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : «يفشى» بالياء مع التفتيح ، وهو يعود إلى النعاس . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف «تفشى» بالتاء مع الإمالة ، وهو يرجع إلى الأمانة . فأما الطائفة التي غشيها النوم ، فهم المؤمنون ، والطائفة الذين أهتمتهم أنفسهم : المنافقون ، أهمهم خلاص أنفسهم ، فذهب النوم عنهم . قال أبو طلحة : كان السيف يسقط من يدي ، ثم أخذه ، ثم يسقط ، وأخذه من النعاس . وجعلت أنظر ، وما منهم أحد يومئذ إلا يعمد تحت حججته ^(١)

(١) الحجة : ضرب من الترس ، تتخذ من جلود الابل مقورة ، يطارق بعضها على بعض ، ليس فيه خشب ، وهي الحجة والدرقة .

من النعاس^(١). وقال الزبير : أرسل الله علينا النوم، فما منا رجل إلا ذقنه في صدره ، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير : (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا) ، فحفظتها منه^(٢).

قوله تعالى : (يظنون بالله غير الحق) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنهم ظنوا أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .
والثاني : أنهم كذبوا بالقدر ، رواه الضحاك ، عن ابن عباس .

والثالث : أنهم ظنوا أن محمداً قد قتل ، قاله . مقاتل .

والرابع : ظنوا أن أمر النبي ﷺ مضمحل ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (ظن الجاهلية) قال ابن عباس : أي : كظن الجاهلية .

قوله تعالى : (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) لفظه لفظ الاستفهام ، ومعناه : الجحد ، تقديره : مالنا من الأمر من شيء . قال الحسن : قالوا : لو كان الأمر إلينا ما خرجنا ، وإنما أخرجنا كرهاً . وقال غيره : المراد بالأمر : النصر والظفر ، قالوا : إنما النصر للمشركين (قل إن الأمر كله لله) ، أي : النصر ، والظفر ، والقضاء والقدر (لله) .
والأكثر كثرون قرؤوا (إن الأمر كله لله) بنصب اللام ، وقرأ أبو عمرو برفعها ، قال أبو علي : حجة من نصب ، أن « كله » بمنزلة « أجمعين » في الإحاطة والعموم ، فلو قال : إن الأمر

(١) روى البخاري ج/٨/١٧١ عن أنس ، أن أبا طلحة قال : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ، قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ، ويسقط وآخذه . وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم بنحو معناه . وروى ابن جرير ج/٧/٣١٧ ، والترمذي ج/٢/١٢٥ ، والحاكم ج/٢/٢٩٧ وصححه ، ووافقه الذهبي ، عن أنس عن أبي طلحة قال : رفعت رأسي يوم أحد ، فجعلت أنظر ، وما منهم يومئذ أحد إلا عيذت تحت حجفته من النعاس ، فذلك قوله تعالى : (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً) . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه ابن اسحاق ، وابن راهويه ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في « الدلائل » .

أجمع، لم يكن إلا النَّصَب، و«كله» بمنزلة «أجمعين» ومن رفع، فلا أنه قد ابتدأ به، كما
ابتدأ بقوله تعالى: (وكلهم آتية).

قوله تعالى (يخفون في أنفسهم) في الذي أخفوه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه قولهم: (لو كنا في بيوتنا ما قتلناها هنا).

والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله.

والثالث: الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد.

قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: (هل لنا من الأمر من شيء) عبد الله
ابن أبي. والذي قال: (لو كان لنا من الأمر من شيء) معتب بن قشير.

قوله تعالى (قل لو كنتم في بيوتكم) أي: لو تخلفتم، لخرج منكم من كتب عليه
القتل، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع بالقتل. قال الزجاج: ومعنى (برازوا):
صاروا إلى براز، وهو المكان المنكشف. ومعنى (وليتلى الله ما في صدوركم) أي:
ليختبره بأعمالكم، لأنه قد علمه غيباً، فيعلمه شهادة.

قوله تعالى (وليمحص الله ما في قلوبكم) قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك
والارتباب، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمانة، وإظهار سرائر المنافقين. وهذا
التمحيص خاص للمؤمنين. وقال غيره: أراد بالتمحيص: إبانة ما في القلوب من الاعتقاد
لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين.

قوله تعالى (والله عليم بذات الصدور) أي: بما فيها. وقال ابن الأنباري: معناه:
عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيث ذات بمعنى الحقيقة، كما تقول العرب:
لقيته ذات يوم. فيؤثنون لأن مقصدهم: لقيته مرة في يوم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو. والجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أحد^(١). واستزلمهم: طلب زللمهم، قال ابن قتيبة: هو كما تقول: استعجلت فلاناً، أي: طلبت عجلته، واستعملته: طلبت عمله. والذي كسبوا: يريد به الذنوب. وفي سبب فرارهم يومئذ قولان.

أحدها: أنهم سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين.

والثاني: أن الشيطان أذكركم خطاياهم، ففكرهوا لقاء الله إلهي حال يرضونها قاله الزجاج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(١) روى الامام أحمد، وأبو يعلى، والطبري، والبزار، بإسناد حسن، عن عاصم، عن شقيق، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أنني لم أفر يوم عنين - قال عاصم: يقول: يوم أحد - ولم تختلف عن بدر، ولم أترك سنة عمر! قال: فانطلق فخبير بذلك عثمان، قال: فقال: أما قوله: إني لم أفر يوم عنين، فكيف يعبرني بذلك وقد عفا الله عنه؟ فقال: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)؟ وأما قوله: إني تختلف يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم، فقد شهد. وأما قوله: إني تركت سنة عمر، فإني لأطيقها ولا هو، فأنه فحذته بذلك. عنين، بلفظ تشبيه العين: جبل من جبال أحد، ولذلك يقال له: يوم أحد، ويوم عنين.

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أي كلما نقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب. قال الزجاج: وإنما قال: «إذا ضربوا» ولم يقل: إذا ضربوا، لأنه يريد: شأنهم هذا أبداً، تقول: فلان إذا حدث صدق، وإذا ضرب صبر. و«إذا» لما يستقبل، إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خبر منه فيما مضى. قال المفسرون: ومعنى (ضربوا في الأرض): ساروا وسافروا. و«غزى» جمع غازي. وفي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض، فأتوا، أو غزوا، فقتلوا.

قوله تعالى (ليجعل الله ذلك) قال ابن عباس: ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم، سالموا، (حسرة في قلوبهم) أي: حزناً. قال ابن فارس: الحسرة: التلief على الشيء الفائت.

قوله تعالى (والله يحيي ويميت) أي: ليس تحرز الإنسان يمنعه من أجله.

قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) قرأ ابن كثير، وحمة، والكسائي: يعملون بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. قال أبو علي: حجة من قرأ بالياء أن قلبها غيبة، وهو قوله تعالى: (وقالوا لإخوانهم)، ومن قرأ بالتاء، فحجته (لا تكونوا كالذين كفروا).

﴿وَلئن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

قوله تعالى (ولئن قتلتم) اللام في «لئن» لام القسم، تقديره: والله لئن قتلتم في الجهاد (أو متتم) في إقامتكم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مُتَّ» و«مُتُّم» و«مُتُّنَا» برفع الميم في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم: (أو متُّم) (ولئن متتم) برفع الميم في هذين دون باقي القرآن. وقرأ نافع، وحمة، والكسائي كل ما في القرآن بالكسر.

قوله تعالى (لأنفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) أي : من أعراض الدنيا التي تتركون الجهاد لجمعها . وقرأ حفص عن عاصم : يجمعون بالياء ، ومعناه : خير مما يجمع غيركم مما تركوا الجهاد لجمعه . قال ابن عباس : خير مما يجمع المنافقون في الدنيا .

﴿وَلئن مِتُّم أو قَتَلْتُم لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

قوله تعالى (ولئن متم) أي : في إقامتكم . (أو قتلتم) في جهادكم . (إلى الله تحشرون) وهذا تخويف من القيامة . والحشر : الجمع مع سوق .

﴿فبما رحمةٍ منَ اللَّهِ لَئِن تَ لَهُم وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

قوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم) قال الفراء وابن قتيبة ، والزجاج «ما» هاهنا صلة ، ومثله : (فبما تقضهم ميثاقهم) قال ابن الأباري : دخول «ما» هاهنا يحدث توكيداً . قال النابغة :

المرء يهوى أن يميد شَ وطولُ عيش ما يضره^(١)

فأكد بذكر «ما» وفيمن تتعلق به هذه الرحمة قولان .

أحدهما : أنها تتعلق بالنبي ﷺ . والثاني : بالمؤمنين .

(١) «أملالي المرتضى» ج ١/٢٦٦ ، و«حاشية البحتري» ص ١٣٦ و«أملالي الغالي» ج ٢/٨ ، و«الخرائفة» ج ١/٥١٤ وفيها «قد يضره» بدل «ما يضره» .

قال قتادة: ومعنى (النت لهم) لان جانبك، وحسن خلقتك، وكثر احتمالك^(١).
 قال الزجاج: والفظ: الغليظ الجانب، السيء الخلق، يقال: فظظت تفظ فظاظه وفظظاً،
 والفظ: ماء الكرش والفرث، وإنما سمي فظاً لغلظ مشربه. فأما الغليظ القلب، فثقيل:
 هو القاسي القلب، فيكون ذكر الفظاظه والغلظ وإن كانا بمعنى واحد - توكيدهاً. وقال
 ابن عباس: الفظ: في القول، والغليظ القلب: في الفعل.

قوله تعالى (لا تفضوا) أي: تفرقوا. وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا
 فرقه عنه. (فاعف عنهم) أي: تجاوز عن هفواتهم، وسل الله المغفرة لذنوبهم (وشاورهم
 في الأمر)^(٢) معناه: استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم. ويقال: إنه من شرت العسل.

(١) روى الامام أحمد رقم ٦٦٢٢ والبخاري ج ٤/ ٢٨٧ عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو
 ابن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة. فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة
 بصفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للأميين، وأنت عبدي
 ورسولي، سميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا بدفع السيئة بالسيئة،
 ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتحها
 أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وأقلوباً غلفاً.

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر في «عمدة التفسير» تعليقاً على هذه الآية:
 وهذه الآية: (وشاورهم في الأمر) والآية الأخرى (وأمرهم شورى بينهم) اتخذها اللاعنون
 بالدين في هذا العصر من العلماء وغيرهم عدتهم في التضليل والتأويل ليواطئوا صنع الأفرنج في منهج النظام
 الدستوري الذي يزعمونه، والذي يمدعون الناس بتسميته النظام الديمقراطي، فاصطنع هؤلاء اللاعنون
 شعاراً من هاتين الآيتين يمدعون به الشعوب الإسلامية أو المنتسبة للإسلام، يقولون كلمة حق يراد بها
 الباطل، يقولون: الإسلام يأمر بالشورى، ونحو ذلك من الألفاظ.

وحقاً إن الإسلام يأمر بالشورى، ولكن أي شوري يأمر بها الإسلام؟ إن الله سبحانه يقول
 لرسوله ﷺ: (وشاورهم في الأمر) فإذا عزم فتوكل على الله (ومعنى الآية واضح صريح لا يحتاج إلى
 تفسير، ولا يحتاج إلى التأويل، فهو أمر الرسول ﷺ، ثم إن يكون ولي الأمر من بعده أن يستعرض
 آراء أصحابه الذين يراهم موضع الرأي الذين هم أولو الأحلام والنهى في المسائل التي تكون موضع تبادل
 الآراء، وموضع الاجتهاد في التطبيق، ثم يختار من بينها ما يراه حقاً، أو صواباً، أو مصلحة، فيعزم على إنفاذه
 غير متقيد برأي فريق معين، ولا برأي عدد محدود، لا برأي أكثرية، ولا برأي أقلية، فإذا عزم

وأنشدوا:

وقاسمها بالله حقاً لأنتم أخذت من السلوى إذا ما نشورُها^(١)

قال الزجاج: يقال: شاورت الرجل مشاورة وشوراً، وما يكون عن ذلك اسمه المشورة. وبعضهم يقول: المشورة. ويقال: فلان حسن الصورة والشورة، أي: حسن الهيئة واللباس. ومعنى قولهم: شاورت فلاناً، أظهرت ماعنده وما عندي. وشرت الدابة: إذا امتحنها، ففرت هيئتها في سيرها. وشرت العسل: إذا أخذته من مواضع التحل. وعسل مشار. قال الأعشى:

كأنَّ القرنفل والزنجبيل لى باتا بفيها وأرياً مشاراً^(٢)

— توكل على الله، وأنفذ العزم على ما ارتآه. ومن المفهوم البديهي الذي لا يحتاج إلى دليل أن الذين أمر الرسول بمشاورتهم ويأتسي به فيه من بلي الأمر من بعدهم — هم الرجال الصالحون القائمون على حدود الله، المتقون الله، المقيمون الصلاة، المؤدوا الزكاة، المجاهدون في سبيل الله، هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «ليني منكم أولو الأحلام والنهي، ليسوا هم المحدين ولا الممارين لدين الله، ولا الفجار الذين لا يتورعون عمن منكر، ولا الذين يزعمون أن لهم أن يضعوا شرائع وقوانين تخالف دين الله، وتهدم شريعة الاسلام، هؤلاء وأولائك من بين كافر وفاسق، موضعهم الصحيح تحت السيف أو السوط، لا موضع الاستشارة وتبادل الآراء.

(١) البيت لخالد بن زهير، ديوان الهذليين ج/١/١٥٨ وشرح أشعار الهذليين ج/١/٢١٥.

والسلوى: العسل. نشورها: نأخذها من خليتها.

قال في «اللسان»، قال الزجاج: أخطأ خالد إذا سلوى طائر. وقال الفارسي: السلوى: كل ماسلاك، وقيل للعسل: سلوى، لأنه يسليك بجلاوته وتأنيته عن غيره مما تلحقك فيه مؤونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة، يرد بذلك على أبي اسحاق الزجاج.

(٢) روايته في الديوان ص ٩٣

كأن جنياً من الزنجبيل خلط فاهها وأرياً مشوراً

جني: فعيل من: جنى الثمر يجنيه. الزنجبيل: نبات طيب الرائحة معروف. الأري: عسل التحل. شار العسل واشتاره: جمعه.

والأري : العسل . واختلف العلماء لأني معنى أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي ، تام التدبير ، على ثلاثة أقوال .

أحدها : ليستن به من بعده ، وهذا قول الحسن ، وسفيان بن عيينة .

والثاني : لتطيب قلوبهم ، وهو قول قتادة ، والريع ، وابن إسحاق . ومقاتل : قال الشافعي رضي الله عنه : نظير هذا قوله ﷺ : « البكر تستأمر في نفسها » ^(١) ، إنما أراد استطابة نفسها ، فإنها لو كرهت ، كان للأب أن يزوجه ^(٢) ، وكذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أمر بذبحه .

والثالث : للاعلام ببركة المشاورة ، وهو قول الضحاك . ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره ، علم أن امتناع النجاح محض قدر ، فلم يلم نفسه ، ومنها أنه قد يعزم على أمر ، فيبين له الصواب في قول غيره ، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح . قال علي رضي الله عنه : الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه ، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم . وقال بعض الحكماء : ما استسبب الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر . واعلم أنه إنما أمر

(١) روى الجماعة إلا البخاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الثيب أحق بنفسها من زوجها ، والبكر تستأذن في نفسها ، وأختها صماتها » وفي رواية لأحمد ومسلم وأبي داود والنسائي « والبكر تستأمرها أبوها » . وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، تستأمر النساء في أوضاعهن ؟ قال : « نعم » . إن البكر تستأمر فتستحي فتسكت ؟ فقال « سكاتها أذن » .

(٢) قال النووي في « شرح مسلم » وأما قوله ﷺ في البكر « ولا تنكح البكر حتى تستأمر » فاختلفوا في معناه ، فقال الشافعي وابن أبي ليلى وأحمد وإسحاق وغيرهم : الاستئذان في البكر مأثور به ، فإن كان الولي أباً أو جداً ، كان الاستئذان مندوباً إليه ، ولو زوجها بغير استئذانها ، مع ، لكأن شفقتة ، وإن كان غيرها من الأولياء ، وجب الاستئذان ، ولم يصح إنكاحها قبله . وقال الأوزاعي وأبو حنيفة وغيرهما من الكوفيين : يجب الاستئذان في كل بكر بالغة .

النبي ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يأت فيه وحى ، وعمهم بالذكر ، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم . وفي الذي أمر بمشاورتهم فيه قولان . حكاهما القاضي أبو يعلى .

أحدهما : أنه أمر الدنيا خاصة . والثاني : أمر الدين والدنيا ، وهو أصح .

وقد قرأ ابن مسعود ، وابن عباس « وشاورهم في بعض الأمر » .

قوله تعالى (فاذا عزمتم) قال ابن فارس : العزم : عقد القلب على الشيء ، ويريد أن يفعله ^(١) . وقد قرأ أبو رزين ، وأبو مجلز ، وأبو العالية ، وعكرمة ، والجحدري : (فاذا عزمتم) بضم التاء . فأما التوكل ، فقد سبق شرحه .

ومعنى الكلام : فاذا عزمتم على فعل شيء ، فتوكل على الله ، لا على المشاورة .

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَسَنُذَاقُوا الْعَذَابَ الَّذِي نَبِئْتُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى (إن ينصركم الله) قال ابن فارس : النصر : العون ، والخذلان : ترك العون . وقيل : الكناية في قوله (من بعده) تعود إلى خذلانه .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى (وما كان لنبى أن يغفل) في سبب نزولها سبعة أقوال .

(١) في « معجم مقاييس اللغة » ج ٨/ ٤/ ٣٠٨ قال الخليل : العزم : ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله ، أي : متيقنه . ويقال : ما افلان عزيمة ، أي : ما يعزم عليه ، كأنه لا يمكنه أن يصرم أمره ، بل يختلط فيه ويتردد .

أحدها : أن قطيفة من المغنم فقدت يوم بدر ، فقال ناس : لعل النبي ﷺ أخذها ، فنزلت هذه الآية ، رواه عكرمة عن ابن عباس^(١) .

والثاني : أن رجلاً غلَّ من غنائم هوازن يوم حنين ، فنزلت هذه الآية ، رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثالث : أن قوماً من أشراف الناس طلبوا من رسول الله ﷺ أن يخصهم بشيء من الغنائم ، فنزلت هذه الآية ، نقل عن ابن عباس أيضاً .

والرابع : أن النبي ﷺ بعث ثلاثاً ، فغنم النبي ﷺ غنيمة ، ولم يقسم للطلائع ، فقالوا : قسم الفئء ولم يقسم لنا ، فنزلت هذه الآية ، قاله الضحاك^(٢) .

والخامس : أن قوماً غلّوا يوم بدر ، فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة .

والسادس : أنها نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أحد طلباً للغنيمة ، وقالوا : نخاف أن يقول النبي ﷺ : « من أخذ شيئاً ، فهو له » فقال لهم النبي ﷺ : « ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا ؟ ! أظننتم أنا نغل ؟ ! » فنزلت هذه الآية ، قاله ابن السائب ، ومقاتل .

والسابع : أنها نزلت في غلول الوحي ، قاله القرظي ، وابن اسحاق .

وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عيب دينهم وآلهتهم ، فسألوه أن يطوي ذلك ، فنزلت هذه الآية .

(١) رواه ابن أبي حاتم ، وأبو داود ، والترمذي ، والطبري ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وفي اسناده خفيف بن عبد الرحمن الجزري ضعفه أحمد ، وقال ابن عدي : إذا حدث عن خفيف ثقة فلا بأس بحديثه ، والراوي عنه في هذا الحديث عبد الواحد بن زياد المديني ، وهو ثقة ، روى له الجماعة .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن جرير من طريق سلمة بن نبيب عن الضحاك .

واختلف القراء في « يغل » فقرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو : بفتح الياء وضم
الغين ، وممنها : يخون . وفي هذه الخيانة قولان .
أحدهما : خيانة المال على قول الأكثرين .

والثاني : خيانة الوحي على قول القرظي ، وابن اسحاق . وقرأ الباقر : بضم الياء
وفتح الغين ، ولها وجهان .

أحدهما : أن يكون المعنى يُخَان ، [ويجوز أن يكون : يلفى خائناً ، يقال : أغللت
فلاناً ، أي : وجدته غالاً ، كما يقال : أحمقته : وجدته أحمق ، وأحمدته : وجدته محموداً]^(١) ،
قاله الحسن ، وابن قتيبة .

والثاني : يُخَوِّن ، قاله الفراء ، وأجاز الزجاج ، ورده ابن قتيبة ، فقال : لو أراد :
يخون ، لقال : يغلل ، كما يقال : يفسق ، ويخون ، ويفجر .
وقيل : « اللام » في قوله « لنبي » منقولة ، ومعنى الآية : وما كان النبي ليغُلَّ ، ومثله :
(ما كان لله أن يتخذ من ولد) مريم : ٣٦ ، أي : ما كان الله ليتخذ ولدًا .

وهذه الآية من أطف التعريض ، إذ قد ثبتت براءة ساحة النبي ﷺ ، من الغلول
فدل على أن الغلول في غيره . ومثله : (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) سبأ : ٢٥
وقد ذكر عن السدي نحو هذا .

قوله تعالى (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) الغلول : أخذ شيء من المنعم خفية ،
ومنه الغلالة ، وهي ثوب يلبس تحت الثياب ، والغلل : وهو الماء الذي يجري بين الشجر ،
والغِل : وهو الحقد الكامن في الصدر ، وأصل الباب الاختفاء . وفي إتيانه بما غل ثلاثة أقوال .

(١) الزيادة من « غريب القرآن » ، ص ١١٥ لابن قتيبة .

أحدها: أنه يأتي بما غله، يحمله، ويدل عليه ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر الملوك، فمظمه، وعظم أمره، ثم قال: «لا ألفين أحدكم يحيي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يحيي يوم القيامة على رقبته فرس له حمضة، فيقول: يا رسول الله أغثي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يحيي يوم القيامة على رقبته شاة لها نغاء، يقول: يا رسول الله أغثي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يحيي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يحيي يوم القيامة على رقبته رقاع تحقق، فيقول: يا رسول الله أغثي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يحيي يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك^(١)». الرغاء: صوت البعير، والنغاء: صوت الشاة، والنفس: ما يغفل من السبي، والرقاع: الثياب والصامت: الممل.

والقول الثاني: أنه يأتي حاملاً إثم ما غل.

والثالث: أنه يرد عوض ما غل من حسناته، والقول الأول أصح لمكان الأثر الصحيح.

(١) رواه الإمام أحمد رقم ٩٤٩٩، والبخاري ج ٦/١٢٩، ومسلم ج ٣/١٤٦١، واللفظ الذي ساقه المصنف لمسلم. وروى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كلا إني رأيته في النار في بردة غلبها، أو عبادة»، ثم قال رسول الله ﷺ: «أذهب فنادي في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فناديت: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. وكذا رواه مسلم، والترمذي، وقال: حديث صحيح.

قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أي : تعطى جزاء ما كسبت .

﴿ أَفَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
وَبُئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

قوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله) اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين .

أحدهما : أن معناها : أفمن اتبع رضوان الله ، فلم يغل ، (كمن باء بسخط من الله) حين غل ؟! هذا قول سعيد بن جبير ، والضحاك ، والجمهور .

والثاني : أن النبي ﷺ لما أمر المسلمين باتباعه يوم أحد ، اتبعه المؤمنون ، وتخلف جماعة من المنافقين ، فأخبر الله بحال من تبعه ، ومن تخلف عنه ، هذا قول الزجاج .

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى (هم درجات) قال الزجاج : معناه : هم ذوو درجات . وفي معنى درجات قولان .

أحدهما : أنها درجات الجنة ، قاله الحسن .

والثاني : أنها فضائلهم ، فبعضهم أفضل من بعض ، قاله الفراء ، وابن قتيبة .

وفيمعنى بهذا الكلام قولان .

أحدهما : أنهم الذين اتبعوا رضوان الله ، والذين باؤوا بسخط من الله ، فلم ين اتبع رضوان الله الثواب ، ولمن باء بسخطه العذاب ، هذا قول ابن عباس .

والثاني : أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط ، فانهم يتفاوتون في المنازل ، هذا قول سعيد بن جبير ، وأبي صالح ، ومقاتل .

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَنِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

قوله تعالى (لقد منَّ الله على المؤمنين) أي : أنعم عليهم . و«أنفسهم» : جماعتهم ،
وقيل : نسبهم . وقرأ الضحاك ، وأبو الجوزاء : (من أنفسهم) بفتح الفاء . وفي وجه
الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال .

أحدها : لكونه معروف النسب فيهم ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : لكونهم قد خبروا أمره ، وعلموا صدقه ، قاله الزجاج .

والثالث : ليسهل عليهم التعلم منه ، لموافقة لسانه للسانهم ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

والرابع : لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم ، قاله الماوردي .

وهل هذه الآية خاصة أم عامة ؟ فيه قولان .

أحدهما : أنها خاصة للعرب ، روي عن عائشة^(١) والجمهور .

والثاني : أنها عامة للسائر المؤمنين ، فيكون المعنى أنه ليس بملك ، ولا من غير

بني آدم ، وهذا اختيار الزجاج . وقد سبق في (البقرة) بيان باقي الآية^(٢) .

(١) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في «شعب الإيمان» ومعنى قول عائشة هذا : أن هذا
الامتنان خاص بالعرب المسلمين ، لأنهم يفقهون عنه ، ويفهمون كلامه ، ولا يحتاجون إلى ترجمان ،
وليس كذلك الأعاجم .

(٢) قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية : يعني بذلك : لقد تَطَوَّلَ الله على المؤمنين : إذ بعث
فيهم رسولاً ، حين أرسل فيهم رسولاً : (من أنفسهم) نبياً من أهل لسانهم ، ولم يجعله من غير أهل لسانهم
فلا يفقهون عنه ما يقول : (يتلو عليهم آياته) يقول : يقرأ عليهم آي كتابه وتزجله ، (ويزكّيهم) ، يعني :
يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم آياه ، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ، (ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) ، يعني : ويعلمهم -

﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قوله تعالى (أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لما كان يوم أحد ، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر ، من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب النبي ﷺ ، وكسرت ربايعته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فنزلت هذه الآية [إلى قوله تعالى (قل هو من عند أنفسكم) قال : بأخذكم الفداء] ^(١) .

قوله تعالى (أَوْ لَمَّا) قال الزجاج : هذه واو النسق ، دخلت عليها ألف الاستفهام ، فبقيت مفتوحة على هيشها قبل دخولها ، ومثل ذلك قول القائل : تكلم فلان بكذا وكذا فيقول المجيب له : أو هو ممن يقول ذلك ؟ فأما « المصيبة » فما أصابهم يوم أحد ، وكانوا قد أصابوا مثليها من المشركين يوم بدر ، لأنهم قتل منهم سبعون ، فقتلوا يوم بدر سبعين ، وأسرُوا سبعين ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك ، وقادة ، والجماعة ، إلا أن الزجاج قال : قد أصبتم يوم أحد مثلها ، ويوم بدر مثلها ، فجعل المثلين في اليومين .

قوله تعالى (أنى هذا) قال ابن عباس : من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون .

قوله تعالى (قل هو من عند أنفسكم) فيه ثلاثة أقوال .

— كتاب الله الذي أنزله عليه ، وبين تأويله وممانيه ، والحكمة ويعني بالحكمة ، السنة التي سنّها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ وبيانه لهم ، (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) يعني : وان كانوا قبل ان ين الله عليهم بارساله رسوله الذي هذه صفته ، انفي ضلال مبين ، يقول في جهالة جهلاء ، وفي حيرة عن الهدى عمياء ، لا يعرفون حقاً ، ولا يبطلون باطلا .

(١) رواه ابن أبي حاتم ، وما بين معقنين منه ، ورواه الامام أحمد في « المسند » رقم ٢٠٨ بأطول

واسناده حسن .

أحدها : أن معناه : بأخذكم الفداء يوم بدر ، قاله عمر بن الخطاب . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : إن الله قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء ، وقد أمرك أن تحبّرهم بين أن يضرّوا أعناق الأسارى ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يُقتل منهم عدّتهم ، فذكر ذلك للناس ، فقالوا : عشأرنا وإخواننا ، بل نأخذ منهم الفداء ، ويستشهد منا عدّتهم ، فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى بدر^(١) فعلى هذا يكون المعنى : قل هو بأخذكم الفداء ، واختياركم القتل لأنفسكم .

والثاني : أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أحد ، وتركهم أمر رسول الله ﷺ قاله ابن عباس ، ومقاتل في آخرين .

والثالث : أنه بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة يوم أحد ، فانه أمرهم بالتحصّن فيها ، فقالوا : بل نخرج ، قاله قتادة ، والريعي . قال مقاتل : إن الله على كل شيء من النصر والهزيمة قدير .

﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾

قوله تعالى : (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) الجمعان : النبي وأصحابه ، وأبو سفيان وأصحابه ، وذلك في يوم أحد ، وقد سبق ذكر ما أصابهم .

(١) ذكره ابن كثير ج ٢/ ٣٢٦ ، وقال : رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » من حديث الثوري به ، وهذا حديث غريب جداً . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ج ٢ / ٩٣ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، والترمذي ، وابن جرير ، وابن مردويه ، ونقل تحسينه عن الترمذي .

قوله تعالى : (فباذن الله) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أمره ، والثاني : قضاؤه ، روي عن ابن عباس ، والثالث : علمه ، قاله الزجاج .
قوله تعالى : (وليعلم المؤمنين) أي : ليظهر إيمان المؤمنين بشيئهم على ما نالهم ،
ويظهر تقاق المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم . قال ابن قتيبة : والنفاق مأخوذ من نفاق
اليربوع ، وهو حجر من جحر ته يخرج منه إذا أخذ عليه الجحر الذي دخل فيه . قال
الزيادي عن الأصمعي : واليربوع أربعة أجرة ، النفاق : وهو الذي يخرج منه كثيراً ،
ويدخل منه كثيراً . والقاصعاء ، سمي بذلك لأنه يخرج تراب الجحر ، ثم يقصع يعضه
كأنه يسد به فم الجحر ، ومنه يقال : جرح فلان قد قصع بالدم : إذا امتلاً ولم يسئل .
والدأماء ، سمي بذلك ، لأنه يخرج التراب من فم الجحر ، ثم يدم به فم الجحر ، كأنه
يطليه به ، ومنه يقال : ادمم قدرك بشحم ، أي اطلها به . والراطاء ، ولم يذكر اشتقاقه ،
وإنما يتخذ هذه الجحر عدداً ، فإذا أخذ عليه بعضها ، خرج من بعض . قال أبو زيد : فشبه
المنافق به ، لأنه يدخل في الإسلام بلفظه ، ويخرج منه بعقده ، كما يدخل اليربوع من باب
ويخرج من باب . قال ابن قتيبة . والنفاق : لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل
الإسلام^(١) . قال ابن عباس : والمراد بالذين نافقوا عبد الله بن أبي ، وأصحابه . قال موسى بن
عقبة : خرج النبي ﷺ يوم أحد ، ومعه المسلمون ، وهم ألف رجل ، والمشركون ثلاثة
آلاف ، فرجع عنه ابن أبي في ثلاثمئة . فأما القتال ، فباشرة الحرب . وفي المراد
بالدفع ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه التكثير بالعدد . رواه مجاهد عن ابن عباس وهو قول الحسن ،
وعكرمة ، والضحاك ، والسدي ، وابن جريج في آخرين .

(١) في « اللسان » وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستر كفره ،
ويظهر إيمانه ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً .

والثاني : أن معناه : اذفموا عن أنفسكم وحرىمكم ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وهو قول مقاتل . والثالث : أنه بمعنى القتال أيضاً . قاله ابن زيد .

قوله تعالى : (لو نعلم قتالاً) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أن معناه : لو نعلم أن اليوم يجري قتال ما أسلماكم ، ذكره ابن اسحاق .
والثاني : لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم .

والثالث : إنما معناه : أن هناك قتلاً وليس بقتال ، ذكرها الماوردي .

قوله تعالى : (هم للكفر أي : إلى الكفر) أقرب منهم للإيمان) أي : إلى الإيمان ، وإنما قال : يومئذ ، لأنهم فيما قبل لم يظهروا مثل ما أظهروا ، فكانوا بظاهر حالهم فيما قبل أقرب إلى الإيمان .

قوله تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) فيه وجهان ذكرهما الماوردي .

أحدهما : ينطقون بالإيمان ، وليس في قلوبهم إلا الكفر .

والثاني : يقولون : نحن أنصار ، وهم أعداء . وذكر في الذي يكتُمون وجهين .

أحدهما : أنه النفاق . والثاني : العداوة .

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

قوله تعالى (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) قال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن أبي . وفي إخوانهم قولان .

أحدهما : أنهم إخوانهم في النفاق ، قاله ابن عباس .

والثاني : إخوانهم في النسب ، قاله مقاتل . فعلى الأول يكون المعنى : قالوا لإخوانهم المنافقين : لو أطاعنا الذين قتلوا مع محمد ما قتلوا ، وعلى الثاني يكون المعنى : قالوا عن إخوانهم الذين استشهدوا بأحد : لو أطاعونا ما قتلوا .

قوله تعالى (وقعدوا) يعنى القائلين قعدوا عن الجهاد .

قوله تعالى (فادروا) أي : فادفموا (عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) أن الحذر لا ينفع مع القدر .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) قرأ ابن عامر : قتلوا بالشديد . واختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في شهداء أحد ، روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « لما أصيب إخوانكم بأحد ، جمل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا ، لئلا يزهدوا في الجهاد [ولا يتركوا] ^(١) عن الحرب [قال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(٢) » وهذا قول سعيد بن جبير ، وأبي الضحى .

والثاني : أنها نزلت في شهداء بدر لما أفضوا إلى كرامة الله تعالى وقالوا : ربنا أعلم

(١) نكل عن عدوه : جبن فنكص على عقبيه ، وانصرف عنه هيبة له وخوفاً .

(٢) أخرجه الامام أحمد في « المسند » رقم ٢٣٨٨ ، وأبو داود رقم ٢٣٨٩ ، والطبري ج/٧/٣٨٥ ، والحاكم ج/٢/٢٩٧ وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . زاد المسير ٣٢٣ ج ١

إخواننا ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وهو قول مقاتل .

والثالث : أنها نزلت في شهداء بئر معونة . روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له ، أن النبي ﷺ بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلى أهل نجد ، فلما نزلوا بئر معونة ، خرج حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله ﷺ ، فلم ينظر فيه عامر ، وخرج رجل من كسر البيت برمح ، فضرب به في جنب حرام حتى خرج من الشق الآخر ، فقال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة ، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم ، قال أنس بن مالك : فأنزل الله تعالى فيهم : « بلغوا قومنا عنا أننا قد لقينا ربنا ، فرضي عنا ورضينا عنه » ثم رفعت ، فنزلت هذه الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً)^(١) .

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ج/٧/٣٩٣ مطولاً وسنده حسن . ورواه الامام أحمد ج/٣/١٣٧ و ٢١٠ و ٢٨٩ بأسانيد صحيحة ، وليس فيه : « فنزلت هذه الآية » ولفظه عن أنس : أن رسول الله ﷺ لما بعث حراماً خاله أخاً أم سليم في سبعين رجلاً ، قتلوا يوم بئر معونة ، وكان رئيس المنركين يومئذ عامر بن الطفيل ، وكان هو أمي النبي ﷺ فقال : اخبرني ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ، ويكون لي أهل الوب ، أو أكون خليفة من بعدك ، أو أغزوك بنطفان ألف أشقر ، وألف شقراء ، قال : فطعن في بيت امرأة من بيت فلان ، فقال : غدة كندة البعير في بيت امرأة من بني فلان ، اثنتي بفرسي ، فأني به ، فركبه ، فمات وهو على ظهره . فانطلق حرام أخو أم سليم ورجلان معه ، رجل من بني أمية ، ورجل أعرج ، فقال لهم : كونوا قريباً مني حتى آتيهم ، فإن آمنوني وإلا كنتم قريباً ، فإن قتلوني ، أعلمت أصحابكم . قال : فأتاهم حرام ، فقال : أتؤمنوني ، أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ إليكم ؟ قالوا : نعم . فجعل يحدتهم ، وأومؤوا إلى رجل منهم من خلفه ، فطمعته حتى ألقاه بالرمح ، قال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة ، قال : ثم قتلوهم كلهم غير الأعرج ، كان في رأس جبيل ، قال أنس : فأنزل علينا وكان مما يقرأ ففسخ « أن بلغوا قومنا أننا لقينا ربنا ، فرضي عنا وأرضانا » قال : فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين صباحاً ، على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله . ورواه البخاري ج/٧/٢٩٧ ، وانظر تفصيل القصة في « البداية والنهاية » ج/٤/٧١-٧٤ .

فهذا اخلاف الناس فيمن نزلت ، واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال .
أحدها : أن الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله أن يخبر إخوانهم بعصيرهم ، وقد ذكرناه عن ابن عباس .

والثاني : أن رجلاً قال : يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين استشهدوا ، فنزلت ، قاله مقاتل .

والثالث : أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابهم نعمة أو سرور ، تحسروا ، وقالوا : نحن في النعمة والسرور ، وآباؤنا ، وأبنائنا ، وإخواننا ، في القبور ، فنزلت هذه الآية ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري .

فأما التفسير ، فعنى الآية : لا تحسبنهم أمواتاً كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله ، وقد بينا هذا المعنى في (البقرة) وذكرنا أن معنى حياتهم : أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة ، وتشرب من أنهارها ^(١) . قال مجاهد : يرزقون من ثمر الجنة .

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(١) روي الامام مسلم في « صحيحه » عن مسروق قال : إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك ، فقال : « أرواحهم في جوف طير خضر لها قتاديل بالمرش ، تروح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي الى تلك القتاديل . » وقال الحافظ ابن كثير في التفسير ج ١ / ٤٣٦ : وقد روي بنا في « مسند الامام أحمد » حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تروح [وإن كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفاً لهم وتكريماً وتعظيماً] أيضاً فيها ، وتأكل من ثمارها ، وترى ما فيها من النضرة والسرور ، وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة ! وهو باسناد صحيح عزيز عظيم ، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة ، أصحاب المذاهب المتبعة ، فإن الامام أحمد رواه عن محمد بن ادريس الشافعي ، عن مالك بن أنس الأصبحي ، عن الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نسمة المؤمن طائر يلقى في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » .

قوله تعالى (فرحين) قال ابن قتيبة : الفرح : المسرة ، فأما الذي آتاهم الله ، فأنالوا من كرامة الله ورزقه ، والاستبشار : السرور بالشارة ، (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) إخوانهم من المسلمين . وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال .

أحدها : أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء ، أخبر الشهداء بأنني قد أنزلت على نبيكم ، وأخبرته بأمركم ، فاستبشروا ، وعلموا أن إخوانهم سيحرصون على الشهادة ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة ، يقولون : إن قتلوا نالوا ماثلنا من الفضل ، قاله قتادة .

والثالث : أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله ، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، فيستبشر بقدمه ، كما يستبشر أهل الغائب به ، هذا قول السدي . و«الهاء» و«الميم» في قوله تعالى : (أن لا خوف عليهم) تعود إلى الذين لم يلحقوا بهم . قال الفراء : معناه : يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ، ولا حزن . وفي ماذا يرتفع «الخوف» و«الحزن» عنهم ؟ فيه قولان .

أحدهما : لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم ، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم .

والثاني : لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه ، ولا يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة .

﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾

قوله تعالى (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) قال مقاتل : برحمة ورزق .

قوله تعالى (وأن الله) قرأ الجمهور بالفتح على معنى : ويستبشرون بأن الله ، وقرأ الكسائي بالكسر على الاستئناف .

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَِّهِ وَالرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد ، ندب النبي ﷺ أصحابه لاتباعهم ، ثم خرج عن اتدب معه ، فلقي أبو سفيان قوماً ، فقال : إن لقيتم محمداً ، فأخبروه أنني في جمع كثير ، فلقاهم النبي ﷺ فسألهم عنه ؛ فقالوا : لقيناه في جمع كثير ، ونراك في قلة ، فأبى إلا أن يطلبه ، فسبقه أبو سفيان ، فدخل مكة ، فنزلت هذه الآية ، هذا قول ابن عباس ^(١) ، والجمهور .

والثاني : أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أحد ، قال : يا محمد ، موعد بيننا وبينك موسم بدر ، فلما كان العام المقبل ، خرج أبو سفيان ، ثم ألقى الله في قلبه الرعب ، فبدا له الرجوع ، فلقي نعيم بن مسعود ^(٢) ، فقال : إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى ، وهذا عام جدد ، لا يصلح لنا ، فثبطهم عنا ، وأعلمهم أننا في جمع كثير ، فلقاهم فخوفهم ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وخرج النبي ﷺ بأصحابه ، حتى أقاموا بيدرا ينتظرون أبا سفيان ، فنزل قوله تعالى : (الذين استجابوا لله والرسول) الآيات . وهذا المعنى مروي عن مجاهد ، وعكرمة ^(٣) . والاستجابة : الإجابة . وأنشدوا :

(١) رواه الواحدي في « أسباب النزول » ، ص ٧٥ بإسناده إلى عمرو بن دينار .

(٢) في رواية ابن اسحاق أن الرسول بذلك كان معبداً الخزاعي ، وقال الحفاظ بن حجر : ويقال : إن الرسول بذلك كان نعيم بن مسعود الأشجعي .

(٣) جاء في « الدر المنثور » ج ١٠١/٢ . وأخرج النسائي ، وابن أبي حاتم ، والطبراني بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما رجع المشركون عن أحد ، قالوا : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردقم ، بشما صنعتم ، ارجعوا ، فسمع رسول الله ﷺ بذلك ، فندب المسلمين . فأتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد ، أو بشر أبي عتبة - شك سفيان - فقال المشركون : نزع قبيل ، فرجع رسول الله -

..... فلم يَسْتَجِبْهُ عند ذاك مجيباً^(١)

أي : فلم يجبه .

وفي مراد النبي ﷺ وخروجه وندب الناس للخروج ثلاثة أقوال .

أحدها : ليرهب العدو باتباعهم . والثاني : لموعده أبي سفيان .

والثالث : لأنه بلغه عن القوم أنهم قالوا : أصبتم شوكتهم ، ثم تركتموهم . وقد سبق الكلام في القرح .

قوله تعالى (الذين أحسنوا منهم) أي : أحسنوا بطاعة الرسول ، واتقوا مخالفته .

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

قوله تعالى (الذين قال لهم الناس) في المراد بالناس ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم ركب لقيهم أبو سفيان ، فضمن لهم ضماناً لتخويف النبي ﷺ وأصحابه ، قاله ابن عباس ، وابن اسحاق .

والثاني : أنه نعيم بن مسعود الأشجعي ، قاله مجاهد، وعكرمة ، ومقاتل في آخرين .

- ﷺ ، فكانت تعد غزوة ، فأرسل الله (الذين استجابوا لله والرسول) الآية . وقد كان أبو سفيان قال لثني ﷺ : موعدهم موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فأما الحيان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة ، فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا ، فأرسل الله تعالى : (فاقبلوا بنعمة من الله وفضل) الآية . (١) صدر البيت :

وداع دعا يامن يُجيب الى الندى

والبيت لكعب بن سعد الغنوي ، وهو من قصيدة أصحمية جيدة ، يرثي بها أخاه أبا المخوار ، قال الأسمعي : ليس في الدنيا مثلاً ،

والثالث: أنهم المنافقون، لما رأوا النبي ﷺ يتجهز، نهوا المسلمين عن الخروج، وقالوا: إن أيتهم في ديارهم، لم يرجع. منكم أحد، هذا قول السدي.
قوله تعالى (إن الناس قد جموا لكم) يعني أباسفيان وأصحابه.

قوله تعالى (فزادهم إيماناً) قال الزجاج: زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم، وإقامة على نصرته بينهم، وقالوا: (حسبنا الله) ^(١) أي: هو الذي يكفيننا أمرهم. فأما «الوكيل»، فقال الفراء: الوكيل: الكافي، واختاره ابن القاسم. وقال ابن قتيبة: هو الكفيل، قال: ووكيل الرجل في ماله: هو الذي كفله له، وقام به. وقال الخطابي: الوكيل: الكفيل بأرزاق العباد ومصلحتهم، وحقيقته: أنه الذي يستقل بالأمر الموكل إليه. وحكى ابن الأثير: أن قوماً قالوا: الوكيل: الرب.

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: (فانقلبوا بنعمة من الله) الانقلاب: الرجوع. وفي النعمة، ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها الأجر، قاله مجاهد. والثاني: العافية، قاله السدي.

(١) روى البخاري ج/٨/١٧٢ عن ابن عباس: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: (إن الناس قد جموا لكم فخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل).

وروى الامام أحمد في المسند ج/٦/٢٤ بسند حسن عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «ردوا علي الرجل»، فقال: ما قلت؟ قال: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إن الله يلوم على المجر، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل». وكذا رواه أبو داود والنسائي بنحوه.

والثالث : الإيمان والنصر ، قاله الزجاج . وفي الفضل ، ثلاثة أقوال .

أحدها : ربح التجارة ، قاله مجاهد ، والسدي ، وهذا قول من يرى أنهم خرجوا لموعد أبي سفيان . قال الزهري : لما استنفر النبي ﷺ المسلمين لموعد أبي سفيان بدير ، خرجوا ببضائع لهم ، وقالوا : إن لقينا أبا سفيان ، فهو الذي خرجنا إليه ، وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا ، وكانت بدير متجراً يوافي كل عام ، فانطلقوا فقصوا حوائجهم ، وأخلف أبو سفيان الموعد .

والثاني : أنهم أصابوا سرية بالصفراء ، فزقوا منها ، قاله مقاتل .

والثالث : أنه الثواب ، ذكره الماوردي .

قوله تعالى (لم يمسهم سوء) قال ابن عباس : لم يؤذهم أحد . (واتبعوا رضوان الله) في طلب القوم . (والله ذو فضل) أي : ذو من يدفع المشركين عن المؤمنين .

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

قوله تعالى (إنما ذلکم الشیطان) قال الزجاج : معناه : ذاك التخويف كان فعل الشیطان ، سوّله للمخوفین .

وفي قوله تعالى (يخوفكم أوليائه) قولان .

أحدهما : أن معناه : يخوفكم بأوليائه ، قاله الفراء ، واستدل بقوله تعالى : (لينذر بأساً شديداً) الكهف : ٤٤ أي : بيأس ، وبقوله تعالى : (لينذر يوم التلاق) غافر : ١٥ ، أي : يوم التلاق . وقال الزجاج : معناه : يخوفكم من أوليائه ، بدليل قوله تعالى : (فلا تخافوهم وخافوا)

وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبیر ، وعكرمة ، وإبراهيم ، وابن قتيبة .

وأشد ابن الأباري في ذلك :

وَأَيَقَنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا تَقْسِمَ مَالٍ أُرِيدُ بِالسَّهَامِ^(١)

أراد : أيقنت بالتفرق . قال : فلما أسقط الباء أعمل الفعل فيما بعدها ونصبه . قال : والذي نختاره في الآية : أن المعنى : يخوفكم أوليائه . تقول العرب : قد أعطيت الأموال ، يريدون : أعطيت القوم الأموال ، فيحذفون القوم ، ويقتصرون على ذكر المفعول الثاني . فهذا أشبه من ادعاء « باء » ما عليها دليل ، ولا تدعو إليها ضرورة .
والثاني : أن معناه : يخوف أوليائه المنافقين ، ليقمدوا عن قتال المشركين ، قاله الحسن والسدي ، وذكره الزجاج .

قوله تعالى : (فلا تخافوهم) يعني : أولياء الشيطان (وخافون) في ترك أمري . وفي « إن » قولان .

أحدهما : أنها بمعنى : « إذ » قاله ابن عباس ، ومقاتل .

والثاني : أنها للشرط ، وهو قول الزجاج في آخرين .

﴿ وَلَا يُحْزِنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنُيْضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) قرأ نافع « يُحْزِنُكَ »
« ليحزني » و « ليحزن » بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن ، إلا في (الانبياء)
(لا يحزنهم الفرع) الانبياء : ١٠٣ ، فإنه فتح الياء ، وضم الزاي . وقرأ الباقر كل ما في القرآن بفتح الياء
وضم الزاي . قال أبو علي : يشبه أن يكون نافع تبع في سورة (الانبياء) أثراً ، أو أحب أن
يأخذ بالوجهين . وفي الذين يسارعون في الكفر أربعة أقوال .

(١) البيت للبيد بن ربيعة ، من قصيدة يرثي بها أخاه أربد ، ذكر بعضها صاحب الأغاني ج / ١٥ / ١٣٣ .

أحدها : أنهم المنافقون ، ورؤساء اليهود ، قاله ابن عباس .

والثاني : المنافقون ، قاله مجاهد . والثالث : كفار قريش ، قاله الضحاك .

والرابع : قوم ارتدوا عن الإسلام ، ذكره الماوردي .

وقيل : معنى مسارعهم في الكفر : مظاهرتهم للكفار ، ونصرهم بإيم . فان قيل : كيف لا يحزنه المسارعة في الكفر ؟ فالجواب : لا يحزنك فعلهم ، فانك منصور عليهم . قوله تعالى : (إنهم لن يضرؤا الله شيئاً) فيه قولان .

أحدهما : لن : يتقصوا الله شيئاً بكفرهم ، قاله ابن عباس ، ومقاتل .

والثاني : لن يضرؤا أولياء الله شيئاً ، قاله عطاء . قال ابن عباس : والحظ : النصيب ، والآخرة : الجنة . (ولهم عذاب عظيم) في النار .

﴿ إِنِّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) قال مجاهد : المنافقون آمنوا ثم كفروا ، وقد سبق في (البقرة) معنى الاشتراء .

﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطْمِئِئِلُهُمْ خَيْرٌ لَّا نَفْسَهُمْ إِنَّمَا نُطْمِئِئِلُهُمْ لِيَبْزِدَادُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

قوله تعالى : (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نطميئئلهم خير لا أنفسهم) اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال .

أحدها : في اليهود والنصارى والمنافقين ، قاله ابن عباس .

والثاني : في قريظة والنضير ، قاله عطاء . والثالث : في مشركي مكة ، قاله مقاتل .

والرابع : في كل كافر ، قاله أبو سليمان الدمشقي^(١) .

وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، (ولا يحسبن الذين كفروا)
 آل عمران : ١٧٨ ، (ولا يحسبن الذين ييخلون) آل عمران : ١٨٠ ، (ولا يحسبن الذين يفرحون)
 آل عمران : ١٨٨ بالياء وكسر السين ، ووافقهم ابن عامر غير أنه فتح السين ، وقرأهن
 حمزة بالتاء ، وقرأ عاصم والكسائي كل ما في هذه السورة بالتاء غير حرفين
 (ولا يحسبن الذين كفروا) (ولا يحسبن الذين ييخلون) فانها بالياء ، إلا أن عاصم
 فتح السين ، وكسرها الكسائي ، ولم يختلفوا في (ولا تحسبن الذين قتلوا) أنها بالتاء .
 (ونلي لهم) : أي : نطيل لهم في العمر ، ومثله : (واهجرني ملياً) قال ابن الأثاري : واشتقاق
 « نلي لهم » من الملوء ، وهي المدة من الزمان ، يقال : مَلَوْتُ من الدهر ، ومِلَوْتُ ، ومُلَوْتُ ، ومَلَاوْتُ ،
 ومِلَاوْتُ ، ومُلَاوْتُ ، بمعنى واحد ، ومنه قولهم : البس جديداً أو تمل حبيباً ، أي : لتطل أيامك معه .
 قال متمم بن نويرة :

بودَيَّ لو أَنِّي تَمَلَّيْتُ عُمَرَ بَعَالِي مِنْ مَالٍ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ
 الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ
 يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

قوله تعالى : (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أتم عليه) في سبب نزولها
 خمسة أقوال .

(١) أخرج عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، وصححه
 عن ابن مسعود قال : ما من نفس برّة ، ولا فاجرة ، إلا والموت خير لها من الحياة . إن كان برّاً ، فقد قال
 الله تعالى (وما عند الله خير للأبرار) وإن كان فاجراً ، فقد قال الله تعالى : (ولا يحسبن الذين كفروا
 أنما نلي لهم خير لأنفسهم إنما نلي لهم ليزدادوا إثماً) وإسناده صحيح .

أحدها : أن قريشاً قالت : تزعم يا محمد أن من اتبعك ، فهو في الجنة ، ومن خالفك فهو في النار! فأخبرنا عن يؤمن بك ومن لا يؤمن ، فنزلت هذه الآية ، هذا قول ابن عباس^(١).

والثاني : أن المؤمنين سألوا أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمنين والمنافق ، فنزلت هذه الآية ، هذا قول أبي العالية^(٢).

والثالث : أن النبي ﷺ قال : عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمِّي ، وَأُعْلِمْتُ مِنْ يَوْمِنِي ، وَمَنْ يَكْفُر ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُنَافِقِينَ ، فَاسْتَهْزَؤُوا ، وَقَالُوا : فَتَحْنُ مَعَهُ وَلَا يَعْرِفُنَا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، هَذَا قَوْلُ السَّيِّدِي^(٣).

والرابع : أن اليهود ، قالت : يا محمد قد كنتم راضين بديننا ، فكيف بكم لو مات بعضكم قبل نزول كتابكم؟! فنزلت هذه الآية . هذا قول عمر مولى غفرة .

والخامس : أن قوماً من المنافقين ادَّعَوْا أَنَّهُمْ فِي إِعَانِهِمْ مِثْلَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ نِفَاقَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ ، هَذَا قَوْلُ أَبِي سَلِيمَانَ الدَّمَشَقِيِّ .
وفي المخاطب بهذه الآية قولان .

أحدهما : أنهم الكفار ، والمنافقون ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنهم المؤمنون ، فيكون المعنى : ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق . قال الثعلبي : وهذا قول أكثر أهل المعاني .

قوله تعالى (حتى يميز الخبيث من الطيب) قرأ ابن كثير ، ونافع وأبو عمرو ، وابن

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » ص ٧٦ عن الكلبي بدون سند .

(٢) الخبر في « أسباب النزول » للواحدي ص ٧٦ .

(٣) ذكره في « أسباب النزول » الواحدي ص ٧٥ عن السدي بدون سند .

عاصر (حتى يميز) و (ليميز الله الخبيث) بفتح الياء والتخفيف . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب : « يميز » بالتشديد ، وكذلك في الأنفال : ٣٧ (ليميز الله الخبيث) . قال أبو علي : مزت وميزت لغتان . قال ابن قتيبة : ومعنى يميز : يخلص . فأما الطيب ، فهو المؤمن . وفي الخبيث قولان .

أحدهما : أنه المنافق ، قاله مجاهد ، وابن جريج .

والثاني : الكافر ، قاله قتادة ، والسدي . وفي الذي وقع به التمييز بينهم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الهجرة والقتال ، قاله قتادة ، وهو قول من قال : الخبيث : الكافر .

والثاني : أنه الجهاد ، وهو قول من قال : هو المنافق . قال مجاهد : فميز الله يوم أحد بين المؤمنين والمنافقين ، حيث أظهروا النفاق وتخلّفوا .

والثالث : أنه جميع الفرائض والتكاليف ، فإن المؤمن مستور الحال بالإقرار ، فإذا جاءت التكاليف بان أمره ، هذا قول ابن كيسان .

وفي المخاطب بقوله : (وما كان الله ليطلمعكم على الغيب) قولان .

أحدهما : أنهم كفار قريش ، فمنه : ما كان الله ليبين لكم المؤمن من الكافر ، لأنهم طلبوا ذلك ، فقالوا : أخبرنا بمن يؤمن ومن لا يؤمن ، هذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه النبي ﷺ ، فمنه : وما كان الله ليطلع محمدًا على الغيب ، قاله السدي . « ويحتجى » بمعنى يختار ، قاله الزجاج وغيره . فعنى الكلام على القول الأول : أن الله لا يطلع على الغيب أحداً إلا الأنبياء الذين اجتباهم ، وعلى القول الثاني : أن الله لا يطلع على الغيب أحداً إلا أنه يجتبي من يشاء فيطلعه على ما يشاء .

﴿ ولا يحسبن الذين يخلون بآتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل ﴾

هو شرُّ لهم سيِّطو قون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراثُ السموات والأرض
والله بما تعملون خبيرٌ ﴿

قوله تعالى (ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله) اختلفوا فيمن نزلت
على قولين .

أحدهما : أنها نزلت في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ، وهو قول ابن مسعود
وأبي هريرة ، وابن عباس في رواية أبي صالح ، والشعبي ، ومجاهد ، وفي رواية السدي
في آخرين .

والثاني : أنها في الأخبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ ، ونبوته ، رواه عطية عن
ابن عباس ، وابن جريج عن مجاهد ، واختاره الزجاج .

قال الفراء : ومعنى الكلام : لا يحسن الباخلون البخل هو خير ألهم ، فاكفى
بذكر «يبخلون» من البخل ، كما تقول : قدم فلان ، فسررت به ، أي : سررت بقدمه .
قال الشاعر :

إذا نُهي السفيهُ جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف^(١)

يريد : جرى إلى السفه . والذي آتاهم الله على قول من قال : البخل بالزكاة : هو
المال ، وعلى قول من قال : البخل بذكر صفة النبي ﷺ هو العلم .

(١) أ نشد الفراء في «معاني القرآن» ج ١/ ٢٤٨ ، وتعلب في «مجالسه» ج ١/ ٦٠ ، و«أمالي
الشجري» ج ١/ ٦٨ ، والبغداد في «الخراتة» ج ٢/ ٣٨٣ ، ولم ينسبوه إلى قائل .
وقوله : إذا نُهي ، متعلق بالنهي عام محذوف ، أي : عن أي شيء كان . وقوله : وخالف : مفعوله
محذوف ، أي : خالف زاجره . وقوله : والسفيه إلى خلاف : جملة تذييلية ، أي : شأن السفيه الميل
إلى مخالفة الناصح .

قوله تعالى (هو) إشارة إلى البخل وليس مذكوراً، ولكنه مدلول عليه بـ «يخلون» وفي معنى تطويقهم به أربعة أقوال .

أحدها : أنه يجعل كالحية يطوق بها الإنسان ، روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مُثِّل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه ، وهو يتبعه حتى يطوق في عنقه » ثم قرأ رسول الله ﷺ : (سيطوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة) ^(١) . وهذا مذهب ابن مسعود ، ومقاتل .

والثاني : أنه يجعل طوقاً من نار ، رواه منصور عن مجاهد ، وإبراهيم .

والثالث : أن معنى تطويقهم به : تكليفهم أن يأتوا به ، رواه ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

والرابع : أن معناه : يلزم أعناقهم إثم ، قاله ابن قتيبة .

قوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) قال ابن عباس : يموت أهل السموات وأهل الأرض ، ويبقى رب العالمين . قال الزجاج : خوطب القوم بما يملكون ، لأنهم يعملون ما يرجع إلى الإنسان ميراثاً إذا كان ملكاً له ، وقال ابن الأنباري : معنى الميراث :

(١) أخرجه أحمد في « المسند » رقم ٣٥٧٧ ، والترمذي ، وابن خزيمة ، وابن ماجه ج ١ / ٥٦٧ ، ولفظه : « ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله ، إلا مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطوق عنقه » ، ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالى : (ولا يحسن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله) الآية . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وروى البخاري ج ٨ / ٢٧٣ ، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته ، مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيتان ، يطوقه يوم القيامة » ، يأخذ بلهزمتيه - يعني شذفيه - يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية : (ولا يحسن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله) إلى آخر الآية .

الشجاع : الحية الذكر ، وهو ضرب من الحيات ، خبيث مارد . وأقرع : صفة من صفات الحيات الخبيثة ، يزعمون أنه إذا طال عمر الحية ، وكثر سمه ، جمعه في رأسه حتى تسمط منه فروة رأسه .

انفراد الرجل بما كان لا يفرد به ، فلما مات الخلق ، وانفرد عز وجل ، صار ذلك له وراثته .
قوله تعالى (والله بما تعملون خبير) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « يعملون » بالياء
إتباعاً لقوله تعالى : (سيطوون) وقرأ الباقر بالتاء ، لأن قبله (وإن تؤمنوا وتتقوا) .

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾
قوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير) في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت مدراس اليهود ، فوجدهم
قد اجتمعوا على رجل منهم ، اسمه فنحاص ، فقال له أبو بكر : اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم
أن محمداً رسول الله . فقال : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ولو
كان غنياً عنا ما استقرض منا . فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال :
والله لولا المهد الذي بيننا لضربت عنقك . فذهب فنحاص يشكو إلى النبي ﷺ ، وأخبره
أبو بكر بما قال ، فجدد فنحاص ، فنزلت هذه الآية ، ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب
(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً)
آل عمران : ١٨٦ هذا قول ابن عباس ^(١) وإلى نحوه ذهب مجاهد ، وعكرمة ، والسدي ، ومقاتل .
والثاني : أنه لما نزل قوله (من ذا الذي يقرض الله قرصاً) البقرة : ٢٤٥ قالت اليهود :

إنما يستقرض الفقير من الغني ، فنزلت هذه الآية ، هذا قول الحسن ، وقتادة .

وفي الذين قالوا : إن الله فقير ، أربعة أقوال .

(١) أخرجه ابن اسحاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن
عباس ، ورجال اسناده ثقات خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، فإنه مجهول تفرد عن
ابن اسحاق كما قال الحافظ في « التقریب » ، وقال الشيخ أحمد شاكر في « عمدة التفسير » ج - ٣ - ٨٢ :
واسناده جيد أو صحيح .

أحدها : أنه فنحاص بن عازوراء اليهودي ، قاله ابن عباس ، ومقاتل .

والثاني : حيي بن أخطب ، قاله الحسن وقتادة .

والثالث : أن جماعة من اليهود قالوه . قال مجاهد : صكَّ أبو بكر رجلاً من الذين قالوا : (إن الله فقير ونحن أغنياء) لم يستقرضنا وهو غني ؟^(١) .

والرابع : أنه النبَّاش بن عمرو اليهودي ، ذكره أبو سليمان الدمشقي .

قوله تعالى (سنكتب ما قالوا) قرأ حمزة وحده : « سيُكتب » ياء مضمومة و « قتلهم » بالرفع و « يقول » بالياء ، وقرأ الباقون : (سنكتب ما قالوا) بالنون ، و « قتلهم » بالنصب و « نقول » بالنون ، وقرأ ابن مسعود « ويقال » ، وقرأ الأعمش ، وطلحة : و « يقول » وفي معنى (سنكتب ما قالوا) قولان .

أحدهما : سنحفظ عليهم ما قالوا ، قاله ابن عباس .

والثاني : ستأمر الحفظة بكتابه ، قاله مقاتل .

قوله تعالى (وقتلهم الأنبياء) أي : ونكتب ذلك . فان قيل : هذا القائل لم يقتل نبياً قط ، فالجواب أنه رضي بفعل متقدمه لذلك ، كما بينا في قوله تعالى : (ويقتلون النبيين بغير الحق) . قال الزجاج : ومعنى (عذاب الحريق) عذاب محرق ، أي : عذاب بالنار ، لأن العذاب قد يكون بغير النار .

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

قوله تعالى (ذلك) إشارة إلى العذاب ، والذي قدمت أيديهم : الكفر والخطايا .

(١) رواه عبد بن حميد ، وجريج/٧/٤٤٣ ، وابن المنذر عن مجاهد .

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ رَسُولَ حَتَّى يَأْتِينَا بَقَرَبَانٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ
قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا) قال ابن عباس: نزلت في كعب ابن
الأشرف، ومالك بن الصيف، وحبي بن أخطب، وجماعة من اليهود، أتوا رسول الله
ﷺ، فقالوا: إن الله عهد إلينا، أي: أمرنا في التوراة: أن لا تؤمن لرسول، أي: لا
نصدق رسولا يزعم أنه رسول، حتى يأتينا بقربان تأكله النار^(١). قال ابن قتيبة: والقربان:
ما تقرب به إلى الله تعالى من ذبح وغيره. وإنما طلبوا القربان، لأنه كان من سنن
الأنبياء المتقدمين، وكان نزول النار علامة القبول. قال ابن عباس: كان الرجل يتصدق،
فاذا قبلت منه، نزلت نار من السماء، فأكلته، وكانت ناراً لها دوي، وحفيف. وقال
عطاء: كان بنو إسرائيل يذبحون لله، فيأخذون أطايب اللحم، فيضعونها في وسط البيت
تحت السماء، فيقوم النبي في البيت، ويناجي ربه، فتنزل نار، فتأخذ ذلك القربان، فيخر
النبي ساجداً، فيوحي الله إليه ما يشاء. قال ابن عباس: قل يا محمد لليهود (قد جاءكم رسل
من قبلي بالبينات) أي: بالآيات، (وبالذي) سألتهم من القربان.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

قوله تعالى (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) معناه: لست بأول رسول
كذب. قال أبو علي: وقرأ ابن عامر وحده «بالبينات وبالزبر» زيادة باء، وكذلك في
مصاحف أهل الشام، ووجهه أن إعادة الباء ضرب من التأكيد، ووجه قراءة الجمهور

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص: ٧٧، عن الكلبي.

أن الواو قد أغنت عن تكرير العامل ، تقول : مررت بزيد وعمرو ، فنستغني عن تكرير الباء . وقال الزجاج : والزُّبُر : جمع زبور ، والزبور : كل كتاب ذي حكمة .

قوله تعالى : (والكتاب المنير) قال أبو سليمان : يعني به الكتاب النيرة بالبراهين والحجج .

﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زُحِرَ
عن النارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فازَ وما الحياةُ الدنيا إلا مَتَاعُ الغرورِ ﴾

قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) قال ابن عباس : لما نزل قوله : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم) السجدة : ١١ . قالوا : يا رسول الله إنما نزل في بني آدم ، فأبى ذكر الموت في الجن ، والطير ، والأنعام ، فنزلت هذه الآية . وفي ذكر الموت تهديد للمكذبين بالمصير ، وترهيد في الدنيا ، وتنبيه على اغتنام الأجل .

وفي قوله تعالى (إنما توفون أجوركم يوم القيامة) بشارة للمحسنين ، وتهديد للمسيئين .

قوله تعالى (فمن زُحِرَ) قال ابن قتيبة : مُنْجِي وأُبعد . (فقد فاز) ^(١) قال الزجاج :

تأويل فاز : تباعد عن المكروه ، ولقي ما يحب ، يقال لمن نجا من هلكة ، ولمن لقي ما يغتبط به : قد فاز .

(١) روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، افروا إن شئتم : (فمن زُحِرَ عن النار وأُدْخِلَ الجنة ، فقد فاز) » ، ورواه أحمد في « المسند » ، والترمذي ، والحاكم في « المستدرک » ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . وروى الامام أحمد في « المسند » رقم ٦٨٠٧ ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يزحزح عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » . ورواه الامام مسلم بأطول منه .

قوله تعالى: (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) يريد أن العيش فيها يمر الإنسان بما عتبه من طول البقاء، وسيدقطع عن قريب. قال سعيد بن جبير: هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، فأما من يشتغل بطلب الآخرة، فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها.

﴿كُتِبَ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنِ الَّذِينَ أُشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾

قوله تعالى: (كتب لكم في أموالكم وأنفسكم) في سبب نزولها خمسة أقوال.

أحدها: أن النبي ﷺ مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رواحة، فغشي المجلس عجاجة الدابة، فخر ابن أبي أنفه بردائه، وقال: لا تغبروا علينا، فنزل رسول الله ﷺ، ثم دعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن أبي: إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا. وقال ابن رواحة: اغشنا به في مجالسنا يا رسول الله، فأنابنا بحب ذلك، فاستب المسلمون، والمشركون، واليهود، فنزلت هذه الآية، رواه عروة عن أسامة بن زيد^(١).

(١) أخرجه البخاري بأطول منهج/٨/١٧٣، ولفظه: عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فذكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يمود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر. قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فاذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركون عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف، فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاعشنا به في مجالسنا، فأنابنا بحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يقتلوا رسول الله ﷺ، فلم يزل النبي ﷺ يحضهم حتى سكنوا. ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد =

والثاني : أن المشركين واليهود كانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشد الأذى ، فنزلت هذه الآية ، قاله كعب بن مالك الأنصاري (١) .

والثالث : أنها نزلت فيما جرى بين أبي بكر الصديق ، وبين فنحاص اليهودي ، وقد سبق ذكره عن ابن عباس (٢) .

والرابع : أنها نزلت في النبي ﷺ ، وأبي بكر الصديق ، قاله أبو صالح عن ابن عباس . واختاره مقاتل . وقال عكرمة : نزلت في النبي ﷺ ، وأبي بكر الصديق ، وفنحاص اليهودي .

== فقال له النبي ﷺ : « أيا سعد ، ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال : كذا وكذا . قال سعد بن عباد : يا رسول الله ، اعف عنه ، واصفح عنه ، فوالذي أنزل عليك الكتاب ، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجهوا ، فيعصبوه بالعصاة ، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله ، شرق بذلك ، فذلك فعل به ما رأيت . فغفا عنه النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون عن الأذى . قال الله تعالى : (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) الآية . وقال تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم) من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره [وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به ، حتى أذن الله فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرأ ، فقتل الله به صناديد كفار قريش . قال ابن أبي بن سلول روى عنه من المشركين وعبداء الأوثان : هذا أمر قد توجه ، فبايعوا الرسول ﷺ على الاسلام فأسلموا .

وقوله : يتناولون ، أي : يتواثبون . والبحرة : وفي رواية البحيرة ، هذا اللفظ يطلق على القرية وعلى البلد ، والمراد به هنا : المدينة النبوية ، ونقل ياقوت أن « البحرة » من أسماء المدينة المنورة . شرق : غص ، وهو كناية عن الحسد .

(١) رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، ولفظه : أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ من الشعر .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » ج ٨ / ١٧٣ : رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس .

والخامس : أنها نزلت في كعب بن الأشرف ، كان يحرّض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره ، وهذا منذهب الزهري .

قال الزجاج : ومعنى « لتبلون » : لتختبرُنَّ ، أي : توقع عليكم المحن ، فيعلم المؤمن حقاً من غيره . و « النون » دخلت مؤكدة مع لام القسم ، وضمت الواو لسكونها ، وسكون النون . وفي البلوى في الأموال قولان .

أحدهما : ذهابها ونقصانها . والثاني : ما فرض فيها من الحقوق . وفي البلوى في الأنفس أربعة أقوال .

أحدها : المصائب ، والقتل . والثاني : ما فرض من العبادات .

والثالث : الأمراض . والرابع : المصيبة بالأقارب ، والعشائر .

وقال عطاء : هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ، وباعوا رباعهم ، وعذبوهم .

قوله تعالى : (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب) قال ابن عباس : هم اليهود والنصارى ، والذين أشركوا : مشركو العرب (وإن تصبروا) على الأذى (وثقوا) الله بمجانبة معاصيه .

قوله تعالى : (فإن ذلك من عزم الأمور) أي : ما يعزم عليه ، لظهور رشفه .

﴿ فصل ﴾

والجمهور على إحكام هذه الآية ، وقد ذهب قوم إلى أن الصبر المذكور منسوخ بآية السيف .

﴿ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبَيَّنَّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴾

قوله تعالى : (وإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) فِيهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أحدها : أَنَّهُم الْيَهُودُ ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَابْنُ جَبْرِ ، وَالسَّيِّدِي ، وَمُقَاتِلٌ . فَعَلَى هَذَا ، الْكِتَابُ : التَّوْرَةُ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُم الْيَهُودُ ، وَالنَّصَارَى ، وَالْكِتَابُ : التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ .

وَالثَّالِثُ : أَنَّهُمْ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ ، فَيَكُونُ الْكِتَابُ اسْمَ جِنْسٍ .

قوله تعالى : (لَتَبَيِّنَنَّهَ لِلنَّاسِ)

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَالْمُفَضَّلُ عَنْ عَاصِمٍ ، وَزَيْدٌ عَنْ يَعْقُوبَ (لَيَبَيِّنَنَّهَ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ) بِأَلْيَاءٍ فِيهَا ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ بِالنَّاءِ فِيهَا . وَفِي هَاءِ الْكِنَايَةِ فِي « لَتَبَيِّنَنَّهَ » وَ« تَكْتُمُونَهُ » قَوْلَانِ .

أحدهما : أَنَّهُا تَرْجِعُ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ قَالَ : هُمُ الْيَهُودُ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُا تَرْجِعُ إِلَى الْكِتَابِ ، قَالَه الْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ ، وَهُوَ أَصَحُّ ، لِأَنَّ الْكِتَابَ أَقْرَبُ الْمَذْكُورِينَ ، وَلِأَنَّ مِنْ ضَرُورَةِ تَبَيِّنِهِمْ مَا فِيهِ إِظْهَارُ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ عَامٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَعْلَمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْلَمُوا .

قوله تعالى (فَنَبِّئُوهُ) قَالَ الزَّجَّاجُ : أَيُّ رَمَوْا بِهِ ، يُقَالُ لِلَّذِي يَطْرَحُ الشَّيْءَ وَلَا يَمْسُ بِهِ :

قَدْ جَعَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَظَهْرٍ . قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

تَمِيمُ بْنُ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بَظَهْرٍ وَلَا يَمِيسُ عَلَيَّ جَوَابُهَا^(١)

(١) دَبَّوَانُهُ ج/٨٦ ، وَدَ الْلسَانُ ، ج/٥٢٢/٤ ، وَدَ الْإِغْنِي ، وَرَوَابِطُهُ فِي الدَّبَّوَانِ :

تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَهُونَنَّ حَاجَتِي لَدَيْكَ وَلَا يَمِيسُ عَلَيَّ جَوَابُهَا

معناه : لا تكونن حاجتي مُهملة عندك ، مطرحة . وفي هاء « فنبذوه » قولان .
أحدهما : أنها تعود إلى الميثاق . والثاني : إلى الكتاب ^(١) .

قوله تعالى (واشتروا به) يعني : استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به ، ووعدهم عليه الجنة (ثمناً قليلاً) أي : عرضاً يسيراً من الدنيا .

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ
يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى (ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا) وقرأ أهل الكوفة : لا تحسبن
بالتاء . وفي سبب نزولها ثمانية أقوال .

أحدها : أن النبي ﷺ ، سأل اليهود عن شيء ، فكتموه ، وأخبروه بغيره ، وأروه
أنهم قد أخبروه به ، واستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ، فنزلت
هذه الآية .

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية : هذا توبيخ من الله تعالى وتهديد لأهل الكتاب ،
الذين أخذ الله عليهم العهد على أسنة الانبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وأن ينوهوا بذكره في الناس
ليكونوا على أهبة من أمره ، فإذا أرسله الله تعالى تابعوه ، فكتموا ذلك ، وتعضوا عما وعدوا عليه من
الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والخط الدنيوي السخيف ، فبُست الصفقة صفقتهم ، وبُست
البيعة بيعتهم . وفي هذا تحذير للمسلمين أن يسلكوا مسلكهم ، فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم .
فعلى العلماء أن يبدلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد
ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال : « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم
القيامة بلجام من نار » . وهذا الحديث الذي استشهد به ابن كثير أخرجه أحمد وأبو داود ، وابن
ماجه ، وأبو يعلى ، والترمذي ، وحسنه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي من حديث أبي هريرة به مرفوعاً ،
وهو عند الحاكم أيضاً وغيره عن ابن عمرو ، وعند ابن ماجه عن أنس وأبي سعيد ، وعند الطبراني من
حديث ابن عباس وابن عمر وابن مسعود ، وهو حديث صحيح .

والثاني : أنها نزلت في قوم من اليهود ، فرحوا بما يصيدون من الدنيا ، وأحبّوا أن يقول الناس : إنهم علماء ، وهذا القول ، والذي قبله عن ابن عباس .

والثالث : أن اليهود قالوا : نحن على دين إبراهيم ، وكنتموا ذكر محمد ﷺ ، فنزلت هذه الآية ، قاله سعيد بن جبير ^(١) .

والرابع : أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق واليمن ، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها : أن محمداً ليس نبي ، فابتغوا على دينكم ، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به ، فرحوا بذلك ، وقالوا : نحن أهل الصوم والصلاة ، وأولياء الله ، فنزلت هذه الآية ، هذا قول الضحاك ، والسدي .

والخامس : أن يهود خيبر أتوا النبي ﷺ وأصحابه ، فقالوا : نحن على رأيكم ، ونحن لكم ردة ، وهم مستمسكون بضلاتهم ، فأرادوا أن يحمدهم نبي الله بما لم يفعلوا ، فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة .

والسادس : أن ناساً من اليهود جهزوا جيشاً إلى النبي ﷺ ، واتفقوا عليهم ، فنزلت هذه الآية ، قاله إبراهيم النخعي .

والسابع : أن قوماً من أهل الكتاب دخلوا على النبي ﷺ ، ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها ، فحمدوهم ، وأبطنوا خلاف ما أظهروا ، فنزلت هذه الآية ، ذكره الزجاج .

والثامن : أن رجالاً من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو مع النبي ﷺ ، فإذا قدم ، اعتذروا إليه ، وحلفوا ، وأحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا ، فنزلت هذه الآية ، قاله

(١) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

أبو سعيد الخدري^(١)، وهذا القول يدل على أنها نزلت في المنافقين، وما قبله من الأقوال يدل على أنها في اليهود.

وفي الذي أتوا ثمانية أقوال .

أحدها : أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق .

والثاني : تبديلهم التوراة . والثالث : إثارة الفاني من الدنيا على الثواب .

والرابع : إضلالهم الناس . والخامس : اجتماعهم على تكذيب النبي .

والسادس : نفاقهم باظهار ما في قلوبهم ضده .

والسابع : اتفاقهم على محاربة النبي ﷺ ، وهذه أقوال من قال : هم اليهود .

والثامن : تحاشفهم في الغزوات ، وهذا قول من قال : هم المنافقون .

وفي قوله تعالى : (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا)^(٢) ستة أقوال .

(١) رواه البخاري ج/٨/١٧٥ ، ومسلم ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ، ولفظه عند البخاري : « عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الفزو ، وتحلفوا عنه وفرحوا بمقدم خلاف رسول الله ﷺ ، فاذا قدم رسول الله ﷺ ، اعتذروا إليه ، وحلفوا ، وأجوا أن يحمدا بما لم يفعلوا فنزلت : (ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا) .

(٢) روى الامام احمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف : أن مروان قال : اذهب يا راض - لبوابه - إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى ، وأحب أن يحمدا بما لم يفعل معذباً ، لتمذين أجمين ؟ . فقال ابن عباس : ما لكم وهذه ؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) ... الآية ، وتلا ابن عباس (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا) وقال ابن عباس : سألم النبي ﷺ عن شيء فكمتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، ففرحوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألم عنه ، وهكذا رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن خزيمة ، والحاكم ، وابن مردويه .

أحدها: أحبوا أن يُحمدوا على إجابة النبي ﷺ، عن شيء سألهم عنه وما أجابوه.
والثاني: أحبوا أن يقول الناس: هم علماء، وليسوا كذلك.

والثالث: أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة، والصيام، وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس.

والرابع: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا كذلك، قاله قتادة. وهذه أقوال من قال: هم اليهود.

والسادس: أنهم كانوا يخلفون للمسلمين، إذا نصرُوا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون.

قوله تعالى (فلا يحسبنهم) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: فلا يحسبنهم، بالياء وضم الباء. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بالتاء، وفتح الباء. قال الزجاج: إنما كررت «تحسبنهم» لطول القصة، والعرب تميد إذا طالت القصة «حسبت» وما أشبهها، إعلماً أن الذي يجري متصل بالاول، وتوكيداً له، فنقول: لا تظننَّ زيداً إذا جاء وكلمك بكذا وكذا، فلا تظننَّ صادقاً.

قوله تعالى (بغافة) قال ابن زيد، وابن قتيبة: بمنجاة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى (ولله ملك السموات والأرض) فيه تكذيب القائلين: بأنه فقير.

وفي قوله تعالى: (والله على كل شيء قدير) تهديد لهم، أي: لو شئت لمجلت عذابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ^(١) في سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها : أن قريشاً قالوا لليهود : ما الذي جاءكم به موسى ؟ قالوا : عصاه ويده البيضاء .
وقالوا للنصارى : ما الذي جاءكم به عيسى ؟ قالوا : كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي
الموتى . فأتوا النبي ﷺ ، وقالوا : ادع ربك يحمل لنا الصفا ذهباً ، فنزلت هذه الآية ،
رواه ابن جبير عن ابن عباس ^(٢) .

والثاني : أن أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية ، فنزلت هذه الآية ، رواه أبو صالح
عن ابن عباس .

والثالث : أنه لما نزل قوله تعالى : (وَالْهَكَمُ إِلَهُ وَاحِدٌ) البقرة: ١٦٣ . قالت قريش :
قد سوى بين آلهتنا ، إئتنا بآية ، فنزلت هذه الآية ، قاله أبو الضحى ، واسمه : مسلم بن
صبيح . فأما تفسير الآية فقد سبق .

(١) ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات المشر من آخر (آل عمران) إذا قام الليل
لتهجد ، فروى البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه عن ابن عباس ، قال : بت عند
خاتي ميمونة ، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر قصد ،
فنظر إلى السماء ، فقال : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)
ثم قام فتوضأ واستن ، فصلى إحدى عشرة ركعة ، ثم أذن بلال فصلي ركعتين ، ثم خرج فصلي
بالناس الصبح .

(٢) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، ورجاله ثقات إلا الحماني فإنه
تكلم فيه . قال الحافظ : وقد خالفه الحسن بن موسى ، فرواه عن يعقوب عن جعفر عن سعيد مرسل
وهو أشبه ، وعلى تقدير كونه محفوظاً وصله ، ففيه اشكال من جهة أن هذه السورة مدنية ، وقريش
من أهل مكة ، ويمحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ولا سيما في زمن الهدنة .

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً) في هذا الذكر ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الذكر في الصلاة ، يصلي قائماً ، فإن لم يستطع ، فقاعداً ، فإن لم يستطع ، فعلى جنب^(١) ، هذا قول علي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، و قتادة .

والثاني : أنه الذكر في الصلاة وغيرها ، وهو قول طائفة من المفسرين .

والثالث : أنه الخوف ، فالمعنى : يخافون الله قياماً في تصرفهم ، وقعوداً في دعوتهم ، وعلى جنوبهم في منامهم .

قوله تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) قال ابن فارس : التفكر : تردد القلب في الشيء . قال ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكير ، خيرٌ من قيام ليلة ، والقلب ساه .

قوله تعالى : (رَبَّنَا) قال الزجاج : معناه : يقولون : ربنا (ما خلقت هذا باطلاً) ، أي : خالقه دليلاً عليك ، وعلى صدق ما أنت به أنبيأؤك . ومعنى (سبحانك) : براءة لك من سوء ، وتنزيهاً لك أن تكون خلقتها باطلاً ، (فقنا عذاب النار) ، فقد صدقنا أن لك جنّة وناراً .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ مُدْخِلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

(١) جاء في صحيح البخاري ، عن عمران بن حصين : أن رسول الله ﷺ قال : « صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب » .

قوله تعالى (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتَه) قال الزجاج: المخزى في اللغة: المذل المحقور بأمرٍ قد لزمه، وبحجة. يقال: أخزيتَه، أي: ألزمتَه حجةً أذلته معها. وفيمن يتعلق به هذا الخزي قولان.

أحدهما: أنه يتعلق بمن يدخلها غلداً، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وقتادة، وابن جريج، ومقاتل.

والثاني: أنه يتعلق بكل داخل إليها، وهذا المعنى مروى عن جابر بن عبد الله، واختاره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى (وما للظالمين من أنصار) قال ابن عباس: وما للمشركين من مانع يمنعهم عذاب الله تعالى.

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾
قوله تعالى (ربنا إنا سمعنا منادياً) في المنادي قولان.

أحدهما: أنه النبي ﷺ، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل.

والثاني: أنه القرآن، قاله محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري.

قوله تعالى (ينادي للإيمان) فيه قولان.

أحدهما: أن معناه: ينادي إلى الإيمان، ومثله: (الذي هدانا لهذا) الأعراف: ٤٣، (بأن ربك أوحى لها) الزلزلة: ٥، [يريد: هدانا إلى هذا، وأوحى إليها] قاله الفراء.

والثاني: بأنه مقدم ومؤخر، والمعنى: سمعنا منادياً للإيمان ينادي، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى (وكفرنا عنا سيئاتنا) قال مقاتل: امح عنا خطايانا. وقال غيره: غطها عنا، وقيل: إنما جمع بين غفران الذنوب، وتكفير السيئات، لأن الغفران بمجرد الفضل، والتكفير بفعل الخير (وتوفنا مع الأبرار) قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمة، والكسائي «الأبرار» و«الأشرار» و«ذات قرار» وما كان مثله بين الفتح والكسر، وقرأ ابن كثير، وعاصم بالفتح: ومعنى: «مع الأبرار» فيهم، قال ابن عباس: وهم الأنبياء والصالحون

﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

قوله تعالى (ربنا وآتنا ما وعدتنا) قال ابن عباس: يبنون: الجنة (على رسلك) أي: على السننهم. فان قيل: ما وجه هذه المسألة والله لا يخلف الميعاد؛ فعنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أنه خرج مخرج المسألة، ومعناه: الخبر، تقديره: فآمننا، فاغفر لنا لتوطيننا ما وعدتنا.

والثاني: أنه سؤال له، أن يجعلهم ممن آتاه ما وعده، لا أنهم استحقوا ذلك، إذ لو كانوا قد قطعوا أنهم من الأبرار، لكانت تركية لأنفسهم.

والثالث: أنه سؤال لتعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، لأنه وعدم نصر غير مؤقت، فرغبوا في تعجيله، ذكر هذه الأجوبة ابن جرير، وقال: أولى الأقوال بالصواب، أن هذه صفة المهاجرين، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم. فكأنهم قالوا: لا صبر لنا على حاكم عن الأعداء، فمجل خزيبهم، وظفرنا بهم.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
حُسْنُ الثَّوَابِ *

قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم) روي عن أم سلمة أنها قالت : يا رسول الله ،
لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء ، فزلت هذه الآية ^(١) ، واستجاب : بمعنى أجاب .
والمعنى : أجابهم بأن قال لهم : إني لا أضيع عمل عامل منكم ، ذكر أكان أو أنثى .

وفي معنى قوله تعالى : (بعضكم من بعض) ثلاثة أقوال .

أحدها : بعضكم من بعض في الدين ، والنصرة والموالاة .

والثاني : حكم جميعكم في الثواب واحد ، لأن الذكور من الإناث ، والإناث
من الذكور . والثالث : كلكم من آدم وحواء .

قوله تعالى (فالذين هاجروا) أي : تركوا الأوطان والأهل والعشائر (وأخرجوا
من ديارهم) يعني : المؤمنين الذين أخرجوا من مكة بأذى المشركين ، فهاجروا ، (وقاتلوا)
المشركين (وقتلوا) . قرأ ابن كثير ، وابن عامر : « وقاتلوا وقتلوا » مشددة التاء . وقرأ
نافع ، وأبو عمرو ، وعاصم : « وقاتلوا وقتلوا » خفيفة . وقرأ حمزة ، والكسائي : « قتلوا
وقاتلوا » . قال أبو علي : تقديم « قتلوا » جائز ، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً
في المعنى ، مؤخرأ في اللفظ .

قوله تعالى (ثواباً من عند الله) قال الزجاج : هو مصدر مؤكد لما قبله ، لأن معنى

(١) رواه ابن جرير الطبري ج/٧/ ١٩٥ ، والحاكم في المستدرک ج/٢/ ٣٠٠ ، وقال : صحيح
على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(لَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتٍ) : لَا يُبَيِّنُهُمْ ^(١) .

﴿ لَا يَمُرُّ نَجْدٌ تَقَالِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ

وَبئس المهاد ﴾

قوله تعالى : (لَا يَمُرُّ نَجْدٌ تَقَالِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ) اختلفوا فيمن نزلت على قولين .

أحدهما : أنها نزلت في اليهود ، ثم في ذلك قولان .

أحدهما : أن اليهود كانوا يضربون في الأرض ، فيصيبون الأموال ، فنزلت هذه

الآية ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن النبي ﷺ ، أراد أن يستسلف من بعضهم شعيراً ، فأبى إلا على رهن ،

فقال النبي ﷺ : « لو أعطاني لأوفيته ، إني لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض » . فنزلت ،

ذكره أبو سليمان الدمشقي .

والقول الثاني : أنها نزلت في مشركي العرب كانوا في رخاء ، فقال بعض المؤمنين :

قد أهلكنا الجهد ، وأعداء الله فيما ترون ، فنزلت هذه الآية ، هذا قول مقاتل . قال

(١) روى ابن جرير ٩١/٧ بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لقد سمعت رسول الله ﷺ

يقول : « إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين اتقى بهم المكارة ، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا ،

وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان ، لم تقض حتى يموت ، وهي في صدره ، وإن الله يسدعو يوم

القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول : أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي ، وقتلوا ، وأودوا في سبيلي ،

وجاهدوا في سبيلي ، ادخلوا الجنة ، فدخلوها بغير عذاب ولا حساب ، وتأتي الملائكة ، فيسجدون

ويقولون : ربنا نحن نسبح الليل والنهار ، ونقدس لك ، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب جل

ثناؤه : هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي ، وأودوا في سبيلي ، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب

(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) الرعد : ٢٤ . ورواه الحاكم في « المستدرک » ٢ / ٧١ ، وقال :

هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . ورواه أحمد ١٠٣ / ١٠ ، ١٠٥ ، وذكره

الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ / ٢٥٩ من روايتي « المسند » . وذكر في الأولى أنه رواه أيضاً البزار ،

والطبراني ، ورجلهم ثقات ، وذكر في الثانية أنه رواه أيضاً الطبراني ، ورجال الطبراني رجال الصحيح ،

غير أبي عسانة ، وهو ثقة .

قنادة : والخطاب للنبي ﷺ ، والمراد غيره . وقال غيره : إنما خاطبه تأديباً ، وتحذيراً ، وإن كان لا يفتخر . وفي معنى « تقلبهم » ثلاثة أقوال .

أحدها : تصرفهم في التجارات ، قاله ابن عباس ، والفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج .
والثاني : تقلب ليلهم ونهارهم ، وما يجري عليهم من النعم ، قاله عكرمة ، ومقاتل .
والثالث : تقلبهم غير مأخوذين بذنوبهم ، ذكره بعض المفسرين . قال الزجاج :
ذلك الكسب والريح متاع قليل . وقال ابن عباس : منفعة يسيرة في الدنيا . والمهاد : الفراش .
﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾

قوله تعالى : (لكن الذين اتقوا ربهم) قرأ أبو جعفر : « لكن » بالتشديد هاهنا ، وفي (الزمر) قال مقاتل : وحدوا . قال ابن عباس : « النزل » الثواب . قال ابن فارس :
النزل : ما يهبط للنزيل ، والنزيل : الضيف .

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْفَعُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

قوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في النجاشي ، لأنه لما مات صلى عليه النبي ﷺ ، فقال قائل : يصلي على هذا الملح النصراني ، وهو في أرضه ! فنزلت هذه الآية ، هذا قول جابر ابن عبد الله ^(١) ، وابن عباس ، وأنس . وقال الحسن ، وقنادة : فيه وفي أصحابه .

(١) رواه ابن جرير ٤٩٧/٧ واسناده ضعيف ، وروى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، عن أنس ابن مالك ، قال : لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ : « استغفروا لأخيك » . فقال بعض الناس : —

والثاني : أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد .

والثالث : في عبد الله بن سلام ، وأصحابه ، قاله ابن جريج ، وابن زيد ، ومقاتل .

والرابع : في أربعين من أهل نجران ، وثلاثين من الحبشة ، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى ، فأمنوا بالنبي ﷺ ، قاله عطاء .

قوله تعالى : (وما أنزل إليكم) يعني : القرآن ، (وما أنزل إليهم) يعني : كتبهم . والخامس : الدليل . (لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً) أي : عرضاً من الدنيا كما فعل رؤساء اليهود ، وقد سلف بيان سرعة الحساب .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا) قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : نزلت في انتظار الصلاة بعد الصلاة ^(١) ، وليس يومئذ غزوٌ يربط . وفي الذي أمروا بالصبر عليه خمسة أقوال .

أحدها : البلاء والجهاد ، قاله ابن عباس .

— يأمرنا أن نستغفر لجاج مات بأرض الحبشة ؟ فنزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الآية ... وروى البزار ، والطبراني في الأوسط ، ورجال الطبراني ثقات كما قال الهيثمي ٣/ ٣٨ : أن النبي ﷺ صلى على النجاشي حين نعي ، فقيل : يا رسول الله ، تصلي على عبد حبشي ؟! فأنزل الله عز وجل : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية . وصلاة النبي ﷺ على النجاشي صلاة الجنائز القائبة ، ثابتة صحيحة ، رواها الشيخان من حديث جابر ، ومن حديث أبي هريرة .

(١) روى مسلم ١/ ٢١٩ ، والنسائي ١/ ٨٩ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » .

الثاني : الدين ، قاله الحسن ، والقرظي ، والزجاج .

والثالث : المصائب ، روي عن الحسن أيضاً . والرابع : الفرائض ، قاله سعيد بن جبير .

والخامس : طاعة الله ، قاله قتادة . وفي الذي أمروا بعصا برته قولان .

أحدهما : العدو ، قاله ابن عباس ، والجمهور .

والثاني : الوعد الذي وعده الله : قاله عطاء ، والقرظي . وفيما أمروا بالمرابطة

عليه قولان .

أحدهما : الجهاد للأعداء ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقاتدة في آخرين . قال ابن

قتيبة : وأصل المرابطة والرباط ^(١) : أن يربط هؤلاء خيولهم ، وهؤلاء خيولهم في الثغر ، كل

يُعدُّ لصاحبه .

والثاني : أنه الصلاة ، أمروا بالمرابطة عليها ، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وقد

ذكرنا في (البقرة) معنى « لعل » ، ومعنى « الفلاح » .

تم - بعون الله تبارك وتعالى - الجزء الأول من كتاب « زاد المسير في

علم التفسير » وتليه الجزء الثاني ، وأوله : تفسير سورة (النساء)

(١) وردت أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ في فضل المرابطة ، وحفظ ثغور المسلمين ، وصيانة

البلاد الإسلامية عن دخول الكفار إليها ، فروى البخاري ٦/٦٣ عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول

الله ﷺ قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » . وروى مسلم ٣/١٥٢٠ عن سلمان

الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه » ، وإن مات جرى

عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان » .

وروى الامام أحمد ٦/٣٠ عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال : « كل ميت يحتم على عمله

إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله » ، فانه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر » . ورواه

أبو داود ٣/١٤ ، والترمذي ١/١٩٥ ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ

تأليف

الامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

المجلد التاسع

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة
للمكتب الإسلامي

لصاحبه
زهير الشاويش
الطبعة الثالثة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

المكتب الإسلامي

بيروت: ص.ب. ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - بريقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب. ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - بريقياً: اسلامياً

سورة النبا

ويقال لها : سورة التنازل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلَّا سَيَعْلَمُونَ .
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا .
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً
ثَبَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا . إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا .
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا . إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّاغِينَ مَأْبَأً . لَا بُشِينَ فِيهَا
أَحْقَابًا . لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا . إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً وَفَاقًا .
لَهُمْ كَانُودٌ لَا يُرْجُونَ حِسَابًا . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا . وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا .
فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا . إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا .
وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَكَأَسَاءَ دِهَاقًا . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا . جَزَاءً
مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا . رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ

مِنْهُ خَطَابًا . يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا . ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا . إِنَّا
أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَقَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي
كُنْتُ تُرَابًا ﴿١﴾

قوله تعالى : (عم يتساءلون) أصله « عن ما » فأدغمت النون في الميم ،
وحذفت ألف « ما » كقولهم : فيم ، وبهم . قال المفسرون : لما بُعِثَ رسولُ الله
ﷺ جعلَ المشركون يتساءلون بينهم ، فيقولون : ما الذي أتى به ؟ ويتجادلون ،
ويختصمون فيما بعث به ، فنزلت هذه الآية ^(١) . واللفظ لفظ استفهام ، والمعنى :
تفخيم القصة ، كما يقولون : أي شيء زيد ؟ إذا أردت تعظيم شأنه . ثم بينَ
ما الذي يتساءلون عنه ، فقال تعالى : (عن النبا العظيم) يعني : عن الخبر العظيم
الشان . وفيه ثلاثة أقوال .

أحدها : القرآن ، قاله مجاهد ، ومقاتل ، والفراء . قال الفراء : فلما أجاب
صارت « عم » كأنها في معنى : لأي شيء يتساءلون عن القرآن .
والثاني : البعث ، قاله قتادة .

والثالث : أنه أمر النبي ﷺ ، حكاه الزجاج .

قوله تعالى : (الذي هم فيه مختلفون) من قال : إنه القرآن ، فإن المشركين
اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو سحر ، وقال بعضهم : هو شعر ، وقال بعضهم :

(١) روى ابن جرير الطبري سبب النزول هذا عن الحسن ١/٣٠ وأورده السيوطي في
« الدر » ٣٠٥/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه
عن الحسن .

أساطير الأولين ، إلى غير ذلك . وكذلك من قال : هو أمر النبي ﷺ . فأما من قال : إنه البعث والقيامة ، ففي اختلافهم فيه قولان .

أحدهما : أنهم اختلفوا فيه لما سمعوا به ، فمنهم من صدّق وآمن ، ومنهم من كذّب ، وهذا معنى قول قتادة .

والثاني : أن المسلمين والمشرّكين اختلفوا فيه ، فصدّق به المسلمون ، وكذّب به المشركون ، قاله يحيى بن سلام .

قوله تعالى : (كلا) قال بعضهم : هي ردع وزجر . وقال بعضهم : هي نفي لاختلافهم ، والمعنى : ليس الأمر على ما قالوا (سيعلمون) عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الأمر (ثم كلا سيعلمون) وعيد على إثر وعيد . وقرأ ابن عامر « ستعلمون » في الحرفين بالتاء . ثم ذكر صنعه ليعرفوا توحيده ، فقال تعالى : (ألم نجعل الأرض مهاداً) أي : فراشاً وبساطاً (والجبال أوتاداً) للأرض لئلا تميد (وخلقناكم أزواجاً) أي : أصنافاً ، وأضداداً ، ذكوراً ، وإناثاً ، سوداً ، وبيضاً ، وحرراً (وجعلنا نومكم سباتاً) قال ابن قتيبة : أي : راحة لأبدانكم . وقد شرحنا هذا في (الفرقان : ٤٧) وشرحنا هناك قوله تعالى : (وجعلنا الليل لباساً) .

قوله تعالى : (وجعلنا النهار معاشاً) أي : سبباً لمعاشكم . والمعاش : العيش ، وكل شيء يُعَاشُ به ، فهو مَعَاشٌ . والمعنى : جعلنا النهار مطلباً للمعاش . وقال ابن قتيبة : معاشاً ، أي : عيشاً ، وهو مصدر (وبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا) قال مقاتل : هي السموات ، غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماءين مثل ذلك ، وهي فوقكم يا بني آدم . فاحذروا أن تَعْصُوا فَتَخِيرَ عَلَيْكُمْ .

قوله تعالى : (وجعلنا سراجاً) يعني : الشمس (وهَجَاجاً) قال ابن عباس : هو المضىء . وقال اللغويون : الوهَّاج : الوقاد . وقيل : الوهَّاج يجمع النور والحرارة .

قوله تعالى : (وأنزلنا من المعصرات) فيها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها السموات ، قاله أبي بن كعب ، والحسن ، وابن جبير .
والثاني : أنها الرياح ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، ومقاتل . وقال زيد بن أسلم : هي الجنوب . فعلى هذا القول تكون « مِنْ » بمعنى « الباء » ، فتقديره : بالمعصرات . وإنما قيل للرياح : معصرات ، لأنها تستدرُّ المطر .

والثالث : أنها السحاب ، رواه الوالي عن ابن عباس ، وبه قال أبو العالية . والضحاك ، والريبع . قال الفراء : السحابة المعصر : التي تحلب بالمطر ولما يجتمع ، مثل الجارية المعصر ، قد كادت تحيض ، ولما تحض . وكذلك قال ابن قتيبة : شَبَّهَت السحاب بمعاصر الجواري ، والمُعَصِرُ : الجارية التي قد دنت من الحيض . وقال الزجاج : إنما قيل للسحاب : معصرات ، كما قيل : أجزَّ الزرع ، فهو مُجَزَّ ، أي : صار إلى أن يُجَزَّ ، فكذلك السحاب إذا صار إلى أن يمطر ، فقد أعصر .

قوله تعالى : (ماء ثجاجاً) قال مقاتل : أي : مطراً كثيراً مُنْصَباً يتبع بعضه بعضاً . وقال غيره : يقال : ثَجَّ الماء يشج : إذا انصبَّ (لِنُخْرِجَ بِهِ) أي : بذلك الماء (حباً ونباتاً) وفيه قولان .

أحدهما : أن الحب : ما يأكله الناس ، والنبات : ما تنبت الأرض مما يأكل

الناس والأنعام ، هذا قول الجمهور . وقال الزجاج : 'كل ما حُصِدَ حَبٌ ، وكل ما أَكَلَتْهُ الماشية من الكلأ ، فهو نبات .

والثاني : أن الحب : اللؤلؤ ، والنبات : العشب . قال عكرمة : ما أنزل الله من السماء قطراً ، إلا أنبت به في البحر لؤلؤاً ، وفي الأرض عشباً .

قوله تعالى : (وَجَنَّاتٍ) يعني : بساتين (أُلْفَافاً) قال أبو عبيدة : أي : ملتفة من الشجر ليس بينها خلل ، الواحدة : لَفَاء ، وجَنَّاتٍ لُفٌّ ، وجمع الجمع : أُلْفَافٌ . قال المفسرون : فدلّ بذكر المخلوقات على البعث . ثم أخبر عن يوم القيامة فقال تعالى : (إن يوم الفصل) أي : يوم القضاء بين الخلائق (كان ميقاتاً) لما وعد الله من الثواب والعقاب . (يوم ينفخ في الصور فتأتون) من قبوركم (أفواجاً) أي : زُمَراً زُمَراً من كل مكان (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « وَفُتِحَتِ » بالتشديد . وقرأ عاصم ، وحزمة ، والكسائي بالتخفيف ، وإنما تفتح لنزول الملائكة (فكانت أبواباً) أي : ذات أبواب (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) عن أماكنها (فكانت سراباً) أي : كالسراب ، لأنها تصير هباءً منبثاً فيراها الناظر كالسراب بعد شدتها وصلابتها (إن جهنم كانت مرصاداً) قال المبرد : مرصاداً يرصدون به ، أي : هو مُعَدٌّ لهم يَرْصُدُ بها خزنتها الكفار . وقال الأزهري : المرصاد : المكان الذي يَرْصُدُ فيه الراصد العدو . ثم بين لمن هي مرصاد فقال تعالى : (للطاغين) قال ابن عباس : للشركين (مآباً) أي : مرجعاً .

قوله تعالى : (لَابِثِينَ) وقرأ حمزة « لَبِثِينَ » والمعنى : فيها واحد . يقال : هو لابث بالمكان ، ولبث . ومثله طامع ، وطمع ، وفارِه ، وفَرِه . وأما الأحقاب فجمع حقب ، وقد ذكرنا الاختلاف فيه في (الكهف : ٦٠) .

فإن قيل : ما معنى ذكر الأحقاب ، وخلودهم في النار لا نفاد له ؟ فعنه جوابان .
أحدهما : أن هذا لا يدل على غاية ، لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب .
ولو أنه قال « لاثنين فيها عشرة أحقاب أو خمسة » دل على غاية ، هذا قول
ابن قتيبة ، والجمهور . ويانه أن زمان أهل الجنة والنار يُتصورُ دخوله تحت
العدد ، وإن لم يكن لها نهاية ^(١) .

والثاني : أن المعنى : أنهم يلبثون فيها أحقاباً (لا يذوقون) في الأحقاب
(برداً ولا شراباً) فأما خلودهم في النار فدائم . هذا قول الزجاج . ويانه أن
الأحقاب حَدٌّ لعذابهم بالحميم والغساق ، فإذا انقضت الأحقاب عَذَّبُوا بغير ذلك
من العذاب . وفي المراد « بالبرد » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه برد الشراب . روى أبو صالح عن ابن عباس قال : لا يذوقون
فيها برد الشراب ، ولا الشراب .

والثاني : أنه الروح والراحة ، قاله الحسن ، وعطاء .

والثالث : أنه النوم ، قاله مجاهد ، والسدي ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، وأنشدوا :

فَإِنْ شِئْتُ حَرَمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ

وَأِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاحاً وَلَا بَرْداً ^(٢)

قال ابن قتيبة : النقاح : الماء ، والبرد : النوم ، سمي بذلك لأنه تبرد فيه الحرارة .

(١) في النسخة الاستبوية : وإن لم يكن لها غاية .

(٢) البيت لعبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي ، وهو في ديوانه ١٠٩
و « غريب القرآن » : ١٤٦ ، ٥٠٩ ، و « شواهد الكشاف » ٣٤ ، والقرطبي
١٧٨/١٩ و « البحر » ٤١٤/٨ .

وقال مقاتل : لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حرها ، ولا شرباً ينفعهم من عطش (إلا حمياً وغساقاً) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « غَسَاقاً » بالتخفيف . وقرأ حمزة ، والكسائي ، والمفضل ، وحفص عن عاصم بالتشديد . وقد تقدم ذكر الحميم ، والغساق [ص : ٥٧] (جزاء وفاقاً) قال الفراء : وفقاً لأعمالهم . وقال غيره : جُوزوا جزاء وفاقاً لأعمالهم على مقدارها ، فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النار . (إنهم كانوا لا يرجون حساباً) فيه قولان .

أحدهما : لا يخافون أن يحاسبوا ، لأنهم لا يؤمنون بالبعث ، قاله الجمهور . والثاني : لا يرجون ثواب حساب ، لأنهم لا يؤمنون بالبعث ، قاله الزجاج . قوله تعالى : (وكذبوا بآياتنا كذاباً) قال الفراء : الكذاب بالتشديد لغة ميانية فصيحة ، يقولون : كذبت به كذاباً ، وخرقت القميص خيراًقاً ، وكل « فَعَلْتُ » فصدره في لغتهم مُشَدَّد . قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني : الحلقُ أحب إليك ، أم القصَّار ؟ وأنشدني بعض بني كلاب :

لَقَدْ طَالَ مَا ثَبَّطْتَنِي عَنْ صَحَابَتِي

وَعَنْ حَوَاجِ قِضَاؤِهَا مِنْ شِفَائِيَا ^(١)

وأما أهل نجد ، فيقولون : كذبت به تكذيباً . وقال أبو عبيدة : الكذاب أشد من الكذاب ، وهما مصدر المكاذبة . قال الأعشى :

(١) البيت من شواهد الفراء في « معاني القرآن » ، (الورقة ٣٥٥) وهو في الطبري

١٦/٣٠ والقرطبي ١٩/١٧٩ و « اللسان » ، « قضى » . والشاهد فيه تشديد « قضاؤها » .

فَصَدَقْتُمَا وَكَذَّبْتُمَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ^(١)

قوله تعالى : (وكل شيء أحصيناه) قال الزجاج : « كل » منصوب بفعل مضمر تفسيره : أحصيناه ، والمعنى : أحصينا كل شيء ، و (كتاباً) تأكيد^(٢) له « أحصيناه » ، لأن معنى « أحصيناه » و « كتبناه » فيأحصل ويثبت واحد . فالمعنى : كتبناه كتاباً . قال المفسرون : وكل شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ (فذوقوا) أي : فيقال لهم : ذوقوا جزاء فعالكم (فلن نزيدكم إلا عذاباً . إن للمتقين) الذين لم يشركوا (مفاضاً) وفيه قولان .

أحدهما : متزهاً ، قاله ابن عباس ، والضحاك .

والثاني : فازوا بأن نجوا من النار بالجنة ، ومن العذاب بالرحمة ، قاله قتادة . قال ابن قتيبة : « مفاضاً » في موضع « فوز » (حدائق) قال ابن قتيبة : الحدائق : بسايتين نخل ، واحدها : حديقة .

قوله تعالى : (وكواعب) قال ابن عباس : الكواعب : النواصد . قال ابن فارس : يقال : كعبت المرأة كعابة ، فهي كاعب : إذا نتأت ثديها . وقد ذكرنا معنى « الأتراب » في (ص : ٥٢) .

قوله تعالى : (وكأساً دهاقاً) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الملاهي ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

(١) البيت في ملحق ديوان الأعشى ٢٣٨ ، و « مجاز القرآن » ٢/٢٨٣ و « الكامل » للمبرد (٥٦٤) قال المبرد : وأنشد المازني للأعشى ، وليس بما روت الرواة متصلاً بقصيدة :

فَصَدَقْتُمَا وَكَذَّبْتُمَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

وهو في الطبري ٢٠/٣٠ والقرطبي ١٧٩/١٩ و « اللسان » و « التاج » : صدق . (٢) في الأصل : تأكيد .

والثاني : أنها المتابعة . رواه مجاهد عن ابن عباس ، وبه قال ابن جبير .
وعن مجاهد كالقولين .

والثالث : أنها الصافية ، قاله عكرمة .

قوله تعالى : (لا يسمعون فيها) أي : في الجنة إذا شربوها (لغواً) وقد ذكرناه في (الطور : ٢٣) وغيرها (ولا كذاباً) أي : لا يكذب بعضهم بعضاً ، لأن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل ، وأهل الجنة منزّهون عن ذلك . قال الفراء : وقراءة علي رضي الله عنه « كذاباً » بالتخفيف ، كأنه - والله أعلم - لا يتكذبون فيها . وكان الكسائي يخفف هذه ويشدد ، « وكذبوا بآياتنا كذاباً » لأن « كذبوا » يقيد « الكذاب » بالمصدر ، وهذه ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدراً . وقد ذكرنا عن أبي عبيدة أن الكذاب بالتشديد والتخفيف مصدر المكاذبة . وقال أبو علي الفارسي : « الكذاب » بالتخفيف مصدر « كَذَبَ » ، مثل « الكتاب » مصدر « كَتَبَ » .

قوله تعالى : (جزاء) قال الزجاج : المعنى : جازاهم بذلك جزاء ، وكذلك « عطاء » ، لأن معنى أعطاهم وجازاهم واحد . و (حساباً) معناه : ما يكفيهم ، أي : فيه كل ما يشتهون . يقال : أحسبني كذا بمعنى كفاني . (ربّ السموات) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، والمفضل « ربّ السموات والأرض وما بينهما الرحمن » برفع الباء من « رب » والتون من « الرحمن » على معنى : هو ربّ السموات . وقرأ عاصم ، وابن عامر بخفض الباء والتون على الصفة من « ربك » . وقرأ حمزة والكسائي بكسر الباء ورفع التون ، واختار هذه القراءة الفراء ، ووافقه على هذا جماعة ، وعلّلوا بأن الربّ قريب من المخفوض ، والرحمن بعيد منه .

قوله تعالى : (لا يملكون منه خطاباً) فيه قولان .

أحدهما : لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه قاله ابن السائب . والثاني : لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب إلا بإذنه ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : (يوم يقوم الروح) فيه سبعة أقوال .

أحدها : أنه جند من جند الله تعالى ، وليسوا بملائكة ، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ^(١) . وقال مجاهد : هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون .

والثاني : أنه ملك أعظم من السموات والجال ، والملائكة ، قاله ابن مسعود ، ومقاتل بن سليمان^(٢) . وروى عطاء عن ابن عباس قال : الروح : ملك ما خلق الله أعظم منه ، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفّاً ، وقامت الملائكة كلهم صفّاً واحداً ، فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم .

والثالث : أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين التفتحين قبل أن تردّ إلى الأجسام ، رواه عطية عن ابن عباس .

والرابع : أنه جبريل عليه السلام قاله الشعبي ، وسعيد بن جبير ، والضحاك .

(١) ذكره السيوطي في « الدر » ٣٠٩/٦ من رواية ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في « العظمة » وابن مردويه عن ابن عباس ، والله أعلم بصحة سنده . وقد ذكر ابن كثير هذا المعنى عن ابن عباس موقفاً عليه ، وذكره ابن كثير والشوكاني عن مجاهد وأبي صالح ، ولعله بما تلقاه ابن عباس من الاسرائيليات : والله أعلم .

(٢) روى هذا المعنى ابن جرير الطبري في « تفسيره » ٢٢/٣٠ عن ابن مسعود . قال ابن كثير : وهذا قول غريب جداً .

والخامس : أنهم بنو آدم ، قاله الحسن ، وقتادة .

والسادس : أنه القرآن ، قاله زيد بن أسلم .

والسابع : أنهم أشرف الملائكة ، قاله مقاتل بن حيان ^(١) .

قوله تعالى : (والملائكة صفاء) قال الشعبي : هما سماطان ، سماط من الروح ، وسماط من الملائكة . فعلى هذا يكون المعنى : يوم يقوم الروحُ صفاءً ، والملائكة صفاءً . وقال ابن قتيبة : معنى قوله تعالى : (صفاءً) صفوفاً .

قوله تعالى : (لا يتكلمون) يعني : الخلق كلهم (إلا من أذن له الرحمن) في الكلام (وقال صواباً) أي : قال في الدنيا صواباً ، وهو الشهادة بالتوحيد عند أكثر المفسرين . وقال مجاهد : قال حقاً في الدنيا ، وعمل به (ذلك اليوم الحق) الكائن الواقع بلا شك (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً) أي : مرجعاً إليه بطاعته . ثم خَوْفَ كَفَّارِ مَكَّة ، فقال تعالى : (إنا أنذركم عذاباً قريباً) وهو عذاب الآخرة ، وكل آتٍ قريبٌ (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أي : يرى عمله مثبتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) يا ليتني لم أبعث . وحكى الثعلبي عن بعض أشياخه أنه رأى في بعض التفاسير أن الكافر هاهنا : إبليس ، وذلك أنه عاب آدم ، لأنه خُلِقَ من التراب ، فتمنّى يوم القيامة أنه كان بمكان آدم ، فقال : يا ليتني كنت تراباً ^(٢) .

(١) توقف ابن جرير الطبري فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها ، وقال ابن كثير : والأشبه عندي - والله أعلم - أنهم بنو آدم .

(٢) والصحيح أنها عامة في كل كافر ، وإبليس داخل بطريق الأولى .

سورة النازعات

مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْنازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ . قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ . أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ . يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ . أَئِنَّا لَكُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً . قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ . فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾

قوله تعالى : (والنازعات) فيه سبعة أقوال .

أحدها : أنها الملائكة تنزعُ أرواح الكفَّار ، قاله علي ، وابن مسعود . وروى عطية عن ابن عباس قال : هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم ، وبه قال مسروق .

والثاني : أنه الموت ينزع النفوس ، قاله مجاهد .

والثالث : أنها النفس حين تُنزعُ ، قاله السدي .

والرابع : أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب ، قاله الحسن ، وقتادة ، وأبو عبيدة ، والأخفش ، وابن كيسان .

والخامس : أنها القيسي تنزع بالسهم ، قاله عطاء ، وعكرمة .

والسادس : أنها الوحوش تنزع وتنفر ، حكاه الماوردي .

والسابع : : أنها الرامة ، حكاه الثعلبي ^(١) .

قوله تعالى : (غرقاً) اسم أقيم مقام الإغراق . قال ابن قتيبة : والمعنى : والنازعات إغراقاً ، كما يغرق النازع في القوس ، يعني : أنه يبلغ به غاية المد . قوله تعالى : (والناشاطات نشطاً) فيه خمسة أقوال .

أحدها : أنها الملائكة ^(٢) . ثم في معنى الكلام قولان . أحدهما : أنها حين تنشط أرواح الكفار حتى تخرجها بالكرب والغم ، قاله علي رضي الله عنه . قال مقاتل : ينزع ملك الموت روح الكافر ، فإذا بلغت ترقوته غرقها في حلقه ، فيعذب به في حياته ، ثم ينشطها من حلقه - أي : يجذبها - كما ينشط السفود من الصوف المبتل . والثاني : أنها تنشط أرواح المؤمنين بسرعة ، كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنها ، قاله ابن عباس . وقال الفراء : الذي سمعته من العرب : كما أنشط من عقال بألف . تقول : إذا ربطت الحبل في يد البعير : نشطته ، فإذا حللته قلت : أنشطته .

والقول الثاني : أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً . ويإنه أن المؤمن يرى منزله من الجنة قبل الموت فتتنشط نفسه لذلك .

(١) ذكر ابن كثير أن الصحيح في قوله : (والنازعات غرقاً) : الملائكة ، قال : يعنون حين تنزع أرواح بني آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرقه في نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط ، وهو قوله : (والناشاطات نشطاً) .

(٢) وهو الأقرب .

والثالث : أن الناشطات : الموت ينشط نفس الإنسان ، قاله مجاهد .
 والرابع : النجوم تنشط من أفق إلى أفق ، أي : تذهب ، قاله قتادة ،
 وأبو عبيدة ، والأخفش . ويقال لبقر الوحش : نواشط ، لأنها تذهب من موضع
 إلى موضع . قال أبو عبيدة : والهموم تنشط بصاحبها . قال هيمان بن قحافة :
 أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ الْمُنَاشِطَا الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطًا^(١)
 والخامس : أنها النفس حين تنشط بالموت ، قاله السدي .
 قوله تعالى : (والساجات سبحاً) فيه ستة أقوال .
 أحدها : أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين ، قاله علي رضي الله عنه . قال
 ابن السائب : يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء . فأحياناً ينغمس ،
 وأحياناً يرتفع ، يستلونها سلاً رقيقاً ، ثم يدعونها حتى تستريح .
 والثاني : أنهم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين ، كما يقال للفرس الجواد :
 سابح : إذا أسرع في جريه ، قاله مجاهد ، وأبو صالح ، والفراء .
 والثالث : أنه الموت يسبح في نفوس بني آدم ، روي عن مجاهد أيضاً .
 والرابع : أنها السفن تسبح في الماء ، قاله عطاء .
 والخامس : أنها النجوم ، والشمس ، والقمر ، كل في فلك يسبحون ، قاله
 قتادة ، وأبو عبيدة .

والسادس : أنها الخيل ، حكاه الماوردي^(٢) .

(١) البيت في « اللسان » نشط لهيمان بن قحافة راجز إسلامي . وهو في « مجاز القرآن »
 ٢٨٤/٢ والطبري ٢٩/٣٠ والقرطبي ١٩/١٩٠ و « روح المعاني » ٣٠/٢٤ ومعنى البيت :
 يقول : صارت همومي تنقلني من بلد إلى بلد ، فرة إلى الشام ، ومرة إلى واسط .
 (٢) والقول الأول أقرب إلى الصواب .

قوله تعالى : (فالسابقات سبقاً) فيه خمسة أقوال .

أحدها : أنها الملائكة . ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال . أحدها : أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء ، قاله علي ، ومسروق . والثاني : أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، قاله مجاهد ، وأبو روق . والثالث : أنها سبقت بني آدم إلى الإيمان ، قاله الحسن .

والقول الثاني : أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله ، فيقبضونها وقد عاينت السرور ، قاله ابن مسعود .

والثالث : أنه الموت يسبق إلى النفوس ، روي عن مجاهد أيضاً .

والرابع : أنها الخيل ، قاله عطاء .

والخامس : أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير ، قاله قتادة .

قوله تعالى : (فالمدبرات أمراً) قال ابن عباس : هي الملائكة . قال عطاء : وكُلتُ بأمور عَرَفَهم الله العمل بها . وقال عبد الرحمن بن سابط : يُدَبَّرُ أمر الدنيا أربعة أملاك : جبريل ، وهو موكل بالرياح والجنود . وميكائيل ، وهو موكل بالقطر والنبات . وملاك الموت ، وهو موكل بقبض الأنفس . وإسرافيل ، وهو ينزل بالأمر عليهم . وقيل : بل جبريل للوحي ، وإسرافيل للصور . وقال ابن قتيبة : فالمدبرات أمراً : تنزل بالحلل والحرام .

فإن قيل : أين جواب هذه الأقسام ، فعنه جوابان .

أحدهما : أن الجواب قوله تعالى : (إن في ذلك لعلبرة لمن يخشى) ،

قاله مقاتل .

والثاني : أن الجواب مضمّر ، تقديره : لَتُبْعَنَّ ، وَلَتُحَاسِبُنَّ ، ويدل على هذا قوله تعالى : (أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا تَحَرَّةً) قاله الفراء .

قوله تعالى : (يوم تُرْجَفُ الرَّاجِفَةُ) ، وهي النفخة الأولى التي يموت منها جميع الخلائق . و «الراجفة» صيحة عظيمة فيها ترددٌ واضطراب كالرعد إذا تمحض . و «ترجف» بمعنى : تتحرك حركة شديدة (تتبعها الرادفة) وهي : النفخة الثانية ردت الأولى ، أي : جاءت بعدها . وكل شيء جاء بعد شيء فهو يردفه (قلوب يومئذ واجفة) أي : شديدة الاضطراب لما عاينت من أهوال القيامة (أبصارها خاشعة) أي : ذليلة لمعاينة النار . قال عطاء : وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام . ويدل على هذا أنه ذَكَرَ منكري البعث ، فقال تعالى : (يقولون أئنا لمرددون في الحافرة) قرأ ابن عامر وأهل الكوفة «أئنا» بهمزيين مخففتين على الاستفهام ، وقرأ الباقون بتخفيف الأولى وتلوين الثانية ، وفصل بينهما بألف نافع وأبو عمرو . وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال .

أحدها : أن الحافرة : الحياة بعد الموت . فالمعنى : أنرجع أحياء بعد موتنا ؟! وهذا قول ابن عباس ، وعطية ، والسدي . قال الفراء : يعنون : أُنْرَدُ إلى أمرنا الأول إلى الحياة ؟! والعرب تقول : أتيت فلاناً ، ثم رجعت على حافرتي ، أي : رجعت من حيث جئت . قال أبو عبيدة : يقال : رجع فلان في حافرته ، وعلى حافرته : إذا رجع من حيث جاء ، وهذا قول الزجاج .

والثاني : أنها الأرض التي تحفر فيها قبورهم ، فَسُمِّيَتْ حافرةً ، والمعنى : محفورة ، كما يقال : (ماء دافق) [الطارق : ٦] و (عيشة راضية) [الحاقة : ٢١] وهذا قول مجاهد والخليل . فيكون المعنى : أئنا لمرددون إلى الأرض خلقاً جديداً ؟!

قال ابن قتيبة : « في الحافرة » أي : إلى ^(١) أول أمرنا . ومن فسرّها بالأرض ، فإلى هذا يذهب ، لأننا منها بُدِئنا . قال الشاعر :

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ ^(٢)

[كأنه قال : أارجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبا ^(٣)

» بعد ما شُيْتُ وَصَلَعْتُ ؟! ^(٤) .

والثالث : أن الحافرة : النار ، قاله ابن زيد [^(٥) .

قوله تعالى : (أَئِنَّا كُنَّا نَخْرِةً) وقرأ حمزة ، وأبو بكر عن عاصم « نَاخِرَةً » . قال الفراء : وهما بمعنى واحد في اللغة . مثل طَمَعَ ، وَطَامَعَ وَحَذِرَ ، وَحَازِرَ . وقال الأخفش : هما لغتان . وقال الزجاج : يقال : نَخَرَ العظم يَنْخَرُ ، فهو نَخِيرٌ . مثل عَفِنَ الشيء يَعْفَنُ ، فهو عَفِنٌ . وناخرة على معنى : عظماً فارغةً ، يجيئ فيها من هبوب الريح كالنخير . قال المفسرون : والمراد أنهم أنكروا البعث ، وقالوا : مُرَدُّ أحياء إذا متنا وبليت عظامنا ؟! (تلك إذن كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) أي : إن رُدِّدْنَا بَعْدَ الموت لَنَحْسَرَنَّ بما يصيننا مما يَعِدُّنَا به محمد ، فأعلمهم الله بسهولة البعث عليه ، فقال تعالى : (فَإِنَّمَا هِيَ) يعني النفخة الأخيرة (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) أي : صيحة في الصور يسمعونها من إسرافيل وهم في الأرض فيخرجون (فإذا هم بالساهرة) وفيها أربعة أقوال .

(١) في الأصل : « في » والتصحيح من « غريب القرآن » .

(٢) البيت في « غريب القرآن » ٥١٣ ، والطبري ٣٠/٣٣ ، والقرطبي ١٩/١٩٥ ، وهو في « اللسان » حفر قال : وأنشد ابن الأعرابي فذكره .

(٣) في الأصل : أارجع إلى ما كنت عليه في شبابي من القول في الصبا . والتصحيح من « لسان العرب » .

(٤) زيادة من « اللسان » .

(٥) ما بين المعقفين زيادة من النسخة الاستنبولية .

أحدها : أن الساهرة : وجه الأرض ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة والضحاك ، واللغويون ^(١) . قال الفراء : كأنها سميت بهذا الاسم ، لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم .

والثاني : أنه جبل عند بيت المقدس ، قاله وهب بن منبه .

والثالث : أنها جهنم ، قاله قتادة .

والرابع : أنها أرض الشام ، قاله سفيان .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى . فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى . فَكَذَّبَ وَعَصَى . ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى . فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى . أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَسَا . رَفَعَ سُبُكَهَا فَسَوَّاهَا . وَانْقَطَعَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

قوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى) أي : قد جاءك . وقد بينا هذا في (طه : ٩) وما بعده إلى قوله تعالى : (طوى اذهب) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو « طوى اذهب » غير تجزأة . وقرأ الباقون « طوى » منوثة (فقل هل لك إلى أن تزكَّى) وقرأ ابن كثير ، ونافع « تزكَّى » بتشديد الزاي ، أي : تطهر من الشرك (وأهديك إلى ربك) أي : أدعوك إلى توحيده ، وعبادته (فتخشى) عذابه (فأراه الآية الكبرى) وفيها قولان .

(١) وهذا هو الصحيح كما قال ابن كثير ، وبقيّة الأقوال غريبة .

أحدهما : أنها اليد والعصا ، قاله جمهور المفسرين . والثاني : أنها اليد ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (فكذب) أي بأنها من الله ، (وعصى) نبيّه (ثم أدبر) أي : أعرض عن الإيمان (يسعى) أي : يعمل بالفساد في الأرض (فحشر) أي : فجمع قومه وجنوده (فنادى) لما اجتمعوا (فقال أنا ربكم الاعلى) أي : لا ربّ فوقى . وقيل : أراد أن الاصنام أرباب ، وأنا ربّها وربكم . وقيل : أراد : أنا ربّ السادة والقادة .

قوله تعالى : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أن الاولى قوله : « ما علمت لكم من إله غيري » [القصص : ٣٨] والآخرة قوله : « أنا ربكم الاعلى » ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والشعبي ، ومقاتل ، والفراء . ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال ابن عباس : وكان بينهما أربعون سنة . قال السدي : فبقي بعد الآخرة ثلاثين سنة . قال الفراء : فالمعنى : أخذه الله أخذاً نكالاً للآخرة والاولى .

والثاني : المعنى : جعله الله نكال الدنيا والآخرة ، أغرقه في الدنيا ، وعذّبه في الآخرة ، قاله الحسن ، وقتادة . وقال الربيع بن أنس : عذّبه الله في أول النهار بالغرق ، وفي آخره بالنار .

والثالث : أن الاولى : تكذيبه وعصيانه . والآخرة قوله : « أنا ربكم الاعلى » ، قاله أبو رزين .

والرابع : أنها أول أعماله وآخرها ، رواه منصور عن مجاهد . قال الزجاج : النكال : منصوب مصدر مؤكد ، لأن معنى أخذه الله : نكل الله به نكال الآخرة

والأولى : فأغرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة ^(١) .

قوله تعالى : (إن في ذلك) الذي فُعل بفرعون (لعبرة) أي : لعظة (لمن يخشى) الله .

ثم خاطب منكري البعث ، فقال تعالى : (أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) قال الزجاج : ذهب بعض التحويين إلى أن قوله تعالى : (بناها) من صفة السماء ، فيكون المعنى : أم السماء التي بناها . وقال قوم : السماء ليس مما توصل ، ولكن المعنى : أنتم أشد خلقاً ، أم السماء أشد خلقاً . ثم بين كيف خلقها ، فقال تعالى : (بناها) قال المفسرون : أخلقكم بعد الموت أشد عندكم ، أم السماء في تقديركم ؟ وهما في قدرة الله واحد . ومعنى : « بناها » رفعها . وكل شيء ارتفع فوق شيء فهو بناء . ومعنى (رفع سمكها) رفع ارتفاعها وعلوها في الهواء (فسواها) بلا شقوق ، ولا فطور ، ولا تفاوت ، يرتفع فيه بعضها على بعض (وأغطش ليلها) أي : أظلمه فجعله مظلماً . قال الزجاج : يقال : غطش الليل وأغطش ، وغبش وأغبش ، وغسق وأغسق ، وغشي وأغشى ، كله بمعنى أظلم .

قوله تعالى : (وأخرج ضحاها) أي : أبرز نهارها . والمعنى : أظهر نورها بالشمس . وإنما أضاف النور والظلمة إلى السماء لأنها عنها يصدران (والأرض بعد ذلك) أي : بعد خلق السماء (دحاها) أي : بسطها . وبعض من يقول : إن الأرض خلقت قبل السماء يزعم أن « بعد » هاهنا بمعنى « قبل » ، كقوله

(١) قال ابن كثير : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي : انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) كما قال تعالى : (وجعلناهم أمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينجسون) قال : وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله : (نكال الآخرة والأولى) أي الدنيا والآخرة .

تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) [الأنبياء : ١٠٥] . وبعضهم يقول : هي بمعنى « مع » ، كقوله تعالى : (عَتُلُّ بعد ذلك زنيم) [القلم : ١٣] ، ولا يمتنع أن تكون الأرض خلقت قبل السماء ، ثم دحيت بعد كمال السماء ، وهذا مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص . وقد أشرنا إلى هذا الخلاف في (البقرة : ٢٩) ^(١) . ونصبت الأرض بمضمر تفسيره قوله تعالى : (دحاها) .

(أخرج منها ماءها) أي : فجسّر العيون منها (ومرعاها) وهو ما يأكله الناس والأنعام (والجبال أرساها) قال الزجاج : أي : أنبتها (متاعاً لكم) أي : للإمتاع ، لأن معنى أخرج منها ماءها ومرعاها : أمتع بذلك . وقال ابن قتيبة : « متاعاً لكم » أي : منفعة [لكم] .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى . يَوْمَ يَدْعُ الْإِنْسَانُ مَاسِعَى . وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى . فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى . يُسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسُهَا . فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَا . إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَهَا . كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴾
قوله تعالى : (فإذا جاءت الطامة الكبرى) والطامة : الحادثة التي تطم على ما سواها ، أي : تعلو فوقه . وفي المراد بها هاهنا ثلاثة أقوال .

أحدها : النفخة الثانية التي فيها البعث .

(١) قال ابن كثير ٩٢/٤ : أما خلق الأرض ، فقبل خلق السماء بالنص ، وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنها فيما ذكره البخاري . انظر « صحيح البخاري » ٤٢٧/٨ ، ٤٢٨ . ثم قال ابن كثير ٤٦٨/٤ : ولكن لما دحيت الأرض بعد خلق السماء ، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل ، قال : وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد ، واختاره ابن جرير .

والثاني : أنها حين يقال لأهل النار : قوموا إلى النار .

والثالث : أنها حين يساق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار .

قوله تعالى : (يتذكر الإنسان ما سعى) أي : ما عمل من خير وشر (ويرزق الجحيم لمن يرى) أي : لأبصار الناظرين . قال مقاتل : يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق . وقرأ أبو مجلز ، وابن السميع « لمن ترى » بالثاء . وقرأ ابن عباس ، ومعاذ القاري « لمن رأى » بهزة بين الراء والألف .

قوله تعالى : (فأما من طغى) في كفره (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة (فإن الجحيم هي المأوى) قال الزجاج : أي هي المأوى له . وهذا جواب « فإذا جاءت الطامة » فإن الأمر كذلك .

قوله تعالى : (وأما من خاف مقام ربه) قد ذكرناه في سورة (الرحمن : ٤٦) . قوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى) أي : عما تهوى من المحرم . قال مقاتل : هو الرجل يهيم بالمعصية ، فيذكر مقامه للحساب ، فيتركها .

قوله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) قد سبق في (الأعراف : ١٨٧) (فيم أنت من ذكراها) أي : لست في شيء من علمها وذكورها . والمعنى : إنك لا تعلمها (إلى ربك متنهاها) أي : متبهي علمها (إنما أنت منذر من يخشاها) وقرأ أبو جعفر « منذر » بالتثوين . ومعنى الكلام : إنما أنت 'مخوف' من يخافها . والمعنى : إنما ينفع إنذارك من يخافها ، وهو المؤمن بها . وأما من لا يخافها فكأنه لم يندّر (كأنهم) يعني : كفار قريش (يوم يرونها) أي : يعاينون القيامة (لم يلبثوا) في الدنيا . وقيل : في قبورهم (إلا عشيّة أو ضحاها) أي : قدّر آخر النهار من بعد العصر ، أو أوله إلى أن ترتفع

الشمس . قال الزجاج : والهاء والألف في « ضحاها » عائدان ^(١) إلى العشيّة .
والمعنى : إلا عشيّة ، أو ضحى العشيّة . قال الفراء :

فإن قيل : للعشيّة ضحى ، إنما الضحى لصدر النهار ؟

فالجواب : أن هذا ظاهر في كلام العرب أن يقولوا : آتيك العشيّة ،
أو غداً ، أو آتيك الغداة ، أو عَشِيَّتَهَا ، فتكون العشيّة في معنى « آخر » ، والغداة
في معنى « أول » . أنشدني بعض بني عقيل :

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً فِي دَارِهَا عَشِيَّةَ الْهِلَالِ أَوْ سِرَارِهَا ^(٢)

أراد : عشيّة الهلال ، أو عشيّة سرار العشيّة ، فهذا أشد من قولهم : آتيك
الغداة أو عشيّها .



(١) في الأصل : عائد .

(٢) البيت لبعض بني عقيل ، أنشده الفراء في « معاني القرآن » ، (٣٥٧) عند قوله

تعالى : (إلا عشيّة أو ضحاها) وهو في الطبري ٥٠/٣٠ والقرطبي ٢٠٨/١٩ .

سورة عبس

مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى . أَوْ يَذْكُرُ
فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى . أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى .
وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى . وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى . كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ،
فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ . فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ .
كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾

قوله تعالى : (عبس وتولى) قال المفسرون : كان رسول الله ﷺ يوماً
يناجي عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام ، وأمية وأبياً ابني خلف ، ويدعوهم إلى
الله تعالى ، ويرجو إسلامهم ، فجاء ابن أم مكتوم الأعمى ، فقال : علمني
يا رسول الله بما علمك الله ، وجعل يناديه ، ويكرّر النداء ، ولا يدري أنه
مشتغل بكلام غيره ، حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه ، فأعرض عنه
رسول الله ﷺ ، وأقبل على القوم يكلمهم ، فنزلت هذه الآيات ، فكان
رسول الله ﷺ يكرمه بعد ذلك ، ويقول : مرحباً بمن عاتبني فيه

ربي^(١) . وذهب قوم ، منهم مقاتل ، إلى أنه إنما جاء ليؤمن ، فأعرض عنه النبي ﷺ اشتغالاً بالرؤساء ، فنزلت فيه هذه الآيات .

ومعنى « عبس » قطب وكَلَح « وتَوَلَّى » أَعرض بوجهه (أن جاءه) أي : لأن جاءه . وقرأ أبي بن كعب ، والحسن ، وأبو المتوكل ، وأبو عمران ، « أن جاءه » بهمزة واحدة مفتوحة بمدودة . وقرأ ابن مسعود ، وابن السميع « أن » بهمزتين مقصورتين مفتوحتين . و (الأعمى) هو ابن أم مكتوم ، واسمه عمرو بن قيس . وقيل : اسمه عبد الله بن عمرو (وما يدريك لعلَّه يزكِّي) أي : يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح ، وما يتعلمه منك . وقال مقاتل : لعله يؤمن (أو يَذْكُرُ) أي : يتعظ بما يتعلمه من مواضع القرآن (فتنفعه الذكرى) قرأ حفص عن عاصم « فتنفعه » بفتح العين ، والباقون برفعها . قال الزجاج : من نصب ، فعلى جواب « لعل » ، ومن رفع ، فعلى العطف على « يزكِّي » .

قوله تعالى : (أما من استغنى) قال ابن عباس : استغنى عن الله وعن الإيمان بآله . قال مجاهد : « أما من استغنى » : عتبة ، وشيبة ، (فأنت له تَصَدَّى) . قرأ ابن كثير ، ونافع « تَصَدَّى » بتشديد الصاد . وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ،

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » ص ٣٣٣ بغير سند ، وقال الحافظ في « تخريج أحاديث الكشاف » ١٨١ ذكره الثعلبي بلا إسناد ، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه . وأخرج الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، وابن حبان عن عائشة قالت : أنزلت سورة « عبس وتولى » في ابن أم مكتوم الأعمى ، أنى رسول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ، ويقبل على الآخر ، ويقول : أترى بما أقول بأساً ؟ فيقول : لا ، ففي هذا أنزلت .

وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي « تَصَدَّى » بفتح التاء ، والصاد وتخفيفها ،
 وقرأ أبي بن كعب ، وأبو الجوزاء ، وعمرو بن دينار : « تَتَصَدَّى » بتاءين
 مع تخفيف الصاد . قال الزجاج : الأصل : تصدى ، ولكن حذفت التاء الثانية
 لاجتماع تاءين . ومن قرأ « تَصَدَّى » بإدغام التاء ، فالمعنى أيضاً : تصدى ،
 إلا أن التاء أدغمت في الصاد لقرب مخرج التاء من الصاد . قال ابن عباس :
 « تَصَدَّى » تقبل عليه بوجهك . وقال ابن قتيبة : تعرض^(١) . وقرأ ابن مسعود ،
 وابن السميع ، والجدري « تُصَدَّى » بتاء واحدة مضمومة ، وتخفيف الصاد .
 قوله تعالى : (وما عليك) أي : أي شيء عليك في أن لا يُسَلِّمَ مَنْ تدعوه
 إلى الإسلام ؟ يعني : أنه ليس عليه إلا البلاغ .
 (وأما من جاءك يسعى) فيه قولان .

أحدهما : يمشي .

والثاني : يعمل في الخير ، وهو ابن أم مكتوم (وهو يخشى) الله (فأتى
 عنه تلهى) وقرأ ابن مسعود ، وطلحة بن مصرف ، وأبو الجوزاء « تلهى » بتاءين .
 وقرأ أبي بن كعب ، وابن السميع ، والجدري « تَلْهَى » بتاء واحدة خفيفة
 مرفوعة . قال الزجاج : أي : تتشاغل عنه . يقال : لهيت عن الشيء ألهى عنه :
 إذا تشاغلته عنه .

قوله تعالى : (كلا) أي : لا تفعل ذلك . (إنها) في المكني عنها قولان .
 أحدهما : آيات القرآن ، قاله مقاتل .

والثاني : هذه السورة ، قاله الفراء « والتذكرة » بمعنى التذكير (فمن شاء
 ذكره) مفسر في آخر (المدثر : ٥٥) . ثم أخبر بجلالة القرآن عنده ، فقال تعالى :

(١) وفي « غريب القرآن » تعرض .

(في صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ) أي : هو في صحف ، أي : في كتب مكرّمة ، وفيها قولان .

أحدهما : أنها اللوح المحفوظ ، قاله عتاتل .

والثاني : كتب الأنبياء ، ذكره الثعلبي . فعلى هذا يكون معنى « مرفوعة » عالية القدر . وعلى الأول يكون رفعها كونها في السماء . وفي معنى « المطهرة » أربعة أقوال .

أحدها : مطهرة من أن تنزل على المشركين ، قاله الحسن . والثاني : مطهرة من الشرك والكفر ، قاله مقاتل . والثالث : لأنه لا يمسها إلا المطهرون ، قاله الفراء . والرابع : مطهرة من الدنس ، قاله يحيى بن سلام .

قوله تعالى : (بأيدي سفرة) فيهم قولان .

أحدهما : أنهم الملائكة ، قاله الجمهور .

والثاني : أصحاب محمد ﷺ ، قاله وهب بن منبه .

وفي معنى « سفرة » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم الكتبة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج . قال الزجاج : واحد : سافر ، وسفرة ، مثل كاتب ، وكتبة ، وكافر ، وكفرة . وإنما قيل للكتاب : سفر ، وللكتاب : سافر ، لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه . يقال : أسفر الصبح : إذا أضاء . وسفرت المرأة : إذا كشفت النقاب عن وجهها . ومنه : سفرت بين القوم ، أي : كشفت ما في قلب هذا ، وقلب هذا ، لأُصلِحَ بينهم .

والثاني : أنهم القراء ، قاله قتادة .

والثالث : أنهم السفراء ، وهم المصلحون . قال الفراء : تقول العرب : سفرتُ بين القوم ، أي : أصلحتُ بينهم ، فجعلتُ الملائكة إذا نزلت بوحى الله ، كالسفير الذي يصلح بين القوم . قال الشاعر :

وَمَا أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَمَا أَمْشِي بِغَيْشٍ إِنْ مَشَيْتُ^(١)

قوله تعالى : (كِرَامٍ) أي : على ربهم (بَرَرَةٍ) أي : مطيعين . قال الفراء : واحد « البررة » في قياس العربية : بارٌّ ، لأن العرب لا تقول : فَعَلَّةٌ ينوون به الجمع إلا والواحد منه فاعل ، مثل كافر ، وكفرة ، وفاجر ، وفجرة .

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ حَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ حَلَقَهُ فَقَدَرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ . ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ . كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعَيْنًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

قوله تعالى : (قتل الإنسان) أي : لعن . والمراد بالإنسان هاهنا : الكافر . وفيمن عنى بهذا القول ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه أشار إلى كل كافر ، قاله مجاهد . والثاني : أنه أُمِيَّة بن خلف ، قاله الضحاك . والثالث : عتبة بن أبي لهب ، قاله مقاتل .

وفي قوله تعالى : (ما أكفره) ثلاثة أقوال .

أحدها : ما أشد كفره ، قاله ابن جريج .

(١) البيت من شواهد الفراء في « معاني القرآن » (٣٥٨) وفي « اللسان » سفر ،

وهو في الطبري ٥٤/٣٠ والقرطبي ٢١٤/١٩ وابن كثير ٤/٧١ .

والثاني : أي شيء أكفره ؟ قاله السدي . فعلى هذا يكون استفهام توبيخ .
الثالث : أنه على وجه التعجب ، وهذا التعجب يؤمر به الآدميون والمعنى :
اعجبوا أنتم من كفره ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (من أي شيء خلقه) ثم فسره فقال تعالى : (من نطفة خلقه) .
وفي معنى « فقدره » ثلاثة أقوال .

أحدها : قدر أعضاءه : رأسه ، وعينه ، ويديه ، ورجليه ، قاله
ابن السائب .

والثاني : قدره أطواراً : نطفة ، ثم علقه ، إلى آخر خلقه ، قاله مقاتل .
والثالث : فقدّره على الاستواء ، قاله الزجاج .
(ثم السيل يسره) فيه قولان .

أحدهما : سهل له العلم بطريق الحق والباطل ، قاله الحسن ، ومجاهد . قال
الفراء : والمعنى : ثم يسره للسيل .

والثاني : يسر له السيل في خروجه من بطن أمه ، قاله السدي ، ومقاتل^(١)
قوله تعالى : (فأقبّره) قال الفراء : أي جعله مقبوراً ، ولم يجعله ممن يلقى للسياح والطير ،
فكان القبر مما أكرم به المسلم . ولم يقل : قبره ، لأن القابر هو الدافن بيده .
والمقبر الله ، لأنه صيره مقبوراً ، فليس فعله كفعل الآدمي . والعرب تقول :
بترت ذنب البعير ، والله أبتره . وعصبت قرن الثور ، والله أعصبه .
وطردت فلاناً عني ، والله أطرده ، أي : صيره طريداً . وقال أبو عبيدة :
أقبّره : أي أمر أن يقبر ، وجعل له قبراً . قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل

(١) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وغيره .

صالح بن عبد الرحمن : أقبرنا صالحاً ، فقال : دونكموه . والذي يدفن بيده هو القابر .
قال الأعشى :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيِّتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُسَلِّمْ إِلَى قَابِرِ^(١)

قوله تعالى : (ثم إذا شاء أنشره) أي : بعثه . يقال : أنشر الله الموتى ،
فَنَشَرُوا ، ونَشَرَ المَيِّتُ : حَيَّيَ [هو] بِنَفْسِهِ ، وواحدهم ناشر . قال الأعشى :
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ^(٢)

قوله تعالى : (كلا) قال الحسن : حقاً (لما يقض ما أمره) به ربّه ، ولم
يؤدّ ما فرض عليه . وهل هذا عام ، أم خاص ؟ فيه قولان .
أحدهما : أنه عام . قال مجاهد : لا يقضي أحد أبداً كلّ ما افترض الله
عليه^(٣) .

(١) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس ، ديوانه ١٣٩ من قصيدة يهجو بها علقمة بن
علائة ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما ، وهو في « مجاز القرآن » ٢٨٦/٢
والطبري ٥٦/٣٠ والقرطبي ٢١٧/١٩ .
ورواية البيت فيها : عاش ولم يُنْقَلْ إلى قابر .

(٢) هو أيضاً للأعشى الكبير من القصيدة نفسها (١٤١) وبعده البيت
السابق بلا فاصل بينها ، وهو في « مجاز القرآن » لأبي عبيد ٢٨٦/٢ والطبري ٥٦/١٠
والقرطبي ٢١٧/١٩ .

(٣) قال ابن كثير : وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا ، قال : ولم أجد
للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا ، والذي يقع لي في معنى ذلك - والله أعلم - أن المعنى : (ثم
إذا شاء أنشره) أي : بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أي : لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة
ويفرغ القدر من بني آدم من كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا ، وقد أمر به تعالى
كبراً وقدرًا ، فاذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلاق وأعادهم كما بدأهم .

والثاني : أنه خاص للكافر لم يقض ما أمَرَ به من الإيمان والطاعة ، قاله يحيى بن سلام . ولما ذَكَرَ خَلْقَ ابن آدم ، ذكر رزقه ليعتبر وليستدلّ بالنبات على البعث ، فقال تعالى : (فلينظر الإنسان إلى طعامه) قال مقاتل : يعني به عتبة بن أبي لهب . ومعنى الكلام : فلينظر الإنسان كيف خلق الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته ؟ ثم بين فقال تعالى : (أنا) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « إنا » بالكسر . وقرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي (أنا صبيناً) بفتح الهمزة في الوصل وفي الابتداء ، ووافقهم رويس على فتحها في الوصل ، فإذا ابتدأ كسر . قال الزجاج : من كسر « إنا » فعلى الابتداء والاستئناف ، ومن فتح ، فعلى البدل من الطعام ، المعنى : فلينظر الإنسان أنا صبيناً . قال المفسرون : أراد بصب الماء : المطر (ثم شققنا الأرض) بالنبات (شقاً فأنبثنا فيها حباً) يعني به جميع الحبوب التي يُتَغَذَّى بها (وعنباً وقضباً) قال الفراء : هو الرطبة . وأهل مكة يسمون القَتَّ : القضب^(١) . قال ابن قتيبة : ويقال : إنه سمي بذلك ، لأنه يُقْضَبُ مرة بعد مرة ، أي : يقطع ، وكذلك القَصِيلُ ، لأنه يُقْصَلُ ، أي : يقطع .

قوله تعالى : (وزيتوناً ونخلًا وحدائقٍ غُلْبًا) قال الفراء : كل بستان كان عليه حائط ، فهو حديقة ، وما لم يكن عليه حائط لم يقل : حديقة . والغُلْبُ : ما غلظ من النخل . قال أبو عبيدة : يقال : شجرة غُلْبَاء : إذا كانت غليظة . وقال ابن قتيبة : الغُلْبُ : الغلاظ الأعناق . وقال الزجاج : هي المتكاثفة ، العظام .

(١) القضب : الرطبة ، ويقال لها : الفِصْفِصَة ، وهي التي تأكلها الدواب رطبةً ، ويقال لها : القَتُّ أيضاً ، وكلها بمعنى واحد .

قوله تعالى : (وفاكة) يعني : ألوان الفاكة (وأبأ) فيه قولان .

أحدهما : أنه ما ترعاه البهائم ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، واللغويون .
وقال الزجاج : هو جميع الكلأ التي تعتلفه الماشية .

والثاني : أنه الثار الرطبة ، رواه الوالي عن ابن عباس ^(١) .

(متاعاً لكم ولأنعامكم) قد بيناه في السورة التي قبلها [النازعات : ٣٣] .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ . يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ
وَبَنِيهِ . لِكُلِّ أُمْرٍءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ . ضَاحِكَةٌ
مُسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ . تَرَهَقَهَا قَرَّةٌ . أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

قوله تعالى : (فإذا جاءت الصاخة) وهي الصيحة الثانية . قال ابن قتيبة :
الصاخة تصيخُ صَخاً ، أي : تُصِمُّ . يقال : رجل أصخ ، وأصلخ : إذا كان

(١) وما ورد من أن أبابكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى : (وفاكة
وأبأ) فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تغطي إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ، فقد
رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في « فضائل القرآن » ، من رواية محمد بن زيد عن العوام بن حوشب
عن إبراهيم التيمي عن أبي بكر رضي الله عنه ، وهو منقطع بين إبراهيم التيمي وبين أبي بكر
رضي الله عنه . وقد روى ابن جرير قال : حدثنا بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، حدثنا
حميد ، عن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (عبس وتولى) حتى أتى على
هذه الآية (وفاكة وأبأ) قال : قد عرفنا ما الفاكة فما الأب ؟ فقال : لعمر يا ابن الخطاب
إن هذا هو التكلف . قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح ، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد
رواه غير واحد عن أنس به ، ولكن هذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه
وعينه ، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض ، لقوله تعالى : (فأنبتنا
فيها حباً وغنّاً وقصباً وزيتوناً ونخلًا وحدائقاً غلباً وفاكة وأبأ) .

لا يسمع . والداهية صاخة أيضاً . وقال الزجاج : هي الصيحة التي تكون عليها
الفيامة ، تصخ الأسماع ، أي : تصمها ، فلا تسمع إلا ما تدعى به لإحيائها . ثم
فسر في أي وقت تجيء ، فقال تعالى : (يوم يَفِرُّ المرء من أخيه) قال المفسرون :
المعنى : لا يلتفت الإنسان إلى أحد من أقاربه ، لِعِظَم ما هو فيه . قال الحسن :
أول من يَفِرُّ من أخيه هابيل ، ومن أمه وأبيه إبراهيم ، ومن صاحبه نوح
ولوط ، ومن ابنه نوح . وقال قتادة : يفر هابيل من قابيل ، والنبي ﷺ من
أمه ، وإبراهيم من أبيه ، ولوط من صاحبه ، ونوح من ابنه ^(١) .

قوله تعالى : (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه) قال الفراء : أي : يَشْغَلْهُ
عن قرابته . وقال ابن قتبية : أي : يَصْرِفُهُ ويصدّه عن قرابته ، يقال : اغْنِ
عني وجهك ، أي : اصرفه ، واغْنِ عني السفيه . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ،
والزهري ، وأبو العالية ، وابن السميع ، وابن محيصن ، وابن أبي عبله « يغنيه »
بفتح الياء والعين غير معجمة . قال الزجاج : معنى الآية : له شأن لا يقدر مع
الاهتمام به على الاهتمام بغيره . وكذلك قراءة من قرأ « يغنيه » بالغين ، معناه :
له شأن لا يهيمه معه غيره .

(١) والصحيح أن الآية عامة . قال الخازن : وفائدة الترتيب : كأنه قيل : يوم يفر
المرء من أخيه ، بل من أبويه لأنها أقرب من الإخوة ، بل من صاحبة والولد ، لأن تعلقه
بهما أشد من تعلقه بالأبوين . قال ابن كثير : يرام ويفر منهم ، لأن الهول عظيم ، والخطب
جليل . ثم قال : وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم
أن يشفع عند الله في الخلائق يقول : نفسي نفسي ، لا أسألك اليوم إلا نفسي ، حتى إن
عيسى بن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدني .

وقد روى أنس بن مالك قال : قالت عائشة للنبي ﷺ : أنحشر عرأة ؟ قال : نعم . قالت : واسوءناه ، فأنزل الله تعالى : (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) ^(١) .

قوله تعالى : (وجوه يومئذ مُسْفِرَةٌ) أي : مضيئة قد علت ما لها من الخير (ضاحكة) لسرورها (مستبشرة) أي : فرحة بما نالها من كرامة الله عز وجل (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي : غبار . وقال مقاتل : أي : سواد وكآبة (ترهقها) أي : تغشاها (قتره) أي : ظلمة . وقال الزجاج : يعلوها سواد كالدخان . ثم يبين من أهل هذه الحال ، فقال تعالى : (أولئك هم الكفرة الفجرة) وهو جمع كافر وفاجر .

(١) رواه بنحوه الطبري ٦١/٣٠ من رواية الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس ، ورواه ابن أبي حاتم من رواية أزهر بن حاتم عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح به ، وعائذ بن شريح ، قال أبو حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » : في حديثه ضعف . وروى الترمذي في « سننه » ١٦٨/٢ عن ابن عباس رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « تحشرون حفاة عراة غولاً » فقالت امرأة : أيُبصر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ ! قال : بإفلاحة (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قد روي من غير وجه عن ابن عباس . وروى مسلم في « صحيحه » ٢١٩٤/٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غولاً » (غير محتولين) قلت : يارسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ﷺ : « بإعاشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » .

سورة التكوير

وهي مكية كلها ياجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا اشْمَسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ .
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا
النَّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا الْمَوْؤَدَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ
نُشِرَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ .
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ﴾

روى أبو عبد الله الحاكم في « صحيحه » من حديث عبد الله بن عمر ،
قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ
قوله تعالى : (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) ^(١) .

وفي قوله تعالى : (كُوِّرَتْ) أربعة أقوال .

(١) أخرجه أحد في « المسند » رقم ٤٨١٦ و ٤٩٣٤ و ٤٩٤١ و ٥٧٥٥ وإسناده
صحيح ، والترمذي ١٦٨/٢ ، والحاكم ٥١٥/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأورده السيوطي
في « الدر » ٣١٩/٦ وزاد نسبتهم لابن المنذر وابن مردويه .

أحدها : أظلمت ، رواه الوالي عن ابن عباس ، وكذلك قال الفراء : ذهب ضوؤها ، وهذا قول قتادة ، ومقاتل .

والثاني : ذَهَبَتْ ، رواه عطية عن ابن عباس ، وكذلك قال مجاهد : اضمحلت .

والثالث : غَوَّرَتْ ، روي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وابن الأنباري ، وهذا من قول الناس بالفارسية : كَوْرَبَكَرد^(١) . وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال : هو بالفارسية كورُبور .

والرابع : أنها تُكَوِّرُ مثل تكوير العمامة ، قُتِلَفُ وتمحى ، قاله أبو عبيد . قال الزجاج : ومعنى « كَوَّرَتْ » جمع ضوؤها ، وَلُفَّتْ كما تلف العمامة . ويقال : كَوَّرْتُ العمامة على رأسي أَكَوَّرُهَا : إِذَا لَفَفْتُهَا . قال المفسرون : تُجْمَعُ الشمس بعضها إلى بعض ، ثم تُلَفُّ ويرمى بها في البحر . وقيل : في النار^(٢) . وقيل : تعاد إلى ما خلقت منه .

قوله تعالى : (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) أي : تناثرت ، وتهافت . يقال : انكدر الطائر في الهواء : إِذَا انْقَضَّ (وَإِذَا الْجِبَالُ سَيَّرَتْ) عن وجه الأرض ، فاستوت مع الأرض (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) قال المفسرون وأهل اللغة : العشار النوق الحوامل ، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فقبل لها : العشار لذلك ، وذلك الوقت أَحْسَنُ زَمَانٍ حَمَلِهَا ، وهي تضع إِذَا وَضَعَتْ لتأم في سنة ، فهي أنفس ما للعرب عندهم ، فلا يعطلونها إلا لإتيان ما يشغلهم عنها ، وإلما

(١) أخرجه عن سعيد بن جبير الطبري ، ونقله عنه ابن كثير ، والسيوطي في « الدد المنثور » بالفاظ مختلفة .

(٢) وقد ورد في المرفوع من حديث أبي هريرة « الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة » رواه الطحاوي في « مشكل الآثار » وإسناده صحيح . ورواه بنحوه أبو يعلى والبيهقي من حديث أبي هريرة ، والطيالسي من حديث أنس . وذلك تبكيتهما لمن عبدهما في الدنيا .

خوطبت العرب بأمر العشار ، لأن أكثر عيشهم ومالهم من الإبل . ومعنى «عُطِّلَتْ»
سُيِّبَتْ وَأُهْمِلَتْ ، لاشتغالهم عنها بأهوال القيامة .

قوله تعالى : (وإذا الوحوش) يعني : دواب البحر (حشرت) وفيه قولان .
أحدهما : ماتت ، قاله ابن عباس .

والثاني : جمعت إلى القيامة ، قاله السدي . وقد زدنا هذا شرحاً في
(الأنعام : ١١١) .

قوله تعالى : (وإذا البحار سجّرت) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو « سَجِرَتْ »
بتخفيف الجيم ، وقرأ الباقر بتشديدها .
وفي المعنى ثلاثة أقوال .

أحدها : أوقِدَتْ فاشتعلت ناراً ، قاله علي وابن عباس .
والثاني : يبست ، قاله الحسن .

والثالث : ملئت بأن صارت بجرّاً واحداً ، وكثر ماؤها ، قاله ابن السائب ،
والفراء ، وابن قتيبة .

قوله تعالى : (وإذا النفوس زُوِّجَتْ) فيه ثلاثة أقوال .
أحدها : قرنت بأشكالها ، قاله عمر رضي الله عنه . الصالح مع الصالح في
الجنة ، والفاجر مع الفاجر في النار ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ^(١) .
والثاني : رُدَّتْ الأرواح إلى الأجساد ، فزُوِّجَتْ بها ، قاله الشعبي . وعن
عكرمة كالقولين .

والثالث : زُوِّجَتْ أنفس المؤمنين بالخور العين ، وأنفس الكافرين بالشياطين ،
قاله عطاء ، ومقاتل .

(١) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وابن كثير ، وهو الصحيح .

قوله تعالى : (وإذا الموءودة سئلت) قال اللغويون : الموءودة : البنت تُدْفَن وهي حَيَّةٌ ، وكان هذا من فعل الجاهلية . يقال : وَاَدَّ وَلَدَهُ ، أي : دفنه حياً . قال الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا تِ فَأَحْيَا الْوَيْدَ وَلَمْ يُوَادِّ^(١)

يعني : صعصة بن صوحان ، وهو جد الفرزدق . قال الزجاج : ومعنى سؤالها : تَبَكَّيت قَاتِلِيهَا فِي الْقِيَامَةِ ، لأن جوابها : قتلتي بغير ذنب . ومثل هذا التبكيت قوله تعالى : (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ ؟) [المائدة : ١١٦] .
وقرأ علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو عبد الرحمن ، وابن يعمر ، وابن أبي عمير ، وهارون عن أبي عمرو « سَأَلْتُ » بفتح السين ، وألف بعدها (بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ) يأسكان اللام ، وضم التاء الأخيرة . وسؤالها هذا أيضاً تبكيت لقاتليها . قال ابن عباس : كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت ، فكان أوان ولادها حفرت حفيرة ، فتمخضت على رأس الحفيرة ، فإن ولدت جارية رَمَتْ بها في الحفيرة ، وإن ولدت غلاماً حبسته .

قوله تعالى : (وإذا الصحفُ نُشِرَتْ) قرأ نافع ، وعاصم ، وأبو جعفر ، وابن عامر ، ويعقوب « نُشِرَتْ » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد . والمراد بالصحف : صحائف أعمال بني آدم تنشر للحساب (وإذا السماء كَشِطَتْ) قال الفراء : نَزَعَتْ ، فَطُوِيَتْ . وفي قراءة عبد الله « قَشِطَتْ » بالقاف ، وهكذا تقول قيس ، وتميم ، وأسد ، بالقاف . وأما قریش ، فتقوله بالكاف ، والمعنى واحد .

(١) ديوانه ٢٠٣/١ . وفي « الاغانى » و « الكامل » و « معاهد التنصيص » : وجدي الذي منع الوائدات ، وهو في « اللسان » وأد ، و « مجاز القرآن » ٢٨٧/٢ ، والقرطبي ٢٣١/١٩ ، و « شواهد الكشاف » ١٠٢ .

والعرب تقول : القافور ، والكافور ، والقسط ، والكسط . وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات ، كما يقال : حَدَثٌ ، وَحَدَثٌ . قال ابن قتيبة : كَشِطَتْ كما يُكَشِطُ الغِطَاءُ عن الشيء ، فطُوِيَتْ . وقال الزجاج : قلعت كما يقلع السقف . و (سَعِرَتْ) أوقدت . وقرأ نافع ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم « سَعِرَتْ » مشددة . قال الزجاج : المعنى واحد . إلا أن معنى المشدد : أوقدت مرة بعد مرة . و (أُرْلِفَتْ) قُرِبَتْ من المتقين . وجواب هذه الأشياء (علمت نفس ما أحضرت) أي : إذا كانت هذه الأشياء عُلِمَتْ في ذلك الوقت كل نفس ما أحضرت من عمل ، فأثبت على قدر عملها . وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال في قوله تعالى : (علمت نفس ما أحضرت) : لهذا جرى الحديث^(١) . وقال ابن عباس : من أول السورة إلى هاهنا اثنتا عشرة خصلة ، ستة في الدنيا ، وستة في الآخرة .

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : (فلا أقسم) لا زائدة ، والمعنى : أقسم (بالخنوس) وفيها خمسة أقوال .

(١) في تفسير ابن كثير : أجرى الحديث .

أحدها : أنها خمسة أنجم تخنُس بالنهار فلا تُرى ، وهي : زُحَل ، وعُطارد ،
والمشتري ، والمريخ ، والزهرة ، قاله علي ، وبه قال مقاتل ، وابن قتيبة . وقيل :
اسم المشتري : البرجس . واسم المريخ : بهرام .

والثاني : أنها النجوم ، قاله الحسن وقتادة على الإطلاق ، وبه قال
أبو عبيدة .

والثالث : أنها بقر الوحش ، قاله ابن مسعود .

والرابع : الظباء ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبیر .

والخامس : الملائكة ، حكاه الماوردي . والأكثر على أنها النجوم ^(١) .

قال ابن قتيبة : وإنما سماها خُنْساً ، لأنها تسير في البروج والمنازل ، كسير
الشمس والقمر ، ثم تَخْنُس ، أي : ترجع ، بينما يرى أحدها في آخر البروج
كرراً راجعاً إلى أوله ، وسماها كُنْساً ، لأنها تكنس ، أي : تسير كما تكنس
الظباء . وقال الزجاج : تخنس ، أي : تغيب ، وكذلك تكنس ، أي : تغيب
في المواضع التي تغيب فيها . وإذا كان المراد الظباء فهو يدخل الكناس ، وهو
الفصن من أغصان الشجر . ووقف يعقوب على « الجواري » بالياء .

قوله تعالى : (والليل إذا عسعس) فيه قولان .

أحدهما : ولَّى ، قاله ابن عباس ، وابن زيد ، والفراء .

والثاني : أقبل ، قاله ابن جبیر ، وقتادة . قال الزجاج : يقال : عسعس
الليل : إذا أقبل . وعسعس : إذا أدبر . واستدل من قال : إن المراد : إدباره

(١) وهو الأقرب إلى الصواب .

بقوله تعالى (والصبح إذا تَنَفَّسَ) وأنشد أبو عبيدة لعلقمة بن قرط :

حتى إذا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسًا وانجباب عنها لَيْلُها وَعَسْعَسًا^(١)

وفي قوله تعالى : (تَنَفَّسَ) قولان .

أحدهما : أنه طلوع الفجر ، قاله علي وقتادة .

والثاني : طلوع الشمس ، قاله الضحاك . قال الزجاج : معناه : إذا امتد حتى يصير نهراً يَبِينًا . وجواب القسم في قوله : (فلا أقسم بالخنس) وما بعده قوله : (إنه لقول رسول كريم) يعني : أن القرآن نزل به جبريل . وقد بينّا هذا في (الحاقة : ٤٠) . ثم وصف جبريل بقوله تعالى : (ذي قوة) وهو كقوله تعالى : (ذو مرة) وقد شرحناه في (النجم آية : ٦) (ذي قوة عند ذي العرش مكين) يعني : في المنزلة (مُطَاعٌ ثُمَّ آمِنٌ) أي : في السموات طيعه الملائكة . فَمِنْ طَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ : أنه أَمَرَ خَازِنَ الْجَنَّةِ ليلة المعراج حتى فتحها لمحمد ﷺ فدخلها ورأى ما فيها ، وأمر خازن جهنم ففتح له عنها حتى نظر إليها . وقرأ أبي بن كعب ، وابن مسعود ، وأبو حيوة « ثُمَّ » بضم التاء . ومعنى « آمِن » ، على وحي الله ورسالاته . قال أبو صالح : آمِن على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن .

قوله تعالى : (وما صاحبكم بمجنون) يعني محمداً ﷺ ، والخطاب لأهل مكة .

قال الزجاج : وهذا أيضاً من جواب القسم ، وذلك أنه أقسم أن القرآن نزل به جبريل ، وأن محمداً ليس بمجنون كما يقول أهل مكة .

(١) مجاز القرآن ، ٢/٢٨٨ ، والطبري ٣٠/٧٩ ، والقرطبي ١٩/٢٣٦ .

قوله تعالى : (ولقد رآه بالأفق المبين) قال المفسرون : رأى محمد ﷺ جبريل على صورته بالأفق . وقد ذكرنا هذا في سورة (النجم : ٧) .

قوله تعالى : (وما هو) يعني : محمداً ﷺ (على الغيب) أي : على خبر السماء الغائب عن أهل الأرض (بضنين) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، ورويس « بظنين » بالطاء ، وقرأ الباقون بالضاد . قال ابن قتيبة : من قرأ بالطاء ، فالمعنى : ما هو بمبتهم على ما يخبر به عن الله ، ومن قرأ بالضاد ، فالمعنى : ليس بيخيل عليكم بعلم ما غاب عنكم مما ينفعكم . وقال غيره : ما يكتمه كما يكتم الكاهن ليأخذ الأجر عليه .

قوله تعالى : (وما هو) يعني : القرآن (بقول شيطان رجيم) قال مقاتل : وذلك أن كفار مكة قالوا : إنما يجيء به الشيطان ، فيلقيه على لسان محمد .

قوله تعالى : (فأين تذهبون ؟) قال الزجاج : معناه : فأين طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ؟ (إن هو) أي : ما هو ، يعني : القرآن (إلا ذكر للعالمين) أي : موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) على الحق والإيمان . والمعنى : أن القرآن إنما يتعظ به من استقام على الحق . وقد بينا سبيل الاستقامة ، فمن شاء أخذ في تلك السبيل . ثم أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه بما بعد هذا ، وقد بينا هذا في سورة (الإنسان : ٣٠) قال أبو هريرة : لما نزلت (لمن شاء منكم أن يستقيم) قالوا : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فنزل قوله تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) وقيل : القائل لذلك أبو جهل . وقرأ أبو بكر الصديق ، وأبو المتوكل ، وأبو عمران : « وما يشاؤون » بالياء .

فصل

وقد زعم بعض ناقلي التفسير أن قوله تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم)
 وقوله تعالى في (عبس : ١٢) : (فمن شاء ذكره) ، وقوله تعالى في
 سورة (الإنسان : ٢٩) وفي سورة (المزمل : ١٨) : (فمن
 شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) كله منسوخ بقوله تعالى : (وما تشاؤون إلا أن
 يشاء الله) ولا أرى هذا القول صحيحاً ، لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم
 مشيئته توجه النسخ . فأما إذ أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته ، فليس
 للنسخ وجه .



سورة الانفطار

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ . وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اُنْتَثَرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ .
وإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ . عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ . يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ
بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ .
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ
مَا تَعْمَلُونَ . إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ
الذِّينِ . وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الذِّينِ . يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾

قوله تعالى : (إذا السماء انفطرت) انفطارها : انشقاقها . و (انتثرت)
بمعنى تساقطت . و (فُجِّرَتْ) بمعنى فتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً .
وقال الحسن : ذهب ماؤها ، و (بُعْثِرَتْ) بمعنى أثيرت . قال ابن قتيبة :
قُلِبَتْ فَأُخْرِجَ مَا فِيهَا . يقال : بُعْثِرْتُ المتاع وَبَحْثَرْتُهُ : إِذَا جَعَلْتَ
أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ .

قوله تعالى : (علمت نفس ما قدمت وأخرت) هذا جواب الكلام . وقد شرحناه في قوله تعالى : (يُنبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) [القيامة : ١٣] .
قوله تعالى : (يا أيها الإنسان) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنه عني به أبو الأشدين ^(١) ، وكان كافراً ، قاله ابن عباس ، ومقاتل . وقد ذكرنا اسمه في (المدثر : ٣٠) .

والثاني : أنه الوليد بن المغيرة ، قاله عطاء .

والثالث : أبي بن خلف ، قاله عكرمة .

والرابع : أنه أشار إلى كل كافر ، ذكره الماوردي ^(٢) .

قوله تعالى : (ما غرك) قال الزجاج : أي : ما خدعك وسوّل لك حتى أضعت ما وجب عليك ؟ . وقال غيره : المعنى : ما الذي أمّنك من عقابه وهو كريم متجاوز إذ لم يعاقبك عاجلاً ؟ وقيل للفضيل بن عياض : لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة ، وقال : ما غرك بربك الكريم ، ماذا كنت تقول ؟ قال : أقول : غرني ستورك المرخاة . وقال يحيى بن معاذ : لو قال لي : ما غرك بي ؟ قلت : برك سالفاً وآتفاً . قيل : لما ذكر الصفة التي هي الكرم ها هنا دون سائر صفاته ، كان كأنه لقّن عبده الجواب ، ليقول : غرني كرم الكريم .

قوله تعالى : (الذي خلقك) ولم تك شيئاً (فسوّاك) إنساناً تسمع وتبصر

(١) قد تقدم الكلام عليه في سورة المدثر .

(٢) وهذا هو الصواب أنه عام لكل كافر .

(فَعَدْلَكَ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « فَعَدْلَكَ » بالتشديد . وقرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي « فَعَدْلَكَ » بالتخفيف . قال الفراء : من قرأ بالتخفيف ، فوجهه - والله أعلم - : فصورك إلى أي صورة شاء ، إما حَسَنَ ، وإما قبيح ، وإما طويل ، وإما قصير . وقيل : في صورة أب ، في صورة عم ، في صورة بعض القربات تشبيها . ومن قرأ بالتشديد ، فإنه أراد - والله أعلم - : جعلك معتدلاً ، معدّل الحلقة . وقال غيره : عدّل أعضائك فلم تفضل يد على يد ، ولا رجل على رجل ، وعدل بك أن يجعلك حيواناً بهيماً .

قوله تعالى : (في أي صورة ما شاء ركبك) قال الزجاج : يجوز أن تكون « ما » زائدة . ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء ، فيكون المعنى : في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك . وفي معنى الآية أربعة أقوال . أحدها : في أي صورة من صور القربات ركبك ، وهو معنى قول مجاهد . والثاني : في أي صورة ، من حسن ، أو قبيح ، أو طول ، أو قصر ، أو ذكر ، أو أنثى ، وهو معنى قول الفراء .

والثالث : إن شاء أن يركبك في غير صورة الإنسان ركبك ، قاله مقاتل . وقال عكرمة : إن شاء في صورة قرد ، وإن شاء في صورة خنزير .

والرابع : إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير . وإن شاء في صورة حمار بالبلاهة والبله ، وإن شاء في صورة كلب بالخل ، أو خنزير بالشره ، ذكره الثعلبي .

قوله تعالى : (بل تكذبون بالدين) وقرأ أبو جعفر « بالياء » أي : بالجزاء والحساب ، تزعمون أنه غير كائن . ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة ، فقال

تعالى : (وإن عليكم لحافظين) أي : من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراماً) على ربهم (كاتبين) يكتبون أعمالكم (يعلمون ما تفعلون) من خير وشر ، فيكتبونه عليكم .
قوله تعالى : (إن الأبرار لني نعيم) وذلك في الآخرة إذا دخلوا الجنة (وإن الفجار) وفيهم قولان .

أحدهما : أنهم المشركون .

والثاني : الظلمة . ونقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال لأبي حازم : ياليت شعري ما لنا عند الله ؟ فقال له : اعرض عملك على كتاب الله ، فإنك تعلم ما لك عنده ، فقال : وأين أجده ؟ قال : عند قوله تعالى : (إن الأبرار لني نعيم ، وإن الفجار لني جحيم) قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين .

قوله تعالى : (يصلونها) يعني : يدخلون الجحيم مقاسين حرها (يوم الدين) أي : يوم الجزاء على الأعمال (وما هم عنها) أي : عن الجحيم (بغائبين) وهذا يدل على تخليد الكفار . وأجاز بعض العلماء أن تكون « عنها » مكناية عن القيامة ، فتكون فائدة الكلام تحقيق البعث . ويشتمل هذا على الأبرار والفجار . ثم عظم ذلك اليوم بقوله تعالى : (وما أدراك ما يوم الدين) ثم كرر ذلك تفخياً لشأنه ، وكان ابن السائب يقول : الخطاب بهذا للإنسان الكافر ، لا لرسول الله ﷺ .

قوله تعالى : (يوم لا تملك نفس لنفس) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو « يوم »

بالرفع ، والباقون : بالفتح . قال الزجاج : من رفع « اليوم » ، فعلى أنه صفة لقوله تعالى : « يوم الدين » . ويجوز أن يكون رفعه ^(١) بإضمار « هو » ، ونصبه على معنى : هذه الأشياء المذكورة تكون (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً) قال المفسرون : ومعنى الآية أنه لا يملك الأمر أحدٌ إلا الله ، ولم يملك أحداً من الخلق شيئاً كما ملكهم في الدنيا . وكان مقاتل يقول : لا تملك نفس لنفس كفرة شيئاً من المنفعة . والقول على الإطلاق أصح ، لأن مقاتلاً فيما أحسب خاف نفي شفاعة المؤمنين . والشفاعة إنما تكون عن أمر الله وتمليكه .



(١) في نسخة الرباط : رفعها ، وفي النسخة الاستنبولية : رفعاً .

سورة المطففين

وفيا ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها مكية ، قاله ابن مسعود ، والضحاك ، ويحيى بن سلام .
والثاني : مدنية ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، ومقاتل ،
إلا أن ابن عباس ، وقتادة قالوا : فيها ثمان آيات مكية ، من قوله تعالى : (إن الذين
أجرموا) [المطففين : ٢٩] إلى آخرها . وقال مقاتل : فيها آية مكية ، وهي
قوله تعالى : (إذا تتلى عليه قال أساطير الأولين) [المطففين : ١٣] .
والثالث : أنها نزلت بين مكة ، والمدينة ، قاله جابر بن زيد وابن السائب ،
وذكر هبة الله ابن سلامة^(١) المفسر أنها نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة ، نصفها يقارب
مكة ، ونصفها يقارب المدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ
أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : (ويل للمطففين) قال ابن عباس : لما قدم رسول الله ﷺ

(١) في الأصل : سلام ، وهو خطأ .

المدينة كانوا من أخبر الناس كيلاً ، فأنزل الله تعالى : (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك ^(١) . وقال السدي : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وبها رجل يقال له : أبو جهينة ، ومعه صاعان ، يكيل بأحدهما ، ويكتال بالآخر ، فأنزل الله هذه الآية . وقد شرحنا معنى « الويل » في (البقرة : ٧٩) . وقال ابن قتيبة : المطفف : الذي لا يوفي الكيل ، يقال : إناء طَفَّانٌ : إذا لم يكن مملوئاً . وقال الزجاج : إنما قيل : مطففٌ ، لأنه لا يسكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف ، وإنما أخذ من طَفَّ الشيء ، وهو جانبه .

قوله تعالى : (الذين إذا اکتالوا على الناس) أي : من الناس . فـ « على » بمعنى « من » في قول المفسرين واللغويين . قال الفراء : « على » ، و « من » يعتقان في هذا الموضع ، لأنك إذا قلت : اکتلت عليك ، فكأنك قلت : أخذت ما عليك [كيلاً] ، وإذا قلت : اکتلت منك ، فهو كقولك : استوفيت منك [كيلاً] . قال الزجاج : المعنى : إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل ، وكذلك إذا اتزنوا ، ولم يذكروا « إذا اتزنوا » ، لأن الكيل والوزن بها الشراء والبيع فيما يكال ويوزن ، فأحدهما يدل على الآخر (أو إذا كالوهم) أي : كالوا لهم (أو وزنوهم) أي : وزنوا لهم (يُخسرون) أي : ينقصون في الكيل ، والوزن . فعلى هذا لا يجوز أن يقف على « كالوا » ، ومن الناس من يجعل « هم » تأكيداً لما كالوا ^(٢) ، ويجوز أن يقف على « كالوا » والاختيار الأول . قال الفراء : سمعت أعرابية تقول :

(١) أخرجه ابن ماجة ٧٤٨/٢ ، والطبري ٩١/٣٠ ، والواحدي : ٣٣٣ ، وقال الحافظ في « تخریج الکشاف » ١٢٨ : رواه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس . وأورده السيوطي في « الدرد » ٣٢٣/٦ وزاد نسبه إلى الطبراني وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » بسند صحيح عن ابن عباس .

(٢) قال الألوسي و « هم » ضمير مرفوع ، تأكيداً للضمير المرفوع وهو الواو ، يعني في « كالوا » .

إذا صدر الناس أتينا التاجر ، فيكيلنا المدَّ والمدَّين إلى الموسم المقبل .
 قوله تعالى : (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ؟) قال الزجاج : المعنى : لو ظنوا
 أنهم يُبْعَثُونَ ما نقصوا في الكيل والوزن (ليوم عظيم) يعني به يوم القيامة
 (يوم يقوم الناس) منصوب بقوله تعالى « مبعوثون » . قال المفسرون : والظن
 هاهنا بمعنى العلم واليقين . ومعنى : يقوم الناس ، أي : من قبورهم (لرب العالمين)
 أي : لأمره ، أو لجزائه وحسابه . وقيل : يقومون بين يديه لفصل القضاء .
 وفي « الصحيحين » من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : في هذه
 الآية : « يقوم أحدهم في رَشَحِهِ ^(١) إلى أنصاف أذنيه ^(٢) » . وقال كعب :
 يقفون ثلاثمائة عام . قال مقاتل : وذلك إذا خرجوا من قبورهم .

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ . وَمَا أَذْرُكَ مَا سِجِّينَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ .
 وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذَّابِينَ . الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيَّوْمَ الدِّينِ . وَمَا يُكْذَبُ بِهِ إِلَّا
 كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى
 قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا
 الْجَحِيمِ . ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي
 عَلِّيَيْنَ . وَمَا أَذْرُكَ مَا عَلِّيُونَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ . إِنَّ الْأَبْرَارَ
 لَفِي نَعِيمٍ . عَلَى الْأَرَارِكِ يَنْظُرُونَ . تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ . يُسْقَوْنَ
 مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ . وَمِزَاجُهُ مِنْ
 تَسْنِيمٍ . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾

(١) أي : عرقه ، لأنه يخرج من البدن شيئاً بعد شيء ، كما يرشح الإناء المتحلل الأجزاء .

(٢) رواه مالك في « الموطأ » ، والبخاري ٥٣٥/٨ ومسلم ٢١٩٥/٤ واللفظ لمسلم .

قوله تعالى : (كلا) ردع وزجر ، أي : ليس الأمر على ما هم عليه ،
فليتردعوا . وها هنا تم الكلام عند كثير من العلماء . وكان أبو حاتم يقول : « كلا »
ابتداءً يتصل بما بعده على معنى « حقاً » (إن كتاب الفجار) قال مقاتل : إن كتاب
أعمالهم (لنى سجين) وفيها أربعة أقوال .

أحدها : أنها الأرض السابعة ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ،
وابن زيد ، ومقاتل . وروي عن مجاهد قال : « سجين » صخرة تحت الأرض
السابعة ، يجعل كتاب الفجار تحتها ، وهذه علامة لحسارتهم ، ودلالة على
خساسة منزلتهم .

والثاني : أن المعنى : إن كتابهم لنى سفال ، قاله الحسن .

والثالث : لنى خسار ، قاله عكرمة .

والرابع : لنى حبس ، فعيل من السجن ، قاله أبو عبيدة ^(١) .

قوله تعالى : (وما أدراك ما سجين) هذا تعظيم لأمرها . وقال الزجاج :
أي : ليس ذلك بما كنت تعلمه أنت ولا قومك .

قوله تعالى : (كتاب مرقوم) أي : ذلك الكتاب الذي في سجين كتاب

(١) قال ابن كثير : والصحيح أن « سجيناً » مأخوذ من السجن ، وهو الضيق ، فإن
المخلوقات كلها ما تسافل منها ضاق ، وكل ما تعالى منها اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد
منها أوسع وأعلى من الذي دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى
ينتهي السفل المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة ، ولما كان مصير
الفجار إلى جهنم ، وهي أسفل السافلين ، كما قال تعالى : (ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات) قال هاهنا : (كلا إن كتاب الفجار لنى سجين . وما أدراك ما سجين)
وهو يجمع الضيق والسفل ، كما قال تعالى : (إذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا) .

مرقوم ، أي : مكتوب . قال ابن قتيبة : والرقم : الكتاب . قال أبو ذؤيب :

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمِ الدَّوَاةِ يَزْبُرُهُ الْكَاتِبُ الْحَمِيرِيُّ^(١)

وأنشده الزجاج : « يذبرها » بالذال المعجمة ، وكسر الباء . قال الأصمعي : يقال : زبر : كتب ، وذبر : قرأ . وروى أبو عمرو عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصواب : زبرت — بالزاي — كتبت . وذبرت — بالذال — أتقنت ما حفظت . قال : والبيت يزبرها ، بالزاي والضم . وقال ابن قتيبة : يروى « يزبرها » و « يذبرها » وهو مثله ، يقال : زبر الكتاب يزبره ، ويذبره . وذبره يذبره ، ويذبره . وقال قتادة : رَقَمَ له بشرٌ ، كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه الكافر . وقيل : المعنى : إنه مثبت لهم كالرقم في الثوب ، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به .

قوله تعالى : (ويل يومئذ للمكذبين) هذا منتظم بقوله تعالى : (يوم يقوم الناس) ، وما بينها كلام معترض . وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى : (بل ران على قلوبهم) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر « بل ران » بفتح الراء مدغمة ، وقرأ أبو بكر عن عاصم « بل ران » مدغمة بكسر الراء . وقرأ حفص عن عاصم « بل » بإظهار اللام « ران » بفتح الراء . قال اللغويون : أي : غلب على قلوبهم ، يقال : الحفرة ترين على عقل السكران . قال الزجاج : قرئت بإدغام اللام في الراء ، لقرب ما بين الحرفين ، وإظهار اللام جائز ، لأنه من كلمة ، والرأس من كلمة أخرى . ويقال : ران على قلبه الذئب يرين ريناً : إذا

(١) البيت لابي ذؤيب خويلد بن خالد ، جاهلي إسلامي ، وهو في « ديوان الهذليين »

٦٤/١ و « غريب القرآن » ٥١٩ وفيها « يزبرها » بدلاً من « يزبره » .

غشي على قلبه ، ويقال : غان يغين غيناً ، والغين كالغيم الرقيق ، والرّين كالصدأ يغشى على القلب . وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول : الغين يقال : بالراء ، وبالغين ، ففي القرآن « كلا بل ران » وفي الحديث : « إنه ليغان على قلبي » ^(١) وكذلك الراية تقال بالراء ، وبالغين ، والرميصاء تكتب « بالغين » ، وبالراء ، لأن الرمص يكتب بهما . قال المفسرون : لما كثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم . قال الحسن : هو الذّنب على الذّنب حتى يعمى القلب ^(٢) .

قوله تعالى : (كلا) أي : لا يصدّقون . ثم استأنف (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال ابن عباس : إنهم عن النظر إلى ربهم يومئذ لمحجوبون ، والمؤمن لا يحجب عن رؤيته . وقال مالك بن أنس : لما حجب أعداءه فلم يَرَوْه تجلّى لأوليائه حتى رآوه . وقال الشافعي : لما حجب قوما بالسُّخَطِ دل على أن قوماً يَرَوْنَهُ بالرضى ^(٣) . وقال الزجاج : في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يُرى

(١) روى مسلم في « صحيحه » ٢٧٧٥/٤ عن الأغرّ المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » .

(٢) روى الترمذي والنسائي وابن ماجة من طرق عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صقل قلبه ، وإن زاد زادت ، فذلك قول الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقال الترمذي : حسن صحيح ، ولفظ النسائي « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع واستغفر وقاب ، صقل قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، فهو الران الذي قال الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » .

(٣) وقال ابن كثير : قال الإمام أبو عبد الله الشافعي : وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن ، -

في القيامة . ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة ، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن ربهم . ثم من بعد حجبهم عن الله يدخلون النار ، فذلك قوله تعالى : (ثم إنهم لصالوا الجحيم) .

قوله تعالى : (ثم يقال) أي : يقول لهم خزنة النار : (هذا) العذاب (الذي كنتم به تكذبون . كلا) أي : لا يؤمن بالعذاب الذي يصله . ثم أعلم أين محلّ (كتاب الأبرار) فقال تعالى : (لني عليّين) وفيها سبعة أقوال .
أحدها : أنها الجنة ، رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني : أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش فيه أعمالهم مكتوبة ، روي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أنها السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين ، قاله كعب ، وهو مذهب مجاهد ، وابن زيد .

والرابع : أنها قائمة العرش اليمنى ، قاله قتادة . وقال مقاتل : ساق العرش .
والخامس : أنه صدر المنتهى ، قاله الضحاك .

والسادس : أنه في علو وصعود إلى الله عز وجل ، قاله الحسن . وقال الفراء : في ارتفاع بعد ارتفاع .

والسابع : أنه أعلى الأمكنة ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (وما أدراك ما عليّون) هذا تعظيم لشأنها .

قوله تعالى : (كتاب مرقوم) الكلام فيه كاللّام في الآية التي قبلها .

— وهو استدلال بفهوم الآية ، كما دل عليه منطوق قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلّت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة .

قوله تعالى : (يشهده المقربون) أي : يحضر المقربون من الملائكة ذلك المكتوب ، أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين . وما بعد هذا قد سبق بيانه [الانفطار : ١٣] إلى قوله تعالى : (ينظرون) وفيه قولان .

أحدهما : إلى ما أعطاهم الله من الكرامة .

والثاني : إلى أعدادهم حين يعذبون .

قوله تعالى : (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) وقرأ أبو جعفر ، ويعقوب « تُعرَف » بضم التاء ، وفتح الراء « نضرة » بالرفع . قال الفراء : بريق النعيم ونداه . قال المفسرون : إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعيم ، لما ترى من الحسن والنور . وفي « الرجقيق » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الحمى ، قاله الجمهور . ثم اختلفوا أي الحمى هي على أربعة أقوال . أحدها : أجود الحمى ، قاله الخليل بن أحمد . والثانية : الخالصة من الغش ، قاله الأخفش . والثالث : الحمى البيضاء ، قاله مقاتل . والرابع : الحمى العتيقة ، حكاه ابن قتيبة .

والقول الثاني : أنه عين في الجنة مشوبة بالمسك ، قاله الحسن .

والثالث : أنه الشراب الذي لا غش فيه ، قاله ابن قتيبة ، والزجاج . وفي قوله تعالى : (محتوم) ثلاثة أقوال .

أحدها : ممزوج ، قاله ابن مسعود .

والثاني : محتوم على إنائه ، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد .

والثالث : له ختام ، أي : عاقبة ربح ، وتلك العاقبة هي قوله تعالى :
ختامه مسك ، أي : عاقبته . هذا قول أبي عبيدة .

(ختامه مسك) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ،
وحزمة « ختامه » بكسر الحاء ، وبفتح التاء ، وبألف بعدهما ، مرفوعة الميم .
وقرأ الكسائي « خَاتَمَه » بخاء مفتوحة ، بعدها ألف ، وبعدها^(١) تاء مفتوحة . وروى
الشيزري « خَاتَمَه » مثل ذلك ، إلا أنه يكسر التاء . وقرأ أبي بن كعب ، وعروة ،
وأبو العالية : « خَتَمَه » بفتح الحاء والتاء و [بضم] الميم من غير ألف .

وللمفسرين في قوله تعالى : (ختامه مسك) أربعة أقوال .

أحدها : خلطه مسك ، قاله ابن مسعود ، ومجاهد .

والثاني : أن ختمه الذي يختم به الإناء مسك ، [قاله ابن عباس .

والثالث : أن طعمه وريحه مسك ، قاله علقمة .

والرابع : أن آخر طعمه مسك]^(٢) قاله سعيد بن جبير ، والفراء ، وأبو عبيدة ،

وابن قتيبة ، والزجاج في آخرين .

قوله تعالى : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي : فليجدثوا في طلبه ،

وليحرصوا عليه بطاعة الله . والتنافس : كالتشاح على الشيء ، والتنازع فيه .

قوله تعالى : (ومزاجه من تسنيم) فيه قولان .

(١) في الأصل : وبعده .

(٢) ما بين المعقفين سقط من نسخة الرباط ، واستدر كناه من النسخة الاستنبولية .

أحدهما : أنه اسم عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين .

والثاني : أن التسنيم الماء ، قاله الضحاك . قال مقاتل : وإنما سمي تسنيماً ، لأنه يتسنى عليه من جنة عدن ، فينصب عليهم انصباباً ، فيشربون الخمر من ذلك الماء . قال ابن قتيبة : يقال : إن التسنيم أرفع شراب في الجنة . ويقال : إنه يمتزج بماء ينزل من تسنيم ، أي : من علو . وأصل هذا من سنام البعير ، ومن تسنيم القبور . وهذا أعجب إليّ ، لقول المسيّب بن علس في وصف امرأة :

كَأَنَّ بَرِيقَتَهَا لِلْمِرْزَا جِ مِنْ ثَلَجٍ تَسْنِيمٍ شَيْبَتِ عَقَارَا^(١)

أراد : كأن بريقها عَقَاراً شَيْبَتِ للمزاج من ثلج تسنيم ، يريد : جبلاً . قال الزجاج : المعنى : ومزاجه من تسنيم عيناً تأتيهم من تسنيم ، أي : من علو يتسنى عليهم من الغرف . فـ « عيناً » في هذا القول منصوبة ، كما قال تعالى : (أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة يتيماً) [البلد : ١٥] . ويجوز أن تكون « عيناً » منصوبة بقوله : يُسْقَوْنَ عيناً ، أي : من عين . وقد بينا معنى « يشرب بها » في (هل أتى : ٦) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ . فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

قوله تعالى : (إن الذين أجمعوا) أي : أشركوا (كانوا من الذين آمنوا) يعني أصحاب رسول الله ﷺ ، مثل عمار ، وبلال ، وخبّاب وغيرهم (يضحكون)

على وجه الاستهزاء بهم (وإذا مرؤا) يعني : المؤمنين (بهم) أي : بالكفار
(يتغامزون) أي : يشيرون بالجلفن والحاجب استهزاء بهم (وإذا انقلبوا)
يعني : الكفار (إلى أهلهم انقلبوا فكهن) أي : متعجبين بما هم فيه يتفكّهون
بذكرهم . وقرأ أبو جعفر ، وحفص عن عاصم ، وعبد الرزاق عن ابن عامر
« فكهن » بغير ألف . وقد شرحنا معنى القراءتين في (يس : ٥٥) (وإذا
رأوهم) أي : رأوا أصحاب رسول الله ﷺ (قالوا إن هؤلاء لضالون)
يقول الله تعالى : (وما أرسلوا) يعني الكفار (عليهم) أي : على المؤمنين
(حافظين) يحفظون أعمالهم عليهم ، أي : لم يؤكّلوا بحفظ أعمالهم (فاليوم)
يعني : في الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) إذا رأوهم يعذبون
في النار . قال أبو صالح : يقال لأهل النار وهم فيها : اخرجوا ، وتفتح لهم
أبوابها ، فإذا أقبلوا يريدون الخروج ، غلّقت أبوابها دونهم . والمؤمنون (على
الأرائك ينظرون) إلى عذاب عدوّهم . قال مقاتل : لكل رجل من أهل الجنة
ثلمة ينظرون إلى أعداء الله كيف يعذبون ، فيحمدون الله على ما أكرمهم به ، فهم
يكلّمون أهل النار ويكلّمونهم إلى أن تطبق النار على أهلها ، فتسد حينئذ الكوى .
قوله تعالى : (هل ثوب الكفار) وقرأ حمزة ، والكسائي ، وهارون عن
أبي عمرو « هل ثوب » بإدغام اللام . أي : هل جوزوا وأثيبوا على استهزائهم
بالمؤمنين في الدنيا ؟ وهذا الاستفهام بمعنى التقرير .

سورة الانشقاق

وهي مكية كلها ياجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ .
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى
رَبِّكَ كَذْحًا فُلَاقِيهِ . فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا
يَسِيرًا . وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ
يَدْعُوا مُثُورًا . وَيَصْلى سَعِيرًا . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا . إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾

قوله تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) قال المفسرون : انشقاقها من علامات
الساعة . وقد ذكر ذلك في مواضع من القرآن . [الفرقان : ٢٢٥ ، الرحمن : ٢٧ ،
الحاقة : ١٦] (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا) أي : استمعت وأطاعت في الانشقاق ، من
الأذن ، وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه ، وأنشدوا :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ فَإِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا^(١)

(١) البيت لقعنتب بن ضمرة بن أم صاحب أم قعنب ، وكان في أيام الوليد ، وهو في
« مجاز القرآن » ١٧٧/١ ، و « الطبري » ١١٢/٣٠ . و « السط » : ٣٦٢ ، و « الاقصاب » :
٢٩٢ ، و « شواهد الكشاف » ١٤٣ ، و « القرطي » ٢٦٧/١٩ ، و « اللسان » أذن ،
وأورد بيتاً قبله ، هو :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا قَرَحًا مِثْنِي وَمَاعِلُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

(وَحُقَّتْ) أي : حق لها أن تُطيع ربها الذي خلقها (وإذا الأرض مُدَّتْ) قال ابن عباس : مُتَمَدُّ مَدَّ الأديم ، ويزاد في سَعَتِها . وقال مقاتل : لا يبقى جبل ولا بناء إلا دخل فيها .

قوله تعالى : (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى) والكنوز (وَتَخَلَّتْ) أي : خلت من ذلك ، فلم يبق في باطنها شيء . واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكورات على أربعة أقوال .

أحدها : أنه متروك ، لأن المعنى معروف قد تردّد في القرآن .

والثاني : أنه (يا أيها الإنسان) ، كقول القائل : إذا كان كذا وكذا فيا أيها الناس تَرَوْنَ ما عملتم ، فيجعل : (يا أيها الإنسان) هو الجواب ، وتضمير فيه الفاء ، كأن المعنى : يرى الثواب والعقاب إذا السماء انشقت ، وذكر القولين الفراء .
والثالث : أن في الكلام تقدماً وتأخيراً ، تقديره : « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ففلاقيه إذا السماء انشقت » قاله المبرد .

والرابع : أن الجواب مدلول عليه بقوله تعالى : « ففلاقيه » . فالمعنى : إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (إنك كادح إلى ربك كدحاً) فيه قولان .
أحدهما : إنك عامل لربك عملاً ، قاله ابن عباس .

والثاني : ساعٍ إلى ربك سعياً ، قاله مقاتل . قال الزجاج : و « الكدح » في اللغة : السعي ، والدأب في العمل في باب الدنيا والآخرة . قال تميم بن مقبل :
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتَ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ^(١)

(١) ديوانه : ٢٤ ، وسيبويه ٣٧٦/١ ، والكامل ٩٠٨/٣ ، والجوان ٤٨/٣ ، وحاسة

البحري ١٨٣ ، والقريطي ٢٦٩/١٩ .

وفي قوله تعالى : (إلى ربك) قولان .

أحدهما : عامل لربك . وقد ذكرناه عن ابن عباس .

والثاني : إلى لقاء ربك ، قاله ابن قتبية . وفي قوله تعالى : (فلاقه)

قولان .

أحدهما : فلاقِ عَمَلَك . والثاني : فلاقِ رَبَّكَ ، كما ذكرهما الزجاج .

قوله تعالى : (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) وهو أن تعرض عليه سيئاته ،

ثم يغفرها الله له . وفي « الصحيحين » من حديث عائشة ، قالت : قال رسول الله

ﷺ : من نوقش الحساب هلك ، فقلت : يا رسول الله ، فإن الله يقول :

« فسوف يحاسب حساباً يسيراً » ؟! قال : ذلك العرض ^(١) .

قوله تعالى : (وينقلب إلى أهله) يعني : في الجنة من الحور العين والآدميات

(مسروراً) بما أوتي من الكرامة (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) قال المفسرون :

تغلُّ يده اليمنى إلى عنقه ، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره (فسوف يدعوا ثبوراً)

قال الزجاج : يقول : يا ويلاه ، يا ثوراه ، وهذا يقوله كلُّ من وقع فيهلكه .

قوله تعالى : (ويصلى سعيراً) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، والكسائي

« ويصلى » بضم الياء ، وتشديد اللام . وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ، وحزة « ويصلى »

بفتح الياء خفيفة ، إلا أن حمزة والكسائي يميلانها . وقد شرحناه في سورة (النساء : ١١)

(١) رواه البخاري ١٧٦/١ و ٥٣٥/٨ و ٣٤٧/١١ ومسلم ٢٢٠٤/٤ ورواه الطبري ١١٦/٣٠

والترمذي ١٦٩/٢ وقال : حديث حسن صحيح ، وأورده السيوطي في « الدر » ٣٢٩/٦

وزاد نسبه لأحمد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها .

قوله تعالى : (إنه كان في أهله) يعني في الدنيا (مسروراً) باتباع هواه ، وركوب شهواته (إنه ظن أن لن يحور) أي : لن يرجع إلى الآخرة ، ولن يبعث وهذه صفة الكافر . قال اللغويون : الحور في اللغة : الرجوع ، وأنشدوا لليد :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْنِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ^(١)
 ﴿ بَلَى إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا . فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ .
 وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ . فَالَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ
 عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ .
 فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾
 قوله تعالى : (بلى) قال الفراء : المعنى : بلى ليحورون ، ثم استأنف ، فقال تعالى :
 (إن ربه كان به بصيراً) قال المفسرون : بصيراً به على جميع أحواله .

قوله تعالى : (فلا أقسم) قد سبق بيانه .

فأما « الشفق » فقال ابن قتبية : هما شفقان : الأحمر ، والأبيض ، فالأحمر : من لدن غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء ثم يغيب ، ويبقى الشفق الأبيض إلى نصف الليل .

وللمفسرين في المراد « بالشفق » هاهنا ستة أقوال .

أحدها : الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس . وقد روى ابن

عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الشفق : الحمرة »^(١) ، وهذا قول عمر ،
وابنه ، وابن مسعود ، وعبادة ، وأبي قتادة ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباس ،
وأبي هريرة ، وأنس ، وابن المسيب ، وابن جبير ، وطاووس ، ومكحول ، ومالك ،
والأوزاعي ، وأبي يوسف ، والشافعي ، وأبي عبيد ، وأحمد ، وإسحاق ، وابن قتيبة ،
والزجاج . قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ : كأنه
الشفق ، وكان أحمر .

والثاني : أنه النهار .

والثالث : الشمس ، روي القولان عن مجاهد .

والرابع : ما بقي من النهار ، قاله عكرمة .

والخامس : السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض ، قاله أبو جعفر محمد
ابن علي .

والسادس : أنه البياض ، قاله عمر بن عبد العزيز .

قوله تعالى : (والليل وما وسق) أي : وما جمع وضم . وأنشدوا :

إِنَّا لَنَا قَلَانَصًا حَقَائِقًا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدُنَّ سَائِقًا^(٢)

(١) أخرجه الدارقطني في « سننه » ص ١٠٠ ، وصحح البيهقي وقفه ، وقال في
« المعرفة » : روي هذا الحديث عن عمر ، وعلي ، وابن عباس ، وعبادة بن الصامت ،
وشداد بن أوس ، وأبي هريرة ، ولا يصح عن النبي ﷺ فيه شيء ، وذكره السيوطي في
« الدر » موقوفاً على ابن عمر ، وعزاه إلى عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ،
وعبد بن حميد ، وابن مردويه .

(٢) الرجز في « ملحق ديوان العجاج » ٨٤ ، وهو في « مجاز القرآن ٢/٢٩١ » و « الطبري »
١٢٠/٣٠ و « القرطبي ١٩/٢٧٥ » و « اللسان » وسق .

قال أبو عبيدة : (وَمَا وَسَقَ) ما علا فلم يمنع منه شيء ، فإذا جلل الليل الجبال ، والأشجار ، والبحار ، والأرض ، فاجتمعت له ، فقد وسقها . وقال بعضهم : معنى : « ما وسق » : ما جمع مما كان منتشراً بالنهار في تصرفه إلى مأواه .

قوله تعالى : (والقمر إذا اتسق) قال الفراء : اتساقه : اجتماعه واستواءه ليلة ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، إلى ست عشرة .

قوله تعالى : (لتركبن طبقاً عن طبق) قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي « لتركبن » بفتح التاء والباء ، وفي معناه قولان .

أحدهما : أنه خطاب لرسول الله ﷺ . ثم في معناه قولان . أحدهما : لتركبن سماء بعد سماء ، قاله ابن مسعود ، والشعبي ، ومجاهد . والثاني : لتركبن حالاً بعد حال ، قاله ابن عباس ، وقال : هو نبيكم .

والقول الثاني : أن الإشارة إلى السماء . والمعنى : أنها تتغير ضروباً من التغير ، فتارة كالمهل ، وتارة كالدّهان ، روي عن ابن مسعود أيضاً .

وقرأ عاصم ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « لتركبن » بفتح التاء ، وضم الباء ، وهو خطاب لسائر الناس . ومعناه : لتركبن حالاً بعد حال . وقرأ ابن مسعود ، وأبو الجوزاء ، وأبو الأشهب « ليركبن » بالياء ، ونصب الباء . وقرأ أبو المتوكل ، وأبو عمران ، وابن يعمر « ليركبن » بالياء ، وضم الباء . و « عن » بمعنى « بعد » . وهذا قول عامة المفسرين واللغويين ، وأنشدوا للأقرع بن حابس .

إِنِّي أَمْرٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ

وَسَأَقْنِي طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقٍ^(١)

(١) أنشده القرطبي في « تفسيره » ٢٧٨/١٩ .

ثم في معنى الكلام خمسة أقوال .

أحدها : أنه الشدائد ، والأهوال ، ثم الموت ، ثم البعث ، ثم العرض ،
قاله ابن عباس .

والثاني : أنه الرخاء بعد الشدة ، والشدّة بعد الرخاء ، والغنى بعد الفقر ،
والفقر بعد الغنى ، والصحة بعد السقم ، والسقم بعد الصحة ، [قاله الحسن .

والثالث : أنه كون الإنسان رضيعاً ثم فطياً ثم غلاماً شاباً ثم شيخاً ^(١)] ،
قاله عكرمة .

والرابع : أنه تغير حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا ، فيرتفع من كان
وضيعاً ، ويتضع من كان مرتفعاً ، وهذا مذهب سعيد بن جبير .

والخامس : أنه ركوب سنن من كان قبلهم من الأولين ، قاله أبو عبيدة .
وكان بعض الحكماء يقول : من كان اليوم على حالة ، وغداً على حالة أخرى ،
فليعلم أن تدبيره إلى سواه ^(٢) .

قوله تعالى : (فآلهم) يعني : كفار مكة (لا يؤمنون) أي : لا يؤمنون
بمحمد والقرآن ، وهو استفهام إنكار (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون)
فيه قولان .

أحدهما : لا يصلّون ، قاله عطاء ، وابن السائب .

(١) زيادة سقطت من نسخة الرباط ، واستدركتها من النسخة الاستنبولية .

(٢) قال ابن جرير الطبري : والصواب من التأويل قول من قال : لتركبن أنبت يا محمد
حالا بعد حال ، وأمرأ بعد أمر من الشدائد ، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب إلى رسول
الله ﷺ موجهاً - جميع الناس ، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً .

والثاني : لا يخضعون له ، ويستكينون ، قاله ابن جرير ، واختاره القاضي أبو يعلى . قال : وقد احتج بها قوم على وجوب سجود التلاوة ، وليس فيها دلالة على ذلك ، وإنما المعنى : لا يخشعون ، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن ، والسجود يختص بمواضع منه .

قوله تعالى : (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن ، والبعث ، والجزاء (والله أعلم بما يوعون) في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب . قال ابن قتيبة : « يوعون » : يجمعون في قلوبهم . وقال الزجاج : يقال : أوعيت المتاع في الوعاء ، ووعيت العلم .

قوله تعالى : (فنبشروهم بعذاب أليم) أي : أخبرهم بذلك . وقال الزجاج : اجعل للكفار بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة ، العذاب الأليم . و « الممنون » عند أهل اللغة : المقطوع .



سورة البروج

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ . وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ . قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ . وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ . وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ . إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ . إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ . وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ . ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ . فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ . هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ . وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ . بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

قوله تعالى : (والسماء ذات البروج) قد ذكرنا البروج في (الحجر : ١٦)

(واليوم الموعود) هو يوم القيامة بإجماعهم (وشاهد ومشهود) فيه أربعة وعشرون قولاً .

أحدهما ، أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة ، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ^(١) وبه قال علي ، وابن عباس في رواية ، وابن زيد . فعلى هذا سمي يوم الجمعة شاهداً ، لأنه يشهد على كل عامل بما فيه ، وسمي يوم عرفة مشهوداً ، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج ، وتشهده الملائكة .

والثاني : أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم النحر ، قاله ابن عمر .

والثالث : أن الشاهد : الله عز وجل ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه الوالي عن ابن عباس .

والرابع : أن الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه مجاهد عن ابن عباس .

والخامس : أن الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه يوسف ابن مهران عن ابن عباس ، وبه قال الحسن بن علي .

والسادس : أن الشاهد : يوم القيامة ، والمشهود : الناس ، قاله جابر بن عبد الله .

(١) رواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وفي سنده موسى بن عبيدة الرّبذني ، وهو ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في « التقريب » ، وقال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة : يضعف في الحديث ، ضعفه يحيى ابن سعيد وغيره من قبل حفظه ، وقال ابن كثير : وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الرّبذني ، وهو ضعيف ، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة ، وهو أشبه .

والسابع : أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم القيامة ، قاله الضحاك .
والثامن : أن الشاهد : يوم التروية ، والمشهود : يوم عرفة ، قاله سعيد
ابن المسيب .

والتاسع : أن الشاهد : هو الله ، والمشهود : بنو آدم ، قاله سعيد بن جبير .
والعاشر : أن الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم عرفة ، قاله الضحاك .
والحادي عشر : أن الشاهد : آدم عليه السلام ، والمشهود : يوم القيامة ،
رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد .

والثاني عشر : أن الشاهد : ابن آدم ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه ليث
عن مجاهد ، وبه قال عكرمة .

الثالث عشر : أن الشاهد : آدم عليه السلام ، وذريته ، والمشهود يوم
القيامة ، قاله عطاء بن يسار .

والرابع عشر : أن الشاهد : الإنسان ، والمشهود : الله عز وجل ، قاله
محمد بن كعب .

والخامس عشر : أن الشاهد : يوم النحر ، والمشهود : يوم عرفة ،
قاله إبراهيم .

والسادس عشر : أن الشاهد : عيسى عليه السلام ، والمشهود : أمته ، قاله
أبو مالك . ودليله قوله تعالى : (وكنتم عليهم شهيذاً) [المائدة : ١١٧] .

والسابع عشر : أن الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : أمته ، قاله عبد
العزیز بن یحیی ، ویانہ (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) [النساء : ٤١] .

والثامن عشر : أن الشاهد : هذه الأمة ، والمشهود : سائر الناس ، قاله الحسين ^(١) بن الفضل ، ودليله (لتكونوا شهداء على الناس) [البقرة : ١٤٣] .

والثاسع عشر : أن الشاهد : الحفظة ، والمشهود : بنو آدم ، قاله محمد بن علي الترمذي ، وحكي عن عكرمة نحوه .

والعشرون : أن الشاهد : الحق ، والمشهود : الكون ، قاله الجنيد .

والحادي والعشرون : أن الشاهد ، الحجر الأسود ، والمشهود : الحاج .

والثاني والعشرون : أن الشاهد : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والمشهود : محمد ﷺ ، وبيانه (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين ...) الآية [آل عمران : ٨١] .

والثالث والعشرون : أن الشاهد : الله عز وجل ، والملائكة ، وأولو العلم ، والمشهود : لا إله إلا الله ، وبيانه (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) [آل عمران : ١٨] ، حكى هذه الأقوال الثلاثة الثعلبي .

والرابع والعشرون : أن الشاهد : الأنبياء عليهم السلام ، والمشهود : الأمم ، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله ^(٢) .

وفي جواب القسم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه قوله تعالى : (إن بطش ربك لشديد) قاله قتادة ، والزجاج .

(١) في الاصل : الحسن .

(٢) وقال الطبري بعد أن سرد معظم الأقوال التي ساقها المصنف : والصواب في ذلك عندنا أن يقال : إن الله أقسم بشاهد شهد ، ومشهود شهد ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد ، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعنى بما يستحق أن يقال : شاهد ومشهود .

والثاني : أنه قوله تعالى : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) ، كما أن القسم في قوله تعالى : (والشمس وضحاها) (قد أفلح) ، حكاه الفراء .
والثالث : أنه متروك ، وهذا اختيار ابن جرير .

قوله تعالى : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) أي : لعنوا . والأخدود : شق يشق في الأرض ، والجمع : أخاديد . وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض وأوقدوا فيها النار ، وألقوا فيها من لم يكفر .
واختلف العلماء فيهم على ستة أقوال .

أحدها : أنه مَلِكٌ كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلمه السحر ، وكان الغلام يمرُّ على راهب ، فأعجبه أمره ، فتبعه ، فعلم به المَلِكُ ، فأمره أن يرجع عن دينه ، فقال : لا أفعل ، فاجتهد المَلِكُ في إهلاكه ، فلم يقدر ، فقال الغلام : لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به . اجمع الناس في صعيد واحد ، واصلبي على جذع ، وارمني بسهم من كنانتي ، وقل : بسم الله ربّ الغلام ، ففعل ، فمات الغلام ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فخذ الأخاديد ، وأضرم فيها النار ، وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ، ففعلوا ، وهذا مختصر الحديث ، وفيه طول ، وقد ذكرته في « المغني » و « الحدايق » بطوله من حديث ضبيب عن رسول الله ﷺ^(١) .

والثاني : أن ملكاً من الملوك سكر ، فوقع على أخته ، فلما أفاق قال لها :

(١) انظر الحديث بطوله في « مسند أحمد » ١٧/٦ و « صحيح مسلم » رقم (٢٠٠٥) وسنن الترمذي ١٦٩/٢ .

ويحك : كيف المخرج ؟ فقالت ^(١)] له : اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله عز وجل قد أحلّ نكاح الأخوات ، فإذا ذهب هذا في الناس وتناسوه ، خطبتهم فحرّمته . ففعل ذلك ، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه ، فبسط فيهم السوط ، ثم جرّد السيف ، فأبوا ، فخذلهم أخذوداً ، وأوقد فيه النار ، وقذف من أبي قبول ذلك ، قاله علي بن طالب ^(٢) .

والثالث : أنهم ناس اقتتل مؤمنوهم وكفارهم ، فظهر المؤمنون ، ثم تعاهدوا أن لا يغدر بعضهم ببعض ، فعذر كفارهم ، فأخذوهم ، فقال له رجل من المؤمنين : أوقدوا ناراً ، واعرضوا عليها ، فمن تابعكم على دينكم ، فذاك الذي تحبون ، ومن لم يتبعكم أقحم النار فاسترحم منه ، ففعلوا ، فجعل المسلمون يقتحمونها ، ذكره قتادة .

والرابع : أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة ، فأرسل إليهم جبار من عبدة الأوثان ، فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا ، فخذلهم أخذوداً ، وألقاهم فيه ، قاله الربيع بن أنس .

والخامس : أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعدما رفع عيسى ، فخذلهم أخذوداً ، وأوقد فيه النار ، فأحرقهم كلهم ، فأنزل الله تعالى : « قُتِل أصحاب الأخدود » وهم : يوسف بن ذي نواس وأصحابه ، قاله مقاتل .

والسادس : أنهم قوم كانوا يعبدون صنماً ، ومعهم قوم يكتمون إيمانهم ،

(١) من هنا وحتى قبيل تفسير سورة (الشمس) وقع نقص في نسخة الرباط ، استدركتناه من النسخة الاستنبولية ، وقد بذلنا الغاية في تقويم ما فيها من تحريف كثير ، نهينا إلى بعضه ، وأغفلنا أكثره لعقم فائدته .

(٢) ذكره الطبري . ١٣٢/٣ وفيه أن ذلك الملك كان من المجوس ، وأنهم كانوا أهل كتاب ، وذكر في آخره : فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات .

فعلّموا بهم ، فخذوا لهم أخذوداً ، وقذفوهم فيه ، حكاة الزجاج^(١) .

واختلفوا في الذين أحرقوا على خمسة أقوال .

أحدها : أنهم كانوا من الحبشة ، قاله علي كرم الله وجهه .

والثاني : من بني إسرائيل ، قاله ابن عباس .

والثالث : من أهل اليمن ، قاله الحسن . وقال الضحاك : كانوا من نصارى

اليمن ، وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة .

والرابع : من أهل نجران ، قاله مجاهد .

والخامس : من النبط ، قاله عكرمة .

وفي عددهم ثلاثة أقوال .

أحدها : اثنا عشر ألفاً ، قاله وهب .

والثاني : سبعون ألفاً ، قاله ابن السائب .

(١) قال ابن كثير : وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً ، كما قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت

الآخذود في اليمن زمان تبع ، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم

عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذوا أتوناً وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح

والتوحيد ، وفي العراق في أرض بابل بمختصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له

فامتنع دانيال وصاحبه عزريّا وميشائيل ، فأوقد لهم أتوناً وألقى فيه الحطب والنار ، ثم

ألقاهما فيه ، فجعلها الله تعالى عليها برداً وسلاماً ، وأنقذهما منها ، وألقى فيها الذين بغوا عليه ،

وهم تسعة رهط فاكلتهم النار . وذكر نحوه عن أسباط عن السدي ، وعن ابن أبي حاتم من

رواية الربيع بن أنس ، والله أعلم .

والثالث : ثمانون رجلاً ، وتسعة نسوة ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : (النَّارِ ذاتِ الْوُقُودِ) هذا بدل من « الأخدود » كأنه قال : قتل أصحاب النار ، و « الوقود » مفسر في [البقرة : ٢٤] . وقرأ أبو رزين العقيلي ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، ومجاهد ، وأبو العالية ، وابن يعمر وابن أبي عبة « الْوُقُودِ » بضم الواو (إذ هم عليها قعود) أي : عند النار . وكان الملك وأصحابه جلوساً على الكراسي عند الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر ، فن أبى الْقَوَّة (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي : حضور ، فأخبر الله عز وجل في هذه الآيات بقصة قوم بلغ من إيمانهم ويقينهم أن صبروا على التحريق بالنار ، ولم يرجعوا عن دينهم .

قوله تعالى : (وما تقوموا منهم) قرأ ابن أبي عبة « نقيموا » بكسر القاف . قال الزجاج : أي : ما أنكروا عليهم إيمانهم . وقد شرحنا معنى « نقوموا » في [المائدة : ٥٩] و [براءة : ٧٤] وشرحنا معنى « العزيز الحميد » في [البقرة : ١٢٩ ، ٢٦٧] .

قوله تعالى : (والله على كل شيء شهيد) أي : لم يخفَ عليه ما صنعوا ، فهو شهيد عليهم بما فعلوا .

قوله تعالى : (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي : أحرقوهم ، وعدّوهم . كقوله تعالى : (يوم هم على النار يفتنون) [الذاريات : ١٣] (ثم لم يتوبوا) من شركهم وفعلهم ذلك بالمؤمنين (فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما أحرقوا المؤمنين ، وكلا العذابين في جهنم عند الأكثرين . وذهب الربيع بن

أنس في جماعة إلى أن النار ارتفعت إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم ، فذلك عذاب الحريق في الدنيا . قال الربيع : وقبض الله أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار . وحكى الفراء أن المؤمنين نجوا من النار ، وأنها ارتفعت فأحرقت الكفرة .

قوله تعالى : (ذلك الفوز الكبير) لأنهم فازوا بالجنة . وقال بعض المفسرين : فازوا من عذاب الكفار ، وعذاب الآخرة .

قوله تعالى : (إن بطش ربك) قال ابن عباس : إن أخذه بالعذاب إذا أخذَ الظَّلمةَ والجبايةَ لشديد .

قوله تعالى : (إنه هو يبدئ ويعيد) فيه قولان .

أحدهما : يبدئ الخلق ويعيدهم ، قاله الجمهور .

والثاني : يبدئ العذاب في الدنيا على الكفار ثم يعيده عليهم في الآخرة ،

رواه العوفي عن ابن عباس . وقد شرحنا في [هود : ٩٠] معنى « الودود »

قوله تعالى : (ذو العرش المجيد) وقرأ حمزة ، والكسائي ، والمفضل عن عاصم « المجيد »

بالخفض ، وقرأ غيرهم بالرفع ، فن رفع « المجيد » جعله من صفات الله عز وجل ،

ومن كسر جعله من صفة العرش .

قوله تعالى : (هل أتاك حديث) أي : قد أتاك حديث (الجنود) وهم

الذين تجندوا على أولياء الله . ثم بيّن من هم ، فقال تعالى : (فرعونَ وثمودَ بل

الذين كفروا) يعني : مشركي مكة (في تكذيب) لك والقرآن ، أي : لم يعتبروا

بمن كان قبلهم (والله من ورائهم محيط) لا يخفى عليه شيء من أعمالهم (بل هو

قرآنٌ مجيدٌ) أي : كريم ، لأنه كلام الله ، وليس كما يقولون بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر . وقرأ أبو العالية ، وأبو الجوزاء ، وأبو عمران ، وابن السميع « بل هو قرآن مجيد » بغير تنوين وبخفض « مجيد » (في لوح محفوظ) وهو اللوح المحفوظ ، منه نسخ القرآن وسائر الكتب ، فهو محفوظ عند الله ، محروس به من الشياطين ، ومن الزيادة فيه والنقصان منه . وقرأ نافع « محفوظ » رفعاً على نعت القرآن . فالمعنى : إنه محفوظ من التحريف والتبديل .



سورة الطارق

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ . إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ . قَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

قوله تعالى : (والسماء والطارق) قال ابن قتيبة : الطارق : النجم ، سمي بذلك ، لأنه يطرق ، أي : يطلع ليلاً ، وكل من أتاك ليلاً ، فقد طرقتك . ومنه قول هند ابنة عتبة :

نحن بنات طارق نمشي على النارق^(١)

تريد : إن أبانا نجم في شرفه وعلوه .

قوله تعالى : (وما أدراك ما الطارق) قال المفسرون : ذلك أن هذا الاسم

(١) انظر « الاغاني » ، طبع دار الثقافة ٣٤٣/١٢ ، والقرطبي ٢٠/٢٠ .

يقع على كل ما طرق ليلاً^(١) ، فلم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد به حتى تبينه بقوله تعالى : (النجم الثاقب) يعني : المضيء ، كما بينا في [الصافات : ١٠] .

وفي المراد بهذا النجم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه زُحَل ، قاله علي رضي الله عنه . وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : هو زحل ، ومسكنه في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم ، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء ، هبط ، فكان معها ، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة ، فهو طارق حين ينزل ، وطارق حين يصعد .
والثاني : أنه الثريا ، قاله ابن زيد .

والثالث : أنه اسم جنس ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري .

قوله تعالى : (إن كل نفس) قرأ أبي بن كعب ، وأبو المتوكل [إن] بالتشديد « كل » بالنصب (لما عليها حافظ) وقرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، وعاصم الجحدري ، وحمزة ، وأبو حاتم عن يعقوب « لما » بالتشديد . وقرأ الباقون بالتخفيف . قال الزجاج : هذه الآية جواب القسم ، ومن خفف فالمعنى : لعلها حافظ و« ما » لغو . ومن شدد ، فالمعنى : إلا^(٢) ، قال : فاستعملت « لما » في موضع

(١) قال ابن كثير : قال قتادة وغيره : إنما سمي النجم طارقاً ، لانه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار ، قال : ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح : نهي أن يطرق الرجل أهله طروقاً ، أي : يأتيهم فجأة بالليل .

(٢) في الاصل : إلاط .

« إلا » في موضعين . أحدهما : هذا . والآخر ^(١) : في باب القسم . تقول : سألتك لما فعلت ، بمعنى : إلا فعلت . قال المفسرون : المعنى : ما من نفس إلا عليها حافظ . وفيه قولان .

أحدهما : أنهم الحفظة من الملائكة ، قاله ابن عباس . قال قتادة : يحفظون على الإنسان عمله من خير أو شر .

والثاني : حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلمه إلى المقادير ، قاله الفراء . ثم نبه على البعث بقوله تعالى : (فلينظر الإنسان مم خلق ؟) أي : من أي شيء خلقه الله ؟ والمعنى : فلينظر نظر التفكير والاستدلال ليعرف أن الذي ابتدأه من نطفة قادرٌ على إعادته .

قوله تعالى : (من ماء دافق) قال الفراء : معناه : مدفوق ، كقول العرب . سرٌّ ^(٢) كاتم ، وهم ناصب ، وليلٌ نائم ، وعيشة راضية . وأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً . قال الزجاج : ومذهب سيويوه ، وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق ، والمعنى : من ماء ذي اندفاق ^(٣) .

قوله تعالى : (يخرج من بين الصلب) قرأ ابن مسعود ، وابن سيرين ، وابن السميع ، وابن أبي عجلة « الصلب » بضم الصاد ، واللام جميعاً . يعني : يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة . قال الفراء : يريد يخرج من الصلب والترائب . يقال : يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير . بمعنى : يخرج منها .

(١) في الاصل : والآخرة .

(٢) في الاصل : ستر .

(٣) في الاصل : من ماذا اندفاق .

وفي « الترائب » ^(١) ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه موضع القلادة ، قاله ابن عباس . قال الزجاج : قال أهل اللغة أجمعون : الترائب : موضع القلادة من الصدر ، وأنشدوا لامرئ القيس :

مُهَفِّفَةٌ بِيَضَاءٍ غَيْرُ مَفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ ^(٢)

قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال : السججل : المرأة بالرومية . وقيل : هي سبكة الفضة ، وقيل : السججل : الزعفران ، وقيل : ماء الذهب . ويروى : البيت « بالسججل » .

والثاني : أن الترائب : اليدان والرجلان والعينان ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك .

والثالث : أنها أربعة أضلاع من يمين الصدر ، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر ، حكاه الزجاج .

قوله تعالى : (إنه) الهاء كناية عن الله عز وجل (على رجعه) الرجوع : رد الشيء إلى أول حاله . وفي هذه الهاء قولان .

أحدهما : أنها تعود على الإنسان . ثم فيه قولان . أحدهما : أنه على إعادة الإنسان حياً بعد موته قادر ، قاله الحسن ، وقتادة . قال الزجاج : ويدل على هذا القول قوله تعالى : (يوم تبلى السرائر) . والثاني : أنه على رجعه من حال الكبر

(١) في الاصل : وفي التراب .

(٢) ديوانه ١٥ ، و « اعجاز القرآن » للباقلاني ٢٧٠ ، والقرطبي ٥/٢٠ ، والمهففة :

الخفيفة اللحم ليست برهلة ، ولا ضخمة البطن ، والمفاضة : المسترخية البطن ، والترائب جمع تريبة ، وهي موضع القلادة من الصدر .

إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصبا ، ومن الصبا إلى النطفة قادر ، قاله الضحاك (١) .

والقول الثاني : أنها تعود إلى الماء . ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال .
أحدها : رد الماء في الإحليل ، قاله مجاهد . والثاني : على رده في الصلب ، قاله
عكرمة ، والضحاك . والثالث : على حبس الماء فلا يخرج ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : (يوم تبلى السرائر) التي بين العبد وبين ربه حتى يظهر خيرها
من شرها ، ومؤدبها من مضيعها ، فإن الإنسان مستور في الدنيا ، لا يدرى
أصله ، أم لا ؟ أتوضأ ، أم لا ؟ فإذا كان يوم القيامة أبدى الله كل سر ، فكان
زيناً في الوجه ، أو شيناً . وقال ابن قتبية : تختبرُ سرائر القلوب .

قوله تعالى : (فإله من قوة) أي : فإلهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة
يمنتع بها من عذاب الله (ولا ناصر) ينصره .

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ . وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ . إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ .
وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ . إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا . وَأَكِيدُ كَيْدًا . فَمَنْ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ
رُؤُودًا ﴾

قوله تعالى : (والسماء ذات الرجوع) أي : ذات المطر ، وسمي المطر رجعاً
لأنه يجيء ويرجع ويتكرر (والأرض ذات الصدع) أي : ذات الشق .
وقيل لها هذا ، لأنها تتصدع وتتشقّق بالنبات ، هذا قول المفسرين وأهل اللغة
في الحرفين .

قوله تعالى : (إنه لقول فصل) يعني به القرآن ، وهذا جواب القسم .

والفصل : الذي يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منها (وما هو بالهزل)
أي : باللَّعِب . والمعنى : إنه جِدٌّ ، ولم ينزل باللَّعِب . وبعضهم يقول : الهاء في
« إنه » كناية عن الوعيد المتقدم ذكره .

قوله تعالى : (إنهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيداً) [أي : يحتالون] وهذا
الاحتيال المكر برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة . (وأكيد كيداً) أي :
أجازهم [على كيدهم] بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون ، فأنتقم منهم في الدنيا بالسيف ،
وفي الآخرة بالنار . (فهل الكافرين) هذا وعيد من الله لهم . ومهلٍّ وأمهل لغتان
جمعتا هاهنا . ومعنى الآية : مهلهم قليلاً حتى أهلكهم ، ففعل الله ذلك ببدر ،
ونسخ الإمهال بآية السيف . قال ابن قتيبة : ومعنى « رويداً » مهلاً ، ورويدك
بمعنى أمهل . قال تعالى : (فهل الكافرين أمهلهم رويداً) أي : أمهلهم قليلاً ، فإذا لم
يتقدمها « أمهلهم » كانت بمعنى « مهلاً » . ولا يتكلم بها إلا مصغرة ومأموراً بها ،
وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير معنى الأمر .

قال الشاعر :

كَأَنهَا مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُودٍ^(١)

أي : على مهل .

(١) كذا أنشده ابن قتيبة في « مشكل القرآن » ص ٢٣ وتبعه ابن فارس في « الصحاح »
ص ١٢٤ ، « ومقاييس اللغة » ٥٨/٢ ، والصواب ما في « القرطبي » ١٢/٢٠ و « اللسان »
مادة « رود » قال الجوهري : الظفري :

تكد لا تلم البطحاء وطأها كأنها مثل يمشي على رود

وفي « أساس البلاغة » ٣٧٩/١ : قال الهذلي :

تكد لا تلم البطحاء خطونها . . .

سورة الأعلى

وهي مكية كلها بإجماعهم^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى . فَجَعَلَ حُشَاءَ آخُوَى . سَنُقْرِيكَ فَلَا تَنْسَى . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى . وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى . فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى .
سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْفَى . وَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى . الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى . ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَخْيَى ﴾

(١) روى البخاري في « صحيحه » ٥٣٧/٨ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ (يعني المدينة) مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، فجعلنا يقرأنا القرآن ، ثم جاء عمار ، وبلال ، وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ، ثم جاء النبي ﷺ ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتى رأيت الولاة والصبيان يقولون : هذا رسول الله ﷺ قد جاء ، فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الأعلى) في سور مثلها اه . وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بها وبسورة الغاشية في صلاة الجمعة والعيدين ووتر العشاء ، وثبت في « الصحيحين » أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى » ؟ .

وفي معنى (سبح) خمسة أقوال .

أحدها : قل : سبحان ربي الأعلى ، قاله الجمهور .

والثاني : عَظُمَ .

والثالث : صَلَّ بِأمر ربك ، روي القولان عن ابن عباس .

والرابع : نَزَّهَ ربك عن السوء ، قاله الزجاج .

والخامس : نَزَّهَ اسم ربك وذكرك إياه أن تذكره وأنت معظم له ، خاشع

له ، ذكره الثعلبي^(١) .

وفي قوله تعالى : (اسم ربك) قولان .

أحدهما : أن ذكر الاسم صلة ، كقول ليث بن ربيعة :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ^(٢)

(١) وفي الطبري : نزه تسميتك بإحمد ربك الأعلى وذكرك إياه : أن تذكره إلا وأنت له خاشع متذل ، وفي « معالم التنزيل » : : نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم . وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عتبة بن عامر الجبني لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ : « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال : « اجعلوها في سجودكم » وإسناده صحيح .

(٢) تقدم تخريج البيت في الجزء الثالث صفحة (٤٨٣) ، يقوله ليث لابنته ،

في أبيات هي :

والثاني : أنه أصلي^(١) . وقال الفراء [سبح ربك ، و]^(٢) سبح اسم ربك سواء في كلام العرب .

قوله تعالى : (الذي خلق فسوَّى) أي : فعدَّل الخلق . وقد أشرنا إلى هذا المعنى في (الانفطار : ٧) (والذي قَدَّر) قرأ الكسائي وحده « قَدَّر » بالتخفيف (فهدى) فيه سبعة أقوال .

أحدها : قَدَّر الشقاوة والسعادة ، وهدى للرشد والضلالة ، قاله مجاهد .

والثاني : جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها إليه ، قاله عطاء .

والثالث : قَدَّر مدة الجنين في الرحم ثم هداها^(٣) للخروج ، قاله السدي .

والرابع : قَدَّرهم ذكوراً وإناثاً ، وهدى الذكر لإتيان الأنثى ، قاله مقاتل .

— تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَتَعَيشَ أَبُوهَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِبْعَةٍ أَوْ مُمْصَرٍ
فَقَوْمًا فَقَوْلًا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْنَا وَلَا تَحْمِشًا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقًا شَعْرًا
وَقَوْلًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ لَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرَ

وقوله : « إلى الحول » ، أي : إلى أن يحول الحول . والحول : السنة كاملة بأسرها ، وقوله : « فقد اعتذر » هنا ، بمعنى أعذر ، أي بلغ أقصى الغاية في العذر .

(١) قال الآلوسي في « روح المعاني » ٣٤٧/٩ : أي : نزه أسمائه عز وجل عما لا يليق ، فلا تؤول مما ورد منها اسماً من غير مقتض ، ولا تبقه على ظاهره إذا كان ما وضع له مما لا يصح له تعالى ، ولا تطلقه على غيره سبحانه أصلاً إذا كانت مختصاً به كالاسم الجليل ، أو على وجه يشعر بأنه تعالى وغيره فيه سواء إذا لم يكن مختصاً ، فلا تقل لمن أعطاك شيئاً مثلاً : هذا رازقي على وجه يشعر بذلك وصنه عن الابتذال والتلفظ به في محل لا يليق به

(٢) زيادة ليست في الأصل ، ولكن يقتضيها السياق .

(٣) في الأصل : هدى .

والخامس : أن المعنى : قدَّر فهدى وأضل ، فحذف « وأضل » ، لأن
في الكلام دليلاً على ذلك ، حكاة الزجاج .

والسادس : قدَّر الأرزاق ، وهدى إلى طلبها .

والسابع : قدَّر الذنوب ، وهدى إلى التوبة ، حكاها الثعلبي .

قوله تعالى : (والذي أخرج المرعى) أي : أنبت العشب ، وما ترعاه
البهائم (فجعله) بعد الخضرة (غثاء) قال الزجاج ، أي : جفَّفه حتى جعله
هشياً جافاً كالغثاء الذي تراه فوق ماء السيل ^(١) . وقد بينا هذا في سورة [المؤمنين :
٤١] فأما قوله تعالى : (أحوى) فقال الفراء : الأحوى : الذي قد اسود عن
القدم ، والعتق ^(٢) ، ويكون أيضاً : أخرج المرعى أحوى : أسود من الخضرة ،
فجعله غثاء ^(٣) كما قال تعالى : (مدهامتان) [الرحمن : ٦٤] .

قوله تعالى : (سنقرئك فلا تنسى) قال مقاتل : سنعلّمك ^(٤) القرآن ، ونجمعه
في قلبك فلا تنساه أبداً .

قوله تعالى : (إلا ما شاء الله) فيه ثلاثة أقوال .

(١) في الأصل : السيل ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : والعتق ، وهو تصحيف ، والتصحيح من « اللسان » نقلاً عن الفراء .

(٣) نص عبارة الفراء كما في « اللسان » : وقد يكون معناه أيضاً : أخرج المرعى
أحوى ، أي : أخضر فجعله غثاء بعد خضرته ، فيكون مؤخرأ معناه التقديم ، والأحوى :
الأسود من الخضرة .

(٤) في الأصل : سيعلمك .

أحدها : إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنسأه ، قاله الحسن ، وقتادة .

والثاني : إلا ما شاء الله أن تنسى شيئاً ، فإنما هو كقوله تعالى : (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) [هود : ١٠٧] ، فلا يشاء ^(١) .

قوله تعالى : (إنه يعلم الجهر) من القول والفعل (وما يخفى) منها (ونيسرك لليسرى) أي : نسهل ^(٢) عليك عمل الخير (فذكر) أي : عظم أهل مكة (إن نفعت الذكرى) وفي « إن » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الشرطية ، وفي معنى الكلام قولان ، أحدهما : إن قبلت ^(٣) الذكرى ، قاله يحيى بن سلام . والثاني : إن نفعت وإن لم تنفع ، قاله علي بن أحمد النيسابوري .

والثاني : أنها بمعنى « قد » ، فتقديره : قد نفعت الذكرى ، قاله مقاتل .
والثالث : أنها بمعنى « ما » فتقديره : فذكر ما نفعت الذكرى ، حكاه الماوردي .

قوله تعالى : (سيدذكر) سيتعظ ^(٤) بالقرآن (من يخشى ويتجنبها)

(١) عبارة الفراء كما في « القرطبي » ١٨/١٠ : إلا ما شاء الله وهو لم يشأ أن ينسى شيئاً ، كقوله تعالى : (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) ولا يشاء .

(٢) في الأصل : لسهل .

(٣) في الأصل : قلت ، والتصحيح من مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية .

(٤) في الأصل : أمرت يتعظ ، والتصحيح من « مجمع البيان » للطبرسي .

ويتجنب الذكرى (الأشقى الذي يصل النار الكبرى) أى : العظيمة الفظيعة لأنها أشد من نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه . وقال ابن جرير : تصير نفس أحدهم في حلقه ، فلا تخرج فتفارقه فيموت ، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾
قوله تعالى : (قد أفلح) قال الزجاج : أي : صادف البقاء الدائم ، والفوز (مَنْ تَزَكَّى) فيه خمسة أقوال .

أحدها : من تطهر^(١) [من] الشرك بالإيمان ، قاله ابن عباس .
والثاني : من أعطى صدقة الفطر ، قاله أبو سعيد الخدري ، وعطاء ، وقتادة .
والثالث : من كان عمله زاكياً ، قاله الحسن ، والربيع .
والرابع : أنها زكوات الأموال كلها ، قاله أبو الأحوص .
والخامس : تكثّر بتقوى الله . ومعنى الزاكي : النامي الكثير ، قاله الزجاج .
قوله تعالى : (وذكر اسم ربه) قد سبق بيانه [الأحزاب : ٣١] .
وفي قوله تعالى : (فصلّى) ثلاثة أقوال .
أحدها : أنها الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس ، ومقاتل .

(١) في الأصل : يظهر .

والثاني : صلاة العيدين ، قاله أبو سعيد الخدري .

والثالث : صلاة التطوع ، قاله أبو الأحوص . والقول قول ابن عباس في الآيتين ، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف ، ولم يكن بمكة زكاة ، ولا عيد . قوله تعالى : (بل تؤثرن الحياة الدنيا) قرأ أبو عمرو ، وابن قتيبة ، وزيد عن يعقوب « بل يؤثرن » بالياء ، والباقون بالتاء ، واختار الفراء والزجاج التاء ، لأنها رويت عن أبي بن كعب : « بل أنتم تؤثرن » . فإن أريد بذلك الكفار ، فالمعنى : أنهم يؤثرن الدنيا على الآخرة ، لأنهم لا يؤمنون بها . وإن أريد به المسلمون ، فالمعنى : يؤثرن الاستكثار من الدنيا على الاستحسان من الثواب . قال ابن مسعود : إن الدنيا عجلت لنا ، وإن الآخرة نُعِتَتْ^(١) لنا ، وزويت عنا ، فأخذنا بالعاجل [وتركنا الآجل]^(٢) .

قوله تعالى : (والآخرة خير لك) يعني الجنة أفضل (وأبقى) أي : أدام من الدنيا .

(إن هذا لفي الصحف الأولى) في المشار إليه أربعة أقوال .

(١) في الأصل : نُعِتَتْ .

(٢) زيادة لم ترد في الأصل ، استدركنها من الطبري ، والبغوي و « جمع الياء » والقرطبي ، وابن كثير . وعبادة ابن جرير الطبري في « التفسير » : عن عرافة الثقفى قال : استقرأت ابن مسعود (سبح اسم ربك الأعلى) فلما بلغ (بل تؤثرن الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة ، فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزويت عنا الآخرة ، فأخذنا العاجل وتركنا الآجل . قال ابن كثير : وهذا منه على وجه التواضع والمضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، والله أعلم .

أحدها : أنه قوله تعالى : (والآخرة خير وأبقى) قاله قتادة .

والثاني : هذه السورة ، قاله عكرمة ، والسدي .

والثالث : أنه لم يرد [أن معنى] السورة [في الصحف الأولى] ، ولا الألفاظ^(١)

بعينها ، وإنما أراد أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصل ، في الصحف الأولى ، كما هو في القرآن ، قاله ابن قتيبة .

والرابع : أنه من قوله تعالى : (قد أفلح من تزكى) إلى قوله : (وأبقى) قاله ابن جرير^(٢) .

ثم بين الصحف الأولى ماهي ، فقال : (صحف إبراهيم وموسى) وقد فسرناها في (النجم : ٣٦) .



(١) في الأصل : لفاظها ، والتصويب من « غريب القرآن » ص ٥٢٤ .

(٢) واختاره ، وقال : وإنما قلت : ذلك أولى بالصحة من غيره ، لأن « هذا » إشارة

إلى حاضر ، فلاّن يكون إشارة إلى ما قرّب منها ، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره .

سورة الغاشية

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ . وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً . تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ . لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾

قوله تعالى : (هل أتاك) أي : قد أتاك ، قاله قطرب . وقال الزجاج : والمعنى : هذا لم يكن من علمك ^(١) ولا من علم قومك . وفي « الغاشية » قولان .

أحدهما : أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، وابن قتيبة .

والثاني : أنها النار تغشى وجوه الكفار ، قاله سعيد بن جبير ، والقرطبي ، ومقاتل .

(١) في الأصل : علمك ، والتصحيح من « القرطبي » .

قوله تعالى : (وجوه يومئذ خاشعة) أي : ذليلة وفيها قولان .

أحدهما : أنها وجوه اليهود والنصارى ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه جميع الكفار ، قاله يحيى بن سلام .

قوله تعالى : (عاملة ناصبة) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنهم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام ، كعبدة الأوثان ، وكفار أهل الكتاب ، مثل الرهبان وغيرهم ، رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني : أنهم الرهبان ، وأصحاب الصوامع ، رواه أبو الضحى عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير ، وزيد بن أسلم .

والثالث : عاملة ناصبة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال ، لأنها [لم]^(١) تعمل لله في الدنيا ، فأعملها وأنصبها في النار ، وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس ، وبه قال الحسن . وقال قتادة : تكبرت في الدنيا عن طاعة الله ، فأعملها وأنصبها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب . قال الضحاك : يُكَلَّفُونَ ارتقاء جبل في النار . وقال ابن السائب : يَخْرِثُونَ على وجوههم في النار . وقال مقاتل : عاملة في النار تأكل من النار ، ناصبة للعذاب .

والرابع : عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة ، قاله عكرمة والسدي . والكلام هاهنا على الوجوه ، والمراد أصحابها . وقد بينا معنى « النصب » في قوله تعالى : (لا يمسهم فيها نصب) [الحجر : ٤٨] .

(١) كلمة « لم » سقطت من الأصل ، واستدركنها من الطبري .

قوله تعالى : (تصلى ناراً حامية) قرأ أهل البصرة وعاصم إلا حفصاً « تُصَلَّى » بضم التاء . والباقون بفتحها ^(١) . قال ابن عباس : قد حيت فهي تتلظى ^(٢) على أعداء الله ، (تسقى من عين آنية) ، أي : متناهية في الحرارة . قال الحسن : وقد [أوقدت] ^(٣) عليها جهنم منذ خلقت ، فدفعوا إليها [وَرِئاً] ^(٤) عطاشاً .

قوله تعالى : (ليس لهم طعام إلا من ضريع) فيه ستة أقوال .
أحدها : أنه نبت ذو شوك لاطيء بالأرض ، وتسميه قريش « الشبرق »
فإذا هاج سموه : ضريعاً ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ،
وعكرمة ، وقتادة .

والثاني : أنه شجر من نار ، رواه الوالي عن ابن عباس .
والثالث : أنها الحجارة ، قاله ابن جبير .
والرابع : أنه السلم ^(٥) ، قاله أبو الجوزاء .
والخامس : أنه في الدنيا : الشوك اليابس الذي ليس له ورق ، وهو في
الآخرة شوك من نار ، قاله ابن زيد .

(١) قال في « البحر » و « روح المعاني » : وقرأ خارجه « تُصَلَّى » بضم التاء ،
وفتح الصاد مشدد اللام ، للمبالغة .

(٢) في الأصل : تظلى .

(٣) كلمة « أوقدت » سقطت من الأصل ، واستدركنها من البغوي والحازن والقرطبي .

(٤) زيادة من البغوي والحازن والقرطبي .

(٥) في الأصل : السلا .

والسادس : أنه طعام يضرعون إلى الله تعالى منه ، قاله ابن كيسان .
 قال المفسرون : لما نزلت هذه الآية قال المشركون : إن إبلنا لتسمن على
 الضريع ، فأنزل الله تعالى : (لا يسمن ولا يغني من جوع) وكذبوا ، فإن
 الإبل إنما ترعاه مادام رطباً ، وحينئذ يسمى شبرقاً ، لا ضريعاً ، فإذا يبس
 يسمى : ضريعاً لم يأكله شيء .

فإن قيل : إنه ^(١) قد أخبر في هذه الآية : « ليس لهم طعام إلا من ضريع » ^(٢)
 وفي مكان آخر (ولا طعام إلا من غسلين) [الخافق : ٣٦] فكيف الجمع بينهما ؟
 فالجواب : أن النار دركات ، وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات ، فمنهم من
 طعامه الزقوم ، [ومنهم] ^(٣) من طعامه غسلين ، ومنهم من شربه الحميم ،
 ومنهم من شربه الصديد . قاله ابن قتية .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . لَا تَسْمَعُ فِيهَا
 لَاغِيَةً . فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ . فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ
 مَصْفُوفَةٌ . وَزُرِّيٌّ مَبْنُوتٌ . أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ
 كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . فَذَكِّرْ
 إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ . إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ
 الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ . إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

(١) في الأصل : ابن .

(٢) في الأصل : لا إطعام إلا الضريع .

(٣) زيادة لم ترد في الأصل .

قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناعمة) أي : في نعمة وكرامة (لسعيها) في الدنيا (راضية) والمعنى : رضيت بثواب عملها (في جنة عالية) قد فسرناه في « الحاقة » [آية : ٢٢] (لا تسمع فيها لاغية) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ورويس « لا يُسمع » بياء مضمومة . « لاغية » بالرفع . وقرأ نافع كذلك إلا أنه بتاء مضمومة ، والباقيون بتاء مفتوحة ، ونصب « لاغية » والمعنى : لا تسمع فيها كلمة [لغو] ^(١) (فيها سرُّرٌ مرفوعة) قال ابن عباس : ألواحها من ذهب مكدلة بالزبرجد ، والدر ، والياقوت ، مرتفعة مالم يجيء أهلها ، فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها ، تواضعت له حتى يجلس عليها ، ثم ترتفع إلى موضعها (وأكوابٌ موضوعة) عندهم وقد ذكرنا « الأكواب » في (الزخرف : ٧١) (وثمار) وهي الوسائد ، واحدها : ثمرقة بضم النون . قال الفراء : وسمعت بعض كلب تقول : ثمرقة ، بكسر النون والراء (مصفوفة) بعضها إلى جنب بعض ، والزراي : الطنافس [التي] ^(٢) لها تخمل ^(٣) رقيق (مبثوثة) كثيرة . قال ابن قتيبة : كثيرة مفرقة . قال المفسرون : لما نعت الله سبحانه ما في الجنة ، عجب من ذلك أهل الكفرة ، فذكرهم صنعه ، فقال تعالى : (أفلا ينظرون

(١) سقطت من الأصل ، واستدر كناها من القرطبي نقلاً عن الفراء والأخفش .

(٢) زيادة من الطبري والقرطبي .

(٣) في الأصل : حل .

إلى الإبل (١) وقال قتادة : ذكر الله ارتفاع [سُرُر] (٢) الجنة ، وفرشها ، فقالوا : كيف نصعدُها ، فنزلت هذه الآية (٣) . قال العلماء : وإنما خص الإبل من غيرها لأن العرب لم يَرَوْا بهيمة قطُّ أعظمَ منها ، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم ، ولأنها كانت أَنفَسَ أموالهم وأكثرها ، لا تفارقهم ولا يفارقونها ، فيلاحظون فيها العِبَر الدَّالَّةَ على قدرة الخالق ، من إخراج لبنها من بين فَرْثٍ وَدَمٍ [و] (٤) من عَجِيب خَلْقِها ، وهي على عِظَمِها مُدَلَّلةٌ للحمل الثقيل ، وتنقاد للصبي الصغير ، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره وهو بارك فيطيق النهوض به سواها . وقرأ ابن عباس ، وأبو عمران الجوني ، والأصمعي عن أبي عمرو « الإبل » بإسكان الباء ، وتخفيف اللام . وقرأ أبي بن كعب ، وعائشة ، وأبو المتوكل ، والجحدري ، وابن السميع ، ويونس بن حبيب وهارون كلاهما عن أبي عمرو « الإبل » بكسر الباء ، وتشديد اللام . قال هارون : قال أبو عمرو « الإبل » بتشديد اللام : السحاب الذي يحمل الماء .

قوله تعالى : (كيف خُلِقْتُ) وقرأ علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وأبو العالية ، وأبو عمران ، وابن أبي عجلة « خُلِقْتُ » بفتح الخاء ، وضم التاء . وكذلك قرؤوا : « رَفَعْتُ » و « نَصَبْتُ » و « سَطَحْتُ » .

(١) رواه ابن جرير الطبري ١٦٥/٣٠ ، وأورده السيوطي في « الدر » ٣٤٣/٦ وزاد نسبه لعبد بن حيد ، وابن أبي حاتم .

(٢) كلمة « سرر » سقطت من الأصل ، واستدركنها من البغوي والحاظن .

(٣) ذكره البغوي والحاظن عن قتادة بغير سند .

(٤) زيادة ليست في الأصل .

قوله تعالى : (وإلى السماء كيف رُفِعَتْ) من الأرض حتى لا ينالها شيء
 بغير عَمَدٍ (وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ) على الأرض لا تزول ولا تتغير (وإلى
 الأرض كيف سَطِحَتْ)^(١) أي : بُسِطَتْ . والسطح : بسط الشيء ، وكل ذلك
 يدل على [قدرة]^(٢) خالقه (فَذَكَّرْ) أي : عظ (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ) أي :
 واعظ ، ولم يكن حينئذ أمر بغير التذكير ، ويدل عليه قوله تعالى : (لَسْتُ
 عليهم بمسيطر) أي : بمسلط ، فتقتلهم وتكرهمهم على الإيمان^(٣) . ثم نسخها آية
 السيف . وقرأ أبو رزين ، وأبو عبد الرحمن ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ،
 والحلواني عن ابن عامر « بمسيطر » بالسين . وقد سبق بيان « المسيطر » في قوله
 تعالى (أم هم المسيطرون) [الطور : ٣٧] .

قوله تعالى : (إلا من تولى) وهذا استثناء منقطع مغناه : لكن من تولى
 (وكفر) بعد التذكير . وقرأ ابن عباس ، وعمرو بن العاص ، وأنس بن مالك ،
 وأبو مجلز ، وقتادة ، وسعيد بن جبير « ألا من تولى » بفتح الهمزة وتخفيف اللام (فيعذبه
 الله العذاب الأكبر) وهو أن يدخله جهنم ، وذلك أنهم قد عذبوا في الدنيا

(١) قال القرطبي : وقرأ الحسن وأبو حنيفة وأبو رجاء « سَطِحَتْ » بتشديد الطاء
 وإسكان التاء .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) روى مسلم في « صحيحه » ٥٣/١ عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله
 ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوا : لا إله إلا الله
 عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ، ثم قرأ : (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتُ
 عليهم بمسيطر) . ورواه الترمذي ١٧٠/٢ وقال : حديث حسن صحيح .

بالجوع ، والقتل ، والأسر ، فكان عذاب جهنم هو الأكبر (إن إلينا إياهم)
قرأ أبي بن كعب ، وعائشة ، وعبد الرحمن ، وأبو جعفر « إياهم » بتشديد
الياء ، أي : رجوعهم ومصيرهم بعد الموت (ثم إن علينا حسابهم) قال مقاتل :
أي : جزاءهم .

سورة الفجر

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ . هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ . أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثمودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ ﴾

قوله تعالى : (والفجر) قال ابن عباس : الفجر : انفجار الظلمة عن الصبح ، وانفجر الماء : انبجس . قال شيخنا علي بن عبيد الله : الفجر : ضوء النهار إذا انشق عنه الليل ، وهو مأخوذ من الانفجار ، يقال : انفجر النهر ينفجر انفجاراً : إذا انشق فيه موضع لخروج الماء ، ومن هذا سمي الفاجر فاجراً ، لأنه خرج عن طاعة الله .

وللمفسرين في المراد بهذا الفجر ستة أقوال .

أحدها : أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار ، قاله علي رضي الله عنه ^(١) . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو انفجار الصبح كل يوم ، وبهذا قال عكرمة ، وزيد بن أسلم ، والقرظي .

والثاني : صلاة الفجر ، رواه عطية عن ابن عباس .

والثالث : النهار كله ، فعبر عنه بالفجر ، لأنه أوله ، وروى هذا المعنى أبو نصر ^(٢) عن ابن عباس .

والرابع : أنه فجر يوم النحر خاصة قاله مجاهد ^(٣) .

والخامس : أنه فجر أول يوم ^(٤) من ذي الحجة ، قاله الضحاك .

والسادس : أنه أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة قاله قتادة .

قوله تعالى : (وليالٍ عشر) فيها أربعة أقوال .

أحدها : أنه عشر ذي الحجة ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ومقاتل ^(٥) .

(١) وهو المختار ، وقد قال بذلك أيضاً ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي .

(٢) في الأصل : أبو نصر ، والتصحيح من الطبري وكتب الرجال ، ولا يعرف له اسم أخرج له البخاري في الأدب المفرد ، وقال أبو زرعة : أبو نصر الأسدي الذي يروي عن ابن عباس ثقة .

(٣) وبذلك قال مسروق ، ومحمد بن كعب ، وهو خاتمة الليالي العشر .

(٤) في الأصل : يوم أول .

(٥) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري ، وقال : والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحي ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه . وقال ابن كثير : الليالي العشر : -

والثاني : أنها العشر الأواخر من رمضان ، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس .

والثالث : العشر الأول من رمضان ، قاله الضحاك .

والرابع : العشر الأول من المحرم ، قاله يمان بن رثاب .

قوله تعالى : (والشفع والوتر) قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف « والوتر »

بكسر الواو ، وفتحها الباقون ، وهما لغتان . قال الفراء : الكسر لقريش وتميم وأسد ، والفتح لأهل الحجاز .

وللمفسرين في « الشفع والوتر » عشرون قولاً .

أحدهما : أن الشفع : يوم عرفة ويوم الأضحى ، والوتر : ليلة النحر ، رواه أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ^(١) .

والثاني : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة ، [رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ^(٢) ، وبه قال ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك]^(٣) .

— المراد بها عشر ذي الحجة ، كما قاله ابن عباس ، وابن الزبير ، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، قال : وقد ثبت في « صحيح البخاري » عن ابن عباس مرفوعاً : « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعني عشر ذي الحجة ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء » .

(١) قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٣٧/٧ : رواه الطبراني في حديث طويل ، وفيه واصل به السائب ، وهو متروك . وقال الحافظ السيوطي في « الدرر » ٢٤٦/٦ أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) عبارة الأصل : « رواه جابر بن عبد الله عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ^(٣) ،

والثالث : أن الشفع والوتر : الصلاة ، منها الشفع ، ومنها الوتر ، رواه

عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ^(١) ، وبه قال قتادة .

— وبه قال عكرمة والضحاك « وهي خطأ ، فإن جابراً رضي الله عنه لم يروه عن رسول الله ﷺ بواسطة ابن عباس ، وإنما رواه مباشرة عن رسول الله ﷺ كما في « مسند أحمد » (٣٢٧/٣) من رواية زيد بن الحباب عن عياش بن عقبة عن خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر ، وأبو الزبير ، هو محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي ، وهو صدوق من رجال مسلم ، إلا أنه يدلس كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » . وقال ابن كثير : ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله ، وكل منهما عن زيد بن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به ، قال : وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم ، وعندي أن المتن في رفعه تكرار ، والله أعلم .

وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٣٧/٧ : رواه البزار ، وأحمد ، ورجالهما رجال الصحيح ، غير عياش بن عقبة ، وهو ثقة ، وأما عبد الله بن عباس ، فلم يروه مرفوعاً ، وإنما روى هذا المعنى موقوفاً ، كما في « الطبري » ١٧٠/٣٠ ، ولذلك قال ابن كثير بعدما أورد حديث جابر من رواية أحمد والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم : وقاله (أي هذا المعنى) ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك أيضاً .

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤٤٢/٤ من حديث همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبي أبو عمارة البصري ، عن شيخ من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه . ورواه أيضاً الترمذي ١٧٠/٢ من حديث همام عن قتادة به ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة ، ورواه ابن جرير الطبري ١٧٢/٣٠ عن خالد بن قيس عن قتادة به ، والحاكم في « المستدرک » ٥٢٢/٢ من حديث همام عن قتادة به ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخبرنا ، ووافقه الذهبي ، وفيه نظر ، لأن الراوي عن عمران بن حصين مجهول ، ولم يوثقه إلا ابن حبان . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٤٦/٦ وزاد نسبته لعبد بن حيد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

والرابع : [أن الشفع : الخلق كله ، والوتر : الله تعالى] ^(١) ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد في رواية مسروق ، وأبو صالح .

والخامس : أن الوتر : آدم شفع بزوجه ^(٢) ، رواه مجاهد عن ابن عباس .
والسادس : أن الشفع يومان بعد يوم النحر ، وهو النفر الأول ، والوتر : اليوم الثالث ، وهو النفر الأخير ، قاله عبد الله بن الزبير ، واستدل بقوله تعالى : (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) [البقرة : ٢٠٣] .

والسابع : أن الشفع : صلاة الغداة ، والوتر : صلاة المغرب ، حكاه عطية .
والثامن : أن الشفع : الركعتان من صلاة المغرب ، والوتر : الركعة الثالثة ، قاله أبو العالية ، والربيع بن أنس .

والتاسع : أن الشفع والوتر : الخلق كله ، منه شفع ، ومنه وتر ، قاله ابن زيد ومجاهد في رواية .

والعاشر : أنه العدد ، منه شفع ، ومنه وتر ، وهذا والذي قبله مرويان عن الحسن .

والحادي عشر : أن الشفع : عشر ذي الحجة ، والوتر : أيام [منى] ^(٣) الثلاثة ، قاله الضحاك .

(١) عبارة الأصل : « أن الشفع الوتر وله الخلق كله ، والوتر : الله تعالى » والتصحيح من الطبري والقرطبي .

(٢) في الاصل : بن وجه ، والتصحيح من القرطبي ، وقيل : إن الشفع والوتر آدم وحواء ، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجه حواء ، فصار شفعا بعد وتر .

(٣) سقطت من الاصل ، واستدركنها من القرطبي .

والثاني عشر : أن الشفع : هو الله ، لقوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] والوتر : هو الله ، لقوله تعالى : (قل هو الله أحد) ، قاله سفيان بن عيينة .

والثالث عشر : أن الشفع : هو آدم وحواء . والوتر : الله تعالى ، قاله مقاتل ابن سليمان .

والرابع عشر : أن الشفع : الأيام والليالي ، والوتر : اليوم الذي لا ليلة [بعده] ^(١) ، وهو يوم القيامة ، قاله مقاتل بن حيان .

والخامس عشر : الشفع : درجات الجنان ، لأنها ثمان ، والوتر : دركات النار لأنها سبع ، فكان الله أقسم بالجنة والنار ، قاله الحسين بن الفضل .

والسادس عشر : الشفع : تضاد أوصاف المخلوقين بين عزٍ وذُلٍّ ، وقدره وعجز ، وقوة وضعف ، وعلم وجهل ، وموت وحياة . والوتر : انفراد صفات الله عز وجل : عزٌ بلا ذل ، وقدره بلا عجز ، وقوة بلا ضعف ، وعلم بلا جهل ، وحياة بلا موت ، قاله أبو بكر الوراق .

والسابع عشر : أن الشفع : الصفا والمروة ، والوتر : البيت .

والثامن عشر : أن الشفع : مسجد مكة والمدينة ، والوتر : بيت المقدس .

والتاسع عشر : أن الشفع : القرآن بين ^(٢) الحج والتمتع ، والوتر : الأفراد .

والعشرون : الشفع : العبادات المتكررة ، كالصلاة ، والصوم ، والزكاة ،

(١) سقطت من الاصل ، واستدركنها من القرطبي .

(٢) في الاصل : في .

والوتر : العبادة التي لا تتكرر ، وهو الحج ، حكى هذه الأقوال الأربعة الثعلبي .

قوله تعالى : (والليل إذا يسر) وقرأ ابن كثير ، ويعقوب « يسري » بياء في الوصل والوقف ، وافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو . وقرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي « يسر » بغير ياء في الوصل والوقف . قال الفراء ، والزجاج : الاختيار حذفها لمشا كلتها لرؤوس الآيات ، ولاتباع المصحف ^(١) . وفي قوله تعالى : (والليل إذا يسر) قولان .

أحدهما : أن الفعل له ، ثم فيه قولان . أحدهما : إذا يسري ذاهباً ، قاله الجمهور ، وهو اختيار الزجاج . والثاني : إذا يسري مقبلاً ، قاله قتادة .

والقول الثاني : أن الفعل لغيره ^(٢) ، والمعنى : إذا يسري فيه ، كما يقال : ليل نائم ، أي : ينام فيه ، قاله الأخفش ، وابن قتيبة . وفي المراد بهذا الليل ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه عام في كل ليلة ، وهذا الظاهر .
والثاني : أنه ليلة المزدلفة ، وهي ليله جمع ^(٣) : قاله مجاهد وعكرمة .
والثالث : ليلة القدر ، حكاه الماوردي .

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري .

(٢) في الاصل : لعبرة .

(٣) في الاصل : جمعة ، والتصحيح من الطبري « والدر المنثور » ، سميت بذلك لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى .

قوله تعالى : (هل في ذلك) أي : [هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها] ^(١) (قسم لذي حجر) أي : لذي عقل ، وسمي العقل حجراً ، لأنه يحجر صاحبه عن القبيح ، وسمي عقلاً ، لأنه يعقل عمالاً يحسن ، وسمي العقل النهي ، لأنه ينهى عما لا يحل . ^(٢) ومعنى الكلام : أن من كان ذا لبٍّ عليم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء ، فيه دلائل على توحيد الله وقدرته ، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته . وجواب القسم قوله تعالى : (إن ربك لبالمرصاد) فاعترض بين القسم وجوابه بقوله ^(٣) تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) فخوَّف أهل مكة بإهلاك من كان أشدَّ منهم . وقرأ ابن مسعود ، وابن يعمر « بعادٍ إرم » بكسر الدال من غير تنوين على الإضافة .

وفي « إرم » أربعة أقوال .

أحدها : أنه اسم بلدة ، قال الفراء . ولم يُجَرَّ ^(٤) « إرم » لأنها اسم بلدة ثم فيها ثلاثة أقوال . أحدها : أنها دمشق ، قاله سعيد بن المسيب ، وعكرمة ،

(١) عبارة الأصل « فإِذَا سألوه ولده » وقد قومناها كما ترى اعتدأ على كتب التفسير .

(٢) عبارة البغوي : وسمي العقل حجراً ، لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي ، كما يسمى عقلاً ، لأنه يعقله عن القبائح ، ونهى ، لأنه ينهى عما لا ينبغي .

(٣) سقطت من الأصل الباء من « بقوله » والتصحيح من « مجمع البيان » للطبرسي .

(٤) في الأصل : ولم يجر ، وهو تصحيف ، والتصويب من الطبري ، ومعنى « لم يجر »

لم يصرف .

وخالد الربيعي . والثاني : الاسكندرية ، قاله محمد بن كعب ^(١) . والثالث : أنها مدينة صنعها شداد بن عاد ، وهذا قول كعب . وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .
والقول الثاني : أنه اسم أمة من الأمم ، ومعناه : القديمة ^(٢) ، قاله مجاهد .
والثالث : أنه قبيلة من قوم عاد ^(٣) ، قاله قتادة ومقاتل . قال الزجاج :

(١) علق ابن كثير رحمه الله على هذه الأقوال بقوله : ومن زعم أن المراد بقوله : (إرم ذات العماد) مدينة ، إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب ، وعكرمة ، أو اسكندرية ، كما روي عن القرظي ، أو غيرها ، ففيه نظر ، فإنه كيف يلتزم الكلام على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد) إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان ، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ . ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم ، قال : وإنما نهت على ذلك ثلثا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها : إرم ذات العماد ، مبنية ببلن النعب والفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصنها لآلىء وجواهر ، وتربها بنادق المسك ، وأنهارها سارحة ، وغارها ساقطة ، ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ، ليس بها داعر ولا محجب ، وأنها تنتقل ، فتارة تكون بارض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد ، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقهم ، ليختبروا بذلك عقول الجبهة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

(٢) يعني عاداً الأولى .

(٣) قال ابن جرير الطبري : وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد ، ولذلك جاءت القراءة بتوك إضافة عاد إليها وترك إجرائها ، قال : ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جد لعاد ، لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها ، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى ، كما قال قتادة والله أعلم ، فلذلك أجمعت القراءة فيها على ترك الإضافة وترك الاجراء .

وإنما لم تنصرف « إرم » لأنها جعلت اسماً للقبيلة ففتحت ، وهي في موضع خفض .
 والرابع : أنه اسم لجدِّ عادٍ ، لأنه عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح ، قاله ابن اسحاق ^(١) . قال الفراء : فإن كان اسماً لرجل على هذا القول ، فإنما ترك إجراؤه ^(٢) ، لأنه كالعجمي ، قال أبو عبيدة : هما عادان ، فالأولى : هي إرم ، وهي التي قال الله تعالى : (وأنه أهلك عاداً الأولى) [النجم : ٥٠] . وهل قوم هود عاد الأولى ، أم لا ؟ فيه قولان قد ذكرناهما في (النجم) ^(٣) .

وفي قوله تعالى : (إرم ذات العماد) أربعة أقوال .

أحدها : لأنهم كانوا أهل عمد وخيام يطلبون الكلأ حيث كان ، ثم يرجعون إلى منازلهم ، فلا يقيمون في موضع ، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وقتادة ، والفراء ^(٤) .

والثاني : أن معنى ذات العماد : ذات الطول ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال مقاتل ، وأبو عبيدة . قال الزجاج : يقال : رجل مُعمَدٌ : إذا كان طويلاً .

(١) الذي في الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن اسحاق : عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

(٢) في الأصل : ترك جاؤه .

(٣) في الأصل زيادة « أحدهما » بين قوله : « قولان » « وقد » . وانظر تفسير الآية (٥٠) من سورة النجم .

(٤) واختاره ابن جرير الطبري .

والثالث : ذات القوة والشدة ، مأخوذ من قوة الأعمدة ، قاله الضحاك .
والرابع : ذات البناء المحكم بالعماد ، قاله ابن زيد . وقيل : إنما سميت ذات
العماد لبناء بناء بعضهم^(١) .

قوله تعالى : (التي لم يَخْلُقْ مثلها في البلاد) وقرأ أبو المتوكل ، وأبو الجوزاء ،
وأبو عمران : « لم يَخْلُقْ » بناء مفتوحة ورفع اللام « مثلها » بنصب اللام .
وقرأ معاذ القاريء ، وعمرو بن دينار : « لم يَخْلُقْ » بنون مفتوحة ورفع اللام
« مثلها » بنصب اللام .

وفي المشار إليها قولان .

أحدهما : لم يَخْلُقْ مثل تلك القبيلة في الطول والقوة ، وهذا معنى
قول الحسن^(٢) .

والثاني : المدينة لم يَخْلُقْ مثل مدينتهم ذات العماد ، قاله عكرمة .
وقد جاء في التفسير صفات تلك المدينة . وهذه الإشارة إلى ذلك .
روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت ،
فبينما هو في صحارى عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن ، وحول
الحصن قصور كثيرة . فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله^(٣) عن إبله ، فلم ير
خارجاً ولا داخلاً ، فنزل عن دابته ، وعقلها ، وسل سيفه ، ودخل من باب

(١) في الأصل : لبنائه بعضهم ، والتصحيح من الطبري .

(٢) وهو الصواب كما قال ابن كثير ، وذكره عن ابن جرير .

(٣) في الأصل : أن فيها أحداً يسأله ، والتصحيح من « جمع البيان » للطبري .

الحصن ، فلما دخل^(١) الحصن إذا هو بيباين^(٢) عظيمين [لم ير أعظم منها^(٣)] ،
 والبابان مُرصَّعان بالياقوت [الأبيض و]^(٤) الأحمر ، فلما رأى ذلك دهش^(٥) ،
 ففتح أحد البابين ، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها ، وإذا قصور ، كل قصر فوقه
 غرف^(٦) وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت . ومصاريع
 تلك الغرف مثل مصاريع المدينة ، يقابل بعضها بعضاً ، مفروشة كلها باللؤلؤ ،
 وبنادق من مسك وزعفران . فلما عاين ذلك ، ولم ير أحداً ، هاله ذلك ، ثم نظر إلى
 الأزقة فإذا هو في كل زقاق منها شجر قد أثمر ، وتحت الشجر أنهار مطردة
 يجري ماؤها من قنوات من فضة . فقال الرجل : إن هذه هي الجنة ، فحمل
 معه من لؤلؤها ، ومن بنادق المسك والزعفران ورجع إلى اليمن ، فأظهر ما كان
 معه . وبلغ الأمر إلى معاوية ، فأرسل إليه ، فقص عليه ما رأى ، فأرسل معاوية
 إلى كعب الأحبار ، فلما أتاه قال له : يا أبا إسحاق : هل في الدنيا مدينة من ذهب
 وفضة ؟ قال : نعم ، أخبرك بها وبين بناها ؟ إنما بناها شداد بن عاد ، والمدينة :

(١) في الأصل : دنا ، والتصحيح من « جمع البيان » .

(٢) في الأصل : ماين .

(٣) زيادة من « جمع البيان » .

(٤) زيادة من « جمع البيان » .

(٥) في الأصل : دهن .

(٦) في الأصل : كل قصر منها فيها غرف ، والتصحيح من « جمع البيان » .

« إرم ذات العماد » ، قال : فحدثني حديثها ، فقال : « إن عاداً ^(١) المنسوب إليهم عاد الأولى ، كان له ولدان : شديد ، وشداد . فلما مات [عاد] ^(٢) ، ثم مات شديد وبقي شداد ، ملك الأرض ، ودانت له الملوك ، وكان مولعاً بقراءة الكتب ، فكان إذا مر بذكر الجنة دفعته نفسه إلى بناء مثلها عتوّاً على الله تعالى . فأمر بصنع « إرم ذات العماد » ، فأمر على عملها مائة قهرمان ^(٣) مع كل قهرمان ألف من الأعوان ، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدّوه بما في بلادهم من الجواهر ، فخرج القهارة ^(٤) يسيرون ^(٥) في الأرض ليجدوا أرضاً موائمة ، فوقفوا على صحراء ^(٦) عظيمة نقية من التلال ، وإذا فيها عيون ماء ومروج ^(٧) فقالوا : هذه صفة الأرض التي أمر الملك أن يبنى بها ، فوضعوا أساسها من الجزع الياني ، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة ، وكان عمر شداد تسعمائة سنة ، فلما أتوه وقد فرغوا منها ^(٨) قال : انطلقوا ، واجعلوا عليها حصناً ، واجعلوا حول الحصن ألف قصر ، عند

(١) في الأصل : عاد .

(٢) في الأصل : ملك ابعدة .

(٣) القهرمان : من أمناء الملك وخاصته ، فارسي معرب .

(٤) في الأصل : القهارة ، والتصحيح من « مجمع البيان » .

(٥) في الأصل : فتبددوا .

(٦) في الأصل : لتجدوا ما يوافقه حتى وقعوا على صخرة ، والتصحيح من الخازن .

(٧) في الأصل : وإذا هم يغنون مطردة ، والتصحيح من الخازن .

(٨) في الأصل : وقد فزعوا منه ، والتصحيح من الخازن .

كل قصر ألف عَلم ليَكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي ، ففعلوا ذلك ، فأمر الملك الوزراء - وهم ألف وزير - أن يتهيئوا للنقلة إلى دارم ذات العباد ، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ، ثم ساروا إليها ، فلما كانوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه ، وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً ، ولم يبقَ منهم أحد " .

(١) قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ١٨٤ عن حديث عبد الله بن قلابه الذي ساقه المؤلف بطوله : رواه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي عن عبد الله بن أبي صالح عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابه أنه خرج في طلب إبل له شردت ، فذكره مطولاً . قال ابن حجر : قلت : آثار الوضع عليه لائحة . وقال ابن كثير : فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلى ذلك الأعرابي ، فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهوس والجال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وليس كذلك ، وهذا بما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجبلية والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة ، وألوان الجواهر والياقوت ، والآلئ والإكسير الكبير ، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها ، والاخذ منها ، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء ، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيان ، ويطنزون بهم ، والذي يجزم به أن في الأرض دقائق جاهلية وإسلامية ، وكنوزاً كثيرة ، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ، فأما على الصفة التي زعموها ، فكذب وافتراء وبهت ، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم ، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب .

وقال الشوكاني في « فتح القدير » عن حديث عبد الله بن قلابه : وهذا كذب على كذب واقترأ على افتراء ، وقد أصيب الاسلام وأهله بدهاية دهياء ، وفاقرة عظمى ، ورزية كبرى ، من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترؤون على الكذب ، نارة على بني إسرائيل ، -

وروى الشعبي عن دَعْقَل^(١) الشيباني عن علماء حَمِير قالوا : لما هلك شداد ابن عاد ومن معه من الصيحة ، ملك بعده ابنه مَرثَد بن شَدَّاد ، وقد كان أبوه خلفه بحضرموت على ملكه وسلطانه ، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت ، وأمر [بدفنه]^(٢) فَحْفِرَتْ لَهُ حَفِيرَةٌ فِي^(٣) مفازة ، فاستودعه فيها على سرير من ذهب ، وألقى عليه سبعين حُلَّةً منسوجة بقضبان الذهب ، ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه :

إِعتبر يا أيُّها المغرورُ بالعمرِ المديدِ^(٤)

أنا شَدَّادُ بنُ عادٍ صاحبُ الحصنِ المشيدِ^(٥)

وأخو القوةِ والبأسِ ساءَ والمملكِ الحشيدِ^(٦)

— وتارة على الانبياء ، وتارة على الصالحين ، وتارة على رب العالمين ، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعفها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز ، فأدخاوا هذه الحرافات المختلفة والأفاقيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه ، فجرفوا وغيروا وبدلوا ، قال : ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتابي الذي سمّيته « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة » .

(١) في الأصل : وعقل .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) في الأصل : من .

(٤) في الأصل : الشديد ، والتصحيح من « معجم البلدان » لياقوت : إرم .

(٥) في الأصل : العميد .

(٦) في الأصل : الحيد .

دان أهل الأرض طراً^(١) لي من خوف وعيدي
وملكت الشرق والغرب ب بسلطان شديد
وبفضل الملك والعدة فيه والعديد
فأتى هود وكناً في ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا ه إلى الأمر الرشيد^(٢)
فعصيناه ونادى ما لكم هل من محيد^(٣) ؟
فأتتنا^(٤) صيحة تهوي من الأفق البعيد
فتوافينا كزرع وسط ييذاء حصيد

قوله تعالى : (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه ونقبوه . قال اسحاق :
والوادي : وادي القرى . وقرأ الحسن : « بالوادي » بإثبات الياء في الحاليين
(وفرعون ذي الأوتاد) مفسر في سورة (ص : ١٢) (الذين طَغَوْا في
البلاد) يعني : عاداً ، وثمود ، وفرعون ، عملوا بالمعاصي ، وتجبروا على أنبياء
الله (فأكثروا فيها الفساد) القتل والمعاصي (فصبَّ عليهم ربك سوطَ عذاب)

(١) البيت في الأصل : وإن أهل الأرض لي من خوف وعدي ووعيدي ، والتصحيح
من « معجم البلدان » .

(٢) في الأصل : الشديد ، وفي « معجم البلدان » : « أجنباه » مكان قوله : « قبلناه » .

(٣) البيت في الأصل : فعصيناه وناديت ألا هل من محيد ؟

(٤) في الأصل : فأتيناه .

قال ابن قتبية : وإنما قال : سوط عذاب ، لأن التعذيب قد يكون بالسوط .
وقال الزجاج : [أي جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب] ^(١) (إن ربك
للمرصاد) أي : يرصد من كفر به بالعذاب ، والمرصد : الطريق ، وقد شرحناه
في قوله تعالى : (كانت مرصداً) [النبا : ٢١] .

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ
رَبِّيَ أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ .
كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ . وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ
أَكْلًا لَّمًّا . وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا . كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاءَ رَبُّكَ
وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَنَّةٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ
الذِّكْرَى . يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلَا يُوثِقُ
وَتَاقَهُ أَحَدٌ . يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي
فِي عِبَادِي . وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾

قوله تعالى : (فأما الإنسان) فيمن عني به أربعة أقوال .

أحدها : عتبة بن ربيعة ، وأبو حذيفة بن المغيرة ، رواه عطاء عن
ابن عباس .

والثاني : أبي بن خلف ، قاله ابن السائب .

والثالث : أمية بن خلف ، قاله مقاتل .

(١) عبارة الأصل : « أحسن من هذا قد جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب »
والتصحيح من القرطبي نقلاً عن الزجاج .

والرابع : أنه الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، قال الزجاج : وابتلاه بمعنى اختبره بالغنى^(١) واليسر (فأكرمه) بالمال (ونعمه) بما وسع عليه من الإفضال (فيقول ربي أكرمني) فتح ياء « ربي » « أكرمني » « ربي » « أهانني »^(٢) أهل الحجاز ، وأبو عمرو^(٣) ، أي : فضلي بما أعطاني ، ويظن أن ما أعطاه من الدنيا لكرامته عليه (وأما إذا ما ابتلاه) بالفقر (فقدّر عليه رزقه) وقرأ أبو جعفر ، وابن عامر « فقدّر » بتشديد الدال ، والمعنى : ضيق عليه بأن جعله على مقدار البلغة (فيقول ربي أهانني) أي : هذا الهوان^(٤) منه لي حين أذلّني بالفقر .

واعلم أن من لا يؤمن بالبعث ، فالكرامة عنده زيادة الدنيا ، والهوان قلّتها^(٥) .

(١) في الاصل : في العنا .

(٢) في الاصل . أهانني .

(٣) قال القرطبي : وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو « ربي » بفتح الياء في الموضعين ، وأسكن الباقون ، وأثبت البرزي وابن محيص ويعقوب الياء من « أكرمني » و« أهانني » في الحاليين ، لأنها اسم فلا تحذف ، وأثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف اتباعاً للصنف ، وخير أبو عمرو في إثباتها في الوصل أو حذفها ، لأنها رأس آية ، وحذفها في الوقف لحط المصحف ، والباقون بحذفها ، لأنها وقعت في الموضعين بغير ياء .

(٤) في الاصل : أهون ، .

(٥) قال القرطبي : وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلّته ، فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المؤدّي إلى حظ الآخرة ، وإن وسع عليه في الدنيا حمده وشكره .

قوله تعالى : (كلا) أي : ليس الأمر كما يظن . قال مقاتل : ما أعطيت [من أغنييت] ^(١) هذا الغنى لكرامته عليّ ، ولا أفقرت [مَنْ] ^(٢) أفقرت لهوانه عليّ ^(٣) . وقال الفراء : المعنى : لم يكن ينبغي له أن يكون هكذا ، إنما ينبغي أن يحمد الله على الأمرين : الفقر ، والغنى ^(٤) . ثم أخبر عن الكفار فقال تعالى : (بل لا تكرمون اليّتم) قرأ أهل البصرة « يكرمون » و « يحضون » و « يأكلون » و « يُحِبُّون » بالياء فيهن ، والباقون بالتاء . ومعنى الآية : إني أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليّتم . والآية تحتل معنيين . أحدهما : أنهم كانوا لا يبرّونه .

والثاني : لا يعطونه حقّه من الميراث ، وكذلك كانت عادة الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان . ويدل على المعنى الأول قوله تعالى : (ولا تحاضون على طعام المسكين) قرأ أبو جعفر ، وأهل الكوفة « تحاضون » بألف مع فتح التاء . وروى الشيرازي عن الكسائي كذلك إلا أنه ضم التاء . والمعنى : لا يأمرؤن بإطعامه لأنهم لا يرجون ثواب الآخرة . ويدل على المعنى الثاني قوله تعالى : (وتأكلون الثراث أكلاً لماً) قال ابن قتيبة : التراث : الميراث ، والتاء فيه منقلبة عن واو ،

(١) زيادة لبست في الأصل .

(٢) ونقل الطبري عن قتادة : كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ، ولا أهين من أهنت بقلتها ، ولكن أكرم من أكرمت بطاعتي ، وأهين من أهنت بمعصيتي .

(٣) قال القرطبي : وقال الفراء : « كلا » في هذا الموضع بمعنى : لم يكن ينبغي للعبد أن يكون هكذا ، ولكن يحمد الله عز وجل على الغنى والفقر .

كما قالوا : 'تجاه' ^(١) ، والأصل : 'وجه' ، وقالوا : 'تخمة' ، والأصل : 'وخمة' ^(٢) .
و (لمّا) أي : شديداً ، وهو من قولك : لمت ^(٣) بالشيء : إذا جمعته ، وقال
الزجاج : هو ميراث اليتامى .

قوله تعالى : (وتحبون المال) أي : تحبون جمعه (حباً جماً) أي : كثيراً
فلا تتفقونه في خير (كلا) أي : ما هكذا ينبغي أن يكون [الأمر] ^(٤) .
ثم أخبر عن تلثفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم ، فقال تعالى : (إذا دكت
الأرض دكّاً دكّاً) أي : مرة بعد مرة ، فتكسر كل شيء عليها ، (وجاء
ربك) قد ذكرنا هذا المعنى في قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله)
[البقرة : ٢١٠] .

قوله تعالى : (والملك صفاً صفاً) أي : تأتي [ملائكة] ^(٥) كل سماء صفّاً
[صفّاً] ^(٥) على حدة . قال الضحاك : يكونون سبعة صفوف ، (وجيء
يومئذٍ بجنهم) روى مسلم في أفرادته من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله

(١) في الاصل : نجاه ، والتصحيح من « غريب القرآن » لابن قتيبة .

(٢) في الاصل : وقالوا : تخمه والاصل وجد ، والتصحيح من « غريب القرآن » .

(٣) في الأصل : عمت ، والتصحيح من « غريب القرآن » .

(٤) زيادة من البغوي .

(٥) زيادة لم ترد في الأصل .

عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يُؤْتَى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ [كُلِّ زِمَامٍ] ^(١) سَبْعُونَ ^(٢) أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُؤُنَهَا » . قَالَ مِقَاتِلٌ : يَجَاءُ بِهَا فِتْقَامٌ عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ .

قوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ) أي : يوم يجاء بهنهم (يتذكر الإنسان) أي : يتعظ الكافر ويتوب . قَالَ مِقَاتِلٌ : هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ خُلْفٍ ^(٣) (وَأُنْثَى لَهُ الذِّكْرَى) أي : كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ) العمل الصالح في الدنيا (لِحَيَاتِي) في الآخرة التي لا موت فيها (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ) قرأ الكسائي ، ويعقوب ، والمفضل « لَا يُعَذِّبُ » بفتح الذال ، والباقون بكسرها ، فمن فتح ، أراد : لَا يُعَذِّبُ عَذَابَ الْكَافِرِ أَحَدٌ ، ومن كسر أراد : لَا يُعَذِّبُ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ ، أي كعذابه ، وهذه القراءة تختص بالدنيا ، والأولى تختص بالآخرة ^(٤) .

(١) سقطت من الأصل ، واستدركتها من « صحيح مسلم » ٢١٨٤/٤ .

(٢) في الأصل : سبعين ، قال الإمام النووي في « شرح مسلم » ١٧٨/١٧ : هذا الحديث بما استدركه الدارقطني على مسلم وقال : رفعه وهم ، رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً . قلت : وحفص (أحد الرواة) ثقة حافظ لإمام ، فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين . والحديث رواه الترمذي أيضاً مرفوعاً وموقوفاً على ابن مسعود ، ورواه ابن جرير الطبري ١٨٨/٣٠ موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) والصحيح أنها عامة في كل كافر .

(٤) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عذاباً ماعليه قراء الامصار ، وذلك كسر الذال والياء ، لإجماع الحجة من القراء عليه . وقال الشوكاني في « فتح القدير » : والضميران على قراءة الجمهور في « يُعَذِّبُ » و « يوتى » مبيان للفاعل ، لله عز وجل ، قال : وقرأ الكسائي على البناء للمفعول فيها ، فيكون الضميران راجعين إلى الانسان ، أي : لا يعذب كعذاب ذلك الانسان أحد ، ولا يوتى كوثاقه أحد ، والمراد بالانسان الكافر .

قوله تعالى : (يا أيها النفس المطمئنة) اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال :
أحدها : في حمزة بن عبد المطلب لما استشهد يوم أحد ، قاله أبو هريرة ،
وبريدة الأسلمي .

والثاني : في عثمان بن عفان حين أوقف بئر رومة ^(١) ، قاله الضحاك .

والثالث : في خبيب بن عدي لما صلبه أهل مكة ، قاله مقاتل .

والرابع : في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حكاه الماوردي .

والخامس : [في] ^(٢) جميع المؤمنين ، قاله عكرمة ^(٣) .

وفي معنى « المطمئنة » ثلاثة أقوال .

أحدها : المؤمنة ، قاله ابن عباس . وقال الزجاج : المطمئنة بالإيمان .

والثاني : الراضية بقضاء الله ، قاله مجاهد .

والثالث : الموقنة بما وعد الله ، قاله قتادة .

واختلفوا في أي حين يقال لها ذلك على قولين .

أحدهما : عند خروجها من الدنيا ، قاله الأكثرون .

والثاني : عند البعث يقال لها : ارجعي إلى صاحبك ، وإلى جسدك ، فيأمر

الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال عطاء ،
وعكرمة والضحاك .

(١) هي بئر بالمدينة .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) قال القرطبي : والصحيح أنها عامة في كل نفس مؤمنة مخلص طائع .

وفي قوله تعالى : (ارجعي إلى ربك راضية) أربعة أقوال .

أحدها : ارجعي إلى صاحبك الذي كنت في جسده ، وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة والضحاك .

والثاني : (ارجعي إلى ربك) بعد الموت في الدنيا ، قاله أبو صالح .

والثالث : ارجعي إلى ثواب ربك ، قاله الحسن .

والرابع : يا أيها النفس المطمئنة [إلى الدنيا] ^(١) ارجعي إلى الله تعالى بتركها ، حكاه الماوردي ^(٢) .

قوله تعالى : (فادخلي في عبادي) أي : في جملة عبادي المصطفين . قال أبو صالح : يقال لها عند الموت : ارجعي إلى ربك ، فإذا كان يوم القيامة قيل لها : (فادخلي في عبادي) وقال الفراء : ادخلي مع عبادي . وقرأ سعد بن أبي وقاص ، وأبي بن كعب ، وابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وأبو العالية ، وأبو عمران : « في عبادي » على التوحيد ^(٣) . قال الزجاج : فعلى هذه القراءة — والله أعلم —

(١) سقطت من الأصل ، واستدركتها من البغوي والخازن .

(٢) وقال الآلوسي رحمه الله في « روح البيان » ٣٧٠/٩ ارجعي ، أي : من حيث حوسبت إلى محل عنايته تعالى وموقف كرامته عز وجل الك أولاً ، وهذا لأن السعداء قبل الحساب كما يفهم من الأخبار موقفاً في المحشر مخصوصاً بكرمهم الله تعالى به لا يجدون فيه ما يجده غيرهم في مواقعهم من النصب ، ومنه ينادى الواحد بعد الواحد للحساب فتى كان هذا القول عند تمام الحساب اقتضى أن يكون المعنى ما ذكر .

(٣) في البحر المحيط : وقرأ الجمهور (في عبادي) جمعاً ، وابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك ، ومجاهد ، وأبو صالح ، والكلبي ، وأبو شيخ الهنائي ، والياني « في عبادي » على الأفراد . قال الطبري : والصواب من القراءة في ذلك (فادخلي في عبادي) بمعنى : فادخلي في عبادي الصالحين ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

يكون المعنى : ارجعي إلى ربك ، أي : إلى صاحبك الذي خرجت منه ، فادخلي فيه ^(١) .



(١) والظاهر الأول ، قال ابن كثير : (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك) إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته (راضية) أي في نفسها (مرضية) أي قد رضى عن الله ورضي عنها وأرضاها (فادخلي في عبادي) أي في جملتهم (وادخلي جنتي) قال : وهذا يقال لها عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة أيضاً ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره ، فكذلك هاهنا .

سورة البلد

وهي مكية كلها ياجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ . لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ . أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا . أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ . أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ . وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

قوله تعالى : (لا أقسم) قال الزجاج : المعنى : أقسم . و « لا » دخلت توكيداً ، كقوله تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب) [الحديد : ٢٩] وقرأ عكرمة ، ومجاهد ، وأبو عمران ، وأبو العالية : « لَا أُقْسِمُ »^(١) قال الزجاج : وهذه القراءة بعيدة في العربية ، وقد شرحنا هذا في أول « القيامة » .

قوله تعالى : (وأنت حل بهذا البلد) فيه ثلاثة أقوال .

(١) في الأصل : لا أقسم .

و (البلد) هاهنا : مكة ^(١) .

أحدها : حل لك ما صنعت في هذا البلد من قتل ^(٢) أو غيره ، قاله ابن عباس ، ومجاهد . قال الزجاج : يقال : رجل حل ، وحلال ، ومحل . قال المفسرون : والمعنى : إن الله ^(٣) تعالى وعد نبيه ^(٤) أن يفتح مكة على يديه بأن يُحِلَّها له ، فيكون فيها حلالاً .

والثاني : فأنت محل بهذا البلد غير مُحَرَّم في دخوله ، يعني : عام الفتح ، قاله الحسن ، وعطاء .

والثالث : أن المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك ^(٥) وقتلك ^(٦) ، ويحرِّمون قتل الصيد ، حكاة الثعلبي .

قوله تعالى : (ووالد وما ولد) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه آدم وما ولد ، قاله الحسن ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة .

(١) قال القرطبي : أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه بكرامتك عليّ وحبتي لك . وقال ابن كثير : هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً ، لينبئ على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها .

(٢) في الأصل : قبل .

(٣) في الأصل : إن شاء الله .

(٤) وعد نبيه .

(٥) عبارة الأصل : د أنه حل عند المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك .

(٦) في لأصل : وقبلك .

والثاني : أولاد إبراهيم ، وما ولد : ذريته ^(١) ، قاله أبو عمران الجوني .

والثالث : أنه عامٌ في كل والدٍ وما ولد ، حكاه الزجاج ^(٢) .

قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان) هذا جواب القسم .

وفيمن عني بالإنسان خمسة أقوال .

أحدها : أنه اسم جنس ، وهو معنى قول ابن عباس .

والثاني : أنه أبو الأشدين الجمحي ^(٣) ، وقد سبق ذكره ، [المدثر : ٢٩ ،

والانفطار : ٥] قاله الحسن .

(١) في الأصل : وما ولد : محمد ﷺ ، والتصويب من الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير . قال الشوكاني والآلوسي : وقيل : الوالد : إبراهيم ، والولد : إسماعيل ومحمد ﷺ .

(٢) وهذا الذي اختاره ابن مجرير الطبري . قال ابن كثير : وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة ، والضحاك ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، والحسن البصري ، وخصيف ، وشرحيل بن سعيد وغيرهم : يعني بالوالد : آدم ، وما ولد : ولده ، قال : وهذا الذي ذهب إليه مجاهد حسن قوي ، لأنه تعالى لما أقسم بأمر القرى وهي المساكن ، أقسم بعده بالمساكن وهو آدم أبو البشر وولده .

(٣) وجاء في القرطبي : قال الكلبي : إن هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له : أبو الأشدين . وكان يأخذ الأديم العكاظي فيجعله تحت قدميه فيقول : من أزالني عنه فله كذا ، فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماء ، وكان من أعداء النبي ﷺ وفيه نزل (أحسب أن لن يقدر عليه أحد) يعني لقوته . وفي « الاستقاق » لابن دريد : ٢٥١ : ومن رجالهم (أي : رجال بني سعد بن زيد مناة بن تميم) سنان بن خالد الأشد ، وسمي الأشد ، لشجاعته ، وهو كذلك في « شرح القاموس » .

والثالث : أنه الحارث بن عامر بن نوفل ، وذلك أنه أذنب ذنباً ، فأمره النبي ﷺ بالكفارة ، فقال : لقد ذهب مالي في الكفارات ، والتفقات منذ^(١) دخلت في دين محمد ، قاله مقاتل .

والرابع : آدم عليه السلام ، قاله ابن زيد .

والخامس : الوليد بن المغيرة ، حكاه الثعلبي .

قوله تعالى : (في كَبَدٍ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : في نَصَبٍ ، رواه الوالي عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو عبيدة ، فإنهم قالوا : في شدة . قال الحسن : يكابد الشكر على السَّراء والصبر على الضَّراء ، لأنه لا يخلو من أحدهما^(٢) ويكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة . قال ابن قتيبة : في شدة غلبة ومكابدة لأمر الدنيا والآخرة^(٣) ، فعلى هذا يكون من مكابدة الأمر ، وهي معاناته .

والثاني : أن المعنى : خلق منتصباً يمشي على رجلين^(٤) ، وسائر الحيوانات

(١) في الأصل : منه ، والتصحيح من « القرطبي » .

(٢) في الأصل : ولا يخلو فيها ، والتصحيح من « القرطبي » .

(٣) في الأصل : في شدة عليه ومكايده من أمور الدنيا والآخرة ، والتصحيح من « غريب القرآن » لابن قتيبة .

(٤) في الأصل : على رجله ، وما أثبتناه من « الطبري » .

غير منتصب ، رواه مقسم عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة ، والضحاك ، وعطية ، والفراء ، فعلى هذا يكون معنى الكبد : الاستواء والاستقامة .

والثالث : في وسط السماء ، قال ابن زيد : « لقد خلقنا الإنسان » يعني : آدم « في كبد » أي : في وسط السماء ^(١) .

قوله تعالى : (أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) يعني الله عز وجل أي : [أَيْحَسِبُ أَنْ] ^(٢) لَنْ يَقْدَرَ عَلَى بَعْثِهِ ، وَمَعَاقِبَتِهِ ؟ ! (يقول أَهْلَكَ مَالاً لُبْدًا) أي : كثيراً ، قال أبو عبيدة : هو فعل من التلبُّد ^(٣) ، وهو المال الكثير بعضه على بعض . قال ابن قتيبة : وهو المال المتلبد ،

(١) أصل الكَبَد : الشدة ، ومنه تكبد اللبن : غلظ وخشَّر واشتد ، ومنه الكبد ، لأنه دم تغلظ واشتد . ويقال : كابدت هذا الأمر : فاسيت شدته ، قال لبيد يرثي أخاه :

يَا عَيْنُ هَتَلَا بِكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْحَصُومُ فِي كَبَدٍ

فقوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي : في تعب ومشقة والله سبحانه قد جعل حياة الإنسان سلسلة من الجهاد متصلة الحلقات ، وجعلها مبتدأة بالجهاد والمشقة ، ومنتهية بها أيضاً ، فهو ما يزال يقاسي من المشقة ألواناً وضروباً مختلفة منذ نشأته في بطن أمه ، ومن استهلاله صارخاً إلى أن يكبر ويصير رجلاً ، وفي هذا العهد تزداد مشقاته ، ويكثر عليه الجهد ، فمن تحصيل رزقه إلى تربية أولاده ، ومن جهاد نفسه ورياضتها على البر والتقوى إلى مقارعة خطوب الدهر ونوازله ، ومن الصبر على البلاء إلى الخضوع إلى رب الأرض والسماء ، ومن الاجتهاد في المعرفة إلى مصابرة النفس على الطاعة ، ثم هو بعد ذلك كله يمرض ويموت ، ويلقي في قبره وفي آخرته من المشاق والمتاعب ما لا يقدر عليه إلا بتيسير الله سبحانه ، وكأن هذا هو المشار إليه بـ « في » التي تدل على الظرفية في قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) في الأصل : التليد ، والتصحيح من « مجاز القرآن » لابي عبيدة .

كَأَنَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ . قَالَ الزَّجَاجُ : وَهُوَ فِعْلٌ لِلكَثْرَةِ ^(١) ، كَمَا يُقَالُ : رَجُلٌ حُطِمَ : إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْحُطَمِ . وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَائِشَةُ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقَتَادَةُ ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ « لَبِّدْأ » بِضَمِّ اللَّامِ ، وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ مَفْتُوحَةً . وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ ، وَأَبُو عِمْرَانَ « لَبِّدْأ » بِفَتْحِ اللَّامِ وَتَسْكِينِ الْبَاءِ خَفِيفَةً . وَقَرَأَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَالْحَسَنُ ، وَمُجَاهِدٌ « لَبِّدْأ » بِرَفْعِ اللَّامِ وَالْبَاءِ وَتَخْفِيفِهَا . وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْجَوْزَاءِ « لَبِّدْأ » بِكَسْرِ اللَّامِ ، وَفَتْحِ الْبَاءِ مَخْفَفَةً .

وَفِيهَا قَالَ لِأَجَلِهِ ذَلِكَ قَوْلَانِ .

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ أَرَادَ : أَهْلَكَتُ مَا لَا كَثِيرًا فِي عِدَاوَةِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ ، فَكَأَنَّهُ اسْتَطَالَ بِمَا أَنْفَقَ .

وَالثَّانِي : أَنْفَقْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي الْكُفَرَاتِ مَا لَا كَثِيرًا ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ . فَكَأَنَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا أَنْفَقَ ^(٢) .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) يَعْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَالْمَعْنَى : أَيْظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَرِ نَفَقَتَهُ ، وَلَمْ يُخَصِّصْهَا ؟ ! وَكَانَ قَدْ ادَّعَى مَا لَمْ يَنْفَقْ .

(١) فِي الْأَصْلِ : فِعْلٌ الْكَثِيرَةِ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ « فَتَحَ الْقَدِيرُ لِلشُّوْكَانِي » نَقْلًا عَنْ الزَّجَاجِ .

(٢) لَقَدْ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ قَبْلَ قَلِيلٍ قَوْلَ مُقَاتِلٍ بِلَفْظٍ : لَقَدْ ذَهَبَ مَالِي فِي الْكُفَرَاتِ وَالنَّفَقَاتِ مِنْذُ دَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي « الْقُرْطُبِيِّ » وَغَيْرِهِ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اسْتَطَالَةً بِمَا أَنْفَقَ ، فَيَكُونُ طَغْيَانًا مِنْهُ ، أَوْ أَسْفَافًا عَلَيْهِ ، فَيَكُونُ نَدَمًا مِنْهُ .

قوله تعالى : (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ) والمعنى : أَلَمْ نَفْعَلْ بِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الله قادر على بعثه ؟ !

قوله تعالى : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : سبيل الخير والشر ، قاله علي ، والحسن ، والفراء . وقال ابن
قتيبة : يريد طريق الخير والشر . وقال الزجاج : النجدان : الطريقان الواضحان .
والنجد : المرتفع من الأرض ، فالمعنى : أَلَمْ نَعْرِفْهُ طريق الخير والشر كَتَبْتَيْنِ
الطريقين العاليتين .

والثاني : سبيل الهدى والضلال ، قاله ابن عباس . وقال مجاهد : هو سبيل
الشقاوة والسعادة .

والثالث : الثديان ليتغذى بلبنهما ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال
ابن المسيب ، والضحاك ، وقتادة ^(١) .

﴿ فَلَا أَقْتَحِمُ الْعُقَبَةَ . وَمَا أَذْرُكَ مَا الْعُقَبَةُ . فَكُ رَقَبَةً . أَوْ إِطْعَامٌ فِي
يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالْبَصْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾

(١) والصواب القول الأول كما قال ابن جرير . وقال : والثديان وإن كانا سبيلي اللبن ،
فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ أَمْشَاجٍ
نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) إِنَّمَا عدد عليه هدايته إِيَّاهُ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ مِنْ
نَعْمِهِ ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) .

قوله تعالى : (فلا اقتحم العقبة) قال أبو عبيدة : فلم يقتحم العقبة [في الدنيا] ^(١) . وقال ابن قتيبة : فلا هو اقتحم العقبة . قال الفراء : لم يضم إلى قوله تعالى : فلا اقتحم العقبة كلاماً آخر فيه « لا » ، والعرب لا تكاد تقرر « لا » ، في الكلام حتى يعيدوها ^(٢) عليه في كلام آخر ، كقوله تعالى : (فلا صدق ولا صلى [القيامة : ٣١] ، (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [البقرة : ٦٢] . ومعنى : « لا » مأخوذ من آخر هذا الكلام ، فاكفى بواحدة من الأخرى ، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة ، فقال : فك رقة . (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) (ثم كان من الذين آمنوا) ففسرها بثلاثة أشياء . فكأنه كان في أول الكلام : فلا فعل ذا ، ولا ذا . وذهب ابن زيد في آخرين إلى أن المعنى : أفلا اقتحم العقبة ؟ على وجه الاستفهام ، والمعنى : فهلاً أنفق ماله في فك الرقاب والإطعام ليجاوز بذلك العقبة ؟ ! .

فأما : الاقتحام ^(٣) فقد بيناه في (ص : ٥٩) .

وفي العقبة سبعة أقوال .

أحدها : أنه جبل في جهنم ، قاله ابن عمر .

(١) زيادة من مجاز القرآن ، لابي عبيدة . يريد أن « لا » بمعنى « لم » .

(٢) في الاصل : والعرب لا تكاد تقرر « لا » في الكلام حتى يعيدوها ، والتصحيح من « القرطبي » .

(٣) الاقتحام : الدخول في الأمر الشديد ، وأصله القحم ، وهي المهالك والأمور العظام ، يقال : قحم في الأمر قحوماً : رمى نفسه من غير روية ، والقحمة : المهلكة والسنة الشديدة ، يقال : أصابت الأعراب القحمة : إذا أصابهم قحط ، فدخلوا الريف .

والثاني : عقبة دون الجسر ، قاله الحسن .

والثالث : سبعون دركة ^(١) في جهنم ، قاله كعب .

والرابع : الصراط ، قاله مجاهد ، والضحاك .

والخامس : نار دون الجسر ، قاله قتادة .

والسادس : طريق النجاة ، قاله ابن زيد .

والسابع : أن ذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر ، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة . يقول : لم يحمل على نفسه المشقة بعق الرقبة والإطعام ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في آخرين .

قوله تعالى : (وما أدراك ما العقبة) قال سفيان بن عيينة : كل ما فيه « وما أدراك » ، فقد أخبره به ، وكل ما فيه « وما يدريك » فإنه لم يخبره به . قال المفسرون : المعنى : وما أدراك ما اقتحام العقبة ؟ . ثم بينه فقال تعالى :

(١) وفي الطبري وابن كثير : درجة . قال في « اللسان » : قال أبو عبيدة : جهنم دركات ، أي منازل وأطباق ، وقال غيره : الدركات : بعضها تحت بعض ، قال الأزهري : والدرجات : منازل ومراقي بعضها فوق بعض ، فالدركات ضد الدرجات . وقال الزبيدي في « تاج العروس شرح القاموس » : وقال المصنف (يعني صاحب القاموس) في « البصائر » : الدرك : اسم في مقابلة الدرج ، بمعنى أن الدرج مراتب باعتبار الصعود ، والدرك مراتب باعتبار الهبوط ، ولهذا عبروا عن منازل الجنة بالدرجات . وعن منازل جهنم بالدركات .

(فَكُّ رَقَبَةٍ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، إلا عبد الوارث ، والكسائي ، والداجوني عن ابن ذكوان « فَكٌّ » بفتح الكاف « رَقَبَةٌ » بالنصب « أو أطعم » بفتح الهمزة والميم وسكون الطاء من غير ألف . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، ونافع ، وحزمة « فَكٌّ » بالرفع « رَقَبَةٍ » بالخفض « أو إطعامٌ » بالألف . ومعنى فك الرقبة : تخليصها من أسر الرق ، وكل شيء أطلقته فقد فككته^(١) . ومن قرأ « فَكَّ رَقَبَةً » على الفعل ، فهو تفسير اقتحام العقبة بالفعل ، واختاره الفراء ، لقوله تعالى : (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) قال ابن قتيبة : والمسغبة : المجاعة . يقال : سَغِبَ يَسْغَبُ سَغُوبًا : إذا جاع (يَتِيمًا ذا مقربة) أي : ذا قرابة^(٢) (أو مسكيناً ذا متربة) أي : ذا فقر كأنه لَصِقَ بالتراب^(٣) . وقال ابن عباس : هو المطروح في التراب لا يقيه شيء . ثم بين أن هذه القُرْبَ إنما تنفع مع الإيمان بقوله تعالى : (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) و « ثم » هاهنا بمعنى الواو ، كقوله تعالى : (ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ) [يونس : ٤٦] .

(١) في الاصل : فكته . وروى مسلم في « صحيحه » ١١٤٧/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى يعتق فرجه بفرجه » ورواه بمعناه أحمد والبخاري .

(٢) روى الامام أحمد عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم ثنتان ، صدقة وصلة » ورواه الترمذي والنسائي وهو حديث صحيح .

(٣) تقول : تَرَبَّ الرجل يتَرَبُّ تَرَبًّا ومتربة : إذا افتقر حتى لصق بالتراب ، وتقول : أترب فلان : إذا كثرت ماله حتى صار كالتراب في الكثرة .

قوله تعالى : (وتواصوا بالصبر) على فرائض الله وأمره (وتواصوا بالمرحمة)
 أي بالتراحم بينهم . وقد ذكرنا أصحاب الميمنة والمشأمة في [الواقعة : ٧ ، ٨]
 قال الفراء : و « المؤصدة » المطبقة . قال مقاتل : يعني أبوابها عليهم مطبقة
 فلا يفتح لها باب ، ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد . وقال
 ابن قتيبة : يقال : أوْصَدْتُ الباب وآصَدْتُهُ : إذا أَطْبَقْتَهُ . وقال الزجاج :
 المعنى : أن العذاب مطبق عليهم . وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، والكسائي ،
 وأبو بكر عن عاصم « موصدة » بغير همز هاهنا وفي [الهمزة : ٨] وقرأ
 أبو عمرو ، وخمزة ، وحفص عن عاصم بالهمز في الموضعين .

سورة الشمس

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا . وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا . وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا . وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا . وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

قوله تعالى : (والشمس وضحاها) في المراد « بضحاها » ثلاثة أقوال .

أحدها : ضوؤها ، قاله مجاهد ، والزجاج . والضحي : حين يصفو ضوء الشمس بعد طلوعها .

والثاني : النهار كله ، قاله قتادة ، وابن قتيبة .

والثالث : حرها ، قاله السدي ، ومقاتل ^(١) (والقمر إذا تلاها)

فيه قولان .

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك أن يقال : أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار .

أحدهما : إذا تَبِعَهَا ، قاله ابن عباس في آخرين . ثم في وقت اتباعه لها ثلاثة أقوال . أحدها : أنه في أول ليلة من الشهر يرى القمر إذا سقطت الشمس ، قاله قتادة . والثاني : أنه في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس ، حكاه الماوردي . والثالث : أنه في النصف الأول من الشهر إذا غربت تلاها القمر في الإضاءة ، وخلفها في النور ، حكاه علي بن أحمد النيسابوري .

والقول الثاني : إذا ساواها ، قاله مجاهد . وقال غيره : إذا استدار ، فتلا الشمس في الضياء والنور ، وذلك في الليالي البيض .

قوله تعالى : (والنهار إذا جَلَّأَهَا) في المكني عنها قولان .

أحدهما : أنها الشمس ، قاله مجاهد ، فيكون المعنى : والنهار إذا بَيَّنَّ الشمس ، لأنها تَقْيِينُ إذا انبسط النهار .

والثاني : أنها الظلمة ، فيكون كناية عن غير مذكور ، لأن المعنى معروف ، كما تقول : أصبحت باردة ، وهبت شمالاً ، وهذا قول الفراء ، واللغويين^(١) . (والليل إذا يَغْشَاهَا) أي : يَغْشَى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق .

قوله تعالى : (والسَّاءَ وما بَنَاهَا) في « ما » قولان .

(١) وقال ابن كثير : ولو أن هذا القائل تناول ذلك بمعنى (والنهار إذا جَلَّأَهَا) أي البسيطة لكان أولى ، ولصح تأويله في قوله تعالى : (والليل إذا يَغْشَاهَا) فكان أجود وأقوى ، والله أعلم ، ولهذا قال مجاهد : (والنهار إذا جَلَّأَهَا) إنه كقوله تعالى : (والنهار إذا تَجَلَّى) . قال : وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجرى ذكرها .

أحدهما : بمعنى « مَنْ » تقديره « ومن بناها » ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وأبو عبيدة . وبعضهم يجعلها بمعنى الذي .

والثاني : أنها بمعنى المصدر ، تقديره : وبنائها ، وهذا مذهب قتادة ، والزجاج . وكذلك القول في « وما طحاها » « وما سواها » وقد قرأ أبو عمران الجوني في آخرين « ومن بناها » « ومن طحاها » « ومن سواها » كله بالنون . قال أبو عبيدة : ومعنى « طحاها » : بسطها ميمناً وشمالاً ، ومن كل جانب ^(١) . قال ابن قتيبة : يقال : خَيْرُ طَاحٍ ^(٢) ، أي : كثير متسع .

وفي المراد « بالنفس » هاهنا قولان .

أحدهما : آدم ، قاله الحسن .

والثاني : جميع النفوس ، قاله عطاء ^(٣) . وقد ذكرنا معنى « سواها » في

(١) قال ابن كثير : وقال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، والترمذي ، وأبو صالح ، وابن زيد : طحاها : بسطها ، وهو أشهر الأقوال ، وعليه الأكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهري : طحوته مثل دحوته ، أي : بسطته ، والمعنى بسطها لافتراسها وازدراعها والضرب في أكنافها .

(٢) الذي في « غريب القرآن » : حيّ طاح . قال في « القاموس » : والظاحي : الذي ملأ كل شيء كثرة .

(٣) قال ابن كثير : أي : خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة ، كما قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة . وفي « صحيح مسلم » من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم » .

قوله تعالى : « فسوّاك فعدلك » [الانفطار : ٧] (فألهمها فجورها وتقواها)
 الإلهام : إيقاع الشيء في النفس . قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها ^(١) .
 وقال ابن زيد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى ، وخذلانه إياها للفجور ^(٢) .

(١) بمعنى أن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى ، وفي الكافر الفجور ، فخلق الله ،
 والإنسان قادر على سلوك أيها شاء ، وبذلك الاختيار للخير أو الشر يشاء
 أو يعاقب .

قال ابن جرير الطبري : (فألهمها فجورها وتقواها) فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي
 أو تذر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية . وقال الشوكاني في فتح القدير : أي عرفها
 وأفهمها حالها وما فيها من الحسن والقبح .

(٢) إن الله سبحانه وتعالى أودع في نفس الإنسان خصائص القدرة على إدراك الخير
 والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، ليختار أيها شاء ، ففي طبيعته هذا الاستعداد
 المزدوج لسلوك أي الطريقين شاء ؛ وقد منحه الله عز وجل القدرة على سلوك أيها شاء
 (وهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) وزود الإنسان
 باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال ، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير
 وما هو شر ، وقادر على توجيه نفسه إلى الخير والشر على السواء ، وهذه القدرة كاملة في
 نفسه ، يعبر عنها القرآن تارة بالإلهام (فألهمها فجورها وتقواها) وتارة بالهداية (وهديناه
 السبيل) فهي كاملة بصورة استعدادات ، والآيات القرآنية والرسل الإلهية والتوجيهات توظف
 هذه الاستعدادات وتوجهها ، ولكنها لا تخلق الاستعداد خلقاً جديداً ، لأنها مخلوقة فطرة ،
 وكائنة طبعاً ، وكائنة إلهاماً ، أضف إلى ذلك أن الله تعالى خلق في الإنسان قوة وإرادة
 مدركة ، فمن استخدم هذه القوة في تركية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها وتغليبه
 على استعداد الشر فقد أفلح وأنجح ، ومن ظلم هذه القوة الواعية المدركة وخباها وأضعفها فقد
 خاب وخسر (قد أفلح من زكّاه وقد خاب من دساها) والله عز وجل لم يدع الإنسان
 لاستعداد فطرته الإلهامي ، ولا للقوة الواعية ، بل أعانه بالرسالات التي تضع له الموازين
 الثابتة ، وتكشف له عن موجبات الإيمان ودلائل الهدى ، وتخلو عنه غواشي الهوى فيظهر له الحق —

قوله تعالى : (قد أفلح من زكاها) قال الزجاج : هذا جواب القسم . والمعنى : لقد أفلح ، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال ، فصار طوله عوضاً منها . قال ابن الأنباري : جوابه محذوف . وفي معنى الكلام قولان .

أحدهما : قد أفلحت نفس زكاها الله عز وجل ، قاله ابن عباس ، ومقاتل ، والفراء ، والزجاج .

والثاني : قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال ، قاله قتادة ، وابن قتيبة . ومعنى « زكاها » : أصلحها وطهرها من الذنوب (وقد خاب من دساها) فيه قولان كالذي قبله .

فإن قلنا : إن الفعل لله ، فعنى « دساها » : خذلها ، وأخملها ، وأخفى محلها ، [بالكفر والمعصية] ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح .

وإن قلنا : الفعل للإنسان ، فعنى « دساها » : أخفاها بالفجور . قال الفراء : ويروى أن « دَسَّأَهَا » دَسَّسَهَا لأن البخل يخفي منزله وماله . وقال ابن قتيبة : المعنى : دسى نفسه ، أي : أخفاها بالفجور والمعصية . والأصل من دَسَّسْتُ ،

— في صورته الصحيحة ، وبذلك يتضح له الطريق وضوحاً كاشفاً لاشبهة فيه فتصرف القوة الواعية حينئذ عن بصيرة وإدراك لحقيقة هذا الاتجاه الذي يختاره ويسير فيه . ولما كانت هذه النفس عرضة للتأثر والتغير ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو بقوله : « اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » رواه أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .

فقلبت السين ياء ، كما قالوا : قصّيت أظفاري ، أي : قصصتها . فكأن التطف (١)
 بارتكاب الفواحش دس نفسه (٢) ، وقمعها ، ومُصْطَنِعُ المعروف شهر نفسه ورفعها ،
 وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبَا للشهرة . والثام تنزل الأطراف لتخفي أمانتها (٣) .
 وقال الزجاج : معنى « دساها » جعلها قليلة خسيصة .

﴿ كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا . إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
 نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا . فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَوْهُمَا .
 وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

قوله تعالى : (كذبت ثمود بطغواها) أي : كذبت رسولها بطغيانها (٤) .
 والمعنى : أن الطغيان حملهم على التكذيب . قال الفراء : أراد بطغواها : طغيانها ،
 وهما مصدران ، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات ، فاختير لذلك . وقيل :
 كذبوا العذاب (إذ انبعث) أي : انتدب (٥) (أشقاها) وهو : عاقر الناقة
 لعقرها (٦) (فقال لهم رسول الله) وهو صالح (ناقة الله) قال الفراء : نصب

(١) النطف : المتهم كما في « اللسان » .

(٢) في الأصل : نفسها ، وفي النسخة الاستنبولية : نفسه ، وهو الصواب ، وهو كذلك
 في « مشكل القرآن » .

(٣) في الأصل : إيمانها وما أثبتناه هو في النسخة الاستنبولية ومشكل القرآن .

(٤) عبارة ابن قتبية في « غريب القرآن » : كذبت الرسول إليها بطغيانها .

(٥) تقول : ندبته إلى كذا ، فانتدب ، أي أمرته فامتثل ، وفي الطبري : انبعث :
 ثار ، وفي القرطبي : نهض ، والانبعث هو الاسراع .

(٦) وهو قدار بن سالف . روى البخاري في « صحيحه » ٥٤٢/٨ عن عبد الله بن زمة
 أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر ، فقال رسول الله ﷺ : (إذ انبعث أشقاها)
 انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمة » ورواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي
 وابن جرير وابن أبي حاتم .

الناقة على التحذير ، وكل تحذير فهو نصب . قال ابن قتيبة : المعنى : احذروا ناقة الله وشربها . وقال الزجاج : المعنى : ذَرُّوا ناقة الله (و) ذَرُّوا (سقيهاها) . قال المفسرون : سقيهاها : شربها من الماء . والمعنى : لا تتعرضوا ليوم شربها (فكذبوه) في تحذيره إياهم العذاب بعقرها (فعقروها) وقد بينا معنى «العقر» في [الأعراف : ٧٧] (فدمدم عليهم ربهم) قال الزجاج : أي : أطبق عليهم العذاب . يقال : دمدمت على الشيء : إذا أطبقت فكررت الإطباق . وقال المؤرِّج^(١) : الدمدة : إهلاك باستئصال .

وفي قوله تعالى : (فسواها) قولان .

أحدهما : سوَّى بينهم في الإهلاك^(٢) ، قاله السدي ، ويحيى بن سلام . وقيل : سوَّى الدمدة عليهم . والمعنى : أنه أهلك صغيرهم ، وكبيرهم .

والثاني : سوَّى الأرض عليهم . قال مقاتل : سوَّى بيوتهم على قبورهم . وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها ، فلما صيِّح بهم فهلكوا زُلْزِلَت بيوتهم فوقعت على قبورهم^(٣) .

قوله تعالى : (ولا يخاف عقباها) قرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن عامر « فلا يخاف » بالفاء ، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام . وقرأ الباقر

(١) في الأصل : المورخ ، وفي النسخة الاستنبولية : المؤرخ ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : إهلاك ، وما أثبتناه من النسخة الاستنبولية .

(٣) قال ابن كثير : (فسواها) فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء ، قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشتراك القوم في عقرها ، دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها .

بالواو ، وكذلك هي في مصاحف مكة ، والكوفة ، والبصرة .

وفي المشار إليه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الله عز وجل ، فالمعنى : لا يخاف الله من أحد تبعه في إهلاكهم ، ولا يخشى عقبي ما صنع ، قاله ابن عباس ، والحسن .

والثاني : أنه الذي عقرها ، فالمعنى : أنه لم يخف عقبي ما صنع ، وهذا مذهب الضحاك والسدي ، وابن السائب . فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : إذ أنبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها .

والثالث : أنه نبي الله صالح لم يخف عقباها ، حكاه الزجاج ^(١) .

★ ★ ★

(١) والقرول الأول أولى لدلالة السياق عليه ، كما قال ابن كثير والله أعلم .

سورة الليل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى .
 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَرُهُ
 لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى .
 وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

قوله تعالى : (والليل إذا يغشى) قال ابن عباس : يغشى بظلمته النهار .
 وقال الزجاج : يغشى الأفق ، ويغشى جميع ما بين السماء والأرض ، (والنهار
 إذا تجلَّى) أي : بان وظهر من بين الظلمة ، (وما خلق الذكر والأنثى) في
 « ما » قولان . وقد ذكرناهما عند قوله تعالى : « وما بناها » [الشمس : ٥] . وفي
 « الذكر والأنثى » قولان .

أحدهما : آدم وحواء ، قاله ابن السائب ، ومقاتل .

والثاني : أنه عام ، ذكره الماوردي ^(١) .

قوله تعالى : (إن سعيكم لشتى) هذا جواب القسم . قال ابن عباس : إن أعمالكم مختلفة ، عمل للجنة ، وعمل للنار . وقال الزجاج : سعي المؤمن والكافر مختلف ، بينها بُعد ^(٢) .

وفي سبب نزول هذه السورة قولان .

أحدهما : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشترى بلالاً من أمية وأبيّ ابني خلف ببردّة وعشرة أواق ، فأعتقه ، فأنزل الله عز وجل « والليل » إلى قوله تعالى : « إن سعيكم لشتى » يعني : سعي أبي بكر ، وأمية وأبيّ ، قاله عبد الله بن مسعود ^(٣) .

والثاني : أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال ، وكان الرجل إذا صعد النخلة ليأخذ منها الثمر ، فرمى سقطت الثمرة ، فيأخذها صبيان الفقير ، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم ، فإن وجدها في فم

(١) قال الشوكاني : والظاهر العموم .

(٢) روى مسلم في « صحيحه » ٢٠٣/١ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها » أي : كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيموبقها ، أي : يهلكها .

(٣) رواه الواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٥ وأورده السيوطي في « الدر » ٣٥٨/٦ من رواية ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن عساكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وذكره البغوي والحازن بغير سند .

أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرجها ، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ ، فلقى النبي ﷺ صاحب النخلة ، فقال : « تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة ؟ » فقال الرجل : إن لي نخلاً وما فيه نخلة أعجب إليّ منها ، ثم ذهب الرجل ، فقال رجل ممن سمع ذلك الكلام : يا رسول الله أعطيني نخلة في الجنة إن أنا أخذتها ؟ قال : نعم ، فذهب الرجل ، فلقى صاحب النخلة ، فساومها منه ، فقال له : أَمَا شَعَرْتِ أَنْ مُحَمَّدًا أُعْطِيَ بِهَا نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ ؟ فقلتُ : مَا لِي نَخْلَةً أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْهَا ، فقال له : أتريد بيعها ؟ قال : لا ، إلا أن أعطى بها مالا أظني أعطى ، قال : مامناك ؟ قال : أربعون نخلة ، فقال : أنا أعطيك أربعين ^(١) نخلة ، فأشهد له ناساً ، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال : إن النخلة قد صارت في ملكي ، وهي لك ، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار ، فقال : النخلة لك ولعيالك ، فأنزل الله عز وجل « والليل إذا يغشى » إلى قوله تعالى : « إن سعيكم لشتى » رواه عكرمة عن ابن عباس ^(٢) . وقال عطاء : الذي اشتراها من الرجل أبو الدحداح ،

(١) في الأصل : أربعون ، وهو خطأ ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية وكتب

التفسير .

(٢) رواه ابن أبي حاتم والواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٥ من طريق حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان العدني عن عكرمة عن ابن عباس ، وهو حديث ضعيف ، لضعف حفص بن عمر ، والحكم بن أبان العدني ، صدوق عابد له أوهام ، كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » . والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم وقال في آخره : وهو حديث غريب جداً . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٥٧/٦ من رواية ابن أبي حاتم بسند ضعيف . وما يدل على ضعف سبب النزول هذا وعدم صحته ، أن القصة كانت بالمدينة ، وسورة « الليل » نزلت بمكة .

أخذها بجائظ له ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات إلى قوله تعالى : « إن سعيكم لشتى » أبو الدحداح ، وصاحب النخلة ^(١) .

قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى) قال ابن مسعود : يعني : أبا بكر الصديق ، هذا قول الجمهور ^(٢) . وقال عطاء : هو أبو الدحداح .
وفي المراد بهذا العطاء ثلاثة أقوال .

أحدها : أعطى من فضل ماله ، قاله ابن عباس .

(١) ذكره البخاري في « تفسيره » من رواية علي بن حجر عن إسحاق بن نجيع الملقب عن عطاء ، وإسحاق بن نجيع الملقب قال الحافظ ابن حجر في « التقریب » : كنيته ، وعطاء أرسله ، وقد ورد التصريح باسم أبي الدحداح في رواية الواحدي في « أسباب النزول » حيث قال عن الشخص الذي اشتراها : ثم ذهب الرجل فلقي رجلاً هو ابن الدحداح كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ... الخ ، وهو حديث ضعيف كما تقدم . قال الحازن : والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأمية بن خلف ، لأن سياق الآيات يقتضي ذلك .

(٢) ونقل القرطبي : قول ابن مسعود هذا عن عامة المفسرين . وروى الحاكم في « المستدرک » ٥٢٥/٢ من حديث زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال أبو قحافة لابي بكر : أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعنت رجلاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك ، فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد ، فأنزلت هذه الآيات فيه (فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى قوله عز وجل : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وسكت عليه الذهبي ، ورواه الواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٦ من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق به ، ورواه ابن جرير الطبري ٢٢١/٣٠ . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٠٨/٦ من رواية ابن جرير وزاد نسبه لابن عساكر .

والثاني : أعطى الله الصدق من قلبه ، قاله الحسن .

والثالث : أعطى حق الله عليه ، قاله قتادة .

وفي قوله تعالى : (واتقى) ثلاثة أقوال .

أحدها : اتقى الله ، قاله ابن عباس .

والثاني : اتقى البخل ، قاله مجاهد .

والثالث : اتقى محارم الله التي نهى عنها ، قاله قتادة .

وفي « الحسنی » ستة أقوال .

أحدها : أنه « لا إله إلا الله » ، رواه عطية عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك .

والثاني : الخَلَف^(١) ، رواه عكرمة عن ابن عباس ، وبه قال الحسن .

والثالث : الجنة ، قاله مجاهد .

والرابع : نِعَمَ الله عليه ، قاله عطاء .

والخامس : يوعد الله أن يثيبه ، قاله قتادة ، ومقاتل .

والسادس : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، قاله زيد بن أسلم .

قوله تعالى : (فسيسره اليسرى) ضم أبو جعفر سين « اليسرى » وسين

« العسرى » وفيه قولان .

أحدهما : للخير ، قاله ابن عباس . والمعنى : نيسر ذلك عليه .

(١) أي : بالخَلَف من الله تعالى على عطائه .

والثاني : للجنة ، قاله زيد بن أسلم .

(وأما من بخل) قال ابن مسعود : يعني بذلك أُمَيَّة وأبي ابنسي خلف .
وقال عطاء : هو صاحب النخلة .

قال المفسرون : « وأما من بخل » بالنفقة في الخير والصدقة . وقال قتادة :
بحق الله عز وجل ، (واستغنى) عن ثواب الله فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى)
وقد سبقت الأقوال فيها .

وفي « العسرى » قولان .

أحدهما : النار ، قاله ابن مسعود .

والثاني : الشر ، قاله ابن عباس . والمعنى : سنيؤه للشر فيؤدّيه إلى الأمر
العسير ، وهو عذاب النار ^(١) .

ثم ذكر أن ما أمسكه من ماله لا ينفعه ، فقال تعالى : (وما يغني عنه ماله)
الذي بخل به عن الخير (إذا تردّى) وفيه قولان .

أحدهما : إذا تردّى في جهنم ، قاله ابن عباس ، وقتادة . والمعنى : إذا
سقط فيها .

(١) قال ابن كثير : والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي
من قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان ، وكل ذلك بقدر مقدر ، والأحاديث
الدالة على هذا المعنى كثيرة ، وذكر منها ما رواه البخاري عن علي رضي الله عنه قال : كنا
مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة ، فقال : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب
مقعده من الجنة ومقعده من النار » فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال : « اعملوا
فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى)
إلى قوله : (للعسرى) .

والثاني : إذا مات فتردّي في قبره ، قاله مجاهد .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى . وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى . فَأَنْذَرُكُمْ نَارًا تَلْظَى . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا أَتْبَعَهُ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾

قوله تعالى : (إن علينا للهدى) قال الزجاج : المعنى : إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة (وإن لنا للآخرة والأولى) أي : فليطلبنا (فأندرتكم ناراً تلظى) أي : توقد وتوهج (لا يصلها إلا الأشقى) يعني : المشرك (الذي كذب) الرسول (وتولى) عن الإيمان . قال أبو عبيدة : (الأشقى) بمعنى الشقي . والعرب تضع « أفعل » في موضع « فاعل » . قال طرفة :

تَمَنَّى رِجَالُ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ^(١)
قال الزجاج : وهذه الآية التي من أجلها زعم أهل الإرجاء ^(٢) أنه لا يدخل

(١) هو في « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ٢ / ٣٠١ ، و « الطبري » ٣٠ / ٢٢٧ ، و « القرطبي » ٢٠ / ٨٨ .

(٢) ويسمون المرجئة ، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة ، سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي ، أي أخره عنهم . وقيل : المرجئة : فرقة من المسلمين يقولون : الإيمان قول بلا عمل ، كأنهم قدموا القول ، وأرجؤوا العمل ، أي أخروه ، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجّاهم إيمانهم .

النار إلا كافر ، وليس [الأمر] ^(١) كما ظنوا . هذه نار موصوفة بعينها ، ولأهل النار منازل . فلو كان [كل] ^(٢) من لا يشرك لا يعذب لم يكن في قوله تعالى : (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء : ٤٨] فائدة [وكان « ويغفر ما دون ذلك » كلاماً لا معنى له] ^(٣) .

قوله تعالى : (وسيجنّبها) أي : يُبْعَدُ عنها ، فيجعل منها على جانب (الأتقى) يعني : أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين (الذي يؤتي ماله يتزكى) أي : يطلب أن يكون عنه الله زاكياً ، ولا يطلب الرياء ، ولا السمعة (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أي : لم يفعل ذلك مجازاة ليد أُسْدِيَتْ إليه .

وروى عطاء عن ابن عباس أن أبا بكر لما اشترى بلالاً بعد أن كان يعذب قال المشركون : ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده ، فأنزل الله تعالى : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) ^(٣) أي : إلا طلباً لثواب ربه . قال الفراء : و « إلا » بمعنى « لكن » ونصب « ابتغاء » على إضمار إنفاقه . فالمعنى : وما ينفق إلا ابتغاء وجه ربه .

(١) زيادة من القرطبي .

(٢) زيادة من القرطبي ، وروى البخاري في « صحيحه » ٢١٤/١٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي ، قالوا : يا رسول الله ومن يابى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » .

(٣) ذكره القرطبي وغيره عن عطاء عن ابن عباس بغير سند .

قوله تعالى : (ولسوف يرضى) أي : بما يُعطى في الجنة من الثواب ^(١) .



(١) قال ابن كثير : (ولسوف يرضى) أي : ولسوف يرضى من انصف بهذه الصفات . قال : وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى : (وسيجزيها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزي) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذلاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية : أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك . وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة ، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عدام ؟! ولهذا قال تعالى : (وما لأحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) وفي « الصحيحين » أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله دعتة خزنة الجنة : يا عبد الله هذا خير » فمن كان من أهل الصلاة ، دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : « نعم وأرجو أن تكون منهم » .

سورة الضحى

وهي مكية كلها بإجماعهم

اتفق المفسرون : على أن هذه [السورة] نزلت بعد انقطاع الوحي مدة .
ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال .

أحدها : أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين ، وعن أصحاب الكهف ، وعن الروح ، فقال : سأخبركم غداً ، ولم يقل : إن شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي .

والثاني : لِقِلَّةِ النظافة في بعض أصحابه . وقد ذكرنا هذين القولين في سورة [مريم : ٦٥] .

والثالث : لأجل جرو كان في بيته ، قاله زيد بن أسلم ^(١) .

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٥٤٥/٨ : وجدت في الطبري بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به ، فأبطأ عنه جبريل لذلك ، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة ، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب ، بل شاذ مردود بما في الصحيح والله أعلم . وورد لذلك سبب ثالث ، وهو ما أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل إياماً ، فتغير بذلك ، فقالوا : ودعه ربه وقلاه ، فأنزل الله تعالى : (ما ودعك ربك وما قلى) . ومن طريق اسماعيل مولى آل الزبير قال : فتر الوحي حتى شق ذلك على النبي ﷺ وأحزنه ، فقال : لقد خشيت أن -

وفي مدة احتباسه عنه أقوال قد ذكرناها في [مريم : ٦٦] .

وروى البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث جندب قال : قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ : ما أرى شيطانك إلا قد ودَّعَكَ ، فنزلت (والضحى والليل إذا سجى . ما ودَّعَكَ ربك وما قلى)^(١) جندب : هو ابن سفيان والمرأة : يقال لها : أم جميل امرأة أبي لهب .

— يكون صاحبي قلاني ، فجاء جبريل بسورة « الضحى » . وذكر سليمان التيمي في السيرة التي جمعها ، ورواها محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال : وفتقر الوحي فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ، ولكن الله قلاه ، فأنزل الله : « والضحى » و « ألم نشرح » بكاملها ، قال : وكل هذه الروايات لا تثبت ، والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول « والضحى » ، غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي ، فإن تلك دامت أباناً ، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً ، فاختلطتا على بعض الرواة . وتخوير الأمر في ذلك ما بينته ، وقد أوضحت ذلك في التعبير وشه الحمد ، ووقع في « سيرة ابن اسحاق » في سبب نزول « والضحى » شيء آخر ، فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك ، وعدم الجواب ولم يستثن ، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر ، فضاقت صدره وتكلم المشركون ، فنزل جبريل بسورة « الضحى » وبجواب ما سألوا ، وبقوله تعالى : (ولا تقولن شيء لني فإني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) وذكر سورة « الضحى » هنا بعيد ، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً ، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى ، وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث ، وإنما كان بعد ذلك بمدة ، والله أعلم .

(١) رواه البخاري في « صحيحه » ٥٤٥/٨ ومسلم ١٤٢٣/٣ وأحمد في « المسند » ٣١٢/٤ وابن جرير الطبري ٢٣١/٣٠ والواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٧ ، وأورده السيوطي في « الدر » ٣٦٠/٦ وزاد نسبه للترمذي ، والنسائي ، والبيهقي وأبي نعيم معاً في « الدلائل » عن جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي رضي الله عنه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ
لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى .
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

وفي المراد « بالضحى » أربعة أقوال .

أحدها : ضوء النهار ، قاله مجاهد .

والثاني : صدر النهار ، قاله قتادة .

والثالث : أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس ، قاله السدي ، ومقاتل .

والرابع : النهار كله ، قاله الفراء .

وفي معنى « سجي » خمسة أقوال .

أحدها : أظلم .

والثاني : ذهب ، روي عن ابن عباس .

والثالث : أقبل ، قاله سعيد بن جبير .

والرابع : سكن ، قاله عطاء ، وعكرمة ، وابن زيد . فعلى هذا :

في معنى « سكن » قولان .

أحدهما : استقر ظلامه . قال الفراء : « سجي » بمعنى أظلم وركد في

طوله . كما يقال : بَحْرٌ سَاجِرٌ ، وَلَيْلٌ سَاجِرٌ : إذا ركد وأظلم . ومعنى : ركد : سكن . قال أبو عبيدة ، يقال : ليلة ساجية ، وساكنة ، وشاكرة . قال الحادي :

يَاحِبِّذَا الْقَمَرَاءِ وَاللَّيْلُ السَّاجِرُ وَطُرُقٌ مِثْلُ مَلَأِ النَّسَاجِ^(١)

قال ابن قتيبة : « سجي » بمعنى سكن ، وذلك عند تناهي ظلامه وركوده .

والثاني : سكن الخلق فيه ، ذكره الماوردي .

والخامس : امتد ظلامه ، قاله ابن الأعرابي^(٢) .

قوله تعالى : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ) وقرأ عمر بن الخطاب ، وأنس ، وعروة ، وأبو العالية ، وابن يعمر ، وابن أبي عتبة ، وأبو حاتم عن يعقوب « مَا وَدَّعَكَ » بتخفيف الدال . وهذا جواب القسم . قال أبو عبيدة : « ماودَّعَكَ » من التوديع كما يودع المفارق ، و « مَا وَدَّعَكَ » مخففة من ودعه يدعه (وما قل) أي : أبغض .

قوله تعالى : (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) قال عطاء ، خير لك من الدنيا . وقال غيره : الذي لك في الآخرة أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا .

قوله تعالى : (وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ) في الآخرة من الخير (فترضى) بما تُعْطَى . قال علي والحسن : هو الشفاعة في أمته حتى يرضى . قال ابن عباس :

(١) الرجز في « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، و « الكامل » ، ١٦١ و « الطبري » ، ٣٠ /

٢٣٠ ، و « القرطبي » ، ٩١ / ٢٠ و « اللسان » (سجي) .

(٢) قال الطبري : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال : معناه :

والليل إذا سكن بأمله ، وثبت بظلامه ، كما يقال : بحر ساج : إذا كان ساكناً .

عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَفَرًا كَفَرًا ، فَسَرَّ بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » ^(١) .

قوله تعالى : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) فِيهِ قَوْلَانِ .

أحدهما : جَعَلَ لَكَ مَأْوًى إِذْ ضَمَّكَ إِلَى عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ ، فَكَفَاكَ الْمُؤُونَةَ ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ .

وَالثَّانِي : جَعَلَ لَكَ مَأْوًى لِنَفْسِكَ أَغْنَاكَ عَنْ كِفَالَةِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ .

قوله تعالى : (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) فِيهِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ .

أحدها : ضَالًّا عَنْ مَعَالِمِ النَّبُوَّةِ ، وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، فَهَذَاكَ إِلَيْهَا ، قَالَهُ الْجَهْوَرُ ، مِنْهُمْ الْحَسَنُ ، وَالضَّحَّاكُ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ ضَلَّ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ فِي شَعَابِ مَكَّةَ ، فَردَّهُ اللَّهُ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، رَوَاهُ أَبُو الضَّحَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(١) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ ٢٣٢/٣٠ مِنْ رِوَايَةِ الْإِمَامِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ الْخَزْزَمِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِهِ بِهِ . قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَمِثْلُ هَذَا مَا يُقَالُ عَنْ تَوْقِيفٍ . وَرَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي « أَسْبَابِ النَّزُولِ » ٣٣٨ وَالْحَاكِمُ ٥٢٦/٢ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْكَبِيرِ » . قَالَ الْحَافِظُ الْهَيْثَمِيُّ فِي « مَجْمَعِ الزَّوَانِدِ » ١٣٩/٧ : وَإِسْنَادُ الطَّبْرَانِيِّ فِي « الْكَبِيرِ » حَسَنٌ . وَأُورِدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي « الدُّرِّ » ٣٦١/٦ وَزَادَ نَسْبَتَهُ لِعَبْدِ بْنِ حَمْدٍ ، وَابْنِ أَبِي هَيْثَمٍ وَأَبِي نَعِيمٍ كَلَامًا فِي « الدَّلَائِلِ » وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

والثالث : أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته ، فعدل به عن الطريق ، فجاء جبريل ، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة ، وردّه إلى القافلة ، فمن الله عليه بذلك ، قاله سعيد بن المسيب .

والرابع : أن المعنى : ووجدك في قوم ضلّال ، فهذا للتوحيد والنبوة ، قاله ابن السائب .

والخامس : ووجدك نسيّاً ، فهذا إلى الذّكر . ومثله : (أن تَضِلَّ إحداها فتذكر إحداها الأخرى) [البقرة : ٢٨٢] ، قاله ثعلب .

والسادس : ووجدك خاملاً لا تُذكر ولا تُعرّف ، فهذا للناس إليك حتى عرفوك ، قاله عبد العزيز بن يحيى ، ومحمد بن علي الترمذي .

قوله تعالى : (ووجدك عائلاً) قال أبو عبيدة : أي : ذا فقر . وأنشد :

وَمَا يَذْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَذْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْجِلُ^(١)

أي : يفقر . قال ابن قتيبة : العائل : الفقير ، كان له عيال ، أو لم يكن . يقال : عال الرجل : إذا افتقر . وأعال : إذا كثر عياله .

قولي تعالى : (فأغنى) قولان .

أحدهما : رَضَّاكَ بما أعطاك من الرزق ، قاله ابن السائب ، واختاره الفراء . وقال : لم يكن غناه عن كثرة المال ، ولكن الله رَضَّاهُ بما آتاه .

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح الأوسي وهو في « جهرة أشعار العرب » : ١٢٥ ، و « معاني القرآن » للفراء ١/ ٢٥٥ ، و « الجهرة » ٢/ ١٩٣ و « الطبري » ٧/ ٥٤٩ ، و « اللسان » عيل ، و « مجاز القرآن » ٢/ ٣٠٢ و « القرطبي » ٢٠/ ٩٩ .

والثاني : فأغناك بمال خديجة عن أبي طالب ، قاله جماعة من المفسرين ^(١) .

قوله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر) فيه قولان .

أحدهما : لا تحقر ، قاله مجاهد .

والثاني : لا تقهره على ماله ، قاله الزجاج ^(٢) (وأما السائل) ففيه قولان .

أحدهما : سائل البر ، قاله الجمهور . والمعنى : إذا جاءك السائل ، فإما أن تعطيه ، وإما أن تردّه ردّاً ليناً . ومعنى (فلا تنهر) لا تنهره ، يقال : نهره وانتهره : إذا استقبله بكلام يزجره .

والثاني : أنه طالب العلم ، قاله يحيى بن آدم في آخرين .

قوله تعالى : (وأما بنعمة ربك فحدث) في النعمة ثلاثة أقوال .

أحدها : النبوة .

والثاني : القرآن ، روى عن مجاهد .

والثالث : أنها عامة في جميع الخيرات ، وهذا قول مقاتل . وقد روي عن

مجاهد قال : قرأت على ابن عباس . فلما بلغت « والضحى » قال : **كبر** إذا

(١) روى البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن أبي هريرة رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العوض ولكن الغنى غنى النفس » وروى مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « قد أفلح من أسلم ورزق كافاً وقتعه الله بما آناه » .

(٢) وفي « صحيح البخاري » عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما قليلاً . ورواه أيضاً بمعناه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي .

ختمت كل سورة حتى تحتم . وقد قرأتُ على أبي بن كعب فأمرني بذلك . قال علي بن أحمد النيسابوري : ويقال : إن الأصل في ذلك أن الوحي لما قرأ عن رسول الله ﷺ ، وقال المشركون : قد هجره شيطانه وودَّعَه ، اغتمَّ لذلك ، فلما نزل « والضحى » كبر عند ذلك رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي ، فاتخذهُ الناس سُنَّةً ^(١) .

(١) قال عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير المفسر : رويانا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ ، قال : قرأت على عكرمة بن سليمان ، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد ، فلما بلغت : (والضحى) قالوا لي : كبر حتى نختم مع كل خاتمة كل سورة ، فانا قرأنا على ابن كثير (يريد به عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة ، المتوفى سنة ١٢٠ هـ) فأمرنا بذلك ، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك ، وأخبره أبي أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك ، فهذه سُنَّةٌ تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة ، وكان إماماً في القراءات ، فأما في الحديث ، فقد ضعفه أبو حاتم الرازي ، وقال : لا أحدث عنه ، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال : هو منكر الحديث ، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « شرح الشاطبية » عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال : أحسنت وأصبحت السنة . وهذا يقتضي صحة هذا الحديث . قال ابن كثير : ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته ، فقال بعضهم : يكبر من آخر (والليل إذا يغشى) وقال آخرون : من آخر (والضحى) وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول : الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر . قال ابن كثير : وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة (والضحى) أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وقرئ تلك المدة ، ثم جاء الملك فأوحى إليه (والضحى والليل إذا سجى) السورة بتأملها ، كبر فرحاً وسروراً . قال : ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، فافهم أعلم .

سورة الانشرآح

مكية كلها باجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ .
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . فَإِذَا فَرَغْتَ
فَانصَبْ . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾

قوله تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الشرح : الفتح ياذهب ما يصد عن الإدراك . والله تعالى فتح صدر نبيه للهدى والمعرفة ياذهب الشواغل التي تصدر عن إدراك الحق . ومعنى هذا الاستفهام : التقرير ، أي : قد فعلنا ذلك ^(١) (ووضعتنا عنك وزرك) أي : حططنا عنك إثمك الذي سلف في الجاهلية ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والفراء ، وابن قتيبة في آخرين . وقال الزجاج : المعنى : أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال ابن قتيبة : وأصل

(١) قال ابن كثير : يقول الله تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) . يعني : إنا شرحنا لك صدرك ، أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيماً واسعاً ، كقوله : (فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) وكما شرح الله صدره ، كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق .

الوزر : ما حمله الإنسان على ظهره ، فشبهه بالحل فجعل مكانه . ومعنى (أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه ، أي : صوته . وهذا مثل ، يعني : أنه لو كان حملاً يحمل لسمع نقيض الظهر منه . وذهب قوم إلى أن المراد بهذا تخفيف أعباء النبوة التي يثقل القيام بها الظهر ، فسئل الله له ذلك حتى تيسر عليه الأمر . ومن ذهب إلى هذا عبد العزيز بن يحيى .

قوله تعالى : (ورفعنا لك ذكرك) فيه خمسة أقوال .

أحدها : ما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية ، فقال : قال الله عز وجل : إذا ذكرك [ذكرك] ^(١) معي ^(٢) . قال قتادة : فليس خطيب ، ولا متشهد ، ولا صاحب صلاة إلا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وهذا قول الجمهور

والثاني : رفعنا لك ذكرك بالنبوة ، قاله يحيى بن سلام .

والثالث : رفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا ، حكاه الماوردي .

(١) سقطت هذه الكلمة من الأصل ، واستدركتها من الطبري وغيره .

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٣٥/٣٠ من رواية يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، ودراج ، ولأن كان صدوقاً في حديثه فانه في روايته عن أبي الهيثم ضعيف ، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ومع ذلك فقد صححه ابن حبان . وقال ابن كثير : وكذا روى الحديث ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ، ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج . وأودده السيوطي في «الدر» ٣٦٤/٦ وزاد نسبه لابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبي نعيم في «الدلائل» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

والرابع : رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء .

والخامس : بأخذ الميثاق لك على الأنبياء ، وإلزامهم بالإيمان بك ، والإقرار بفضلك ، حكاهما التعلي .

قوله تعالى : (فإن مع العسر يسراً) ضم سين «العسر» ، وسين «اليسر» أبو جعفر و «العسر» مذكور في الآيتين بلفظ التعريف . و «اليسر» مذكور بلفظ التكثير ، فدل على أن العسر واحد ، واليسر اثنان . قال ابن مسعود ، وابن عباس في هذه [الآية] ^(١) : لن يغلب عسر يسرين . قال الفراء : العرب إذا ذكرت نكرة ثم أعادتها بنكرة صارت اثنتين ، كقولك : إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً ، فالثاني غير الأول ، وإذا أعادتها معرفة ، فهي كقولك : إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم ، فالثاني هو الأول . ونحو هذا قال الزجاج : ذكر العسر بالالف واللام ، ثم نثى ذكره ، فصار المعنى : إن مع العسر يسرين . وقال الحسين بن يحيى الجرجاني - ويقال له : صاحب النظم - : معنى الكلام : لا يحزنك ما يعيرك به المشركون من الفقر « فإن مع العسر يسراً » [عاجلاً في الدنيا ، فأجزه بما وعده ، بما فتح عليه ، ثم ابتداءً فضلاً آخر فقال : « إن مع العسر يسراً »] ^(٢) والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو ، وهو وعد لجميع المؤمنين أن مع عسر المؤمنين يسراً في الآخرة ، فعنى قولهم : لن يغلب عسر يسرين : لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا ، فاليسر الذي وعدهم في الآخرة ،

(١) زيادة من النسخة الاستبوية .

إنما يغلب أحدهما ، وهو يسر الدنيا . فأما يسر الآخرة ، فدائم لا ينقطع ، كقوله [ﷺ] :
« شهر عید لا ينقصان » ^(١) ، أي : لا يجتمعان في النقص . وحكي عن العتي قال :

(١) رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن أبي بكره رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم
٧٦٦/٢ وهو بتمامه : « شهر عید لا ينقصان : رمضان وذو الحجة » ولفظ البخاري ١٠٨/٤ :
« شهران لا ينقصان ، شهر عید : رمضان وذو الحجة » قال الإمام النووي في « شرح مسلم » :
قوله ﷺ : « شهر عید لا ينقصان : رمضان وذو الحجة » الأصح أن معناه : لا ينقص أجرهما
والثواب المرتب عليهما وإن نقص عددهما . وقيل : معناه : لا ينقصان جميعاً في سنة واحدة
غالباً ، وقيل : لا ينقص ثواب ذي الحجة عن ثواب رمضان ، لأن فيه المناسك ، حكاها الخطابي
وهو ضعيف ، والأول هو الصواب المعتمد . ومعناه أن قوله ﷺ : « من صام رمضان
إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وقوله ﷺ : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً ... »
وغير ذلك ، فكل هذه الفضائل تحصل ، سواء تم عدد رمضان أم نقص ، والله أعلم .

وقال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ١٠٦/٤ ما ملخصه : وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث ، فمنهم من حمله على ظاهره فقال : لا يكون رمضان ولا ذو الحجة أبداً إلا ثلاثين ،
وهذا قول مردود معاند للموجود المشاهد ، ويكفي في رده قوله ﷺ : « صوموا لرؤيته ،
وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا العدة » فإنه لو كان رمضان أبداً ثلاثين لم يحتاج إلى
هذا ، قال : ومنهم من تأول له معنى لا ثقاً ، قال أبو الحسن : كان إسحاق بن راهويه
يقول : لا ينقصان في الفضيلة إذا كانا تسعة وعشرين أو ثلاثين ، وقال البيهقي في
« المعرفة » : إنما خصها بالذكر لتعلق حكم الصوم والحج بها . قال ابن حجر : والمعنى أن كل
ما ورد عنها من الفضائل والأحكام حاصل سواء كان رمضان ثلاثين أو تسعاً وعشرين .

ثم قال : وفي الحديث حجة لمن قال : إن الثواب ليس مرتباً على وجود المشقة دائماً ،
بل لله أن يتفضل بإحراق الناقص بالتمام في الثواب ، ثم قال : وهذا الحديث يقتضي أن النسبة
في الثواب بين الشهر الذي يكون تسعاً وعشرين ، وبين الشهر الذي يكون ثلاثين ، إنما هو —

كنت ذات ليلة في البادية بحالة من الغم ، فالتقي في روعي بيت من الشعر ، فقلت :

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَصَبَ حَ مَغْمُومًا لَهُ أَرْوَحُ

فلما جن الليل سمعت هاتفاً يهتف :

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْـ لِمَذِي الْهَمُّ بِهِ بَرَّحُ

وَقَدْ أَنْشَدَ بَيْتًا لَمْ يَزَلْ فِي فِكْرِهِ يَسْنَحُ

إِذَا اشْتَدَّ بِكَ الْعُسْرُ فَفَكَّرْ فِي « أَلَمْ نَشْرَحْ »

فَعُسْرُ بَيْنَ يُسْرَيْنِ إِذَا أَبْصَرْتَهُ فَاغْرَحُ

فحفظت الأبيات وفرَّج الله غمِّي .

قوله تعالى : (فإذا فرغت فانصب) أي : فادأب في العمل ، وهو من

النَّصَب ، والنَّصَب : التعب ، الدَّوْبُوب في العمل .

وفي معنى الكلام خمسة أقوال .

أحدها : فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل ، قاله ابن مسعود .

والثاني : فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء ، قاله ابن عباس ،

والضحاك ، ومقاتل .

— بالنظر إلى جعل الثواب متعلقاً بالشهر من حيث الجملة ، لا من حيث تفضيل الأيام . وأطلق على رمضان أنه شهر عيد لقربه من العيد ، ونظيره قوله ﷺ : « المغرب وتر النهار » أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر ، وصلاة المغرب ليلية جهرية ، وأطلق كونها وتر النهار لقربها منه ، وفيه إشارة أن وقتها يدخل أول ما تغرب الشمس .

والثالث : فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك ، قاله مجاهد .

والرابع : فإذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك ، قاله الشعبي ،

والزهري .

والخامس : إذا صح بدنك فاجعل صحتك نصباً في العبادة ، ذكره علي

ابن أبي طلحة (وإلى ربك فارغب) قال الزجاج : اجعل رغبتك إلى الله

عز وجل وحده^(١) .



(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) أي :

إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها ، فانصب إلى العبادة ، ولم إليها شيطاناً فارغ

البال ، وأخلص لربك النية والرغبة ، قال : ومن هذا القيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على

صحته : « لاصلاة بمحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان » وقوله ﷺ : « إذا أقيمت

الصلاة وحضر العشاء والعشاء ، فابدؤوا بالعشاء » .

سورة التين

وفيها قولان^(١) :

- أحدهما : مكية ، قاله الجمهور ، منهم الحسن ، وعطاء^(١) .
- والثاني : أنها مدنية ، حكاه الماوردي عن ابن عباس ، وقتادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ . فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّكْرِ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾

قوله تعالى : (والتين والزيتون) فيها سبعة أقوال .

- أحدها : أنه التين المعروف ، والزيتون المعروف ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، وجابر بن زيد ، وإبراهيم . وذكر بعض المفسرين

(١) وهو الصواب .

أنه إنما أقسم بالتين لأنها فاكهة مُخَلَّصة من شائب التنغيص ، وهو يدل على قدرة من هبَّاه على تلك الصفة . وجعل الواحدة منه على مقدار اللقمة ، وإنما أقسم بالزيتون لكثرة الانتفاع به .

والثاني : أن التين : مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي .
والزيتون : بيت المقدس ، رواه عطية عن ابن عباس ^(١) .

والثالث : التين : المسجد الحرام ، والزيتون : المسجد الأقصى ، قاله الضحاك .
والرابع : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : بيت المقدس ، قاله كعب ،
وقتادة ، وابن زيد .

والخامس : أنها جبلان ، قاله عكرمة في رواية . وروي عن قتادة قال :
التين : الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون : الجبل الذي عليه بيت المقدس .
والسادس : أن التين : مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون : مسجد إيلياء ،
قاله القرظي .

والسابع : أن التين : جبال ما بين حلوان إلى همدان ، والزيتون : جبال
بالشام ، حكاه الفراء ^(٢) .

فأما (طور سينين) فالطور : جبل . وفيه قولان .

(١) وعطية ضعيف .

(٢) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال : التين ،
هو التين الذي يؤكل ، والزيتون ، هو الذي يعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف
عند العرب .

أحدهما : أنه الجبل الذي كلم الله موسى عليه ، قاله كعب الأحبار في
الأكثرين .

والثاني : أنه جبل بالشام ، قاله قتادة .

فأما « سينين » فهو لغة في سيناء . وقد قرأ علي ، وسعد بن أبي وقاص ،
وأبو العالية ، وأبو مجلز « وطور سيناء » ممدودة مهموزة ، مفتوحة السين . وقرأ
ابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو حيوة « وطور سيناء » مثلهم إلا أنهم كسروا
السين . وقرأ أبو رجاء ، والجحدري « سينين » كما في المصحف ، لكنها فتحة
السين . وقال ابن الأنباري : « سينين » هو سيناء .

واختلفوا في معناه ، فقليل : معناه : الحسن . وقيل : المبارك . وقيل :
إنه اسم للشجر الذي حوله . وقد شرحنا هذا في سورة [المؤمنين : ٢٠] قال
الزجاج : وقد قرئ هاهنا « وطور سيناء » وهو أشبه لقوله تعالى : (وشجرة
تخرج من طور سيناء) [المؤمنون : ٢٠] . وقال مقاتل : كل جبل فيه شجر
مثمر فهو سينين ، وسيناء بلغة النبط ^(١) .

قوله تعالى : (وهذا البلد الأمين) يعني : مكة يأمن فيه الخائف في الجاهلية ،

(١) قال أبو جعفر الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : طور
سينين ، جبل معروف ، لأن الطور هو الجبل ذو النبات ، فإضافته إلى سينين ، تعريف له ،
ولو كان نعتاً للطور كما قال من قال : معناه : حسن أو مبارك ، لكان الطور ممنوناً ،
وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعته لغيره تدعو إلى ذلك .

والإسلام^(١). قال الفراء : ومعنى « الأمين » الآمن . والعرب تقول للأمين : آمن .

قال الشاعر :

أَلَمْ تَعَلِّمِي يَا أَسْمَ وَيَحْكُ أَنْتِي حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أَخُونُ أَمِينِي^(٢)
يريد آمني .

قوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان) هذا جواب القسم . وفي المراد بالإنسان هاهنا خمسة أقوال .

أحدها : أنه كَلْدَة بن أسيد ، قاله ابن عباس .

والثاني : الوليد بن المغيرة ، قاله عطاء .

والثالث : أبو جهل بن هشام .

والرابع : عتبة ، وشيبة ، حكاها الماوردي .

(١) قال ابن كثير : وقال بعض الأئمة : هذه بحال ثلاثة ، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول محلة التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام ، والثاني : طور سينين ، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً ، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ ، قالوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى ، - واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ، ولهذا أقسم بالآشرف ، ثم الأشرف منه ، ثم الأشرف منها .

(٢) البيت من شواهد الفراء (٣٧١) ، وهو في الطبري ٢٤١/٣٠ ، والقرطبي ١١٣/٢٠ .

والخامس : أنه اسم جنس ، وهذا مذهب كثير من المفسرين^(١) ، وهو معنى قول مقاتل .

قوله تعالى : (في أحسن تقويم) فيه أربعة أقوال .

أحدها : في أعدل خلق .

والثاني : منتصب القامة ، روي عن ابن عباس .

والثالث : في أحسن صورة ، قاله أبو العالية .

والرابع : في شباب وقوة ، قاله عكرمة^(٢) (ثم رددناه أسفل سافلين) فيه قولان .

أحدهما : إلى أرذل العمر ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة ، وإبراهيم ، وقتادة^(٣) . وقال الضحاك : إلى الهرم بعد الشباب ، والضعف بعد القوة . والسافلون : هم الضعفاء ، والزمنى ، والأطفال ، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً . قال الفراء : وإنما قال : «سافلين» على الجمع ، لأن الإنسان في

(١) وهو الصواب .

(٢) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن معنى ذلك : لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها ، لأن قوله : (أحسن تقويم) إنما هو نعت لمخزوف ، وهو في تقويم أحسن تقويم ، فكانه قيل : لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم .

(٣) واختار هذا القول ابن جرير الطبري ، ورده ابن كثير ، فقال : ولو كان هذا هو المراد ، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك ، لأن الهرم قد يصيب بعضهم ، وإنما المراد ما ذكرناه (يعني القول الثاني : النار) كقوله تعالى : (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

معنى جمع . تقول : هذا أفضل قائم ، ولا تقول : قائمين ، لأنك تريد واحداً ، فإذا لم ترد واحداً ذكرته بالتوحيد وبالجمع .

والثاني : إلى النار ، قاله الحسن ، وأبو العالية ، ومجاهد . والمعنى : إنا نفعل هذا بكثير من الناس . تقول العرب : أنفق فلان ماله على فلان ، وإنما أنفق بعضه ، ومثله قوله تعالى : (الذي يؤتي ماله يتزكى) [الليل : ١٨] لم يُردْ كُلُّ ماله . ثم استثنى من الإنسان فقال تعالى : (إلا الذين آمنوا) لأن معنى الإنسان الكثير .

والمفسرين في معنى الاستثناء قولان .

أحدهما : إلا الذين آمنوا ، فإنهم لا يُردُّون إلى الخَرَف وأرذل العُمُر وإن عُمروا طويلاً ، وهذا على القول الأول . قال ابن عباس : من قرأ القرآن لم يُردَّ إلى أرذل العمر . وقال النخعي : إذا بلغ المؤمن من الكِبَر ما يعجز عن العمل كُتِبَ له ما كان يعمل ، وهو قوله تعالى : (فلهم أجر غير ممنون) وقال ابن قتيبة : المعنى : إلا الذين آمنوا في وقت القوة والقدرة ، فإنهم حال الكِبَر غير منقوصين وإن عجزوا عن الطاعات ، لأن الله تعالى علم أنهم لو لم يسلبهم القوة لم ينقطعوا عن أفعال الخير ، فهو يجري لهم أجر ذلك .

والثاني : إلا الذين آمنوا ، فإنهم لا يُردُّون إلى النار . وهذا على القول الثاني^(١) .

وقد شرحنا معنى « الممنون » في « ن » ، [آية : ٣] .

قوله تعالى : (فما يكذبك بعد بالدين) فيه قولان .

(١) وهو الأقرب إلى معنى الآية ، كما قال ابن كثير .

أحدهما : فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجة « بالدين » أي : ما الذي يجعلك مكذباً بالجزاء ؟! ، وهذا توييح للكافر ، وهو معنى قول مقاتل . وزعم أنها نزلت في عدي بن ربيعة .

والثاني : فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا ، قاله الفراء . فأما « الدين » فهو الجزاء . والمشار بذكره إلى البعث ، كأنه استدلل بتقليب الأحوال على البعث .

قوله تعالى : (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي : بأقضى القاضين . قال مقاتل : يحكم بينك وبين مكذبيك . وذكر بعض المفسرين : أن معنى هذه الآية تسليته في تركهم والإعراض عنهم . ثم نسخ هذا المعنى بآية السيف ^(١) .

* * *

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي : أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجر ولا يظلم أحداً ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا من ظلمه .

سورة العلق ^(١)

وتسمى : سورة القلم ، وسورة العلق ، وهي مكية ياجماعهم

وهي أول ما نزل من القرآن . وقيل : إنها نزلت عليه في أول الوحي خمس آيات منها ، ثم نزل باقيها في آي^ةي^ة جهل .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

قوله تعالى : (اقرأ) قرأ أبو جعفر بتخفيف الهمزة في الحرفين . قال أبو عبيدة : المعنى : (اقرأ باسم ربك) والباء زائدة .

وقال المفسرون : المعنى : اذكر اسمه مستفتحاً به قراءتك . وإنما قال تعالى : (الذي خلق) لأن الكفار كانوا يعلمون أنه الخالق دون أصنامهم . والإنسان هاهنا : ابن آدم . والعلق : جمع علقه ، وقد بيناها في سورة « الحج » قال الفراء : لما كان الإنسان في معنى الجمع العلق مع مشاكلة رؤوس الآيات .

(١) في الأصل : سورة اقرأ .

قوله تعالى : (اقرأ) تقرير للتأكيد . ثم استأنف فقال تعالى : (وربك الأكرم) قال الخطابي : الأكرم : الذي لا يوازيه كرم ، ولا يعادله في الكرم نظير . وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم ، كما جاء الأعز والأطول بمعنى العزيز والطويل . وقد سبق تفسير الكريم .

قوله تعالى : (الذي علم بالقلم) أي : علم الإنسان الكتابة بالقلم (علم الإنسان ما لم يعلم) من الخط ، والصنائع ، وغير ذلك . وقيل : المراد بالإنسان هاهنا : محمد ﷺ .

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ . إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ . أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ . أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ . كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ . فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

قوله تعالى : (كلا) أي : حقاً . وقال مقاتل : (كلاً) لا يعلم أن الله علمه . ثم استأنف فقال تعالى : (إن الإنسان ليطغى) يعني : أبا جهل . وكان إذا أصاب مالا أشر وبطّر في ثيابه ، ومراكبه ، وطعامه (أن رآه استغنى) قال ابن قتيبة : أي : أن رأى نفسه استغنى . و « الرجعى » المرجع .

قوله تعالى : (أرايت الذي ينهى) معنى : أرايت : تعجيبه المخاطب ، وإنما كررها للتأكيد والتعجب . والمراد بالناهي هاهنا : أبو جهل . قال أبو هريرة :

قال أبو جهل : هل يعفر محمدٌ وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : فبالذي يحلف به ^(١) لئن رأيته لأطأَنَّ على رقبته . فقيل له : هاهو ذاك يصلي . فانطلق ليَطَأَ على رقبته ، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ^(٢) ، ويتقي يديه ، فأتوه ، فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : إن بيني وبينه خندقاً من نار ، وهولاً وأجنحةً . وقال نبي الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » ، فأنزل الله تعالى : (أرايت الذي ينهى) إلى آخر السورة ^(٣) . وقال ابن عباس : كان النبي ﷺ يصلي ، فجاء أبو جهل فقال : ألم أنك عن هذا ؟ فانصرف إليه

(١) في « صحيح مسلم » والطبري : فقال : واللات والعزى .

(٢) في الأصل : عقبه ، والتصحيح من مسلم والطبري .

(٣) رواه مسلم في « صحيحه » ٢١٥٤/٤ ، وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠ ، ورواه أحمد ، والنسائي ، وابن أبي حاتم . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٧٠/٦ وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه البخاري في « صحيحه » ٥٥٧/٨ دون سبب النزول ، ولفظه : عن عكرمة قال ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأَنَّ عنقه ، فبلغ النبي ﷺ فقال : « لو فعله لأخذته الملائكة » ورواه ابن جرير بنحوه بلفظ : « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً » . ورواه بنحو رواية الطبري الترمذي في « سننه » ١٧٠/٢ وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٦٩/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، وابن المنذر ، وأبي نعيم والبيهقي معاً في « الدلائل » عن ابن عباس رضي الله عنه .

النبي ﷺ فزبره^(١) ، فقال أبو جهل : والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني ،
فأنزل الله تعالى : (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس : والله لو دعا
ناديه لأخذته زبانية الله^(٢) .

قال المفسرون : والمراد بالعبد هاهنا : محمد ﷺ . وقيل : كانت الصلاة
صلاة الظهر .

قوله تعالى : (أرأيت إن كان على الهدى) يعني المنهي وهو النبي ﷺ .

قوله تعالى : (أرأيت إن كذب وتولى) يعني : التاهي ، وهو أبو جهل ،
قال الفراء : والمعنى : أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، وهو كاذب
مُتَوَلٍّ عن الذِّكْرِ ، فأی شيء أعجب من هذا ؟ ! وقال ابن الأنباري : تقديره :
أرأيته مصيباً .

قوله تعالى : (ألم يعلم) يعني أبا جهل (بأن الله يرى) ذلك فيجازيه (كلا)
أي : لا يعلم ذلك (لئن لم ينته) عن تكذيب محمد وشتمه وإيذائه (لنسفعاً بالناصية)
الشفع : الأخذ ، والناصية : مُقَدِّمُ الرأس . قال أبو عبيدة : يقال : سفعتُ يده ،

(١) أي : نهره وأغلظ له .

(٢) رواه الترمذي ١٧١/٢ وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح . ورواه أحمد في
« المسند » رقم (٢٣٢١) و (٣٠٤٥) وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠ والواحدي
في « أسباب النزول » ٣٣٩ وأورده السيوطي في « الدر » ٣٦٩/٦ وزاد نسبه لابن أبي
شيبه ، وابن المنذر ، والطبراني ، وابن مردويه ، وأبي نعيم والبيهقي عن ابن عباس
رضي الله عنهما .

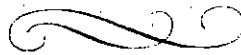
أي : أخذتُ بها . وقال الزجاج : يقال : سَفَعْتُ الشيءَ : إذا قبضتَ عليه وجذبتَه جذباً شديداً . والمعنى : لَنَجْرُنَّ ناصيته إلى النار .

قوله تعالى : (ناصية) قال أبو عبيدة : هي بدل ، فلذلك جرّها . قال الزجاج : والمعنى : بناصية صاحبها كاذبٌ خاطئٌ ، كما يقال : نهاره صائم ، وليله قائم ، أي : هو صائم في نهاره ، قائم في ليله (فليَدْعُ ناديه) أي : أهل ناديه ، وهم أهل مجلسه فليستصرهم (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) قال عطاء : هم الملائكة الغلاظُ الشداد . وقال مقاتل : هم خَزَنَةُ جَهَنَّمَ . وقال قتادة : الزَّبَانِيَةُ في كلام العرب : الشرط . قال الفراء : كان الكسائي يقول : لم أسمع للزَّبَانِيَةِ بواحد ، ثم قال بأخـرة : واحد الزبانية : زِبْنِيٌّ ، فلا أدري أقياساً منه أو سماعاً . وقال أبو عبيدة : واحد الزبانية : زِبْنِيَّةٌ ، وهو كل متمرّد من إنس ، أو جان . يقال : فلان زِبْنِيَّةٌ عِفْرِيَّةٌ . قال ابن قتيبة : وهو مأخوذٌ من الزَّبْنِ ، وهو الدَّفْعُ ، كأنهم يدفعون أهل النار إليها . قال ابن دريد : الزَّبْنُ : الدفع . يقال : ناقة زبون : إذا زَبَنَتْ حالبها ، ودفعته برجلها . وتَزَابَنَ القوم : تدارؤوا . واشتقاق الزبانية من الزَّبْنِ . والله أعلم .

قوله تعالى : (كلا) أي : ليس الأمر على ما عليه أبو جهل (لا تُطْعَمُ) في ترك الصلاة (واسجد) أي : صلِّ لله (واقرب) إليه بالطاعة ، وهذا قول الجمهور أن قوله تعالى : (واقرب) خطابٌ للذي صَلَّى ﷺ . وقد قيل : إنه خطابٌ لأبي جهل . ثم فيه قولان .

أحدهما : أن المعنى : اسجد أنت يا محمد ، واقرب أنت يا أبا جهل من النار ، قاله زيد بن أسلم .

والثاني : واقرب يا أبا جهل تهديداً له ، رواه أبو سليمان الدمشقي عن بعض القدماء . وهذا يشرحه حديث أبي هريرة الذي قدمناه . وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » (١) .



(١) رواه مسلم في « صحيحه » ٣٥٠/١ .

سورة القدر

وفيهما قولان .

أحدهما : أنها مكية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

والثاني : مدنية ، قاله الضحاك ، ومقاتل . قال الماوردي : والأول قول الأكثرين ^(١) . وقال الثعلبي : الثاني قول الأكثرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنْزِيلُ الْمَلَايِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

قوله تعالى : (إنا أنزلناه) يعني : القرآن (في ليلة القدر) وذلك أنه أنزل جملةً في تلك الليلة إلى بيت العزّة ، وهو بيت في السماء الدنيا . وقد ذكرنا هذا الحديث في أول كتابنا ^(٢) . والهاء في « إنا أنزلناه » كناية عن غير مذكور . وقال

(١) وهو الصواب .

(٢) انظر الجزء الاول صفحة (٥) .

الزجاج : قد جرى ذكره في قوله تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) [الدخان : ٣]

فأما (ليلة القدر) ففي تسميتها بذلك خمسة أقوال .

أحدها : أن القَدَرَ : العظمة ، من قولك : لفلان قَدَرٌ ، قاله الزهري .
ويشهد له قوله تعالى : (وما قَدَرُوا الله حق قَدْرِهِ) [الأنعام : ٩١] و [الزمر : ٦٧] .

والثاني : أنه من الضيق ، أي : هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون ، قاله الخليل بن أحمد ، ويشهد له قوله تعالى : (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) [الطلاق : ٧] .

والثالث : أن القَدَرَ : الحكم كأن الأشياء تُقَدَرُ فيها ، قاله ابن قتيبة .

والرابع : لأن من لم يكن له قَدَرٌ صار بمراعاتها ذَا قَدَرٍ ، قاله أبو بكر الوراق .

والخامس : لأنه نزل فيها كتاب ذو قَدَرٍ ، وتنزل فيها رحمة ذات قَدَرٍ ، وملائكة ذوو قَدَرٍ ، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله .

فصل

واختلف العلماء هل ليلة القدر باقية ، أم كانت في زمن النبي ﷺ خاصة ؟
والصحيح بقاؤها .

وهل هي في جميع السنة ، أم في رمضان ؟

فيه قولان .

أحدهما : في رمضان ، قاله الجمهور ^(١) .

والثاني : في جميع السنة ، قاله ابن مسعود .

واختلف القائلون بأنها في شهر رمضان هل تختص ببعضه دون بعض ؟
على قولين .

أحدهما : أنها في العشر الأواخر ، قاله الجمهور ، وأكثر الأجداد الصحيحة
تدل عليه .

وقد روى البخاري في أفراد من حديث ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه
قال : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، في تاسعة تبقى ، أو سابعة
تبقى ، أو في خامسة تبقى » ^(٢) . وفي حديث أبي بكر قال : ما أنا بملتسها
لشيء سمعته من رسول الله ﷺ ، إلا في العشر الأواخر ، فإني سمعته يقول :
« التمسوها في تسع ييقن ، أو سبع ييقن ، أو خمس ييقن ، أو ثلاث ييقن ، أو آخر
ليلة » ^(٣) .

-
- (١) وهو الصواب الذي تؤيده الأدلة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، وسيورد المصنف بعضها .
(٢) رواه البخاري في « صحيحه » ٢٢٦/٤ ولفظه : « التمسوها في العشر الأواخر من
رمضان ، ليلة القدر ، في تاسعة تبقى ، في سابعة تبقى ، في خامسة تبقى . قال ابن كثير
بعدما ذكر حديث البخاري هذا : فمره كثيرون بلبالي الأوتار ، وهو أظهر وأشهر .
(٣) رواه الترمذي في « سننه » ٩٨/١ من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن
أبي بكر قال : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الترمذي في آخر الحديث : وكان
أبو بكر يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة ، فإذا دخل العشر (يعني الأخير)
اجتهد . وقال الحافظ السيوطي في « الدرر » ٣٧٣/٦ : أخرج الطيالسي ، وابن أبي شيبة ،

والقول الثاني : أنها في جميع رمضان ، قاله الحسن البصري .

واختلف القائلون بأنها في العشر الأواخر هل تختص ليالي الوتر دون الشفع ؟

على قولين .

أحدهما : أنها تختص الأفراد ، قاله الجمهور . والأحاديث الصحاح كلها تدل عليه . وقد أخرج البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها ^(١) .

والثاني : أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر ، قاله الحسن . وروي عن الحسن ومالك بن أنس قالا : هي ليلة ثمان عشرة ^(٢) .

واختلف القائلون بأنها في الأفراد في أخص الليالي بها على خمسة أقوال .

أحدها : أن الأخص بها ليلة إحدى وعشرين . فروى البخاري ومسلم في

— وأحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي وصححه ، وابن جرير والحاكم وصححه ، والبيهقي عن عبد الرحمن بن جوشن قال : ذكرت ليلة القدر عند أبي بكره فقال : أما أنا فليست بملتصها إلا في العشر الأواخر بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول : « التمسوها في العشر الأواخر ، لتاسعة تبقى ، أو سابعة تبقى ، أو ثلاثة تبقى ، أو آخر ليلة ، فكان أبو بكره رضي الله عنه يصلي في عشرين من رمضان كما كان يصلي في سائر السنة ، فإذا دخل العشر اجتهد .

(١) رواه البخاري ٢٢٥/٤ وهو جزء من حديث طويل ، ولفظه « ... فابتغوها في العشر الأواخر ، وابتغوها في كل وتر ... » وهو في مسلم ٨٢٤/٢ ، ٨٢٥ بمعناه .

(٢) قال الترمذي ٩٨/١ : وروي عن أبي قلابة أنه قال : ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر . قال ابن كثير : وهذا الذي حكاه الترمذي عن أبي قلابة نص عليه مالك ، والثوري ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، والمزني ، وأبو بكر بن خزيمة ، وغيرهم ، قال : وهو محكي عن الشافعي ، نقله القاضي عنه ، وهو الأشبه ، والله أعلم .

« الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري قال : اعتكف رسول الله ﷺ العشر الوسط ، واعتكفنا معه ، فلما أصبحنا صبيحة عشرين رجع ، ورجعنا معه ، وأري ليلة القدر ، ثم أنسيها ، فقال : « إني رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيها وأراني أسجد في ماء وطين ، فمن اعتكف فليرجع إلى مُعتكفه ، وهاجت علينا السماء آخر تلك العشية ، وكان سَقَفُ المسجد عريشاً من جريد ، فوكف [المسجد] ^(١) فوالذي هو أكرمهُ ، وأنزل عليه الكتاب لرأيتُهُ يصلي ، بدأ المغرب ليلة إحدى وعشرين ، وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين ^(٢) ، وهذا مذهب الشافعي .
والثاني : أن الأخص بها ليلة ثلاث وعشرين . روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال ليلة ثلاث وعشرين : « اطلبوها الليلة » ^(٣) .

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين ، ^(٤) .

(١) زيادة من البخاري ومسلم . ومعنى وكف : أي : قطر ماء المطر من سقفه .

(٢) رواه البخاري ٢٣٦/٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ومسلم ٨٢٤/٢ ، ٨٢٦ .

(٣) قال السيوطي في « الدرد » ٣٧٢/٦ : أخرج ابن زنجويه ، وابن مردويه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ذكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « كم بقي من الشهر ؟ » قلنا : مضت اثنتان وعشرون ، وبقي ثمان ، فقال رسول الله ﷺ : « مضت اثنتان وعشرون ، وبقيت سبع ، التمسوها الليلة ، الشهر تسع وعشرون » .

(٤) هذا قطعة من حديث ذكره الطبرسي في « مجمع البيان » ١٩٣/٣٠ عن عبد الله بن عمرو بغير سند ولم يعزه لأحد ، ولفظه عنده بتمامه : عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة —

وروى مسلم في أفرادِهِ من حديث عبد الله بن أنيس ، أن رسول الله ﷺ قال : أُرِيتُ ليلةَ القدر ، ثم أنسيتها ^(١) ، وأُراني صُبْحَهَا ^(٢) أسجد في ماء وطين . قال : فطَرنا ليلة ثلاث وعشرين ، فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف ^(٣) وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه . قال : وكان عبد الله بن أنيس يقول : ليلة ثلاث وعشرين ^(٤) .

والثالث : ليلة خمس وعشرين ، روى هذا المعنى أبو بكر عن النبي ﷺ .^(٥)

— تبقى ، فمن كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين ، ولم نره عند غيره بهذا اللفظ ، نعم رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحرباً فليتحربها في السبع الأواخر » . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٢٣١/٤ : والظاهر أن المراد به أواخر الشهر ، ثم قال : ولمسلم من طريق عقبه بن حريث عن ابن عمر : « التمسوها » في العشر الأواخر ، فإن ضعف أحدهم أو عجز ، فلا يغلبن على السبع البواقي ، قال : وهذا البيان يرجح الاحتمال في تفسير السبع .

(١) في الأصل : نسينها .

(٢) في الأصل : صيغتها .

(۳) فی الأصل : فأبصرته .

(٤) رواه مسلم ٨٢٧/٢ . وقال الحافظ السيوطي في « الدر » ٣٧٣/٦ : أخرج مالك ، وابن سعد ، وابن أبي شيبة ، وأحمد ، ومسلم ، وابن زنجويه ، والطحاوي ، والبيهقي عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « التمشوها الليلة ، وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٢٢٩/٤ : حكاه ابن العربي في « العارضة » ، وعزاه ابن الجوزي في « المشكل » لأبي بكر .

والرابع : ليلة سبع وعشرين ، روى مسلم في أفراده من حديث ابن عمر ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبع وعشرين ، يعني : ليلة القدر ^(١) ، وهذا مذهب علي وأبي بن كعب . وكان أبي يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين ^(٢) ، وبه قال ابن عباس ، وعائشة ، ومعاوية . واختاره أحمد رضي الله عنه .

وروي عن ابن عباس : أنه استدل على ذلك بشيئين .

(١) لفظ رواية مسلم ٨٢٢/٢ : « فمن كان متحرياً فليتحرها في السبع الأواخر » . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٢٢٩/٤ : « ولابن المنذر : « من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبع وعشرين » قال : وعن جابر بن سمرة نحوه ، أخرجه الطبراني في « الأوسط » وعن معاوية نحوه ، أخرجه أبو داود . وقال الحافظ السيوطي في « الدر » ٣٧٥/٦ : أخرج عبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » .

(٢) روى مسلم في « صحيحه » ٨٢٨/٢ من رواية عبدة وعاصم بن أبي النجود سمعا زراً بن حيش يقول : سألت أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقيم الحول يصب ليلة القدر ، فقال رحمه الله : أراد أن لا يتكفل الناس ، أما إنه قد علم أنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين ، فقلت : بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ قال : بالعلامة ، أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها . والحديث ذكره السيوطي في « الدر » ٣٧٤/٦ وزاد نسبه لابن أبي شيبه ، وأحمد ، وابن زنجويه ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، والنسائي ، وأبي داود ، وابن جرير ، وابن حبان ، وابن مردويه ، والبيهقي عن زراً بن حيش عن أبي رضي الله عنه .

أحدهما : أنه قال : إن الله تعالى خلق الإنسان على سبعة أصناف ، يشير إلى قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة) [المؤمنون : ١٢] الآيات ^(١) . ثم جعل رزقه في سبعة أصناف يشير إلى قوله تعالى : (أنا صببنا الماء صبا) [عبس : ٢٥] ^(٢) ثم تصلى الجمعة على رأس سبعة أيام ، وجعل السموات سبعة ، والأرضين سبعة ، والمثاني سبعة ^(٣) ، فلا أرى ليلة القدر إلا ليلة السابعة [وعشرين] ^(٤) .

والثاني : أنه قال : قوله تعالى : (سلام) هي الكلمة السابعة والعشرون ، فدل على أنها كذلك .

واحتج بعضهم فقال : ليلة القدر كررت في هذه السورة ثلاث مرات ، وهي تسعة أحرف ، والتسعة إذا كررت ثلاثاً فهي سبع وعشرون ، وهذا تنبيه على ذلك .

والقول الخامس : أن الأولى طلبها في أول ليلة من رمضان ، قاله أبو رزين العقيلي .

(١) نصها بتمامها (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

(٢) والآيات بتمامها : (فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حبا . وعبأ وقضاً . وزيتوناً ونخللاً . وحدائق غلباً . وفاكهة وأبا . متاعاً لكم ولأنعامكم) .

(٣) وهي سورة الفاتحة سبع آيات ، سميت بالثاني ، لأنها تنهى في كل ركعة ، أي تكرر .

(٤) كلمة « وعشرين » سقطت من الأصل ، واستدركناها من النسخة الاستنبولية .

وروى أيوب عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر^(١).

فأما الحكمة في إخفائها فليتحقق اجتهاد العباد في ليالي رمضان طمعاً منهم في إدراكها ، كما أخفى ساعة الجمعة^(٢) ، وساعة

(١) انظر الصفحة (١٨٤) التعليق رقم (٢) .

(٢) روى البخاري ٣٤٤/٢ ومسلم ٥٨٣/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه » وأشار بيده يقلبها . واللفظ للبخاري . وروى مسلم في « صحيحه » ٥٨٤/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه » قال : وهي ساعة خفيفة . ورواه أحمد في « المسند » ٢٧٢/٢ وزاد فيه : « وهي بعد العصر » .

وروى مسلم في « صحيحه » ٥٨٤/٢ عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال : قال لي عبد الله بن عمر : سمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة » ورجع هذا القول النووي . وقال الترمذي في « سننه » ٣٦١/٢ بتحقيق أحمد شاكر : ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الساعة التي ترجى فيها ، بعد العصر إلى أن تغرب الشمس ، قال : وبه يقول أحد ، وإسحاق . قال : وقال أحمد : أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر ، وترجى بعد زوال الشمس .

ومن شاء التفصيل فليرجع إلى « فتح الباري » ٣٤٥/٢ - ٣٥١ وشرح مسلم للنووي ١٤٠/٦ وانظر كلام أحد شاكر على الترمذي ٣٦٣/٢ - ٣٩٤ .

وعلى كل فهي ساعة (أي لحظة) مخفية تمر على الانسان ، سواء أكانت ما بين أن يجلس الامام إلى أن تقضى الصلاة ، أم بعد العصر ، وقد حثنا رسول الله ﷺ على التماسها لما فيها من الأجر العظيم والثواب الكبير .

الليل^(١) ، واسمه الأعظم^(٢) ، والصلاة الوسطى^(٣) ، والولي في الناس^(٤) .

(١) روى مسلم في « صحيحه » ٥٢١/١ عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة » . قال النووي في « شرح مسلم » ٢٦/٦ : فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة ، ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مضادتها .
(٢) روى البخاري في « صحيحه » ٢٦٢/٥ ومسلم ٢٠٦٣/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة » .

وفي رواية لمسلم : « من حفظها دخل الجنة » والمعنى : من حفظها متفكراً في مدلولاتها معتبراً بمعانيها ، عاملاً بمقتضاها ، مقدساً لاسماها ، دخل الجنة مع الأولين .

(٣) قال ابن كثير : اختلف السلف والخلف أي صلاة هي ، فقيل : إنها الصبح ، وذكر بعض الأدلة على ذلك . وقيل : إنها الظهر ، وذكر أيضاً بعض الأدلة على ذلك . وقيل : إنها العصر ، قال : قال الترمذي والبخاري رحمهما الله تعالى : وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم . وقال القاضي الماوردي : هو قول جمهور التابعين ، وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : هو قول أكثر أهل الأثر ، وقال أبو محمد بن عطية في تفسيره : وهو قول جمهور الناس . ثم ذكر أنه جاء التصريح بها في الأحاديث الصحيحة ، منها ما رواه أحمد ومسلم عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة قلوبهم ويوتهم ناراً » . قال : وأخرجه الشيخان وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وغير واحد من أصحاب « المسند » و « السنن » والصحاح من طرق بطول ذكرها . وذكر أقوالاً أخرى كثيرة ، ثم قال : وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها . اهـ . وهذا يدل على أن الصلاة الوسطى أصبحت معروفة وليست خفية كما ذكر المؤلف رحمه الله .

(٤) الولي لا يعرف بعينه ، ولكن الله تعالى ذكر صفات الأولياء في كتابه فقال : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون) فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً .

قوله تعالى : (وما أدراك ما ليلة القدر) هذا على سبيل التعظيم والتشويق إلى خيرها .

قوله تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال مجاهد : قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر ، وهذا قول قتادة ، واختيار الفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج . وروى عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ ذكر له رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر ، فعجب رسول الله ﷺ لذلك ، وتمنى أن يكون ذلك في أمته ، فأعطاه الله ليلة القدر ،

— قال ابن كثير : ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين ، بدليل ما رواه الامام أحمد في « مسنده » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله حزنه وهمه ، وأبدله مكانه فرحاً » ، فقيل : يا رسول الله ، أفلا نتعلما ؟ فقال : بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلما » وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي بثله ، قال : وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه « الأحوذى في شرح الترمذي » أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم ، فأنه أعلم .

قال الله تعالى : (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وهي كثيرة ، وقد اختلف العلماء في تعيين اسمه الأعظم . وقد روى أصحاب « السنن » عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال : لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب ، فأنه أعلم أي الأسماء من هؤلاء الأعظم ، وكلها عظيمة .

وقال : هي خير من ألف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله ^(١) .
 وذكر بعض المفسرين أنه كان الرجل فيما مضى لا يستحق أن يقال ^(٢) له : عابد حتى
 يعبد الله ألف شهر كانوا يعبدون فيها .

قوله تعالى : (تنزل الملائكة) قال أبو هريرة : الملائكة ليلة القدر في
 الأرض أكثر من عدد الحصى ^(٣) .

(١) روى هذا الحديث البخاري في « تفسيره » من رواية عطاء عن ابن عباس بغير
 سند ، وكذلك ذكره القرطبي في « تفسيره » ، وذكره ابن كثير في « التفسير » من رواية
 ابن أبي حاتم عن مجاهد عن النبي ﷺ ، وهو مقطوع ، وكذلك ذكره السيوطي في « الدرر »
 ٣٧١/٦ وزاد نسبه لابن المنذر ، والبيهقي في « سننه » .

قال ابن كثير : وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في
 ذلك الشهر ليلة القدر ، قال : هكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد ، قال : وقال عمرو
 ابن قيس الملائي : عمل فيها خير من عمل ألف شهر ، قال : وهذا القول بأنها أفضل من عبادة
 ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، هو اختيار ابن جرير ، وهو الصواب ، لا ما عدها ، وهو
 كقوله ﷺ : « رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » رواه أحمد ،
 وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها ،
 إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك . وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
 لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ : « قد جاءكم شهر مبارك افتروا الله عليكم صيامه ،
 تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من
 ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » ثم قال : ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة
 ألف شهر ، ثبت في « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
 « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

(٢) في الأصل : يقول ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية .

(٣) قال ابن كثير : أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركاتها ، قال :
 والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما ينزلون عند تلاوة القرآن ، ويحيطون بحلق
 الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق ، تعظما له .

وفي « الروح » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه جبريل ، قاله الأكثرون . وفي حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل " .

والثاني : أن الروح : طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، قاله كعب ، ومقاتل بن حيان .

والثالث : أنه ملك عظيم بني بخلق من الملائكة ، قاله الواقدي .

قوله تعالى : (فيها) أي : في ليلة القدر (يأذن ربهم) أي : بما أمر به وقضاه (من كل أمر) قال ابن قتيبة : أي : بكل أمر . قال المفسرون : ينزلون بكل أمر قضاه الله في تلك السنة إلى قابل . وقرأ ابن عمر ، وابن عباس ، وأبو العالية ، وأبو عمران الجوني « من كل امرئ » بكسر الراء وبعدها همزة مكسورة منوَّنة . ويوصل اللام من غير همز . ولهذه القراءة وجهان .

أحدهما : من كل ملك سلام .

والثاني : أن تكون « من » بمعنى « على » تقديره : على كل أمر من المسلمين سلام من الملائكة ، كقوله تعالى : (ونصرناه من القوم الذين كذبوا) [الأنبياء : ٧٧] . والقراءة الموافقة لخط المصحف هي الصواب . ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى :

(١) حديث أنس هذا ، ذكره السيوطي في « الدر » ٦ / ٣٧٧ وعزاه لليهي ، والكبكية : الجماعة .

« من كل أمر » ثم ابتداء فقال تعالى : (سلام هي) أي : ليلة القدر سلام .
وفي معنى السلام قولان .

أحدهما : أنه لا يحدث فيها داء ولا يرسل فيها شيطان ، قاله مجاهد .

والثاني : أن معنى السلام : الخير والبركة ، قاله قتادة . وكان بعض العلماء
يقول : الوقف على « سلام » على معنى تنزل الملائكة بالسلام .

قوله تعالى : (حتى مطلع الفجر) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ،
وابن عامر ، وحمزة « مطلع » بفتح اللام . وقرأ الكسائي بكسر ها . قال الفراء :
والفتح أقوى في قياس العربية ، لأن المطلع بالفتح : الطلوع ، وبالكسر : الموضع
الذي يطلع منه ، إلا أن العرب تقول : طلعت الشمس مطلعاً ، بالكسر ، وهم
يريدون المصدر ، كما تقول : أكرمتك كرامة ، فتجزيء بالاسم عن المصدر . وقد
شرحنا هذا المعنى في « الكهف » عند قوله تعالى : (مطلع الشمس) [آية : ٩]
شرحاً كافياً ، والله الحمد .



(١) سورة البينة

وفيه قولان .

أحدهما : مدنية ، قاله الجمهور ^(٢) .

والثاني : مكية ، قاله أبو صالح عن ابن عباس ، واختاره يحيى بن سلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً . فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ . وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ . وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾

(١) في الأصل : سورة لم يكن . وروى البخاري في «صحيحه» ٩٠/٦ ومسلم في «صحيحه» -

(٢) وهو الصواب .

قولى تعالى : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والمشركين) أي : ومن المشركين ، وهم عبدة الأوثان (مُنْفَكِّينَ) أي : منفصلين وزائلين - يقال : فككت الشيء ، فانفك ، أي : انفصل - والمعنى : لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم (حتى تأتيهم) أي : حتى أتتهم ، فلفظه لفظ المستقبل ، ومعناه الماضي . و (البينة) الرسول ، وهو محمد ﷺ ، وذلك أنه بيّن لهم ضلالهم وجهلهم . وهذا بيان عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم . وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية : لم يختلفوا أن الله يبعث إليهم نبياً حتى يبعث فافترقوا . وقال بعضهم : لم يكونوا لتركوا منفكين عن حجج الله حتى أقيمت عليهم البينة . والوجه هو الأول . والرسول هاهنا محمد ﷺ . ومعنى (يتلو صحفاً) أي : ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها ، وهو القرآن . وبدل على ذلك أنه كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه لا من كتاب . ومعنى « مُطَهَّرَةٌ » أي : من الشرك والباطل . (فيها) أي : في الصحف (كُتِبَ قِيَمَةٌ) أي : عادلة مستقيمة تبين الحق من الباطل ، وهي الآيات . قال مقاتل : وإنما قيل لها : كتب لما جمعت من أمور شتى .

— ١٩١٥/٤ عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا) » قال : وسماي ؟ قال : « نعم » فبكى ، ورواه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم . وتخصيص هذه السورة بالذكر يقتضي اختصاصها وامتيازها ، لما اشتملت عليه من التوحيد ، والرسالة ، والاخلاص ، والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء ، وذكر الصلاة ، والزكاة ، والمعاد ، وبيان أهل الجنة والنار ، مع وجازتها .

قوله تعالى : (وما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يعني : من لم يؤمن منهم (إلا من بعد ما جاءتهم الْبَيِّنَةُ) وفيها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها محمد ﷺ . والمعنى : لم يزالوا مجتمعين على الإيمان به حتى بُعِثَ ، قاله الأكثرون .

والثاني : القرآن ، قاله أبو العالية .

والثالث : ما في كتبهم من بيان نُبُوَّتِهِ ، ذكره الماوردي . وقال الزجاج : وما تَفَرَّقُوا في كفرهم بالنبِيِّ إلا من بعد أن تَبَيَّنُوا أنه الذي وُعِدُوا به في كُتُبِهِمْ ^(١) .

(١) روى أبو داود في « سننه » رقم (٤٥٩٧) عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة » ورواه أحمد في « المسند » ١٠٢/٤ من حديث معاوية ، وأبو داود في « سننه » رقم (٤٥٩٦) من حديث أبي هريرة ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وهو حديث صحيح لطريقه . وروى مسلم في « صحيحه » رقم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

وروى مسلم في « صحيحه » ١٩٧/١٧ بشرح النووي عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من —

قوله تعالى : (وما أمروا) أي : في كتبهم (إلا ليعبدوا الله) أي : إلا أن يعبدوا الله . قال الفراء : والعرب تجعل اللام في موضع « أن » في الأمر والإرادة كثيراً ، كقوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم) [النساء : ٢٦] ، و (يريدون ليظفوا نور الله) [الصف : ٨] . وقال في الأمر (وأمرنا لنسلم) [الأنعام : ٧١] .

— أهل الكتاب ... الحديث قال النووي : المراد بهذا المقت والنظر : ما قبل بعثة رسول الله ﷺ ، والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل .

فمن أدرك من أهل الكتاب محمداً ﷺ خاتم النبيين وآمن به ، فذلك يؤتى أجره مرتين ، وقد روى مسلم في « صحيحه » رقم (١٥٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي (يعني نفسه ﷺ) فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران ... » الحديث . ومن أدرك محمداً ﷺ من أهل الكتاب ولم يؤمن فهو كافر بلا شك ولا ريب ، لأن الانبياء المتقدمين عليه ﷺ كموسى وعيسى عليهما السلام أخذوا العهد والميثاق على أقوامهم إن أدركوا محمداً ﷺ أن يؤمنوا به ، وبشروا بمجيئه ، فمن أدركه ولم يؤمن به فقد كفر بمحمد وعيسى وموسى ، لأنه كذب أقوالهم . وقد روى مسلم في « صحيحه » رقم (١٥٣) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بي الا كان من أصحاب النار » . ولذلك قال تعالى في آخر هذه السورة (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) أي الخليفة ، لكفرهم وعنادهم . وذكر عن الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب والمشركين فآمنوا به وسلكوا شريعته أنهم خير البرية ، لأنهم آمنوا بخاتم الأنبياء والمرسلين ، وصدقوا الأنبياء المتقدمين .

قوله تعالى : (مخلصين له الدين) أي : موحدّين لا يعبدون سواه (حُنَفَاءَ) على دين إبراهيم ^(١) (وقيموا الصلاة) المكتوبة في أوقاتها (ويؤتوا الزكاة) عند وجوبها (وذلك) الذي أمروا به هو (دين القِيَمَةِ) قال الزجاج : أي دين الأمة القِيَمَةُ بالحق . ويكون المعنى : ذلك الدِّينُ دينُ الملة المستقيمة ^(٢) .

قوله تعالى : (أولئك هم خير البرية) قرأ نافع ، وابن ذكوان عن ابن عامر بالهمز بالكلمتين . وقرأ الباقر بن بغير همز فيها . قال ابن قتيبة : البرية : الخلق . وأكثر العرب والقراء على ترك همزها لكثرة ما جرت على الألسنة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة . ومن الناس من يزعم أنها مأخوذة من بَرَيْتُ العود ، ومنهم من يزعم أنها من البرى وهو التراب [أي خلق من التراب ، وقالوا : لذلك لا يهمز ، وقال الزجاج : لو كان من البرى وهو التراب] ^(٣) لما قرنت بالهمز ، وإنما اشتقاقها من بَرَأَ الله الخلق . وقال الخطابي : أصل البرية الهمز ، إلا أنهم اصطالحوا على ترك الهمز فيها . وما بعده ظاهر إلى قوله تعالى : (رضي الله عنهم) قال مقاتل : رضي الله عنهم بطاعتهم (ورضوا عنه) بشوابه . وكان بعض السلف يقول : إذا كنت لا ترضى عن الله ، فكيف تسأله الرضى عنك !؟

(١) قال القرطبي : أي : مائلين عن الأديان كلها إلى دين الاسلام .

(٢) قال ابن كثير : وقد استدل كثير من الأئمة ، كالزهري ، والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الايمان ، ولهذا قال : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

(٣) زيادة سقطت من الأصل ، واستدركنها من النسخة الاستبولية .

قوله تعالى : (ذلك لمن خشي ربه) أي : خافه في الدنيا ، وتناهى عن

معاصيه ^(١) .



(١) قال ابن جرير الطبري : وقوله : (ذلك لمن خشي ربه) يقول تعالى ذكره : هذا الخير الذي وصفته ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة (لمن خشي ربه) يقول : لمن خاف الله في الدنيا في سره وعلايته ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه . وقال ابن كثير : وقوله تعالى : (ذلك لمن خشي ربه) أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه ، وعنده كأنه يراه ، وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه .

سورة الزلزلة

وفيها قولان :

أحدهما : أنها مدنية ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، ومقاتل ، والجمهور .
والثاني : مكية ، قاله ابن مسعود ، وجابر ، وعطاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا . يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا . يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ
الْأَنَاسُ أَشْتَاتًا . لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

قوله تعالى : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أي : حُرِّكَتْ حركةً شديدةً ،
وذلك عند قيام الساعة . وقال مقاتل : تتزلزل من شدة صوت إسرافيل حتى
يَنْكَسِرَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا مِنْ شَدَّةِ الزَّلْزَلَةِ وَلَا تَسْكُنُ حَتَّى تَلْقَى مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ
جِبَلٍ ، أَوْ بَنَاءٍ ، أَوْ شَجَرٍ ، ثُمَّ تَتَحَرَّكُ وَتُضْطَرِبُ ، فَتُخْرِجُ مَا فِي جَوْفِهَا .

وفي وقت هذه الزلزلة قولان .

أحدهما : تكون في الدنيا ، وهي من أشراط الساعة ، قاله الأكثرون .
والثاني : أنها زلزلة يوم القيامة ، قاله خارجة بن زيد في آخرين . قال
الفراء : حدثني محمد بن مروان ، قال : قلت للكلبي : أرأيت قول الله تعالى :
(إذا زلزلت الأرض زلزالها) ؟ فقال : هذه بمنزلة قوله تعالى : (ويخرجكم لإخراجاً)
[نوح : ١٨] فأضيف المصدر إلى صاحبه ، وأنت قائل في الكلام : لَا أُعْطِيَنَّكَ
عُطِيَّتَكَ ، تريد عطية ^(١) . والزلزال بالكسر المصدر ، وبالفتح : الاسم . وقد
قرأ أبو العالية ، وأبو عمران ، وأبو حيوة الجحدري « زلزالها » بفتح الزاي .

قوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) فيه قولان .

أحدهما : ما فيها من الموتى ، قاله ابن عباس ^(٢) .

والثاني : كنوزها ، قاله عطية . وجمع الفراء بين القولين ، فقال : لفظت
ما فيها من ذهب ، أو فضة ، أو ميت

(١) الذي في القرطبي : أي : عطيتي لك .

(٢) قال ابن كثير : قاله غير واحد من السلف ، وهذه كقوله تعالى : (يا أيها الناس
اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وكقوله : (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها ونخلت) .
وروى مسلم في « صحيحه » رقم (١٠١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « تقية الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء
القاتل فيقول : في هذا قتلتي ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحي ، ويجيء
السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونّه فلا يأخذون منه شيئاً » .

قوله تعالى : (وقال الإنسان ما لها) فيه قولان .

أحدهما : أنه اسم جنس يعم الكافر والمؤمن ، وهذا قول من جعلها من
أشراط الساعة ، لأنها حين ابتدأت لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة ، فسأل
بعضهم بعضاً حتى أيقنوا .

والثاني : أنه الكافر خاصة ، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة ، لأن
المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها ، والكافر جاحد لها لأنه لا يؤمن بالبعث ،
فلذلك يسأل .

قوله تعالى : (يومئذ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال الزجاج : « يومئذ » منصوب
بقوله تعالى : (إذا زلزلت) (وأخرجت) ففي ذلك اليوم تحدث بأخبارها ، أي :
تخبر بما عمل عليها . وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال :
أندرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أخبارها أن تشهد على
كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا (١) .

قوله تعالى : (بأن ربك أوحى لها) قال الفراء : تحدث أخبارها بوحى
الله وإذنه لها . قال ابن عباس : أوحى لها ، أي : أوحى إليها ، وأذن لها أن

(١) رواه الترمذي في « سننه » ١٧١/٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ،
وفي آخره « فهذه أخبارها » ورواه أحمد في « المسند » والحاكم في « المستدرک » ٥٣٣/٢
وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقد أورده السيوطي في « الدر »
٣٨٠/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ،
والبيهقي في « شعب الايمان » عن أبي هريرة رضي الله عنه . وللحديث شاهد عند الطبراني
من رواية ربيعة الجرشي .

تخبر بما عمل عليها . وقال أبو عبيدة : « لها » بمعنى « إليها » ^(١) . قال العجاج :
وَحَى ^(٢) لها القَرَارَ فاستقرَّت ^(٣)

قوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) أي : يرجعون عن موقف الحساب
(اشتاتاً) أي : فرقاً . فأهل الإيمان على حدة وأهل الكفر على حدة (لِيرَوَا أَعْمَالَهُمْ)
وقرأ أبو بكر الصديق ، وعائشة ، والجحدري : « لِيرَوَا » بفتح الياء . قال ابن عباس :
أي ليروا جزاء أعمالهم . فالمعنى : أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من
الجنة والنار . وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : تُحَدِّثُ أخبارها
بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس اشتاتاً . فعلى هذا : يرون
ما عملوا من خير أو شر في موقف العَرْضِ (فمن يعمل مثقال ذرة) قال
المفسرون : من يعمل في الدنيا مثقال ذرة من الخير أو الشر يره ^(٤) وقرأ أبان

(١) قال ابن كثير : قال البخاري : أوحى لها ، وأوحى إليها ، ووحى لها ، ووحى
إليها ، واحدٌ .

(٢) كذا في القرطبي و « اللسان » ، وروايته في « مجاز القرآن » و « البحر » ،
و « روح المعاني » أوحى ، وكلاهما صواب .

(٣) الرجز في « مجاز القرآن » ٣٠٦/٢ و القرطبي ١٤٩/٢٠ ، و « البحر » ٥٠١/٨ ،
و « روح المعاني » ١٠/٣٠ ، و « اللسان » وحى .

(٤) روى البخاري في « صحيحه » ٥٥٩/٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال : « الحيل ثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ، فاما الذي له أجر ،
فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة ، فما أصابت في طيلها (أي حبلى
الطويل) ذلك في المرج والروضة كان له حنات ، ولو أنها قطعت في طيلها فاستننت —

عن عاصم « يُرَى » بضم الياء في الحرفين . وقد بَيَّنَّا معنى « الذَّرَّة » في سورة [النساء : ٤٠] وفي معنى هذه الرؤية قولان .

أحدهما : أنه يراه في كتابه .

والثاني : يرى جزاءه . وذكر مقاتل : أنها نزلت في رجلين كانا بالمدينة ، كان أحدهما يستقل أن يعطي السائل الكِسْرَةَ ، أو الثمرة . وكان الآخر يتهاون بالذَّنْب اليسير ، فأنزل الله عز وجل هذا يُرَغِّبُهُم في القليل من الخير ، ويُحَذِّرُهُم اليسير من الشر^(١) .

* * *

— (عَدَّتْ) شَرَفًا أو شرفين (شوطًا أو شوطين) كانت آثارها وأرواثها حسناتٍ له ، ولو أنها موت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي : كانت ذلك حسنات له ، فهي لذلك الرجل أجر ، ورجل ربطها تغنيًا وتعففًا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها ، فهي له سِتْرٌ ، ورجل ربطها فخراً ورياءً ، ونِوَاءً (عداوة لأهل الاسلام) فهي على ذلك وِزْرٌ ، فسئل رسول الله ﷺ عن الحُمْرِ ، (أي عن صدقتها) قال : ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه الآية الفاذة (المنفردة) الجامعة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) . ورواه مسلم في « صحيحه » بأطول منه ٦٨٠/٢ ، ٦٨١ .

(١) ذكر سبب النزول هذا الواحد في « أسباب النزول » ٣٤٠ والبغوي في « التفسير » عن مقاتل بغير سند ، وذكره ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير ، وابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه ، وعطاء بن دينار ، صدوق ، إلا أن روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته ، وسعيد بن جبير أرسله .

سورة العاديات

وفيها قولان :

أحدهما : أنها مكية ، قاله ابن مسعود ، وعطاء ، وعكرمة ، وجابر .
والثاني : مدنية ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، ومقاتل .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرُنَ بِهِ
تَقَعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا . إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ .
وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي
الْأُصْدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾

قوله تعالى : (والعاديات) فيه قولان :

أحدهما : أنها الإبل في الحج ، قاله علي ، وابن مسعود ، وعبيد بن عمير ،
والقرظي ، والسدي . وروي عن علي أنه قال : « والعاديات ضبْحًا » من عرفة
إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى . وروي عن علي أنه قال هذا في صفة
وقعة بدر . قال : وما كان معنا يومئذ إلا فرس . وفي بعض الحديث أنه كان
معهم فرسان .

والثاني : أنها الحيل في سبيل الله ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وأبو العالية ، وعكرمة ، وقتادة ، وعطية ، والربيع ، واللغويون^(١) .

وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذا كان في سرية ، فروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً ، فلم يأتها خبرها شهراً ، فنزلت « والعاديّات ضبْحاً » ضبْحاً بمنآخرها (فالمرديات قدحاً) قدحت بجوافرها الحجارة فأورثت ناراً (فالمرديات صبحاً) صبحت القوم بغارة (فأثرن به نقعاً) أثارت بجوافرها التراب (فوسطن به جمعاً) قال : صبحت الحي جميعاً^(٢) . وقال مقاتل : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حيين من كنانة واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري ، فأبطأ عنه خبرها ، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ تنأجوا ، فيظن الرجل أنه قد قُتل أخوه أو أبوه ، أو عمه ، فيجد من ذلك حزناً ، فنزلت : « والعاديّات ضبْحاً » فأخبر الله كيف

(١) قال البغوي : هذا قول أكثر المفسرين . وقال القرطبي : كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة .

(٢) رواه الواحدي في « أسباب النزول » ٣٤١ ، وفي سنده حفص بن جميع ، وهو ضعيف . قال ابن كثير : وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً غريباً جداً ... فذكره وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٤٢/٦ من رواية البزار ، وقال : فيه حفص بن جميع ، وهو ضعيف . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٨٣/٦ وزاد نسبه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدارقطني في « الأفراد » وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

فعل بهم^(١) . قال الفراء : الضبح : أصوات أنفاس الخيل إذا عَدَوْنَ . وقال ابن قتبية : الضبح : صوت حلوها إذا عَدَتْ . وقال الزجاج : ضبحها : صوت أجوافها إذا عَدَتْ .

قوله تعالى : (فالموريات قدحاً) فيه خمسة أقوال

أحدها : أنها الخيل تُوري النار بجوافرها إذا جرت ، وهذا قول الجمهور^(٢) . قال الزجاج : إذا عدت الخيل بالليل ، فأصابت بجوافرها الحجارة ، انقدحت منها النيران .

والثاني : أنها نيران المجاهدين إذا أوقدت ، روي عن ابن عباس .

والثالث : مَكْرُ الرجال في الحرب ، قاله مجاهد ، وزيد بن أسلم^(٣) .

والرابع : نيران الحجيج بالمزدلفة ، قاله القرطبي .

والخامس : أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجيج وأقيمت بها الدلائل على الحق وفضح بها الباطل ، قاله عكرمة .

(١) هذا خبر منقطع ، ومقاتل توفي سنة ١٥٠ هـ . بينه وبين رسول الله ﷺ مفاوز ، والحديث ذكره الطبرسي في « مجمع البيان » مصدراً لإياه بقوله : قيل : بعث رسول الله ﷺ سرية ... فذكره ، ولم يعزه لأحد ، وذكره القرطبي وصدره بقوله : وروي أن رسول الله ﷺ بعث سرية ... فذكره ، ولم يعزه لأحد . وكذلك الآلوسي في « روح المعاني » والله أعلم بصحته .

(٢) ورجحه الطبري .

(٣) تقول العرب إذا أراد الرجل أن يكر بصاحبه : أما والله لأؤوين لك يزند وارٍ ، ولأفدحن لك .

قوله تعالى : (فالمغيرات صباحاً) هي التي تغير على العدو عند الصباح ،
 هذا قول الأكثرين . وقال ابن مسعود : فالمغيرات صباحاً حين يُفيضون من جمع .
 قوله تعالى : (فَأَثَرُنَ بِهِ) قال الفراء : يريد بالوادي ولم يذكره قبل ذلك ،
 وهذا جائز ، لأن الغبار لا يثار إلا من موضع . والنقع : الغبار ، ويقال :
 التراب . وقال الزجاج : المعنى : فَأَثَرُنَ بِمَكَانٍ عَدُوهِمْ ، ولم يتقدم ذكر المكان ،
 ولكن في الكلام دليل عليه (فوسطن به جمعاً) قال المفسرون : المعنى : توسطن
 جمعاً من العدو ، فأغارت عليهم . وقال ابن مسعود : فوسطن به جمعاً ،
 يعني مزدلفة .

قوله تعالى : (إِنْ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) هذا جواب القسم . والإنسان
 هاهنا : الكافر . قال الضحاك : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقال مقاتل : نزلت
 في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي .

وفي « الكَنُود » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الذي يأكل وحده ، ويمنع رِفْدَهُ^(١) ، ويضرب عبده ، رواه
 أبو أمامة عن رسول الله ﷺ^(٢) .

(١) الرشد ، بكسر الراء : العطاء والصلة .

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٧٨/٣٠ وفي سنده جعفر بن الزبير ، وهو متروك الحديث ،
 وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير ، وقال : هو
 متروك ، فهذا إسناد ضعيف . وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٤٢/٦ : رواه —

والثاني : أنه الكفور ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك .

والثالث : كَوَامِ لِرَبِّهِ يَعْدُ المصيات^(١) ، وينسى النعم ، قاله الحسن .

قال ابن قتبية : والأرض الكنود : التي لا تُنبتُ شيئاً .

قوله تعالى : (وإنه على ذلك لشهيد) في هاء الكناية قولان .

أحدهما : أنها ترجع إلى الله عز وجل ، [تقديره]^(٢) : وإن الله على كفره شهيد .

والثاني : أنها ترجع إلى الإنسان ، فتقديره : إن الإنسان شاهد على نفسه أنه كنود ، روي القولان عن ابن عباس .

قوله تعالى : (وإنه) يعني : الإنسان (حبٌ الخير) يعني : المال (لشديد) .
وفي معنى الآية قولان .

أحدهما : وإنه من أجل^(٣) حُبِّ المال لبخيلٌ ، هذا قول الحسن ، وابن قتبية ،

— الطبراني بإسنادين ، في أحدهما جعفر بن الزبير ، وهو ضعيف ، وفي الآخر من لا أعرفه . وقال السيوطي في « الدرد » ٣٨٤/٦ : أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وابن عساكر ، بسند ضعيف عن أبي أمامة ... فذكره ، ورواه الطبري ٢٧٨/٣ . من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفاً عليه .

(١) وفي النسخة الاستنبولية ، والطبري ، والقرطبي : المضائب .

(٢) زيادة من النسخة الاستنبولية .

(٣) في الاصل : من أحب ، وهو خطأ ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية ،

ومن الطبري .

والزجاج . قال أبو عبيدة : ويقال للبخيل : شديد ، ومُتَشَدِّدٌ . قال طرفة :
 أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْبَاخِلِ الْمُتَشَدِّدِ^(١)
 والثاني : وإنه للخير لشديد الحب ، وهذا اختيار الفراء . قال : فكأن
 الكلمة لما تقدم فيها الحب ، وكان موضعه أن يضاف إليه « شديد » ، حذف الحب
 من آخره لما جرى ذكره في أوله ، ولرؤوس الآي . ومثله (اشتدت به الريح
 في يوم عاصف) [إبراهيم : ١٨] فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت
 من آخره .

قوله تعالى : (أفلا يعلم) يعني : الإنسان المذكور (إذا بُعْثِرَ ما في القبور)
 أي : أثير وأخرج (وحُصِّلَ ما في الصدور) أي : مُيِّزَ واستُخْرِجَ . والتحصيل :
 تميز ما يحصل . وقال ابن عباس : أبرز ما فيها وقال ابن قتيبة : مُيِّزَ ما فيها
 من الخير والشر . وقال أبو سليمان الدمشقي : المعنى : لو علم الإنسان الكافر ماله
 في ذلك اليوم لزهده في الكفر ، وبأدر إلى الإسلام . ثم ابتداء فقال تعالى : (إن
 دهمهم بهم يومئذ الخبير) وقال غيره : إنما قرئت « إن » بالكسر لأجل اللام ،
 ولولاها كانت مفتوحة بوقوع العلم عليها .

(١) « مختار الشعر الجاهلي » ٣١٨/١ من « معلقته » ، و « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ٣٠٨/٢ ،
 والطبري ٢٧٩/٣٠ ، والقرطبي ١٦٢/٢٠ ، و « شواهد الكشاف » ٣٩ . ومعنى يعتام
 الكرام : أي يختارهم ، والعقيلة من كل شيء : أكرمهم ، يقول : أرى الموت يختار كرام
 الناس وصفوة مال البخلاء ، أي : يأخذ النفس الذي يرض به ، كما يأخذ الحقير فلا يبغي شيئاً .

فإن قيل : أليس الله خيراً بهم في كل حال ، فلم خص ذلك اليوم ؟
 فالجواب أن المعنى : أنه يجازيهم على أفعالهم يومئذ ، ومثله (أولئك الذين
 يعلم الله ما في قلوبهم) [النساء : ٦٣] ، ومعناه : يجازيهم على ذلك ، ومثله :
 (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) [غافر : ١٦] .

★ ★ ★

سورة القارعة

وهي مكية ياجماعهم

قد ذكرنا تفسير فاتحتها في أول « الحاقة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ . فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ .
وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

قوله تعالى : (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ) اليوم منصوب على الظرف . المعنى :
يكون يوم يكون الناس (كالفرش المبعوث) وفيه ثلاثة أقوال .
أحدها : أنه غوغاء الجراد ، قاله الفراء . قال ابن قتيبة : غوغاء الجراد :
صغاره ، ومنه قيل لعامة الناس : غوغاء ^(١) .

(١) قال في « اللسان » : أصل الغوغاء : الجراد حين يخف للطيوان ، ثم استعير
للسفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر ، ويجوز أن يكون الغوغاء : الصوت والجلبة ،
لكثرة لفظهم وصياهم .

والثاني : أنه طير ليس يعوض ولا ذبّان ، قاله أبو عبيدة ^(١) .

والثالث : أنه ماتهافت في النار من البعوض ، قاله ابن قتيبة . وكذلك قال الزجاج : ما يرى كصغار البق يتهافت في النار . وشبهه الناس في وقت البعث به وبالجراد المنتشر ، لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض . وذكر الماوردي : أن هذا التشبيه للكفار ، فهم يتهافتون في النار يوم القيامة تهافت الفراش ^(٢) .

فأما « المبتوث » فهو المنتشر والمتفرق .

قوله تعالى : (وتكون الجبال كالعهن) وقد شرحناه في (سأل سائل : ٩) و « المنفوش » الذي قد ندف . قال مقاتل : وتصير الجبال كالصوف المندوف . فإذا رأيت الجبل قلت : هذا جبل : فإذا مسسته لم تر شيئاً ، وذلك من شدة الهول .

(١) في « مجاز القرآن » لأبي عبيدة : طير ، لا بعوض ولا ذبّاب ، بلباء . ويجمع الذباب على ذبّان ، قال في « التاج » : والذبّاب : معروف ، وهو الأسود الذي يكون في البيوت يسقط في الإناء والطعام ، وقال الدمعري في « حياة الحيوان » سمي ذبّاباً ، لكثرة حركته واضطرابه ، أو لأنه كلما مذبّ أب ، والذبّاب أيضاً : النحل . والواحدة من ذباب الطعام : ذبابة ، بهاء ، ولا تقل : ذبّانة ، وقال في ذباب النحل ، لا يقال : ذبابة ، والصواب : ذباب ، وهو واحد . وفي « التهذيب » واحد الذبّان : ذباب بغير هاء ، قال : ولا يقال : ذبابة ، وفي التنزيل : (وإن يسلبهم الذباب شيئاً) فسروه للواحد . والجمع : أذبة ، مثل غراب وأغربة ، وذبّان بالكسر مثل غرتبان .

(٢) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٢٢٨٥) عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الجنادب (كالجراد) والفراش يقعنّ فيها وهو يدّهنّ عنها ، وأنا آخذ بمجزمك عن النار وأنتم تفلتون من يدي » .

قوله تعالى : (فأما من ثقلت موازينه) ، أي : رجحت بالحسنات ، وقد
 بُيِّنَّا هذه الآية في أول (الأعراف : ٨) وبيَّنَّا معنى « عيشة راضية » في
 [الحاقة : ٢١] .

قوله تعالى : (فأما هاوية) ، وقرأ ابن مسعود ، وطلحة بن مصرف ،
 والجدري « فإمه » بكسر الهمزة . وفيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أمُّ رأسه هاوية ، يعني : أنه يهوي في النار على رأسه ، هذا
 قول عكرمة ، وأبي صالح .

والثاني : أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا : هَوَتْ
 أمُّه ، قاله قتادة .

والثالث : أن المعنى : فسكنه النار . وإنما قيل لمسكنه : أمُّه ، لأن
 الأصل السكون إلى الأمِّهات . والنَّارُ لهذا كالأُمِّ ، إذ لا مأوى له غيرها ،
 هذا قول ابن زيد ، والقراء ، وابن قتيبة ، والزجاج ، ويدل على صحة هذا
 ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : إذا مات العبد تلقى رُوحُه أرواحَ
 المؤمنين ، فتقول له ^(١) : ما فعل فلان ؟ فإذا قال : مات ، قالوا : ذُهِبَ به
 إلى أمِّه الهاوية ، فَبُئِستِ الأمُّ ، وبُئِستِ المربيَّةُ ^(٢) .

(١) في « الدر » ٣٨٥/٦ من رواية الحاكم : فيقولون له .

(٢) رواه بهذا اللفظ الحاكم في « المستدرک » ٥٣٣/٢ عن الحسن مرسلًا ، وأورده السيوطي
 في « الدر » ٣٨٥/٦ من رواية ابن مردويه عن أنس بن مالك مرفوعًا بنحوه ، وبأطول منه
 من رواية ابن مردويه أيضًا عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا . والله أعلم بصحة سنده . وقد
 ذكره القرطبي بمعناه عن أبي هريرة مرفوعًا ، ولم يعزه لأحد . ورواه ابن جرير
 الطبري موقوفًا على الأشعث بن عبد الله الأعمى . وذكره السيوطي أيضًا في « الدر » ٣٨٥/٦ من
 رواية ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري موقوفًا عليه بأطول منه .

قوله تعالى : (وما أدراك ما هيه) يعني : الهاوية . قرأ حمزة ، ويعقوب « ماهي » بحذف الهاء الأخيرة في الوصل ، وإثباتها في الوقف . وقرأ الباقون بإثباتها في الحالين . قال الزجاج : الهاء في « هيه » دخلت في الوقف ، لتبيين فتحة الياء ، فالوقف « هيه » والوصل هي نار . والذي يجب اتباع المصحف . والهاء فيه ثابتة فتوقف عليها ، ولا توصل « نار حامية » أي : حارة قد انتهى حرها ^(١) .

* * *

(١) روى البخاري في « صحيحه » ٢٣٨/٦ ومسلم في « صحيحه » رقم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ناركم هذه التي يؤقِد ابنُ آدم ، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قالوا : والله إن كانت لكافيةً يارسول الله ، قال : « فأنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها » واللفظ لمسلم .

وروى البخاري ٢٣٨/٦ ومسلم رقم (٦١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : يارب أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير . واللفظ لمسلم . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم » واللفظ لمسلم . وفيح جهنم : سطوع حرها وانتشاره وغليناها .

سورة التكاثر

وفي سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن اليهود قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبني فلان أكثر من بني فلان ، فألهامهم ذلك حتى ماتوا ضللاً ، فنزلت هذه فيهم ، قاله قتادة ^(١) .
والثاني : أن حين من قریش : بني عبد مناف ، وبني سهم كان بينهما حياء ^(٢) ، فقال هؤلاء : نحن أكثر سيّداً ، وأعز نفراً . وقال أولئك مثل هذا ، فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر ، فكثروهم بنو عبد مناف ، ثم قالوا : نعد موتانا ، فزاروا القبور ، فعدوا موتاهم ، فكثروهم بنو سهم ،

(١) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في « أسباب النزول » ٣، ١ عن قتادة بغير سند ، وكذا ذكره البغوي في التفسير ، وذكره القرطبي عن مقاتل و قتادة بغير سند . ورواه الطبري ٢٨٣/٣٠ من طريق ستمر عن قتادة (ألهام التكاثُر) قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبني فلان أكثر من بني فلان ، ألهام ذلك حتى ماتوا ضللاً ، ولم يذكر أنهم اليهود . ورواه بنحوه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة . وأورده السيوطي في « الدرد » ٣٨٧/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة .
(٢) أي منازعته . قال في « اللسان » : ولاحيته ملاحاةٌ وحياءٌ : إذا نازعته ، قال : والحياءُ بمدود : الملاحاة كالسباب ، ولاحي الرجل ملاحاةٌ وحياءٌ : شاقه ، وتلاحي الرجلان : تشاقا . ولاحي فلان فلاناً ملاحاةٌ وحياءٌ : إذا استقصى عليه . قال : والحياء : اللعن ، والحياء : العذل .

لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية ، فنزلت هذه فيهم قاله ابن السائب ، ومقاتل^(١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ . ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

(١) ذكر سبب النزول هذا البغوي في التفسير عن مقاتل والكلبي بغير سند ، والكلبي هو محمد بن السائب النسابة المفسر ، متهم بالكذب ، وقد ضعفه غير واحد ، وكذلك ذكره القرطبي وأبو حيان والألوسي عن ابن عباس ومقاتل والكلبي بغير سند ، وأورده ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم من طريق صالح بن حيان عن ابن بريدة قال : نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا ، فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان بن فلان وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور ، فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى القبور ، ومثل فلان ، وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله : (أهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) . وصالح ابن حيان القرشي الكوفي ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في « التقریب » . قال ابن كثير : والصحيح أن المراد بقوله : (زرتم المقابر) أي صرتم إليها ودفنتم فيها ، كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده فقال : « لا بأس طهور إن شاء الله » فقال : قلت : « طهور » بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيده القبور ، قال : « فنعيم لأذن » . والآية عامة في كل من أهته دنياه عن آخرته .

قوله تعالى : (أَلْهَآكُم) وقرأ أبو بكر الصّدِّيق ، وابن عباس ، والشعبي ، وأبو العالية ، وأبو عمران ، وابن أبي عجلة : « أَلْهَآكُم » بهمزيّن مقصورتين على الاستفهام . وقرأ معاوية ، وعائشة « أَلْهَآكُم » بهمزة واحدة ممدودة استفهاماً أيضاً . ومعنى أَلْهَآكُم : شغلکم عن طاعة الله وعبادته . وفي المراد بالتكاثر ثلاثة أقوال . أحدها : التكاثر بالأموال والأولاد ، قاله الحسن .

والثاني : التفاخر بالقبائل والعشائر ، قاله قتادة .

والثالث : التشاغل بالمعاش والتجارة ، قاله الضحاك .

وفي قوله تعالى : (حتّى زرتم المقابر) قولان .

أحدهما : حتّى أدرككم الموت على تلك الحال ، حضرتم في المقابر زوّاراً ترجعون منها إلى منازلکم من الجنة أو النار ، كرجوع الزائر إلى منزله .

والثاني : حتّى زرتم المقابر فعَدَدْتُم من فيها من موتاكم ^(١) .

(١) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٢٩٥٨) عن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ (أَلْهَآكُم التكاثر) ، قال : « يقول ابن آدم : مالي ، مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » . وروى مسلم أيضاً رقم (٢٩٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول العبد : مالي ، مالي ، إنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فافتنى (ادخره لآخرته) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » . وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » .

قوله تعالى : (كلا) قال الزجاج : هي ردع وتنبية . والمعنى : ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التكاثر .

قوله تعالى : (سوف تعلمون) عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت ، وقيل : العلم الأول : يقع عند نزول الموت . والثاني : عند نزول القبر .

قوله تعالى : (كلا لو تعلمون علم اليقين) المعنى : لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشفلكم ما تعلمون عن التكاثر ، والتفاخر . وجواب « لو » محذوف : وهو ما ذكرنا . ثم أوعدهم وعيداً آخر فقال تعالى : (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وحزمة « لَتَرَوُنَّ » ثم « لَتَرَوْنَهَا » بفتح التاء . وقرأ مجاهد ، وعكرمة ، وحيد ، وابن أبي عبله « لَتَرَوُنَّ » بضم التاء ، فيها من غير همز (ثم لَتَرَوْنَهَا عين اليقين) أي : مشاهدة ، فكان المراد بـ « عين اليقين » نفسه ، لأن عين الشيء : ذاته .

قوله تعالى : (ثم لتسألنَّ يومئذ عن النعيم) اختلفوا ، هل هذا السؤال عام ، أم لا ؟ على قولين .

أحدهما : أنه خاص للكفار ، قاله الحسن .

والثاني : عام ، قاله قتادة ^(١) .

(١) والصحيح أن السؤال عام ، ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ ، لأنه ترك الشكر ، وسؤال المؤمن سؤال تشریف ، لأنه شكر . قال ابن جرير الطبري : (ثم لتسألنَّ يومئذ عن النعيم) يقول : ثم ليسألكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا : ماذا عملتم فيه ؟ ومن أين وصلتم إليه ؟ وفيه أصبتموه ؟ وماذا عملتم به ؟ . وقال ابن كثير : (ثم لتسألنَّ —

وللمفسرين في المراد بالنعيم عشرة أقوال .

أحدها : أنه الأمن والصحة ، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ ^(١) ، وتارة يأتي موقوفاً عليه ^(٢) ، وبه قال مجاهد والشعبي .

والثاني : أنه الماء البارد ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ^(٣) .

— يومئذ عن النعيم) أي : ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ، ما إذا قابلتم نعمه من شكره وعبادته . وروى الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حديث حسن بشواهد .

(١) ذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق إبراهيم بن موسى عن محمد بن سليمان بن الأصهباني عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر الشعبي عن ابن مسعود . ومحمد بن سليمان الأصهباني ، صدوق بخطيء ، وابن أبي ليلى ، صدوق سيئ الحفظ ، وعامر الشعبي يرسل عن ابن مسعود . فالحديث ضعيف ، وذكره السيوطي في « الدرد » ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، وابن مردويه عن ابن مسعود .

(٢) رواه الطبري ٢٨٦/٣٠ من طريق خالد الزيات عن ابن أبي ليلى عن عامر الشعبي عن ابن مسعود موقوفاً عليه . وفي سنده ضعف ، وأورده السيوطي في « الدرد » ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وهناد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن ابن مسعود .

(٣) رواه الترمذي ١٧١/٢ والطبري ٢٨٨/٣٠ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة — يعني العبد من النعيم — أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ونزوك من الماء البارد ؟ » وقال : هذا حديث غريب ، وأورده السيوطي في « الدرد » ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لأحمد في زوائد الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن حبان ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » .

والثالث : أنه الخبز البرّ والماء العذب ، قاله أبو أمامة .

والرابع : أنه ملاذ المأكول والمشروب ، قاله جابر بن عبد الله .

والخامس : أنه صحة الأبدان ^(١) ، والأسماع ، والأبصار ، قاله ابن عباس .
وقال قتادة : هو العافية .

والسادس : أنه الغذاء والعشاء ، قاله الحسن .

والسابع : الصحة والفراغ ، قاله عكرمة ^(٢) .

(١) روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال : النعيم : صحة الأبدان ، والأسماع ، والأبصار ، قال : يسأل الله العباد فم استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) . وذكره السيوطي في « الدنيا » ٣٨٧/٦ وزاد نسبه لابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن ابن عباس رضي الله عنها .

(٢) روى البخاري في « صحيحه » ١٩٦/١١ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنها قال : قال النبي ﷺ : « نعمتان مغبون فيها كثير من الناس : الصحة والفراغ » . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ١٩٧/١١ : وقوله في الحديث : « مغبون فيها كثير من الناس » كقوله تعالى : (وقليل من عبادي الشكور) فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية ، ونقل عن ابن بطال أن معنى الحديث : أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن ، فمن حصل له ذلك ، فليحرص على أن لا يغيب بآن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فمن فرط في ذلك فهو المغبون . قال ابن حجر : وأشار بقوله : « كثير من الناس » إلى أن الذي يوفق لذلك قليل . ونقل عن ابن الجوزي قوله : قد يكون الانسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً ، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون ، وقام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة ، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون ، لأن الفراغ يعقبه الشغل ، والصحة يعقبها السقم .

والثامن : كل شيء من لذة الدنيا ، قاله مجاهد ^(١) .

والتاسع : أنه إنعام الله على الخلق بإرسال محمد ﷺ ، قاله القرظي .

والعاشر : أنه صنوف النعم ، قاله مقاتل .

والصحيح أنه عام في كل نعيم ، وعام في جميع الخلق ، فالكافر يسأل توبيخاً إذا لم يشكر المنعم ، ولم يوحده . والمؤمن يسأل عن شكرها . وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : يقول الله تعالى : « ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهن وأسأله عما سوى ذلك ، بيت يُكِنُّه ، وما يقيم به صلبه من الطعام ، وما يوارى به عورته من اللباس » ^(٢) .

(١) وقول مجاهد هذا يشمل جميع الأقوال المتقدمة .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر » ٢٩١/٦ من رواية عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، عن الحسن مرسلاً ، وهو ضعيف في المرفوع ، ورواه الطبري في « تفسيره » ٢٨٩/٣٠ بنحوه عن الحسن وفتادة من كلامها ، ولم يذكره في المرفوع . وروى مسلم في « صحيحه » رقم (٢٠٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : « ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ » قالوا : الجوع بإرسول الله ، قال : « وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا » فقاموا معه ، فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته ، فلما رآته المرأة قالت : مرحباً وأهلاً ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أين فلان ؟ » قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبه ثم قال : الحمد لله ما أحدُ اليومَ أكرمَ أضفافاً مني ، قال : فانطلق فجاءهم بعدق (غصن) فيه بُسر وتمر ورطَّب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المشية (السكين) فقال له رسول الله ﷺ : « إياك والخلوب ! » فذبح لهم . فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شبعوا ورَوَّوا ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم » .

سورة العصر

وفيه قولان .

أحدهما : مكية ، قاله ابن عباس ، وابن الزبير ، والجمهور .

والثاني : مدنية ، قاله مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

قوله تعالى : (والعصر) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الدهر ، قاله ابن عباس ، وزيد بن أسلم ، والفراء ، وابن
قتيبة . وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير
لا ينخرم .

والثاني : أنه العشي ، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها ، قاله

الحسن وقتادة .

والثالث : صلاة العصر ، قاله مقاتل ^(١) .

قوله تعالى : (إن الإنسان لني خسر) قال الزجاج : هو جواب القسم .
والإنسان هاهنا بمعنى الناس ، كما تقول : كثر الدرهم في أيدي الناس ، تريد الدراهم .
والخسر والخسران في معنى واحد . قال أهل المعاني : الخسر : هلاك رأس المال أو نقصه . فالإنسان إذا لم يستعمل نفسه فيما يوجب له الربح الدائم ، فهو في خسران ، لأنه عمل في إهلاك نفسه ، وهما أكبر رأس ماله (إلا الذين آمنوا) أي : صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بالطاعة (وتواصوا بالحق) أي : بالتوحيد ، والقرآن ، واتباع الرسول (وتواصوا بالصبر) على طاعة الله ، والقيام بشريعته .
وقال إبراهيم في تفسير هذه السورة : إن الإنسان إذا عُمر في الدنيا لني نقص وضعف ، إلا المؤمنين ، فإنهم يكتب لهم أجور أعمالهم التي كانوا يعملون في شبابهم وصحتهم ^(٢) .

(١) أقسم سبحانه وتعالى بصلاة العصر لفضلها ، وهي الصلاة الوسطى عند الجمهور ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر » متفق عليه ، ولقوله ﷺ : « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » رواه مسلم . والأعم من ذلك أن الله تعالى أقسم بالزمان الذي تقع فيه أعمال بني آدم من خير وشر قاله ابن كثير .

(٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لكففتهم . وذلك لما فيها من المراتب التي باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله : إحداها : معرفة الحق ، والثانية : عمله به ، والثالثة : تعليمه من لا يحسنه ، والرابعة : صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه .

سورة الممسرة

وهي مكية ياجماعهم

قال هبة الله المفسر^(١) : وقد قيل : إنها مدنية . واختلف المفسرون هل نزلت في حق شخص بعينه ، أم نزلت عامة ؟ على قولين .

أحدهما : نزلت في حق شخص بعينه .

ثم فيه ستة أقوال .

أحدها : الأخنس بن شريق ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال السدي ، وابن السائب .

والثاني : العاص بن وائل السهمي ، قاله عروة .

والثالث : جميل بن عامر ، قاله ابن أبي نجيج .

والرابع : الوليد بن المغيرة ، قاله ابن جريج ، ومقاتل .

والخامس : أمية بن خلف ، قاله ابن إسحاق .

والسادس : أبي بن خلف ، حكاه الماوردي .

(١) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم الضرير المفسر ، من أهل بغداد ، وبها وفاته ، كانت له حلقة في جامع المنصور ، له مؤلفات ، منها « التاسخ والنسوخ في القرآن » مطبوع ، توفي رحمه الله (سنة ٤١٠ هـ) .

والقول الثاني : أنها نزلت عامة لا في شخص بعينه ، قاله مجاهد ^(١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَبِئْسَ لِكُلِّ هَمْزَةٍ مُّزَوِّجَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَذْرُكَ مَا الْحُطَمَةُ . تَارُ اللَّهُ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ . إِنَّا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ ﴾

قولي تعالى : (ويل لكل هَمْزَةٍ مُّزَوِّجَةٍ) اختلفوا في الهمزة واللمزة هل هما بمعنى واحد ، أم مختلفان ؟ على قولين .

أحدهما : أنها مختلفان . ثم فيها سبعة أقوال .

أحدها : أن الهمزة : المغتَاب ، واللمزة : العيَاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الهمزة : الذي يهز الإنسان في وجهه . واللمزة : يلزمه

إذا أدبر عنه ، قاله الحسن ، وعطاء ، وأبو العالية .

والثالث : أن الهمزة : الطعَان في الناس ، واللمزة : الطعَان في أنساب

الناس ، قاله مجاهد .

(٢) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عم بالقول

كل همزة لمزة ، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها ، سيئه سيئه كأنه من كان من الناس :

والرابع : أن الهمزة : بالعين ، والهمزة : باللسان ، قاله قتادة .
والخامس : أن الهمزة : الذي يهز الناس بيده ويضربهم ، والهمزة :
الذي يلمزهم بلسانه ، قاله ابن زيد .

والسادس : أن الهمزة : الذي يهز بلسانه ، والهمزة : الذي يلمز بعينه ،
قاله سفيان الثوري .

والسابع : أن الهمزة : المغتاب ، والهمزة : الطاعن على الإنسان في
وجهه ، قاله مقاتل .

والقول الثاني : أن الهمزة : العيَاب الطعان ، والهمزة مثله . وأصل
الهمز والهمز : الدفع ، قاله ابن قتيبة ، وكذلك قال الزجاج : الهمزة الهمزة :
الذي يغتاب الناس ويغضهم^(١) . قال الشاعر :

إذا لَقَيْتَكَ عَنْ كَرِهِ تَكَاشَرْتَنِي وَإِنْ تَغَيَّبْتَ كُنْتُ الْهَامِزَ الهمزة^(٢)

قوله تعالى : (الذي جمع مالا) قرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، وحزة ،
والكسائي ، وخلف ، وروح : « بجمع » بالتشديد . والباقون بالتخفيف .

قوله تعالى : (وَعَدَّه) قرأ الجمهور بتشديد الدال . وقرأ أبو عبد الرحمن
السلمي ، والحسن ، وابن يعمر بتخفيفها^(٣) .

(١) في الأصل : وبعضهم ، والتصحيح من « اللسان » و « مجاز القرآن » ، والطبري ،
والغض : الهمز والعيب .

(٢) تقدم البيت في الجزء الثالث ص ٤٥٥ ، ورواية الشطر الأول : إذا لَقَيْتَكَ تَبْدِي
لي مكاشرة .

(٣) قال ابن جريو الطبري : وقد ذكر عن بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت أنه قرأه -

والمفسرين في معنى الكلام قولان .

أحدهما : أحصى عَدَدَهُ ، قاله السدي .

والثاني : أَعَدَّهُ لما يكفيه في السنين ، قاله عكرمة . قال الزجاج : من قرأ « عَدُّهُ » بالتشديد ، فعناه : عَدُّهُ للدهور . ومن قرأ « عَدَدَهُ » بالتخفيف ، فعناه : جمع مالا وَعَدَدًا . أي : وقومًا اتخذهم أنصاراً .

قوله تعالى : (يحسب أن ماله أخلده) أخلده بمعنى يخلده ، والمعنى : يظن ماله مانعاً له من الموت ، فهو يعمل عمل من لا يظن أنه يموت (كلا) أي : لا يخلده ماله ولا يبقى له (لينبذَن) أي : ليُطْرَحَنَّ (في الحطمة) وهو اسم من أسماء جهنم . سميت بذلك لأنها تحطم ما يلقى فيها ، أي : تكسره ، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم . ويقال للرجل الأكلول : إنه لَحُطْمَةٌ . وقرأ أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبد الرحمن ، والحسن ، وابن أبي عتبة ، وابن محيصن : « لينبذان » بألف ممدودة ، وبكسر التون ، وتشديدها ، أي : هو وماله .

قوله تعالى : (التي تَطَّلِع على الأفئدة) أي : تأكل اللحم والجلود حتى تقع على الأفئدة فتحرقها . قال الفراء : يبلغ ألمها الأفئدة . والاطَّلَاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد ، والعرب تقول : متى طلعت أرضنا ؟ أي : بلغت . وقال ابن قتيبة : تَطَّلِع على الأفئدة ، أي : توفي عليها وتشرف . وخص الأفئدة ،

- (جمع مالا وَعَدَدَهُ) بتخفيف الدال ، بمعنى : جمع مالا ، وجمع عشيرته وعدده ، قال : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، بخلافها قراءة الأمصار ، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك .

لأن الألم إذا صار إلى القواد مات صاحبه ، فأخبر أنهم في حال من يموت ، وهم لا يموتون . وقد ذكرنا تفسير « المؤصدة » في سورة (البلد : ٢٠) .

قوله تعالى : (في عَمَدٍ) قرأ حمزة ، وخلف ، والكسائي ، وعاصم إلا حفصاً بضم العين ، وإسكان الميم . قال المفسرون : وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار . و « في » بمعنى الباء . والمعنى : مطبقة بعُمْدٍ . قال قتادة : وكذلك هو في قراءة عبد الله . وقال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ، ثم شُدَّتْ بأوتادٍ من حديد ، حتى يرجع عليهم غمها وحرها . و « ممددة » صفة العُمْد ، أي : أنها ممدودة مطوّلة ، وهي أرسخ من القصيرة . وقال قتادة : هي عُمْدٌ يعذبون بها في النار^(١) . وقال أبو صالح : « في عَمَدٍ ممددة » قال : القيود الطوال .



(١) واختار هذا القول الطبري في تفسيره .

سورة الفيل

مكية ياجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾

قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ) فيه قولان .

أحدهما : أَلَمْ تُخَبِّرْ ، قاله الفراء .

والثاني : أَلَمْ تَعْلَمْ ، قاله الزجاج . ومعنى الكلام معنى التعجب . وأصحاب الفيل هم الذين قصدوا تخريب الكعبة .

وفي سبب قصدهم لذلك قولان .

أحدهما : أن أبرهة بنى بيعة^(١) وقال : لست متتياً حتى أضيف إليها حج العرب ، فسمع بذلك رجل من بني كنانة ، فخرج ، فدخلها ليلاً ، فأحدث فيها ، فبلغ ذلك أبرهة ، فحلف ليسيرن إلى الكعبة فيهدمها ، قاله ابن عباس .

(١) البيعة بكسر الباء : كنيسة النصارى ، وقيل : كنيسة اليهود ، والجمع : بيع .

والثاني : أن قوماً من قريش خرجوا في تجارة إلى أرض النجاشي فنزلوا في جنب بيعة ، فأوقدوا ناراً ، وشووا لحماً ، فلما رحلوا هبَّت الرِّيح ، فاضطرم المكان ناراً ، فغضب النجاشي لأجل البيعة ، فقال له كبراء أصحابه - منهم حجر بن سراحيل ، وأبو يكسوم - : لاتحزن ، فنحن نهدم الكعبة ، قتاله مقاتل . وقال ابن إسحاق : أبو يكسوم اسمه أبرهة بن الأشرم . وقيل : وزيره ، وحجر من قوَّاده .

❦ ذكر الإشارة إلى القصة ❦

ذكر أهل التفسير أن أبرهة لما سار بجنوده إلى الكعبة ليهدمها خرج معه بالفيل ، فلما دنا من مكة أمر أصحابه بالغارة على نَعَم الناس ، فأصابوا إبلاً لعبد المطلب ، وبعث بعض جنوده ، فقال : سل عن شريف مكة ، وأخبره أي لم آت لقتال ، وإنما جئت لأهدم هذا البيت ، فانطلق حتى دخل مكة ، فلقى عبد المطلب بن هاشم ، فقال : إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه ، إنما جاء لهدم هذا البيت ، ثم ينصرف عنكم ، فقال عبد المطلب : ماله عندنا قتال ، وما لنا به يد ، إنا سنخلي بينه وبين ما جاء له ، فإن هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، فإن يمنعه ، فهو بيته وحرمة ، وإن يخل بينه وبين ذلك ، فوالله ما لنا به قوة . قال : فانطلق معي إلى الملك ، فلما دخل عبد المطلب على أبرهة أعظمه ، وكرمه ، ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك إلى الملك ؟ فقال له الترجمان ، فقال : حاجتي أن يرد عليّ مائتي بعير أصابها . فقال أبرهة لترجمانه :

قل له : لقد كنت أعجبتي حين رأيتك ، ولقد زهدت الآن فيك ، جئت إلى بيت هو دينك لأهدمه ، فلم تكلمني فيه ، وكلمتني لإبل أصبتها . فقال عبد المطلب : أنا رب هذه الإبل ، ولهذا البيت رب سيمعه . فأمر يابله فرذت عليه ، فخرج ، فأخبر قريشاً ، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ورؤوس الجبال خوفاً من معرة الجيش إذا دخل ، ففعلوا ، فأتى عبد المطلب الكعبة ، فأخذ بجلقة الباب ، وجعل يقول :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَاَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ إِمْنَعُهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ
وقال أيضاً :

لَا هُمْ^(١) إِنَّ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حِلَالَكَ^(٢)
لَا يَغْلِبُنْ صَلِيْبُهُمْ وَحِمَالُهُمْ غَدَاً حِمَالَكَ^(٣)

(١) لاهم : أصلها : اللهم ، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفي بما بقي ، كما تقول : لاه أبوك ، وهي تريد : الله أبوك ، وكما قالوا أيضاً : أجنك تفعل كذا وكذا ، أي : من أجل أنك تفعل كذا وكذا . والحلال : بكسر الحاء جمع حلة ، وهي جماعة البيوت ، ويريد هنا : القوم الحلول ، والحلال أيضاً : متاع البيت ، وجائز أن يكون هذا المعنى الثاني مراداً هنا .

(٢) البيت في الأصل :

لاه إم المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك
وهو خطأ ، والتصحيح : من سيرة ابن هشام ، وكتب التفسير .

(٣) غَدَاً ، أي غداً ، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك ، فحذفت لاهه ، ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر . والمحال بكسر الميم : القوة والشدة .

جَرُّوْا جَمِيعَ بِلَادِهِمْ وَالْفِيلَ كِي يَسْتَبُوْا عِيَالَكَ
عَمِدُوْا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ جَهْلًا وَمَا رَقِبُوْا جَلَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَفَّ مَتَنَّا فَأَمْرُ مَا بَدَالَكَ

ثم إن أبرهة أصبح متهيئاً للدخول ، فبرك الفيل ، فبعثوه فأبى ، فضربوه ، فأبى ، فوجهوه إلى اليمن راجعاً ، فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، وإلى المشرق ففعل مثل ذلك ، فوجهوه إلى الحرم ، فأبى ، فأرسل الله طيراً من البحر .

واختلفوا في صفتها ، فقال ابن عباس : كانت لهم خراطيم كخراطيم الصير ، وأكف كأكف الكلاب . وقال عكرمة : كانت لها رؤوس كرؤوس السباع . وقال ابن إسحاق : كانت أمثال الخطاطيف .

واختلفوا في ألوانها على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها كانت خضراء ، قاله عكرمة ، وسعيد بن جبير .

والثاني : سوداء ، قاله عبيد بن عمير .

والثالث : بيضاء ، قاله قتادة . قال : وكان مع كل طير ثلاثة أحجار ، حجران في رجله ، وحجر في منقاره .

واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضهم : كانت كأمثال الحصص والعدن .

وقال عبيد بن عمير : بل كان الحجر كرأس الرجل والجل ، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم ، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك . وكان الحجر يقع على رأس الرجل ، فيخرج من دبره . وقيل : كان على كل حجر اسم الذي وقع عليه ،

فهلكوا ولم يدخلوا الحرم ، وبعث الله على أبرهة دابة في جسده ، فتساقطت أنامله ، وانصدع صدره قطعتين عن قلبه ، فهلك ، ورأى أهل مكة الطير وقد أقبلت من ناحية البحر ، فقال عبد المطلب : إن هذه الطير غريبة . ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس ينظر إلى القوم ، فرجع يركض ويقول : هلك القوم جميعاً ، فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم . وقيل : لم ينج من القوم إلا أبو يكسوم ، فسار ، وطائر يطير من فوقه ، ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي ، فأخبره بما أصاب القوم ، فلما أتم كلامه رماه الطائر فمات ، فأرى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك أصحابه^(١) .

واختلفوا كم كان بين مولد رسول الله ﷺ وبين هذه القصة على ثلاثة أقوال . أحدها : أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل ، وهو الأصح^(٢) .

(١) ذكر الخبر بنحوه البغوي من رواية ابن اسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس . وفي سنده جهالة . ومن رواية الواقدي . والله أعلم . قال ابن كثير : هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة وحرأثرها من الوجود فأبأهم الله وأرغم آفأهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردم بشر خيبة ، وكنوا قوماً نصارى ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً بما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ، ولكن كان هذا من باب الإرهاس والتروطة لمبعث رسول الله ﷺ ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ، ولسان حال القدر يقول : لم تنصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشره ونعظمه ونوقره ببعثة النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه على خاتم الأنبياء .

(٢) قال ابن كثير : ولد في ذلك العام على أشهر الأقوال .

والثاني : كان بينها ثلاث وعشرون سنة ، قاله أبو صالح عن ابن عباس .

والثالث : أربعون سنة ، حكاه مقاتل .

قوله تعالى : (ألم يجعل كيدهم) وهو ما أرادوا من تخريب الكعبة (في تضليل) أي : في ذهاب . والمعنى : أن كيدهم ضلّ عما قصدوا له ، فلم يصلوا إلى مرادهم (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) .

وفي « الأبايل » خمسة أقوال .

أحدها : أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا ، قاله ابن مسعود ، والأخفش .

والثاني : أنها المتابعة التي يتبع بعضها بعضاً ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل .

والثالث : الكثيرة ، قاله الحسن ، وطاووس .

والرابع : أنها الجمع بعد الجمع ، قاله عطاء ، وأبو صالح ، وكذلك قال أبو عبيدة ، وابن قتبية ، والزجاج : « الأبايل » : جماعات في تفرقة .

والخامس : المختلفة الألوان ، قاله زيد بن أسلم . قال الفراء ، وأبو عبيدة : « الأبايل » لا واحد لها .

قوله تعالى : (ترميم) قرأ أبو عبد الرحمن السلمي « يرميم » بالياء . وقد بينا معنى « سجيل » في (هود : ٨٢) ومعنى « العصف » في سورة (الرحمن : ١٢) عز وجل .

وفي معنى « مأكول » ثلاثة أقوال .

أحدها : أن يكون أراد أنه أخذ ما فيه من الحب فأكل ، وبقي هو لاحب فيه .

والثاني : أن يكون أراد أن العصف مأكول البهائم ، كما يقال للحنطة :
هذا المأكول ولمّا يؤكل . وللماء : هذا المشروب ولمّا يشرب ، يريد أنها مما
يؤكل ويشرب ، ذكرهما ابن قتيبة .

والثالث : أن المأكول هاهنا : الذي وقع فيه الأكل . فالمعنى : جعلهم
كَوَرَقِ الزَّرْعِ الذي جَفَّ وأكل : أي : وقع فيه الأكل ، قاله الزجاج .



سورة قريش

ويقال لها : سورة لإيلاف

وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله الجمهور .

والثاني : مدنية ، قاله الضحاك ، وابن السائب .

واختلف القراء في « لإيلاف » فقرأ ابن عامر « لإلاف » بغير ياء بعد الهمزة ، مثل : لعلاف . وقرأ أبو جعفر ياء ساكنة من غير همز . وروى حماد بن أحمد عن الشموقي بهزتين مخففتين ، الأولى : مكسورة ، والثانية : ساكنة على وزن لعِلاف . وقرأ الباقون بهمزة بعدها ياء ساكنة ، مثل لعيلاف ^(١) .

وفي لام « لإيلاف » ثلاثة أقوال .

أحدها : موصولة بما قبلها ، المعنى : فجعلهم كعصف ما كول لإيلاف قريش ، أي أهلك الله أصحاب القيل لتبقى قريش . وما قد ألفوا من رحلة الشتاء ، والصيف] هذا قول القراء والجمهور .

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأه (لإيلاف قريش لإيلافهم) بآثبات الياء فيها بعد الهمزة من آلفت الشيء أولفه لإيلافاً ، لاجتماع الحجة من القراء عليه .

والثاني : أنها لام التعجب ، كأن المعنى : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف [^(١)] ، وتركهم عبادة رب هذا البيت ، قاله الأعمش ، والكسائي .

والثالث : أن معناها متصل بما بعدها . المعنى : فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، لأنهم كانوا في الرحلتين آمنين ، فإذا عَرَضَ لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله فلا يُتَعَرَّضُ لهم ، قال الزجاج : وهذا الوجه قول النحويين الذين ترتضى أقوالهم . وقال ابن قتيبة : بعض الناس يذهب إلى أن هذه السورة وسورة الفيل واحدة ، وأكثر الناس على أنها سورتان ، وإن كانتا متصلتي الألفاظ ^(٢) . والمعنى : إن قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء .

والحرم وإدِ جديب لا زرع فيه ولا شجر ، وإنما كانت قريش تعيش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة ، رحلة في الشتاء ، ورحلة في الصيف إلى الشام . ولولا هاتان الرحلتان لم يكن به مقام . ولولا أنهم بمجاورة البيت لم يقدرُوا على التصرف ، فلما قصد أصحاب الفيل هدم الكعبة أهلكهم الله لتقيم قريش بالحرم ، فذكرهم الله نعمته بالسورتين . والمعنى : أنه أهلك أولئك ليؤلف قريشاً هاتين

(١) زيادة سقطت من الأصل ، واستدركتها من النسخة الاستنبولية . وصوب ابن جرير هذا القول ، وقال : ذلك لاجتماع المسلمين على أنها سورتان منفصلتان مستقلتان .

(٢) قال ابن كثير : هذه السورة منفصلة عن التي قبلها في المصحف الامام ، كتبوا بينها سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن اسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لأن المعنى عندهما : حبسنا عن مكة الفيل ، وأهلكنا أهله لإيلاف قريش ، أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين .

الرحلتين اللتين بهما^(١) معاشهم ، ومقامهم بمكة . تقول : ألفت موضع كذا : إذا لزمته ، وألفنيه الله ، كما تقول : لزمتم موضع كذا وكذا ، وألزمنيه الله ، وكرر « لا يلاف » للتوكيد ، كما تقول : أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن كل الناس . قال الزجاج : يقال : ألفت المكان الفأ ، وآلفته إيلافاً بمعنى واحد .

وأما قريش فهم ولد النضر بن كنانة ، وكل من لم يلبده النضر فليس بقريشي . وقيل : هم من ولد فهر بن مالك بن النضر ، فمن لم يلبده فهر فليس بقريشي . وإنما سموا قريشاً لتجارتهن وجمعهم المال . والقرش : الكسب . يقال : هو يقرش لعياله ، ويقترش ، أي : يكتسب . وقد سأل معاوية ابن عباس رضي الله عنهم : لم سميت قريش قريشاً ؟ فقال ابن عباس : بدابة تكون في البحر يقال لها : القرش لا تمر بشيء من الغث^(٢) والسمين إلا أكلته . وأنشد :

وقريش هي التي تَسْكُنُ البحـ رَ بها سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشاً^(٣)

وقال ابن الأنباري : قال قوم : سُمُوا قريشاً بالاقتراش ، وهو وقوع الرِّمَاح بعضها على بعض . قال الشاعر :

ولمَّا دَنَا الرِّايَاتُ واقتَرَشَ القَنَا وَطَارَ مَعَ القَوْمِ القُلُوبُ الرِّوَايُفُ

(١) في الأصل : التي بها .

(٢) الغث : الرديء من كل شيء .

(٣) البيت في البغوي ٢٤٧/٧ استشهد به ابن عباس ونسبه للجمحي ، وهو في « الدرد

المشهور » ٣٩٨/٦ وروح البيان ٢٣٩/٣٠ ، وأورده القزطي ونسبه إلى تبع .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ . إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾

قوله تعالى : (إيلافهم) قرأ أبو جعفر وابن فليح عن ابن كثير ، والوليد ابن عتبة عن ابن عامر ، والتغلي عن ابن ذكوان ، عنه « إلافهم » بهزة مكسورة من غير ياء بعدها ، مثل : علافهم . وروى الخزاعي عن ابن فليح ، وأبان ابن تغلب عن عاصم « إلفهم » بسكون اللام أيضاً . ورواه الشموني لإحداً بهزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة ، ورواه حماد كذلك إلا أنه حذف الياء . وقرأ الباقر بهزة مكسورة بعدها ياء ساكنة مثل « عيلافهم » . وجمهور العلماء على أن الرحلتين كانتا للتجارة ، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف ، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يشتون بمكة ، ويصيفون بالطائف . قال الفراء : والرحلة منصوبة بإيقاع الفعل عليها .

قوله تعالى : (فليعبدوا ربَّ هذا البيت) أي : ليوحِّدوه (الذي أطعمهم من جوع) أي : بعد الجوع ، كما تقول : كسوتك من عُرِّي ، وذلك أن الله تعالى آمَنهم بالحرم ، فلم يُتعرَّض لهم في رحلتهم ، فكان ذلك سبباً لإطعامهم

بعدهما كانوا فيه من الجوع . وروى عطاء عن ابن عباس قال : كانوا في ضَرْبٍ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ، فكانوا يقسمون ربهم بين الغني والفقير حتى استغنوا .

قوله تعالى : (وآمنهم من خوف) وذلك أنهم كانوا آمنين بالحرم ، إن حضروا حاهم ، وإن سافروا قيل : هؤلاء أهل الحرم ، فلا يعرض لهم أحد^(١) .



(١) قال ابن كثير : ثم أرشدني إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : (فليعبدوا رب هذا البيت) أي : فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً ، كما قال تعالى : قل إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وقوله تعالى : (الذي أطعمهم من جوع) أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) أي : تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندأ ولا وثناً ، قال : ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبها منه ، كما قال تعالى : (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئة يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) .

سورة الماعون

ويقال لها : سورة أرأيت

وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله الجمهور .

والثاني : مدنية ، روي عن ابن عباس ، وقتادة . وقال هبة الله المفسر :

نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل ، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحْضُرُ
عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ
يُرَاوُنَ . وَيَتَنَعَوْنَ الْمَاعُونَ ﴾

قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالدين) اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية
على ستة أقوال .

أحدها : نزلت في رجل من المنافقين ، قاله ابن عباس .

والثاني : نزلت في عمرو بن عائذ ، قاله الضحاك .

والثالث : في الوليد بن المغيرة ، قاله السدي .

والرابع : في العاص بن وائل ، قاله ابن السائب .

والخامس : في أبي سفيان بن حرب ، قاله ابن جريج .

والسادس : في أبي جهل ، حكاه الماوردي .

وفي « الدين » أربعة أقوال .

أحدها : أنه حكم الله عز وجل ، قاله ابن عباس .

والثاني : الحساب ، قاله مجاهد ، وعكرمة .

والثالث : الجزاء ، حكاه الماوردي .

والرابع : القرآن ، حكاه بعض المفسرين . و « يَدْعُ » بمعنى يدفع . وقد

ذكرناه في قوله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ) [الطور : ١٣] . والمعنى :

أنه يدفع اليتيم عن حقه دفعاً غنياً ليأخذ ماله . وقد بينا فيما سبق أنهم كانوا

لا يورثون الصغير ، وقيل : يدفع اليتيم إبعاداً له ، لأنه لا يرجو ثواب إطعامه (ولا يحض

على طعام المسكين) أي : لا يطعمه ، ولا يأمر بإطعامه لأنه مكذب بالجزاء .

قوله تعالى : (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون) نزل هذا في

المنافقين الذين لا يرجون لصلاتهم ثواباً ، ولا يخافون على تركها عقاباً . فإن كانوا مع

النبي ﷺ صلوا رياءً ، وإن لم يكونوا معه لم يصلوا ، فذلك قوله تعالى : (الذين

هم يراؤون) وقال ابن مسعود : والله ما تركوها البتة ولو تركوها البتة كانوا كفاراً ، ولكن

تركوا المحافظة على أوقاتها . وقال ابن عباس : يؤخرونها عن وقتها . ونقل عن

أبي العالية أنه قال : هو الذي لا يدري عن كم انصرف ، عن شفع ، أو عن وتر . وردّ هذا بعض العلماء فقال : هذا ليس بشيء ، لأن رسول الله ﷺ قد سها في صلاته ، ولأنه قال تعالى : (عن صلاتهم) ولم يقل : في صلاتهم ، ولأن ذلك لا يكاد يدخل تحت طوق ابن آدم .

قال الشيخ رحمه الله : قلت : ولا أظن أبا العالية أراد السهو النادر ، وإنما أراد السهو الدائم ، وذلك ينبئنا عن التفات القلب عن احترام الصلاة ، فيتوجه النعم إلى ذلك لا إلى السهو ^(١) .

وفي « الماعون » ستة أقوال .

أحدها : أنه الإبرة ، والماء ، والنار ، والفأس ، وما يكون في البيت من هذا النحو ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ^(٢) ، وإلى نحوه ذهب ابن مسعود ^(٣) وابن عباس في رواية . وروى عنه أبو صالح أنه قال : الماعون : المعروف كله

(١) قال ابن كثير : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) إما عن فعلها بالكلية ، كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها في الوقت المقدّر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله مسروق وأبو الضحى ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية .

(٢) قال السيوطي في « الدر » ٤٠٠/٦ : أخرج أبو نعيم ، والدبلي ، وابن عساكر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله : (ويمنعون الماعون) قال : ما يتعاوره الناس بينهم : الفأس ، والقدر ، والدلو وأشباهه .

(٣) قال السيوطي في « الدر » ٤٠٠/٦ : أخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وأبو داود ، والفسائي ، والبزار ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني في « الأوسط » ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » من طرق عن ابن مسعود قال : كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو ، والقدر ، والفأس ، والميزان وما تتعاطون بينهم .

حتى ذَكَرَ القِدْرَ ، والقِصْعَةَ ، والفَاسَ . وقال عكرمة : ليس الويل لمن منع هذا ، إنما الويل لمن جمعهن ، فראى في صلاته ، وسها عنها ^(١) ، ومنع هذا . قال الزجاج : والماعون في الجاهلية : كل ما كان فيه منفعة كالفأس ، والقدر ، والدلو ، والقِداحة ، ونحو ذلك ، وفي الإسلام أيضاً .

والثاني : أنه الزكاة ، قاله علي ، وابن يعمر ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة .

والثالث : أنه الطاعة ، قاله ابن عباس في رواية .

والرابع : المال ، قاله سعيد بن المسيب ، والزهري .

والخامس : المعروف ، قاله محمد بن كعب .

والسادس : الماء ، ذكره الفراء عن بعض العرب ^(٢) قال : وأنشدني :

يَمِجُ صَبِيرُهُ المَاعُونَ صَبَاً ^(٣)

والصير : السحاب .

(١) في الأصل : وسها هذا ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية .

(٢) قال ابن كثير : وقال عكرمة : رأس الماعون : زكاة المال ، وأدناه : المنخل ، والدلو ، والإبرة . رواه ابن أبي احاتم ، قال ابن كثير : وهذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها ، وترجع كلها إلى شيء واحد ، وهو : ترك المعاونة بال أو بمنفعة .

(٣) ذكره القرطبي ٢٠/٢١٤ .

سورة الكوثر

وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله ابن عباس ، والجمهور .

والثاني : مدنية ، قاله الحسن ، وعكرمة ، وقتادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

وفي « الكوثر » ستة أقوال .

أحدها : أنه نهر في الجنة . روى البخاري في أفراده من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : بينا أنا أسير في الجنة ^(١) إذا بنهر حافتاه قباب

(١) أي ليلة الإسراء ، كما في رواية البخاري في التفسير ٥٦٢/٨ : عن أنس رضي الله عنه

قال : لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال : « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف ،

فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر » .

الدُّرُّ الجَوْفُ . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك عز وجل ، فإذا طينته ، أو طيبه مسك أذفر ^(١) .

وروى مسلم أيضاً في أفرادهِ من حديث أنس أيضاً قال : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة ^(٢) ، ثم رفع رأسه متبسماً لما قال لهم ، وإما قالوا له : لم ضحكْتَ ؟ فقال : « إنه أنزل عليَّ الآن آناً ^(٣) سورة » فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها . وقال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترِدُّ عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد كواكب السماء ، يختلج العبد منهم ، فأقول : يارب إنه من أمتي ، فيقال لي : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك ^(٤) . والثاني : أن الكوثر : الخير الكثير الذي أُعطيَ نبينا ﷺ ، قاله ابن عباس .

(١) رواه البخاري في « صحيحه » بهذا اللفظ في كتاب الرقاق ، باب الخوض ٤١٢/١١ وشك الراوي في آخره ، وهو (هدية بن خالد) في رواية ، « فإذا طينه أو طيبه » قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٤١٢/١١ : أراد بذلك أن أبا الوليد لم يشك في روايته ، أنه بالنون ، وهو المعتمد . قال : وتقدم في تفسير سورة الكوثر من طريق شيبان عن قتادة : فأهوى الملك بيده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر . والأذفر : طيب الريح .

(٢) أي : قام نومة .

(٣) أي : قريباً .

(٤) رواه مسلم في « صحيحه » ٣٠٠/١ ، واللفظ الذي أورده المصنف هنا لفظ أحمد في « المسند » ، ورواية مسلم تختلف يسيراً عن رواية أحمد . قال ابن كثير : وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة ، وأنها منزلة معها .

والثالث : العلم والقرآن ، قاله الحسن .

والرابع : النبوة ، قاله عكرمة .

والخامس : أنه حوض رسول الله ﷺ الذي يكثر الناس عليه ، قاله عطاء .

والسادس : أنه كثرة أتباعه ، وأمته ، قاله أبو بكر بن عياش .

قوله تعالى : (فصل لربك) في هذه الصلاة ثلاثة أقوال .

أحدها : صلاة العيد . وقال قتادة : صلاة الأضحى .

والثاني : صلاة الصبح بالمزدلفة ، قاله مجاهد .

والثالث : الصلوات الخمس ، قاله مقاتل .

وفي قوله تعالى : (وانحر) خمسة أقوال .

أحدها : اذبح يوم النحر ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال عطاء ومجاهد والجمهور .

والثاني : وضع اليمين على اليسرى عند النحر في الصلاة .

والثالث : أنه رفع اليدين بالتكبير إلى النحر ، قاله أبو جعفر محمد بن علي .

والرابع : أن المعنى : صل لله ، وانحر لله ، فإن ناساً يصلون لغيره ، وينحرون لغيره ، قاله القرظي ^(١) .

(١) قال ابن كثير : أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته ، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافعة ، ونحرك ، فاعبده وحده لاشريك له ، وانحر على اسمه وحده لاشريك له ، كما قال تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) قال ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، يعني بذلك نحر البدن ونحوها . وكذا قال قتادة ، ومحمد بن -

والخامس : أنه استقبال القبلة بالنحر ، حكاه الفراء ^(١) .

قوله تعالى : (إن شئتُك) اختلفوا فيمن عنى بذلك على خمسة أقوال .

أحدها : أنه العاص بن وائل السهمي . قاله ابن عباس : نزلت في العاص بن وائل ، لتي رسول الله ﷺ على باب المسجد فوقف يحدثه حتى دخل العاص المسجد ، وفيه أناس من صناديد قريش ، فقالوا له : من الذي كنت تُحدثُ؟ قال : ذاك الأبر ، يعني النبي ﷺ ، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ ، وكانوا يسمون من ليس له ابن : أبر ، فأنزل الله عز وجل هذه السورة . ومن ذهب إلى أنها نزلت في العاص سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنه أبو جهل ، روي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أبو لهب ، قاله عطاء .

والرابع : عقبة بن أبي معيط ، قاله شمر بن عطية .

— كعب القرظي ، والضحاك ، والربيع ، وعطاء الخراساني ، والحكم ، وسعيد بن أبي خالد ، وغير واحد من السلف ، وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله ، والذبح على غير اسمه ، كما قال تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ...) الآية .

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى هذه الأقوال عندي بالضراب قول من قال : معنى ذلك : فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك فحرك اجعله له دون الأوثان ، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له ، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر . قال ابن كثير : وهذا الذي قاله ابن جرير في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى ، محمد بن كعب القرظي ، وعطاء .

والخامس : أنه عني به جماعة من قريش ، قاله عكرمة ^(١) . والثاني : المبغض ، والأبتر : المنقطع عن الخير ^(٢) .



(١) قال ابن كثير : قال البزار : حدثنا زياد بن يحيى الحساني ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم ، ألا توى إلى الصبر المنبت من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحبيص وأهل السدانة ، وأهل السقاية ، فقال : أنتم خير منه ، فنزلت (إن شئت لك هو الأبتر) . قال ابن كثير : هكذا رواه البزار ، وهو إسناد صحيح . وجاء في « اللسان » مادة (صبر) أصل الصبور : سعة تثبت في جذع النخلة ، لا في الأرض ، قال أبو عبيدة : الصبور : النخلة تبقى منفردة ويدق أسفلها وينقشر ، يقال : صبر أسفل النخلة . ومواد كفار قريش : أنه إذا قلع انقطع ذكره كما يذهب أصل الصبور لأنه لاقب له . وقال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المنقطع عقبه ، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس ، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه .

(٢) قال ابن كثير : قال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بتر ، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا : بتر محمد ، فأنزل الله (إن شئت لك هو الأبتر) قال : وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر : الذي إذا مات ، انقطع ذكره ، فترهوا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره ، وحاشا وكلا ، بل قد أبقي ذكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على وقاب العباد ، مستمراً على دوام الآباد ، إلى يوم الحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد .

(١) سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ .
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾
وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله ابن مسعود ، والحسن ، والجمهور .

والثاني : مدنية ، روي عن قتادة .

ذكر سبب نزولها . اختلفوا على ثلاثة أقوال .

أحدها : أن رهطاً من قريش منهم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ،
والأسود بن عبد يغوث لقوا العباس بن عبد المطلب ، فقالوا : يا أبا الفضل :
لو أن ابن أخيك أسلم بعض آلهتنا لصدقناه بما يقول ولآمنا بالالهه ، فأثاه العباس
فأخبره ، فنزلت هذه السورة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

(١) ويقال لها أيضاً : المفتشة ، أي : المبرئة من النفاق .

والثاني : أن عتبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف لقيا رسول الله ﷺ فقالا
يا محمد : لاندعك حتى تتبع ديننا ، وتتبع دينك ، فإن كان أمرنا رشداً كنت قد
أخذتَ بحظك منه ، وإن كان أمرك رشداً كنا قد أخذنا بحظنا منه ، فنزلت هذه
السورة ، قاله عبيد بن عمير .

والثالث : أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ : إن سرّك أن تتبع دينك عاماً ،
وترجع إلى ديننا عاماً ، فنزلت هذه السورة ، قاله وهب . قال مقاتل في آخرين :
نزلت هذه السورة في أبي جهل وفي المستهزئين ، ولم يبق^(١) من الذين نزلت فيهم
أحد^(٢) . وأما قوله تعالى : (لا أعبدُ) فهو في موضع « مَنْ » ، ولكنه جعل
مقابلاً لقوله تعالى : (ما تعبدون) وهي الأصنام . وفي تكرار الكلام قولان .
أحدهما : لتأكيد الأمر ، وحسم أطعاهم فيه ، قاله الفراء . وقد أنعمنا^(٣)
شرح هذا في سورة [الرحمن : ١٣] .

(١) في النسخة الاستنبولية : ولم يؤمن .

(٢) قال ابن كثير : هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون ، وهي
أمره بالإخلاص فيه ، فقوله تعالى : (قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الأرض ،
ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش . وقيل : لأنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ
إلى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فنزل الله هذه السورة ، وأمر رسوله ﷺ
فيها أن يتبرا من دينهم بالكلية .

(٣) أي : زدنا ، يقال : أنعم أن يحسن أو يسيء ، أي : زاد ، وأنعم فيه : بالغ
وفعل كذا ، وأنعم أي : زاد . ويقال : أنعم النظر في الشيء : إذا أطال الفكرة فيه .

والثاني : أن المعنى : (لا أعبد ما تعبدون) في حالي هذه (ولا أنتم) في حالكم هذه (عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم) فيما أستقبل ، وكذلك أنتم ، نفى عنه وعنهم ذلك في الحال والاستقبال ، وهذا في قوم بأعيانهم ، أعلمه الله عز وجل أنهم لا يؤمنون ، كما ذكرنا عن مقاتل ، فلا يكون حينئذ تكراراً ، هذا قول ثعلب ، والزجاج ^(١) . وقوله تعالى : (لكم دينكم ولي دين) فتح ياء « ولي » نافع ، وحفص ، وأبان عن عاصم . وأثبت ياء « ديني » في الحالين يعقوب . وهذا منسوخ عند المفسرين بآية السيف ^(٢) .

(١) قال ابن كثير : وأنتم قول نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله : (لا أعبد ما تعبدون) نفي الفعل ، لأنها جملة فعلية (ولا أنتم عابدون ما أعبد) نفي قبوله لذلك بالكلية ، لأن النفي بالجملة الاسمية أكد ، فكانه نفي الفعل وكونه قابلاً لذلك ، ومعناه : نفي الوقوع ، ونفي الامكان الشرعي أيضاً ، قال ابن كثير : وهو قول حسن أيضاً ، والله أعلم .

(٢) قال ابن كثير : إن العابد لا بد له من معبود يعبد ، وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ، ولهذا كان كلمة الاسلام : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أي لا معبود إلا الله ، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ : (لكم دينكم ولي دين) كما قال تعالى : (وإن كنتم كنتم فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقال : (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة و (قل هو الله أحد) في ركعتي الطواف ، وفي « صحيح مسلم » أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بها في ركعتي الفجر (أي في سنة الفجر) .

سورة النصر

وهي مدنية ياجماعهم

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت جميعاً ^(١) .

(١) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٣٠٢٤) عن عبيد الله بن عتبة ، قال : قال لي ابن عباس : تعلم (وقال هارون : تدري) آخر سورة نزلت من القرآن ، نزلت جميعاً ؟ قلت : نعم (إذا جاء نصر الله والفتح) قال : صدقت . قال مسلم : وفي رواية ابن أبي شيبة (أحد الرواة) : تعلم أي سورة ، ولم يقل : آخر . قال الحافظ في « الفتح » ٥٦٤/٨ : وأخرج النسائي من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن . قال : وقد تقدم في تفسير (براءة) أنها آخر سورة نزلت ، قال : والجمع بينها أن للخرية سورة النصر ، نزولها كاملة ، بخلاف (براءة) ، فالمراد نزول بعضها أو معظمها ، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية ، وأوضح من ذلك أن أول (براءة) نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر ، وقد نزل (اليوم أكملت لكم دينكم) وهي في (المائدة) في حجة الوداع سنة عشر ، فالظاهر أن المراد معظمها ، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك ، وهي آخر غزوات النبي ﷺ .

هذا بالنسبة للسورة ، وأما بالنسبة لآخر آية نزلت ، فقد روى البخاري عن ابن عباس : آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا وفي « الفتح » : وجاء عن ابن عباس أيضاً من وجه آخر : « آخر آية نزلت على النبي ﷺ : (واثقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) أخرجه الطبري من طرق . قال الحافظ : وطريق الجمع بن هذين القولين أن هذه الآية ختام الآيات المنزل في الربا ، وهي معطوفة عليهن ، ثم قال : وأما ماسياقي في آخر سورة (النساء) من حديث البراء : آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) فيجمع بينه وبين قول ابن عباس ، بأن الآيتين نزلتا جميعاً ، فيصدق أن —

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله) أي : معونه على الأعداء . والفتح : فتح مكة . قال الحسن : لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب : أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم ، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل ، فليس لكم به يدان^(١) فدخلوا في دين الله أفواجا . قال أبو عبيدة : والأفواج : جماعات في تفرقة .

قوله تعالى : (فسبح بحمد ربك) فيه قولان .

أحدهما : أنه الصلاة ، قاله ابن عباس .

— كلاً منها آخر بالنسبة لما عداهما . قال : ويحتمل أن تكون الآخوية في آية (النساء) مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً ، بخلاف آية (البقرة) ، ويحتمل عكسه ، والأول أرجح لما في آية (البقرة) من الإشارة الى معنى الوفاة المستلزمة لحاقمة النزول . قال : وأصح الأقوال في آخوية الآية قوله تعالى : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) ونقل ابن عبد السلام : آخر آية نزلت آية الكلاله ، فعاش بعدها خمسين يوماً ، ثم نزلت آية البقرة (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) وحكى ابن عبد السلام أن النبي ﷺ عاش بعد نزول هذه الآية (يعني آية البقرة) أحداً وعشرين يوماً . والله أعلم .

(١) أي طاقة .

والثاني : التسييح المعروف ، قاله جماعة من المفسرين . قال المفسرون :
 نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ بِزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ ، وَأُعْلِمَ أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ ^(١) ، فَأَمَرَ
 بِالتَّسْيِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِيُخْتَمَ لَهُ عَمْرُهُ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ ^(٢) . قال ابن عباس :
 إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ : دَاعٍ مِنَ اللَّهِ ، وَوَدَّاعٍ مِنَ الدُّنْيَا . قال قتادة : وعاش
 بعد نزول هذه السورة سنتين .

(١) روى البخاري في « صحيحه » ٥٦٥/٨ : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان
 عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وَجَدَ في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا
 ولنا أبناء مثله ؟ ! فقال عمر : إنه من حيث علمت ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فمأثرت
 أنه دعاني يومئذ إلا ليرثيهم ، قال : ماتقولون في قول الله تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) ؟
 فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إِذَا نَصَرْنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ،
 فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل
 رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) وذلك علامة أجلك (فسبح
 بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وفي الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس ،
 وتأثير لإجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين ، وفيه جواز لتحديث المرء
 عن نفسه بمثل هذا ، لإظهار نعمة الله عليه ، ولإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته ، وغير
 ذلك من المقاصد الصالحة ، لا للمفاخرة والمباهاة ، وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الاشارات ،
 وإنما يتمكن من ذلك من رست قدمه في العلم ، ولهذا قال علي رضي الله عنه : أو فهماً
 يؤتيه الله رجلاً في القرآن .

(٢) روى البخاري في « صحيحه » ٥٦٤/٨ ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت :
 ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) إلا يقول فيها :
 سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي .

سورة تبت

وهي مكية ياجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ
نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَأُمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

وسب نزولها ما روى البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال : لما نزل (وأنذر عشيرتك الأقربين) [الشعراء : ٢١٤]
صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال : « يا صباحاه » . فاجتمعت إليه قريش ،
فقالوا : مالك ؟ فقال : رأيتمكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم ، أو ممسيكم ،
أما كنتم تصدقوني ؟ قالوا : بلى . قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .
قال أبو لهب : تباً لك ، ألهذا دعو قناً ؟ فأنزل الله تعالى : (تبت يدا أبي لهب)^(١)

(١) رواه البخاري ٥٦٧/٨ ورواه مسلم ١٩٤/١ بمعناه . وقوله : يا صباحاه : كلمة
يعتادونها عند وقوع أمر عظيم ، فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له . ورواه ابن جرير الطبري ٣٠/
٣٣٦ وأورده السيوطي في « الدرر » ٤٠٨/٦ وزاد نسبه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، -

ومعنى : تبت : خسرت يدا أبي لهب (وتب) أي : وخسر هو . قال الفراء :
 الأول : دعاء ، والثاني : خبر ، كما يقول الرجل : أهلكك الله وقد أهلكك ،
 وجعلك الله صالحاً وقد جعلك . وقيل : ذكر يديه ، والمراد نفسه ، ولكن هذا
 عادة العرب يعبرون ببعض الشيء عن جميعه ، كقوله تعالى : (ذلك بما قدمت
 يداك) [الحج : ١٠] . وقال مجاهد : « تبت يدا أبي لهب وتب » ولد أبي
 لهب . فأما أبو لهب فهو عم رسول الله ﷺ . وقيل : إن اسمه عبد العزى .
 وقرأ ابن كثير وحده « أبي لهب » يأسكان الهاء . قال أبو علي : يشبه أن
 يكون لغة كالشمع ، والشمع^(١) والنهر ، والنهر .

فإن قيل : كيف كناه الله عز وجل ، وفي الكنية نوع تعظيم ؟

فعنه جوابان .

أحدهما : أنه إن صح أن اسمه عبد العزى ، فكيف يذكره الله بهذا الاسم

وفيه معنى الشرك ؟ !

والثاني : أن كثيراً من الناس اشتهروا بكنائهم ، ولم يعرف لهم أسماء .

قال ابن قتبية : خبرني غير واحد عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء ، وأبا سفيان

— وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « الدلائل » عن عبد الله بن عباس رضي الله
 عنها . وإنما كني بأبي لهب لإشراق وجهه ، وكانت كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له ،
 والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

(١) في الأصل : كالشمع والسمع ، والتصحيح من « اللسان » .

ابن العلاء أسماؤهما كناهما ، فإن كان اسم أبي لب كنيته ، فإنما ذكره بما لا يعرف إلا به .

قوله تعالى : (ما أغنى عنه ماله) قال ابن مسعود : لما دعا رسول الله ﷺ أقربيه إلى الله عز وجل قال أبو لب : إن كان ما يقول ابن أخي حقاً ، فإنني أفتدي بمالي ، وولدي ، فقال الله عز وجل : (ما أغنى عنه ماله وما كسب)^(١) قال الزجاج : و « ما » في موضع رفع . المعنى : ما أغنى عنه ماله وكسبه أي : ولده . وكذلك قال المفسرون : المراد بكسبه هاهنا : ولده . و « أغنى » بمعنى يغني (سيصلى ثاراً ذات لب) أي : تلتهب عليه من غير دخان (وامرأته) أي : ستصلي امرأته ، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان . وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، لأنه أخبر بهذا المعنى أنه وزوجته يموتان على الكفر ، فكان كذلك . إذ لو قالوا بالاستتها : قد أسلمنا ، لوجد الكفار متعلقاً في الرد على رسول الله ﷺ ، غير أن الله علم أنها لا يسلمان باطناً ولا ظاهراً ، فأخبره بذلك .

قوله تعالى : (حمالة الحطب) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنها كانت تمشي بالنميمة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ،

(١) ذكره البغوي وكثير من المفسرين عن ابن مسعود بغير سند ، وذكره القرطبي عن ابن عباس أيضاً بغير سند ، والله أعلم .

والفرء . وقال ابن قتيبة : فشبهوا النيمة بالخطب ، والعداوة والشحناء بالنار ، لأنها يقعان بالنيمة ، كما تلتهب النار بالخطب .

والثاني : أنها كانت تحتطب الشوك ، فتلقيه في طريق رسول الله ﷺ ليلا ، رواه عطية عن ابن عباس . وبه قال الضحاك ، وابن زيد^(١) .

والثالث : أن المراد بالخطب : الخطايا ، قاله سعيد بن جبير .

والرابع : أنها كانت تُعيرُ رسول الله ﷺ بالفقر ، وكانت تحتطب فعيرت بذلك ، قاله قتادة . وليس بالقوي ، لأن الله تعالى وصفه بالمال^(٢) .
وقرأ عاصم وحده (حمالة الخطب) بالنصب .

قال الزجاج : من نصب حمالة ، فعلى الذم . والمعنى : أعني : حمالة

(١) ورجعه الطبري .

(٢) قال ابن كثير : (وامرأته حمالة الخطب) كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وغناؤه ، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم ، ولهذا قال تعالى : (حمالة الخطب في جيدها حمل من مد) يعني تحمل الخطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي ميسرة لذلك مستعدة له . قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم ابن سعيد ، وأحمد بن إسحاق ، قالا : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالساً معه أبو بكر ، فقال له أبو بكر : لو تنحيت لاتؤذيك بشيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنه سيحال بيني وبينها » فأقبلت حتى وقفت على -

الخطب . والجيد : العنق . والمسدُ في لغة العرب : الحبل إذا كان من ليف
المقل . وقد يقال لما كان من أوبار الإبل من الجبال : المسد . قال الشاعر :

وَمَسَدٍ أَمْرٍ مِنْ أَيْانِقٍ [صُهْبِ عَتَاقٍ ذَاتُ مُخٍّ زَاهِقٍ] ^(١)

وقال ابن قتيبة : المسد عند كثير من الناس : الليف دون غيره ، وليس
كذلك ، إنما المسد : كل ما ضفر وقُتل من الليف وغيره .

واختلف المفسرون في المراد بهذا الحبل على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها جبال كانت تكون بمكة ، رواه العوفي عن ابن عباس .
وقال الضحاك : جبل من شجر كانت تحتطب به .

والثاني : أنه قلادة من ودع ، قاله قتادة .

والثالث : أنه سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً ، قاله عروة بن

- أبي بكر وقالت : يا أبا بكر هجانا صاحبك ، فقال أبو بكر : لا ورب هذه البنية ، ما ينطق
بالشعر ولا يتقوه به ، فقالت : إنه لمصدق ، فلما وُلت ، قال أبو بكر : ما رأيتك ، قال :
« لا مازال ملك يسترني حتى وُلت » ثم قال البزار : لانهلم يروى بأحسن من هذا الاسناد
عن أبي بكر رضي الله عنه . وحسن إسناده أيضاً الحافظ في « الفتح » ٥٦٧/٨ .

(١) الرجز لعروة بن طارق ، وقال أبو عبيد : لعقبة الهجيمي ، وهو في « مجاز القرآن »
٣١٥/٢ ، والطبري ٣٠٤١/٣٠ ، والقرطبي ٢٤٢/٢ ، و « اللسان » : مسد . وقوله « أمير » ،
أي قتل قتلاً شديداً ، والأيانق ، جمع ناقة ، والصهب ، جمع الأصهب ، وهو بعير ليس
بشديد البياض ، والعتاق جمع عتيق ، وهو الكريم . وزهق المخ : إذا اكتنز (اجتمع)
لحمه ، فهو زاهق .

الزير . وقال غيره : المراد بهذا الحبل : السلسلة التي ذكرها الله تعالى في النار ، طولها سبعون ذراعاً . والمعنى : أن تلك السلسلة قد فتلت فتلاً مُحْكَمًا ، [فهي] في عنقها تعذب بها في النار .^(١)



(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو حبل جمع من أنواع مختلفة . قال ابن كثير : وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى : (في جدها حبل من مسد) في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ، ثم كذلك دائماً .

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

وفيهما قولان .

أحدهما : أنها مكية ، قاله ابن مسعود ، والحسن ، وعطاء ، وعكرمة ،
وجابر .

والثاني : مدنية ، روي عن ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك . وقد روى
البخاري في أفرادهِ من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : والذي نفسي
بيده إنها لتعدل ثلث القرآن ^(١) . وروى مسلم في أفرادهِ من حديث أبي هريرة

(١) رواه البخاري في « صحيحه » ١٠٥/٦ باب فضل (قل هو الله أحد) ولفظه بتمامه :
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد) يردّها ، فلما
أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالبها ، فقال رسول الله ﷺ :
« والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » .

أَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِنَّهَا تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ^(١) .

وَفِي سَبَبِ نَزُولِهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ انْسَبْ لَنَا رَبِّكَ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ،
قَالَهُ أُتِيَ بَنُ كَعْبٍ ^(٢) .

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » ٥٥٧/١ وَلَفْظُهُ بِتَامِهِ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « احْشَدُوا (اجْتَمِعُوا) فَإِنِّي سَاقِرٌ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ، فَحَشَّدَ مِنْ
حَشَّدٍ ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ثُمَّ دَخَلَ ، فَقَالَ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ :
إِنِّي أَرَى هَذَا خَبِيرٌ جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :
« إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ : سَاقِرٌ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ » .

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي « الْمُسْنَدِ » ١٣٣/٥ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ١٧٢/٢ ، وَالطَّبْرِيُّ ٣٤٢/٣٠ ،
وَالْوَاهِدِيُّ فِي « أَسْبَابِ النُّزُولِ » ٣٤٦ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعْدٍ الصَّغَانِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ
عَنِ الرَّيِّعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي بَنِ كَعْبٍ وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ . وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي
« الْمُسْتَدْرَكِ » ٥٤٠/٣ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعْدٍ الصَّغَانِيِّ بِهِ ، وَصَحَّحَهُ ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ .
وَأُورِدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي « اللَّدِّ » ٤٠٩/٦ وَزَادَ نَسْبَتَهُ لِلْبَخَارِيِّ فِي « تَارِيخِهِ » ، وَابْنُ خَزِيمَةَ ،
وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي « السَّنَةِ » وَالبَغَوِيُّ فِي « مَعْبَجِهِ » ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ فِي « الْعِظْمَةِ » ، وَالبَيْهَقِيُّ
فِي « الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ » عَنْ أَبِي بَنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ١٧٢/٢ عَنْ
عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ عَنْ عِيَدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ الرَّيِّعِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فَذَكَرَهُ مُرْسِلاً ،
وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ أَبِي بَنِ كَعْبٍ ، وَقَالَ : وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعْدٍ الصَّغَانِيِّ . وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ شُرَيْحٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَجَالَدٍ عَنْ مَجَالَدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرٍ . وَذَكَرَهُ
ابْنُ كَثِيرٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي يَعْلَى الْمُوَصِّلِيِّ مِنْ طَرِيقِ مَجَالَدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرٍ ،
وَأُورِدَهُ الْحَافِظُ الْمِيشِمِيُّ فِي « جَمْعِ الزَّوَانِدِ » ١٤٦/٧ مِنْ رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ فِي « الْأَوْسَطِ » —

والثاني : أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله ﷺ : إلام تدعوننا يا محمد ؟ قال : إلى الله عز وجل . قال : صفه لي ، أمن ذهب هو ، أو من فضة ، أو من حديد ، فنزلت هذه السورة ، قاله ابن عباس ^(١) .

والثالث : أن الذين قالوا هذا ، قوم من أجبار اليهود قالوا : من أي جنس هو ، ومن ورث الدنيا ، ولمن يورثها ؟ فنزلت هذه السورة ، قاله قتادة ، والضحاك ^(٢) . قرأ ابن كثير ، وثنايف ، وعاصم ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي « أَحَدُ اللَّهِ » وقرأ أبو عمرو « أَحَدُ اللَّهِ » بضم الدال ، ووصلها باسم الله . قال الزجاج : هو كناية عن ذكر الله عز وجل . والمعنى : الذي سألتهم تبيين نسبته هو الله . و « أَحَدُ » مرفوع على معنى : هو أَحَدُ ، فالمعنى : هو الله ، وهو أَحَدُ . وقرئت « أَحَدُ اللَّهِ الصمد » بتنوين أَحَدُ . وقرئت « أَحَدُ اللَّهِ » بترك التنوين ، وقرئت

— وأبي يعلى . قال ابن كثير : وقد أرسله غير واحد من السلف ، قال : وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : انب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة (قل هو الله أَحَدُ) قال : قال الطبراني : ورواه القريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا ، قال : ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن مانع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل شيء نسبة ، ونسبة الله : قل هو الله أَحَدُ . اهـ فهذه الروايات كلها شواهد لحديث أبي رضي الله عنه .

(١) ذكره البخاري والحازن عن ابن عباس بغير سند .

(٢) رواه الطبري ٣٤٣/٣٠ عن قتادة مرسلًا ، وذكره السيوطي في « الدر » ١٠/٦ .

من رواية الطبراني في « السنة » عن الضحاك مرسلًا .

بإسكان الدال «أحدُ الله» وأجودها الرفع بإثبات التنوين ، وكُسِرَ التنوين لسكونه وسكون اللام في «الله» ، ومن حذف التنوين ، فلالتقاء الساكنين أيضاً ، ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتداء «الله الصمد» وهو أردوها .

فأما «الأحد» فقال ابن عباس ، وأبو عبيدة : هو الواحد . وفرّق قوم بينها . وقال أبو سليمان الخطابي : [الواحد] : هو المنفرد بالذات ، فلا يضاهيه أحد . والأحد : هو المنفرد بالمعنى ، فلا يشاركه فيه أحد . وأصل «الأحد» عند النحويين « : الواحد ، ثم أبدلوا من الواو الهمزة . وفي «الصمد» أربعة أقوال .

أحدها : أنه السيد الذي يُصمَدُ إليه في الحوائج ، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ^(١) . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : الصمد : السيد الذي قد كمل في سُؤدده^(٢) . قال أبو عبيدة : هو السيد الذي ليس فوقه

(١) ذكره الحافظ الميمني في «مجمع الزوائد» ٣٠٨/٦ من تفسير ابن عباس موقوفاً عليه ، وهو جزء من حديث طويل في باب: كيف يفسر القرآن بالقرآن ، قال الحافظ الميمني : رواه الطبراني وفي إسناده جوير ، وهو متروك .

(٢) وهو في الطبري ٣٠٦/٣٠ بلفظ : الصمد : السيد الذي قد كمل في سُؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفة لا تبغي إلا له .

أحد . والعرب تسمي أشرافها : الصِّمد . قال الأسدي :

لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بعمر بن مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصِّمَدِ^(١)

وقال الزجاج : هو الذي ينتهي إليه السُّودُ ، فقد صمد له كل شيء قصد قصده . وتأويل صمود كل شيء له : أن في كل شيء أثر صنعه . وقال ابن الأنباري : لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد : السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم .

والثاني : أنه الذي لاجوف له ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وابن جبير ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي . وقال ابن قتيبة : فكان الدال من هذا التفسير مبدلة من تاء ، والمصمت من هذا .

والثالث : أنه الدائم .

والرابع : الباقي بعد فناء الخلق ، حكاهما الخطابي وقال : أصح الوجوه الأول ، لأن الاشتقاق يشهد له ، فإن أصل الصمد : القصد . يقال : اصمد صمدا فلان ، أي اقصد قصده . فالصمد : السيد الذي يصمد إليه في الأمور ، ويقصد في الحوائج .

قوله تعالى : (لم يلد) قال مقاتل : لم يلد فيورث (ولم يولد) فيشارك ،

(١) البيت لسيرة بن عمرو الأسدي ، وهو في « مجاز القرآن » ٣١٦/٢ ، و « تهذيب الألفاظ » ٢٧٠ ، و « السمط » ٩٣٣ ، والطبري ٣٤٧/٣٠ ، والقرطبي ٢٠/٢٥٠ ، و « اللسان » صمد .

وذلك أن مشركي العرب قالوا : الملائكة بناتُ الرحمن . وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، فبرأ نفسه من ذلك .

قوله تعالى : (ولم يكن له كفواً أحد) قرأ الأكثرون بالثقل والهمز . ورواه حفص بالثقل وقلب الهمز واواً . وقرأ حمزة بسكون الفاء . والكفاء : المثل المكافئ . وفيه تقديم وتأخير ، تقديره : ولم يكن له أحد كفواً ، فقدم وأخر لتفق رؤوس الآيات .

★ ★ ★

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ .
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾
وفيهما قولان .

أحدهما : مدنية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال قتادة في آخرين .
والثاني : مكية ، رواه كريب عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، وعطاء ،
وعكرمة ، وجابر . والأول أصح ، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو
مع عائشة ، فنزلت عليه المعوذتان .

فذكر أهل التفسير في نزولها : أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ ،
فلم يزل به اليهود حتى أخذ مُشَاطَةً رأس رسول الله ﷺ ، وعدة أسنانٍ من
مُشَطِّهِ ، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها . وكان الذي تولّى ذلك ليبدن أعصم اليهودي .
ثم دسّها في بئر لبني زريق ، يقال لها : بئر ذروان . ويقال : ذي أروان (١) ،

(١) في الأصل : ويقال : أروان ، والتصحيح من القرطبي . وهي بئر بالمدينة في بستان

فرض رسول الله ﷺ ، وانتشر شعر رأسه ، وكان يرى أنه يأتي النساء وما يأتين ، ويخيل إليه أنه يفعل الشيء ، وما يفعله ، فيينا هو ذات يوم نائم أناه مَلَكَان ، فقعدهما عند رأسه ، والآخر عند رجله ، فقال أحدهما للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : طُبَّ . قال : وما طُبَّ ؟ قال : سُحِر . قال : ومن سَحَرَه ؟ قال : لبيد بن أعصم . قال : وبهم طَبَّهُ ؟ قال : بمُشْط ومُشَاطة . قال : وأين هو ؟ قال في جُفٍ طُلْعَةٍ^(١) تحت راعوفة في بئر ذروان - والجف : قشر الطلع . والراعوفة : صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت^(٢) . فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها ، فانتبه رسول الله ﷺ فقال : يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي ، ثم بعث علياً ، والزيير ، وعمار بن ياسر ، فنزحوا ماء تلك البئر ، ثم رفعوا الصخرة ، وأخرجوا الجُفَ ، وإذا فيه مُشَاطة رأسه ، وأسنان مشطه ، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة [مغروزة بالإبرة ، فأنزل الله تعالى المعوذتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة]^(٣) . ووجد رسول الله ﷺ خِفَةَ حين انحلت العقدة الأخيرة ، وجعل جبريل عليه السلام يقول : بسم الله أُرْقيكَ من كل شيء يؤذيك ، ومن حاسد وعين ، والله يشفيك . فقالوا : يا رسول الله

(١) الجف بضم الجيم وتشديد الفاء : الغشاء الذي يكون على الطلع .

(٢) في النسخة الاستنبولية : إذا احترقت .

(٣) زيادة سقطت من الأصل ، واستدركتها من النسخة الاستنبولية .

أفلا نأخذ الحديث فنقتله ؟ فقال : « أما أنا فقد شفاني الله ، وأكره أن أثير على الناس شراً^(١) .

وقد أخرج البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث عائشة حديث سحر رسول الله ﷺ^(٢) . وقد بينا معنى « أعوذ » في أول كتابنا^(٣) .

وفي « الفلق » ستة أقوال .

أحدها : أنه الصبح ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، والقرظي ، وابن زيد ، واللغويون قالوا : ويقال : هذا أين من فَلَقَ الصبحَ وَفَرَّقَ الصبحَ .

(١) ذكره ابن كثير بنحوه من رواية الثعلبي في تفسيره بلا إسناد ، قال : وفيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، وبعضه شواهد ، والله أعلم . ويغني عن هذه الرواية رواية الصحيحين التي بعدها .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » ، ١٩٢/١٠ - ١٩٩ ومسلم ١٧١٩/٤ عن عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث ، متلقى بالقول بينهم ، وقد رواه أيضاً أحد في « المسند » عن زيد بن أرقم وعائشة رضي الله عنها ، ورواه النسائي عن زيد بن أرقم ، وابن ماجه عن عائشة ، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة ، وابن مردويه عن ابن عباس ، وغيرهم .

وانظر أقوال العلماء مفصلة في سحر رسول الله ﷺ في تعليقنا على هذا الكتاب ج ٥

صفحة ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(٣) ج ١ / صفحة ٧ .

والثاني : أنه الخَلْق ، رواه الوالي عن ابن عباس . وكذلك قال الضحاك :
الفَلَق : الخَلْق كله .

والثالث : سِجْنٌ في جهنم ، روي عن ابن عباس أيضاً . وقال وهب
والسدي : جُبٌ في جهنم . وقال ابن السائب : وادٍ في جهنم .
والرابع : شجرة في النار ، قاله عبد الله بن عمرو^(١) .

والخامس : أنه كُلُّ ما انطلق عن شيء كالصبح ، والحب ، والنوى ، وغير
ذلك ، قاله الحسن . قال الزجاج : وإذا تأملت الخلق بَانَ لك أن أكثره عن
انفلاق ، كالأرض بالنبات ، والسحاب بالمطر .

والسادس : أنه اسم من أسماء جهنم ، قاله أبو عبد الرحمن عبد الله بن
يزيد الحلبي^(٢) .

قوله تعالى : (من شر ما خلق) وقرأ ابن السميع ، وابن يعمر : « خَلِق »
بضم الخاء ، وكسر اللام . وفيه ثلاثة أقوال .
أحدها : أنه عام ، وهو الأظهر .

والثاني : أن شر ما خُلِق : إبليس وذُرِيته ، قاله الحسن .

والثالث : جهنم ، حكاه الماوردي .

(١) في النسخة الاستنبولية « عبد الله بن عمر » وهو كذلك في القرطبي .

(٢) قال ابن جرير : والصواب القول الأول : أنه فلق الصبح . وقال ابن كثير : وهذا
هو الصحيح ، وهو اختيار البخاري في « صحيحه » رحمه الله تعالى .

وفي « الغاسق » أربعة أقوال .

أحدها : أنه القمر ، روت عائشة قالت : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ، فقال : استعيزي بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب ، رواه الترمذي ، والنسائي في كتابيهما^(١) . قال ابن قتيبة : ويقال : الغاسق : القمر إذا كسف فاسودَّ . ومعنى « وقب » دخل في الكسوف .

والثاني : أنه النجم ، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ^(٢) .

والثالث : أنه الليل ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، والقرظي ، والفراء ، وأبو عبيد ، وابن قتيبة ، والزجاج . قال اللغويون : ومعنى « وقب » دخل في كل شيء فأظلم . و « الغسق » الظلمة . وقال الزجاج : الغاسق : البارد ، فقيل لليل : غاسق ، لأنه أبرد من النهار .

والرابع : أنه الثريا إذا سقطت ، وكانت الأسقام ، والطواعين تكثر عند

(١) الترمذي ١٧٢/٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أحمد في « المسند » ٦١/٦ ، وابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠ ، والحاكم في « المستدرک » ٥١١/٢ وصححه ، ووافقه الذهبي . وأورده السيوطي في « الدر » ٤١٨/٦ وزاد نسبه لابن المنذر ، وأبي الشيخ في « العظمة » ، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠ من رواية محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال ابن كثير : وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ .

وقوعها ، وترتفع عند طلوعها ، قاله ابن زيد^(١) .

فأما (النفاثات) فقال ابن قتيبة : هن السواحر ينفثن ، أي : يتفعلن إذا سحرن ، ورقيّن . قال الزجاج : يتفعلن بلا ريق ، كأنه نفخ . وقال ابن الأنباري : قال اللغويون : تفسير نفث : نفخ نفخاً ليس معه ريق ، ومعنى قفل : نفخ نفخاً معه ريق . قال ذو الرمة :

ومن جَوْفِ ماءِ عَرْمَضٍ الحَوْلِ فَوْقَهُ متى يَحْسُ منه ما يَحُ القومِ يَتَفَلُّ^(٢)

وقد روى ابن أبي سريج^(٣) « النفاثات » بألف قبل الفاء مع كسر الفاء وتخفيفها^(٤) . وقال بعض المفسرين : المراد بالنفاثات هاهنا : بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن رسول الله ﷺ .

(١) قال الشوكاني في « فتح القدير » : وهذا محتاج إلى نقلٍ عن العرب أنهم يصفون الثريا بالفسوق .

(٢) ديوانه طبع المكتب الاسلامي صفحة (٦٠٠) والجوف : المظمن من الأرض ، والعرمض : الخضرة التي تعلو الماء ، وهي الرمض ، والعلق ، والطحلب ، والشبا . والمائع : الذي ينزل البثر فيملاؤ الدلو . والمائع : الذي يجذب الدلو . وفي « الأساس » وذاق ماء البحر قتلته ، أي : بجه كراهة له .

(٣) ابن أبي سريج ، هو أحمد بن الصباح ، أبو جعفر الرازي ، الثقة الثبت ، وهو شيخ البخاري ، وأحد أصحاب الشافعي ، قرأ على الكسائي .

(٤) قال القرطبي : قرأ عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن سابط ، وعيسى بن عمر ، ورويس عن يعقوب « النفاثات » في وزن « فاعلات » ودويت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنها .

(ومن شر حاسد) يعني : اليهود حسدوا رسول الله ﷺ . وقد ذكرنا حدَّ الحسد في (البقرة : ١٠٩) . والحسد : أخس الطبائع . وأولُ معصية عُصيَ الله بها في السماء حسدُ إبليس لآدم ، وفي الأرض حسدُ قاييلَ هابيل^(١) .



سورة الناس

وفيه قولان .

أحدهما : أنها مدنية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

والثاني : أنها مكية ، رواه أبو كريب عن ابن عباس .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ﴾

فإن قيل : لم خص الناس ها هنا بأنه ربهم ، وهو رب كل شيء ؟

فعنه جوابان .

أحدهما : لأنهم معظّمون متميزون على غيرهم .

والثاني : لأنه لما أمر بالاستعاذة من شرهم أعلم أنه ربهم ، ليعلم أنه هو الذي

يعيد من شرهم . ولما كان في الناس ملوك قال تعالى : (ملك الناس) ولما كان فيهم

من يعبد غيره قال تعالى : (إله الناس)^(١) .

و (الوسواس) الشيطان ، وهو (الخناس) يوسوس في الصدور ، فإذا ذكر الله ، خنس ، أي : كف وأقصر . قال الزجاج : الوسواس هنا : ذو الوسواس .

(١) قال ابن كثير : هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل : الربوبية ، والملك ، والإلهية ، فهو رب كل شيء ، ومليكه ، وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له ، مملوكة ، عبيد له ، فأمر المستعبد أن يتعبد بالمتصف بهذه الصفات ، من شر الوسواس الخناس ، وهو الشيطان الموكل بالإنسان ، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قوين يزين له الفواحش ، ولا يألوه جهداً في الخبال ، والمعصوم من عصمه الله . وروى مسلم في « صحيحه » ٢١٦٧/٤ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قوين من الجن » قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : « وإياي » ، إلا أن الله أعاني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير .

وقوله : « فأسلم » رفع الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه : أسلم أنا من شره وقتنته ، ومن فتح قال : إن القرن أسلم من الاسلام ، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير . قال القاضي عياض : واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه ، وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرن ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا ، لنحتراز منه بحسب الامكان .

وثبت في « الصحيحين » عن أنس في قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلاً ليردّها إلى منزلها ، فلقه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرع ، فقال رسول الله ﷺ : « على رسلكما إنها صفية بنت حيي » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، فقال ﷺ : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً - أوقال : شراً - » .

وقال ابن قتيبة : الصدور هاهنا : القلوب . قال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل ، وسوس ، فإذا ذكر الله ، خنس .

قوله تعالى : (من الجنة والناس) الجنة : الجن . وفي معنى الآية قولان .

أحدهما : يوسوس في صدور الناس جنتهم وناسهم ، فسمى الجن هاهنا ناساً ، كما سماء رجالاً في قوله تعالى : (يعوذون برجال من الجن) [الجن : ٦] وسماهم نفراً بقوله تعالى : (استمع نفر من الجن) [الجن : ١] ، هذا قول الفراء . وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوساً للجن ، كما يوسوس للإنس .

والثاني : أن الوسواس : الذي يوسوس في صدور الناس ، هو من الجنة ، وهم من الجن . والمعنى : من شر الوسواس الذي هو من الجن . ثم عطف قوله تعالى : « والناس » على « الوسواس » . والمعنى : من شر الوسواس ، ومن شر الناس ، كأنه أمر أن يستعيز من الجن والإنس ، هذا قول الزجاج " .

(١) روى مسلم في « صحيحه » ١١٦/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله

ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا » .

قال الشيخ رحمه الله :

فهذا آخر « زاد المسير » ، والحمد لله على الإنعام الغزير ، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا بما أملنا ، فلا يعتقدنَّ مع رأى اختصارنا أننا أقللنا ، فإننا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا ، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا ، فإننا ضمنا الاختصار مع نيل المراد ، وقد فعلنا . ومن أراد زيادة بسط في التفسير ، فعليه بكتابنا « المغني » في التفسير . فإن أراد مختصراً ، فعليه بكتابنا المسمى بـ « تذكرة الأريب في تفسير الغريب » . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آليه آدم ، وذريته الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا التفسير القيم
وقد قام بمقابلة أصوله النطوية ، وتصحيحه
وتفصيله وترقيمه ، وتخريج نصوصه ،
والتعليق عليه ، والإشراف على طبعه
الأساتذة

محمد زهير الشاويش وشعيب الارنؤوط وعبد الفتاح الارنؤوط

وأخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الأربعاء ١٧ رجب الفرد ١٣٨٨ هـ
دمشق الموافق ٩ تشرين الأول ١٩٦٨ م

فهرس السور

رقم	السورة	ج ص	رقم	السورة	ج ص
١٨	سورة الكهف	١٠٢/٥	١	سورة الفاتحة	١٠/١
١٩	مریم	٢٠٤/٥	٢	البقرة	١٩/١
٢٠	طه	٢٦٨/٥	٣	آل عمران	٢٩٤/١
٢١	الأنبياء	٢٣٨/٥	٤	النساء	١/٢
٢٢	الحج	٤٠١/٥	٥	المائدة	٢٦٧/٢
٢٣	المؤمنون	٤٥٨/٥	٦	الأنعام	١/٣
٢٤	النور	٣/٦	٧	الأعراف	١٦٤/٣
٢٥	الفرقان	١٧/٦	٨	الأنفال	٣١٦/٣
٢٦	الشعراء	١١٤/٦	٩	التوبة	٣٨٨/٣
٢٧	النمل	١٥٣/٦	١٠	يونس	٣/٤
٢٨	القصص	٢٠٠/٦	١١	هود	٧٢/٤
٢٩	العنكبوت	٢٥٣/٦	١٢	يوسف	١٧٦/٤
٣٠	الروم	٢٨٦/٦	١٣	الرعد	٢٩٩/٤
٣١	لقمان	٣١٤/٦	١٤	إبراهيم	٣٤٣/٤
٣٢	السجدة	٣٣٣/٦	١٥	الحجر	٣٧٩/٤
٣٣	الأحزاب	٣٤٧/٦	١٦	النحل	٤٢٥/٤
٣٤	سبا	٤٣١/٦	١٧	الإسراء	٣/٥

رقم	السورة	ج ص	رقم	السورة	ج ص
٥٥	سورة الرحمن	١٠٥/٨	٣٥	سورة فاطر	٤٧٢/٦
٥٦	الواقعة	١٣٠/٨	٣٦	يس	٣/٧
٥٧	الحديد	١٦٠/٨	٣٧	الصافات	٤٤/٧
٥٨	المجادلة	١٨٠/٨	٣٨	ص	٩٦/٧
٥٩	الحشر	٢٠١/٨	٣٩	الزمر	١٦٠/٧
٦٠	المتحنة	٢٣٠/٨	٤٠	المؤمن	٢٠٤/٧
٦١	الصف	٢٤٩/٨		فصلت أو السجدة ٤١	٢٤٠/٧
٦٢	الجمعة	٢٥٧/٨	٤٢	الشورى	٢٧٠/٧
٦٣	المنافقون	٢٧١/٨	٤٣	الزخرف	٣٠١/٧
٦٤	التغابن	٢٧٩/٨	٤٤	الدخان	٣٣٦/٧
٦٥	الطلاق	٢٨٧/٨	٤٥	الجاثية	٣٥٤/٧
٦٦	التحریم	٣٠٢/٨	٤٦	الأحقاف	٣٦٩/٧
٦٧	المملك	٣١٨/٨	٤٧	محمد ﷺ	٣٩٥/٧
٦٨	القلم (ن)	٣٢٦/٨	٤٨	الفتح	٤١٨/٧
٦٩	الحاقة	٣٤٥/٨	٤٩	الحجرات	٤٥١/٧
٧٠	المعارج	٣٥٧/٨	٥٠	ق	٣/٨
٧١	نوح	٣٦٨/٨	٥١	الذاريات	٢٧/٨
٧٢	الجن	٣٧٦/٨	٥٢	الطور	٤٥/٨
٧٣	المزمل	٣٨٧/٨	٥٣	النجم	٦٢/٨
٧٤	المدثر	٣٩٨/٨	٥٤	القمر	٨٧/٨

رقم	السورة	ج ص	رقم	السورة	ج ص
٩٥	التين	١٦٨/٩	٧٥	سورة القيامة	٤١٥/٨
٩٦	العلق	١٧٥/٩	٧٦	الدھر	٤٢٧/٨
٩٧	القدر	١٨١/٩	٧٧	المرسلات	٤٤٣/٨
٩٨	البينة	١٩٥/٩	٧٨	النبا	٣/٩
٩٩	الزلزلة	٢٠١/٩	٧٩	النازعات	١٤/٩
١٠٠	العاديات	٢٠٦/٩	٨٠	عبس	٢٦/٩
١٠١	القارعة	٢١٣/٩	٨١	التكوير	٣٧/٩
١٠٢	التكاثر	٢١٧/٩	٨٢	الانفطار	٤٦/٩
١٠٣	العصر	٢٢٤/٩	٨٣	المطففين	٥١/٩
١٠٤	الهمزة	٢٢٦/٩	٨٤	الانشقاق	٦٢/٩
١٠٥	الفيل	٢٣١/٩	٨٥	البروج	٧٠/٩
١٠٦	قريش	٢٣٨/٩	٨٦	الطارق	٨٠/٩
١٠٧	الماعون	٢٤٣/٩	٨٧	الأعلى	٨٦/٩
١٠٨	الكوثر	٢٤٧/٩	٨٨	الغاشية	٩٤/٩
١٠٩	الكافرون	٢٥٢/٩	٨٩	الفجر	١٠٢/٩
١١٠	النصر	٢٥٦/٩	٩٠	البلد	١٢٦/٩
١١١	تبت	٢٥٨/٩	٩١	الشمس	١٣٧/٩
١١٢	الاخلاص	٢٦٤/٩	٩٢	الليل	١٤٥/٩
١١٣	الفلق	٢٧٠/٩	٩٣	الضحى	١٥٤/٩
١١٤	الناس	٢٧٣/٩	٩٤	الانشراح	١٦٢/٩

فهرس الأآادس

مرتباً على الحروف الراهبنة

الحديث ج ص

- اجتنبوا السبع الموبقات
٢٥/٦ و ٦٣/٢ و ١٣٣٣/١
- اجعلوها في ركوعكم
٨٧/٩ و ١٥٩/٨
- اجعلوها في سجودكم
٨٧/٩ و ١٥٩/٨
- احبسوا على الركب
٤٦٥/٣
- احترسوا من الناس بسوء الظن
٤٧٠/٧
- احشدوا فإني سأقرأ عليكم
٢٦٥/٩
- ثلك القرآن
٤٨/٢
- اختر أيتها شئت
٨/٢
- اختر منهن أربعة
٣٤٤/٣
- اخرجوا إليه واكنموا
٣٥٠/٢
- اخرجوا باسم الله تقاتلون في
٣٥٠/٢
- سبيل الله
٣٩١/٣
- اخرج بهذه القصة من صدر
براءة

الحديث ج ص

- حرف المزمه - همزة الوصل
استني بأربعة شهداء وإلا فحد
١٣/٦
- في ظهرك
ابتغوها في العشر الأواخر في
الوتر منها
١٨٤/٩
- اتركهم حتى يتوب تائبهم
١٠٣/٣
- اتقوا الشح فإن الشح أهلك من
كان قبلكم
٢١٦/٨
- اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات
يوم القيامة
١٥٢/٦
- اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر
بنور الله
٤٠٩/٤
- اتق الله
٣٨٦/٦
- اتق الله حيثما كنت
اجتمعوا إلي في قتيل كان بينهم
٣٨٩/٧

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
ارجع فأحسن وضوءك	٣٠٤/٢	اخرج يا أبا بكر فهذا حين	
استحيوا إن الله لا يستحي		دلكت الشمس	٧٢/٥
من الحق	٢٥٢/١	اخرج يافلان من المسجد	
استعِذي بالله من شره فإنه		فإنك منافق	٤٢٣/٦
الفاسق إذا وقب	٢٧٤/٩	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	١٩٠/١
استغفروا لأخيكم وسلوا له		ادعي لي أباك وأخاك	٣٠٨/٨
التثيت فإنه الآن يسأل	٤٨١/٣ و ٥٣٢/١	اذكراها علي	٣٨٩/٦
استقم وتحسن خلقك	١٦٩/٤	واذهب إلى قریش فأخبرهم أنا	
استوصوا بالنساء خيراً	٢/٢	لم نأت لقتال أحد	٤٢٢/٧
إلى جارك	١٢٣/٢ و ١٢٣/٢	اذهب إليه فقل له: إنك لست من	
اسق يا زبير ، ثم احبس الماء		أهل النار ولكنك من أهل الجنة	٤٥٧/٧
حتى يبلغ الجدر		اذهب فاذكرها علي	٣٩١/٦
	١٧٦/٥ و ١٢٣/٢	اذهب فاطرحه في القبض	٣١٧/٣
اسقه عسلاً	٤٦٦/٤	اذهب فخذ سيفك	٣١٧/٣
اشتكت النار إلى ربها فقالت		اذهب فسلمهم عما كانوا يضحكون	
يارب أكل بعضي بعضاً	٢١٦/٩	منه ، وقل لهم : أحرقكم الله	٢١٨/٣
اشهدوا	٨٨/٨	اذهب فناد في الناس	٤٩٢/١
اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال	٤٣٦/٥	اربعوا على أنفسكم ، إنكم	
		لا تدعون أصم ولا غانماً	٢١٥/٣
		ارجع إليه فادعه	٣١٥/٤

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
أبكي للذي عرض علي أصحابك	٣٢/٦	أصرف بصرك	
من الفداء	٢٤٨/١	اصنعوا كل شيء إلا النكاح	
أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل		اطلبوها الليلة ، أي في ليلة	
الجنة	١٨٥/٩	ثلاث وعشرين	
أبوك حذافة	٤/٢	اعبد الله كأنك تراه	
أجعل نبي ونهب العيب	١٦٩/٤	اعبد الله ولا تشرك به شيئاً	
د بين الأقرع وعينته	٣٥٠/٢	اغزوا باسم الله في سبيل الله	
اتحلف		اقتدوا بالذين من بعدي	
أندرون ما أخبرها	٣٠٨/٨	أبي بكر وعمر	
أندرون ماذا قال ربكم	٨٦/٢	اقرأ علي القرآن	
أندرون ما الغيبة		أقرؤوا الزهراوين : البقرة	
أندرون ما المعيشة الضنك	١٩/١	وآل عمران	
أتريدون أن تقولوا كما قال أهل	٣٥٥/٢	أقطعوا يدها	
الكتابين من قبلكم	١٨٣/٩	التمسوها في تسع يمين	
أعطوني كلمة تملكون بها العرب		التمسوها في العشر الأواخر	
وتدين لكم بها العجم	١٨٣/٩	من رمضان	
أتيت على نهر حافاته قباب		التمسوا ليلة القدر ليلة سبع	
اللؤلؤ مجوف	١٨٧/٩	وعشرين	
أجدني مغموماً		حرف الهزة - هزة القطع	
أجدني مكروباً	١٨/٦	أبشري فقد أنزل الله براءتك	
	٢٤٩/٥	أبطأت علي حتى ساء ظني	

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف	٢٨/٦	أجورهم يدخلهم الجنة	٢٦٣/٢
إذا اشتد الحر فأبردوا	٢١٦/٩	أحب الصيام إلى الله صيام داود	١١٠/٧
إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحات ذنوبه	١٧٦/٧	أحل لكم ميتتان ودمان	٢٧٩/٢
إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء والعشاء فابدؤوا بالعشاء	١٦٧/٩	أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بيمينه	٢٨٣/٣
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	٢١٢/٨	أخرج متاعك فضعه على الطريق	٢٣٧/٢
إذا أنبعت أشقاها أنبعت لها	١٤٢/٩	إدبار السجود الركعتان بعد المغرب	٦١/٨
رجل عزيز عارم	١٤٢/٩	أدعوكم إلى الله عز وجل	٢٦٦/٩
إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء	٤٥٢/٦	إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه	٤٧٥/٧
إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن	٣٠٥/٢	إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون	١٠١/٦
إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين	٢٦٨/٨	إذا اجتمع أهل النار في النار	٣٨٠/٤
إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة	١٠١/٨	إذا أحب الله عبداً قال يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبوه	٢٦٦/٥
إذا حسدت فاستغفر	٤٧٠/٧	إذا أخذتم الساحر فاقتلوه	٣٠٦/٥
إذا خلاص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار	٣٩٩/٧	إذا أسأت فأحسن	١٦٩/٤

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
إذا قضى الله عز وجل الأمر		إذا دخل أهل الجنة الجنة	٢٤/٤
في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها	٤٥٢/٦	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل	
إذا كانت عند الرجل امرأتان		النار النار	٢٣٣/٥
فلم يعدل بينها	٤٠٩/٦	إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب	٤٦٤/٧
إذا لم تصطحبوا ولم تغتبقوا		إذا رأيت الناس قد مرجت	
ولم تحتفتوا بقلأ فشانكم	٢٨٩/٢	عهودهم	١٣٠/١
إذا مات الإنسان انقطع عمله		إذا رميت بالمعراض فخرق فكله	٢٧٩/٢
إلا من ثلاث	١١١/٦ و ١٠/٧	إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها	
إذا مات العبد تلقى روحه		الحد ولا يثرب	٢٨٣/٤
أرواح المؤمنين	٢١٥/٩	إذا سألتهم الله الجنة فاسألوه	
إذا مضت على النطفة خمس		الفرديوس	١٩٩/٥
وأربعون ليلة	٣٣٧/٤	إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٢٦٥/٨
إذا نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما		إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد	
ينبغي للضيف	٢٣٦/٢	الله عز وجل والثناء عليه	٤١٩/٦
إذا هم أحدكم بالأمر فليركع		إذا ظهر الزنا والربا في قرية	
ركعتين من غير الفريضة	٢٨٥/٢	فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله	٣٣٣/١
أراه من شرب شربه عند		إذا قال الإمام غير المفضوب	
سودة والله لا أشربه	٣٠٥/٨	عليهم ولا الضالين	١٦/١
أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو		إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد	
مصباحكم أو مسيكم	٢٥٨/٩	اعتزل الشيطان	٣١٥/٣

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
أصحابي أمانة	٤٤٩/٧	أرى رؤياكم قد تواطأت في	
أضعفوا على العباس القداء	٣٨٣/٣	السبع الأواخر	١٨٦/٩
أظنه قد أحدث حدثاً	١٦٧/٢	أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو	
أعذر الله عز وجل إلى امرئ		يصبحكم أو يمسيكم	٤٦٥/٦
آخر عمره حتى بلغ ستين سنة	٤٩٤/٦	أربع من كن فيه كان منافقاً	
أعط ابنتي سعد الثلاثين وأمها		خالصاً	٢٥١/٨
الثلث	٢٥/٢	أربعون سنة	٤٢٥/١
أعطيت خمساً لم يعطهن أحد		أرني المفتاح إن كنت تؤمن	
من الأنبياء قبلي		بالله واليوم الآخر	١١٤/٢
٤٣٩/١ و ٤٧٤ و ٤٥٦/٦		أريت دار هجرتكم أرض بين	
أعوذ بك من دعا ولا يسمع	١٤٤/١	حرتين	٣٦٠/٦
أعيدكم بكلمات الله التامة	٣٤٤/٨	أريت ليلة القدر ثم أنسيتها	١٨٦/٩
أفشوا السلام وأطعموا الطعام	٣١/٨	الأزم دواء والمعدة داء	١٨٨/٣
أفضل الصدقة أن تصدق		أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب	
وأنت صحيح شحيح	٤٣٣/٨	من النار	٣٠٣/٢
أفضل الصدقة جهد المقل	٢١٣/٨	الإسلام يهدم ما كان قبله	٣٤٥/٢
أقبل وأدبر واتق الدبر والحیضة	٢٥١/١	أشترط لربي أن تعبدوه	
أقتله بعد ما قال : آمنت ؟	١٧١/٢	ولا تشركوا به شيئاً	٥٠٣/٣
		أشد الناس بلاء الأنبياء	٢٥٥/٦

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون		أقرب ما يكون العبد من ربه	
بأنبيائهم	٢٢٧/٥	وهو ساجد	١٨٠/٩
ألا أخبركم بخير من ذلك	٤٦٢/١	أكرمهم عند الله أتقاهم	٤٧٤/٧
ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا	٥٣٣/١	أكرموا عمنكم النخلة	٣٦٠/٤
ألا أخبركم لم سُمِّيَ الله إبراهيم		ألك بينة ؟	٤١١/١
خليله (الذي وفى)	٧٩/٨	ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا	٤٩٠/١
ألا أراكم تضحكون	٤٠٤/٤	ألم أنه عن القتال	٣٤٥/٦
ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا		ألم نصِّحْ لك جسمك ونزوك	
لا يدخلن عليكم	٣٤/٦ ٣٣/٦	من الماء البارد	٢٢١/٩
ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم		ألم يقل الله : استجيئوا لله	
ما جهلتم	٣٠٢/٦	وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم	٣٣٨/٣
ألا إن الزمان قد استدار	٤٣٥/٣	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها	
ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب		عند مليكمكم	٣٩٧/٦
افترقوا على ثنتين وسبعين ملة	١٩٧/٩	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	١٠٩/٦ ٦٥/٢
ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي		ألا أنبئكم بأهل الجنة كل	
بنحو مما أسمع	١٩١/٢	ضعيف متضعف	٣٣٢/٨
ألا إنها تعدل ثلث القرآن	٢٦٥/٩	ألا احتطت فإن البضع ما بين	
ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه	١١٦/٢	السبع والتسع	٢٨٧/٦
ألا رجل صالح يحرسني الليلة	٣٩٦/٢	ألا أحدثك عن يوم الجمعة ؟	
ألا كل شيء من أمر الجاهلية		لا يتطهر رجل مسلم ثم يمشي	
تحت قدمي موضوع	٣٣٢/١	إلى المسجد ...	٢٦٣/٨

الحديث ج ص	الحديث ج ص
أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب	ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب ٣٩٥/٣
٤٩١/٦	ألا لا يحج بعد العام مشرك ٣٩٢/٣
أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله	ألا هل بلغت ؟ ٣٩٥/٣
٣٥٧/٣	ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ٤٦٥/٢
أما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك	أليست البلدة ؟ ٣٩٥/٣
٣٢٤/٦	أليس ذا الحجة ؟ ٣٩٥/٣
أما نقصان العقل	أليس يوم النحر ؟ ٣٩٥/٣
٢٣٧/٤	إلى شهادة أن لا إله إلا الله
أمرت أن أسجد على سبعة أعظم	وأني رسول الله ٢٧٠/٢
٣٨٢/٨	إليّ عباد الله ، أنا رسول الله ٤٧٧/١
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله	أما إذا قلتما فاذهبا فاقسما ١٩٢/٢
١٠٠/٩	أما إن ملكاً بينكما يذب عنك ١٠١/٦
أمرني خليلي ﷺ بسبع	أما أنا فقد شفاني الله وأكره ٢٧٢/٩
٣٨٢/٢	أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ٤٢٥/٣
أمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفاً من ذهب	أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر ٣٨٢/٦
١٢١/٥	أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ٤٧٢/٣
أمسك عليك زوجك	
٣٨٦/٦	
أمسلمة جئت	
٢٣٠/٨	
أن تجعل لله نداً وهو خلقك ١٠٣/٦ و ٦٥/٢	
١٠٤/٦ و ٦٥/٢	
أن تزاني حليلة جارك	
١٢٠/١	
أن تصدق وأنت صحيح شحيح	
أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك	
١٠٣/٦	

ج ص	الحديث	ج ص	الحديث
٣٠٧/٤	أنا المنذر		أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر
٢٢٦/٨	أنا عند ظن عبدي بي	٤٣١/١	فلا ينسى
	أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد		إن أرسلت كلبك وسيئت فأخذ
٣٦/٧	المطلب	٢٩٤/٢	فقتل فكل
١٦٠/٩	أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا		إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن
٢٢٣/١	أنت أبصر	٥٦٦/٢	تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم
	أنت الهادي يا علي بك يهتدى		إن تقبلوا مني ماجتكم به فهو
٣٠٧/٤	من بعدي	٨٥/٥	حظكم
٣٧١/٦	أنت يا طلحة ممن قضى نجه	١٤٩/٥	إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه
	أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم	٣٣٨/٦	إن شئت أنبأتك بأبواب الخير
٢٩٨/١	لقاء جالوت	١٠٣/٣	إن فعلت تصدقوني
١٠١/٨	أنتم خصماء الله	٨٧/٨	إن فعلت تؤمنون
	أنشدك بالذي أنزل التوراة	٤٧٢/٧	إن كان فيه ما تقول فقد اغتبه
٨٢/٣	على موسى	١٩٢/١	إن كان وسادك إذا لعريض
٢٧٧/٢	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً	٢٤٥/٤	أنا أكرم ولد آدم على ربه
	انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم	٣٢٠/٢	أنا أولى الناس بعيسى
٤٩٩/٣	أهله فاهدموه واحرقوه		أنا بين خيرتين استغفر لهم أو
	أنفق يا بلال ولا تخش من ذي	٤٨٠/٣	لا تستغفر لهم
٤٦٢/٦	العرش إقلالاً		أنا عبد الله ورسوله لن أخالف
٢٣٣/١	أنفقه على نفسك	٤٢٥/٧	أمره

الحديث ج ص

- إن الشيطان يجري من ابن آدم
 مجرى الدم ٢٧٨/٩
- إن العبد إذا أخطأ خطيئة
 نكت في قلبه نكتة سوداء ٥٦/٩
- إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها
 إن الغلام الذي قتله الخضر
 طبع كافراً ١٧٩/٥
- إن الكريم بن الكريم بن الكريم
 [ابن الكريم] يوسف بن
 يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ٢٣٦/٤
- إن الله إذا أحب عبداً دعا
 جبريل فقال : إني أحب فلاناً
 إن الله أعطاني السبع الطوال ٢٦٦/٥
- مكان التوراة ٤٥١/٧
- إن الله أمرني أن أقرأ عليك
 (لم يكن الذين كفروا) ١٩٦/٩
- إن الله بعثني مبلغاً ولم يبعثني متعنتاً
 إن الله تجاوز لي عن أمتي
 ما حدثت به أنفسها ٣٤٣/١
- إن الله تعالى حاط حائط الجنة
 لبنة من ذهب ولبنة من فضة ٤٥٩/٥

الحديث ج ص

- إن أبي أدركته فريضة الحج
 شيخاً كبيراً ٨١/٨
- إن أحدكم إذا مات عرض
 عليه مقعده بالغداة والعشي ٢٢٩/٧
- إن أحدكم يجمع خلقه في بطن
 أمه أربعين يوماً نطفة ٢٨٠/٨، ٤٠٦/٥
- إن أثقل صلاة على المنافقين
 صلاة العشاء وصلاة الفجر ٢٣١/٢
- إن أربى الربا عرض الرجل المسلم
 إن أرواح الشهداء في حواصل
 طيور خضر تسرح في الجنة ١٥٧/٨، ١٦١/١
- إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً
 محجلين ٤٤٧/٧
- إن الإسلام لا يقال ٤١٠/٥
- إن الجنة لا تدخلها عجوز ٣٦٢/٥
- إن الدعاء هو العبادة ٢٣٤/٧
- إن الزمان قد استدار كهيئته
 يوم خلق السموات والأرض ٣٩٥/٣

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
ان الله لم يمسح قوماً أو يهلك قوماً فيجعل لهم نسلًا	٣٨٨/٢	ان الله حرّم مكة فلم تحل لأحد قبلي	٤٢٩/٢
ان الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها	٧/٥	ان الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض	٦٢/١
ان الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة	٥٠/٧	ان الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم	٤٠٨/٧
ان الله معني أن أقبل منك صدقتك	٤٧٣/٣	ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها	٥٩/٦ و ٤٢٧/٣
ان الله نظر إلى أهل الأرض ففقتهم عربهم وعجمهم إلا بقاياا	١٩٧/٩	ان الله طيب لا يقبل إلا الطيب	٢٠٣/٥
ان الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه	٣٤٧/١	ان الله قد أذهب عنكم عيئة الجاهلية	٤٧٥/٧
إن الله يسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار	١٠٠/٦	ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	٧٦/٨
ان الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً	٤٨/٨	ان الله كتب عليكم الحج	٤٣٤/٢
ان الله يحب أن تؤتى رخصه	٢٨٩/٢	ان الله تعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل ينظر في الكتاب	٣٣٩/٤
ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين	١٩٤/٨	ان الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات	٢٨٢/٦
		ان الله لم يمسح شيئاً فیدع له نسلًا	٣٩٩/٤

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
إن الله لا ينظر إلى صوركم		إن الله عز وجل يستخلص رجلاً	
وأموالكم	١٧٠/٣	من أمي على رؤوس الناس	
٤٦٠/٦ و ٤٧٤/٧		إن الله يسلم على أهل الجنة	٣٩٨/٦
إن الذي أمشاه على رجله في		إن الله يضاعف الحسنة ألفي	
الدنيا قادر على أن يمليه على		ألف حسنة	٢٩١/١
وجهه يوم القيامة	٩٠/٥	إن الله تعالى يطوي السموات	
إن المقسطين عند الله على منابر		يمينه	٨٥/٦
من نور	٣٨١/٨ و ٤٦٤/٧ و ٧/٢	إن الله يقبض يوم القيامة	
إن الملائكة تقول لروح المؤمن :		الأرضين	٣٩٤/٥
أخرجي أيتها الروح الطيبة	٢٥٥/٧	إن الله يقبل توبة العبد ما لم	
إن الناس إذا رأوا الظالم فلم		يفرغوا	٣٧/٢
يأخذوا على يديه	٤٤٢/٢	إن الله عز وجل يقول يوم	
إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء		القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم	
المهاجرين	٥٣١/١	تعديني	٤٣/٨
إن أول زمرة تدخل الجنة على		إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة	٨٥/٢
صورة القمر	١٢٢/٨	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً	
إن أول دم أضع من دمائنا دم		ينتزعه من العباد	٨٤/٥
ابن ربيعة بن الحارث	٣٣٢/١	إن الله لا يقبل إلا الطيب	٤٣٢/٢
إن أول ما تبدأ به في يومنا هذا			
أن نصلي	٤٢٠/٣		

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
ان في الجنة مائة درجة أعدها		ان أول ما يسأل عنه يوم القيامة ٢٢١/٩	
الله للعجا مدين	١٧٥/٢	ان بعدكم قوماً يخونون	
ان في الليل لساعة لا يوافقها		ولا يؤتمنون	٥/٣
رجل مسلم ...	١٩٠/٩	ان ثلاثة خرجوا فلعجؤوا الى	
ان في المعارض لمدوحة عن		غار ، فانطبقت عليهم صخرة ٢٠٤/٤	
الكذب	٣٦١/٥	ان جبريل كان وعدني أن يلقاني ٢٩١/٢	
ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين	٣٤٠/٣	ان خلق أحدكم يجمع في بطن	
ان لله تسعة وتسعين اسماً	١٩٠/٩	أمه أربعين يوماً نظفة	٢٧٥/١
ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة		ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم	
واحدة	٢٧٠/٣	كحرمة يومكم هذا	٣٣٢/١
ان للمؤمنين في الجنة لحيمة من		ان ربكم حيي كريم	٥٤/١
لؤلؤة واحدة مجوفة	١٢٦/٨	ان ربكم يقول كل يوم : أنا العزيز	٤٧٧/٦
ان لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش	٢٨٣/٢	ان روح القدس نفث في روعي	٢٩٧/٧
ان لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد	٣٩٤/٦	ان زكريا كان نجاراً	٢١٠/٥
ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ،		ان سورة في القرآن ثلاثون آية	
كمثل رجل بنى بيتاً	٣٩٤/٦	شفعت لصاحبها حتى غفر له	٣١٩/٨
ان مقعد ملكيك على ثنيتك	١١/٨	ان عفريتاً من الجن تفلت علي	
ان ملكاً كان يحيب عنك	٣٣٧/٢	البارحة ليقطع علي صلاتي	١٣٨/٧
ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة	٢٦٣/٨	ان في الجنة شجرة يسير الراكب	
ان من البيان سحراً	٣٦/٧	في ظلها مائة عام لا يقطعها	١٤٠/٨

الحديث ج ص	الحديث ج ص
انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ٤٢٣/٨	ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ٣٥٨/٤
انكم توفون سبعين أمة انتم خيرها ٤٣٨/١	ان من عباد الله لأناساً ما هم
انكم سترون ربكم عياناً ٢٣/٨	بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء
انكم لا تدعون أصم ٢٠٧/٥	والشهداء ٤٣/٤
انكن أكثر أهل النار ٢٣٧/٤	ان من المنشآت اللاتي كن في
انما البضع ما بين الثلاث الى التسع ٢٨٧/٦	الدنيا عجائز عمشاً رمصاً ١٤٢/٨
انما سمي الحضر لأنه جلس على	ان موسى قام خطيباً في بني اسرائيل ١٦١/٥
فروة بيضاء ١٦٨/٥	ان موسى كان رجلاً حياً ستيراً ٤٢٥/٦
انما سمي الله اليتيم : العتيق ،	ان هذا الأمر في قریش ٣١٨/٧
لأن الله أعتقه من الجبابة ٤٢٧/٥	ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق
ان سباً رجل من العرب ١٦٥/٦	السموات والأرض ١٩٨/٦
انما ذلكم الله ٤٥٨/٧	ان هذا اختط سفي وأنا نائم ٣٠٩/٢
انما قولي لامرأة واحدة قولي	ان يأجوج ليحفرون السد كل يوم ١٩٤/٥
لمائة امرأة ٢٤٥/٨	ان يمين الله ملأى لا يغيضا نفقة ٣٩٣/٣
انما نسمة المؤمن طائر يعلق في	أن الأولى كانت نسياناً من موسى ١٧١/٥
شجر الجنة ١٥٧/٨	انا حاملوك على ولد الناقة ٣٦٢/٥
انما هلك من كان قبلكم أنه اذا	اننا لاندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ٢٩١/٢
سرق فيهم الشريف تركوه ٣٥٢/٢	انك قلت لها : اني لا أدري
	ما يصيني في وجهي ٣٨٣/٣
	انكم تختصمون اليّ وانما أنا بشر ١٩٢/٢

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
انه كان ذهباً وفضة	١٨١/٥	انما هو شيء دسره البحر	٩٣/٨
انها تعدل ثلث القرآن	٢٦٥/٩	انما هو جبريل لم أره على صورته	
انها حق فادرسوها وتعلموها	١٥٦/٧	التي خلق عليها غير هاتين المرتين	١٨٤/٦
انها فتنت ملكين	١٢٤/١	انما هو الشرك	٧٧/٣
انها في علم الله قليل	٣٢٥/٦	انما هو شيء رأيته في منامي	٣٧٢/٧
انها النخلة	٣٥٨/٤	انما يفتن يهود	٢٢٧/٧
انها ليعذبان وما يعذبان في كبير	٣٣٢/٨	انه أتاني داعي الجن	٣٨٨/٧
اني أريتكن أكثر أهل النار	٢٣٧/٤	انه أوحى إلي أن تواضعوا حتى	
اني أمرت أن أقرأ على الجن	٣٨٨/٧	لا يفخر أحد على أحد	٢٤٨/٦
اني حاملك على ولد الناقة	٣٦٢/٥	انه أنزل علي الآن أنفاً سورة	٢٤٨/٩
اني خلقت عبادي خفاء كلهم		انه أول من سن القتل	٣٣١/٢
فاجتالهم الشياطين	٣٠١/٦	انه ذهب في حاجة الله ورسوله	٤٢٢/٧
اني رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها	١٨٥/٩	انه سيحال بيني وبينها	٢٦١/٩
اني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة	١٥٦/٧	انه قد بلغني أنكم تريدون أن	
اني قد رأيت أنكم ستدخلون		تنتقلوا قرب المسجد	٩/٧
المسجد الحرام محلقين رؤوسكم		انه ﷺ قسم فعدل عشرأ من	
ومقصرين	٤٤٣/٧	الغنم بيعير	
اني قلت لكم سأقرأ عليكم		انه ليأتي الرجل العظيم السمين	
ثلث القرآن	٢٦٥/٩	يوم القيامة	١٩٨/٥ و ١٧١/٣
اني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا		انه ليغان على قلبي	٥٦/٩ و ٤٠٤/٧
الجنة	١٠٧/٦		

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
أول من يكسى من أهل النار		اني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب	
يوم القيامة إبليس	٧٦/٦	الا فرج الله عنه	٣٨٣/٥
أيا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب	٥١٩/١	اني لست بشاعر ولا ينبغي لي	٣٥/٧
أياكم والجلوس على الطرقات	٣١/٦	اني لما خرجت ، جاء جبريل	
أياكم والدخول على النساء	٤١٥/٦ ٣٤/٦	عليه السلام	٤٠٤/٤
أياكم والظن فإن الظن أكذب		اني لم أبعث لعاناً	٣٩٨/٥
الحديث	٧٤/٨ ٤٧٠/٧	اني والله أعلم أنكم لتعلمون	
أياك والحلوب	٢٢٣/٩	أني رسول الله	٢٥٧/٢
أي شيء تحبون ؟	١٠٣/٣	اني والله ما أنا بشاعر	٣٥/٧
أي عم قل معي : لا إله إلا الله		اني لا أدري ما بقائي فيكم ؟	٣٠٨/٨
أحاج لك بها عند الله	٣٣١/٦ ٥٠٧/٣	اني لا أصافح النساء	٢٤٥/٨
أيكم أحسن عقلاً ، وأورع عن		انهزموا ورب الكعبة	٤١٥/٣
محارم الله عز وجل	٢٩/٤	أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء	٥٣/٣
أيكم يحتمل خيباً عن خشبته		أو غير ذلك ؟ ... فأعني على	
وله الجنة	٢٢٠/١	نفسك بكثرة السجود	١٢٧/٢
أيا حلف كان في الجاهلية	٧٢/٢	أول ربا أضع ربانا ، ربا عباس	
أي مسلم ضاف قوماً فأصبح		ابن عبد المطلب	٣٣٢/١
الضيف محروماً	٢٣٧/٢	أول ما خلق الله القلم	٣٢٧/٨
أيا رجل أعمر عمرى له ولعقبه	١٢٣/٤	أوليس قد بين الله تعالى ذلك	٢٦٥/٢
أين الذهب الذي تركته عند		أوليس قد ابتعته منك ؟	٣٤٠/١
أم الفضل	٣٨٣/٣		

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
اللهم اكفنيها بما شئت	٣١٤/٤	أيها الناس إن الله طيب لا يقبل	
اللهم اكفني جاري السوء	٤١٧/٨	إلا طيباً	٤٧٧/٥
اللهم أنج الوليد بن الوليد	٤٥٧/١	أيها الناس اربعوا على أنفسكم	٣١٤/٣
اللهم أنجز ما وعدتني	٣٢٥/٣	أيها الناس قد فرض الله عليكم	
اللهم إني أبرأ إليك عما صنع خالد	١٦٤/٢	الحج فحجوا	٤٣٤/٢
اللهم إني أسألك بأنني أشهد		الله	٣٩٦/٢
أنك أنت الله	١٩١/٩	الله أخبرني	٣٨٣/٣
اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع	١٤٤/١	الله أكبر خربت خير	٢٠٤/٨ و ٩٤/٧
اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا		اللهم آت نفسي تقواها	١٤١/٩
البر والتقوى	٣٠٤/٧	اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها	
اللهم إني أول من أحيا أمرك		عذاباً	٣١٠/٦
إذ أماتوه	٣٥٦/٢	اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً	٣١٠/٦
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد	٤١٨/٦	اللهم اجعلني من التوابين واجعلني	
اللهم رب السموات ورب الأرض		من المتطهرين	٣٠٥/٢
ورب العرش العظيم	١٦١/٨	اللهم ارزق ثعلبة	٤٧٣/٣
اللهم رب السموات السبع وما أظللن	٢٩٩/٨	اللهم أشهد	٢٤٥/٨
اللهم صل على آل أبي أوفى	٨٢/٧	اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف	٤٨٥/٥
اللهم لك الحمد أنت نور السموات		اللهم أعني على قرش بسنين	
والأرض	٣٦/٦	كسني يوسف	٤٨٥/٥
اللهم لا نبغيها	١٢٩/١	اللهم اغفر للمخلقين	٤٤٤/٧
اللهم لا يعلون علينا	٤٦٦/١		

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
بل قد ابتعته منك	٣٤٠/١	اللهم مصرف القلوب صرف	
بل هي للمسلمين عامة	١٦٦/٤	قلوبنا على طاعتك	٣٤٠/٣
بلى فانكحيه فانني قد رضيته لك	٣٨٥/٦	اللهم منزل الكتاب سريع الحساب	٣٧٢/٦
بلى والله لاستغفرون لأبي	٥٠٩/٣	اللهم هؤلاء أهلي	٣٩٩/١
بم تشهد ؟	٣٤٠/١	اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلعني	
بيننا أنا أسير في الجنة إذا بنهر		فما تملك ولا أملك	٤٠٩/٦ و ٢١٩/٢
حافاته قباب الدر	٢٤٧/٩	اللهم هل بلغت	٢٧٢/٥
بيننا أنا في الحطيم	٤/٥	حوف الباء	
بيننا رجل يجر إزاره من الخيلاء		بايعوني على ان لا تشركوا	
خسف به	٢٤٥/٦	بالله شيئاً	١٦٩ و ١٠٣/٢
بيننا عيسى يطوف بالبيت ومعه		بش عبد الله	٤٢٢/٤
المسلمون	١٩١/٦	بغ بنغ ذاك مال راجح	٤٢١/١
البر حسن الخلق والإثم ما حاك		برىء من الشح من أدى الزكاة	٢١٦/٨
في صدرك	١١٤/٣	بشر الكاذبين بكى في ظهورهم	٤٣١/٣
البطنة أصل الداء والحمية أصل		بعثت إلى الأحمر والأسود	٣٦٥/١
الدواء	١٨٨/٣	بعثت انا والساعة كهاتين	١٢٩/٣
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب		بعني كذا وكذا من الدقيق	٣٣٥/٥
عام	٥/٦	بل أنت زيد الخير	١٢٩/٧
البكر تستأمر في نفسها	٤٨٨/١	بل إلى كتاب الله	٣٦٧/١
		بل أنا وارأساه	٣٧٨/٥

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
تصدق به على ولدك	٢٣٣/١	حرف التاء	
تصدق رجل من ديناره	٤/٢	تبلغ الحلية من المؤمن حيث	
تقطع الآجال من شعبان الى شعبان	٣٣٨/٧	يلعب الوضوء	٤٩٠/٦ و ٤١٨/٥
تفضل صلاة في الجميع على صلاة		تخرج الدابة معها خاتم سليمان	
الرجل وحده خمسا وعشرين درجة	٧٤/٥	وعصا موسى	١٩٢/٦
تقيء الأرض افلاذ كبدها		تجب ذلك ؟	٥١١/٣
امثال الاسطوان	٢٠٢/٩	تحشرون حفاة عراة غرلاً	٣٦/٩
تكثرون اللعن وتكفرون العشير	٢٣٧/٤	تدرون أي يوم ذلك ؟	٤٠٢/٥
تلك الأحاديث التي تفقدون		تدع الصلاة أيام أقرائها	٢٥٨/١
الانتفاع بها	١٧٧/٤	تزوجوا الولود تناسلوا فإني	
تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة		مباهٍ بكم	٣٦/٦
المنافق	٢٣١/٢	تسع اعظم من الإشراف بالله	٦٤/٢
توضاً وضوءاً حسناً ثم قم فصل	١٦٦/٤	تسم المؤمن بين عينيه وتكتب	
التيمن ضربة للوجه والكفين	٩٥/٢	بين عينيه مؤمن	١٩٢/٦
حرف التاء		تسوموا فإن الملائكة قد تسومت	٤٥٢/١
ثلاث لا أسأل عبيدي عن شكرهن	٢٢٣/٩	تشويه النار فتقلص شفته العليا	٤٩١/٥
ثلاث لازمات لأمتي ، الطيرة		تصدقوا	٢٢٣/١
والحسد وسوء الظن	٤٧٠/٧	تصدق به على خادمك	٢٢٣/١
ثلاثة حق على الله عونهم	٣٦/٦	تصدق به على زوجك	٢٢٣/١
		تصدق به على نفسك	٢٢٣/١

الحديث ج ص

حرف الحاء

- حرم رسول الله ﷺ لحوم
الحرر الأهلية ١٤١/٣
حسبنا الله ونعم الوكيل ٥٠٥، ٣٦٦/٥
حسي من سؤالي علمه بحالي ٣٦٧/٥
الحج عرفة ٢١٠/١
الحمد لله الذي جعل في أمي من
أمرني أن أبدأهم بالسلام ٤٨/٣
الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني
أن أصبر ١٣٢/٥

حرف الخاء

- خذوا عني خذوا عني قد جعل
الله لمن سيلاً ٥/٦٣٥/٢
خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة ٦٢/١
خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً ٦٢/١
خلق الله عز وجل التربة يوم السبت
٢٤٣/٧٠٩٤/٦٣٢١١/٣
خلق الله يحيى بن زكريا في
بطن أمه مؤمناً ٢٨٠/٨
خلق فرعون في بطن أمه كافراً ٢٨٠/٨

الحديث ج ص

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ...

- المنان بما أعطى ٣١٧/١
ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين
١٩٨/٩ و ١٧٨/٨ و ٢٢٩/٦
ثم حيث أدركت الصلاة فصل
٤٢٥/١
فكلها مسجد
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ٥/٥
ثم دع الماء يرجع الى الجدر ١٧٦/٥
ثم قال له : اكتب ٣٢٧/٨
الطيب أحق بنفسها من وليها ٤٨٨/١

حرف الهميم

- جاء الحق وزهق الباطل ٧٨/٥
جبل من نار يكلف أن يصعده ٤٠٦/٨
جلس في فروة بيضاء فاخضرت ١٦٨/٥
جنان الفردوس أربع ١٩٩/٥
جنتان من ذهب وجنتان من فضة ١٢٤/٨
جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ١٢٠/٨ و ١٩٩/٥
الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ٣٢٥/١
الجنة ٢٤/٤
الجنة مائة درجة ١٩٩/٥

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
دنا الجبار رب العزة فتدلى	٦٥/٨	خلقت الملائكة من نور	٣٤٧/٥ و ٣٩٩/٤
دية المعاهد نصف دية المسلم	١٦٥/٢	خمس صلوات في اليوم والليلة	٣٩٦/٨
حرف الذال		خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم	٤٢٤/٢
ذروني ما ترككم فإنما هلك من		خير الأصحاب عند الله خيرهم	
كان قبلكم بكثرة سؤالهم	١٩٧/٩ و ٤٣٤/٢	لصاحبه	٨٠/٢
ذكاة الجنين ذكاة أمه	٢٦٨/٢	خير أهتي قرني	٥/٣
ذكرك أخاك بما يكره	٤٧٢/٧	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم	٥/٣
ذلك الى الله عز وجل	٨٦/٥	خير يوم طلعت عليه الشمس	
ذلك العرض	٦٤/٩	يوم الجمعة	٢٦٣/٨
حرف الراء		خيرات الأخلاق حسان الوجوه	١٢٦/٨
رأيت جبريل وله ستمائة جناح	١٨٤/٦	خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ،	
رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً	٤٣٧/٢	ثم الذين يلونهم	٥/٣
رأيت ربي عز وجل فقال لي :		الخيل لثلاثة ، لرجل اجر ، ولرجل	
فيم يختصم الملائكة الأعلى ؟	١٥٥/٧	ستر ، وعلى رجل وزر	٢٠٤/٩
رايت عمرو بن عامر الخزاعي		حرف الدال	
يجر قصبه في النار	٤٣٧/٢	درهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم	
رايت الليلة زجلين اتيانني فأخرجاني	٣٣٣/١	أشد من ستة وثلاثين زنية	٣٣٣/١
راجعها فإنها صوامة قوامه	٣٠٩/٨	دعوة ابي ابراهيم ، وبشرى عيسى	١٤٦/١
رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف		دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو	
ليلة فيما سواه	١٩٢/٩	في بطن الحوت	٣٨٤/٥

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانها	٥٦٦/٢	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها	٥٣٤/١
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له	٤٨٩/٦	رحم الله أخي يوسف	٢٤٣/٤
سبحان مقلب القلوب	٣٨٦/٦	رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد	١٤٠/٤
سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي	٢٥٧/٩	رحمة الله على موسى ، لقد أودى بأكثر من هذا فصبر	٢٥٣/٨
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله	٣٢٥/١	ردوا علي الرجل	٥٠٥/١
سبق المفردون	٣٩٧/٦	رفع القلم عن ثلاثة	١٥/٢
ستمعه صلاته	٢٧٤/٦	الربا ثلاثة وسبعون باباً	٣٣٣/١
سلاني	٣٦٢/١	الرحم معلقة بالعرش تقول :	
سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء مادمت في مقامي هذا		من وصلني وصله الله	٤٠٨/٧
إلا بينته لكم	٤٣٣/٢	الريح الجنوب من الجنة	٣٩٤/٤
سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين ، لعل الله يغفر لهم	٤٧٧/٣	حرف الزاي	
سوموا فان الملائكة قد سومت	٤٥٢/١	الزاد والراحلة	٤٢٨/١
سيد الاستغفار أن تقول :		الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل	٢٤/٤
اللهم أنت ربي	٢٧٤/٢	حرف السين	
زاد المسير ج ٩ : م - ٢٠		سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة	٦٠/٣

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
صدقت ، ذلك من مدد السماء	٢٧٤/٦	سينهائ ما تقول	
الثالثة		حرف الشين	
٤٥٣/١		شاهت الوجوه	٣٣٢/٣
صل قائماً فان لم تستطع فقاعداً ١/٥٢٧/٤٢٣		شجر بالشام طول الشجرة	
صليت ؟ قال : لا ، قال : فصل		عشرون ومائة ذراع	١٩٠/٥
٣٦٨/٨		شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ٣٢٧/٤	
صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ١٦٥/٩		شغلونا عن الصلاة الوسطى	
الصدقة على المسكين صدقة وعلى		صلاة العصر	١٩٠/٩، ٢٨٢/١
ذي الرحم ثنتان	١٣٥/٩	شهر ا عيد لا ينقصان	١٦٥/٩
الصعود : جبل من نار	٤٠٦/٨	شيبتي هود وأخواتها	٧٢/٤
الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ٨١/٢		الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم	
الصلوات الخمس ، والجمعة إلى		عرفة	٧١/٩
الجمعة كفارة لما بينهن	١٢٩/١	الشرك بالله وقتل النفس وعقوق	
الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات ٦٩/٣		الوالدين	٦٥/٢
الصوم جنة والصدقة تطفئ		الشفق الحمره	٦٤/٩
الخطيئة	٣٣٨/٦	الشمس والقمر ثوران مكوران	
حرف الفصاد		في النار	٣٨/٩
ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ٣/١٥٢/٤٢٣		حرف الصاد	
ضعوا هذا في السورة التي يذكر		صدق الله وكذب بطن أخيك ٤٦٧/٤	
فيها كذا وكذا	٣٩٠/٣		

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
علي ما استطعتم	٤٣٤/٧	حرف الطاء	
علي وفاطمة وولداها	٢٨٥/٧	طلق إحداهما	٤٨/٢
عليكم بالأسود البهيم	٢٩٤/٢	طلق رسول الله ﷺ حفصة ثم	
عليكم منازلکم فانما تكتب آثارکم	٨/٧	راجعها	٤١٠/٦
عمداً فعلته يا عمر	٢٩٩/٢	طولها ستون ذراعاً	١٩١/٦
العز لإزاره والكبرياء رداؤه	٢٢٨/٨	الطهور شطر الإيمان	٣٠٦/٢
العبادة فواق ناقة	١٠٧/٧	حرف العين	
العين حق	٣٤٤/٨	عجب ربك من شاب ليست له	
حرف الفين		صوبة	٥٠/٧
غداً أخبركم	٢٤٩/٥، ١٢٩/٤	عجب الله عز وجل من قوم	
غفر الله لك يا أبا بكر ، ألسنت		يدخلون الجنة في السلاسل	٤٤٠/١
تمرض ؟ ألسنت تحزن ؟	٢١٠/٢	عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله	
الغاسق النجم	٢٧٤/٩	له خير	٣٩/٣
حرف الفاء		عجل هذا	٤١٩/٦
فأتينا السماء السابعة ، قيل : من		عرضت علي أمي وأعلمت من	
هذا ؟ قيل : جبريل	٤٦/٨	يؤمن بي ومن يكفر	٥١٠/١
فأنتي أبا بكر	٣٠٨/٨	عني لأمتي عما حدثت به أنفسها	
فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله		ما لم تتكلم أو تعمل	٢٠٤/٤
أن يدعني ويفتح علي بمحمد		علام تشمتني ؟	١٩٦/٨
لا أحصيها الآن	٤٥١/٦	علي رسلكما إنها صفة	٢٧٨/٩

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
فضلنا على الناس ثلاث	٩٣/٧	فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم	
فكذلك يحبي الله الموتى وتلك		عليكم حرام	٣٩٥/٣
آية في خلقه	٤٧٦/٦	فان ربكم يقول : هل جزاء من	
فا رأيت عبقر يا يفري فري عمر	٢٢٦/٥	أنعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة	١٢٣/٨
فا يمنعكم أن تتبعوني ؟	٩٣/٥	فانها تذهب حتى تسجد بين يدي	
فن كان متحريرا فليتحررها في		ربها	٤٥٤/٤
السبع الأواخر	١٨٧/٩	فانها لا يُرمى بها لموت أحد	
فيا استطعتن وأطقن	٢٤٥/٨	ولا لحياته	٣٨٩/٤
فينشفون الماء ويتحصن الناس		فأنت الخير السمين	٨٢/٣
منهم في حصونهم	١٩٤/٥	فاني نذير لكم بين يدي عذاب	
فيقول الله عز وجل : ارجعوا		شديد	٢٥٨/٩
فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة	٨٥/٢	فينا أنا أمشي سمعت صوتاً من	
فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم		السماء	٥/١
وهو قائم يصلي يعني يوم الجمعة	١٨٩/٩	فدخلوا يزحفون على أستاههم	٨٦/١
حرف القاف		فربطته بالحلقة التي يربط به	
قاربوا وسددوا	٢١٠/٢	الأنبياء	٥/٥
قال : أصبح من عبادي مؤمن بي		فركبته حتى أتيت بيت المقدس	٥/٥
وكافر	٩٥/٦	فضلت سورة على سائر القرآن	
قال ربكم عز وجل : أنا أهل		بسجدين	٤٥٤/٥
أن اتقى	٤١٤/٨	فضلت على الأنبياء بست	٣٩٤/٦

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة ٢٩١/٢		قال الله تعالى : إذا هم عبدي	
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي		بسيئة فلا تكتبوها عليه ٣٤٣/١	
نصفين ٤١٣/٤		قال الله عز وجل : إني خلقت	
قل آمنت بالله ثم استقم ٢٥٤/٧		عبادي حنفاء ٣٠٢/٦	
قل لا إله إلا الله أشهد لك بها		قال الله عز وجل : المتحابون في	
يوم القيامة ٢٣١/٦		جلالي ٤٤/٤	
قلتم كذا وكذا ٤٦٥/٣		قتل الصبر لا يمر بذنب إلا عاه ٣٣٦/٢	
قم يا فلان فانك منافق ٤٢٣/٦		قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين	
قول عيسى عليه السلام : وجعلني		نبياً ٢٦٥/١	
مباركاً أينما كنت ٢٢٩/٥		قد أذنت لك ٤٤٩/٣	
قوموا إلى سيدكم ١٩٣/٨		قد أفلح من أسلم ورزق كافاً	
قيام العبد من الليل ٣٣٧/٦		قد بايعتك كلاماً ٢٤٥/٨	
قولوا : اللهم صل على محمد وعلى		قد جاءكم شهر مبارك افترض الله ١٩٢/٩	
آل محمد ٤١٨/٦		عليكم صيامه	
القبر كقطع الليل المظلم ٢٢٧/٧		قد سمع الله ما تقول ، فإن شاء	
حرف الكاف		أجابك ٢١٤/٢	
كاتب الحسنات على يمين الرجل ١١/٨		قد قال أخي يعقوب : سوف	
كاد يصيبنا في خلافاك بلاء ٣٨٠/٣		أستغفر لكم ربي ٢٨٧/٤	
كان ذو الكفل رجلاً لا ينزع عن		قد قبلك ٣٨٥/٦	
ذنب ٣٨٠/٥		قد كنت أحب أن أراك على غير	
		جوار ١٠٤/٦	

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
كذب إبراهيم ثلاث كذبات ٣٦٠/٥، ٢٥٨/٤		كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار	١٧٠/٢
كذبت يهودية ٢٢٧/٧		كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل فيه بيت طرفه (ويأتيك بالأخبار من لم تزود)	٣٥/٧
كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهياً ٣٤/٧		كان رسول الله ﷺ بعد يستعيز من عذاب القبر	٢٢٧/٧
كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم		كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل	٣١٨/٧
أن يرغبوا عما جاء به نبيهم ٢٧٩/٦		كان ليعقوب أخ مؤاخ	٢٧٤/٤
كل أمتي يدخلون الجنة ١٥٢/٩		كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض	٣١/٣
كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا ٣٨٣/١		كانت الأولى من موسى نسيانا	١٦٣/٥
كل ذي ناب من السباع حرام ١٤١/٣		كانت الملائكة تخرج إلى البيت قبل آدم	١٤٤/١
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ١٠٢/٨		كانوا أهل قرية لثاماً	١٧٥/٥
كل عين زانية ٣٥/٦		كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض	٤٥٠/٥
كل من مال يتيمك غير مسرف ١٦/٢		كثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام ٢٩٩/٨	
كل مولود يولد على الفطرة ٣٠٠/٦، ١١/٣		كذا أنزلت علي فاكبتها	٨٦/٣
كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ٥٣٤/١			
كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ١٤٦/٩، ٤٢٩/٨			
كلمتان خفيفتان على اللسان ١٥٩/٨			
كلهم راع وكلهم مسؤول عن رعيته ٣١٣/٨			
كلهم في الجنة ٤٨٩/٦			

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةٌ جُدُرٌ ١٣٤/٥		كَلَّا لَإِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بَرْدَةٍ غَلِيَّا ٤٩٢/١	
لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ أَكْلَ الرِّبَا وَمَوَاطِنَهُ ٣٣٠/١		كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِكُمْ ١٥٦/٧	
لَعَنَ الْعَاضِظَةَ وَالْمُسْتَعْظِظَةَ ٣٠٥/٥ ٤١٩/٤		كَمَلٌ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ٣١٧/٨	
لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ ٢٠٥/٢		كَمْ بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ؟ ١٨٥/٩	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهَا ١٠٧/٦		كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَّاحٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَيِّ الدَّحْدَاحِ ٢٩٠/١	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ٣٥٥/٦	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		وَأَخْرَجَهُمْ فِي الْبَعْثِ ٣٥٥/٦	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ٣٥٥/٦	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ٣٩٠/٨	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بَنِيهِمْ ٤٥٦/١	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		الْكِبَائِرُ: الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ ٤٥٦/١	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		الْوَالِدِينَ ٦٤/٢	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		الْكِبَائِرُ سَبْعُ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ أَوْلَهُنَّ ٦٣/٢	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		الْكِبَائِرُ الشَّرْكُ بِاللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ ٦٣/٢	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		الْكُنُودُ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ وَيَمْنَعُ ٦٣/٢	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		رَفَدَهُ وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ ٢٠٩/٩	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		حَرْفُ اللَّامِ ٢٠٩/٩	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		لَا تُسْتَغْفَرُونَ لَكُمْ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكُمْ ٥٠٧/٣	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		لَئِنْ ظَفَرْتُ بِقَاتِلِ حِمْزَةٍ لِأَمْلُثَنَّ بِهِ ٥٠٧/٤	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا ١١٥/٢ ٣٦/٣	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرِّجْلَانِ ٣٦/٣	
لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ ١٠٧/٦		ثَوْبَهُمَا يَبِينُهَا ٢٩٨/٣	

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
لو أن يوسف قال إني حفيظ	١٣٩/٨	لكل نبي حرم وحرمي المدينة	١٣٩/٨
عليم إن شاء الله ، لملك من وقته ٢٤٤/٤	٨١/٢	للملوك طعامه وكسوته	٨١/٢
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ٨٢/٨	٤١٠/٢	لم أومر بذلك	٤١٠/٢
لو دخلوها ماخرجوا منها ، إنما		لم نأت لقتال أحد إنما جئنا	
الطاعة في المعروف ١١٥/٢	٤٢٢/٧	لنطوف بهذا البيت	٤٢٢/٧
لو رأيتم الطير تحطفا فلا تبرحوا		لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا	
من مكانكم ٤٧٦/١	٦٨/٧ و ٣٦٠/٥	ثلاث كذبات	٦٨/٧ و ٣٦٠/٥
لو شئت لأجرى الله معي جبال		لما أصيب إخوانكم بأحد جعل	
الذهب والفضة ٨١/٦		الله أرواحهم في أجواف	
لو فعله لأخذته الملائكة ٧/٧	٤٩٩/١	طير خضر	٤٩٩/١
لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ١٧٧/٩	٣٩٦/٢	لما بعثني الله برسالة ضقت بها ذرعاً	٣٩٦/٢
لو قالها لجاهدوا في سبيل الله ٣٩٢/٦		لما غشينا من أمر الله ما غشينا	
لو قلت نعم لوجبت ٤٣٤/٢	٧٠/٨	تغيرت	٧٠/٨
لو كان الايمان عند الثريا لثاله		لمن عمل بها من أمتي	١٦٦/٤
رجال من هؤلاء ٢٥٩/٨ و ٤١٦/٧	٣٦/٣	لكن الله يدري وسيقضي بينهما	٣٦/٣
لو كان بعدي نبي لكاف عمر		لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة ١٧٢/٨	١٧٢/٨
ابن الخطاب ٣٠٨/٨		لو أعطاني لأوفيته إني لأمين في	
لو كانت الدنيا تساوي عند الله	٥٣١/١	السماء أمين في الأرض	٥٣١/١
جناح بعوضة ٣١٤/٧		لو أنكم تاكلون على الله حق توكله	
لو كان الدين عند الثريا لذهب به	٢٩٢/٨	لوزقكم كما يرزق الطير	٢٩٢/٨
رجل من فارس ٤١٦/٧			

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
ليس الغنى عن كثرة العرض	١٦٠/٩	لو كان على أيك دين قضيته أما	
ليس لبني النضير على بني قريظة		كان ذلك يجرى عنه ؟	٢١٦/١
فضل في عقل ولا دم	٣٧٦/٢	لو لبثت في السجن ما لبث يوسف	
ليس المسكين الذي ترده التمرة		لأجبت الداعي	٢٣٦/٤
والتمرات	٣٢٨/١	لو يعلم المؤمن ما عند الله من	
ليس من مولود يولد إلا على هذه		العقوبة ما طمع بيجته أحد	٤٠٥/٤
الفطرة	١١/٣	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم	
ليلة الضيف واجبة على كل مسلم	٢٣٧/٢	عند كل صلاة بوضوء	٣٠٠/٢
ليلني منكم أولو الأحلام والنهي	٤٨٧/١	لولا أن تحزن النساء، أو تكون	
لهنك العلم يا أبا المنذر	٣٠٢/١	سنة بعدي لتركه	٥٠٧/٤
الآن حمي الوطيس	٤١٥/٣	لولا أن الكلاب أمة من الأمم	
الآيتان من آخر سورة البقرة من		لأمرت بقتلها	٢٩٤/٢
قرأهما في ليلة كفتاه	٣٤٤/١	ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل	١٩٨/٥
الذي في عينه يياض	٣٦٢/٥	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل	
الذي يأتي امرأته في دبرها هي		والنهار	٤٢٧/٣
اللوطة الصغرى	٢٥٢/١	ليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر	٢٨٨/٨
الذين إذا رُؤوا ذُكر الله	٤٣/٣	ليس أحد أحب إليه المدح من الله	
حرف الميم		عز وجل	٢٥٦/٢
ما أبقيت لأهلك	٢١٣/٨	ليس بأرض ولا امرأة ولكنه	
ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة	٢٢٣/٩	رجل ولد عشرة من الولد	٤٤٣/٦

الحديث ج ص

ما بين النفختين أربعون ٢٥/٧٥٧٠/٣
 ما تجدون في التوراة في شأن الزنا ٣٦٦/١
 ما تجرع عبد جرعة أفضل عند
 الله من جرعة غيظ يكظمها ٤٦١/١
 ما ترى يا ابن الخطاب ٣٧٩/٣
 ما تواضأ عبد فأحسن الوضوء ثم
 قام إلى الصلاة ، إلا غفر له ٣٠٤/٢
 ما خلأت ولكن حبسها حابس
 القيل ٤٢١/٧
 ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل
 ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ٢٢٧/٣
 ما زال جبريل يوصيني بالجار ٨٠/٢
 ما السموات السبع في الكرسي
 إلا كحلقة ملقاة في فلاة ٣٠٤/١
 ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ٣١٧/١
 ما ظنك باثنين الله ثالثها ٤٤٠/٣
 ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا
 في الجاهلية ٣٨٩/٤
 مالي أراكم سكوتاً ؟ ١١٢/٨
 مالي أراكم عزين ! ٣٦٥/٨

الحديث ج ص

ما أردت بما أرى ٤٩٩/٣
 ما أدري تبعاً ، نبي أو غير نبي ٣٤٧/٧
 ما اسمك ؟ ١٢٩/٧
 ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن
 فقال : اللهم إني عبدك ١٩١/٩
 ما أصر من استغفر وإن عاد في
 اليوم سبعين مرة ٤٦٤/١
 ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ٨١/٢
 ما الذي أثنى الله به عليكم ؟ ٥٠١/٣
 ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ٣٨٥/٨
 ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً ٤٩٦/٣
 ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ٨٦/٥
 ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه
 الآية الفادة ٢٠٥/٩
 ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه
 فكلوا ٢٨٣/٢
 ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ٤٧٧/٥
 ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ٤٥٨/٧
 ما بهذا بعثت وقد أبلغتكم
 ما أرسلت به ٨٦/٥

الحديث ج ص

- ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ
فيصلي ١٩٤/٢
- ما من مولود إلا يولد على الفطرة ٣٠٠/١١ و ٣٠٠/١٢
- ما من يوم يصبح العباد فيه إلا
ملكاً ينزلان ٤٦٢/٦
- ما منكم من أحد إلا وقد كتب
مقعه من الجنة ومقعه من النار ١٥٠/٩
- ما منكم من أحد إلا وقد وكل
به قرينه من الجن ٢٧٨/٩
- ما منكم من أحد إلا وله منزلان ٢٠٢/٣
- ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ
الوضوء أو فيسبغ ٣٠٥/٢
- ما نفعني مال قط ما نفعني مال
أي بكر ٣٢٨/٢
- ما نقصت صدقة من مال ٢٣٩/٢
- ما هزم قوم إذا بلغوا اثني عشر
ألفاً من قلة ٣٣٢/٣
- ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ٤٣٩/٤
- ما يغني عنه قيصي من عذاب
الله تعالى ٤٨٠/٣

الحديث ج ص

- ما من أحد إلا وله منزل في الجنة
ومنزل في النار ٢٠٢/٣
- ما من أحد إلا يؤدي زكاة ماله ٥١٣/١
- ما من أحد يلقي الله تعالى إلا
وقد هم بخطيئة أو عملها ٢٠٧/٤
- ما من أيام العمل الصالح فيها أحب
إلى الله من هذه الأيام ١٠٤/٩ و ٤٢٥/٥
- ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا
مثل له يوم القيامة شجاع أقرع ٥١٣/١
- ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته ٤٣١/٣
- ما من عبد قال : لا إله إلا الله
ثم مات على ذلك ١٠٤/٢
- ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به ٣٥٣/٦
- ما من امرئ يتوضأ فيحسن
وضوءه ٣٠٥/٢
- ما من مسلم إلا وله في السماء بابان ٣٤٤/٧
- ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة
ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم ١٩٠/١

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
ملعون من أتى النساء في أدبارهن ٢٥٢/١		ما ينبغي لني أن تكون له	
من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته ٥١٣/١		خاتنة الأعين ٣٩٠/٦	
من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ٢٥٢/١		متعها ولو بقلنسوتك ٢٧٩/١	
من أحب أن يبسط له في رزقه		مثل القائم على حدود الله	
وأن ينسأ له في أثره ٤٠٨/٧		والواقع فيها ٣٤٣/٣	
من أحب أن يزحزح عن النار		مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر	
٥١٧/١		ربه مثل الحي والميت ٣٩٧/٦	
من أحب أن يمثل له عباد الله		مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم ٤٦٤ و ٤٤٦/٧	
قياماً فليتبوأ مقعده من النار ١٢٧/٧		مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ٢١٤ و ٩٧٠/٦	
من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة		مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ٢٦/٩	
فليقرأ (إذا الشمس كورت) ٣٧/٩		مُراً بشعبة وبفلان ٤٧٣/٣	
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ١٥٧/٨		مررت بقبر أمي فضليت ركعتين ٥٠٨/٣	
من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ		مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء	
في الجاهلية ٣٥٧/٣		سبع سنين ٣١٣/٨	
من أطاعني فقد أطاع الله ١٤١/٢		مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ١٨/٧	
من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله		مضت اثنتان وعشرون وبقيت	
بكل عضو منه عضواً من النار ١٣٥/٩		سبع التمسوها الليلة ، الشهر	
من أغلق بابه فهو آمن ٣٤٦/٦		تسع وعشرون ١٨٥/٩	
من أنفق زوجين في سبيل الله ١٥٣/٩		مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ٣٣٠/٦	
من أهرق دمه وعقر جواده ٢٢٥/٣			

الحديث ج ص

- من بني الله مسجداً يتغنى به وجهه الله ٤٦/٦
 من بني مسجداً لله كفضص قطاة ٤٦/٦
 من توضعاً فأحسن الوضوء ٣٠٥/٢
 من توضعاً وضوئي ، ثم صلى الظهر
 غفر له ما كان بينها وبين صلاة
 الصبح ١٦٨/٤
 من جهز جيش العسرة فله الجنة ٣١٧/١
 من حفر رومة فله الجنة ٣١٧/١
 من حفظ عشر آيات من أول
 سورة البقرة ١٠٢/٥
 من حلف بغير الله فقد أشرك ٣/٢
 من حلف على يمين وهو فيها فاجر ٤١١/١
 من دعا إلى هدى كان له من
 الأجر مثل أجور من تبعه ٢٧٧/٢
 من دل على خير فله مثل أجر فاعله ٢٧٧/٢
 من رأى منكم الليلة رؤيا ١٥٧/٧
 من رغب عن سنتي فليس مني ٤١٠/٢
 من سئل عن علم فكتمه ألجم
 يوم القيامة بلجام من نار ٥٢٢/١
- من سره أن ييسط له في رزقه
 وينسأ له في أثره ٤٨١/٦
 من سره أن يتمثل له الرجال قياماً
 فليتبوأ مقعده من النار ١٢٧/٧
 من سعى المدينة يثرب فليستغفر
 الله تعالى ٣٦٠/٦
 من سن في الإسلام سنة حسنة ٩/٧
 من صام رمضان إيماناً واحتساباً
 غفر له ما تقدم من ذنبه ١٦٥/٩
 من طاف بالبيت لم يرفع قدماً
 ولم يضع أخرى إلا كتب الله
 له بها حسنة ٤٢٦/١
 من ظلم قيد شبر طوقه من سبع
 أرضين ٢٩٩/٨
 من عقر جواده ٢٢٥/٣
 من عمل عملاً ليس عليه أمرنا
 فهو رد ٧٠/٦
 من غسل يوم الجمعة واغتسل
 وبكر وابتكر ٩/٧
 من فاتته صلاة العصر فكأنما
 وتر أهله وماله ٢٢٥/٩

الحديث ج ص

- من بني الله مسجداً يتغنى به وجهه الله ٤٦/٦
 من بني مسجداً لله كفضص قطاة ٤٦/٦
 من توضعاً فأحسن الوضوء ٣٠٥/٢
 من توضعاً وضوئي ، ثم صلى الظهر
 غفر له ما كان بينها وبين صلاة
 الصبح ١٦٨/٤
 من جهز جيش العسرة فله الجنة ٣١٧/١
 من حفر رومة فله الجنة ٣١٧/١
 من حفظ عشر آيات من أول
 سورة البقرة ١٠٢/٥
 من حلف بغير الله فقد أشرك ٣/٢
 من حلف على يمين وهو فيها فاجر ٤١١/١
 من دعا إلى هدى كان له من
 الأجر مثل أجور من تبعه ٢٧٧/٢
 من دل على خير فله مثل أجر فاعله ٢٧٧/٢
 من رأى منكم الليلة رؤيا ١٥٧/٧
 من رغب عن سنتي فليس مني ٤١٠/٢
 من سئل عن علم فكتمه ألجم
 يوم القيامة بلجام من نار ٥٢٢/١

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر		من قام من مجلسه ثم رجع إليه	
فلا يجلس على مائدة يدار عليها		فهو أحق به	١٩٣/٨
الحجر	٢٢٨/٢	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً	
من كان منكم يريد أن يقوم من		غفر له ما تقدم من ذنبه	١٩٢/٩
الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين	١٨٥/٩	من قرأ بالآيتين من سورة البقرة	
من لبس الحرير في الدنيا لم		في ليلة كفتاه	٣٤٤/١
يلبسه في الآخرة	٤٩٠/٦	من قتل قتيلاً فله كذا وكذا	٣١٦/٣
من لم تنته صلاته عن الفحشاء		من قتل نفسه بحديدة فحديده	
والمسكر لم يزد من الله إلا بعداً	٢٧٣/٦	بيده	٦١/٢
من مات على ذلك كان مع النبيين	١٢٧/٢	من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف	١٠٢/٥
من نذر أن يطيع الله فليطعه	٤٣١/٨	من قرأ عشر آيات من آخر الكهف	١٠٢/٥
من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها	٢٧٥/٥	من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى	
من هؤلاء	٤٩٤/٣	فيه كانت عليه من الله ترة	٣٩٧/٦
من وجد الزاد والراحلة	٤٢٨/١	من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله	٣/٢
موضع سوط في الجنة خير من		من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبع	
الدنيا وما فيها	٥١٧/١	وعشرين بغية ليلة القدر	١٨٧/٩
من الكبائر شتم الرجل والديه	١٠٢/٣	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	
من مخاطبة العبد ربه	٢٥٠/٧	فلا يؤذ جاره	٨٠/٢

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
فاركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم	٢١٦/٩، ٤٠٠/٤	مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش	١٨٩/٨
ناولني حصيات	٤١٥/٣	المؤمن أكرم على الله عز وجل	
ناولني كفاً من حصاء	٣٣٢/٣	من بعض ملائكته	٦٤/٥
نبي ضيعه قومه	٣٢٠/٢	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	٤٦٤ و ٤٤٦/٧
نحرفنا مع رسول الله ﷺ البدنة		المرء مع من أحب	١٢٨/٢
عن سبعة والبقرة عن سبعة	٤٣٢/٥	المستبان ما قالاً فعلى البادى منها	٢٣٦/٢
نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات	٣٧٣/٢	المسجد الأقصى	٤٢٥/١
نحن معاشر الأنبياء لا نورث	٢٠٩/٥	المسجد الحرام	٤٢٥/١
نزل ملك من السماء يكذبه	٢٣٧/٢	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسهامه	٤٦٤/٧
نزلت في المؤذنين	٢٥٦/٧	المغرب وتر النهار	١٦٦/٩
نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة	٥٠١/١	المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة	٧/٢
نُصِرْتُ بِالصَّبَاً وَأَهْلَكَتْ عَادَ		الموت	٢٦٢/٦
بالدبور	٣٩/٨، ٣٥٧/٦، ٣٦٥/٣	حرف النون	
نعم	٦٩/٥	ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السعرة	٤١٥/٣
نعم إذا كثرت الخبث	١٩٤/٥		
نعم أي أنا محمد	٣٦١/١		
نعم صلي أمك	٢٣٦/٨		
نعم عذاب القبر حق	٢٢٨/٧		

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعني ٤٧٣/٣		نعم، أي: نريت عن القتال في	
هذا ما اصطلع عليه محمد بن	٢٠١/١	الشهر الحرام	
عبد الله وسهيل بن عمرو ٤٠٠/٣	٤١٦/٨	نعم يجمع الله هذه العظام	
هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ٢٧٧/٦	٢٩٠/١	نعم أي يريد منا القرض	
هذا وقومه والذي نفسي بيده	١٥٣/٩	نعم وأرجو أن تكون منهم	
لو أن هذا الدين معلق بالثريا	٤٥٤/٥	نعم ومن لم يسجد لها فلا يقرأها	
لتناوله رجال من فارس ٤١٥/٧		نعم يملك الله ثم يحبسك ثم	
هذه أمتي بالحق يأخذون ٢٩٤/٣	٤٠/٧	يدخلك نار جهنم	
هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها ٢٩٤/٣	٢٢٢/٩	نعمتان مغبون فيها كثير من الناس	
هل أعطاك أحد شيئاً؟ ٣٨٣/٢	٢٢١/٩	النعم الأمن والصحة	
هل أنت إلا أصبع دمية؟ ٣٦/٧	٢٢١/٩	النعم الماء البارد	
هل تدرون ماذا قال ربكم؟	٢٢٩/٥	نفاعاً حيثما توجهت	
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ١٥٣/١٢٣	٢٦٩/٦	نهى رسول الله ﷺ عن الخذف	
هل تدرون ما الكوثر؟ ٢٤٨/٩		نهى رسول الله ﷺ عن كل	
هل تدرون مم أضحك؟ ٢٥٠/٧	١٤١/٣	ذي ناب من السباع	
هل تضارون في رؤية الشمس		حرف الماء	
والقمر ليس دونها سحب؟ ٤٢٣/٨	٤٨٩/٦	هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة	
هل جئتم في عهد أو هل جعل	١١٤/٢	هات المفتاح	
لكم أحد أماناً؟ ٤٣٨/٧		هذا ما أوحى إلي أنه محرم على	
هل مرت يوادي أهلك محلاً ثم	١٤٤/٣	المسلمين وعلى اليهود	
مرت به يهتز خضراً؟ قلت: نعم ٤٧٦/٦			

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
من حولي كما ترى يسألني النفقة ٣٧٧/٦		هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى	
من لا إله إلا الله وسبحان الله		والشمس وضحاها ؟ ٨٦/٩	
والحمد لله والله أكبر ١٦٩/٤		هلا قلت : إن أبي هارون وإن	
هي النخلة ٣٥٨/٤		عمي موسى وإن زوجي محمد	٤٦٦/٧
هي ما بين أن يجلس الإمام إلى		هلك المصرّون ٢٠٤/٤	
أن تقضى الصلاة ١٨٩/٩		هم إخوانكم خولكم	٨١/٢
حرف الواو		هم ثلاثة أصناف صنف منهم	
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة		أمثال الأرض ١٩٠/٥	
ألا وإن القوة الرمي ٣٧٤/٣		هم الجن وإن الشيطان لا يخجل أحداً	
وألزمهم كلمة التقوى لا إله إلا الله ٤٤١/٧		في داره فرس عتيق ٣٧٥/٣	
وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم ٤٩٤/٣		هم قوم تحابوا بروح الله ٤٣/٤	
وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني		هم قوم هذا ٣٨١/٢	
الذي أخرجكما ٢٢٣/٩		هم اليوم أربعة ٣٥٠/٨	
وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ٣٨٢/٦		همت يهود بالغدر ٢٠١/٨	
وتجعلون رزقكم قال : شكركم ١٥٤/٨		هو أهل أن يتقى ٤١٤/٨	
وجدني في أهل غنيمة يشقّ ٤٣١/٤		هو جبل من نار يكلف أن يصعده ٤٠٦/٨	
وصلاة الرجل في جوف الليل ٣٣٧/٦		هو الطهور ماؤه الحل ميتته ٢٧٩/٢	
وفى عمل يوم بأربع ركعات		هو قرن ينفخ فيه ٦٨/٣	
في أول الثّهار ٧٩/٨		هو مسجدني هذا ٥٠١/٣	
		هو نهر أعطانيه ربي عز وجل ٢٤٨/٩	

الحديث ج ص

- والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا
النعم يوم القيامة ٢٢٣/٩
- والذي نفسي بيده لو تابعتن حتى
لم يبق منكم أحد لساير بكم الوادي نارا ٢٦٩/٨
- والذي نفسي بيده لو دنا مني
لاختطفته الملائكة عضواً عضواً ١٧٧/٩
- والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب إليه من نفسه ... ٣٥٣/٦
- والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم
شيئاً يعظمون به حرمة الله إلا ٤٢٤/٧
- والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي
أحد من هذه الأمة ١٩٨/٩، ٣٦٥/١
- والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة
ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا
في الفرقان مثلاً ١٠/١
- وما الذي أهلكك ٢٥١/١
- وما يدريك لعل الله اطلع على
أهل بدر ٢٣٢/٨
- (ومم ذاك) قاله لأسماء بنت عميس ٣٨٤/٦
- ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر ٣٠٨/٨
- «ويأتيك من لم تزوده بالاجبار» ٣٥/٧

الحديث ج ص

- ولذكر الله إياكم أكبر من
ذكركم إياه ٢٧٤/٦
- والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ٢٣٢/٦
- والله لأمثلن بسبعين منهم ٥٠٧/٤
- والله إنك لحير أرض الله وأحب
أرض الله إلى الله ٢٧٤/٧
- والله في عون العبد ما كان العبد
في عون أخيه ٤٦٤/٧
- والله ليتمن الله هذا الامر ٣١/٣
- والله لو باعني أو أسلفني لقضيته ٣٣٥/٥
- والله لينتك العلم أبا المنذر ٣٠٢/١
- والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل
ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ٤٣٧/٣
- والله ما صليتها ١٣٠/٧
- والذي نفس محمد بيده إن دواب
الارض لتسمن ١٩٤/٥
- والذي نفسي بيده إنها لتعدل
ثلث القرآن ٢٦٤/٩
- والذي نفسي بيده لأقضي بينكم
بكتاب الله ٥٨/٨، ٦/٦

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
لا ، إن الله جميل يحب الجمال	٢٤٨/٦	ويحك إنها كاتبة فما أعددت لها ؟	٣٨٥/٨
لا بأس طهور إن شاء الله	٢١٨/٩	ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدى شكره	
لا ؛ بل لكل من عبد من دون الله	٣٩٢/٥	خير من كثير لا تطيقه	٤٧٢/٣
لا ، بل للناس كافة	١٦٦/٤	ويل للأعقاب من النار	٣٠٣/٢
لا ، بل هم الذين يصلون وهم مشفقون	٤٨٠/٥	ويل : واد في جهنم	١٠٦/١
لا تأتوا النساء في أعجازهن	٢٥٢/١	الورود : الدخول لا يبقى برّ	
لا تبأشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها	٣٢/٦	ولا فاجر إلا دخلها	٢٥٥/٥
لا تصدقوا إلا على أهل دينكم	٣٢٧/١	الولد ثمرة القلب وإنه مجبنة مبخله	٥٢/٥
لا تجالسوهم ولا تكلموهم	٤٨٧/٣	« حرف لا »	
لا تجعلوا بيوتكم مقابر	١٩/١	لا أراك تكلمني في حد من حدود الله	٣٥٢/٢
لا تحرم الإملاجة والإملاجان	٤٦/٢	لا أجد ما أحلكم عليه	٤٨٥/٣
لا تحرم الرضعة أو الرضعتان	٤٦/٢	لا أسأل قد اكتفيت	٣١٩/٧
لا تحرم المصة أو المصتان	٤٦/٢	لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله	
لا تحلفوا بآبائكم	٣/٢	وأني رسول الله	٨٥/٦
لا تخبري أحداً ، وإن أم إبراهيم		لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة	
علي حرام	٣٠٣/٨	على رقبته بعير له رغاء	٤٩٣/١
لا تخبري عائشة	٣٠٩/٨	لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ،	
لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها		ونصر عبده	٣٧٢/٦
		لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر	
		قد اقترب	١٩٤/٥

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
لا تُكرهن أحداً من أصحابك		لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن	
على المسير معك	٢٣٦/١	عمره فيما أفناه	٢٢١/٩
لا تنحن ...	٢٤٧/٨	لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها	٣٧٧/٦
لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن		لا تسبني عنه	٢٣٦/٢
الكتابة	١/٦	لا تسبوا أصحابي	٤٤٩/٧
لا حاجة لي فيه	٣٠٤/٨	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر	٣٦٣/٧
لا حلف في الإسلام	٧٣/٢	لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا	
لا خير في دين ليس فيه ركوع	٤٥٢/٨	النفس التي حرم الله إلا بالحق	٩٢/٥
لا صلاة بحضرة طعام	١٦٧/٩	لا تشربوا في آنية الذهب والفضة	٣١٤/٧
لا طلاق قبل النكاح	٤٠١/٦	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا	
لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك	٤٠١/٦	تكذبوهم	٢٧٦/٦
لا فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد		لا تقطع يد السارق إلا في ربع	
من دون الله	٤١٣/١	دينار فصاعداً	٣٥٢،٣٥٠/٢
لا فضل لعربي على أعجمي	٤٧٥/٧	لا تقتل نفس ظالماً إلا كان على	
لا قطع على الخائن	٣٥٢/٢	ابن آدم الأول كفل من دمه	
لا ، ما زال ملك يسترني حتى			٣٣٦،٣٣٢/٢
ولت	٢٦٢/٩	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس	
لا نبرح حتى نتاجزهم	٤٢٢/٧	من مغربها	١٥٦/٣
لا نورث ما تركنا صدقة	٢٠٩/٥	لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون	
لا هجرة بعد الفتح	٤١٩/٧	كذابون	٣٩٦/٦

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
لا يدخلن هذا عليك	٣٣/٦	لا والله قد أوحى إلي أنكم	
لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد		تفتنون في قبوركم	٢٢٧/٧
اللوات والعزى	٤٢٧/٣	لا ، ولكن لا يبلغ عني إلا	
لا يزال لسانك رطباً من ذكر		رجل مني	٣٩١/٣
الله تعالى	٣٩٧/٦	لا والله لا يلقى حبيبه في النار	٣١٨/٢
لا يستحيي الله من الحق	٢٥٢/١	لا ياعمر حتى أكون أحب إليك	
لا يضرك بأيهما بدأت	٣٥/٧	من نفسك	٣٥٣/٦
لا يفرك مؤمن مؤمنة	٤٢/٢	لا يأمن حيث وجد	٣٠٦/٥
لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه	١٩٠/١	لا يؤلف تحت الأرض	٣٨٥/٨
لا يقم الرجل الرجل من مجلسه		لا يبقى على رأس مائة ممن هو	
ثم يجلس فيه	١٩٣/٨	اليوم على ظهر الارض أحد	١٦٨/٥
لا يميس القرآن إلا طاهر	١٥٢/٨	لا يبقى على ظهر الارض مدر	
لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن		ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الاسلام	٤٢٧/٣
الظن بالله عز وجل	٤٦٩ و ٢٥١/٧	لا يبولن أحدكم في الماء الدائم	٣٦٤/٨
لا ينحني له ، ولا يلتزمه ولا يقبله	٢٩٠/٤	لا يتم بعد حلم	٣٦٠/٣
لا ينظر الله الى رجل أتى امرأة		لا يجمع بين المرأة وعمتها وبين	
من الدبر	٢٥٢/١	المرأة وخالتها	٥١/٢
حرف الباء		لا يحل أن تأتوا النساء في	
يا أبا ذر اذا طبخت مرقة	٨٠/٢	حشوشهن	٢٥٢/١
يا أبا ذر تدري أين ذهب الشمس	٤٥٤/٤ ؟	لا يخجل بيت فيه عتيق من الخيل	٣٧٥/٣
		لا يدخل الجنة قتات	٣٣٢/٨

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا ٢٦٥/٢		يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا ؟ ٣٦/٣	
يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر		يا أبا سعيد من رضي الله رباً	
٢٤٨/٥ مما تزورنا		وبالإسلام ديناً ١٧٥/٢	
يا جند هل لك في جلاد بني الاصر ؟ ٤٤٩/٣		يا أبا المنذر أتدري أي آية من	
يارب كيف أصنع انما انا وحدي		كتاب الله معك أعظم ؟ ٣٠٢/١	
٣٩٦/٢ يجتمع علي الناس		يا ابن آدم أنفق أنفق عليك ٤٦٢/٦	
٢٦٨/٨ يا سليك قم فاركع ركعتين		يا ابن عمر مالك لا تأكل ؟ ٢٨٢/٦	
٢٥٨/٩ و ٤٦٥/٦ يا صباحاه		يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي	
يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني		خلقكم من نفس واحدة ٢٠٧/٥	
٣٠٢/٥ فيما استفتيته فيه		يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد ٤٧٥/٧	
يا عائشة اني أريد أن أعرض		يا أيها الناس ان الله حرم مكة	
٣٧٧/٦ عليك أمراً		يوم خلق السموات والارض ١٩٩/١	
يا عائشة الامر أشد من ان ينظر		يا أيها الناس انكم تحشرون الى	
بعضهم الى بعض ٣٦/٩ و ٣٩٦/٥		الله حفاة ٣٩٦/٥	
يا عائشة أما شعرت أن الله		يا أيها الناس انما أنا رحمة مهداة ٣٩٨/٥	
أخبرني بدائي ٢٧١/٩		يا أيها الناس اني قد كنت أذنت	
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ٣٧٠/٣		في الاستمماع ٥٣/٢	
يا علي لا تتبع النظرة النظرة		يا أيها الناس أي يوم هذا ؟ ٢٧٢/٥	
٣٢/٦ يا عاه ان الله قد عصمني من		يا ثوبان ما غير وجهك ؟ ١٢٦/٢	
٢٦٥/٢ الجن والإنس			

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
يا امر الله عز وجل اسرافيل		يا عمر ان اولئك قوم عجلت	
بالنفخة الاولى	٢٢٠/٧	لهم طياتهم	٣٨٢/٧
يؤتى بالرجل الاكول الشروب		يا عمرو صليت بأصحابك وأنت	
العظيم فيوزن	١٩٨/٥ و ١٧١/٣	جنب ؟	٦١/٢
يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال :		يا عمر ضع سيفك	٣٥/٧
اعرضوا عليه صغار ذنوبه	١٠٧/٦	يا غلام اني أعلمك كلمات	٢٩٢/٨
يؤتى بالموت في صورة كبش أملح	٣٥٢/٧	يا فلان اخرج فإنك منافق	٤٩٢/٣
يؤتى يوم القيامة بناس الى الجنة	٢٣٤/٥	يا فلان يا فلان اشهدوا	٨٧/٨
يبسطها ويمدها مد الأديم	٣٧٥/٤	يا مرثد الزاني لا ينكح الا زانية	
يتبع الميت ثلاثة	٢١٩/٩	او مشركة	٢٤٥/١
يتجلى لهم الرب	٢١/٨	يا معشر الشباب من استطاع	
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل		منكم الباءة فليتزوج	٣٦/٦
وملائكة بالنهار	٣١١/٤	يا معشر قريش اشترؤا أنفسكم	
يجاء بالموت يوم القيامة كأنه		من الله	١٤٧/٦
كبش أملح	٦٠/٧	يا معشر قريش لقد خالفتم ملة	
يجزئك الثلث	٣٤٤/٣	أيكم ابراهيم	٣٧٣/١
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل	١٥٤/١	يا معشر النساء تصدقن	٢٣٧/٤
يحرم من الرضاة ما يحرم من		يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	٣٤٠/٣
الولادة	٤٦/٢	يا ويح ثعلبة	٤٧٣/٣
يحشر صاحب الربا مع صاحب		يا يهودي ان الإسلام يسبك الرجال	٤١٠/٥
الربا	٥٢/٧	يا أجوج أمة ومأجوج أمة	١٩٠/٥

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
يقول ربكم : أنا مع عبدي		يحشر الناس يوم القيامة حفاة	
ماذكرني وتحركت بي شفتاه ٣٩٦/٦		عراة غرلاً ٣٦/٩ و ٣٩٦/٥	
يقول العبد : مالي مالي ، إنما له		يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ٣٠٥/٥	
من ماله ثلاث ٢١٩/٩		يخلص المؤمنون من النار ،	
يقول الله تعالى : ابن آدم أتى		فيحبسون على قنطرة بين الجنة	
تعجزني وقد خلقتك ؟ ٤٢٩/٤		والنار ٢٠٠/٣	
يقول الله تعالى : إذا هم عبدي		يدرس الإسلام كما يدرس	
بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ٢٠٥/٤		وشي الثوب ٨٤/٥	
يقول الله تعالى : أعددت لعبادي		يدنو المؤمن من ربه عز وجل	
الصالحين ما لا عين رأت ٣٣٩ و ٢٢٤/٦		حتى يضع عليه كنفه ٣٤٣/١	
يقول الله عز وجل : أتني خلقت		يطوي الله عز وجل السموات	
عبادي حفاء ١٣٩/٩		يوم القيامة ١٩٦/٧	
يقول الله تعالى : أتني مبتليك		يفزو جيش الكعبة ، فإذا كانوا	
ومبتلي بك ٨١/٦		بيداء من الأرض ٤٦٨/٦	
يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم :		يقبض الله الأرض يوم القيامة	
قم فابعث بعث النار ٤٠٣/٥		ويطوي السماء يمينه ١٩٦/٧	
يقول الله عز وجل : من جاء		يقضي الله في ذلك ٢٥/٢	
بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ١٥٩/٣		يقال لقارئ القرآن : اقرأ ورتل ٣٨٩/٨	
يقول الله عز وجل لأهل الجنة :		يقال للرجل من أهل النار يوم	
يا أهل الجنة هل رضيتم ٤٦٩/٣		القيامة ٤٢٠/١	
		يقول ابن آدم مالي مالي ٢١٩/٩	

الحديث	ج ص	الحديث	ج ص
يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة ٧٠/٣		يقول الله تعالى : يؤذيني ابن آدم	
ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ٣٩٦/١		يسب الدهر ٣٦٤/٧	
ينزل الله تبارك وتعالى في كل		يقوم أحدهم في رشحه الى أنصاف	
ليلة الى سماء الدنيا ٣٦١/١		أذنيه ٥٣/٩	
يوشك أن يأتي زمان يغربل فيه		يكشف ربنا عن ساقه ٣٤١/٨	
الناس غربلة ٩٦/٦		يكون النسم طيراً يعلق بالشجر ١٥٧/٨	



فهرس الشعر

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
حرف الهزة			
أروني خطة	... السواء	زهير بن أبي سلمى	٤٠٢/١
فإن تدعوا	... بقاء	» » »	٤٠٢/١
وما أدري	... نساء	» » »	٨٢/١
وقد أغدو	... لما نشاء	» » »	١٢٩/٢
وجبريل	... ليس له كفاء	حسان بن ثابت	١١٨/١
ألا أبلغ	... نخب هواء	» » »	٣٧١/٤
أجمعوا أمرهم	... لهم ضوضاء	الحارث بن حلزة	١٤٣/٢
وبوت في	... مبوؤها		٢٢٤/٣
ملك بها	... ما وراءها	قيس بن الخطيم	١٠٣/٨
ليس من	... ميت الأحياء	عدي بن الرعلاء	٣٧٠/١
ورث بناء	... أعراف البناء		٣٧٣/٣
فاضرب وجوه	... على السواء		٢٠٥/٣

حرف الباء

بأي بلاء أم	... مسلم والمهلب	بشر بن أبي خازم	١٤٠/٥
-------------	------------------	-----------------	-------

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وداع دعا	... ذاك مجيب	كعب بن سعب الغنوي	١٨٩/١ و ٥٠٤
فإن تسألوني	... النساء طيب	علقمة بن عبدة	٩٨/٦ و ٣٨٨
بها جيف الحسرى	... فصيلب	د د	١٠٣/٨ و ١٢٨/٢ و ٤٠١ و ٣٠٧/١
حلفت فلم	... للمرء مذهب	النابعة الذبياني	٣٥٢/٤
ألم تر أن الله	... يتذبذب	د د	٥٠/١
تريك سنة	... ولا ندب	ذو الرمة	٣٩٨/٤
كأنه كوكب	... منقضب	د د	٣٨٨/٤
أنى ومن	... ولا ريب	الكهيت	٣٨٤/١
وجدنا لكم	... ومغرب	د د	٢٠٤/٧
فطائفة قد	... ومذنب	د د	٢٩/٣
وكان ترى	... وعقرب		٤٧١/١
فقلت لها	... ذاك ليب	مضر بن كعب	٢٦٩/٢
أرى كل قوم	... فهو سارب	الأخنس بن شهاب	٣٠٩/٤
وأرغب فيها	... لست أرغب		٣٤٩/٤
كانهم صابت	... ديب	علقمة بن عبدة ^(١)	٤٣/١
فلست لإنسى	... يصوب ^(٢)		٥٩/١

(١) وهو في د ديوانه : ٣٤ ، د و مجاز القرآن ، ٣٣/١ ، د والطبري ، ٣٣٣/١ .

(٢) وهو في د الكتاب ، ٢٠/٢ و د والطبري ، ٣٣٣/١ و ٤٤٥ ، و د أمالي ابن -

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
فإن تكن الأيام ...	لهن ذنوب'		٢٣١/٣ و ٢٣٦/١
ومن لم يغمض ...	وهو عاتب'		٤٢/٢
ومن يتتبع ...	الدهر صاحب'		٤٢/٢
فمن يك ...	بها لغريب'	ضابيء بن الحارث	٤٣٠/٣
تمزتها ...	فتصوبوا		٣٠٤/٣
تقول ابنتي ...	طيب'		١٨٨/٣
تتابع أحداث ...	والخطوب تُشيب'		١٨٨/٣
ما نقم الناس ...	إن غضبوا	عبد الله بن قيس الرقيات	٣٧١/٣
وأنهم سادة ...	عليهم العرب	د د د د	٤٧١/٣
ولقد طعنت ...	أن يغضبوا	أبو أسماء بن الضريية	٩٢/٤
طلباً لعرفك ...	دونك الأسباب'		٢٠٦/٤
ليس في الحق ...	ما يقول الكذوب'		٢٤/١
لنا ذنوب ...	فلنا القليب'		٤٤/٨
تميم بن قيس ...	علي جوائها	الفرزدق	١٥٣٤ و ٥٢١/١
وقفت على ...	وأخاطبه	ذو الرمة	٣٩٥/٤
وأسقيه حتى ...	وملاعبه	ذو الرمة	٣٩٥/٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وكان أصابت ...	ومنه ثوابها		٤٧١/١
فقلت انجوا ...	وغاربه		١٩٨/٢
أضأت لهم ...	ثاقبة ^(١)	أبو الطحان القيني	٣٩/١
عصيت إليها ...	أرشد طلابها	أبو ذؤيب	٤٤٢/١
فصدقتها ...	كذابه	الأعشى	١٠/٩
ألم تر أن الدهر ...	لغاديه دأبا		٤٣٩/٣
أرى رجلا ...	كفا مخضبا	الأعشى	١٠٥/٥
فما أذكر ...	منها قريبا	د	٢٤٤/٣
جريرة ناهض ...	صليبا	أبو خراش الهذلي	٢٧٥/٢
لا أبتغي ...	واصبا	أبو الأسود الدؤلي	٤٥٦/٤
يمج صيره ...	الماعون صبا		٢٤٦/٩
فانقض كالدرى ...	تخاله طنبا	أوس بن حجر	٣٩٠/٤
خليلي مراني ...	الفؤاد المعذب	د د	١٦/٨
ألم تر أني ...	ولان لم تطيب	د د	١٦/٨
كليني لهم ...	بطيء الكواكب	النابعة الذيباني	٤٥٦/٤

(١) وهو في د الكامل ، للبهر ٤٦ ، ٤٧ ، و د أمالي المرتضى ، ١٨٦/١ ، و د اللسان ،

٢/٩ ونسب في د الحيوان ، ٩٣/٣ ، و د الشعر والشعراء ، ٢٩٢/٢ للقيط بن زرادة .

صدر البيت	الثقافية	الشاعر	الصفحة
ولا عيب فيهم	... قراع الكتائب	النابعة الذبياني	٤٧٢/٣
كان نقيق	... أونقيق العقارب	جرير	١٤٣/٣
أتاني كلام	... أنك عاني	أبو الغول الطهوي	٧٥/٢
فقلنا السلام	... ومؤها بالحواجب		١٢٧/٤
يا صاح بلغ	... عرى الذنب	مالك بن نويرة	٦٦/١
لعمري أيها	... ابن أبي كعب		٣٨٩/٥
أرانا مرصدين	... وبالشراب	النابعة الذبياني	٤٢/٥
لقد نقتب	... بالإياب	امرؤ القيس	٢٢/٨
كطود يلاذ	... المزاعم والمذاهب	النابعة الجعدي	١٧٩/٢
أمرتك الخير	... وذا نشب	عمرو بن معد يكرب	١٢٢/٤ و ٣٢٣/١
يو مان يوم	... إلى الأعداء تأويب	سلامة بن جندل	٤٩٣/٦
لن يذهب	... والياقوت والذهب	مالك بن نويرة	١٢٣/٨
فلو رفع السماء	... مع السحاب		٣٩٤/٨
احبس حمارك	... عمدن لغرب		٤١٢/٨
متبذلاتبدو	... مواضع النقب	دريد بن الصمة	٣١١/٢
امتكتأ تصفق	... العبد بالكوب	عدي بن زيد	٣٢٨/٧
والعير يرهقها	... انتقاض الكواكب	بشر بن أبي حازم	٣٨٩/٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	المضمة
جاؤوا بهيد	... طوال الذنب		١٠٣/٧
حرف التاء			
إذا خدرت	... ودعوت	قيس بن ذريح	٣٤٤/٤
دعوت التي	... وقضيت	د د	٣٤٤/٤
ولكنهم بانوا	... يفجؤك البغت	يزيد بن ضبة	٢٥/٣
وما أدع	... إن مشيت		٣٠/٩
ألي الفضل	... الحساب مقيت	السموئل	١٥١/٢
وليلة ذات	... سراها ليت	رؤبة	٤٧٧/٧
ومنهل فيه	... واستقيت		٣٧٠/١
وذى ضغن	... مساءته مقيتاً	أحيحة بن الجلاح	١٥٠/٢
أبلغ أمير	... إذا أتيتا		٢٠٢/٤
إن العراق	... فهيت هيتا		٢٠٢/٤
قد رابني	... بها هيتا		٢٠٢/٤
قليل الألايا	... الألية برت	كثير	٤١٦/٢
اسيئي بنا	... إن تقلت	د د	٤٥١/٣
صفوحاً فما	... الوصل ملت	د د	٣٠٢/٧
أمين ومن أعطاك	... فافعلت		١٨/١

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٨٠/٤		أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي	
٢٤/٢		كبرت لداقي ...	من اللواتي
٢٠٤/٧		قد أمتت ...	حلفت بالسبع
٢٠٤/٧		نُلثت ...	وبمثنان
٢٠٤/٧		فُصِّلَت ...	وبالحواميم

حرف الجيم

١٩٦/٦	النابعة الجعدي	تهملج ...	بأرعن مثل
١٠٥/٦		وناراً تأججا ...	متى تأتينا
٤٢٩/٨ و ٤٢١/٥		ونرجو بالفرج ...	نحن بنو جعدة
١٥٧/٩		ملاء النساج ...	ياحبذا القمراء

حرف الحاء

٤٥/١	ذو الرمة	مية يبرح ...	إذا غير التأي
١٣٠ و ٤٢/١	د د	في العين أملح ...	بدت مثل قرن
٦٣/٩ و ٢٩٦/٦	تميم بن مقبل	العيش أكدح ...	وما الدهر
٣٩٣/٤	نهل بن حري	طوحته الطوانح ...	ليك يزيد
١٤٠/٥		العيش أروح ...	وكتاهما قد
١٣٦/٥	أبو ذؤيب	الصاب مذبوح ...	إني أرق
٢١٧/٣		وأستريح ...	إني لأرجو

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وانضح جوانب ...	وذبانحُ		٢٥٦/٤
أقارض أقواماً ...	علي كشوحها	النمر بن قولب	٤٥٥/١
على طرق كنعور ...	الصروحا	أبو ذؤيب	١٧٩/٦
فقلت لصاحبي ...	واجتز شيجا	مضرس بن ربعي	١٥/٨
ياليت بعلك ...	سيفاً ورعاً		١٣٨/٨ و ٣٠١/٢
فمن بنجوته ...	يمشي بقرواح	عبيد بن الأبرص	١٩٩/٢
ونحن على جوانبه ...	كالإبل القماح	بشر بن أبي خازم	٧/٧
ألستم خير ...	بطون راح	جرير	٢٨٥/٦ و ٦٠/١
سأشكر إن ...	في جناحي	د د	٢١٩/٦
وأعبد أن ...	وبني رزاح		٣٣٢/٧
أضمه للصدر ...	والجناح		٢٨٠/٥
ألا يا أيها ...	به برّخ		١٦٦/٩
أرى الموت ...	له أروخ		١٦٦/٩

حرف الدال

وأنت زنيم ...	القدح الفردُ	حسان بن ثابت	٣٣٣/٨
فإن ثواب الله ...	فيها يخلدُ	د د د	٢٠٠/٥
ألا حبذا هند ...	والبعدُ	الحطيئة	٣٧٣/٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
فكيف ولم ...	أديمكم قدوا	الخطيئة	٤٠١/٣
تعز أمير المؤمنين ...	ويولد		٢٩٣/٣
عشية لاعفراء ...	منك بعيد	عروة	٢١٦/٣
أنا ابن الذي ...	فسوف تعود		٣٦٣/٥
ترى الناس ...	حولها وقعود		٣٦٣/٥
أما الفقير ...	له سبد	الراعي	٤٦٥/٣
حتى إذا ما ...	ملوي ومحسود		١٤٩/٧ و ٣٦/٤
قد والذي ...	وأذكرك المجلود		١٩٢/٤
فما أجشمت ...	والأكباد سود	الأعشى	٤٥٥/١
كل حي ...	انقض أمده	الطرماح	٣٧٣/١
فآليت لا أرتي ...	تزور محمدا	الأعشى	٣٢/٢
إذا ما انتسبنا ...	بها بدا	زائدة بن صعصة	٢٧٦/٢
فإن شئت ...	ولا يرذا	العرجي	٨/٩ و ٤٣٠/٢
أريني جواداً ...	أو بخيلاً مغلدا	حطان بن يعفر	١٢٤/٤
إذا كنت عزهاة ...	جلعدا	الأحوص	٤٥/٥
فقلت له ...	أهوننا وجددا		١٨/١
أمين وأضناه ...	تباريحه جهدا		١٨/١
تباعد مني ...	ما يبتنا بعدا		١٧/١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
لا ترجي حين ...	أم واحدا		١٨٩/٢
تسمع في ...	جُساءة وبددا		٤٣٤/٤
من البيض لا ...	الحلي جيدها		١٣٨/٤
وإن شئتم تعاودونا عوادا			٣٧٢/٨
أعاذل ما يدريك ...	أو في ضحى الغد	عدي بن زيد	١٠٥/٣
وإني لعبد الضيف ...	شيمة العبد	المقنع الكندي	٣٠٣/٣
فإن الذي حانت ...	يا أم خالد	الأشهب بن رميلة	١٨٣/٧٥٤٠/١
بودي لو أني ...	طريف وتالد	متمم بن نورة	٥٠٩/١
فأصبحت مما كان ...	الماء باليد		٣١٨/٤
أعاذل إن اللوم ...	غيك المتردد	عدي بن زيد	٢٧٤/٥
ألا أيهذا الزاجري ...	أنت مخلد	طرفة	٢٩٦/٦
تمنى رجال ...	فيها بأوحد	د	١٥١/٩٥/٢٩٨/٦
أرى الموت ...	الباخل المتشدد	د	٢١١/٩
متى تأتاه ...	خير موقد	الحطيئة	٣١٥/٧
أسود شرى ...	دماء الأساود	الأشهب بن رميلة	٣٣٧/٨
أنحوي هذا العصر ...	جرهم ومود		٤٤/١
إذا نفيت ...	مقام جحود		٤٤/١
تكاد لا تنلم ...	على رود		٨٥/٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
يا صاحبي	... من أمر بمرود	هانيء بن شكيم	٢٨٥/٤
ولقد غنوا	... ثابت الأوتار	الأسود بن يعفر	١٠٦/٧
ولو انها عرضت	... ضرورة متجدد	النابعة الذبياني	٧٤/٥
لرنا لبيحتها	... وإن لم يرشد	" "	٧٤/٥
أسرت عليه	... جامد البرد	النابعة الذبياني	١٤١/٤
ثكلتك أمك	... عقوبة المتعمد		٢٩٨/٥
نجوت مجالدا	... قديم عهد		١٩٨/٢
ومن يتق	... مؤتاب وغادي		١٤٥/١
على م قام	... في رماد	حسان بن ثابت	١٧٢/٦
فإن تدفنوا	... الحرب لانقعد	امرؤ القيس	٢٧٦/٥
ومنا الذي	... ولم يواد	الفرزدق	٤٠/٩
ألا ليتما	... أو نصفه فقد	النابعة الذبياني	٥٤/١
صادياً يستغيث	... عصرة المنجود	أبو زيد الطائي	٢٣٥/٤
اعتبر أيها	... بالعمر المديد		١١٦/٩
قدني من نصر	... بالشحيح الملحد	حميد الأرقط	٨٤/٧
ضنت بخد	... أصدي		٣٥٣/٣
فقمنا ولما يصح	... عند حدادها	الأعشى	١٩٣/١
لقد بكر الناعي	... وبالسيد الصمد	سبرة بن عمرو	٢٦٨/٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وشباب حسن	... نزار بن معد	الحارث بن دوس	٩١/٨
إن بني الأدرد	... ليسوا من أسد ^(١)	منظور الوبري	٣٩٦/١
إلى أمير	... الممتاذ	رؤبة	٤٥٦/٢
لم يؤذها	... باقليد		١٩٤/٧
وطاب	... وبرذ		٤٦٣/٤

حرف الراء

أما وي	... وضاق بها الصدر	حاتم الطائي	١٥٥/٨
بني عننا	... يوم قاطر		٤٣٥/٨
غنينا زماناً	... بكأسها الدهر	د د	٢٣٢/٣
فما زادنا	... بأحسابنا الفقر	د د	٢٣٢/٣
ألا أيهذا الباخع	... يديه المقادر	ذو الرمة	١٠٤/٥
فلا يدعني	... وتسلم عامر		٢٠٦/٤
فأعصمة الأعراب	... يُعصر		٢٣٤/٤
إذا قلت	... يطلع الفجر	أبو صخر الهذلي	٢٨٤/٤
ولا عانداً	... ولك الشكر	د د د	٣٨٢/٥
وإن فؤاداً	... الهوى لصبور		٣٦٧/٤
ولو أن نفسي	... يُعد كثير		٤٦٩/٤

(١) وهو في إجاز القرآن ١٣٢/٢ ، وغريب القرآن : ٣٤٦ .

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ولكنها نفس ...	اللتام قدور		٤٦٩/٤
وصاحب صدق ...	عامداً أجر ^(١)		٦٧/١
أخو رغب	النوفل الزفر	أعشى باهلة	٢٥٣/٧
تكفيه حزة ...	شربه الغمر	د د	١٤٥/٨
إن امرأ ...	لمغرور		٣٥٦/١
لا يغمز الساق ...	شرسوفه الصقر	أعشى باهلة	٣٢٩/١
الله يعلم ...	إلى جيراننا صور		٣١٤/١
لولا ابن جعدة ...	ينفخ الصور		٦٩/٣
نغالي اللحم ...	نضج القدور		٩١/٤ و ٢٩٨/٣ و ١٤٨/١
فقلنا أساموا ...	الإحزن الصدور	العباس بن مرداس	٥٥/٤ و ٢٨٦/٢
فيوم علينا ...	ويوم نسر	النمر بن تولب	٢٨٦/٢
ما ضر جاراً ...	لبابه ستر	مسكين الدارمي ^(٢)	٤١/١
أعمى إذا ما ...	جارتني الحدر	د د	٤١/١
وتصم عما ...	كأنه وقر	د د	٤١/١
يا رسول المليك ...	إذا أنا بور	عبد الله بن الزبيري	٦٩/٦
وقدراني ...	وبسورها	توبة	٤٠٧/٨

(١) البيت غير منسوب في «مجالس ثعلب» ٨٥/١ واللسان ٢٦٨/١٥ .

(٢) الأبيات الثلاثة في «الشعر والشعراء» ٥٣٠/١ و «معجم الأدباء» ٢٠٦/٤ ، و «أملالي

المرتضى» ١٢٠/٢ و ١٢٣ ، و «لباب الآداب» : ٢٦٥ .

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وقاسمها بالله	... إذا ما نشورها	خالد بن زهير	٨٤/١
وشر المنايا	... الحي حاضرُه	الخطيئة	١١٦/١
المراء يهوى	... قد يضرُه	النابعة الجعدي	١١٩/٤ و ٤٨٥/١
تفنى بشاشته	... العيش مرُه	د د	١١٩/٤
وتصرف الأيام	... شيئاً يسرُه	د د	١١٩/٤
يا ابنة عني	لاخي الهواجيرُ		٤٠٧/٨
فأت أعاليه	... البسر أحمرَا	امرو القيس	٩٣/٣
الاهل أتاها	... تملك بيقرا	امرو القيس	٥٧/٨
جزى ربه	... جزاء موفرا		٢٠٦/٤
ولما رأى	... كان أضمرَا	الفرزدق	٣٩/٤
أبا حاضر	... يصبح مسكرا	د	٣١/٥
تمنى حصين	... أذل وأقهرَا	المخبل السعدي	٦٩/٧
لعمرى لئن	... آل أبجرا	الأبيرد الرياحي	٥٧/٧
رموها	... النعام المنفرا	ليلي الأخيلية	٤٠٠/٨
أحقاً عباد الله	... الأراك به خضرا		١٢٧/٨
نأتي النساء	... أكبرن إكبارا		٢١٨/٤
الشمس طالعة	... والقمرَا	جرير	٣٤٦/٧
لله قبر	... ووقارا	أبو عريف الكلبي	٤١٦/٣

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٢٧/٧		... الثلاث كسيرا	ألف الصفون
٣٨/٧		... إن نفرا	أصبحت لا
١٥٣/٣	الراعي	... واستغارا	رعته أشهرا
٨١/٤	ابن أحمر	... الفرح الإزارا	ولا ينسيني
٢١٢/٣	أمية بن أبي الصلت	... أمس كبيرا	مجدوا الله
٢١٢/٣	د د د	... السماء سريرا	بالبناء الأعلى
٢١٢/٣	د د د	... صورا	شرجعاً لا يناله
٢١٦/٤ و ١٩١/٣		... ينشأ مستعارا	نشرب الإثم
١٤٣/٢	الأسود بن عامر	... عبداً كفورا	وبيت قولي
٧٤/٢	أبو دؤاد الأيادي	... بالليل نارا	أكل امرئ
٣٩٧/٧	الأعشى	... وخيلاً ذكورا	وأعددت
٤٣٨/٨ و ٤٨٧/١	د	... وأرياً مشارا	كان القرنفل
٤٣١/٨	د	... نأياً مستطيرا	فبانت وقد
٢٢٧/١		... الغنى والفقيرا	لا أرى الموت
٣٥٤/٣		... كهرة وزبرا	قلت له
٤٣٠/١		... أم حمارا	فتولى غلامهم
٤٦٤/٤			جعلت عيب الأكرمين سكر
٣٢٠/١			إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ألم تر أن	... وذا ظفّر		١٤٢/٣
نحل بلاداً	... عاد وحمير	ليد	٢٧/١
إذا أدبر	... أرض عامر	الراعي	٤١٣/٥
تمنى كتاب	... حمام المقادر		٤٤٢/٥
فإن حراماً	... على عمرو		٣٨٧/٥
ألا رب	... منتصح الصدّر		٢٦٥/٥
بأرض فضاء	... غير منكر	عبيد بن وهب العبسي	١١٩/٥
فإن تسألينا	... الأنام المسحر	ليد	
ألا إن خير الناس	... في العرف والنكر		٢٢٦/٨
لكم قدم	... طمت على البحر	ذو الرمة	٦/٤
كأن فؤادي	... نهضاً إلى وكر		٣٦٧/٤
فما فتئت	... بني صخر		٢٧٢/٤
بحيش	... سجداً للحوافر	زيد الخيل	٤٥٣/٤
هنالك لا	... مبسلاً بالجرائر	الشنفرى	٦٥/٣
لقد كنت ذا	... ولا ظفري		١٤٢/٣
سقى الله	... المدجنات المواطر		١٧/١
أمين وأدى	... حمام المقادر		١٧/١
فلما التقت	... واعتزينا لعامر	الراعي	٥٠/١

صدر البيت	الثاقبة	الشاعر	الصفحة
يرى طاعة الله	...	جاحم الجمر	١٣٨/١
ولا تبك ميتاً	...	وآل أبي بكر	٢٩٦/١
مستقبلين	...	القطن منشور	٦١/٥
ما بين لقمته	...	قيد أظفور	١٤٢/٣
باتت حواطب	...	ولا ذعر	٢١٨/٦
نازعه طيب	...	وقعة الساري	٥٢/٨
لوما الحياء	...	عبتا عوري	٣٨٣/٤
من الحرائر	...	لا يقرآن بالسور	٤٢٠/٥
نال الخلافة	...	على قدر	٢٤/١
إني ضمننت	...	غير غدور	٤٢٠/٣
من كان مسروراً	...	بوجه نهار	٤٠٥/١
فلست مُسلمًا	...	بتسليم الأمير	١٢٨/٧
أحافرة	...	سفه وعار	١٩/٩
هما استويا	...	بغير زور	٢١٣/٣
ألا أبلغ	...	ثقة إزازي	١٩٢/١
شهد الحطيئة	...	بالقدر	١١٥/١
لمن الديار	...	ومن شهر	٤٣٣/٤ و ٥٠٠/٣
ولأنت تقري	...	ثم لا يفري	٤٦٤/٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
سألتاني	... جثمتاني بنكر	زيد بن عمر بن نفيل	٢٤٦/٦
ويك أن	... عيش ضر	» » »	٢٤٦/٦
لو أسندت	... إلى قابر	الأعشى	٣٢/٩
حتى يقول	... للبيت الناصر	الأعشى	٢١٨/٣
فكان طعم	... وسلافة الخمر	المسيب بن علس	٤٣٧/٨
أبلغ النعمان	... وانتظاري	عدي بن زيد	٥٩/١
لو بغير الماء	... بالماء اعتصاري	عدي بن زيد	٢٣٥/٤
لا يبعدن	... وآفة الجزر	الخرنق بنت هفان	٢٥٣/٢
التازلين	... معاهد الأزر	» » »	٢٥٣/٢
من كيت	... في القدور		٣٥٢/١
أزمان عيناء	... العين الحير		٣٥١/٧
عرفت الديار	... الكاتب الحيري		٥٥/٩
نحن صبغنا	... أو سرارها		٢٥/٩
تمنى ابتائي	... ربيعة أو مضر	ليد	٤٢/١
إلى الحول	... فقد اعتذر	»	٨٧/٩ و ٤٨٣/٣
سلام الإله	... وسما درر	النمر بن قولب	١٠٨/٨
أقني لسان	... قول نكر		٤١٢/١
رمتني بسهم	... فلم أنتصر	امرؤ القيس	٣٦٧/٤

صدر البيت	التافية	الشاعر	الصفحة
أخذته عزة	... فعل الضجر		٢٢٢/١
أتوني فلم أرض	... بشيء نكر	عبدة بن همام	١٤٢/٢
يعلفها اللحم	... اللحم ضرر		٤٣٣/٤
وليلة ظلامها	... مازهر		٤٣٥/٨
وإنما العيش	... معتصر		٢٣٥/٤

حرف الزاي

إذا لقيتك	... الهامز اللمزه	زياد الأعجم	٢٢٨/٩ و ٤٥٥/٣
كأن لم يكونوا	... عز بـ	الخنساء	١٣/٤ و ٢٢٧/٢
قد جرفتن	... الأجرأز		١٠٧/٥
حتى وقنا	... بالرجز	رؤبة	٨٦/١

حرف السين

بثوب ودينار	... هاهنا رأس		٣٩٠/٥
إلى ظعن	... أيمانهن القوارس		١١٧/٥
نبئت أن	... يا كليب المجلس	عدي بن ربيعة	٦٩/٥ و ١١٦/١
خير من	... النساء المجلس		١٠١/١
أضأت لنا	... بالقواد التباسا	النابعة الجعدي	٣٩/١
إذا ما الضجيع	... عليه لباسا	• •	١٩١/١
تضي كضوء	... فيه نحاسا	• •	١١٧/٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
حنقاً علي	... أنراً بئيسا	ذو الأصبع العدواني	٢٧٨/٣
يا صاح هل	... وأبلسا	العجاج	٤٠/٣
حتى إذا	... وعسعا	علقمة بن قرط	٤٣/٩
لا تخبزوا	... بساً		١٣٢/٨
الواردون وتيم	... جلد الجواميس	جرير	٤٥٢/٤
ولولا كثرة	... لقتلت نفسي	الخنساء	٣١٧/٧
وما يكون مثل	... عنه بالناسي	• •	٣١٧/٧
وليلة من	... كلون السندس		١٣٧/٥
وحضرت يوم	... صفرة وابلاس	رؤبة	٤٠/٣
حرف اللشين			
وقريش هي	... قرشا		٢٤٠/٩
حرف الصاد			
أمن ذكر سلمي	... وتبوص	امرؤ القيس	١٠١/٧
أكاشره	... حريص		٢:٤/٣
كلوا في	... زمن خيصر	١/٢٨ و ٣/٢٢٦ و ٤/٤٥٢ و ٨/١٠٣	
حرف الضاد			
داينت أروى	... وأدت بعضا	•	٣٣٦/١
أبا منذر	... أهون من بعض	طرفة	٢١٤/٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
إن شكلي	... وانعمي تبيضي		٢٠٦/٤
طول الليالي	... وطوين عرضي		١٨٦/٤
وليس	... بالمعنى	رؤية	٤١٩/٤
حرف الطاء			
أمت همومي	... وطورا واسطا	هيان قحافة	١٦/٩
حرف العين			
وقد حال هم	... تبتغيه الأصابع	النابعة الذياني	٢١٤/٤
خطا طيف حجن	... إليك نوازع	د	٤٥/١
توهمت آيات	... وذا العام سابع	د	٧١/١
فبانوا فلولاً	... لعينك مدمع		٢٦٣/٢
فيارب ليلى	... في رحمة الله أطمع		٢٨٣/٣
منا الذي	... الرياح الزاعزع		٢٦٨/٣
أرى الخطفى	... كليب مجاشع		١٧٨/٣
أليس ورائي	... عليا الأصابع	ليد	٣٥٢/٤
وما المرء إلا	... إذ هو ساطع	د	٦٥/٩ و ٤٥٠/٦ و ٢٢٦/١
فافتت	... وتقطع		٢٧٢/٤
أراجعة يالبن	... ما هن رجوع	قيس بن ذريح	٥١/٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وفينا رسول الله	... من الصبح طالع	عبد الله بن رواحة	٣٦٢/٥
بيت يحافي	... بالكافرين المضاجع	د د د	٣٦٢/٥
إذا أنت	... أفرحتك الودائع	بيس العدري	١٦٤/٥
أخذنا بأفاق	... والنجوم الطوالع		٣١٦/٧
وإني بحمد الله	... غدرة أتقنع	غيلان بن سامة الثقفي	٤٠٠/٨
تعالوا فسالوا	... الدهر تابع		٣٥٨/٨
لما أتى	... والجبال الخشع	جرير	١٨٦/٤
ولقد حرصت	... لا تدفع	أبو ذؤيب	٣٠٠/١
فتخالسا	... التي لا ترقع	د د	٣٤٩/٢
وعليها مسرودتان	... السوابغ تبّع	د د	٢٤٦/٧
وخيل قد	... ضرب وجيع		٢٢٦/٢
كان يياض غرته صديق			٤٢٠/٤
يأليت شعري	... وأمرى جمع		٣٠٠/٥ و ٤٨/٤
تذكر أياماً	... إليك رجوعها	الأحوص	٤٧٢/٥
تعدون عقرو	... الكمي المقنعا	جرير	١٣٦/٢
فأقسم لو	... لك مدفعا	امرؤ القيس	٨٧/٤ و ١٤١/٢
فدى لبني	... كواكب أشعنا	مسهر بن النعمان	٥٧/٣
فأدركت من	... القصائد مصنعا		٢٥٦/٤

صدر البيت	التافية	الشاعر	الصفحة
فان تزجراني	... عرضاً ممنعا		١٦/٨
عليك مثل	... المرء مضطجعا	الأعشى	
فأنكرتني وما	... الشيب والصلعا	"	٤٤٩/٨ و ١٢٩/٤
ما كنت	... الخليل خذوعا		٤٠٧/١
وخير الأمر	... تتبعه اتباعا		٣٧٢/٨
إليك إليك ضاق بهم ذراعا			١٣٦/٤
في قباب	... قد ينعا		٩٥/٣
انفض نحوي	... شيئا أطمعا		٣٧٠/٤
لا تذل الفقير	... قد رفعه	الأضبط بن قريع	٣٨٤/٢
ونقفي وليد	... ليس بجائع		١٨/٢
ولست أبالي	... مصرعي	خبيب	٢٢٠/١
وذلك في	... شلو ممزع	"	٢٢٠/١
تصيبهم	... عن ربوع	ال شماخ	١٦٢/٣
لمال المرء	... من القنوع	"	٤٣٤/٥
ويحرم سر	... أنف القصاع	الحطيثة	٢٧٧/١
يا ليتني فيها	... وأضع	عمرو بن معد يكرب	٢٥٢/٣
أبيض اللون	... الريق خدع	سويد بن كاهل	٣٠/١
ساجد المنخر	... أصم المستمع	" " "	٦٤/١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وحبيب لي	... لحمي رنع	سويد بن كاهل	١٨٧/٤
لما جف	... صاعاً بصاع		٢٠٦/٤

حرف الفاء

وما زودوني	... قسي وزائف	مزد	١٣٠/٥
ولما دنا	... القلوب الرواجف		٢٤٠/٩
وعض زمان	... أو مجلف	الفرزدق	٢٩٦/٥
ويبتان بيت	... إيلياء مشرف	»	٣٢٣/٢
وليس صرير	... قوم تقصف		٢٨٤/٤
وليس فتيق	... الثناء المخلف		٢٨٤/٤
ويضحك عرفان	... الشمس كاسف		٣٥٤/٤
ونحن أناس	... حين نزاحف		٣٩٤/١
جماجما يوم	... فينا تحالف		٣٩٤/١
ألم ترأن	... الخروع المتقصف		٦٤/٨
بني الملب	... ولا طرف		٣٥٨/٥
نحن بما عندنا	... والرأي مختلف		١٠/٨ و ٤٦٠/٦ و ٤٢٩/٣
تنام عن	... تكاد تنعرف		١٩/٦
لمن الظعائن سيرهن تزحف			٣٣١/٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
يردون في	... علي الأكفا		٢٨٤/٤
قد أفنى	... علي الوظيفا		٢٤٨/٤
ناج طواه	... زلفاً فزلفا	العجاج	١٦٨/٤
والشمس قد	... كي تزحلفا	، ،	٧٣/٥
إذا نهى	... إلى خلاف		٥١٢/١
كل كناز	... على الأعراف		٢٠٥/٣
قلنا لها	... الايجاف	الوليد بن عقبة	٤/٨ و ٢١/١

حرف القاف

فلا الظل	... يذوق	حميد بن ثور	٣١٩/٤ و ٣٨٦/١
ولو أن لقمان	... كاذ يبرق	ذو الرمة	٤٥/١
فديت بنفسه	... ما أطيع		٢٤٠/٦
ودعا بالصبح	... يمينها ابريق	عدي بن زيد	١٣٦/٨
لم أنس	... دموعها شرق		١٢٠/٦
وقولها والركاب	... وتنطلق		١٢٠/٦
بل نطفة	... وأهله الغرق		٢١/٧
تمنيهم حتى	... السرادقا	الفرزدق	١٣٤/٥
إن لنا	... لو يجدن سائقا		٦٦/٩
قالت سليمي	... خادماً ليبقا		١٤٥/١

صدر البيت	الطافية	الشاعر	الصفحة
قضت أموراً	... لم تفتق		٢٢/٥
سأمنعها	... لم تشق		١٤١/٣
وقلتم لنا	... كل موثق ^(١)		٤٨/٨
فلما كففتنا	... في الملا متألق		٤٨/١
إني امرؤ	... إلى طبق	الأقرع بن حابس	٦٧/٩
فنفسك فانع	... ولا تبرق	طرفة	٤١٨/٨
وإلا فاعلموا	... في شقاق		٣٩٩/٢
وإيسالي بني	... بدم مراق	عوف بن الأحوص	٦٥/٣
حتى استوى	... ودم مهراق		٢١٣/٣
وسد	... مخ زاهق		٢٦٢/٩
قد كنت	... اطعني وانطلق		١٧٤/٥
ضحكوا والدهر	... لما نطق		١٧٧/٥
من شاء	... له بالمضيق		١١٣/٦
نحن بنات	... على النمارق		٨٠/٩
وقامت	... على ساق		٣٤١/٨
جاءت به	... تلق		٢١/٦

(١) البيتان غير منسوين في الطبري ٣٦٤/١ ، وأما في ابن الشجري ٥١/١ .

صدر البيت القافية الشاعر الصفحة

حرف الكاف

٢٣/١	خفاف بن ندبة	أناذلكا	... أقول له والرمح
١٥١/١		من مثلكا	... يا عاذلي
٨/١		به إثاركا	... والله أسماك
٢٣٣/٩	عبد المطلب	منهم حماكا	... يارب لا
٤٣٩/٧		مذحجاً وعكا	... يامكة الفاجر
٧٢/٥	ذو الرمة	الدوالك	... مصاييح ليست
٢٣٣/٩	عبد المطلب	فامنع حلالك	... لا هم إن

حرف اللام

١٨٤/٨	أبو خراش	واستراح العواذل	... وعاد الفتى
١٨٣/٨		لها رحل	... ركاب حسيل
١٢٨/٨	زهير	ينالوا فيستعلوا	... بنخيل عليها
٣٤٨/٢		والوسائل	... إذا غفل الواشون
٢٩٧/٦ و ٣٢٠/٣	معن بن أوس	المنية أول	... لعمر ك ما أدري
٣٠٤/٣	عبد بن الطيب	قوم معازيل	... إذا أشرف
٣١٩/٤		أظلال لكن طويل	... أيا أنثلات القاع
٢٥/٤		للو شاة جزيل	... فإن سأل الواشون
٢٥/٤		بعدها فطيل	... ملم بليلي

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
رأيت ذوي	... أنبت البقلُ	زهير	٤٦٧/٥
ومن جوف	... القوم يتقلُ	ذو الرمة	٢٧٥/٩
وجبريل يأتيه	... الصدر منزلُ	ورقة بن نوفل	١١٧/١
ثلاثة أحباب	... هو القتلُ		١٠٩/١
أنلت قليلاً	... كذاك قليلُ		٣١٧/١
يذمون للدنيا	... لها ثعلُ ^(١)	ابن همام السلولي	٤٠٧/١
أملتُ خيرك	... تلقائك الأملُ	الراعي	٢١٢/٦
قد يدرك	... المستعجل الزللُ	القطامي	٢١٨/٧
ماروضة	... مسبل هطلُ	الأعشى	٢٩٢/٦
يوماً بأطيب	... إذ دنا الأصلُ	»	٢٩٢/٦
وقد أخالس	... ثم ما يثُلُ	»	١٦٠/٤
في فتية	... يحفى وينتعلُ	»	٢٠٣/٣
كان مشيتها	... لا ريث ولا عجلُ	»	
إن الذي	... أعز وأطولُ	الفرزدق	٢٩٧/٦ و ٢٥٩/٣
أصبحت أمنحك	... الصدود لأميلُ	الأحوص	٢٩٧/٦
دعوت الله	... ما أقولُ	شهير بن الحارث الضبي	٢٣٥/٣ و ١٤٤/١
وما يدري	... متى يعيلُ	أحيحة بن الجلاح	١٥٩/٩ و ٤١٨/٣

(١) البيت في «مجالس ثعلب» ٥١٥/١ ، وقد أفسده المحقق فرواه : يذمون لي الدنيا .

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
تضحك الضبعُ ...	لها يستهلُ		١٣٠/٤
لم يشعر	... ما حملوا		٢٧٢/٤
تالله أنسى	... حنينها الإبل		٢٧٢/٤
فإن الذي	... يستيلُها	الفرزدق	٦٦/١
لسانك معسول	... صديقك مائلُ		٤١٢/١
نضا لحكم	... قيلُها	الأعشى	٨٧/٥
هممت ولم أفعل	... تبكي حلائله	ضابيء البرجمي	٢٧٦/٥
وأيهات أيها	... بالعقيق نواصله		٤٧٢/٥
وأهل خباء	... أنا آجلُه	توبة بن مضر	٣٤٠/٢
وجدنا الوليد	... الخلافة كاهله	الرماح	٨٠/٣
وإني وإياكم	... تسقه أناملُه		٣١٨/٤
اليوم يبدو	... فلا أحلُه		١٨٦/٣
مثل	... حواصله		٤٦٣/٤
كذبتك عينك	... الرباب خيالا		٥٤/٨ و ٧٤/٣
ليك على	... الليل أرملا		٢٧٨/٤
خرجنا من	... اللقاح المطافلا		٧١/١
ضخم تعلق	... فوقه حملا	الأخطل	٤٧٥/٤
وجاعل الشمس	... قد فصلا	عدي بن زيد	٨٩/١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
تلك المكارم	... بعد أبو الـ	أمية بن أبي الصلت	٢٢٦/١
عبدوا الصليب	... وكذبوا ميكا	جرير	١١٨/١
حتى إذا	... معقولا		١٩٢/٤
أنخضت فعلك	... لتخضب الأبطال	الفرزدق	٣٢/٥
إن الفرزدق	... تنالها الأوعالا	،	١٠٠/١
في جنان	... ولا تحويلا	عبد الله بن رواحة	٢٠٠/٥
فواعديه	... أسهلا	عمر بن أبي ربيعة	٢٥٩/٢
فلا تبعد	... تلك السيل ^(١)		٤٢٩/١
تحن علي	... مقام مقالا	الحطيئة	٢١٣/٥
بشرها	... الطلح والجبال		١٤٠/٨
يوم عصيب	... السلم الطوال		١٣٦/٤
الواهب المائة	... خلفها أطفالها	الأعشى	٤٧٨/٤
وإذا تجوزها	... إليك جبالها	،	٤٣٣/١
وقافيه	... من قالها	الخنساء	٤٠١/١
تقد الذؤابة	... أوعالها	،	٤٠١/١
نطقت	... أمثالها	،	٤٠١/١
فأقسمت	... نائحة مآلها	،	٢٧٢/٤

صدر البيت	الثاقبة	الشاعر	الصفحة
فلا مزنة	... أبقل إبقاها	عامر بن جوين الطائي	١٧/٥ و ٢٣٣/٤
أغرك مني	... القلب يفعل	امرؤ القيس	٥١/٤
فقلت يمين	... لديك وأوصالي	" "	٢٧٢/٤ و ٣٣٦/٢
فلما تنازعنا	... شماريخ ميال	" "	٢٣/٤
مهففة	... كالسجنجل	" "	٨٣/٩
فإن تك	... ثيابك تنسل	" "	٤٠١/٨
فقلت له	... وناء بكل كل	" "	٣٥٢/١
أيقطني	... كأياب أغوال	" "	٦٣/٧
ألا زعمت	... السر أمثالي	" "	٢٧٧/١
وما ذرفت	... قلب مقتل	" "	٣٥٢/١
فصرنا إلى	... أي إذلال	" "	٢٣/٤ و ٣٧٨/١
فقلت يمين	... الغواية تنجلي	" "	١٥٤/٤
خرجت بها	... مرط مرحل	" "	١٥٤/٤
ولست بمفراح	... صرفه المتحول	هدبة بن خشرم الفارسي	٢٤١/٦
فظلوا ومنهم	... العين بالمل	ذو الرمة	٨٠/٦
تمنى كتاب الله	... على رسل		٤٤٢/٥ و ١٠٥/١
لقد كذب	... أرسلتهم برسول	كثير عزة	١١٨/٦
وترميني بالطرف	... إياك لا أقلي		١٤٤/٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
كان بلاد الله	... كفة حابل		٤٦٠/١
جزيتك ضعف	... من أحد قبلي	أبو ذؤيب	٣٠٥/٤
إذا لسعته	... نوب عوامل	» »	١٨٩/٢
لعمرى لأنبت	... بالأصائل	» »	٣١٤/٣
فإن أنا يوماً	... العشيرة والأهل	المنخل	١٨٥/٤
لما رأى	... كالفقير الأعزل	ليبد	٤٥٧/٣
أزهير إن	... لففت بهيضل	أبو كبير الهذلي	٣٨٠/٤
وإذا لقيت	... لقاع محجل	عبد قيس	٣٨٢/١
فأغنهم	... بضنك فاتزل	» »	٣٨٢/١
إن يلحقوا	... بضنك فاتزل	عنقرة	٢٣١/٥
ربما تجزع	... كحل العقال		٣٨٢/٤
فرع نبع	... شديد المحال	الأعشى	٣١٦/٤
إن يعاقب	... فإنه لا يبالي	»	٣١٦/٤
أيا شاطن	... السجن والأغلال	أمية بن أبي الصلت	٣٤/١
لاني زارد	... سوابغ الأذيال	» » »	٧٢/١
لا أرى	... بني إسرائيل	» » »	٧٢/١
رأت مر	... من الهلال	جرير	١١٦/٦ و ١٨٥/٤
كمنية جابر	... بعض مالي	زيد الخيل	١٢٤/٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
شربت الإثم	... تذهب بالعقول		١٩١/٣
سقى قومي	... من هلال	ليد	٣٩٥/٤
يريد الرمح	... بني عقيل	"	١٧٧/٥
وما رمت	... العبد الذليل		٢٣٣/١
وأغضيت	... قيل وقال		٢٣٣/١
ثم أضحوا	... يودي بالرجال	عدي بن زيد	٥٠/٧
إنك والجور	... بدم القتل	عنتر بن عكبرة الطائي	٣٥٣/٣
تبقلت في	... مالك ونهشل	أبو النجم	٨٨/١
فظللنا	... من قلله	جميل بن معمر	٢١٦/٤
والله لولا	... من هزله	أم الأحنف	١٥٠/١
ويذهل	... عن خليله	ابن رواحة	٤٠٤/٥
قلق لافنان	... منها وحائل	الطرماح	٣٩٣/٤
فتدليت	... غيايات الطفل	ليد	١٩/١
وغلام أرسلته	... فبذلنا ما سأل	"	٥٨/١
قال هجدنا	... الدهر غفل	"	٧٤/٥
بيننا الظل	... فاضحل	"	٣١٩/٤
إن تقوى ربنا	... ربني وعجل	"	٣١٨/٣

صدر البيت	الثافية	الشاعر	الصفحة
حرف الميم			
فلا ينبسط	... وأنفك راغمُ	الأعشى	٥٧/٤
إذا اتصلت	... والأنوف رواغمُ	•	١٥٧/٢
يعدون للهباء	... والموت جاحمُ	•	١٣٨/١
ألا من لنفس	... لها طعمُ		٣٠٩/٥
فني علينا	... ودر منظمُ		٣١٧/١
أفاطم إني	... النساء يتيمُ		١٠٩/١
إني امرؤُ	... شفني السقمُ	العرجي	٢٧٣/٤
فبصرة الأزد	... مصر والحرمُ		٣١٦/٧
ولقد أبيت	... ولا محرومُ		٢٥٤/٥
عبادك	... والحتومُ		٢٨٢/٤
ولا يبقى	... عليهن السلامُ		٤٣٢/٤
ومركضة	... والغلامُ	أوس بن غلفاء	٣٨٥/١
ألا يا نخلة	... شاعكم السلامُ		١٥٩/٣
تبكي هاشماً	... الفن الحمامُ		٣٥٢/١
أطوف في	... بي حكيمُ		٣٧٢/٣
وأقاموا حتى	... وكلهم مذؤومُ	حسان بن ثابت	١٧٨/٣
فأي امرئ	... من يُقدمُ		٣٦٤/٤

صدر البيت	الثافية	الشاعر	الصفحة
وكيف بظلم	... اللين والرحم		١٨٠/٥
غدت بما	... وهو قائم	عبد المطلب	
عقم النساء	... بمثله عقم		٤٤٤/٥
تراك أمكنة	... النفوس حمامها	ليد	٢١٨/٧
باسم الذي	... سورة سمه		٨/١
وعامنا أعجبنا	... وقرضاب سمه		٨/١
وهبت له	... المياه نسيما		٢١٧/٣
ومر بسفاف	التراب عقيمها		٣٩٣/٤
يرب الذي	... زاد وتمما		١١/١
عجبت لها	... بمنطقها فها		٣٥٣/١
لعلي إن	... أن يتندما		٤٤٦/١
يرى الخصى	... الهم مبها	حاتم الطائي	٢٨٨/٢
ولو غير	... العرائين ميسما	المتامس	٩١/٥
فأطرق إطراق	... الشجاع لصما		٢٩٨/٥
فهل لي أم	... لهما ابنا		٤٢٦/٣
فلما كشفن	... غيلا موشما	حميد بن ثور	١٨٢/٣
إن الوشاة	... ولا ذمما		٤٠٢/٣
طاف الخيال	... بالسلام سلاما	هند بنت عتبة	١٠٠/١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
من حس لي	... أو من رآهما	هند بنت عتبة	١١٨/٧
أسدين في	... عرواهما	د د د	١١٨/٧
صقرين	... حاهما	د د د	١١٨/٧
رحمين	... تراهما	د د د	١١٨/٧
ألا أبلغ	... يحبون الطعاما		٧١/١
أنا سيف	... تذرير السناما		١٤٤/٥
نعد معاذراً	... فقد ألاما	أم عمير	٨٧/٧
رياشي منكم	... زيارتكم لماما	جرير	١٨٢/٣
فإن المنية	... تصادفه أينما	النمر بن تولب	١٤١/٢
ويوم الفساد	... وكان غراما	بشر بن أبي خازم	١٠٢/٦
ربة محراب	... أو أرتقي سلما	وضاح اليمن	١١٨/٧ و ٣٨٠/١
كفالك كف	... بالسيف الدما		١٥٨/٤
مشين كما	... الرياح النواسم	ذو الرمة	٣٤/١
هم وسط	... الليالي بمعظم		١٥٤/١
دعوت خليلي	... للهجين المذمم	الأعشى	٢٢٢/١
وكلن أرينا	... أو أصر لماثم		٤٧١/١
وكانن ترى	... في التكلم		٤٧١/١
أقول لهم	... فارس زهدم	سحيم بن وثيل اليربوعي	٣٣١/٤

صدر البيت	الثافية	الشاعر	الصفحة
وتشرق بالقول	... من الدم	الأعشى	١٨٦/٤
وما الحرب	... بالحديث المرجم	زهير	١٢٤/٥
فلما وردن	... الحاضر المتخيم	"	٢٥٦/٥
بها العين	... كل تجثم	"	١٠٠/٦
لقد لمتنا	... المطي بنائم		٤٥٨/٦
أولئك قوم	... تميم بدارم	الفرزدق	٣٣٢/٧
فيه الرماح	... نسج سلام	الخطيئة	١٢٢/١
أبلغ أبا	... بين أقوام ^(١)		١٨١/١
لا يدرك المجد	... عزوا لأقوام		٢٥٥/١
وُشتموا	... صفح أحلام		٢٥٥/١
هزمت عليك	... بالنوال وأنعم		٢٩٩/١
لولا الحياء	... أم القاسم	عدي بن الرقاع	١٣٥/٢ و ٨٧/١
وكانها بين	... جاذر جاسم	" " "	٣٠٣/١
وسنان أقصده	... وليس بنائم	" " "	٣٠٣/١
شطت مزار	... ابنة مخرم	عنزة	٢٥٥/٥ و ١٩/٣ و ٣٩٣/٣

(١) البيت غير منسوب في مشكل القرآن : ٥ ، واللسان ١٨/١٤ ، وهو في أمالي
 اليزيدي من أبيات لبعض المتقدمين ، وفي عيون الأخبار ٩١/١ لأبي القمقام الأسدي ، وفي
 العقد الفريد لهشام الرقاشي ، وفي البيان والتبيين لهمام الرقاشي ٣١٦/٢ و ٢٠٢/٣ و ٨٥/٤

صدر البيت	الثافية	الشاعر	الصفحة
فشكت بالرمح ...	القنا بمحرم	عنتره	٤٠٠/٨
لو كان يدري ...	الكلام مكلمي	»	١٨٢/٨
ياشاة ما ...	لم تحرم	»	١٢٠/٧
... ..	بعد أم الهيثم	»	٨١/١
ضم المنازل ...	أولئك الأيام	جرير	٣٥/٥
ترى للعساكين ...	الرؤف الرحيم	»	٥٢١/٣ و ١٥٦/١
لقد لمتنا ...	المطي بنائم	»	٤٦/٤
ثلاث واثنتان ...	إلى شامي	الفرزدق	٢٠٨/١
ندمت على ...	جوف عكهم	الحطيئة	٤١٢/١
وأيقنت التفرق ...	أربد بالساهم	ليبد	٥٠٧/١
لعمرك إن ...	رأل النعام	حسان بن ثابت	٤٠٢/٣
لا واءلت ...	ولم تكلم		١٦٠/٥
كان فريضة ...	فريضة الرجم		٣٢/٥ و ١٧٤/١
حارث قد ...	وتجلى غمي	رؤبة	٣٨/١
أوعدني ...	والأدهم		٢٢٩/٣
الريح تبكي ...	في غمامه		٣٤٦/٧
يقوم على ...	أو ينتقم	الأعشى	٤٠٩/١
وكان دعا ...	قد صرم	»	٥٨/٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
عكم تغشى	... قبل اليوم		٣٦٠/٥
وكلام سيء	... من صمم	المثقب العبدى	١٩/٣
قد لفها	... ولا غنم	الحطم	٢٧١/٢
ولا بجزار	... لم ينم	»	٢٧١/٢
بات يقاسيها	... مسح القدم	»	٢٧١/٢
نحن آل الله	... على ابرهم		١٣٩/١
حرف النون			
وللموت تغذو	... تبنى المساكن		٥٦/٤
	... الخليط المباين		٢١٨/٤
إذا مذلت	... بها فيهون	كثير	١٦٩/٣
نأت بسعاد	... بها رهين	النابعة الذبياني	٢٣٥/٣ و ٢٣٧/٢ و ٣٥/١
أتمتلك عارياً	... بي الظنون	»	١١٨/٤
صم إذا	... عندهم أذنوا	قعب بن ضمرة	٦٢/٩
ولم يبق	... كما دانوا	شهل بن شيان	٦٢/٩
قد كنت	... مخاصم ميزانه		١٧٠/٣
والروح جبريل	... عند الله مأمونا	عمران بن حطان	١١٨/١
يارب	... قال آمينا		١٨/١
باتت تشكي	... بعد سبعينا	ليد	١٤/١

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٤٥٤/٣	أمية بن أبي الصلت	ربي ومسانا	الحمد لله
١٨٣/٣		القوم عريانا	إني كافي
١٤٤/٤	تميم بن مقبل	الأبطال سجيننا	ورجلة يضربون
٤٣٧/١	د د د	متنه لينا	أو كاهتزاز
٥٦/٤		الناس عمرانا	وللعنايا نربي
٣٠٥/٧		المذكر أحيانا	إن أجزاء
٢١/٣	أبو طالب	التراب دفينا	والله لن
٢١/٣	د د	منك عيونا	فاصدع بأمرك
٢١/٣	د د	البرية دينا	وعرضت دينا
٢١/٣	د د	بذاك مينا	لولا الملامة
٤٣٣/١		حبلا متينا	فلو حبلا
١٢/١	الخطيئة	منك العالمينا	تنحي فاجلسي
٣٦/١	عمرو بن كلثوم	جهل الجاهلينا	ألا لا يجهلن
٤٤/١	د د د	بأيدي لاعينا	كان سيوفنا
١٤٤/٢	د د د	لم تقرأ جنينا	فدراعي عيطل
٢٢٤/٥	د د د	مواليك العيونا	يوم كريمة
١٠٠/٧		قطع القرينا	تذكر حب

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
إذا ما الغانيات	... الحواجب والعيونا		١٣٨/٨
	... كذباً ومينا	عدي بن زيد	٨١/١
إن شرخ	... كان جنونا	حسان بن ثابت	٤٣٠/٣
منطق صائب	... ما كان لحنا	مالك بن أسماء	٤١١/٧
هلا سألت	... أين أيننا	عبيد بن الأبرص	١١١/٨ و ٢٠٨/١
قال جوارى	... اسماعينا		١٤٢/١
عجبت من	... إذ يوصينا		١٠٨/١
يقول أهل	... إسرائيلنا		٧٢/١
	... وقد شجينا		١٠٣/٨ و ٤٠٨/٥ و ١٢٨/٢
سريت بهم	... بأرسان		١٤١/٤
يواد يمان	... والشهبان		٤٢٠/٥
فليت لنا	... على طهيان	الأحول الكندي	١١٦/٥ و ٤٥١/٢
ألم تعلمي	... لا أخون أمني		١٧١/٩
رماني بأمر	... الطوي رماني		١٠/٤
لا والذي	... الرزم والمحن		١٧٣/٨
ما سرتني	... الوردى يكن		١٧٣/٨
ومخلدات	... أقاوز الكشبان		١٣٦/٨
وما أدري	... أيهما يليني	المثقب العبدى	٧/٧ و ٤٧٨/٤ و ٤٤٣/١ و ١٨٣/١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
أالخير الذي	... هو يبتغيني	المثقب العبدى	٤٤٣/١ و ١٨٣/١
إذا ما قت	... الرجل الحزين	المثقب	٥١٠/٣
ذعرت به	... كالرجل اللعين	الشاخ	١٦٥/١
إذا بلغتني	... بدم الوتين	•	٣٥٥/٨
وكل أخ	... إلا الفرقدان		١٦٢/٢
أبا لموت	... تخوفيني	أبو حية التميري	٢٤٦/٦
كأنك من	... رجليه بشن	النابعة الذبياني	٣٤/٨ و ٣٦٩/٣
بورك الميت	... الرمان والزيتون		٩٥/٣
إن دهرأ	... يهم بالإحسان		١٧٦/٥
ووجه	... حقان		١٦٣/٤
قد جعلت	... تبع القرين		٢٨/٤
ياوي إلى	... ومجد بائي		١٤٠/٤
تيممت قيساً	... ذي شزن	الأعشى	٣٢٢/١
وإن تستضيفوا	... قد عدن	•	٤٦٨/٣
ومن شاني	... له أنكرن	•	٣٦٤/١
نحن نطحنهم	... غبار النقعين	•	٦٨/٣

حرف الهاء

لله در	... من تألهي	رؤبة	٩/١
--------	--------------	------	-----

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ومخفق من	... في مهمه	رؤبة	٣٧/١
ويقلن شيب	... قفلت إنه	عبد الله بن قيس الرقيات	٢٩٩/٥
والموت أعظم	... على الجبله		١٤٢/٦
قد جاء سيل	... الجنة المغله		٥٦/٤
أقتلهم ولا	... العظيم الحاويه		١٤٣/٣
وشربت بردا	... كنت هامة	يزيد بن مفرغ	١٣١/٢

حرف الياء

ألا أبلغ	... فتاختكم غني		٢٣٢/٣
أطرباً وأنت	... دوازي	العجاج ^(١)	٥٧/١
أترجو بنو	... والفلاة ورائيا	سوار بن المضرب	٣٥٢/٤
هما تغلا في	... أشد لجاميا	الفرزدق	٢٠٦/٤
رأيت فضيلا	... حتى بدا ليا	عبد الله بن معاوية	٤٦٧/١
فتى كملت	... من المال باقيا	الثابغة الجعدي	٣٥٤/٣
ألا قاتل	... السنين الخوالي	عنتره	٧٧/٤
وقولك للشيء	... ليت ذاليا	د	٧٧/٤
فأنبت يقطينا	... ألفي ضاحيا		٨٨/٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
عميرة ودع	... للمرء ناهيا	سحيم بنى الحساس	٣٤/٧
لقد طال	... من شفائنا		٩/٩
أموالنا لنوي	... الدهر ننبها		٢٩٢/٣
أوردتموها	... والموت لاقها	حسان بن ثابت	٨٩/٤
أما ابن طوق	... النجم حادها	طفيل الغنوي	٧٣/١
إني إذا ما	... أعناقهم كالأرشية		٢٦٦/٤

حرف الألف المقصورة

يظن سعيد	... به أرضى		٩٥/٤
هما سيدانا	... يسرت غناها	أبو أسيدة الديري	٣٤٩/٨
شفاها من	... القناة سقاها	لبي الأخيلية	١٧٢/٥ و ٣٨٥/١
كادت وكدت	... ما مضى		٢٧٦/٥
أبيض لا	... ولا يخون إلى		٢٢٢/٣
نادوهم	... الا فا		٢١/١
بالخير خيرات	... إلا أن تا		٢١/١
يا عصمتي	... ويا يدي اليمنى		٢١٩/٦
لاصت وجهاً	... في الثرى يبلى		٢١٩/٦

<u>صدر البيت</u>	<u>الثافية</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
وإن الله	... خفتها قلاها	يزيد بن الصعق	٤٣٧/١
على مطاهم	... هوا ابتناها		٢٧٣/٦
يشكو إلي	... فكلانا مبتلى		١٧٧/٥
ثم جزاك	... السماوات العلى		٤٦٣/٢
علفتنا تبنا	... همالة عيناها		١٣٨/٨ و ٣٠١/٢

